وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ

مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللّهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

وَقَفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز

عبد المنعم مصطفى حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

وبعد، هذه مجموعةٌ من الوقفَاتِ والتأمّلات معَ آيَاتٍ مِن كتَابِ اللهِ العَزيز، كُتِبَت في أوقاتٍ متفرِّقَةٍ، رأينا أن تُجمَعَ في كتَابٍ مُستقِلٍّ، ليسهل الوقُوفُ عليها .. أسميناه " وَقفَاتٌ وتَأَمُّلَاتٌ مَعَ آيَاتٍ مِن كِتَابِ اللهِ العَزِيز "، معَ التَّنبيهِ أنَّ الآيَةَ الواحِدَة قَد أُعِيد النَّظَرَ والتَّأمُّلَ فيها، والوقوفَ عِندها أكثرَ مِن مَرَّة، بحسْبِ ما يَظْهرُ لي من المعَاني والدَّلَالاتِ الإضَافيَّةِ الجديدة عِندَ إعَادَةِ تِلاوَتِها .. فنحنُ نتعامَلُ معَ كِتَابٍ عَظِيمٍ، هو كتَابُ اللهِ، كَنْزُه مَهْمَا استُخْرِجَتْ مِنْه الفَوائِدُ، والحِكَمُ، والعِبَرُ .. لا يَنْضَبُ أَبَدَاً .. فهو قُرآنٌ يمشي معَ الناسِ في حياتِهِم، ومعَ هُمُومِهم، ومشَاكِلِهم، وقضاياهم الخاصَّةِ والعَامَّةِ، يَعيشُ معهم في واقِعِهم، ينيرُ لهم دُرُوبَ الخَيرِ والشَّرِّ، والحَقِّ والبَاطِلِ، ويكشِفُ لهم الغَامِضَ، ومَا أشْكَلَ، ومَا غُمَّ عليهم، ويُلبِّي جميعَ حاجياتِهم وعلى مَرِّ الأزْمِنَةِ والعُصُورِ .. هو الكتَابُ الوحيدُ في الأرضِ الذي يُحفَظُ في الصُّدُور، سَهَّلَ اللهُ حِفظَهُ وتِلاوتَه .. لَا يملُّه قَارِئُه .. كلَّما قرأتَه تَعلَّقتَ به أكثَر، وازْدَدْتَ له حُبَّاً، وإقبَالاً، ورغبَةً في إعادَةِ قِراءتِه وتِلَاوتِه مِن جَدِيد .. وتَكَشَّفَ لكَ جَديدٌ لم تكُنْ تَعرِفُه مِن قَبل .. والكافرُ تراهُ يَهوَى أن يُجَرِّبَ كُلَّ شَيءٍ، وكلَّ محجُوبٍ، وممنُوعٍ .. إلَّا قِراءةَ القُرآنِ، فإنَّه يَتَهَيَّبُ أن يَقتربَ مِنه بخيرٍ، أو أن يَقرأَ بعضَ آياتِه، خَشيةَ أن يتعلَّقَ بِه، ويَنقَادَ لَه، وهو لَهُ كَارِه!

ونُشِيرُ إلى أنَّ جميعَ الأحَادِيثِ الوارِدَةِ في هَذا الكتَابِ، والتي لَمْ نُشِرْ إلى تخرِيجِها ـ تَفَادياً للإطَالَةِ ـ هي صَحيحَةٌ، قَد شَهِدَ لها أهْلُ العِلْمِ والاختصَاصِ بالصِّحَّةِ .. سَائِلاً اللهَ تعالى القُبولَ، وأن يجعلَ مِن عملي هذا مفتَاحَ خَيرٍ، مِغلاقَ شرٍّ، إنه تعالى سَميعٌ قَريب .. وصلى اللهُ على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.[1].

" أبو بصير الطرطوسي "

1443/9/27 هـ . 2022/4/28 م

[1] الكتَابُ قابل للإضَافةِ والتَّحْدِيثِ .. والعمَلُ ـ بإذن الله تعالى ومشيئته وتوفيقه ـ جارٍ به إلى أن يَقعَ القَلمُ من يَدِي!

إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

1- [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]؛ نخصُّك وحدَكَ بالعِبادِةِ الظَّاهِرةِ والباطِنة، الخاصّةِ والعَامَّة، فلا نَعبُدُ غَيرَك، [وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]الفاتحة:5. على [إِيَّاكَ نَعْبُدُ].

* * * * *

اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ

2- [اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]الفاتحة:6. طلَبٌ جاءَ بعدَ تمجيدٍ، وتَعظيمٍ، وتَوحيدٍ للخالِقِ سُبحانه وتعالى .. وهو أدْعَى للإجابةِ والقُبُولِ من اقتحَامِ الدُّعاءِ مجرَّداً عن التَّعظيمِ، والتمجِيدِ، والتَّوحيدِ، والصَّلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. وخُصَّ الطَّلَبُ والدُّعاءُ بأمرٍ جامعٍ مَانِعٍ؛ جَامعٌ لجميع معَاني الخَيرِ، مانعٌ لجميع معاني الشَّرِّ؛ وهو الهِدايَةُ إلى الصِّراطِ المسْتقِيم؛ لأنَّ مَن هُدِيَ إلى الصِّراطِ المستقيم، فقد تَحَصَّل له خَيرَي الدُّنيا والآخِرَةِ، واندَفَعَ عنه كُلُّ شَرٍّ .. والصِّراطُ المستقيم؛ هو دِينُ اللهِ الإسلام .. مَا كانَ عليه النبيُّ محمد صلى الله عليه وسلم، وصَحْبُه الكِرام رضي اللهُ عنهم أجمعين من اعتِقَادٍ، وقَولٍ، وعَمل.

3- [اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]الفاتحة:6. بصيغَةِ الجمْعِ لا الإفْرادِ؛ ليتَحقَّقَ الشُّعورُ بالانتماءِ إلى الجماعَةِ، ويتحقَّقَ الشُّعُورُ بالأخوَّةِ الإيمانيَّةِ؛ على اختلافِ الأمْصَارِ، والأجنَاسِ، واللغاتِ، والألوانِ .. فيَشعرُ المسلمُ وهو يَقرأ هذه الآية الكريمةِ أنَّه جزءٌ مِن كُلٍّ، وأنَّهُ لَبِنَةٌ في بناءٍ شامِخٍ ضَخْمٍ لا يَنفَصلُ عنه، وأنَّه بدعائِه، وطَلَبِه [اهدِنَا] يَشملُ جميعَ إخوانِه وأخواتِه من المؤمنين والمؤمِناتِ، في أيِّ مكانٍ، ومن أي قَومٍ أو جِنْسٍ كانوا .. وهو كما يَقلَقُ مِن أجلِ هدايتِهم، ويَهتمُّ لذلك، ويَسألُ اللهَ لهم الهِدايَةَ، فإنه كذلك يَقلقُ ويَألمُ لكلِّ مَا يُؤذِيهم، ويَصدُّهم عن الهِدايَةِ .. أو يَقفُ عقبةً في طريقِ هِدايتِهم ..

هذا الشُّعُور العظيمُ النَّبيلُ يَتكرَّرُ ويتجدَّدُ معَ تِكرارِ قِراءةِ الفاتحَةِ في كلِّ ركعَةٍ من الصَّلاةِ؛ كانت فرضَاً أم نافلةً .. أمَّا مَن لا يَقلقُ ولا يهتمُّ لما يُصيبُ المسلمين من أذَى في دِينِهم، وهِدَايَتِهم .. فهو يُناقِضُ قولَهُ ودعاءَهُ في كُلِّ ركعةٍ مِن صَلاتِه [اهدِنَا]، ولم يحقِّقْ المعنَى والمرَادَ مِن دُعائِه [اهدِنَا]!

* * * * *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ

4- [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]؛ مِن النَّبيين، ومَن سَارَ على نَهجِهم، واقتَفَى أثَرَهُم، مِن الصِّدِّيقِين، والشُّهدَاءِ، والصَّالحين، [غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ]؛ اليهودُ الذين عَرَفُوا الحقَّ؛ فتَعَالَوا وتكَبَّرُوا عليه، وعَدَلُوا عنه إلى غَيرِه، ولم يَعْمَلُوا به .. وكلُّ مَن اتصَفَ بِصفتِهم هذه، أيَّاً كانت مِلَّتُه؛ فهو من المغضُوبِ عليهم .. فكان كُفْرُهم مِن جهةِ الكبرِ والتَّعَالي على الحقِّ، وليسَ من جهةِ الجهْلِ بالحقِّ، [وَلاَ الضَّالِّينَ]الفاتحة:7. النَّصَارى الذين ضَلُّوا الحقَّ، فأحْدَثُوا في دينِهم مَا ليسَ فِيه، وعَمِلوا وتَعَبَّدُوا بغيرِ عِلمٍ، وكلُّ مَن اتصفَ بصفَتِهم هذه، أيَّاً كانَت مِلَّتُه؛ فهو من الضَّالِّين .. فكانَ كفرُهم وضَلالهم مِن جهَةِ الجهلِ بالحَقِّ .. ومَن كانَ كفرُه وضَلالُه مِن جهَةِ الجهْلِ بالحقِّ، فهو أقرَبُ للحقِّ، وأهلِه، وأقَل عدَاوةً ممَّن كان كُفرُه من جهةِ الكِبر، والتَّعالِي على الحقِّ .. وتُرجَى له الهِدايَةُ لو بلغَه العِلمُ، أكثر من المتكبِّرِ المتعَالي على الحقِّ .. والواقعُ المُشَاهَد شَاهِدٌ على ذَلك .. وفي الحديث:" اليهودُ مَغضُوبٌ عليهم، والنَّصَارَى ضُلَّالٌ ".

5- [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]الفاتحة:7. في الحياةِ الدُّنيَا توجَدُ طوَابير عَدِيدةٍ؛ طَابُور الحُكَّام والأمرَاءِ؛ ولهؤلاءِ أتباعُهم الذين يَصطفُّون في طابورِهم وصَفِّهم .. وللطواغيتِ عبر العصُورِ كلها لهم طوابيرُهم الخاصَّة، ولهم أتباعُهم .. وللسحَرَةِ

والمشعوذِين لهم طابُورهم الخاصّ بهم، ولهم أتباعُهم .. وللفلاسِفَةِ والمتكلمين طابُورِهم الخَاص بهم، ولهم أتباعُهم .. وللفنانِين، والمغنين، والمغنيات .. ولأصحابِ المهن والحرَفِ طوابيرهم الخاصَّة بهم .. ولهم أتباعُهم الذين يَقفُون في طوابِيرِهم .. وللمؤمنين طابُور واحدٌ لا يحيدُون عنه، ولَا يَرتضُون عنه بَديلاً، يَدعون اللهَ في كل صلاةٍ، وعندَ قِراءةِ سُورةِ الفاتحةِ، أن يجعلهم مِن أهلِ هذا الطَّابُور، وهو طابُور الأنبياءِ صلواتُ الله وسَلامُه عليهم أجمعين مِن لدن آدَم عليه السلام، مرُوراً بنوحٍ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، إلى خاتَمِ الأنبياءِ والمرسلِين محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. يَدعُو المؤمنُ اللهَ تعالى أن يجعله مِن أتباعِهم وممن يَهتدُون بهديِهم، ويَقتفُون آثارَهم، ومنهجَهم، وطريقَهم المستَقِيم .. فالمؤمنُ عندما يَقولُ في صَلاتِه:[صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ]؛ يَشعرُ بهذا الترابُطِ، والتماسُكِ، والانتماء العَظيمِ، والممتدّ لجميع العصُورِ والأزمِنَةِ .. فتاريخُه الأمجَد لا يَنتمي - كغيرِه! - إلى قَومٍ، أوقَبيلةٍ، أو عَشيرةٍ، ولَا يتوقَّف عِندها، وعِند نشأَتِها؛ يمتدُّ لعقودٍ أو لمئاتٍ من السنين فقَط .. لَا .. بل تاريخُه يمتدُّ ليشمُلَ الجانِبَ المشْرِقَ، المضِيءَ، المتحضّرَ الرَّاقي، والمنير مِن تاريخ البشريَّةِ جمعَاء .. إنه تاريخُ وسيرَةُ جميع الأنبياءِ والرُّسلِ .. فهو يَشعرُ شعُوراً عميقَاً وقويَّاً بأنَّ جميعَ المؤمنين من أتباعِ الأنبياءِ والرُّسلِ مِن قبل هم إخْوانُه، وهو مِنهم، وهُم مِنه .. وأن انجازاتِهم الحضَارِيَّة هي انجازٌ لَه .. بينمَا بقيَّةُ الطَّوابير والمِلَل على ما بينها مِن تفَاوتٍ، وعِوَج عن الصِّراطِ المسْتَقِيم، فحبلُها قَصيرٌ، وضَعيفٌ، يَنقطعُ بانقطاعِ آجَالِ أصحابِها ومؤسِّسِيها .. وفيها مِن العِوَجِ عن الحقِّ، والصِّرَاطِ المستَقِيم، الكثير، الكثير!

* * * * *

ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

6- [ذَلِكَ الْكِتَابُ]؛ أي هذا القُرآنُ الكَريمُ ـ وليسَ سواه ـ هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ الذي لا يَأتِيه البَاطِلُ مِن بَين يَدَيه ولا مِن خَلْفِه .. المحفُوظُ بِحِفْظِ اللهِ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ الذي ليسَ كَمِثْلِهِ كِتَابٌ؛ لا مِن قَبلُ ولا مِن بَعْدُ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ المُعْجِزُ؛ الذي أعْجَزَ الإنْسَ والجِنَّ ـ على مَدَارِ الأزْمَانِ وإلى قِيَامِ السَّاعَةِ ـ على أن يَأتُوا بسُورَةٍ مِن مِثْلِه .. هو الكِتَابُ الحَقُّ؛ المهيمِنُ على مَا سِوَاهُ مِن الكُتُبِ .. هو الكِتَابُ الحَقِّ؛ الذي مِنْهُ يُلتَمَسُ النُّورُ، والهُدَى، وسَبيلُ الرَّشَادِ .. بِهِ يُعرَفُ الحَقُّ مِن البَاطِلِ .. ويَمِيْزُ الخَبيثُ مِن الطَّيِّب .. هو حَبْلُ اللهِ الممدُود مِن السَّماءِ إلى الأرضِ .. به تَتَّصِلُ الأرْضُ بالسَّماءِ .. هو الكِتَابُ الحَقُّ، وما يُخالِفُه، ويُعارِضُه فهو البَاطِلُ، وهو ليسَ بِكِتَابٍ ذِي بَال، [لاَ رَيْبَ فِيهِ]؛ لا شَكَّ فيهِ أنَّهُ كذلك في جَميعِ ما تَقَدَّم [هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. لأنَّهم آمَنُوا وعَمِلُوا به، أمَّا مَن لا يُؤمِنُ ولا يَعمَلُ بِه، فَأنَّى يَسْتَفيدُ مِنْه، أو يَكونُ لَهُ هُدَىً ..؟!

7- تأمّلتُ أسماءَ وأنواعَ الحيواناتِ والدّواب المذكورةِ في القرآنِ الكريم، فوجدتُها معلومةً بعينها لجميعِ النّاسِ على اختلافِ أمصارِهم، وأجناسِهم، ولغاتِهم، على مدارِ العصورِ والأزمان؛ لأنه كتابٌ أُنزِل للعالمين بشيراً ونَذيراً .. ولأنه الكتاب الخاتَم الذي ليس بعده كتابٌ سماوي .. وحتى لا يقول شعبٌ من الشّعوب، في مصرٍ من الأمصار، وفي زَمنٍ من الأزمنة: مالهذا القرآن يذكر أسماءَ دواب وحيوانات لا نعرفُها في واقعِنا ولا حياتِنا .. صدَق اللهُ العظيم:[ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. [هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]؛ على اختلافِ أجناسِهم، وألوانِهم، ولغاتِهم، وأمصارِهم، وأزمنتهم ...!

8- [ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ]البقرة:2. في هذا الكتاب؛ وهو القُرآن الكريم؛ هُدَىً لجميعِ المنافعِ الماديَّةِ والمعنويَّةِ .. إلى جميعِ مَا يَنفعُ الإنسانَ في دينِه

ودُنياه .. وخصَّ المتَّقُون بهذا الانتفاع لإيمانِهم بالكتابِ وامتِثالِهم لأوامِره، وانتهائهم عمَّا نَهى عنه .. أمَّا مَن لا يُؤمنُ بالكتابِ .. ويُعرضُ عمَّا فيه مِن هُدىً ونُورٍ، أنَّى له أن يَنتفعَ مِن هذا الكِتابِ العَظِيم .. وهو مثَلُه كمَثَلِ مَن يُعرَض عليه الدَّواءُ لمرضٍ ألمَّ به، ثم يُعرِضُ عنه ولا يتَناوَله .. فأنَّى له أن ينتَفع من هَذا الدَّواءِ .. وفيه أن المرءَ كلَّما كان أتْقَى .. والتزمَ جادَّةَ التَّقوَى أكثَر .. وأعْطَى القُرآنَ مِن نَفْسِه .. انتفَعَ من هذا الكتابِ العَظيم، وتَكَشَّفَت له مِن معَانِيه وأسرارِه مَا لم تتَكَشَّفْ لغيرِه.

* * * * *

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

9- [الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ]البقرة:3. لا يَكونُ المؤمنُ مؤمناً إلَّا إذا آمنَ وصَدَّق بالغَيبِ، وهو كلُّ ما تَعجَزُ الحواسُّ عن إدراكِه مِن عالَمِ الغيب، كالإيمانِ باللهِ، وملائكتِه، وبالبعْثِ، والنُّشُورِ، والجنَّةِ، والنارِ، وغَيرِها .. أمَّا مَن لا يُؤمنُ إلا بما تُدْرِكُه حواسُّه، ويرَاهُ بعينِه، فهذا لا يكونُ مُؤمناً، فما تُدرِكُه الحواسُّ لا يحتاجُ إلى جهْدِ وجِهادِ الإيمانِ .. ويَستَوي في تَصديقِه جميعُ الخلَقِ الكَافِرُ والمؤمِنُ سَواء .. فَلا يتَمَايزُ حِينئذٍ المؤمنُ عنِ الكافِرِ .. ويغيبُ من الحياةِ الاختبَارُ، والاختِيَارُ، والبَلاءُ .. وتغيب الحكمةُ والغايةُ مِن خَلْقِ الخلْقِ والوجُود .. ومِن جِهةٍ أُخْرَى فهو يُكَذِّبُ نَفْسَه؛ إذْ تَراهُ يُقِرُّ ويُصدِّقُ بوجودِ مخلوقاتٍ عديدَةٍ تَعجزُ حواسُّه عن إدراكِها ومُشاهَدَتِها .. فعَلامَ يُصدِّقُ بِها، ويكفُرُ بالخالِقِ سُبحانَه، وكلاهمَا بالنسبةِ له غَيْبٌ؟!

* * * * *

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

10- [وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ]البقرة:3. الرِّزقُ هو للهِ، ومِن اللهِ .. والمرءُ إذْ يُنفقُ ينفقُ مِمَّا رزقَهُ اللهُ، واستأمنَهُ عليه .. فالفضلُ كله للهِ أن رزَقَه، وأن وفقَه للإنفاقِ مِمَّا رزَقَهُ واستخلَفَه عليه .. والرِّزْقُ أنواعٌ، مِنه المالُ، ومِنه العِلمُ .. فكما يُنفقُون مِمَّا رَزقَهم اللهُ مِن المالِ، يُنفقُون مِمَّا رزَقَهم مِن العِلمِ، فلا يكتمُون عِلماً علَّمهم اللهُ إيَّاه عن عِبَادِ اللهِ .. وصَدَقَةُ العِلمِ أفضَلُ، وأعظَمُ أجْرَاً وأثَرَاً مِن صَدَقَةِ المَالِ، وكانَ أبُو الدَّرْدَاءِ يقُول:" مَا تَصدَّقَ رجلٌ بصدَقَةٍ أفضلُ مِن موعظَةٍ يَعظُ بها جماعَةً فيتفرَّقُون وقَد نفَعَهم اللهُ بِها ".

* * * * *

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً

11- [فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ]؛ مرضُ النِّفاقِ، والشَّكِّ، والتَّكذيب .. فالقلوبُ تمرضُ، ولها أمراضٌ كما للأبدانِ أمرَاضٌ، وهي أشدُّ فَتكاً وأثَراً من أمراضِ الأبدَان، [فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً]البقرة:10. على مرضِهم، وذلك أنَّهم كلَّما عُرِضَ عليهم حقٌّ قابلُوه بالتَّكذيبِ، والشَّكِّ، والتَّشكيكِ، فيزدادُون بذلك مرَضاً على مرضِهم .. فهم في زيادَةٍ مستمرَّة في المرضِ، حتى تُصاب قلوبُهم بالصَّدَأ والموتِ، وتفقدُ وظيفتَها الأساسيَّة في الحياةِ، والقُدْرَةِ على التمييزِ بين الخَيرِ والشرِّ، فيرُون الحقَّ باطِلاً، والباطِلَ حَقاً .. والمنكرَ معرُوفاً، والمعروفَ مُنكراً!

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

12- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ]البقرة:11. هَذا جَوابُ وإدِّعاءُ كُلِّ مُفْسِدٍ في الأرضِ على مَرِّ العُصُورِ والأزمَانِ .. لَا يَعترفُ بإفسَادِه وفسَادِه .. بَل يَعتقِدُ أنَّه هو المصْلحُ، ومَا يقومُ به هو الإصْلاحُ .. ومَا يخالِفُه هو

الفَسَادُ، وصَاحِبُه هو المفْسِدُ .. والفَيْصَلُ بينَ مَعرفَةِ المُصْلِح مِن المفْسِدِ، ومَا يّدَّعيه كُلٌّ مِنهما، رَدُّ المصْلح ومَا يَصْدُرُ عنه، والمفْسِدِ ومَا يَصدُرُ عنه إلى الميزَانِ الحَقِّ، إلى كتَابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

13- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ]البقرة:11. مَا مِن فَسَادٍ في الأرضِ ـ سواء كان فسَاداً ماديَّاً أم فسَادَاً مَعنويَّاً ـ إلَّا ويتم تحتَ عنوان وزَعْمِ الإصْلاح .. ويأخذ مِن الإصلاح ذَريعةً للإمعانِ، والاستمرارِ في التَّخريبِ، والفَسَادِ .. إدِّعَاءُ الإصلاح باللسَّان سَهْلٌ، الكلَّ يَدَّعيه، ويَتَشَبَّعُ به .. والأعمَالُ تُكَذِّبُ ادعَاءاتهم أو تُصَدِّقُها!

* * * * *

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ

14- [صُمٌّ]؛ لا يَسمعُون الحقَّ، ولا يُطيقُون، [بُكْمٌ]؛ عن قولِ الحقِّ والخيرِ، مع قدرتِهم على الكلامِ، [عُمْيٌ]؛ عن طريقِ الحقِّ، والهدايَةِ، رَغْم أنَّ لهم أعينٌ يُبصرُون بها .. فبسبَبِ كُفْرِهم، وحِقْدِهم، وكبرِهِم، قد تعطَّلَت لدَيهم جميعَ وسائلِ الفَهم والتَّلَقي، فلم تَعُدْ تُؤدِّي وظيفتَها الحقيقيَّةِ التي خُلِقَت لأجْلِها، [فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ]البقرة:18. فهُم ماضُون في غيِّهم وضَلالِهم إلى أقصَى حَدٍّ يَقدِرُون عليه .. لا يَرجعُون عن ضلالِهم مهمَا بان لهم الحقُّ، ونزلَت فيهم القوارِعُ والعقُوبَات الإلهيَّة .. والسَّبب أن وسائلَ التَّلَقِّي الآنِفَة الذِّكْرِ عندهم معطُوبةٌ، لم تَعُدْ تُؤدِّي وظيفَتَها المنُوطَة بها!

* * * * *

واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ

15- [واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ]البقرة:19. محيطٌ بهم عِلماً، وقدرَةً، لا يَخْفَى عليه شيءٌ مِن حالِهم، ومكرِهِم، ولا شيءٌ مِن أعمَالِهم، مَا يُظهرونَه، ومَا يُخفُونَه .. ولَا يُعْجِزُونَه في شَيءٍ إذَا ما أرادَ بِهم شَيئاً.

* * * * *

إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

16- [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:20. على مَا يَشَاءُ قَدِير، وهو ـ مهْمَا تَعاظَمَ أمرُه ـ عليه هَيِّنٌ، لا يَمتَنِعُ عَليهِ شَيءٌ مِن خَلْقِه، أو يُرِيدُهُ في خَلْقِه.

17- [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:20. أعجَبُ لامرِئٍ يُصابُ باليأسِ والقُنُوطِ وهُو يَعلَمُ أنَّ له رَبّاً لا يُعجِزُه شَيء .. ولا يَعْظُمُ عليه شَيء .. ولا يَكْبُرُ عليه شيء .. ولا يَعلُو عليه شيء .. ومَهما كان الأمْرُ صَعْباً وشَدِيداً وكَبِيراً ومُسْتَحِيلاً، فهو عليه هَيِّنٌ وسَهْلٌ .. وهو على كُلِّ شَيءٍ قَدِير!

* * * * *

فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

18- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ شُرَكاءَ للهِ في صِفَةٍ مِن صِفاتِه، وخاصِيَّةٍ مِن خصُوصيَّاته، تَعبدونَهم مِن دُونِ الله، ليسَ فِيهم مِن الخصائِصِ والصِّفاتِ مَا يؤهِّلُهم لأن يكونُوا أكفَاءً وأندَاداً للهِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. أنَّ هؤلاءِ الذين اتخذتموهُم أندَاداً مخلوقُون مَربُوبُون للهِ، اللهُ خَلقَهم، وأوجَدَهم، وأنْشَأهُم .. وهم لَا يَستطيعون أن يخلُقُوا شَيئاً .. ولَا أن يجلبُوا لكم نفْعَاً، ولا أن يَدفَعُوا عنكم ضرّاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ .. فكَيفَ تجعَلُون الضَّعيفَ العاجِزَ المخلوقَ، مَن لَا يَقْدِرُ على أنْ يخلُقَ شَيئاً، نِدّاً وشَريكاً لمن يخلُق، والوجُودُ كُلّه مِن مُلكِه وخَلْقِه .. وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير؟!

19- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. تأملتُ كلمةَ " ندّ " في القرآنِ الكريم، فلمْ ترِدْ إلا بصيغةِ الجمْعِ " أندَاداً "؛ لأنَّ الأندادَ الذين يزعمُون لأنفُسِهم - أو تُنسَب إليهم - صِفَات، وخصائص الربوبيَّة، والألوهيَّة هم - عبر جميع الأزمنةِ من حيث النَّوعِ والكَم - كُثُر جداً، قد يتعَدَّى عدَدُهم المئات، ولربما الآلاف .. وهذا العدَد يتكاثَرُ ويتَضخَّم معَ فشُو الجهْلِ، والشِّرْكِ بين الناسِ .. وكلما ابتعَدَ الناسُ عن عَقيدَةِ التوحِيدِ!

20- [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ شُركاءَ معَ اللهِ؛ تُشركونَهم معَ اللهِ تعالى في المشيئَةِ والإرادَةِ، فتجْعلُون لهم مَشيئةً كمشيئةِ اللهِ، وإرادةً كإرادَةِ اللهِ .. مَشيئتُهم وإرادَتُهم في الكونِ والحياةِ تمضِي مِن دُونِ إرادَةِ وإذْنِ اللهِ. [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ في الصِّفَاتِ؛ فتجعلُون لهم مِن الصِّفَاتِ والخصائص مَا هي مِن صَفاتِ وخصَائصِ اللهِ تعالى وحْدَه. [فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً]؛ في العِبادَةِ؛ فتجعلُون له شُركاءَ تَعبدونَهم مِن دُونِ اللهِ، وتَصرِفُون لهم مِن العِبادَةِ مَا هو حَقٌّ خالِصٌ للهِ تعالى وحدَه .. فكلمةُ " الأنْدَاد " تعني وتَشملُ جميعَ المعاني الآنفَةِ الذِّكرِ أعلاه .. وأكثرُ الشِّركِ الحاصِل والمنتَشر بين الناسِ يأتي من جهَةِ تَشبيهِ المخلُوقِ بالخالِقِ، وليسَ من جهةِ تَشبيه الخالِق بالمخلُوق.

* * * * *

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ

21- [وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ]البقرة:23-24. هَذَا تحدٍّ مِن اللهِ .. لَا يَقْدرُ عليه

إلا اللهُ .. لجميع المُكذّبين مِن النَّاسِ، لكلِّ مَن عنده شَكٌّ بأنَّ القرآنَ الكريم ليسَ كلامَ اللهِ .. عبر جميع الأزمنَةِ، منذُ أن بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم .. وإلى يومِنَا هذا .. وإلى يومِ القِيامَةِ .. فليجتمع البُلَغَاءُ، والمتكلّمون، والشُّعراءُ مِن الكافِرين الشَّاكّين، ويكونُ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيّاً وأولياءَ .. ثم يَنظرُون، هل يَستطيعُون أن يُؤلّفُوا سورةً واحِدةً فقط مِن مِثلِ سُورِ القُرآنِ الكريم .. فإذا كانُوا لَا، ولَن يَستطيعُوا أن يُؤلّفُوا سورةً واحدة مِن مِثلِ سُورِ القُرآنِ الكريم، ولو كانَت مِن قُصَار السُّور .. عليهم أن يُسَلّمُوا أنَّ القُرآنَ الكريم هو كلامُ اللهِ تعالى، أنزَلَهُ اللهُ على قلبِ نبيِّه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. وأنه ليسَ مِن كَلامِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ولَا مِن كلَامِ غَيرِه .. وأن يتوقَّفُوا عن الشَّكِّ والتَّشكِيكِ .. ويؤمنُوا أنَّ القرآنَ حَقٌّ، وأنَّهُ كلامُ اللهِ، ويتَّقوا النارَ التي وقودُهَا وحطَبُها من الحجارَةِ والنَّاسِ الكافِرين المشْرِكين .. وأن لَا يكونُوا مِن جملَةِ حَطَبِها ووقُودِها!

* * * * *

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ

22- [وَلَهُمْ]؛ للمؤمنين الذين عَمِلُوا الصَّالحاتِ، [فِيهَا]؛ في الجنَّة، [أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ]البقرة:25. مُطَهَّرة مِن كلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ، في الخَلْقِ والخُلُقِ.

* * * * *

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ

23- [كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]البقرة:28. سؤالٌ يُفيدُ التعجُّبَ، والتوبيخَ، والتَّقريعَ .. إذْ كيفَ للكافِرين أن يَرضَوا لأنفُسِهم الكفرَ باللهِ، وباليومِ الآخِرِ .. ألم يتفكَّروا بطريقةِ وجُودِهم وخَلْقِهم؛ أين كانُوا، وإلى أينَ صَارُوا، ويَصيرُون .. أينَ عقولُهم مِن ذلك .. كانوا أمواتاً؛ لا شَيءَ؛ نُطفاً

لَا حياةَ ولا روحُ فيها .. وقبل ذلك كانُوا تُراباً؛ لا روحَ ولا حياةَ، فأحياهُم اللهُ تعَالى، فكانُوا بعدَ أن لم يكونُوا .. ثم يميتُهم ميتَتهم الثانيةِ .. ثم بعدَ ذلك يُحييهم ويَبعثهم مِن قبُورهم، ويُرجِعُهم إليه، للمثولِ بين يدَيه للحسَابِ .. فإنْ كانُوا يَشكُّون بالميتَةِ الثانيةِ، وإحيائِهم بعدَها .. فهل يَشكُّون بميتَتهم الأولَى، وإحيائِهم بعدَها في الحياةِ الدنيا .. ومَن كان قادراً على إحيائِهم بعدَ ميتَتِهم الأُولى، لَا شَكَّ أنه قادرٌ على إحيائِهم بعد مِيتتهم الثانيةِ .. أفلَا يَعقِلُون؟!

* * * * *

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً

24- [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]البقرة:30. يُستَخْلَفُ على أمْرِ اللهِ، ويُنظَرُ هل سَيَعمُرُ الأرضَ وفْقَ أمْرِ اللهِ وشَرْعِه، أمْ لا .. وقَولُ البَعضِ أن " خَلِيفَةً "؛ تعني مَن ينوب عن اللهِ، ويَخلُفُه في الأرض .. قَولٌ بعيدٌ عنِ الصَّوَاب .. أنَّى للمخلُوقِ الضَّعيفِ والجَّاهِلِ، ذي القُدرَات المحدُودَةِ، أن يكونَ نائباً عن الخَالقِ سُبحانه وتَعالى، الذي له الأسْماء الحُسْنَى، والصِّفات العُلْيَا .. ويُقالُ كذلك: أنَّ الخليفةَ الذي يَنوبُ عمَّن استخلَفَهُ، لا يكونُ خَليفةً إلا في حالِ غِيابِ مَن استخلَفَهُ .. وهذا مَعنى لا يجوزُ، ولا يَليقُ أن نصرفَهُ للهِ عزَّ وجَل!

* * * * *

سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

25- [قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]البقرة:32. أن تعتَرِفَ ـ إذا ما سُئلتَ عن مسألةٍ ـ إذا كنتَ لا تَعْلمُ، بأنَّك لا تَعلَمُ .. خَيرٌ ألفَ مرَّةٍ

مِن أن تُجيبَ عمَّا لا تعلمُ، بما لا تَعْلَمُ .. فتَضِلَّ، وتُضِلَّ .. وتَتَشبَّع بما لم تُعْطَ .. يكفيكَ قدوةً تَقتدي بهم في ذلك مَلائكة الله.

26- [قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]البقرة:32.

مِن أسماءِ اللهِ الحُسْنَى " الحَكِيم "؛ الذي له الحِكْمَةُ المطْلَقَة، والتي مِن مُقتضَاهَا أن جميعَ مَا يَصدرُ عنه سُبحانه مِن أفعَالٍ وأحكَامٍ يتَّسمُ بكمالِ الإحْكَامِ والإتقَانِ، الذي لا يَعتريه أدنَى خَلَلٍ أو نَقْصٍ .. وهذا مِن لوَازِمِه أن يُسَلِّمَ الإنسانُ لحكمَةِ خالِقِه فِيما لم يُدركْه مِن الحِكَم .. ويَعلم أنَّ حِكمَةَ اللهِ فِيما قَدَّرَهُ وشَاءَهُ في خَلْقِه كلها خَيرٌ مَا عَلِمنَا مِنها ومَا لم نَعْلَم .. فإن فاتَك الحِكمَةُ مِن موجُودٍ مِن الموجُودَات، أو حَدَثٍ مِن الأحْدَاثِ ـ ولَا شَكَّ أنَّه سيفُوتُك الكَثير ـ فَسَلِّم لحكمَةِ واجِدِ الوجُود، وخَالِقِ الخلْق.

* * * * *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ

27- [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ]البقرة:34. لم يكُنْ كفْرُ إبليس مِن جهَةِ الجحودِ، والإنكَارِ .. وإنما كان مِن جهةِ الكِبْرِ، رَدُّ الحقِّ، وعدمُ الانصيَاعِ له، والامتنَاعُ عن تَنفيذِه .. واحْتِقَارُ الخلْقِ، والاستِعْلاءُ عليهم؛ حَيثُ كان يرَى نفسَه خَيراً مِن آدَم .. وأن جِنْسَه النَّارِي خيرٌ مِن جِنسِ آدَم الطِّينِي .. وبالتَّالي كيفَ يَسجدُ الفاضِلُ للمفضُولِ .. فكفَرَ بسببِ ذلك .. وأصبحَ رئيسَ الكافِرين على مدَار الأزمَانِ، وإلى قيامِ السَّاعَةِ .. وفي ذلك تحذيرٌ شَديدٌ مِن الكِبْرِ ـ مهمَا كان ضَئيلاً ـ ومن التَّخَلُّقِ به .. ومِن عواقِبِه ومآلاتِه .. وفي الحديث:" لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ "مسلم. فكيفَ بالذي يمتلئُ قلبُه بالكِبْرِ ...؟!

* * * * *

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

28- [وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]البقرة:36. من ذلك الوقت الذي أمرَ اللهُ فيه آدمَ عليه السلام، وإبليسَ اللّعين، بالهبُوطِ إلى الأرضِ .. بَدَأت العَداوةُ .. وبَدَأ الصّراعُ والتّدافعُ بين قِوَى الخيرِ وقِوى الشّرّ .. بين قِوَى الحقّ وقِوَى الباطِل .. هذا الصّراعُ مستمرٌّ ـ شئنا أم أبينا ـ استمرارَ الحياةِ على هذهِ الأرض .. واستمرارَ وجود الخيرِ والشّرّ .. وإلى أن تقومَ السّاعَة.

والذين يُحاولُون ـ من خِلال مؤتمراتِهم، ومُؤامَراتِهم ـ أن يُوقِفُوا هذا الصّراعَ، أو يُلغُوه، تحت عنوانِ وزَعْمِ إبطالِ فِكرَةِ صِراعِ الحضَارَات .. فإنّهم واهِمون، يُحاولُون عَبَثاً .. ثم أنّهم يُصادِمُون الواقعَ المُعَايَشَ والمُشَاهَد، الماضِي مِنه، والحاضِرُ الذي يَعيشُه الإنسانُ في هذهِ الأرض!

* * * * *

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

29- [إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ]البقرة:37. صِيغَةُ مُبالَغة، كثير وعظيمُ التّوبِ على مَن تَابَ .. مهمَا عَظُمَ الذّنْبُ .. وكَثُرَت الذّنُوب .. وكَثُر عدَد المذْنبين .. فاللهُ تعالى أعظَمُ، وأعْلَى، وأكثَرُ تَوبَةً .. ومِن عَظيمِ تَوبَتِه أن بابَها يّظلُّ مفتوحاً على مَدارِ الوَقتِ أمامَ تَوبةِ العَبْدِ .. ولمن يُريدُ أن يَلجَهُ من التّائبين .. لَا يُحيلُ بينَه وبينَ التّوبةِ حَائِلٌ إلا الموت!

* * * * *

وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

30- [وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ]؛ لو جَاءَ الباطِلُ سَائغاً، واضحاً، صَريحاً .. لاستهجَنَتْهُ النفوسُ، ورفضَتهُ .. لِذا يُشابُ، ويُزيّن ببعضِ الحقِّ ليرُوجَ أمرُهُ على النَّاسِ .. وهذا صَنيعُ أهلِ الكُفْرِ، والأهواءِ، الذين يُدْخِلُون كلاماً حَقّاً في كلامٍ باطِلٍ، ويكونُ مُرَادُهم الأسَاس الجانِب الباطِل من كلامِهم، ليصْعُبَ على الناسِ رَدُّ كلامِهم وباطلِهم، [وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ]؛ أي ولا تخفُوا الحَقَّ، ولا تَمَايُزَهُ عن البَاطِل، وبَراءتَه منه، ومفاصَلَتَه له، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:42. فيكونُ الوزرُ عليكم مُضَاعَفاً، والحجةُ عليكُم قائمةً؛ لأنَّكم ترتكبُون هَذا الوزْرِ العظيم عن سَابقِ عِلمٍ، وإصْرارٍ .. بخلافِ مَن يقَع بشيءٍ من ذلك عن جَهْلٍ، فهذا يُعَلَّم، وقد تكونُ له شُبهةُ عُذرٍ وتَأويلٍ!

* * * * *

وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ

31- [وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ]البقرة:43. صَلُّوا معَ المصَلّين، أُطْلِقَ الجزءُ لبيَانِ أهميَّته، وأُرِيدَ به الكُل.

* * * * *

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ

32- [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ]؛ يَشملُ كلَّ مَن يَأمرُ بطاعةٍ ثمَّ هو لا يَأتيَها، وكلَّ مَن يَنهى عن مَعْصيةٍ ثم هو يأتِيَها .. وفي هذا السُّؤال التَّقْرِيعي التوبيخي أن أوْلَى الأنْفُسِ بالوعْظِ، والنُّصح، وحُسْنِ المتابعَةِ والمراقبَةِ، والتَّأديبِ، هي نَفْسُك التي بينَ جنبَيْكَ أوَلاً، فإن استقَامَت لك، وخَضَعَت، كانَ ذلك عوناً لكَ على نُصْح ووعْظِ الآخَرين .. فَلا تُعطِ لنفْسِك الأولويَّةَ في الإطْراءِ، وفي الدِّرْهمِ والدينارِ، بينما تُعطِي

الآخَرين الأولويَّةَ في النُّصح، والوعْظِ، والتَّعليمِ؟! [وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ]؛ أي تَفعلونَ ذلك وأنتم تَتلونَ كتابَ اللهِ المنزّل عليكُم الذي ينهاكُم عن هَذا الخُلقِ الشّنيع .. فهل التِّلاوةُ لمجرَّدِ التِّلاوَةِ، أم للتدَبُّرِ، والاتعاظِ، والعمَل؟! [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ]البقرة:44. أفلا تَسْتَحُون مِن كتابِ اللهِ، ومِن كلامِ اللهِ الزَّاجِرِ عن هذا الخُلُق الرَّدِيء .. وتعلمون أن ما تفعلُونه لَا يَليقُ بِذَوِي العقُول السَّليمَةِ؟!

وهذه الآيَةُ وإن قِيلَت في اليهودِ الذين كانُوا يأمرُون النَّاسَ بالبرِّ ويَنسونَ أنفُسَهم، إلَا أنَّها تَشملُ كُلَّ مَن يتخلَّقُ بأخلاقِهم مِن المسلمين .. فليسَ لهم كلّ مُرَّةٍ، ولنا كُل حُلوَةٍ!

* * * * *

فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ

33- [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ]؛ مِن بَنِي إسْرَائيل، [يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ]؛ إلهاً ومَعْبُوداً مِن دُونِ اللهِ، [فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ]؛ إلى خالِقِكُم من عبادةِ العِجْلِ الذي صَنعتمُوه مِن الحلي والذَّهَبِ بأيدِيكم .. ومِن علامَةِ صِدقِ تَوبتِكُم، [فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ]؛ طَهُوراً لكم .. وكَفَّارَةً لذَنبِكم، وجرْمِ عبادَتِكم للعجْلِ .. فَقَتَلَ الذين لم يَعْبدُوا العِجلَ من الذين عَبَدُوا العِجلَ سَبعينَ ألفاً .. وكانوا قَد عبَدُوا العجلَ أربعينَ يَوماً؛ المدة التي ذهَبَ فيها موسى عليه السلام لمِيقَاتِ ربِّه .. [ذَلِكُمْ]؛ قتلُكُم لأنفُسِكم، [خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ]البقرة:54. لأنه سَببٌ في توبتِهِ عليكم .. عاقَبَهُم اللهُ هذا العِقابِ الشَّديد لِعِبَادَتِهم العِجْلَ أربَعين يوماً .. وفي زَمانِنَا ما أكثَرَ العُجُول التي تُعبَدُ من دُونِ الله .. وما أكثر الذين يَعبدُونَها من دُونِ اللهِ، ثم يَحْسَبُون أنَّهم يُحسِنُون صُنْعَاً .. وأنَّهم على خَيرٍ .. ومِنها مَن ظَلَّ النَّاسُ عَاكِفين على عبادَتِها وتعظِيمِها لأكثرِ مِن أربعينَ سَنَةٍ .. ولا يَزالُون

.. ثمَّ إذا نزَلَ بهم بلاءٌ يُطهرُهم اللهُ به مِن عبادَتِهم للعجلِ، ومما اقْتَرفَت أيديهم .. عسَى أن يَأوبُوا، ويتُوبُوا إلى ربِهم .. أسرَعُوا الشَّكْوى، والامتِعَاضَ، والاعتراضَ .. نَسألُ اللهَ تعالى السلامَةَ، والعفْوَ، والعَافِيَة.

* * * * *

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

34- [وَمَا ظَلَمُونَا]؛ اللهُ تعالى أجَلُّ وأَعْلَى مِن أن يُنَالَ منهُ بشَيءٍ، [وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ]البقرة:57. ظَلمُوا أنفُسَهم؛ بركُوبِهم الشِّرْكَ، والمعَاصِي.

* * * * *

قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ

35- [قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ]البقرة:67. أي مِنَ المسْتَهْزِئِين، وكُلُّ مَن اسْتَهْزَأَ بِالنَّاسِ، أو تَعَاطَى مَعَ مَسَائِلِ الدِّينِ عَلى وَجْهِ التَّنَدُّرِ، والهُزْءِ، فَهُو مِنَ الجَّاهِلِين.

* * * * *

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

36- [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]البقرة :73. فتَرَوْنَ الحَقَّ حَقَّاً فتَتَّبِعُونَه، وتَرَوْنَ البَاطِلَ بَاطِلاً؛ فتَجْتَنِبُونَه.

* * * * *

فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ

37- كلُّ مَن يفتي بِفَتْوَى بخلافِ مُرادِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم؛ يَبتغي بها وجهَ النَّاسِ، وعَرَضَاً من الدُّنيا، له نصيبٌ وافِرٌ من قولِه تعالى:[فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ

الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79.

38- [فَوَيْلٌ لهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ]؛ مِن كَذِبٍ، وزُورٍ [وَوَيْلٌ لهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79. بسبَبِ مَا يَكتُبُون!

39- [فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ]؛ في زَمانِنَا لَا يَستطيعُ الكفَّارُ، والمنَافِقُون، وأهلُ الأهواءِ، والبِدَعِ الذين يُحْدِّثُون في دِينِ اللهِ ما ليسَ فِيه .. أن يقُولُوا عن كُتُبهم ومؤلفَاتِهم أنَّها مِن عندِ اللهِ؛ فالقُرآنُ الكريمُ لهم بالمرصَادِ، يُكَذِّبُهم، ويُبطِلُ زَعمَهُم .. ولكن يقُولُون عن كتُبهم المليئةِ بالبِدَعِ والخرَافاتِ، والأهوَاءِ، والكَذبِ على دينِ اللهِ: أنَّها تُوافِقُ مُرَادَ اللهِ، ومستَمِدَّةٌ مِن كتَابِ اللهِ، ومِن شَرعِ اللهِ المنزَّلِ، وهي ليسَت كذلك، وهم يَعلمُون أنَّها ليسَت كذلك .. يقولُون ذلك: لتُروجَ كتُبُهم على العوَامِّ مِن الناسِ، ومَن ليسَ له إطلاعٌ وعِلمٌ بكتَابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم .. و[لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً]؛ ولكَي تُبَاعَ كُتُبهم، وتَنْفَقَ، ويكسَبُوا المالَ ببيعِها .. وبعضُهم يفعَلُ ذلك ليتودَّدَ بمَا يكتبُ إلى الطُّغاةِ الظَّالمين، طمَعَاً بما عِندَهُم مِن عَطَاءٍ، [فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ]البقرة:79. وهؤلاء تكرَّرَ لهم الوعيدُ الأليمُ بالوَيلِ ثَلاثَ مَرَّات في آيةٍ واحدةٍ لبيانِ عِظَمِ وشنَاعَةِ ذَنبِهم وجُرمِهم .. والويلُ هو العذابُ الأليمُ في نَارِ جَهنَّمَ، وقِيل: هو وادٍ في جهنَّمَ يَهوِي فيهِ الكافِرُ أربعينَ خريفاً قبل أن يبلُغَ قَعْرَه .. مليءٌ بصَدِيدِ وقَيحِ أهلِ جهنَّمَ؛ مِنه يَشربُ هؤلاءِ الذين يَنسِبونَ للهِ كذِباً ما يكتبونَه بأيدِيهم!

* * * * *

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً

40- [وَقُولُواْ لِلنَّاسِ]؛ كُلُّ النَّاسِ؛ كافِرِهم ومؤمنِهم، [حُسْناً]البقرة:83. أعلى درَجَاتِ الرُّقِي في الخِطابِ؛ الذي يجمعُ بين الحقِّ، والعدْلِ، والصِّدْقِ، والرِّفقِ، والأدَب .. وبخاصَّة في موضع الدَّعوةِ إلى هذا الدِّين.

* * * * *

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ

41- [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ]؛ هذا سُؤالٌ يُفيدُ الإنْكارَ والتَّقْريعَ، والوَعيدَ لكلِّ مَن يُبَعِّضُ الدِّينَ؛ فيأخُذُ مِن الدِّينِ ما يَهواه، ويَدع مِنه مَا لا يَهوَاه .. يأخُذُ مِنه مَا يُنَاسِبُه، ومَا يَلامِسُ مَصْلحَتَهُ الشَّخْصِيَّة، ويَدَعُ مِنه مَا ليسَ له فيهِ مَصْلحَة، ولا يُنَاسِبُه .. يُؤمِنُ بقوانين الأحوَالِ الشَّخْصيَّة التي جاءَ بها الإسلامُ، ويكفرُ بالقوانين الجنائيَّةِ .. يَأخُذُ بالأمرِ بالمعروفِ، ويتركُ النَّهي عن المنْكَرِ .. يَأخذُ مِن الدِّينِ الحُبَّ في اللهِ، ويَترَكَ البُغضَ في اللهِ .. يأخذُ الولاءَ ويتركُ البراءَ .. يُؤمنُ بجهَادِ النَّفْسِ، ويتركُ جهادَ الأعداءِ .. يأخذُ مِن الدِّينِ الطقُوسَ والشَّعائرَ التي تتعلقُ بالسلوكِ الفَرْدِي، ويَترُكُ الدِّينَ ذِي العَلاقَة بالسياسَةِ، والدولَةِ، وسؤونِ الحُكمِ والحياةِ .. هؤلاءِ كلُّهم مَعنيُّون مِن قولِه تعالى:[أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ في الحيّاةِ الدُّنيا له الذِّلُّ، والهوَانُ، والصَّغار، والعَيشُ الضَّنْكُ،[وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ]؛ يُفيدُ أنَّهم بفعلِهم الآنِفِ الذِّكرِ أعلاه كُفَّارٌ؛ إذْ لا يُرَدُّ إلى أشدِّ العَذَابِ إلا كافِرٌ، [وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]البقرة:85. مِن تَبعيضِهم للدِّينِ؛ وأخذِهم ببعضِه، وتَركِهم لبَعْضِه الآخَر.

* * * * *

وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

42- [وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ]البقرة:93. أُشْرِبُوا في قلُوبِهم حُبَّ عِبادَةِ العِجلِ، بسببِ كُفْرهم، وطُغيَانهم .. فتَشرَّبَت قُلوبُهم حُبَّ العِجْلِ، وحُبَّ عبادَتِه، حتَّى أصبَحوا لَا فكَاكَ لهم مِن حُبِّه، ومِن سُلطانِه على قلُوبِهم .. فهم مهما باعَدَت الأزمنَةُ والأمكنةُ بينهم وبينَ العِجْل؛ فإنَّهم يحنُّون لعبادَتِه، ولزمَنِ عبادَتهم لَه .. وهذه آيةٌ كما أنَّها تُحمَل على زَمانِها ومَكانِها، وعلى القومِ التي نزَلَت فِيهم .. فإنَّها أيضاً تُحمَل على كلِّ مَن يحنُّ للشِّركِ، ولعبادَةِ العُجُولِ، والطَّواغِيت .. ومَا أكثَر صُورها في زَماننا المعَاصِر!

* * * * *

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ

43- [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ]البقرة:96. لسُوءِ طويَّتِهم، وأفعالِهم، وكثرةِ ذنوبِهم، وخشيتِهم مِن سُوءِ العاقِبةِ التي تَنتظرهُم، ولتَعَاطِيهم مع الدُّنيَا على أنَّها دَارُ قَرارٍ، واستقرَارٍ، ومتَاعٍ .. تَراهُم يحرصُون أشَدَّ الحرْصِ على حَيَاةٍ؛ أي حيَاةٍ؛ حيَاةُ ذلٍّ، وشَقاءٍ، وتيهٍ، ومرَض .. ليسَ مهمَّاً، المهم أن يَبقُوا أحياءً، وفي حيَاةٍ، وأن لا يتزحزَحُوا عن الحيَاةِ، ولو أن يعيشَ أحدُهم ألفَ سَنَةٍ مع أمراضِ وعِلَلِ الشيخُوخَةِ، وعذابَاتِها!

* * * * *

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ

44- [وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ]البقرة:102. فيه أنَّ السِّحْرَ، وتعْلِيمَه، وتَعَلُّمَه كُفْرٌ .. وأنَّ السَّاحِرَ الذي يتَعَاطَى السِّحْرَ كافِرٌ؛ لاستعانَتِه بالشَّياطِين، وطاعَتِه لهم فِيما يُريدُونه

من الكُفْرِ .. ولادِّعائِه عِلْمَ الغَيْبِ .. وأنَّه قادِرٌ على التَّأثِير في حَقيقَةِ الأشْياءِ وتَغييرِ صُورَتِها .. وأنَّهُ بالسِّحرِ يَضُرُّ ويَنْفَع!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا

45- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا]؛ حيثُ كان المؤمنُون يَسْتَخْدِمُون هذا المُصْطَلَح " رَاعِنَا "، في مُخاطبتِهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الرِّعايةِ والمرَاعاة .. لا حرجَ فيه .. لكن لَمَّا كان في لغةِ اليهودِ، يُمكن صَرفُهُ وتحريفُه إلى معنى خاطِئ " الرُّعونة "، وكانوا يُخاطِبُون النبيَّ صلى الله عليه وسلم بهذا المصطلح، على هذا القَصْدِ .. وفرحوا بأنَّهم كانوا يَشتمون النبيَّ صلى الله عليه وسلم سراً، فأصبحُوا يَشتمونَه عَلانيةً، ولا أحَدَ يَتَنَبَّه لهم .. لكنّ الله تعالى لا يَخفى عليه شيءٌ، يَعلم ما في نفوسِهم، وما تُكنُّ صُدُورهم .. فأوحى إلى المؤمنين بأن لا يَستخدِمُوا هذه الكلمة " رَاعِنَا " في مخاطبتِهم للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأن يَحذَرُوا ويُعَاقِبُوا كُلَّ مَن يَسْتَخْدمها .. ثم دلَّهم على البديلِ عنها، وما هو خير منها؛ على كلمةٍ مُحْكَمَةٍ لا يُمكنُ التَّلاعبُ بها، ولا صَرفُهَا إلى معنى خاطِئ، [وَقُولُواْ انظُرْنَا]البقرة:104. أي انتَظِرْنا، وأمْهِلنَا، حتَّى نفهمَ، ونَحفظَ عنك .. ويُقاسُ على كلمةِ راعِنَا وانْظرْنا كل مُصطلحٍ مُعاصر مُحْدَث حمّالُ أوجُهٍ ومَعَانٍ، يُمكنُ حَمله على معنى صَائب، كما يُمكنُ حمله على معنى خاطِئ .. أن نَجْتَنبه، ونتخَلَّى عن استخادمِه، حتى لا يُفهم خطابنا للناسِ خطأً، وحتى لا يَصِلُهم مُشَوَّشَاً .. ونَستبدلُه بالمصطلَح المُحْكَم الذي لا يحتملُ إلا معنَى صَائباً وحَقّاً .. مثال ذلك: مُصطلحُ " الديمقراطية "، فنَسْتبدلُه بمصطلح مُحْكَم - للتَّعبيرِ عن المرادِ، لا يُمكنُ صَرفه إلى معنى خاطِئ - " الشُّورَى ". والأمثلةُ

والمصطلحات التي تحتاجُ إلى ضَبْطٍ ومُراجَعَةٍ أكثَرُ مِن أن تُحصَر في هذا الموضع .. فالمؤمنون يَنبغي أن يَتَمَايَزُوا عن الكافرين حتى في مفاهيمِهم، ومُصْطَلَحَاتِهم!

* * * * *

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

46- [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]البقرة:106-107. كل من استكثرَ شيئاً، واستَصْعَبَه، ممَّا كانَ، وممَّا يكونُ، وممَّا سيكُون .. يُقالُ له:[أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]؟! وكلُّ مَن غابَت عنه الحِكمةُ مِن شَيء قَدَّرَهُ اللهُ، أو سَألَ عن الحكمةِ مِن شيءٍ قَدَّرهُ اللهِ .. يُقال له:[أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؟! ومَن كانَ له مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ، له أن يفعلَ في خَلْقِه، وفِيما يملكُ مَا يَشاءُ، سَواءٌ فَهمتَ الحِكمةَ مِن فعلِه، وفِيمَا قَدَّرَه .. أَمْ لَمْ تَفهَمْ .. فليسَ للمملُوكِ أن يسألَ الملِكَ المالِكَ عمَّا يَفعلُ في خَلقِهِ ومُلْكِه، أو لماذَا فعَلَ، ولماذَا لم يَفعَلْ ...؟!

* * * * *

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

47- [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ]؛ اليهودُ، والنَّصارَى، [لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً]؛ إلى أيِّ مِلَّةٍ مِن مِلَلِ الكُفْرِ، سوَاءً إلى مِلَّتِهم ودينِهم، أو أيِّ مِلَّةٍ مِن مِلَلِ الكُفرِ الأخْرَى .. المهم عندَهم أن تكفرُوا، وأن تَرتَدُّوا عن الإيمانِ باللهِ، وبدينِه الإسْلام، وبرسولِه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إلى أيِّ مِلَّةٍ أخرَى مِن مِلَلِ الكُفْرِ والإلحادِ .. وتُصبحُون معهم سَواء في الكفْرِ والشِّرْكِ .. هذا التمنِّي، وهذه الرَّغبَةُ الجامحَةُ في أن يَردُّوا المسلمينَ عن دِينِهم إلى الكُفرِ، يُنفِقُون في سَبيلِها الأموالَ الطائِلَةِ .. ويُسَخِّرُون لها جميعَ ما

يملكُون من الطَّاقاتِ والوسَائلِ .. يجسّدُون هذا التَّمني أحياناً بالتَّرغيبِ، وبالترويجِ للحداثَةِ، والليبراليَّةِ، وبمطالِبِ التَّحرُّرِ والانفلاتِ مِن قِيودِ الدِّينِ .. وتَقبيحِ كُلِّ ما يتَعَارَضُ معَ هذَا التوجُّه المتميّعِ المتفلّتِ من قيودِ القِيَمِ والدِّين .. وأحياناً بالتَّرهيبِ، والبطْشِ، والتَّعذيبِ، والحِصَارَات .. لا يحملُهم هذا التَّمني وهذا الحِرصُ على أن تَرتَدُوا عن دِينِكم رغبةً مِنهم بالخيرِ لكم، لَا؛ بَل [حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم]؛ ما يحملُهم على هذا البَغْي والكَيدِ سوى الحسَد، مِن تِلقَاءِ أنفُسِهم، وما تُضْمرُه مِن حِقدٍ وحسَدٍ وسُوءٍ .. والرِّغْبة الجامحَة في أن تزولَ عنكم نعمةَ الإيمانِ؛ الإيمانُ الذي هداكم اللهُ إليه ـ بينمَا هم ضَلُّوه، وجحدُوه، ونبذُوه ـ ونعمَةَ التَّوحيدِ، وعبادَةِ اللهِ، بينما هم يَعبدُون أهواءَهم، وشَهواتهم، والطاغُوتَ، والشيطانَ، [مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ]البقرة:109. يَفعلُون هذا الحسَدَ، وهذا الكَيدَ، والكفرَ، ليسَ عن جَهْلٍ .. لَا؛ بَل يَفعلُون ذلك عن عِلمٍ، وبعد أن تيقَّنوا وعَلِمُوا أن الإسلامَ حقٌّ .. وأن محمداً رسولُ الله؛ والإيمانَ به حقٌّ وواجِبٌ .. وهو مكتوبٌ عِندهُم في التوراَةِ والإنجيلِ!

* * * * *

قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

48- [قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]البقرة:111. أي هاتُوا دليلَكُم مِن كتَابِ الله تعالى، ومِن سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فِيما تُقررونَه مِن مَذَاهِب، ومَسائل، وأقوَالٍ .. فالحُجَّةُ القَاطِعَةُ للأَعْذَارِ، والحَاسِمَة للخِلافِ: قالَ اللهُ، قالَ رسولُ اللهِ .. وأيُّما دَليل مخَالِف لكتَابِ اللهِ تعالى، ولسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم؛ فهو ليسَ بُرهَاناً مُعتَبراً .. وهو دليلٌ باطِلٌ ومَرْدُود.

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا

49- [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ...]البقرة:114. مِن صُوَرِ المَنْعِ؛ المنعُ مِن أن تُقام حَلقاتُ الفِقْهِ والعِلمِ في المسَاجِد .. وأن تَقْتَصِرْ فقَطْ على الصَّلاةِ .. يَشترِكُ في هذا الوِزْرِ طُغَاةُ الحُكْمِ والظُّلْمِ .. والمشَايخُ القَائمون على إدَارَةِ تلك المسَاجِدِ؛ الذين يحملُهم التَّعَصُّبُ لانتماءاتِهم الحزبيَّةِ، والمذْهَبيَّةِ، والقِطْرِيَّةِ على احتِكَارِ المساجِدِ لأنْفُسِهم، ومَنعِ غيرِهم مِن الدُّعاةِ والعُلماءِ مِن أن يَستخْدِمُوا تِلكَ المسَاجِد في الدَّعوةِ إلى اللهِ، أو أن يُقِيمُوا فِيها أيَّ نشَاطٍ دَعَوي وعِلْمِي ...!

ومِمَّن يَدخلُون في هذا الظُّلمِ الأكبَرِ، اليهودُ في فلسطِين؛ الذين يمنعون المسلمين مِن الصَّلاةِ في المسجدِ الأقصَى، ويَشتدُّ أذَاهُم ومنعُهم للمسلمين ـ حَسَداً مِن عندِ أنفسِهم ـ في شهرِ رمضان المبارَك مِن كُلِّ سَنَة .. وبخاصَّة في لَيلَةِ القَدْرِ .. يُغيظُهم مَا يَرون مِن إقبَالٍ واسعٍ للمسلمين على العِبادَةِ في هذا الشَّهرِ المبارَك!

ومِن صور الخَرَابِ للمسَاجِدِ، مَا نَشهدُه في زمَانِنا من تدميرٍ متعمَّدٍ لمئاتِ المساجِدِ في سوريا على يَدِ العصابةِ النصيريَّةِ الأسديَّةِ الحاكمةِ .. ظُلمٌ فوقَ ظُلمٍ، يَعلو بعضُه بَعضَاً!

* * * * *

يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ

50- [يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ]البقرة :121. حَقُّ التِّلاوَةِ؛ هي التِّلاوَةُ التي تَجمَعُ بينَ حُسْنِ الأدَاءِ، وحُسْنِ الفَهْمِ والتَّدَبُّرِ، وحُسْنِ العَمَل.

* * * * *

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً

51- [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]؛ فلمَّا أتمَّهُن، ونفَّذَ جميعَ مَا أُمِرَ به، ونجحَ فِيما اختبَرَهُ بِهِ ربُّه، وكان مِن أشَدِّ ما اختبَرَه به أن يَذبَحَ ولدَه الوحِيد اسماعِيل، لمَّا بلَغَ من العُمرِ مَبلغاً يَسعى معَهُ في خِدمَتِه .. ويَا لَهُ من اختبَارٍ شَدِيدٍ .. لم يُختبَر به في الأرضِ كلِّها، وإلى يومِ القيامَةِ إلا رَجلٌ واحِدٌ، وهو نبيُّ اللهِ إبراهيم عليه السَّلام، [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً]البقرة:124. إمَاماً في الدِّينِ والتَّوحِيدِ، وقُدوَةً للناسِ أجمَعِين .. فالمِنَحُ تَأتِي بَعدَ المِحَنِ، والصَّبرِ عليها .. وهي سنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه؛ أنَّ الإمَامَةَ في الدِّينِ لا تُمنَحُ إلَّا لِمَن كانَت له سَابقَةُ اختبارَاتٍ وبَلاءاتٍ في اللهِ .. فصَبرَ عليها، ونجَحَ فِيمَا قَد اخْتُبِرَ به .. وأيُّما رَجُلٍ تَرونَه يتوسَّدُ مَنْصِبَ الإمَامَةِ في الدِّينِ مِن غَيرِ بَلاءٍ في اللهِ .. ولَا صَبْرٍ على البَلاءِ .. فاعلمُوا أنَّه ليسَ على شَيءٍ!

52- [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]؛ فلمَّا نجَحَ في اختِبَارِ البَلاءِ، [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً]البقرة:124. جَاءَتْهُ المِنَحُ، وتحقَّقَ له الاصطِفَاء!

* * * * *

قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

53- [قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ]البقرة:124. ابتدَاءً لا يجوزُ أن يُولَّى ولايةً عامَّةً على المسلمين ظالمٌ بَيِّن الظُّلم، مجرُوحُ العَدَالةِ .. فالكافرُ مِن بابِ أوْلَى .. لكن إن قَهرَ المسلمُ الظَّالمُ على الولَايةِ والإمَامَةِ العَامَّةِ .. فهذا له تَفصِيلٌ؛ تُقَدَّرُ مصَالحُ عَزلِه ـ ولو بالقوَّةِ ـ ومَصَالحُ بقائِه في الحُكْمِ .. ويُعمَلُ بالرَّاجِحِ مِنهما.

* * * * *

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ

54- [وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ]؛ يَترُكُ مِلَّةَ إبراهِيمَ عليه السلام ويَذهبُ إلى غَيرِها من المِلَلِ الكُفْرِيَّةِ والشِّرْكِيَّةِ .. ومِلَّةُ إبراهِيمَ عليه السلام؛ هي التَّوحِيدُ، والبرَاءَةُ مِن الشِّركِ، والمشرِكِين، [إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ]البقرة:130. لا يُقْدِمُ على هذا الترك والاستبدَالِ إلَّا السَّفيهُ؛ الذي لَا يَعرِفُ مَصْلحتَه، ولا يُحسِنُ تقديرَ عوَاقِب ومآلَات أفعَالِه!

* * * * *

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

55- [إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]البقرة: 133. جميلٌ بالإنسانِ أن يتخذَ مِن نبيِّ اللهِ يَعقُوب عليه السلام مَثَلاً وقُدوةً؛ فيُوصِي بنِيه مِن بعْدِه إذا حضَرَه الموتُ، واشتدَّت علامَاتُه .. بأن يَعبُدُوا اللهَ تعالى وحدَه، ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. وبالتَّقْوَى، وإقَامِ الصَّلاةِ، وبما فيه صَلاحهم وعمَار آخِرَتِهم .. إذْ جرَت العَادَةُ وللأسَفِ عندَ كثيرٍ مِن النَّاسِ إذَا حَضَرَ أحدَهُم الموتُ أن يُوصِي بنِيه من بَعْدِه بأُمُورِ الدُّنْيا وزينَتِها .. هذا لفُلان، وهذا لعِلَّان .. ويفُوتُه أن يأمرَهُم ويُوصِيهم بأمرِ الآخِرَةِ، وبما فيه صَلاحهم ونجاتهم في الآخِرَةِ!

وقوله:[وَإِسْمَاعِيلَ]؛ إسماعيلُ لم يكُنْ مِن آبَاءِ يعقُوب عليه السلام .. وإنَّما كان عمَّهُ .. ولمَّا كانَ العمُ بمقامِ الأبِ، أُدْرِجَ اسمُه في قائمةِ الآبَاءِ، [آبَائِكَ].

* * * * *

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ

56- [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ]البقرة:134. هذا التوجيهُ الربَّاني يُقَال لجميعِ الأجيالِ عبرَ جميعِ الأزْمنَةِ والعصُورِ .. لا ينَبغي للجيلِ الحاضِرِ أن يتَصَدَّرَ مجالسَ القضَاءِ؛ ليُصدرَ الأحكامَ على الجيلِ والأجيالِ السَّابقَةِ .. ويتحرَّى دَقائقَ المواقِفِ، والأحدَاثِ، وينَشغِلَ - ويُشْغِلَ غيرَه - في إصدَارِ الأحكامِ عليها، وعلى أصحابِها .. على بُعدِ الشقَّةِ بينَه وبينَهم .. والتي قَد تُؤدِّي إلى خِلافَاتٍ، وتَفَرقٍ، وصِرَاعَاتٍ .. الجيلُ الحاضِرُ بغنى عَنها .. إذْ يَكْفيه أن ينَشغِلَ بإصْلاحِ نَفْسِه، وزمَانِه، ومكَانِه، ليكونَ قُدوةً حسنَةً لمن يَأتي بعدَه .. وأن يأخذَ مِن ماضِيه لحاضِرِه، ومُستقبَلِه مَا ينفَعُه .. وليُسْلِم الأمانَةَ إلى مَن بعدَه كاملةً غير منقوصَةٍ .. واللهُ تعالى لن يسألَه عمَّا هو ليسَ مَسؤولاً عنه، وليسَ سَبَباً فِيه .. وعمَّا كانَ في الأمَمِ السَّالِفَةِ .. جلُّ الصِّرَاعَاتِ المعَاصِرَةِ بينَ الملِلِ، والفِرَقِ، والشُّعُوبِ مَرَدُّها إلى الغفْلةِ عَن هذا التَّوجِيهِ الرَّبَّاني الوارِدِ أعْلَاه!

* * * * *

قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا

57- [قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]البقرة:136. لَا يَصحُّ، ولَا يُقبَل إيمانٌ يفرِّقُ بين الإيمانِ اللهِ وبينَ الإيمانِ برسُلِه .. يُفرِّقُ بينَ اللهِ، وبينَ دينِه، وشرعِه؛ فيؤمنون باللهِ، ويكفرون بشرعِه، ودينِه، وبأنبيائه، ورسُله .. فهذا النوعُ من الإيمانِ النَّاقِص؛ لا يُخرج صاحبَهُ مِن

دَائرةِ الكُفْرِ والشركِ .. ولَا يُدخلُه في دائرةِ الإيمانِ الذي يُنجيه يومَ القِيامَة .. ومَا حملهم عليه سوى الرغبَة في التَّفلُّتِ مِن التَّكالِيفِ الشرعيَّةِ التي جاءَت بها الرُّسُل مِن عِندِ ربِّهم.

* * * * *

فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ

58- [فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ]. خِطَابٌ لأهلِ الملَلِ، والأدْيانِ جميعُها .. ولأهلِ البدَعِ والأهواءِ مِن أهلِ القِبلَةِ .. ولكلِّ مَن يَنشدُ الهِدايَةَ واتِّبَاعَ الحقِّ .. ويَنشدُ النَّجاةَ .. هذا هو الطَّريق، وبكلِّ وضُوحٍ .. هو مَا كان عليه النبيّ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، وصحبُه الكِرَام مِن دِينٍ وإيمانٍ، ونَهْجٍ .. فإن آمَنتُم بمثلِ مَا آمَن بهِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وآمنَ به صَحبُه الكِرام .. فقد اهتديتُم إلى الحقِّ والإيمانِ الصَّحِيح .. وليسَ وراءَ ذلك إلا الضَّلال، والشِّقَاق، [وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ]البقرة:137. وفيه أنَّ الصَّحابةَ رضي اللهُ عنهم هم الأَعْلَمُ، وأنَّ فهمَهَم لنُصُوصِ التَّنزِيلِ هو الأسْلَمُ، والأَحْكَم.

* * * * *

قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ

59- [قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ]البقرة:140. في كلِّ قَضيَّةٍ يُعَارِضُ فيها الإنسانُ حُكمَ اللهِ الكَوْنِي، أو الشَّرعي .. ويخوضُ في الكُلِّيّاتِ وحَقِيقَةِ الوجُودِ، والغَايَةِ منه فِيما لا سُلطَانَ له بِه .. أو يُقَبِّحُ مَا حَسَّنه اللهُ .. أو يحسِّنُ مَا قَبَّحَهُ اللهُ .. أو يَردُّ حُكمَ اللهِ لأيِّ سَبَبٍ مِن الأسبَابِ .. أو يَلْتَمِسُ المصلحَةَ بخلافِ حُكمِ اللهِ .. يُقَال لهم:[أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ]؛ ولمَّا كانَ الجوابُ معلوماً بالنَّقْلِ، والعَقْلِ، والفِطْرةِ بأنَّ الأعْلَمَ هو اللهُ سُبحانه وتَعالى .. فإن العقْلَ، والأدَبَ يَقتضيانِ أنْ يَنصَاعَ مَن لا يَعلَمُ إلى حُكْمِ وشَرْعِ مَن يَعْلم، وإلى مَن هو الأعْلَم .. ويُسَلِّمُ له تَسْلِيماً.

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ

60- [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ]البقرة:140. كلُّ مَن شَهِدَ على حَقٍّ بأنَّه باطِلٌ، وعلى باطِلٍ بأنَّه حقٌّ، وعلى حَلالٍ بأنَّه حرَامٌ، وعلى حرامٍ بأنَّه حَلالٌ، وعلى ظالمٍ بأنه مظْلُومٌ، وعلى مَظلومٍ بأنه ظَالمٌ .. وعلى طاغُوتٍ كافرٍ بأنَّه مؤمنٌ، وعلى مُؤمنٍ بأنه كافِرٌ .. وكلُّ مَن وصَفَ شَيئاً بخلافِ وَصْفِ اللهِ لَه، وحكَمَ على شيءٍ بخلافِ حُكمِ اللهِ عليه، عن سَابقِ عِلْمٍ وإصْرَارٍ .. فهو [مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللهِ]، وهو من الظَّالمِين؛ بل لا أحَدَ أشَد منه ظُلماً!

* * * * *

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

61- [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]البقرة:144. أحياناً قَد تَشعرُ أنَّ اللهَ تعالى قَد اختارَ لكَ شَيئاً .. وفي نفسِك رِغْبَة في غيرِه .. هو مُباحٌ ليسَ حرَاماً .. فالأدَبُ حِينئذٍ يَقتَضِي مِنكَ أن لا تَرفعَ يدَكَ بالدُّعاءِ تَسألُ اللهَ أن يُبدِّلَ اختيارَه لك، باختيارِكَ الذي تَرغبُه وتُريدُه .. إذْ يَكْفِي أن يَعلمَ اللهُ ذلك من نفْسِك .. عَسَاه سُبحانه أن يبدِّلَه إلى ما تُحب وتَرضَى .. ويُبارِكَ لكَ في اختيارِكَ الذي تُحبّه .. وهذا الذي حصَلَ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ كان يَتوجَّهُ في صَلاتِه، ومعه المسلمون ـ بأمرٍ من اللهِ تعالى ـ نحوَ بيتِ المقْدِس .. وظلَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصلي نحوَ بيتِ المقدسِ سنَةً وأربعَةَ أشهرٍ .. وكان يحبُّ أن يتوجَّه في صلاتِه نحو الكعبة بيت اللهِ الحرَامِ؛ قِبْلة أبي الأنبياءِ إبراهيم عليه السلام .. ومع ذلك تأدُّباً لم يَسأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ربَّهُ ذلك .. وإنما كان يكتفِي أن يُقَلِّبَ وجهَهُ ونظرَهُ في

السَّماءِ .. يُكثِرُ مِن النظرِ في اتجاهاتٍ عِدَّةٍ من السَّماءِ .. عسَاهُ يَرَى جبريلَ عليه السلام يتنزلُ ومعَه آيةٌ من ربِّه يأذَنُ له فِيها أن يجعَلَ من بيتِ اللهِ الحرَامِ قِبْلَةً له وللمسلمين .. وهذا مِن جميلِ أدَبِه صلى الله عليه وسلم في دعائِه، ومُناجَاته لربِّه .. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم هو خليلُ اللهِ .. واللهُ تعالى يعلمُ ما في نفْسِ خَلِيلِه وحبيبِه وإن لم يتكلّم، ويَسْأَل .. فأنزلَ اللهُ تعالى عليه:[قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ]البقرة:144.

* * * * *

وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

62- [وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ]البقرة:144. تَنْسَى يَا ابنَ آدم مَا كان مِنك، واللهُ لا يَنسَى .. يُمْهِلُك اللهُ ـ حتَّى تظن أنَّك في مَأمَنٍ مِن انتِقَامِه ـ لكن لَا يُهْمِلُك .. تُخَطِّطُ، وتَكِيد، وتتآمَرُ على دِينِ اللهِ في غُرَفٍ مغْلَقَة تحتَ الأرضِ، وفوقَ الأرضِ، بعيداً عن أعيُنِ الخلْقِ .. فتغفَلُ عنِ الرَّقِيبِ الحَسِيب، واللهُ لا يَغفَلُ عنك، وعمَّا كان ويكُونُ مِنك مِن عمَلٍ .. ثم أنَّك مهمَا تمادَيْتَ، وظَلَمتَ، وطَغَيت .. ومَهْمَا تخفَّيت وتَوَارَيت .. وأينما ذهَبْتَ، وكُنْتَ .. فاللهُ تَعالى لك بالمرصَادِ، وهو مَعَك، محيطٌ بِك، وقَادِرٌ عَليك، وآتٍ بِك، لَا يَغفَلُ عَنك طَرفَةَ عَين!

* * * * *

وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

63- [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]البقرة:146. لا تكفي المعرفةُ لتحقِيقِ الإيمانِ .. لا بدَّ معَ المعرفةِ مِن تَصْدِيقٍ، وانقيادٍ، ومتابَعةٍ، ليَتحقَّق بعد ذلك الإيمانُ .. فالكفارُ ـ وبخاصة أهل الكتاب ـ

كانوا يَعلمون ويَعرفُون أن محمَّداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ .. وأنه رسولُ الله .. كما يَعرفون أبناءَهم، وأشَد .. وأنَّه مذكورٌ باسمِه وصفاتِه في التَّوراةِ والإنجيلِ .. لكن صَدَّتهم حُظوظُ النَّفسِ .. وصَدَّهم الكِبْرُ، والتَّعالي، والعنَادُ عن تَصديقِ الحقِّ ومتابَعتِه .. فكانُوا بذلك كافِرين .. ولو كانَت مجرَّد المعرفَةِ تنفعُ لنفَعَت إبليسَ اللَّعين!

64- [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ]البقرة:146. اليهودُ يَعرفُون محمَّداً صلى الله عليه وسلم باسمِه وصِفَاتِه، وأنَّهُ رسُولُ اللهِ إلى النَّاسِ كافَّةً كما يَعرفُون أبناءَهم الذين من أصْلابِهم وأشَد .. ومعَ ذلك كَذَبُوا، وكَذَّبُوا، وكَتَمُوا المكتُوبَ عِندَهم في التوراةِ، حَسَداً مِن عندِ أنفُسِهم .. هذا الكَذِبُ والتَّكذِيبُ للحقِّ لم يَستطيعُوا أن ينفَكُّوا مِنه، فقَد صاحبَهم إلى يومِنَا هذا، فيكذِبُون على النَّاسِ، ويكذِبُون على - وعن - أهلِ فلسطين، وأهلِ غزّة بخاصَّة في جميعِ رواياتِهم عنهم، ليبرِّرُوا جرائمَهم، وعدوانَهم، وليَسْتملِكُوا ما ليسَ لهم بحقٍّ .. وكَذِبُهم هذَا ما هو إلَّا امتدادٌ لكذِبِهم الأوَّلِ على اللهِ، وعلى أنبيائِه ورُسُلِه .. فالذي يَكذِبُ على اللهِ، وعلى أبيائِه ورسُلِه، يَكذبُ على أهلِ غَزَّة، وأبطَالِها!

* * * * *

فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ

65- [فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ]البقرة:148. لَا تَدَعُوا غيرَكُم يَسبقكُم في المبادَرَةِ إلى فِعْلِ الخيرَاتِ .. فكُونُوا أنتم الأسْرَع، والأسْبَق إلى فِعلِ الخيرَات .. قَبلَ أن تُوَدِّعَ، وتُغْلَق الأبوَابُ دُونَها .. فكَثيرٌ مِن الخيرَاتِ موسِمِيَّةٌ، وفُرَص - ومِنْها مَا قَدْ لا يَتَكَرَّر - مُرتَبِطةٌ بزمَانٍ ومَكانٍ سُرعَان ما تُودِّعُ وتَذْهَبُ، ممَّا يَسْتَدْعِي نَوعَ مُسَابَقَةٍ ومُسَارَعَةٍ لاغتنامِها قَبلَ فَواتِها.

66- [فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ]البقرة:148. سَابِقُوا إلى فِعْلِ الطَّاعَاتِ قَبلَ فوَاتِ وَقتِها .. وقَبلَ أن يُحَالَ بينكم وبينَها بالموتِ أو بِسَبَبٍ قَاهِرٍ .. فمن الطَّاعَاتِ والخيرَاتِ شَرطُها أن تُؤدَّى في وَقتِها، ولو خَرَجَ وقتُها لم تَعدْ تُقبَل.

* * * * *

أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً

67- [أَيْنَ مَا تَكُونُواْ]، في البرِّ أو البَحرِ .. أو في السَّماءِ .. وفي أيِّ بَلدٍ أو بُقعَةٍ مِن الأرضِ .. وأيِّ مخبأ ومَلْجأ .. ولو كنتم في قُصورٍ مُشَيَّدَة، [يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً]؛ لا مَفرَّ، ولا مَلجأ، ولا مَنْجَا مِن اللهِ .. لا توجدُ بقعَةٌ ـ مهمَا صَغُرَت أو كبُرَت ـ في السَّماواتِ وفي الأرضِ خَارِجةٌ عن سُلطَانِ، وحُكمِ، ومُلكِ اللهِ .. فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون، فانظُرْ بما ترجعُ به إلى ربِّك، [إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة:148.

* * * * *

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

68- [فَاذْكُرُونِي]؛ باللسّانِ، والقَلْبِ، وبالجوارِحِ؛ بامتثالِ مَا أمرَ اللهُ به، وبانتهاءِ عَمّا نَهى عنه .. اذكروني ذِكْرَ التَّأمُّلِ، والتَّفكُّرِ، والتَّدبُّرِ .. والنَّظَرِ في الآياتِ القُرآنيَّةِ المقروءةِ، وفي الآياتِ الكونيَّةِ المرئيَّةِ في السماواتِ، والأرضِ، [أَذْكُرْكُمْ]؛ فالجزاءُ مِن جِنسِ العمَلِ، فكما تذكرونَ اللهَ، فاللهُ تعالى يُقابلُكم بِذِكْرٍ أحْسَن، وأكمَلٍ، وأجمَلٍ؛ فإن ذَكَرتُموه في أنْفُسِكُم، ذَكَرَكُم اللهُ في نفْسِه، وإن ذَكَرْتُموه في مَلأٍ، ذَكَرَكُم اللهُ في مَلأٍ خيرٍ مِنهم، [وَاشْكُرُواْ لِي]؛ اشكرُوا فضْلي ونِعَمِي السابِغَةِ عليكم؛ اشكرُوهَا باللسَّانِ، والقَلبِ، والعمَلِ، وبجميلِ الثنَاءِ على الله تعالى، يَزِدْكُم اللهُ مِن فَضْلِه ونَعَمِه .. والشُّكرُ كلمَا كانَ من

جِنْسِ النِّعمَةِ كان أحْسَن، [وَلاَ تَكْفُرُونِ]البقرة:152. فضْلِي ونِعَمِي عليكم، فتُحْرَمُوهَا، وتَفْتَقِدُوها .. وكُفرَانُ النِّعَم يكونُ بعدَمِ شُكْرِهَا .. ورَدِّهَا للنفسِ مِن دونِ اللهِ!

وفي الحديث القدسي:" يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَأٍ خَيْرٍ منهمْ .."متفق عليه. الوَقْتُ الذي يَمْضِي مِن غَيرِ ذِكْرٍ للهِ، يَمْضِي بغَيرِ حَقِّه.

69- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. إذَا وجَدْتَ في نَفْسِكَ نَشَاطاً لِذِكْرِ اللهِ، فاعلمْ أنَّ اللهَ تعالى يُريدُ أن يَذْكُرَكَ.

70- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. على قَدْرِ مَا تَذْكُرُ اللهَ، يَذكُرُكَ اللهُ.

71- [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ]البقرة:152. أَطِيعُونِي، أغْفِر لَكُم.

* * * * *

اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ

72- [اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]البقرة:153. [اسْتَعِينُواْ]؛ على قضاء حوائجكم، والقيام بواجباتكم، وصرفِ ما أهمّكم وأغمّكم، ومواجهةِ المخاطِرِ والتحديات التي تواجهكم [بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ] . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم " إذا حزَبَهُ أمرٌ صَلَّى "؛ أي إذا نزل به ما أهمّه وأغمّه فزِعَ إلى الصلاة. ومن ذلك أن فاطمة عليها السّلام، دخلت على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهي تبكي، فقال: ما يُبكيكِ يا بُنَيَّةِ؟! قالت: يا أبتِ مالي لا أبكي، وهؤلاءِ الملأُ من قريشٍ في الحِجْرِ يتعاقدونَ باللَّاتِ والعُزَّى ومناةَ الثالثةَ الأخرى، لو قد رأوكَ لقاموا إليك فيقتلوكَ، وليس منهم إلا من عَرَفَ نصيبَهُ من دَمِكَ، فقال:" يا بُنَيَّةِ، ائتني بوُضُوءٍ ... "! يقول لها ذلك، وكأنه يقول لها: يا بُنَيَّةِ، ائتني بالسّلاح ...!

وكان صلى الله عليه وسلم يقول:" يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ، أرِحْنا بها "؛ أرِحْنا بها من نَصَبِ الدنيا، ومشاغِلها، وكدِرِها، وهمومِها. ويقول صلى الله عليه وسلم:" جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاةِ ".

فهل الصَّلاةُ بالنسبة لنا، هي كذلك .. أم هَمٌّ نُلقيهُ عن ظهُورِنا؟!

73- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ لأنَّ مَا بعدَ هذا الخِطابِ يَعنِي المؤمنين دُونَ غَيرِهم، ولا يَقدِرُ عليه إلا المؤمنُون، [اسْتَعِينُواْ]؛ على قضاءِ حوائِجِكُم، ودَفْعِ مَا أهَمَّكُم، [بِالصَّبْرِ]؛ الذي يَمدُّ صاحِبَهُ بالطَّاقةِ والقدرَةِ على التَّحمُّلِ، مِن غيرِ استعْجَالٍ، [وَالصَّلاَةِ]؛ التي تَصِلُ العَبدَ بخالِقِه، فتزيدُه إيماناً، ويَقيناً، وثَباتاً .. وقدْرَةً على تَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ .. الصَّلاةُ التي من خِلالها يَرفع العَبدُ حاجَتَهُ، وما أهَمَّهُ، وأغَمَّه إلى اللهِ .. فالصَّلاةُ ـ وبخاصَّة مِنها السُّجُود ـ هي الموْعِدُ الأفْضَلُ للقَاءِ العَبدِ بربِّه، وهي اللِّقَاءُ الأمْثَلُ الذي فيه يَرفَعُ العَبدُ شَكْوَاهُ، وحَاجَتَهُ إلى رَبِّه، [إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:153. ومَن كان اللهُ معَهُ فَلا خَوْفَ ولا ضَيْعَةَ عَليه.

74- [اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]البقرة:153. قُدِّم الصبرُ على الصّلاةِ؛ لأنَّ الصّلاةَ، والمحافظَةَ عليها بواجِبَاتِها وشُروطِها، تحتَاجُ إلى صَبرٍ .. فالصَّبرُ بالنسبةِ للطَّاعاتِ كالوقُودِ بالنّسبَةِ للمحرِّكاتِ؛ لا حَرَكَةَ لها مِن غَيرِ وَقُود .. كذلك الطَّاعَات لا قِيامَ لها ولا وجُودَ مِن غَيرِ الصَّبرِ.

* * * * *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

75- البَلاءُ أنواعٌ، أشدُّها وَطْأً وأثَراً على الإنسانِ وحياتِه بلاءُ الخوفِ، لذا خُصَّ بالذِّكر أوّلاً في قولِه تعالى:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ

وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. مفهوم المخالفة يقتضي أنّ أفضلَ نعمةٍ بعد نعمةِ الإيمانِ، نعمةُ الأمْنِ والأمَان.

76- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ]البقرة:155. الخَوفُ مِن عَدوٍّ دَاهِمٍ، أو شَرٍّ قَادِمٍ .. هَذا الشَّرُّ قَد يَكُونُ مَصدَرُه كونيّاً؛ كالزَّلازِلِ، والبراكينِ، والعَواصِفِ، والخَسْفِ، أو وبَاء، وغَيرها .. وخُصَّ بَلاءُ الخوْفِ بالذِّكْرِ أوَّلاً لخطورَتِه، وشِدَّتِه، وأثَرِهِ الكبير على حياةِ واستِقرارِ الناسِ، ولأنَّه سَببٌ لبلاءاتٍ أُخْرَى، وأنَّ كثيراً مِن البلاءاتِ الأخْرَى مُرتبَطةٌ بهِ؛ كالجوعِ، والنَّقصِ في الأموالِ، والأنْفُسِ والثمرَاتِ، وغَيرِها .. ولتُعرَف قِيمةُ نِعمَةِ الأمْنِ فتُشْكَر .. فالمرءُ يَغلِبُ عليه ـ للإلفَةِ ـ الغَفْلَةُ عَن قِيمَةِ نِعمَةِ الأمنِ، فَلا يَشكرُهَا .. بَل يكْفُرُها، ولا يَعُدُّهَا مِن جملَةِ النِّعَم .. فيَبتليهُ اللهُ بشَيءٍ من الخوفِ؛ ليَعرفَ قِيمَةَ نِعمَةِ الأمْنِ، وليَشْكُرَ اللهَ على نِعمةِ الأمْنِ.

77- قوله تعالى:[بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ]؛ يُفِيدُ التَّبْعِيضَ؛ أي ببعضِ الخَوفِ، وليسَ كُلُّه، ولو كانَ البَلاءُ بالخوفِ كُلِّهِ؛ لأُصِيبَ الإنسانُ بالشَّلَلِ والعَجْزِ، ولتَعَطَّلَت جَميعُ مَصالحِه الدِّينِيَّةِ، والدنيَويَّةِ .. لِذا كانَ مِن فَضْلِ اللهِ تَعَالى ونِعَمِه على عِبادِه أن يَبتَلِيَهم بِبَعضِ الخوفِ الذي يتخلَّله ويُشارِكُه بَعضُ الأمْنِ، ليَقْتَاتُوا بِبَعضِ هذا الأمْنِ، ولتَسْتَمرَّ بهم ـ وبهذا البَعضِ مِن الأمْنِ ـ الحيَاة!

* * * * *

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

78- [وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. بالظَّفْرِ، والأَجْرِ.

* * * * *

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون

79- [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]البقرة:156. عِندَ المصَائِبِ يُشْرَعُ، ويُسْتَحْسَنُ الاسْتِرْجَاعُ؛ [إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]، وعِندَ موردِ العُجْبِ، والانتِشَاءِ بالنِّعَم، ومواجَهَةِ الأعدَاء، يُشْرَعُ، ويُستَحسَنُ الحَوْقَلَة:" لَا حَولَ ولَا قُوَّة إلّا باللهِ "، وعِندَ موردِ الخوفِ، والظُّلمِ، والكَرْبِ، والشَّدَائِدِ، وتكالُبِ الأعدَاءِ، يُشرَعُ ويَسْتَحْسَنُ الحَسْبَلَة؛ " حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيل ".

80- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .. هُناكَ الموعِدُ، وهناك المُلتَقَى؛ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ، وتَسوَدُّ وجُوهٌ .. يومَ تَتطايرُ القلوبُ مع تَطايرِ الصُّحُف؛ الدَّالّة على فوزِك أو رسُوبِك .. فيُقال لك: [اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]الإسراء:14. لا يَغيبنَّ ذلك عن ذِهْنِك يا ابنَ آدَم، وأنتَ مُنغمسٌ في دُنياك، ومتَاعِهَا!

81- [إِنَّا لِلّهِ]؛ وَحْدَهُ، وليسَ لأحَدٍ سِوَاه، فنَحْنُ عَبِيدُه، ومِن مُلْكِه، وخَلْقِه، والمالِكُ لهُ الحَقُّ في التَّصَرُّف فِيما يَمْلِكُ ويَخْلُقُ ـ ابتلاءً وإنْعَامَاً ـ مِن دُونِ أدْنَى تَعْقِيبٍ أو اعتِرَاضٍ مِن المَمْلُوك، [وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ]البقرة:156. للوقُوفِ بين يَدَيه سُبحانَه للحِسَابِ؛ على مَا كانَ مِنَّا مِن عَمَلٍ؛ فمن عَمِلَ خيراً يجد خَيراً، وحُسْنَ مآبٍ، ومَن عَمِلَ شَرّاً يجد شَرَّ مآبٍ، ولا يَلُومَنَّ إلا نفْسَه.

* * * * *

وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

82- [وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً]؛ كلُّ خَيرٍ زائد عنِ الواجِباتِ؛ سَواءٌ كان هذا الخيرُ المتَطوَّعُ به في العِبادَاتِ، أَمْ في الصّدَقَاتِ، أَمْ في المعَامَلاتِ، أَمْ في الخدَمَاتِ، [فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ]؛ يَشْكُرُ هذَا الخَيرِ المتَطوَّعِ به، ويُكَافِئُ عليه العَطاءَ الكثيرِ في الدُّنيَا، والآخِرَةِ،

[عَلِيمٌ]البقرة:158. بهذا الخَيرِ الذي تتطوَّعُون به .. فإن لم يعلمُه النَّاسُ، لا تتوقَّفُوا عن التَّطوعِ بالخيرِ .. يكفي أنَّ اللهَ يَعْلَمُه .. وهَذا يَستدعِي من المتَطوِّعين أن يحافِظُوا على صِدْقِ الإخْلاصِ، وسَلامَةِ النيَّةِ.

* * * * *

أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

83- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159. هذه الآيةُ الكريمةُ وإن نزلَت في أهلِ الكتابِ الذين يكتمُون حقيقَةَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في التَّوراةِ والإنجيلِ، وأنه نبيٌّ مُرسَلٌ يجبُ الإيمانُ به .. إلا أنَّها أيضاً تَشملُ علماءَ السُّوءِ من المسلمين الذين يكتمُون تَأويلَ التَّنزِيلِ، ومعانيَه، وأحكامَه ابتغاءَ عَرَضٍ من الدُّنْيَا .. أو تَقَرُّباً إلى طاغِيَةٍ متَسَلِّطٍ .. يكتمُون ـ رَهْبَةً أو رَغبةً ـ ما يجبُ بيانُه، والصَّدْعُ به، في زَمَانِه ومكانِه المنَاسِبَين .. أولئك الذين يَقعُون في هذا الوزْرِ العَظِيم،[يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]؛ من الملائكةِ، والنَّاسِ، وجميع المخلُوقاتِ من الدَّوَابِ، والحيواناتِ، والنَّباتاتِ، التي تتأثَّرُ سَلْباً من كتمانِهم لما أنزَلَ اللهُ!

* * * * *

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ

84- الخَطَأُ الخاصُّ ـ وهو غَالِباً يكونُ متعلقاً بالشَّهواتِ ـ تُجزئة التوبَةُ الخاصَّةُ، وفي السِّر؛ بين العَبْدِ وربِّه .. بينما الخَطَأ العَامُّ، وعلى الملأ ـ وهو غَالِباً يكونُ مُتعَلِّقاً بالشُّبُهاتِ ـ لا تُجزِئه إلا التوبَةُ العَامّة، وعلى الملأ، كما قال تعالى:[إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة:160.

85- [إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة:160. مَن كانَ خطأه عامّاً ومَعروُضاً على النَّاسِ، ومِن جِهةِ الأهوَاءِ والشُّبُهاتِ .. لا يُؤمَنُ على النَّاسِ الوقُوع في شِباكِه، وشَرِّه .. لتوبتِه ثَلاثَة أركانٍ:

1- النَّدَمُ، والإقْلاعُ عن الذَّنْبِ، والعَزْمُ على عدَمِ العودَةِ إليه .. وهو المرادُ من قولِه تعالى:[تَابُواْ].

2- أن يُصْلحَ ما أفْسَدَ، ومَا تَرتَّبَ على قولِه، وشُبْهتِهِ مِن ضَرَرٍ وفسَادٍ في دِينِ النَّاسِ، وعقولِهم، ومَعَاشِهم .. وهو المُرادُ مِن قَولِه تعالى:[وَأَصْلَحُواْ].

3- أن يُبيِّنَ أينَ أخطَأَ، وفِيمَا أخطَأَ، والصَّواب فِيما أخطَأَ فِيه .. وبِقَدْرٍ من التَّفْصِيلِ الذي يُزيلُ به اللبسَ عن النَّاسِ، الذي كان هو سَببُه .. وهو المرادُ مِن قولِه تعالى:[وَبَيَّنُواْ].

[فَأُوْلَئِكَ]؛ الذينَ تَجتمعُ في تَوبَتِهم الأركانُ الثَّلاثَةِ الآنِفَةِ الذِّكْرِ، [أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ].

أمَّا أنْ يقولَ: أخطَأْتُ .. ثمَّ يمْضِي .. ويَبقَى خطَأه مَنْشُوراً ومَعرُوضَاً على النَّاسِ .. ومِن غيرِ إصْلاحٍ، ولا تَحديدٍ، ولا بيَانٍ لِمَا قَد أخْطَأَ فِيه .. فهذه تَوبَةٌ هي أقرَبُ إلى تَوبَةِ الزَّنَادِقَةِ الذين لا يَثْبُتُون على قَرَارٍ!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ

86- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ]البقرة:161-162. علَّقَ الوعيدَ الشَّديدَ، واللَّعنَ ـ وهو الطردُ مِن رحمةِ الله ـ على الخَاتمةِ، والمُوَافَاةِ على الكُفْرِ .. أمَّا

قبلَ الموافَاةِ على الكُفْرِ، لا يجوزُ لعنُهم ـ إلَّا مَن اشتدَّت أذيَّتُه، على تفصيلٍ مَعلُومٍ ـ ولا الحكمُ عليهم بالخلُودِ في النَّارِ، لاحتمَالِ هِدايتِهم، وإيمانِهم.

لَعْنُ مَن يَستحقُّ اللعنَ من الأَحيَاءِ، دعاءُ يُفيدُ الطَّلَب، قَد يُستجَابُ، وقد لا يُستَجَاب .. ولَعْنُ مَن يَستحقُّ اللعنَ من الأموَاتِ، دعاءٌ يُفيدُ التَّحقِيقَ؛ وأن يَزيدَهم اللهُ تعالى من العَذاب .. والمسلمُ ليسَ بطعَّانٍ ولَا لَعَّانٍ.

* * * * *

وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ

87- [وَإِلَـٰهُكُمْ]؛ معبودُكم الذي تتألَّهُونَه، وتَعبدُونَه .. ويجبُ أن تَصرفُوا له العبادَةَ وحْدَه، [إِلَٰهٌ وَاحِدٌ]؛ مَألوهٌ ومَعْبودٌ واحِدٌ لا شريكَ له؛ واحِدٌ في ذاتِه، وواحِدٌ في أسمائِه الحُسْنَى، وصفاتِه العُلْيَا، لا نظيرَ، ولَا مَثيلَ، ولَا شَبيهَ لَه، [لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ لَا مَألُوهَ ولا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلا اللهُ، الذي من أسمائِه الحُسْنَى وصِفَاتِه العُلْيَا، أنَّه [الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ]البقرة:163. بعبَادِه.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ

88- [وَمِنَ النَّاسِ]؛ هم المشْرِكُون، [مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً]؛ شُركاءَ؛ يَصرِفُون لهم العِبادَةَ، ويَصِفُونَهم بصفاتٍ هي مِن صِفاتِ وخَصَائصِ اللهِ تعالى وحْدَه، مِن ذلك أنَّهم [يُحِبُّونَهُمْ]؛ يُحِبُّون هؤلاءِ الأندادِ لِذَوَاتِهم؛ فيُحِبُّون ويَبغَضُون، ويُوالُون ويُعَادُون، ويُعطُون ويَمنَعُون فِيهم، ولَهم؛ فَمَن وَالَى هَؤلاءِ الشُّركاءِ والأَنْدَادِ والَوْهُ ووصَلُوه، ومَنْ عَادَاهم عَادَوْهُ وقَطَعُوه، بعيداً عن مِعْيارِ الحقِّ والبَاطلِ، والعَدْلِ والظُّلْمِ، وهذهِ محبَّةُ شِرْكٍ، [كَحُبِّ اللهِ]؛ كما يَنبغي ويجِب أنْ يُحَبَّ اللهُ؛ فهذا الحبُّ الذي

يَصرفونَهُ للأنْدَادِ والشُّركَاءِ، يُصرَفُ للهِ تَعالى وحْدَه، فاللهُ تعالى وحْدُهُ هو المألُوه المَحْبُوبُ لِذَاتِه، الذي يُحَبُّ ويُبْغَضُ فِيه، ويُوالَى ويُعَادَى فِيه، ولَهُ، لأنَّه هُو هو، ولأنَّه رَبُّ العالمين، وخَالِقُ الخلْق، ولا يَصدرُ عنه إلا حَقّاً، وعَدْلاً، وما سواهُ يُحَبُّ لهُ وفِيه، [وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ]البقرة:165. أما المؤمنون الموحِّدُون المباينُون للشّركِ والمشرِكين، ولطريقتهم في المَحَبَّة، هم شَديدو التَّمَسُّكِ بهذا المعنَى التَّوحِيدِي لمحبَّةِ اللهِ سُبحانه وتعالى .. وما سِواهُم، حتى لو كانُوا يُحِبُّون اللهَ، فإنَّهم يُحِبُّونَ معه أنْداداً وشُركاءِ، يَصرِفُون لهم من المحبَّةِ مَا يَصرِفُونَه للهِ .. وهذه محبَّةُ شِركٍ، تُردِي صَاحِبَها، واللهُ تَعالى بَريءٌ مِنها، لا يَقبَلُها، ولا يَصِلُه مِنها شيءٌ سُبحانه، لأنَّ اللهَ تعالى أغْنَى الشُّركاءِ عن الشِّركِ، لا يَقبلُ عَمَلاً ولا مَحبَّةً أُشْرِكَ فِيها مَعَهُ غَيرُه.

89- [وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلهِ]البقرة:165. أشَدُّ طَاعَة للهِ مِن طاعَةِ المشرِكين لأوثَانِهم وطواغِيتِهم.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً

90- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خطابٌ لكلِّ الناسِ مُؤمنِهم، وكافِرِهم، [كُلُواْ]؛ مِن غيرِ إسْرافٍ، ولا تَبذيرٍ [مِمَّا فِي الأَرْضِ]؛ مِمَّا تُنْتجهُ الأرضُ ـ بإذنِ رَبِّها وخَالِقِها ـ مِن طعَامٍ، وشَرابٍ، [حَلاَلاً]؛ مِمَّا أحَلَّ اللهُ لكم مِن الأطعمَةِ والأشْرِبَةِ، في كُتُبِه المنزَّلةِ، وعلى لسَانِ أنبيائِه ورسُلِه، [طَيِّباً]؛ وهو كلُّ ما أحلَّه اللهُ، فاللهُ تعالى لا يحلُّ إلا الطَّيبَ من الطَّعامِ، ولا يحرِّمُ إلا الخبيثَ، [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ في تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، وتحريمِ مَا أحَلَّ اللهُ من الأطعِمَةِ والأشربةِ، فتَضلُّوا .. فليسَ للشيطانِ ولا لأتباعِه الحقّ في أن يُشَرِّعُوا فِيما لا يخلقُون، وأن يَقولُوا لكم هذا حَلالٌ، فأحِلُّوه، وهذا حرامٌ،

فحرِّمُوه، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. ظاهِرُ العَداوَةِ، لا تخفَى عداوتُه على أحَدٍ، لا يَهديكُم إلا إلى الشَّرِّ، ومَا فيه ضَرَر لكُم .. ومَن كان عَدوّاً لكم موقِعُه مِنكم أن تُعَادُوه لا أن تُطِيعُوه!

* * * * *

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

91- [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. قد لا يَستطيعُ الشيطانُ ابتداءً أن يَنقلَ المرْءَ إلى الباطِلِ والمُنكَرِ دَفعةً واحِدةً .. فيتَدَرَّجُ معه خُطوَةً خُطوة؛ فيُزَيِّنُ له أوَّلاً التَّوسُّعَ في المُباحِ، باعتِبَارِ أنَّ الأصْلَ فِيه الإبَاحَةُ والحِل .. فإن تابَعَهُ هَوَّنَ عليه الخُطوَةَ التي تَلِيها؛ وهي استِحْسَانُ المكرُوهَاتِ، والمحتَمَلات، واقتِحَامُ المتَشَابِهات، والتَّهوينُ مِن شَأنِها، على اعتِبارِ أنَّها ليسَت حَراماً، قَولاً واحداً .. فإنْ تابَعَهُ سَهُلَ عليه أن يَنقلَهُ إلى الخُطوةِ التَّالية؛ وهي الوقُوع في المحظُورِ والحَرام .. فإنْ تابَعَهُ سَهُلَ عليه أن يَنقلَهُ إلى الخُطوةِ التَّالِيةِ والأخِيرَةِ، الأشَدّ خَطَراً؛ وهي استِحْسَانُ المنْكرِ واسْتِحلالُه، واعتِبَارُه حَقّاً ومَعْرُوفاً .. فمَا مِن مُنْكَرٍ إلَّا وللشيطانِ فِيه مُقدّماتٍ وخُطواتٍ يُزَيِّنُ فيها المنكرَ، والوقُوعَ في المُنكَرِ .. فمَن تابَعَه في المُقدّماتِ والخُطواتِ، وقَعَ في المنكَرِ الصَّرِيح .. لِذَا جاءَ النَّهي ابتداءً [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]. وفي الآيةِ دَليلٌ على قاعِدةِ " سَدِّ الذَّرائِع "، وأنَّ مَا يُؤدِّي إلى مُنكَرٍ فهو مُنْكَر.

92- [وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ ليوقِعَ الشَّيطانُ فَريسَتَه في شِباكِهِ .. ويأتِي به إلى صَفِّه .. يَسْلُكُ خُطواتٍ عديدَةٍ يَستدرجُ بها فريسَتَه .. وليس خُطوة واحدة؛ فيتكشَّفُ حينئذٍ أمرُه .. فيأتيه أولاً مِن جِهةِ التَّوسُع في المبَاحات .. ثم يَنقلُه إلى استِحْسَان المكرُوهَات .. ثمَّ إلى استسَاغَةِ المتشَابهَات؛ على اعتبارِ أنَّها ليسَت حَراماً قَوْلاً

واحداً .. فإن طَابَ المقامُ لفريسَتِه في المتشَابِهات .. سَهُلَ على الشيطانِ حينئذٍ حملَه للوقوعِ في المحظُوراتِ والمحرَّمات!

مِثَالٌ آخَر على خطواتِ الشَّيطان: عِندما يَشغل فَريستَه بالمباحَاتِ، والمندوباتِ على حسابِ الواجِباتِ .. فيقَعُ التَّقصيرُ في الواجِباتِ .. ومعَ الزَّمَنِ والاسترسَالِ، والانشغَالِ بالمباحاتِ والمندُوباتِ .. يتركُ الواجبَاتِ .. ويتحقَّقُ للشيطانِ مُناهُ ومطلَبُه!

مِثالٌ آخَر على خُطواتِ الشَّيطان: أولاً يهوّن الشَّيطانُ على فريستِه ارتكابَ صغَائرِ الذُّنوبِ؛ على اعتبارِ أنَّها مغفُورَةٌ، وتُكفّرُها الحسَنَات .. فإن أدْمَنَت فريسَتُه صغائرَ الذُّنُوبِ، واستَطْعَمتها .. نقلَها إلى الخُطوةِ الثَّانية، وهي ارتكابُ كبائرِ الذُّنوبِ .. فإن هانت كبائرُ الذُّنوبِ على فريستِه .. هانَ على الشيطانِ أن يأخُذَ بيدِ فريسَتِه إلى الخطوةِ الثالثةِ؛ وهي الوقوعُ في الكُفْرِ والشِّركِ .. واستحسَانِ الكُفرِ .. ثم إلى ما هو أغْلَظ مِن ذلك؛ عندما تتحوَّلُ الفريسةُ إلى جندٍ من جنُودِ الشَّيطانِ، وداعيةٍ مِن دُعاته .. وإلى عدوٍّ ظَاهرِ العَدَاوةِ للهِ، ولرسولِه، وللمؤمنين .. فيتحقق للشيطانُ مُناهُ ومطلبُه، ويَفْرحُ بفريستِه فرحَاً شَديداً .. فالصغائرُ ـ مع التّهاون والاسترسَالِ ـ بريدٌ إلى الكبائرِ .. والكبائر ـ مع التَّهاونِ والاسترسالِ ـ بريدٌ إلى الكُفْرِ، والشيطانُ يَعرفُ هذا كُلّه، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]البقرة:168. فعدَاوَةُ الشَّيطانِ لكم ظاهِرةٌ بينةٌ .. لا ينَبغي أن تخفَى عليكم، كما لا يَنبغِي أن تخفَى عليكم وسائِلُه وخُطواتُه .. وهذا يَستدعي التنبُّهَ واليقظَةَ .. كما يَستدْعِي التَّفقُّهَ بخطواتِ الشيطانِ القابلةِ للتَّحدِيثِ، والتَّجْدِيد!

* * * * *

قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

93- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ]؛ للكفَّارِ، ومِن أيِّ ملةٍ كانوا، [اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ]؛ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم مِن التَّوحيدِ، والتَّحليلِ، والتَّحريمِ، [قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا]؛ الركونُ إلى التقاليدِ ومَا ورثُوه مِن الآباءِ، مِن اعتقاداتٍ، ومفاهيم، وتَصورَاتٍ، وطريقةٍ في العيشِ، والحياةِ .. يتترَّسُون بإرثِ الآباءِ الجَّاهِلي، ويَردُّون به دعوةَ الحقِّ .. يفعلُ ذلك جميعُ الكافرين، وفي جميعِ الأزمِنَةِ، والأمكنَةِ .. الذين يعيشُون منهم في الكهُوفِ والغاباتِ، والذين يَعيشون مِنهم في المدُنِ، وفي المبانِي الشَّاهِقةِ، في ظلِّ الأنظمةِ التي تدعُو إلى الحداثَةِ، والتَّحررِ، والليبراليَّةِ، والديمقراطيةِ .. كلُّهم يردُّون دَعوةَ الحقِّ بقولِهم: هكذا وجدْنَا آباءنا يفعلُون، فنحنُ على إثرِهم نفعلُ ما فَعلَوا .. كيف نردُّ ونستبدِلُ طريقةَ آبائنا في العيشِ والحياةِ، التي أَلْفَناها دَهْراً، بطريقةٍ لا تخضعُ لبيئتِنَا ولتقاليدِنا، وثَقافتِنَا، ولا لطريقتِنا في العيشِ والحياةِ؟! [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً]؛ سؤالٌ يفيدُ التوبيخَ والتَّقريعَ، والإنكارَ .. كيفَ يُرَدُّ الحقُّ بمتابعَةِ وتقليدِ آباءٍ جُهَّالٍ لا يَعرفون شيئاً عن الدِّينِ الحقِّ .. وطريقةُ حياتِهم كلها قائمةٌ على اتباعِ الشَّهواتِ والأهواءِ، ومناكفَةِ ومخالفَةِ الحقِّ، [وَلاَ يَهْتَدُونَ]البقرة:170. سَبيلاً لمعرفةِ الدينِ الحقِّ؟!

* * * * *

وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

94- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ خِطابٌ للمؤمنين؛ لأنَّ ما بَعدَه يَعني ويخصُّ المؤمنين، [كُلُواْ]؛ مِن غَيرِ إسْرَافٍ، ولا تَبذيرٍ، [مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ]؛ لا يَكْفِي أن تتحرَّى المبَاحَاتِ مِن الطَّعامِ، وإنما يَنبغي أيضاً أن تَتحرَّى الطّيبات مِن الطّعامِ؛ الطيباتُ في الطّعْمِ، وفي المحتوى، والأثَرِ على الصّحّة .. لتضمن ـ بإذنِ الله ـ جَسَداً سَليماً

من الأمرَاضِ، قَوِيَّاً على أدَاءِ العِبَادَاتِ، ومُمَارَسَةِ الطَّاعَاتِ، [وَاشْكُرُواْ لِلّهِ]؛ واحمدُوا اللهَ على النِّعَم، وعلى مَا رَزَقَكم مِن الطِّيباتِ، وهو كلُّ ما أحلَّ اللهُ لكُم من طعام وشراب، ورُدُّوا الفضلَ إليه وحده فِيما أنتم فِيه مِن نِعَمٍ وخَير، [إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]البقرة:172. تخصُّونَه بالعِبَادَةِ وحدَه دونَ أحَدٍ سِوَاه.

95- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ]؛ وهو كلُّ ما أحلَّ اللهُ من الطَّعامِ، فاللهُ تعالى لا يُحِلُّ إلا الطَّيبَاتِ، ولا يحرِّمُ إلَّا الخبَائثَ، [وَاشْكُرُواْ لِلّهِ]؛ فأمَرَ بالأكلِ والشُّكْرِ، ولأن تأكلَ من الطَّيباتِ وتَشكُرَ، وتردَّ الفضلَ فِيما تأكلُ، وفِيما أنتَ فيه مِن النِّعَم إلى اللهِ، أحَبّ إلى اللهِ من أن لا تأكلُ تَزَهُّدَاً، ولا تَشكُر، وفي الحديث:" إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا "مسلم. قال ابنُ تيمية:" فأمرَ بالأكْلِ والشُّكرِ، فمن أكَلَ ولم يَشكُرْ كان مَذمُومَاً، ومَن لم يأكُلْ ولمْ يَشكُرْ كانَ مَذمُومَاً ". [إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]البقرة:172. توحِّدُونَه ولَا تُشركُون بِهِ شَيئاً.

* * * * *

أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ

96- يكتمون الحقَّ، ويُجَارُون الباطلَ، خوفاً على مستقبلِهم السّياسِي، والمهني، والوظيفِي، أو خَشيةَ أنْ يُصنّفَهم العدو .. وهؤلاء لهم حظٌّ وافرٌ من قولِه تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]البقرة: 174.

97- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

]البقرة 174. وعيدٌ شَديدٌ مغلَّظٌ مخيفٌ بحقِّ مَن يتجرَّأُ على كتْمَانِ ما أنزلَ اللهُ من الآياتِ في كتابِهِ العَزِيز .. ويَقتَاتُ بهذا الكتْمَان، ويَعْتَاشُ عليه .. والكتمانُ بصورتِه القديمةِ الذي أصابَ التوراةَ والإنجيلَ .. لم يعد موجُوداً، ولا ممْكناً بحقِّ القرآنِ الكريمِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى تكفَّلَ بحفظِه، ولم يترُكْ حِفظَهُ لعبادِه .. ولمَّا علم المنافِقُون ومَرْضَى القلوبِ ذلك تَرَكُوا التنزيلَ؛ لعلمِهِم أن لا سُلطانَ لهم على تحريفِهِ وكتمانِه .. وانصرَفُوا إلى تأويلِه .. فحرَّفُوا وكتَمُوا في تأويلِه .. فكتمُوا مِن معانِيه ما يجبُ أن يظهرَ .. وفي الزَّمانِ والمكانِ الذي يجبُ أن يظهرَ .. وأظهَرُوا من المعَانِي والأقوالِ ما لا يحتمِلُه النَّصُّ المنزَّلُ .. فأدخَلُوا فيهِ من المعَانِي والتأويلاتِ ما ليسَ مِنه، ومِمَّا هو مِنه براء .. اتِّباعاً للهَوَى .. وابتغاءَ مَرضَاةِ الناسِ .. وانتصَاراً للباطِلِ .. مُقَابل عَرَضٍ من الدُّنيا .. أو فُتَاتٍ ـ أو راتب شهريٍّ ـ يَرميه إليهم الطُّغاةُ الظَّالمُون .. فهؤلاءِ بنصِّ الكتابِ:[أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]. [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159.

* * * * *

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

98- في القِصَاصِ الشَّرعي يموتُ القليل؛ ليحيى الكَثير، ويُستأصَل الجزءُ؛ ليبقى الكُلُّ، وهو من هذا الوجه حياةٌ آمنة وعظيمةٌ لو كانوا يَعلمُون، كما قال تعالى:[وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]البقرة:179. وهو حياةٌ من جِهَةِ كونِه قُوَّةً رَادِعَةً؛ تَرْدَعُ المجرِمَ مِن مجرَّدِ التَّفكيرِ بالجرِيمَةِ؛ لعِلْمِه أنَّه سيُؤخَذ بجريمتِه، وسيُقَامُ عليه القِصَاص والحدُّ الشَّرْعي .. فيُكْتَب له، ولمن كانَ سيعتَدِي عليهم الحيَاة!

* * * * *

وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

99- [وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:184. خَيْرٌ لكُم في الدُّنْيَا؛ لِعَظِيمِ الفَائِدةِ التي تَرْتَدُّ على صَحَّةِ الصَّائِمِ، وخَيرٌ لَكُم في الآخِرَةِ؛ لِعَظِيمِ الأجْرِ الذي يُعطَاه الصَّائِم.

* * * * *

يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

100- [يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ]البقرة:185. حيثُمَا يوجدُ العسرُ؛ فاعلمْ أنَّه ليسَ مِن دينِ اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى لا يُريدُه ولا يرضَاه لعبادِه .. وحيثما يُوجَدُ اليسرُ ـ ما لم يكُنْ إثماً ـ فاعلمْ أنَّه مِن دينِ اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى يُريدُه ويَرضاهُ لعبادِه.

* * * * *

وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ

101- [وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ]البقرة:185. اللهُ أكبرُ من أن يكونَ له نِدٌّ أو شَرِيك .. اللهُ أكبرُ على كُلِّ مَن طَغَى وتَجبَّر .. اللهُ أكبرُ؛ ثورةٌ على طُغيانِ وظُلمِ الطُّغَاةِ .. فإن تجرَّأَ عليك طَاغيةٌ ظالمٌ فاللهُ تعالى أكبرُ مِنه .. إن حمَلَتك نفسُك على ظُلمِ مَن هم دُونَك، فاللهُ أكبرُ مِنك .. وإن أخافَك شيءٌ، فاللهُ أكبرُ مِنه .. وإن داهمَك همٌّ، أو كَربٌ، فاللهُ أكبرُ مِنه .. وإن نزَلَت بك حاجَةٌ ـ مهمَا عَظُمَت وكَبُرَت ـ فاللهُ أكبرُ مِنها، وهي عليه هَيِّنَة .. لا يَصعبُ عليه شَيءٌ .. ولَا شَيءَ أكبر مِن اللهِ، واللهُ أكبرُ من كلِّ شَيءٍ .. وليكُن لِسَانُك رَطباً بالتَّكبِيرِ، وقلبُك عامِراً بالتَّكْبِير، [وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً]الإسراء:111.

* * * * *

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ

102- قوله تعالى: [هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ]البقرة:187. يُفيد مَعانٍ عدة:

مِنها: شِدَّةُ العلاقَةِ، والتداخُلِ، والتَّقارُبِ بين الزَّوجَين، فكما أن اللباسَ أقرَبُ وألصَقُ شيءٍ بصاحبِه، كذلك أحَدُ الزوجَين بالنسبةِ للآخَر.

ومِنها: حاجَةُ أحَدِهما للآخَر، فكما أن الإنسانَ يحتاجُ إلى اللباسِ، لا غِنَى له عنه، كذلك حاجَةُ أحَد الزَّوجَين للآخَر.

ومِنها: السِّتر، فكما أن اللباسَ سِترٌ يَستُرُ عورَات صَاحِبِه، كذلك الزّوجَين، فكلٌّ منهما سِترٌ للآخَر، يَستُرُ عورات صاحِبِه، لا يجوزُ لأحدِهما أن يُظهرَ ما حَقُّه السّتر من عَوراتِ الآخَر، وبخاصَّة بعد أن يُفضِي بعضُهما إلى بَعضٍ.

ومِنها: الزِّينَةُ، فكما أن اللباسَ زِينةٌ لصاحِبِه يتزيَّنُ به للرَّائين، كذلك الزَّوجَان، فكلٌّ مِنهما يَنبغي أن يتزيَّن للآخَر باللباسِ، وبكلِّ ما هو جَميلٌ، مما يُدخِلُ السُّرورَ على قلبيهمَا معَاً.

* * * * *

وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

103- [وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ]؛ بالحرَامِ، كالرِّبا، والسَّرقةِ، والغشِّ، والرَّشْوةِ، وبيعِ الخمُورِ والمخدَّراتِ، وغيرها مِن المعامَلاتِ والوسائلِ المحرَّمَةِ .. فالمالُ، هو مالُ اللهِ، وأنتَ مستأمَنٌ ومستخلَفٌ عليه، ومَسؤولٌ عنه، فيمَ اكتسبتَه، وفيمَ أنفقتَه؟ [وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ]، ولَا أن تُقدِّموا الأموالَ رَشْوة للحكامِ ـ ولو كان بصورةِ إهداءٍ! ـ ليحكمُوا لكُم ظُلماً وعدواناً فِيما لا تَستحقونَه، [لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ

بِالإِثْمِ]؛ بالحرامِ .. وهؤلاء الناس يُعتدَى على أموالهم وحقِّهم إمَّا لضعفِهم، وفَقْدِهم الإمكانيات والقُدْرَة على مواجهَةِ قوَّةِ الفَريقِ المقابلِ؛ الرَّاشي والحَاكم المرتَشِي، وإمَّا لأنَّ أخلاقَهم تأبى عليهم أن يرشُوا الحكَّامَ كما فعلَ الفريقُ المقَابِلُ لهم، وبما يَزيدُ عنهم .. لأن الحاكمَ الذي يقبلُ الرشوةَ، ويَرتضي لنفْسِه أن يُرتَشَى؛ غالباً حُكمه يُدورُ مع مَن يزيدُه في الرَّشوةِ والعطَاءِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:188. أنَّ هذه الأموال التي اقتَطعَها لكم الحكّامُ المرتَشُون مِن أموالِ الناسِ، هي حرَامٌ، وظلمٌ، وعُدوانٌ، مَا كنتم ستأخذُونَها، وتأكلونَها، لولا أنكم رشوتم الحكامَ ببعضِ المالِ، فحكموا لكم ظُلماً بما تريدُون، وبما هو ليسَ لكُم!

* * * * *

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ

104- [وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ]البقرة:190. وحَتَّى يكونَ القِتالُ قِتَالاً في سَبيلِ اللهِ، يجب أن يتحقَّقَ فيه شَرطان: أولهمَا أن يكونَ القِتالُ خالِصَاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُبْتَغَى مِنه سُمعة ولَا رِيَاء .. وأن يكونَ القِتالُ والمُقاتَلُ دُوْنَه مَشْروعاً ومَأذُوناً بهِ مِن اللهِ تعالى .. والقِتَالُ دُونَ الحقُوقِ والحرُمَاتِ أحياناً يَتعيَّنُ ويجب، ومَأذُونٌ بهِ مِن الله .. ولا يُقالُ حِينئذٍ نُقاتِلُ في سَبيلِ الحقُوقِ والحرُمَاتِ .. وإنما يُقال: نُقاتِلُ دُونَ الحقُوقِ والحرُمَاتِ؛ أي نُدَافِعُ ونَذُودُ عَنها، في سَبيلِ اللهِ .. كما جاءَ في الحديثِ:" مَن قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهو شَهِيدٌ " متفق عليه. وفي رواية:" مَن قُتِلَ دُونَ مالِه مظلومًا فله الجنَّةُ ". وفي رواية:" مَن قُتِل دُونَ أهلِه فهو شَهيدٌ، ومن قُتِلَ دُونَ دينه فهو شَهيدٌ، ومن قُتل دُونَ دَمِه فهو شهيدٌ ". فتأمَّل قولَه:" دُونَ .. دُونَ "؛ أي دِفَاعاً وذَوْدَاً .. ولم يقُلْ في سَبيلِ مالِه .. وهذا مَعنَى دَقِيقٌ له عَلاقَةٌ بالتَّوحِيدِ قَلَّ مَن يَتَنَبَّه لَه.

* * * * *

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

105- [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ]البقرة:194. ابتداءً لا يجوزُ قَصْدُ أطفالِ، ونساءِ العَدُو بحربٍ، أو قَتْلٍ، أو أَذَى .. لكن إن اعتَدَى العدُو على المدنِ والتَّجمعَاتِ السَّكَنِيَّةِ للمسلمين، فرمَاهُم بمدَافِعِه، ودبَّابَاتِه، وصواريخِه، ولم يميز بينَ أطفالِهم، ونسائِهم، وضُعفائهم، وقويِّهم .. فاستهدَف الجميع .. حِينئذٍ يجبُ على المسلمين أن يُقابِلُوا العدُوَّ بمثْلِ ما اعتدَى به عليهِم، فيستهدِفُون مُدنَه وتجمعاته السَّكَنيَّةِ، مِن قَبِيل المقَابَلَةِ والمعَامَلَةِ بالمثْلِ، ولردْعِه عن استهْدَافِ الأبرياءِ مِن أبنَاءِ المسْلمين .. ومن يُصَابُ حِينئذٍ من أطفَالِهم ونِسائِهم، يُصَابُ تبَعَاً لَا قَصْداً، ويتحمَّل وزْرَه العدُو المعتدِي.

106- [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ]البقرة:194. الآيةُ الكريمةُ تُقرِّرُ مَبدَأ المقَابَلَةِ، والمعامَلَةِ بالمثْلِ؛ مُقابلةُ عُدْوانٍ بعدوانٍ مماثِل .. إلَّا أنَّ ذلك ليسَ على إطْلاقِة؛ فهنَاك أشياءُ محرَّمَةٌ لذاتِها وعلى أيِّ وجهٍ جَاءَت، لا تجوزُ فيها المقَابَلَةُ بالمثْلِ، مِثَالُ ذلك: الزِّنَى، واللواطَةُ، والغَدرُ، والخيانَةُ، وقتْلُ الأطفَالِ، والنِّساء، ونحوَ ذلك .. فهذه أمورٌ لا تجوزُ فيها المقَابلَة؛ فإنْ فعلَها أو فعَلَ بعضَها العدُو بالمسلمين، فلا يجوزُ للمسلمين أن يَردُّوا على عُدوانِ العَدُو بعدوانٍ مماثِلٍ، كما في الحديثِ:" أدِّ الأمانَةَ إلى منِ ائتمنَكَ، ولا تخنْ مَن خانَكَ ".

* * * * *

وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

107- [وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]البقرة:195. كُلُّ ما خَالفَ أَمْرَ اللهِ، وأَمْرَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فمآلُه إلى التَّهْلُكَةِ.

108- [وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ]البقرة:195.[التَّهْلُكَةِ]؛ هي تركُ الأمر، وفعلُ المنهي عنه؛ فاللهُ تعالى أمرَ بالصلاةِ، والزكاةِ، والجهادِ، والإعدادِ، والأخذِ بأسباب القوةِ، والعدلِ، والإحسانِ، والرفقِ، والإنفاقِ في سبيلِ الله، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ .. فمن تركَ شيئاً من ذلك يَستطيعُه، فقد ألقَى بنفسِه إلى التَّهلكة.

ونهى عن الفواحشِ والمنكرات، والشُّحِّ، والظلمِ، والبغي، والغلوِّ، والتشدّدِ، والانتحارِ، وتعريضِ النفْسِ للفتن من غيرِ طائلٍ، كما نهى عن استشرافِ مواطنِ البلاءِ مِن غير فائدةٍ أو مصلحةٍ راجحة .. فمن فعلَ شيئاً من ذلك فقد ألقَى بنفْسِه إلى التَّهلكة، وحُملَت عليه الآيةُ الكريمة؛ فالآيةُ يُستدَل بها على المعنيَين معاً؛ تركُ الأمْرِ، وفعلُ المنهي عنه، فكلاهما تَهلكة، ومن التهلكة، ويؤديان إلى التّهلكة.

* * * * *

وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

109- [إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ]البقرة :195. الإِحْسَانُ؛ هو الفَضْلُ؛ وهو كُلُّ ما زَادَ عن الحَقِّ، والوَاجِبِ، والعَدْل!

110- انظُرُوا ماذا يَقُولُ الرَّبُّ سُبحَانَه وتعالى في الإِحْسَانِ والمُحْسِنين:[وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:195. [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ]آل عمران:134. [وَسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ]البقرة:58. [جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء المُحْسِنِينَ]المائدة:85. [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ]الأعراف:56. [مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ]التوبة:91. [إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ]التوبة:120. [وَبَشِّرِ المُحْسِنِينَ]الحج:37. [وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ]العنكبوت:69. أليسَ هَذا كَافٍ لِأَن نكُونَ مِن المُحْسِنِين ...؟!!

* * * * *

وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

111- [وَتَزَوَّدُواْ] ؛ زَادَ الدُّنْيَا للدُّنْيَا .. وزَادُ التَّقْوَى خَيرٌ، [فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى] البقرة:197. وخَيريَّةُ زَادِ التَّقوى تَشملُ الدُّنيا والآخِرَة.

يُوشِكُ أن تُنَادَى ... وما اتَّخَذْتَ زَادَا

112- [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197. وتَزَوَّدُوا ـ مِن زَادِ الدُّنيَا ـ لقضَاءِ حوائجِكُم، وفي أسفَارِكُم .. فهذَا لا يتَنَافَى معَ التوكُّلِ .. ولكن اعلمُوا أنَّ خيرَ وأفضَلَ مَا تَتزوَّدُون به ـ لجميعِ ما يهمُّكُم مِن أمورِ دُنيَاكُم وآخِرَتِكُم ـ زَادُ التَّقْوَى .. وفي الأثَرِ عنِ ابنِ عبَّاس رضي الله عنه قال:" كان أهلُ اليمن يحجُّون ولا يَتزوَّدُون، يقولُون: نحنُ المتوكِّلُون، فإذَا قَدِمُوا، سَألُوا النَّاسَ "!

113- [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197. مَا بعدَ الموت ـ يا عَبدَ الله ـ يَنتظرُكَ سَفَرٌ طَويلٌ، طَويل؛ له بِدَايَة، وليسَ له نِهايَة .. وإنَّه لَآتٍ لَا محَالَة .. فهَلَّا أعدَدْتَ له الزَّادَ الذي يُنَاسِبُه، والذي نتَقوَّى به على طُولِ سَفَرِك؛ ليسَ زَاد الطَّعَامِ، والشَّرَابِ .. ولَا زَاد الدِّرهَم والدِّينَار .. لَا .. وإنما زَادُ التَّقْوَى!

* * * * *

وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ

114- [فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ]البقرة:200. كثيرٌ هم الذين يجعلونَ همَّهم الأكبَر والأسَاس دُنيَاهم، ويَصرفُون أدعيتَهم لما فيه صالحِ دُنياهم، ومعَاشِهم، دونَ آخرَتِهم، وليس لهم في الآخرَةِ من نَصيبٍ .. فيُكثرون مِن الدُّعاء: اللهمَّ ارزقني .. ووسِّعْ عليَّ في الرزقِ .. اللهم وفقني في دِراسَتِي

وعمَلِي .. وتجارَتِي .. اللهمَّ أسعدنِي في دُنيَاي .. واعطِني وزِدْني .. وغيرُها من الأدْعيَةِ ذَاتِ الصِّلةِ بدُنيَاه .. جيد يا عبدَ الله .. هَلَّا جعَلتَ جزءاً مِن اهتماماتِك، وأدعيتِك لآخِرتِك، وسألتَ اللهَ العفوَ والعافيةَ، وأن يُصلحَ آخِرَتك كما يُصلح دُنياكَ .. وأن يؤتيك اللهُ في الدُّنيا حسَنةً، وفي الآخرَةِ حَسَنَة؟!

* * * * *

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

115- [وِمِنْهُم]؛ وهو الفريقُ المحمودُ مِن الناسِ، [مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً]؛ وهي الزَّوجَةُ الصَّالحةُ للزوجِ الصَّالحِ، والزوجُ الصَّالحِ للزوجةِ الصالحةِ، [وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً]؛ وهي نعيمُ الجنَّةِ، [وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]البقرة:201. جنِّبنَا عذابَ النَّارِ، وأبعدْنا عنها.

* * * * *

أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ

116- [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ]؛ أمْسِكْ عن الذَّنبِ خَوفاً من اللهِ، [أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ]؛ اشتَطَّ غَضَباً، وتمادَى في غَيِّهِ وذَنبِه .. وتَعَالى على الأمْرِ، والآمِرِ .. وعَدَّ ذلك تَدَخُّلاً في خصُوصيَّاتِه، وتَعَدِّياً على حقُوقِه الفَرديَّة، [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ]البقرة:206. فهذا تكفِيه جهنَّمُ عقُوبَةً له!

* * * * *

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ

117- [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ]؛ هم الذينَ يَبذلُون أنفُسَهم، وأعزَّ ما يملِكُون في سبيلِ اللهِ، وفي طاعةِ اللهِ .. فإذا حصَلَ الاختيَارُ بين الدُّنيا وزينَتِها وبينَ

مَرضَاةِ اللهِ، اختارُوا اللهَ، وآثَروا طاعَتَه ورِضَاه .. وعلى رأسِ هذه الشريحةِ من المؤمنين؛ الشهدَاءُ الذين يَبذلُون أنفُسَهم ـ أعزّ ما يملكُون ـ في سبيلِ الله، [ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ]؛ ما حملَهم على البذْلِ، والتضْحيَةِ مَغْنَمٌ أو غرَضٌ من أغرَاضِ الدنيَا .. وإنما الذي حملَهم على البذْلِ، والتضحيَةِ شيءٌ واحِدٌ؛ طلَبُ مَرْضَاةِ اللهِ تعالى، ولا شيءَ غيرَ مرضَاةِ الله، [وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ]البقرة:207. إذْ هدَاهُم لما يحبُّه ويَرضَاه .. ووفَّقَهم إلى ما يحبُّه ويرضَاه .. وأعانَهم على ما يحبُّه ويَرضَاه.

* * * * *

وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

118- [وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ]؛ مَن يُبَدِّل مِن إسْلامِي ـ وبَعْدَ أنْ هَدَاه اللهُ إلى الإسلامِ، وبَيَّن له الآيات العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ الإسلامِ ـ إلى قَوْمِي .. أو إلى عِلمَانِي .. أو حَدَاثِيٍّ لِيبرَالِيٍّ، [فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]البقرة:211. وكان من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم، التي عَلَّمَنا إيَّاهَا:" اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ من الْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ "مسلم. أي مِنَ النُّقْصَانِ بعدَ الزِّيَادَةِ، ومِن الضَّلالِ بعدَ الهُدَى، ومِن النُّكُوسِ والرجوع بعد التَّقدُّم والإقْدَام، أو أن أسْتَبدِلَ الذي هو أدْنَى بالذي هو خَير!

* * * * *

فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ

119- [فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ]البقرة:213. هدَاهُم اللهُ تعالى بعلمِه ومَشيئتِه إلى التَّوحيدِ عِندَ فشُو الشِّركِ .. وهَداهُم إلى السُّنَّةِ عِندَ فُشُو البِدَعِ، والأهْواءِ.

120- [فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ]البقرة:213. ليسَ كلُّ اختِلافٍ مُسْتَساغاً .. وليسَ كُلُّ اختِلافٍ مُسْتَسَاغٍ يَعني أنَّ الحقَّ فِيما اختُلِفَ فِيهِ مُتَعدِّدٌ، عَدَدَ المختلفين فِيه .. فأيُّما اختِلاف ـ عَدَا اخْتِلافِ التَّنوّعِ ـ مهمَا كانَ مُسْتَسَاغاً فالحقُّ فيهِ واحِدٌ لا يَتَعَدَّد.

المجتهدُ الذي يختَارُ الخَطَأ، والمرجُوحَ، والضَّعيفَ فِيمَا اختُلِفَ فيه .. له أجرٌ على اجتهادِهِ .. لكن لا يجوزُ تَصويبُ وتَرجيحُ اجتهادِه الخَاطِئ، والضَّعيفِ، والمرجُوح لكونِه مجتهِداً .. فضْلاً عن تَقليدِه ومُتابَعتِه فِيمَا أخْطَأَ فيهِ اجْتِهادَاً.

* * * * *

وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

121- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً]؛ في حَاضِرِكُم، مِمَّا لا تَميلُ إليه نفوسُكُم، ولا تَرغَبُه، [وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ في دِينِكم ودُنْيَاكُم، باعتِبَارِ المآلِ، وأنتم لا تَعلمُون، [وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً]؛ في حاضِرِكُم، مِمَّا تَميلُ إليه نفُوسُكُم وتَرْغَبُه، [وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ]؛ في دِينِكُم ودُنْياكُم، باعتِبَارِ المآلِ، وأنتم لا تَعْلَمُون، [وَاللّهُ يَعْلَمُ]؛ الغَيْبَ، وكُلَّ ما خَفِيَ عن الأَعْيُنِ، ويَعْلَمُ ما يَنفعُ النَّاسَ وما يَضرُّهُم، وهو وَحْدُه القَادِرُ على أنْ يَجْلِبَ لهم مَا يَنفَعهم، ويَدْفَعَ عنهم ما يَضُرهم، [وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. لاَ تَعْلَمُونَ الغَيبَ، ولا تَعْلمونَ أينَ يَكْمُنُ الخيرُ، وأينَ يَكْمنُ الشَّرُّ .. فقد تَميلُون إلى شَيءٍ، ويكونُ عليكم شَرّاً، وقد تَكرهُون شَيئاً، ويكونُ لكم خَيراً .. ومَن لا يَعْلَمُ جَديرٌ به أن يَرضَى ويُسَلِّمَ بِحِكْمَةِ وحُكْمِ وخِيْرَةِ مَن يَعْلَمُ .. ويتوكَّلُ على العَلِيمِ القَدِير.

122- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً]؛ مِن جِهَةِ الهَوَى، [وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ مِن جِهَةِ العَقْلِ، والدِّينِ، والمآلِ، [وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً]؛ مِن جِهَةِ الهَوَى، [وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ]البقرة:216. مِن جِهَةِ العَقْلِ، والدِّينِ، والمآلِ.

123- [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. كَثيرٌ مِن الأشياءِ نَنْدَمُ عليها في سَاعَتِها، ونَودّ لو أنَّها لم تَكُنْ في حيَاتِنَا .. ثم بعدَ حِينٍ مِن الزَّمَن يتبيَّنُ لنا أنها كانَت خَيراً، ونحمدُ اللهَ أن قدَّرَها لَنا، وفي المقابلِ، كَثيرٌ من الأشيَاءِ نفرَحُ بها في ساعَتِها، ونحرصُ على طَلبها وبقَائِها، ونودُّ لو أنَّها مِن نَصيبنا أبَدَا .. ثم بعدَ حِينٍ من الزّمن يتبيّنُ لنا أنَّها كانَت شَرّاً، ونحمَدُ اللهَ أن صرَفَها عَنَّا .. فَمَا خَابَ مَن رَضِيَ وسَلَّمَ بحِكْمَةِ وحُكْمِ الحكِيمِ العَلِيمِ الخَبِير.

* * * * *

وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ

124- [وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ]البقرة:217. الشِّرْكُ أكبرُ إثماً، وجرْمَاً، وظُلْمَاً، وأثَراً، مِن القَتْلِ .. وكَما أنَّك يا ابنَ آدَم لَا تَتَهاوَن في دَفعِ مَن يُريدُ قَتْلَك، فإنَّه حَريٌّ بك، وأَوْلَى بك أن تكونَ أشَدَّ احترَازاً، ودَفْعَاً لمن يَستهدِفُك في دِينِك، ويُريدُ أن يأطُرك إلى الشِّرْكِ والكُفْرِ!

* * * * *

وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ

125- الكافرُ يُكذّبُ القرآن بلسانه، ويُصدّقه بأفعالِه ومواقفِه؛ فقال تعالى عن الكافرين:[وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ]البقرة:217. وقال تعالى:[وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] البقرة:120. وقال

تعالى:[وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89. وقال تعالى:[إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. وهكذا تجد الكافرين في أفعالهم، ومواقفِهم، وواقعِهم، لا يَتَخَلّفُ لهم وصفٌ عمّا وردَ في كِتابِ اللهِ تعالى .. وهم بذلك ـ أرادُوا أم لم يُريدوا ـ يَشْهدُون أنَّ القُرآنَ حقٌّ.

126- [وَلاَ يَزَالُونَ]؛ تُفيدُ الاستمرَارَ على مَدارِ الوقتِ مِن غيرِ تَوقُّفٍ، [يُقَاتِلُونَكُمْ]؛ على جميعِ الجبهاتِ والمستَوَيات: العَسْكَرِيَّةُ، والاقتصاديَّةُ، والإعلاميَّةُ، والثَّقافيَّةُ، والأخلاقِيَّةُ .. مَا غرَضُهم مِن هذا القِتالِ، ومِن هذا الضَّغْطِ، وماذا يُريدُون؟ [حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ]؛ يَردُّوكم عن الإسلامِ إلى الكُفْرِ .. أيّاً كانَ هذا الكُفر، وكانت صِفَتُه، وكان اسمُه .. المهم أن تَتْركُوا دِينكم الإسلام، وتَخرجُوا من دائرةِ الإيمانِ إلى دائِرَةِ الكفْرِ والإلحادِ .. هذا هدَفُهم الأكبَر، والنِّهائي .. وإن جَعَلُوا بين يَدَي هذا الهدَفِ أهدَافاً صوريةً أخرَى، اقتصاديَّة، وسياسِيَّة، وغيرها ليغطُّوا على حقيقَةِ هدَفِهم الأكبر، [إِنِ اسْتَطَاعُواْ]؛ وهم لا يَتردَّدُون أن يَصرفُوا جلَّ طاقَتِهم وقُدْرَتِهم، وما يملِكُون في سَبيلِ هذه المعركةِ .. وهو ما يَستَدعِي مِن المؤمنين مَزيداً من الحذَرِ، والانتباهِ، والوَعي، والإعدَادِ لمواجهةِ هذا العُدْوَان السَّافِر والمستمِر، [وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ]؛ فيطاوعُهم إلى ما أرادُوا .. ويَرتَدَّ عن دينِه الإسلام، إلى الكُفْرِ، وهو كُلُّ دِينٍ ومِلَّةٍ غير ملَّةِ ودِينِ الإسلام، [فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ]؛ لأن الوعيدَ مُعلَّقٌ بالموافَاةِ على الكُفرِ، أمَّا مَن تابَ مِن كُفْرِه قَبل موتِه، فالتوبةُ تجبُّ ما قَبْلَها، والوعيدُ لا يطالُه، [فَأُوْلَئِكَ]؛ الذين يموتُون على الكُفْرِ والارتدَادِ عن الدينِ الحَقّ،[حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ]؛ بطُلَت حسَناتُهم التي فعلُوها قبلَ وقوعِهم في الكُفْرِ والرِّدةِ، [فِي الدُّنْيَا]؛ فلم تعُدْ تعصمُهم من القصَاصِ، والمحاسَبَةِ، والمساءلةِ، [وَالآخِرَةِ]؛ لهم عذابٌ أليمٌ، [وَأُوْلَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:217. خالدون في النَّارِ لكُفْرِهِم ومَوتِهم على الكُفْرِ، إذْ لا يُخلدُ في النَّارِ إلا مَن يموتُ على الكُفْرِ.

* * * * *

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

127- [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا]البقرة:219. عندما تُخيَّر بين أمرَين لا بدَّ لك من اختيَارِ أحدِهمَا يَتعيَّن عليك أن تَنظرَ أيُّهما يَرجحُ نفعُه على الآخَر، ويَقلُّ شَرُّهُ عن الآخَرِ .. فتختَارُه وتَلتزمُه، وإن ترتَّب عليه تفويتُ بعض النَّفع والخيرِ، فالعبرةُ بما يَرجحُ من المصَالحِ أو المفَاسِدِ .. وكذلك مَا مِن شَرٍّ إلَّا وفيه قَليلٌ من الخيرِ، فمن نشَدَ هذا القَليل مِن الخيرِ من ذلك الشَّرِّ، لا يسلمُ من شَرِّ الشَّرِّ .. والسَّلامَةُ تَقتضِي التماسَ الخيرِ مِن منَابعِه الصَّافيَةِ الخاليَةِ مِن الشَّرِّ.

* * * * *

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ

128- [وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ]البقرة:219. الميسُورُ ممَّا زَادَ عَنِ الحَاجَةِ، عن حاجَةِ المنفِقِ، ومَن يَتعيَّن عليه الإنفاقُ عليهم .. وكانَ وسَطَاً مِن غيرِ إسرافٍ مُضِرٍّ، ولا إقطَارٍ مُخِلٍّ .. كان كَثيراً أم قَليلاً!

* * * * *

وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ

129- [وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ]البقرة:220. الكُلُّ يَدَّعِي الإصْلاحَ، والكلُّ يَنفي عن نفْسِه الفَسَادَ، والإفْسَادَ .. ولمعرفَةِ المفْسد مِن المصْلح، لا بُدَّ مِن رَدِّ المفْسد والمصلح إلى ميزانِ الله .. وعَرضهمَا على كتَابِ الله تعالى، وسنَّةِ رسولِه

صلى الله عليه وسلم .. فمَن آمَنَ، واتَّقَى، وعملَ صَالحاً، فهو المصْلحُ، وخِلافُه فهو المفْسِدُ مهمَا تشَبَّعَ أنَّه مِن الصَّالحِين، والمصْلِحين، وأنَّه لَا يُرِيدُ إلَّا الإصْلاحَ والخيرَ.

130- [وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ]البقرة:220. في الظَّاهِرِ، الجميعُ يَدَّعي الإصْلاحَ، ويَتظَاهرُ بالإصْلاحِ .. والذي يميزُ المفسِدَ مِن المصْلِح، والصَّادِقَ مِن الكاذِبِ في زَعمِ الإصْلاحِ، النَّوايَا، ومَا وقرَ في القَلْبِ .. وهو مما يَلتَبِسُ على الناسِ ويخفَى عليهم .. إلَّا أنَّ اللهَ تعالى يَعْلَمُه، لَا يخفَى عليه شَيء .. فإن استطَاعَ المفسدُ أن يُضمرَ نيتَهُ الفَاسِدةِ عن الناسِ، فهل يَستطيعُ أن يُضمرَها ويخفِيَها عنِ اللهِ تَعَالى المطّلِعُ على كلِّ شَيءٍ، والعَالِمُ بكلِّ شَيءٍ، والقَادِرُ على كلِّ شَيءٍ؟!

* * * * *

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ

131- [فَإِذَا تَطَهَّرْنَ]؛ مِن أذَى المحِيضِ، [فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ]البقرة:222. في القُبُل ـ الفَرْج ـ وليسَ في الدُّبُرِ .. مِن كبائِرِ الذُّنوبِ أن يأتيَ الرجلُ زوجتَه في دُبُرِهَا، كما في الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنَّه قال:" مَلعُونٌ من أتَى امرأتَهُ في دُبُرِها "أخرجه أبو داود، وغيره. وفي صحيح سنن الترمذي، وغيره، جاءَ عمرُ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ:" يا رسولَ اللَّهِ! هلَكْتُ؟ قالَ: وما أَهْلَكَك؟ قالَ: حوَّلتُ رَحْلي اللَّيلةَ، قالَ: فلَم يرُدَّ علَيهِ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ شيئًا، قالَ: فأُنزِلَت على رسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ هذِهِ الآيةُ:[نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ]؛ أقْبِلْ وأدْبِرْ، واتَّقِ الدُّبرَ والحَيضَةَ ". وقوله:" حوَّلتُ رَحْلي "؛ كناية عن إتيانِ أهلِه في القُبُلِ مِن جهةِ الدُّبُرِ .. ومَعَ ذلك انتابَ عمرَ رضي الله عنه شُعورٌ بالهلَكَةِ، إلى أن وضَّحَ له النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن لا حرَجَ في ذلك مَا اجتُنِبَ الدُّبُر ..

وعن خزيمة بن ثابت، أنَّ رجلًا سألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن إتيانِ النساءِ في أدبارِهنَّ أو إتيانِ الرجلِ امرأتَهُ في دُبُرِهَا، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ:" في أيِّ الخُربَتَينِ، أو في أيِّ الخَرَزَتَينِ، أمن دُبرِها في قُبُلِهَا فنعم، أم مِن دُبرِها في دُبرِها فَلَا، فإنَّ اللهَ لا يستحيي من الحقِّ، لا تأتوا النساءَ في أدبارِهنَّ ". والحديث أخرجه بسند صحيح ابن ماجه، وأحمد، وأبو داود، وغيرهم. وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، جاء أعرابِيٌّ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّا نكونُ بالباديَةِ فتَخرُجُ مِن أحَدِنا الرُّوَيحَةُ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:" إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَستَحِي منَ الحقِّ إذا فعَلَ أحدُكم فلْيتَوَضَّأْ، ولا تَأتوا النساءَ في أعجازِهنَّ، وقال مرَّةً: في أدبارِهنَّ ". وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : استحيوا من الله، فإن اللهَ لا يستحي من الحقِّ، لا تَأتُوا النساءَ في حَشوشِهِن ". وفي الأثَرِ فقد صحَّ أنَّ رَجُلاً قال لابنِ عمرَ:" إنَّا نَشتَري الجواريَ فنُحَمِّضُ لَهُنَّ! قالَ: وما التَّحميضُ؟ قلت: نأتيهنَّ في أدبارِهِنَّ! قالَ أُفٍّ أوَ يَفعل ذلك مسلِمٌ؟!". وما يُروَى عنه أنه قال بالإباحة، فكذبٌ وتَدليس، قال الحسن بن عثمان لنافع: أنتَ رجلٌ أعجمي، إنما قال ابنُ عمر: مِن دُبُرها في قُبُلِها، فصَحَّفْتَ، وقُلتَ: في دُبُرِهَا، فأهْلَكْتَ النساءَ "!!. وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عمَّن يَفعل هذه الكبيرة، فقرأَ قولَه تعالى:[أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ]الأعراف:80. وسُئِل ابنُ عباس رضي الله عنه عن ذلك، فقال:" هذا يَسألُني عن الكُفْرِ "! إضافة إلى ما تَقدَّم، فإن إتيَانَ النساءِ في الدُّبُرِ، فيه مِن الأذَى والضَّرَر ما لا يخفَى على عاقِل، ولا على عاقِلَةٍ، والإسلامُ لا يُبيحُ الأذَى والضَّرَر .. كما في الحديث:" لا ضَرَرَ، ولا ضِرَار ". " مَن ضَارَّ ضَارَّ اللهُ به ". وكثيرٌ من أهلِ العِلمِ - مِنهم ابنُ تيمية وغيره - على أن الإصرَارَ

على هذهِ الكبيرَةِ؛ سواء كان هَذا الإصْرَار من طرفِ الرجلِ، أم مِن طرَفِ الزَّوجين مَعَاً هو سَببٌ شرعي للتَّفريقِ بينهما.

* * * * *

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ

132- [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ]البقرة:222. هم الذينَ تَتَكَرَّرُ مِنهم الذُّنُوبُ، وتَتَكَرَّرُ مِنهم التَّوبَةُ .. وهو مَا يُفهَم مِن صِيغةِ المبَالغَة [التَّوَّابِينَ]. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:" خِيَارُكُم كُلّ مُذْنِبٍ تَوَّاب ".

* * * * *

وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

133- [وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ]البقرة:225. مِن أسماءِ اللهِ تعالى الحُسْنَى " الحَلِيم "؛ ومِن دَلَالَاتِ ومُقتضياتِ هَذا الاسمِ العَظِيم، أنَّه تعالى لَا يَسْتَعْجِلُ عقوبَةَ المذْنبين مِن عِبَادِه .. يُمْهِلُ، ولَا يُهْمِل .. يُمْلِي ويَسْتَدْرِجُ .. يُعْطِيهم فُرصةً للتوبَةِ مَرَّاتٍ، وَمَرَّاتٍ .. ثم إذَا أخَذَ فَأَخْذُه أَلِيم .. يَأْخُذُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِر!

* * * * *

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

134- [وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ]البقرة:228. الحقُوقُ والواجباتُ مُتبادَلة؛ كما للرجلِ على زوجتِه من الحقُوقِ يجبُ أن تؤديَها إليه بالمعرُوف، كذلك للمرأةِ على زوجِها من الحقُوقِ يجبُ أن يؤديَها إليها بالمعرُوف .. أَسَاسُ مشاكلِ الحياةِ الزَّوجيَّة غَفْلةُ أحَد الطرَفَين عمَّا للطرَفِ الآخَر مِن الحقُوق .. فكلُّ طرَفٍ ـ سواء كان الزَّوج أم الزَّوجة ـ تراه يتَتَرَّس بأنانيَّةٍ مُلفتةٍ، خَلْفَ حقُوقِه، لا يتزَحْزَح عن شيءٍ

مِنها؛ يُريدُها كاملةً غير منقوصَةٍ، مِن دُونِ أن يَنظرَ ما للطرَفِ المقابلِ مِن حقُوق عليه .. فتَقَع المشاكِلُ .. ويَقعُ التفريقُ، والطَّلاقُ .. ولو التَفَتَ كلُّ طَرَفٍ مَا للطرَفِ الآخَر عليه مِن الحقِّ، لما وقَعَ شَيءٌ مِن ذلك.

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ

135- [وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ]البقرة:228. هذه الدَرجَةُ هامَّةٌ جدَّاً، وهي مِن نِعَم الله تعالى على عِبادِه؛ فهي ليسَت من أجلِ الظُّلمِ، أو الاستعلاءِ، والتَّباهي، والأذَى .. لا .. وإنما لكي يتمكَّن الرجلُ من ممارسَةِ القوَامَةِ، وأدَاءِ واجِبَات القَوامَةِ على الوجْهِ الصَّحِيح .. فالبيتُ لا بدَّ له مِن قَيِّمٍ تَعُودُ إليه رِئاسَةُ إدارَةِ ورعايَةِ شُؤونِ العَائلَةِ .. ولو استوَيَا ـ الرجلُ والمرأةُ ـ مِن كلِّ وجهٍ، فمن مِنهما سيكُون قَيّماً في البيتِ .. فالبيتُ الواحِدُ ـ كغيرِه مِن المؤسَّسَاتِ الاجتماعيَّةِ، والتربويَّةِ، والحكوميَّةِ ـ لَا يَقبلُ أكثرَ مِن قَيِّمٍ، ومُديرٍ، ورئيسٍ واحِدٍ، يُطاعُ في الحقِّ والمعرُوفِ!

* * * * *

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

136- [وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء]؛ الطَّلاقُ للرجالِ، والخُلع للنساءِ، [فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ]؛ أجَل الطلاقِ، وقارَبت عِدَةُ الطَّلاقِ على الانتهاءِ؛ وهي ثَلاثةُ قُرُوء، أو ثَلاثَةُ أشْهرٍ لمن يئِسْنَ مِن المحيضِ، [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]؛ فأعيدُوهُن إلى ذِمَّتِكم، مِن غيرِ ضَررٍ، ولا أذَى، وعلى نيةِ إصلاحِ مَا فَسَد، [أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]؛ أو فارقُوهُنَّ بإحسانٍ، مِن غَيرِ ضَررٍ، وَلَا أذَى .. فالرجلُ بين هذين الخيارَين؛ لا ثالِثَ لهمَا: إمَّا الإمسَاكُ بمعرُوفٍ، أو التَّسريحُ والفراقُ بمعرُوفٍ، [وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً]؛ ولا تُرجعوهُنَّ إلى ذمَّتكم، وإلى بيتِ الزوجيّةِ، على نيةِ الأذَى والإضْرَارِ، [لِّتَعْتَدُواْ]؛ عليهنَّ

بأنواعٍ مِن الأذَى، والضَّرَرِ، والهجْرِ، والتَّعنيفِ، حتى تضطروهُنَّ لأن يتنازَلْنَ عن حقُوقِهنَّ، وعن المهرِ، ويفدِينَ أنفسَهنَّ، ويَطلبْنَ الخلُع، [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ]البقرة:231. فقد تعرَّضَ لغضبِ اللهِ تعالى وعذابِه .. وهو بظلمِهِ لزوجتِه يُسيء لنفْسِه قبل أن يُسيءَ لها .. وظلمهُ لها يَرتَدُّ عليه وعلى عَيشِه وحياتِه في دُنيَاه .. قبلَ آخِرتِه .. ويجعلُ للمحاكِمِ الشرعيةِ سُلطاناً عليه، يأخذُون على يدَيه، ويمنعونَه ـ وأمثالَه ـ عن هذا الظُّلمِ، الذي أصبحَ ظاهرةً متفشيةً عند كثيرٍ مِن رجَالاتِ هَذا العَصْرِ، وللأسف .. وقد أُثِرَ عن بعضِ السَّلفِ، قوله:" لَا يكبرن عليك ظلمُ مَن ظَلمَك، فإنَّه يَسعَى إلى مضَرَّتِه، ويَنفَعُك "!

* * * * *

وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ

137- [وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ]البقرة:231. ذِكْرُ نِعَمِ اللهِ الكَثِيرَةِ، أدْعَى لشُكْرِهَا، ودوَامِها، وزِيَادَتِها .. وأَدْعَى للصَّبْرِ عِندَ فَقْدِ بعْضِها.

* * * * *

وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

138- [وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ]البقرة:237. لأنَّهُ يُوجَدُ ـ على مَدَارِ الأزْمَانِ ـ مَن يَنْسَى الفَضْلَ، ولأنَّ صِفَةَ نسيَانِ الفَضْلِ غَائِرَةٌ في النُّفُوسِ، جَاءَ هَذا التَّذْكِيرُ الرَّبَّانِي!

لا يُوجَدُ في القُرآنِ أو السُّنَّةِ نَهْيٌ مُجرَّدٌ، مِن دُونِ أن يُوجَدَ مُقْتَضَاهُ في الواقِعِ.

139- [وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ]البقرة:237. لَا يحملنَّكُم الحرصُ على الانتصافِ للحقُوقِ، أن تَنسوا سَنواتِ الودِّ بينَكُم ...!

* * * * *

وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ

140- [وَقُومُواْ]؛ في صلاتِكم، [لِلّهِ قَانِتِينَ]البقرة:238. خَاشِعين، ساكنِين، خاضِعين، تتدبَّرون التلاوةَ، والأدْعيةَ، والأذكَارَ، وتَستَشعرون عظمةَ الموقفِ وأنتم واقفين بينَ يدَي اللهِ سُبحانه، تناجُونَه .. فَلا تَناجُوه باللسانِ، بينمَا في قلُوبِكم تَنصرفُون عنه إلى مشَاغِل الدُّنيا وعَوَالقِها .. فاللهُ تعالى ينظرُ إلى قلوبِكم .. ويَصلُه مِن صَلاتِكم الإخلاصُ، والخشُوعُ، والتدبرُ، ومَا عقلتم مِنها .. وليس للمرءِ مِن صَلاتِه إلا ما عَقِلَ مِنها.

* * * * *

مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً

141- [مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً]البقرة:245. اللهُ خالِقُ الخلْقِ، ومَالِكُ الملْكِ، والمالُ مَالُه .. الغَني عن خَلْقِه .. والعِبادُ كُلهم مِن خَلْقِه، ومَا يملكُون مِن مُلْكِه .. وهم فُقراءُ إليه .. لَا غِنَى لهم عنه ثانيَةً واحِدَة .. ومعَ ذلك يقولُ لعبادِه ـ تَرغيباً لهم وحثًّا على النفَقَةِ في سَبيلِ اللهِ، وفي أوجُهِ الخيرِ ـ: مَن ذَا الذي يُقرِضُني .. مَن ذَا الذي يُسلِفُني .. وأنَا أردُّ له قرضَهُ أضعَافاً مُضاعَفَة .. الدِّرهمُ بعشْرَةِ دراهِم، إلى سبعمائةِ دِرْهَم، واللهُ يُضاعِفُ العطَاءَ لمن يَشاءُ .. رِبَا حَلالٌ ومُبَارَك .. فأين المرَابُون الذين يُرابُون معَ اللهِ .. وليسَ معَ عِبادِ اللهِ .. حَقًّا إنه طلَبٌ وتَرغيبٌ مِن خَالِقِ الخلْقِ، ومَالِك الملْكِ .. يَبعثُ عند التأمُّلِ والتَّدبُّرِ على الخجلِ والحياءِ من اللهِ سُبحانه؛ إذ كيفَ يَطلبُ المالِكُ، الملِكُ، الغنيُّ مِن عَبدِه الفقِير إليه أن يُقرِضَهُ، ثم يتردَّدُ العَبدُ في الإقراضِ ويمتنعُ .. وفي الحدِيث:" يقولُ اللهُ استقرَضْتُ عبدي فلم يُقرِضْني "؟!. ويُنادِي الربُّ سُبحانه وتَعَالى في الثُّلُثِ الآخِرِ من اللَّيلِ، كما في الحديثِ

القُدْسِي الصَّحِيح:" مَن يُقْرِضُ غَيرَ عَدِيمٍ، ولا ظَلُومٍ ؟!"مسلم. اللهمَّ غُفْرَانَك .. غُفْرانَك .. غُفْرَانَك!

* * * * *

وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

142- [وَاللّهُ يَقْبِضُ]؛ الرَّزْقَ عَمَّن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، ابتِلاَءً لهم؛ هَلْ يَصْبِرُون، [وَيَبْسُطُ]؛ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، ابتِلاَءً لهم؛ هَل يَشكُرُون، [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]البقرة:245. فيُجَازِي الصَّابِرِينَ على صَبرِهم، والشَّاكِرِينَ على شُكْرِهم.

* * * * *

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً

143- [رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً]؛ صُبَّ علينَا الصَّبرَ صَبّاً غزيراً؛ هو دُعاءٌ يَلُوذُ به المجاهدُون في سَبيلِ اللهِ عندَ اصطفَافِ الصُّفُوفِ لمواجَهَةِ العَدُو، وعند نزُولِ الشَّدَائِدِ، والمحَن، وهو معنَى أشمَلُ وأوسعُ مِن طلَبِ المدَدِ بالصَّبرِ، [وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا]؛ عندَ لقاءِ العدُو؛ فلَا نُدْبِرُ، ولَا نَفِر، [وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]البقرة:250. لأنَّ النصرَ كُلَّهُ مِن عندِ اللهِ؛ يُطلَبُ مِنهُ لَا مِن سِوَاه.

* * * * *

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

144- [وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]البقرة:254. مِن جهاتٍ ثَلاثٍ: مِن جهةِ ظُلْمِهِم لحقِّ اللهِ عليهم؛ فجَحَدُوا أمْرَه، وعبَدُوا غيرَه .. ومِن جهةِ ظُلمهم لأنْفُسِهم؛ فالنَّفْسُ لا تَتَأَذَّى ولا تَتضرَّر بشيءٍ كما عِندما تحملها على الكُفرِ والشِّركِ .. ومن جهةِ

ظُلْمِهم لغيرِهم؛ فالكافِرُ لا يَرضَى، ولا تَهدأ نفْسُه حتى يحملَ غيرَهُ على ما هو عليه من الكُفْرِ والشِّركِ، ويتَّبعُوا مِلَّتَه!

* * * * *

لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

145- [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256. لا إكْرَاهَ الكافِرِ على الإيمانِ، ولا إكرَاهَ المسلم على اخْتِيَارٍ فِقْهِي يحتَمِلُ الخَطَأ والصَّواب، يَحتَمِلُ أن يكونَ رَاجِحَاً أو مَرجُوحَاً، أو أن يكونَ من قَبِيلِ خِلافِ التنوُّع؛ يجوزُ ويجوزُ غيره.

146- [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256. يُرادُ به معنيان: لا إكراه لغيرِ المسلمِ على أن يكون مسلماً. والثاني: خاصٌّ بالمسلمين؛ فلا يُكرَه مسلمٌ على اختيارٍ فقهي محدّد من جملة الخيارات المسْتَسَاغة والمعتبرَة.

فإن قيل: لماذا ...؟

أقول: لأنّ مِن مُقتضيات أسماءِ الله الحسنى، وصفاتِه العُليا أن لا يقبَل من العبادة إلا ما كان على وجهِ المحبّةِ، والرّضا، والاقتناع، وأيما عِبادة لا تَصدرُ عن محبّةٍ ورضا، واقتناع لا يريدُها اللهُ تعالى، ولا يقبَلُها .. فاللهُ تعالى يُحِبُّ ويُريدُ مِن عِبادِه أن يَعْبدُوه اخْتِيَارَاً، لا كَرْهاً .. ويُقال أيضاً: لأنّ الإكراهَ يولّدُ النّفاق، واللهُ تعالى لا يُحبُّ المنافقِين، ولا عِبادَةَ المنافقِين.

* * * * *

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

147- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ مُقَدَّمٌ على الإيمانِ باللهِ؛ لأنَّه لو وافَقَ الإيمانُ باللهِ إيماناً

بالطَّاغُوتِ، لا يَنفَعُ صَاحِبَهُ شَيئاً .. لا يجتمع إيمان بالله وإيمان بالطاغوت أبداً؛ لذا كان لزاماً إخراجُ الإيمان بالطاغوت من القلب أولاً؛ ليحل محله الإيمان بالله .. فَمَن فعَل ذلك يكونُ حَقَّاً وحَصْراً قد استمسَكَ بالعُروةِ الوثْقَى، التي لا انفصامَ لها، والتي هي شَهادَة التَّوحيدِ أن " لا إله إلا الله ".

148- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ]؛ بالاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ، [وَيُؤْمِن بِاللهِ]؛ بالاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ، [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. بلا إله إلَّا الله .. وقُدِّم الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ على الإيمانِ بالله؛ لأنَّ الإيمانَ لا يجتمعُ ولا يَصَحُّ مَعَ الكُفْرِ، ولا يُقبَلُ قَبْلَ أن يَتَقَدَّمَهُ الكُفْرُ والبرَاءُ مِن الطَّاغُوت، ومِن عِبادَتِه.

149- [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ]؛ التَّخْلِيَةُ عنِ الشِّرْكِ، قَبْلَ التَّحْلِيَةِ بالإيمَانِ .. ومَن أتَى بالتَّخْلِيَةِ قبلَ التَّحْلِيَةِ، [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]البقرة:256. فقَد استمسَكَ بشَهادَةِ التَّوحِيد " لا إله إلا الله ". وفي الحديث، قال رجلٌ يا رسولَ الله: وما آياتُ الإسْلامِ؟ قالَ:" أن تقولَ أسلَمتُ وجهي إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وتخلَّيتُ .."؛ أي وتَبرَّأتُ مِن الشِّرْكِ والمشْرِكين، ومِن كُلِّ عَادَةٍ جاهِليَّةٍ تخَالِفُ تَعَاليمَ الإسْلَامِ.

* * * * *

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

150- البَاطِلُ ظُلُمات متعَدِّدة، لتَعدّدِ الآلهة المزعومةِ والأهواءِ والمشَارِب، والمسَالِك، بعضُها يَعلُو بَعض، وبعضُها أغلَظُ من بَعضٍ: ظُلْمَةُ الكفرِ والشِّركِ، وظُلمةُ الإلحَادِ، وظُلمةُ الظُّلْمِ، وظُلمةُ الجَّهلِ، وظُلمةُ البِدَعِ والأهواءِ، وظُلمةُ الشّكِّ والضَّياعِ، وظُلمةُ الفُسُوقِ والعِصْيان، لِذا جاء التعبيرُ عنها في القرآنِ الكريم بصيغةِ الجَّمعِ [الظُّلُمَات] ، بينما نورُ الحقِّ واحدٌ لا يَتعدَّد؛ فمنهجُه واحدٌ، وصِراطُه واحدٌ، وهو صادرٌ عن واحدٍ

أحَدٍ، عن عَليمٍ قَدير، لا يَقبلُ الشَّريك في مُلْكِه، ولا في حُكْمِه، وشَرْعِه، ولا في شيءٍ من خَصَائِصِه، لذا جاءَ التعبيرُ عنه في القُرآنِ الكريم بصيغةِ المفرَد [النُّور] ، وهو يستهدفُ بنورِه جميعَ الظُّلماتِ، كما قال تعالى:[اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ]البقرة:257. [رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ] الطلاق:11. [أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ]الرعد:16.

151- [اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلمات الشِّركِ، والمعَاصِي [إِلَى النُّورِ]؛ نُور الإيمانِ والتَّوحيدِ، والطَّاعَةِ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ] ؛ نور الإيمانِ والطَّاعَة [إِلَى الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلمات الشِّركِ والعصْيَان، [أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:157.

والذين يُخرِجُونَهُم مِن نُورِ الإيمانِ إلى ظُلماتِ الشِّرْكِ، أربعةُ أصنَاف:

1- فريقٌ يُولدُون على الفِطْرةِ والملَّةِ والتَّوحِيدِ، فيحملُونَهم على الشِّركِ والتَّنْدِيد.

2- وفريقٌ قد آمَنَ وتابَع، ثم يَفتنونَهُم عن دِينِهم بعدَ إيمانِهم، ويُغرُونَهُم بالارتِدادِ عن الإيمانِ والتَّوحيد، والدخول في ظُلماتِ الكُفرِ والشِّركِ.

3- وفريقٌ مِن أهلِ الكِتَابِ قد آمَنَ بالنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم قبل بعثتِه، وتعاهَدُوا على مُتابَعتِه، ونُصرتِه، فلما بُعِثَ حملهم الطواغِيتُ على الكُفرِ به.

4- وفريقٌ كلما اقتربَ من الإيمانِ والحَقِّ، أو حَاوَلَ، يَصدونَهم عن الإيمانِ، بالتَّرغيبِ تَارةً، وبالتَّرهيبِ والإغْوَاءِ تَارَةً أُخْرَى .. فيَكُونُ صَدُّهم وإبعادُهُم عن الإيمانِ بمثَابَةِ إخْراجِهم مِن نُورِ الإيمان!

152- [اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]؛ مِنَ الشِّرْكِ إلى التَّوحِيدِ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ]البقرة:257. مِنَ التَّوحِيدِ إلى الشِّرْكِ.

* * * * *

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى

153- [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]البقرة:260. لَمْ يكُنْ سؤالُ إبراهيم عليه السلام رَبَّه كيف يُحيي الموتى عن شَكٍّ أو جهلٍ بقدرتِه ـ حاشاه! ـ بل كان مؤمناً عالماً بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير .. وإنما سألَه هذا السؤال لينتقِلَ ويَرقَى مِن علمِ اليَقين إلى عينِ اليقِين، فيزداد يَقيناً .. فليسَ الخبرُ كالمعاينةِ .. قال الطبري في التفسير:" قال بعضُهم ـ أي بعضُ أهلِ العِلم ـ: كانت مسألته ذلك ربَّه، أنه رَأى دابَّةً قد تقَسَّمَتْها السباعُ والطيرُ، فسألَ ربَّه أن يُريَه كيفيَّة إحيائِه إيَّاهَا مع تفرّقِ لحومِها في بطونِ طَيرِ الهواءِ، وسِباعِ الأرضِ ليرَى ذلك عيَاناً، فيزدَاد يَقيناً برؤيته ذلك عيَاناً إلى علمِه به خَبراً، فأراهُ اللهُ ذلك مَثلاً بما أخبرَ أنه أمرَه به ... مسألةُ إبراهيم ربّه أن يريَه كيفَ يُحيي الموتَى، كانت ليرَى عيَاناً ما كان عندَه من علمِ ذلك خَبراً ". وقوله:[وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]؛ عن سعيد بن حبير، قال: ليزْدَادَ يَقِيني. ومثله عن الضَّحَّاك، وقَتَادة، والرَّبيع .. قال قتَادَة: أرادَ نبيُّ الله إبراهيم ليزدَادَ يَقيناً إلى يَقِينه.

* * * * *

مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ

154- [مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ]؛ في طاعةِ اللهِ ومرضاتِه، فكلُّ نفقةٍ تُبذَلُ في طاعةِ اللهِ، يُبتغَى بها وجهُ اللهِ؛ فهي في سَبيلِ اللهِ .. وهذا مثَله مِن حيث الأجْرِ،[كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ]؛ فيُعطى على الحسنَةِ الواحِدَةِ سبعمائة حسَنَةٍ .. إنَّه ترغيبٌ وتشويقٌ لمن يمسكُ يدَه عن النَّفقةِ في سبيلِ اللهِ أن يُرخِي يدَه قَليلاً، ليتمتعَ بهذا الخيرِ المضاعَفِ، والذي سيلقَاهُ أمَامَه .. إنها تجارَةٌ رابحةٌ مضمونَةُ الرِّبحِ، لا خسَارَةَ فِيها، فعلامَ الإمسَاك، والتَّردُّد، والتَّجبُّن؟! [وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ]؛ هذه المضاعَفَة هي ما بعدَ وفوقَ سبعمائةِ ضِعف .. كم هي، وكم تَزيد؟ تُرِكَت مُبهمةً ـ غَير محدَّدة ـ لكرمِ وجُودِ الخالقِ سُبحانه، لا يَعلمُ عدَدَها وحجمَها وثِقلَها في الميزانِ إلا اللهِ، [وَاللّهُ وَاسِعٌ]؛ غِناهُ، وعطَاؤه، مهْمَا أنفَقَ على عِبادِه، وخَلْقِه لا ينقصُ مِن مُلكِهِ شَيء، [عَلِيمٌ]البقرة:261. مَن يستحقُّ المضاعَفَة، ومَن يستحقُّ المضاعَفَة على المضاعَفَةِ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى

155- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]البقرة:264. المراد بالصَّدقات؛ كل معروفٍ يُبذَل، بما في ذلك تعليمُ الناسِ الخيرَ .. وبذلُ السّلامِ .. وإطعامُ الطعام .. وصِلةُ الأرحام .. وإغاثةُ اللهفان .. والسّعي في تفريجِ كربة المكروب .. ونصرةُ المظلوم .. وإماطةُ الأذى عن الطريق .. فهذه وغيرها من الطاعات التي تدخل في معنى المعروف، تَبطل بالمنِّ والأذى، حتى لو تحقَّق فيها شَرطُ الإخلاص!

156- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى]البقرة:264. هذا النَّهي كما يَشملُ الأفرادَ، يَشْملُ الجماعات والدُّولَ التي لها مواقف إنسانيَّة تجاه قضَايا شُعوبٍ مُجاورَةٍ مُضطهدَةٍ، ومَظْلُومَةٍ .. فلا يَنبغي لها، ولا يجوزُ أن تُبطِلَ مَعروفَها، ومواقفَها الإنسانيَّة مع هذه الشُّعوبِ المستضعَفَةِ والمظلومَةِ بالمنِّ، والأذَى، والضَّرَرِ .. أو أن تَسْتَغِلَّ مَعروفَها هذا فِيما فيه أذَى وضَرَرٌ لتلكَ الشُّعُوب المستضْعَفَةِ .. فتُبْطِلُ مَعروفَها، وتُبْطِلُ الأجْرَ عليه من الله!

* * * * *

وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ

157- [وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ]؛ لا تَعمدُوا إلى أردَإِ أموالِكم، وإلى الحرامِ مِنها؛ فتنفقُونها في سبيلِ اللهِ .. كزكاةٍ أو صَدَقَةٍ .. فترَى أحدَهم إذا أرادَ أن يتصدَّقَ ثَمَراً أو تَمْراً؛ قَصَدَ إلى أرْدَإِ وأرخصِ الأنواعِ، فتَصَدَّقَ بها .. وعند صدَقةِ الفِطْرِ تراهم يبحثُون عن أردَإِ وأرخَصِ أنواعِ التَّمُور .. وبعضُهم يتصَدَّقُ ويخرجُ زكاةَ مالِه مِن الفوائدِ الربويَّةِ التي يجنيها من البنُوك، أو مِن الأموالِ المنهوبةِ، والمسرُوقَةِ .. ومِن الصُّورِ المخجلَةِ في بذْلِ الصَّدَقاتِ؛ حيثُ ترَى أحدَهم في جيبِه من الأوراقِ الماليَّةِ فئةِ العَشَراتِ، والخمسيناتِ، والمئاتِ .. ثمَّ تراهُ يَعمدُ إلى ما معه مِن " فَكَّة " قرُوش حمراء .. وأنصافِ القُرُوشِ .. فينتقيها ليتَصَدَّقَ بها، وليُرِيحَ جيبَه مِن ثقْلِها .. وهَذا النَّوعِ مِن الصَّدَقاتِ مَردُودَةٌ على صاحبِها، لا يقبلُها اللهُ .. ما هكذا يكونُ شُكرُ اللهِ على نِعَمِه .. فاللهُ طيِّبٌ لا يَقبلُ إلا طيباً، وكان مِن كَسْبٍ حَلالٍ .. [وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ]؛ هذا المالُ الرَّديء، لو عُرِضَ عليكم لمَا أخذتمُوه، ولما قَبلتُم به، ولاستقللتمُوه، [إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ]؛ فلَا تَقْبلُونَه لأنفسِكُم إلَّا بعد أن تُنقِصُوا مِن قِيمتِه، ويَرخُصَ لكم في ثمنِه .. وإذَا كنتُم

أنتم لا تَقبلونَه لأنفسِكم، فكيفَ تقبلونَهُ للهِ؟! [وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ]البقرة:267. واعلموا أنَّ اللهَ تعالى غنيٌّ عنكم وعن صَدَقَاتِكم، وعن الخَلْقِ أجمعين .. لا يصِلُه مِن صدَقاتِكم شيءٌ .. إنما يصلُه منكم التَّقْوَى، والطاعَةُ، والإخلاصُ .. وما أوجبَه عليكم من زكاةٍ وصَدَقاتٍ، فنفْعُه مَردُودٌ عليكم؛ فهو طهورٌ، ومثوبَةٌ، واختبارٌ، للأغنياءِ مِنكم .. ورحمةٌ للفقراء!

* * * * *

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

158- [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ]؛ إذا همَّ الإنسانُ بالصَّدَقةِ، وبذلِ الفضلِ مِن مالِه، تَصدَّى له الشيطانُ موسوسَاً؛ يخوفُه الفَقرَ إن فعلَ، ويُزينُ له الإمسَاكَ، وعدمَ النَّفقةِ في سبيلِ الله، ويقولُ له نفسك أولَى، وأولادك أولى، وبيتك أولى .. إلى أن يُقعدَه عن الإنفَاقِ والتصَدُّقِ، وهو بذلك يتسبَّبُ له بالفَقرِ؛ فالإمساكُ يَعقبُه التَّلفُ في الرزقِ، [وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء]؛ بمعصيةِ اللهِ، ورسولِه صلى الله عليه وسلم، [وَاللّهُ يَعِدُكُم]؛ إن أطعتم اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم، وتَصدَّقتم، وبذلتم الفضْلَ من مالِكم في أوْجهِ الخيرِ، [مَّغْفِرَةً مِّنْهُ]؛ لذنوبِكم ومعاصِيكم، وسترها عليكم في الدنيا والآخِرة، [وَفَضْلاً]؛ ويزيدُكم من فضلِه ورزقِه، ويعطيكم أضعافَ ما تُنفقُون في سبيلِ الله، فما نقصَ مالٌ من صَدقةٍ، [وَاللّهُ وَاسِعٌ]؛ واسعُ الفضلِ، والرزقِ، والمغفرةِ، والرحمةِ .. خزائنُ رحمتِه وفضلِه مَلأى تسعُ الجميعَ، لا ينقصُ منها شيء، [عَلِيمٌ]البقرة:268. بكم وبصنائعِكم؛ بالمُمْسِكِ والمنفِقِ سواء .. فيُجازِي كلَّ واحدٍ ما كانَ مِنه من عملٍ يومَ القيامَةِ.

159- يخطّطُون لوأد النَّاسِ، والتَّقْلِيلِ مِن عَددِ سُكَّانِ الأرْض، خَشْيَةَ الفَقْرِ، وخَشْيَةَ نَفَادِ خزائِنِ الأرضِ .. والله تعالى يقول:[وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً]الإسراء:31.

يخطّطُون للتَّقْلِيلِ مِن عَدَدِ سُكَّانِ الأرْضِ، خَشْيَةَ الفَقْرِ، وخَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وكأنَّ خَزَائنَ الأرضِ والسَّماءِ بأيديهم .. صدق الله العظيم:[قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً]الإسراء:100.

صَدَّقُوا وعْدَ الشيطان لهم:[الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ]. وكذَّبُوا وعْدَ اللهِ لهم:[وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً]البقرة:268. [وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]الذاريات:22.

* * * * *

وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً

160- [يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]البقرة:269. الحِكْمَةُ هي التي تَضَعُ الأشْياءَ في مواضِعِهَا، غير مُسْتَبَقَةٍ لِزَمَانِها، ولَا لِمَكانِها .. وهي تُستَفادُ مِن النَّقْلِ الصَّحِيح، والعَقْلِ السَّلِيمِ، وفِقهِ الوَاقِع .. ومَن يُؤتَ الحِكمةَ بهذا المعنَى، وهذا البُعد، [فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً].

161- [يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً]البقرة:269. هذه الآيةُ الكريمةُ خاصَّةٌ بالمؤمنين المسلمين، الذين يَستمِدُّون حكمتَهم مِن فِقهِهم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، دُون غَيرِهم مِن الكافِرين المشركين .. فأيُّ حكمةٍ، وأي خَيرٍ كثير يُرجى معَ مَن يُقيم على الكُفرِ والشِّركِ .. ومعَ مَن يَصفهم القُرآن الكريم بأنَّهم صُمٌّ بكمٌ، لَا يَعقلُون، ولَا يَسمعُون، ولا يُبصرُون، ولا يَفقَهون .. فإن قِيل: هل للكافِرِ المشركِ أن يقولَ حكمةً؟ أقول: نَعَم، يمكن للكافِرِ المشركِ أن يقولَ

حكمةً، وتُنسَب الحكمةُ إليه .. لكن لا يُقال عنه حَكِيم مُطلَقاً مِن غير إضافةٍ تُعرِّفُ به؛ فالحكيمُ مَن تَقودُه حكمتُه إلى الإيمانِ والإسلامِ، والفِقهِ عن اللهِ، وعن رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وإن كان ولَا بُد يُنسَب إلى قومِه الكافِرين المشرِكين، وتُضافُ حكمتُه إليهم، فيُقال: حُكماءُ الصِّين .. وحكماءُ اليونان .. وحُكماءُ الرومان .. والفُرس .. ونحو ذلك؛ فيكون حَكِيماً قيَاساً لقومِه الكافِرين، وليس حَكيمَاً مطلقاً .. فهذا النَّوعُ مِن الاطلاقِ، قد أطلقَه بعضُ أهلِ العِلم، وأرجو أن لا يَكونَ فيه حرَج.

* * * * *

إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

162- [إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ]؛ وكان إظهَارُها لا بُدَّ مِنه، ولا سَبيلَ لتَفَادِيه، [فَنِعِمَّا هِيَ]؛ فحَسَنٌ هيَ، وصَدَقةٌ مَشْكُورَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ، [وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ]؛ عِندَ اللهِ .. فإخفَاءُ الصَّدَقَةِ خَيرٌ مِن إظهَارِها، والإعْلانِ عنْهَا؛ لسَببَين: لأَنَّها أدْعَى للإخْلاصِ، وأدْفَعُ لمظنَّةِ الرِّياءِ .. ولأَنَّها أقَلُّ حرَجاً للفقَراءِ المتصَدَّقِ عليهم، وأدْفَعُ لمظنَّةِ الأذَى، [وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ]؛ بسَبَبِ صَدقَاتِكم، وبخاصَّة مِنها صدَقَةُ السِّر؛ فالصَّدقَاتُ تُحِطُّ وتُذْهِبُ مِن السَّيئاتِ مَا شَاءَ اللهُ، [وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]البقرة:271. سواءٌ أظهَرْتُم الصَّدقَاتِ وأعلنْتُم عَنْها أو أخفَيتُمُوهَا، فاللهُ تعالى يَعْلَمُهَا، ويَعلمُ المخلِصَ مِنكُم مِن المرَائِي.

* * * * *

يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا

163- [يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا]البقرة:276. مَهْمَا انْتَفَشَ الرِّبَا وتَضَخَّمَ، وتَزَيَّنَ .. فنهايتهُ إلى مَحْقٍ، وقِلٍّ، وزَوَالٍ، وخُسْرَانٍ .. زِينةُ الرِّبَا وفِتنَتُه وحَلاوتُه آنِيَّةٌ، ولحْظِيَّةٌ ..

لَكِن مآلاته مُخيفَةٌ؛ إلى زَوالٍ، وخُسْرانٍ، ودَمَارٍ .. هذا في الدُّنيا .. غير الوعيدِ الشَّديدِ الذي يَنتظِرُ صاحِبَه يومَ القِيامَةِ .. ولكي يَتَّضِحَ المعنى أكثر، نأخُذُ مِثالاً من واقِعنا المعَاصِر .. تَأمَّلُوا جائحةَ " كُورُونَا " ومَا نَتَجَ عَنْها، وهذه جائحةٌ بطلتُها جرثُومَةٌ ضَئيلةٌ لا تُرَى بالعَينِ المجَرَّدةِ .. كم استهْلَكَت مِن الأُمَمِ والدُّولِ التي تَرعَى الرِّبَا .. لو قُلنَا مِئاتِ المليَارَات من الدُّولاراتِ؛ فهي أكثر .. ثم أَعْقَبَها حَربُ " أوكرانيا "، بينَ الأُمَم والدُّولِ الربويَّةِ .. التي استهلَكَت مِئات المليَارَات من الدُّولارات، ولا تَزال .. ثم الجَّفافُ القَاتِلُ الذي ضربَ الأُممَ والدولَ الربويَّةَ، والخسَارات النَّاجِمَة عنه، وتُقَدَّر بمئاتِ المليَارَات مِن الدُّولارَات .. هذا غير الخَسَارَات النَّاجمةِ عن الإعصَارَات، والفيَضَانَاتِ التي تحصَل هنا وهُنَاك .. وتُقَدَّر بمئَاتِ المليارَات مِن الدُّولارَات .. هذا كُله، وغيرُه تُرجُمانٌ عمليٌّ وواقعِي لقولِه تعالى:[يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا]، لو كانوا يَعلَمُون ..!

* * * * *

وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ

164- [وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة: 276. في الدُّنْيَا يُنْمُو المَالُ ويَزِيدُ، وتَدُبُّ فِيه البرَكَةُ .. وفي الآخِرَةِ يَتَضَاعَفُ الأجْرُ والعَطَاءُ .. فَمَا كَانَت الصَّدَقَاتُ سَبَباً لنُقْصَانِ المَالِ قَط .. مَثَلُ الصَّدَقَاتِ كالنَّبْعِ؛ كُلَّمَا نَضَحَ، زَادَ مَاؤُه وعَطَاؤُه، كذلك الصَّدَقَةُ في المالِ؛ فإنَّها تزيدهُ ولا تُنْقِصُه.

165- [يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا]؛ وهو الرِّبَا الحرَامُ الذي يكونُ بينَ العِبادِ بَعضُهم معَ بَعضٍ، [وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة:276. وهو الرِّبَا الحَلالُ المُبَارَكُ الذي يَكونُ بينَ الربِّ وبينَ عِبَادِه الذين يتَصَدَّقُون .. فيَردُّ الربُّ سُبحَانَه لهم العَطَاءَ والصَّدَقَات أضعَافاً مُضَاعَفَةً.

* * * * *

فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ

166- [فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ]البقرة:279. الحربُ مِن اللهِ قد تكونُ بأسبابٍ كونيَّةٍ، وقَد تكونُ على يدِ عبادِه المؤمنين، وقَد تكونُ بتَسليطِ الظَّالمين على الظَّالمين .. وضَربِ الظَّالمين بالظَّالمين.

فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ

167- [فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ]البقرة:279. العُمَلاتُ الورَقِيَّة المتداوَلَة بينَ الناسِ ليسَ لها قِيمَةٌ ذاتِيَّةٌ، قيمَتُها تُقَدَّر برَصِيدِها، وقِيمَتِها الشِّرائِيَّةِ، وبما له قِيمةٌ ذَاتيَّةٌ ثابتَةٌ، كالذَّهَبِ، والمعَادِنِ، وغَيرِها مِن السِّلَعِ ممَّا يَدخلُ في مَعنَى المالِ .. وهي معَ الزَّمَن يَقعُ التضَخُّمُ، وتَضعفُ قِيمةُ العُمَلاتِ الورَقِيَّةِ الشِّرائِيَّةِ .. والظُّلمُ غَالِبَاً يَقَعُ عندما يتمُّ الاقتراضُ بهذه العُمُلاتِ الورَقِيَّةِ، وبخاصَّة العُمَلاتِ الورَقِيَّةِ التي تَشهدُ تَضَخُّمَاً سَرِيعَاً، وتَذبذُباً كبيراً في قِيمَتِها الشِّرائِيَّةِ .. فعَلَى سَبيلِ المثَالِ الذي يَقترِضُ مَائةَ دينَارٍ التي تُسَاوي مائةَ غِرَام من الذهبِ لحظَةَ الاقتِرَاضِ إلى أجَلٍ وقَدْرُه عشْر سنَوَات .. ثمَّ بعد عَشرِ سَنواتٍ تَضعفُ قِيمَتُها الشِّرائِيَّة، وتُصبحُ المائةُ دِينار تَشتَرِي عشْرَ غرَاماتٍ مِن الذَّهَبِ فقَط .. في هذه الحالَةِ يجبُ على الدَّائنِ أن يردَّ إلى المدِينِ المبلَغَ الذي يَشتري مائةَ غِرامٍ من الذَّهَبِ، قيمَتُه ساعَةَ الاقتِرَاضِ، وهو المرَاد مِن قولِه تَعَالى:[لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ]؛ أي لكم أصُولُ أموالِكُم مِن غَيرِ زيادَةٍ ولا نُقصَانٍ؛ فَلا الدَّائنُ يَظلمُ المدِينَ، ولا المدِينُ يَظلمُ الدَّائنَ.

* * * * *

وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ

168- [وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ]البقرة:281. مِن النَّاسِ مَن يملأ حياتَه بالصَّخَبِ، واللَّهوِ، واللَّعبِ .. ساهِياً عن حقيقةٍ تنتظرُه، وتتربَّصُ به، ولا تُخطِئه؛ وهو أنه سَيرجعُ إلى اللهِ، إلى خالقِه، ومالِكِه؛ ليَجازيه ويُحاسِبه على ما كان مِنه من عمَلٍ في دُنياه؛ فالدُّنيَا دَارُ عمَلٍ، واختِبَارٍ، والآخِرةُ دَارُ حِسابٍ وجزَاءٍ .. وهذَا يَومٌ شَدِيدٌ، جَديرٌ بالعَاقِلِ أن يحذَرَه، ويحذَرَ أهوَالَه؛ فيتجَهَّز له بفِعلِ الطَّاعَاتِ، واجتِنَابِ المعَاصِي، والموبِقَات .. ومِن عَدْلِ اللهِ تعالى، وسِعَةِ رحمتِه أنه تعالى لَا يَظلِمُ عبادَه عملاً عملُوه مَهمَا كان صَغيراً؛ فتُكتَب السيئةُ سَيئة مِثلُها، والحسَنَةُ عَشرُ أمثَالِها، واللهُ تعالى يُضاعِفُ الأجرَ أضعافاً مُضَاعفَةً لمن يَشاء .. فالعِبادُ يومَ القِيامَةِ إمَّا أن يُؤخَذُوا بعدلِ اللهِ مِن غَيرِ ظُلمٍ، وإما أن يُؤخَذُوا بعَفْوِهِ وإحسَانِه .. نَسألُ الله تعالى أن يأخذَنَا ويُعاملنا بعفوِهِ وإحسَانِه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

169- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ]البقرة:282. أكبرُ آيةٍ في القُرآنِ الكريم آيَةُ الدَّيْن هذه .. يُبين اللهُ فِيها ما يجبُ على طرَفَي الدَّين فِعْلُه مِن تَوثيقٍ للدَّين، ومِن ثَمَّ الاشْهاد عليه، وإن قَلَّ .. لاحتمالِ موتِ طرَفَي الدَّيْن، أو أحدِهما .. وحِفْظاً للحقُوقِ مِن الضياعِ .. ودَفْعاً للتنازُعِ والاختلافِ بين طرَفَي الدَّين: الدَّائِنُ، والمَدِين .. ولَا ينبغي أن يُؤخَذَ أحَدُ طرَفَي الدَّين بالحياءِ، تحتَ عنوان الثِّقَةِ موجُودة .. ويكونُ ذلك سَبباً مانِعاً مِن التوثيق .. فالثِّقَةُ بين طرَفَي الدَّيْن مَهمَا كانت عاليةً، لَا تُسْقِط واجِبَ تَوثيقِ الدَّيْن .. للأسبابِ الآنِفَةِ الذِّكْر أعلاه، ولأنَّه واجبٌ شَرعيٌّ، وفي الحديثِ فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه

قال:" ثَلاثةٌ يَدعونَ اللهَ عزَّ وجلَّ فلَا يُستجابُ لهُمْ ـ منهم ـ : ورجلٌ كان لهُ على رجُلٍ مالٌ فَلَمْ يُشهِدْ عليْهِ ".

* * * * *

وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ

170- [وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. على قَدْرِ التَّقوى يكونُ العِلمُ، وعلى قَدْرِ العلمِ يكونُ التَّقوى، فإن زِيدَ في أحدِهما زِيدَ في الآخَرِ، وإن حصلَ النُّقْصانُ في أحَدِهما، حصَل النَّقْصُ في الآخَرِ، فكُلٌّ منهما لازمٌ ومَلْزُومٌ للآخَرِ.

171- [وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. من لوازم التقوى ومقتضاه، تعليم اللهُ لك .. فعلى قدر التقوى، يكون التعليم، وعلى قدر التعليم، والعلم يكون التقوى .. فكل منهما يقتضي الآخر، ولازم وملزوم له، ولما كان التقوى درجات كان العلم درجات، ومن حقق درجات عالية في التقوى، مَنّ الله تعالى عليه بدرجات عالية في العلم تتناسب مع درجات التقوى .. ولما كان التقوى ليس له سقفاً ينتهي إليه اجتهاد المرء، كذلك العِلم ليس له سقفاً ينتهي إليه اجتهاده؛ فهو يقبل الزيادة أبَدَاً، [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114. [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]يوسف:76. وكما أن التقوى يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص ويضعف بالمعاصي .. كذلك العلم يزيد وينقص، تبعاً لزيادة التَّقوى ونقصانه.

ولو بلغ المرء درجة عالية من العلم، وأصبح من العلماء الكبار .. ثم لم يتق الله في علمه .. ولم يصدق علمه بالعمل، ولم ينتبه لخواتيم عمله .. انتقص علمه .. وربما ينسلخ من علمه كلياً بحسب درجة ونوعية معاصيه المنافية للتقوى، كما حصلَ مع العالِم بلعام، كان من كبارِ علماءِ بني إسرائيل؛ فقد آتاهُ اللهُ الآياتِ، ومن العِلمِ الكثير .. وكان دعاؤه

مستجاباً .. فأحدث حدثاً يناقض التقوى كلياً فانسلخ من آيات الله، وما مَنَّ الله عليه من العِلم والكرامات، وأنزل الله فيه قوله:[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:175-176.

وكان كثير من السَّلف من يرد نسيانه لما يحفظ من العلم، ومن كتاب الله، إلى معاص كان قد اقترفها من قبل، فوجد غِبَّها وأثرها على حفظه وعِلمه فيما بعد .. ورحم الله الشَّافِعي إذ يقول:

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي ... فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي

وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ ... وَنورُ اللهِ لا يُهدى لِعاصي

* * * * *

وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ

172- [وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ]البقرة:283. الشَّهادةُ التي لا يجوزُ كتمَانُها، نوعَان: خَاصَّةٌ، كالشَّهادَةِ على حالاتٍ شخصيَّةٍ، تَتعلَّقُ بحقوقِ الأفرَادِ، كالدِّيونِ ونحوها .. وعَامَّة، تتعلَّقُ بحقُوقِ الدِّين، والأُمَّةِ، والمجتمع المسلم، كالشَّهادَةِ على طاغيةٍ مُتسلِّطٍ بالقَهرِ والجبرُوت بأنه طاغيةٌ .. وعلى الطاغوتِ بأنَّه طاغُوتٌ، وظالم .. وبيانُ ذلك للنَّاسِ .. فبيانُ هذا النوع من الشَّهادَاتِ أوكَدُ وأهَم من النوعِ الأوَّل، وكتمَانُها أخطَرُ، وأشَدُّ إثماً!

* * * * *

لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا

173- قوله تعالى: [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. يُحمَل على معنيين: أن جميعَ الأحكامِ والتكاليفِ الشَّرعيةِ ابتداءً قد جاءت وفقَ طاقةِ الإنسانِ وقُدرتِه. ثانيهما: أنَّ التَّكليفَ يُرفَع لعَجْزٍ طارِئٍ، إلى حِينِ رفعِ العَجْزِ، وإزالةِ أسبابِه.

174- [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. تُفيدُ معنيان: أولهما، أنَّ جميعَ التَّكَاليفِ الشَّرْعيَّةِ تَدخلُ في حُدُودِ الاستطاعَةِ .. ثانيهما، أنَّ العَجْزَ الطارئَ يَرفَعُ التَّكليفَ فِيما تَمَّ فيه العَجْزُ، إلى حِينِ تحققِ القُدْرَةِ على دَفْعِه .. والعَجْزُ الدَّائمُ - الذي لا يمكنُ دَفْعُه - يَرفَعُ التَّكليفَ مُطْلَقاً!

175- [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. لَمْ يُكلِّفْنَا اللهُ شَيئاً لا نُطيقُه، فجميعُ التَّكَاليفِ الشَّرْعيَّةِ هي ضِمْنُ الطَّاقَةِ والاستَطَاعَةِ، فإذا حصَلَ العَجْزُ لِعِلَّةٍ، يَسْقُط التَّكليفُ فِيما تَمَّ فيهِ العَجْزُ، إلى حِينِ انتِفَاءِ العِلَّةِ، وارْتِفَاعِ العَجْزِ.

* * * * *

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

176- [لَهَا مَا كَسَبَتْ]؛ مِن الحَسَنَاتِ، [وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ]البقرة:286. مِن السَّيئَاتِ .. لَا يُشَارِكُه أحَدٌ - مهمَا كانَ قَريباً مِنه - في حَسَنَاتِهِ، ولَا في سَيئاتِه .. كما أنه لا يُشَارِكُ غَيرَهُ في حسنَاتِه، ولَا في سَيئاتِه.

* * * * *

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

177- [رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ]البقرة:286. أي مِنَ البَلَاءِ .. أمَّا التَّكالِيفُ الشَّرعيَّةُ، فاللهُ تعالى لم يُكلِّفْنَا شَيئاً لَا نُطِيقُهُ، ولا نَقْدِرُ عليه .. والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ

178- [وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ]آل عمران:4. وهو القُرآنُ الكريم؛ الذي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطِلِ، وبينَ الخيرِ والشَّرِّ، وبينَ الحَلالِ والحرامِ، وبينَ التَّوحِيدِ والشِّركِ، وبينَ أولياءِ الرحمنِ وأولياءِ الشَّيطانِ .. والمرءُ على قَدْرِ مَا يَعتَصِمُ بكتابِ اللهِ، وبسنَّةِ نبيهِ صلى الله عليه وسلم على قَدْرِ ما يهتدي للفُرْقانِ بين الحقِّ والباطل .. ويقدر على التمييزِ وأن يَفْرُقَ بين الخيرِ والشَّرِّ، وبين السُّنَّةِ والبدعَةِ، وبينَ أولياءِ الرحمنِ وأولياءِ الشَّيطَانِ .. وبينَ حِزبِ اللهِ وحِزبِ الشَّيطَان.

* * * * *

هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

179- [هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ]آل عمران:7. المتشَابَه في دِينِ اللهِ لَمْ يردْ فقطْ من أجلِ أن نؤمنَ ونصدقَ به، من دونِ أن نفهمَ المرادَ منه، ولا أن نستفيدَ منه شيئاً في ديننا، ودُنيانا .. لَا .. بل هو يَرِدُ لتَعضِيدِ، وتَوضيح معناً محكماً هامّاً .. فيزيدُه إيضَاحاً، وتفصيلاً، وإحْكَامَاً.

مثال توضيحي: قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الحديد:4.

المعنى المُحْكَم فِيما يخصُّ المثَال التَّوضِيحي أعلَاه: أن اللهَ تعالى مُسْتَوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلالِه، مِن غيرِ تكييفٍ، ولَا تَعطيلٍ .. بَائنٌ عن خَلْقِه، غيرُ مُتَّحدٍ به .. ومعْنَى مُحْكَم آخَر: أنَّ اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، قادرٌ على كلِّ شيءٍ .. لا يَخفَى عليه شيءٌ، ولا يُعْجِزُه شيءٌ .. يَنصرُ مَن يَنصُره .. وأنَّ مشيئتَهُ نافِذَةٌ؛ لا يكونُ شيءٌ في الوجودِ إلا وفقَ مشيئتِهِ وإرادتِه.

المعنى المتَشابه: هو قولُه تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ وهو مُتَشابَه؛ لأنَّه يحتملُ لغةً أكثرَ مِن مِعنى وتَفْسير: هل المعيَّةُ الواردَةُ يُرادُ مِنها مَعيَّةُ الذَّاتِ .. أمْ معيَّةُ العِلمِ، والقُدْرَةِ، والمشيئةِ، والإرادَةِ .. أم هي معيَّةٌ مجهولةٌ، لا دلالةَ لها .. نؤمنُ بها من دونِ أن نعرفَ مدلولاتِها، أو أن نستفيدَ مِنها في دِيننا ودُنيانا ...؟!

فالمعنى الشَّرعي المُتَشَابه الموافقُ للمحْكَم، الذي يزيدُ المحكمَ إحْكامَاً، وإيضَاحاً وتَفصيلاً، هو القولُ بأنَّ المرادَ بالمعيَّةِ في قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ هي معيَّةُ العِلمِ، والقُدرَةِ، والإرادَةِ، والتَّوفيقِ، والنُّصرةِ، والتَّأييدِ .. وعلاقةُ هذا المعنى بالنسبةِ للمحكَمِ الأوَّلِ المشَار إليه أعلاه .. أنَّ علوَّ الخالقِ سُبحانه على خلْقِه، واستواءَه على عرْشِه .. وبينونَتَه عن خلْقِه .. لا يَنبغي أن يُفْهَم منه انتفاء معيَّتِه لعبادِه .. ولا يمنعُ مِن أن يكون اللهَ تعالى ـ وهو مستوٍ على عَرشِهِ بائنٌ عن خَلقِه ـ معكم بعلمِه، وقدرتِه، وقوتِه، وإرادتِه، ونَصْرِه، وتَوفيقِه، وتأييدِه .. وأينما تكونُون .. فازدَادَ المعنى المحكَم بهذا التوضِيح المستفَاد مِن النَّصِّ المتشابَهِ إيضَاحاً، وتَفصيلاً، وإحْكَاماً .. ما كنا سنَسْتَفيدُه مِن دونِ هذا النصِّ المتَشَابَه.

أما فِيما يتعلَّقُ بالمحكمِ الآخَر، وهو أن اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كلِّ شيءٍ، لا يعجزُه، ولا يخفَى عليه شيءٌ .. أرادَ الله تعالى أن يزيدَه إيضَاحاً، وتفصِيلاً، وإحْكَاماً بقولِه [وَهُوَ مَعَكُمْ]؛ أي أن اللهَ معكُم بعلمِه، وقُدرتِه، وقوتِه، وإرادتِه، وتوفيقِه، ونَصْرِه معيَّةً خاصَّة؛ على التعيين .. كلُّ شَخصٍ بعينِه واسمِه .. وأينما يكونُ .. فأنتَ يا عبدَ اللهِ في مواجهَتِك للبلاءِ، وللشَدائدِ، ولِصعَابِ الأمورِ لستَ بمفردِك؛ أنتَ معَكَ اللهُ .. ولا شَكَّ أن هذا المعنى المضَاف والمستفَاد من النصِّ المتَشَابَه له أثر بليغٌ وعظيمٌ على إيمانِ ويَقِينِ وثباتِ المرْءِ .. وعلى سلوكِه واستقامَتِه .. وعلى تَعلُّقِه بخالقِه، وتوكلِه عليه .. وعلى فَهمِه الصحِيح لِصفاتِ الخالقِ سُبحانه وتعالى، وكما في قولِه تعالى لموسى وأخيهِ هارُون

عليهما السلام:[لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]طه:46. فموسى عليه السلام كان يَعلمُ أن اللهَ تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقادرٌ عليه، ولا يخفَى عليه شيءٌ .. ومعَ ذلك أرادَ اللهُ تعالى أن يزيدَه يَقيناً، وثَباتاً، وقوَّةً في مواجهةِ طُغيانِ الطاغُوتِ فرعون .. وأن يُزيلَ مِن نَفْسِه أدْنَى درجاتِ الخَوفِ، والتردُّدِ .. فقالَ لهما:[لَا تَخَافَا]؛ لماذا لا يَخافا؟ [إِنَّنِي مَعَكُمَا]؛ على التَّعيين والتَّخْصِيص، [أَسْمَعُ وَأَرَى] ما يدورُ بينكما وبين الطاغية فرعون .. ومَن كان اللهُ معه أنَّى للخوفِ أن يتسلَّل إليه .. فإنْ تَسَلَّلَ إليهِ منه شيءٌ، فهو لنقصٍ في اليقينِ بمعيَّةِ اللهِ.

هذا مثالٌ توضِيحِي يُبين أهميَّةَ النصِّ المتشَابَه في دينِ اللهِ، وفي فَهم وتَفسيرِ المحكمِ مِن دينِ اللهِ .. والأمثلةُ كثيرةٌ .. نكتَفِي بما تقدَّمَ ذِكْرُه، والحمدُ لله رب العالمين.

* * * * *

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ

180- [فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ]؛ مَيْلٌ عن الحَقِّ إلى الباطِلِ .. يَنتصرُون لزيغِهم وباطلِهم:[فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ]؛ فيتَّبعون المتشَابَه من كتابِ اللهِ تعالى، ويَترُكون المُحْكَمَ منه، بل ويَضربُون ويُعارضُون المُحْكَمَ بالمتَشَابَه .. ويجعلون من المتَشَابه دلياً حَاكِماً على المُحْكَمِ، ومُفَسِّراً له .. حتى النَّص المُحْكَم فإنَّهم يتَّبعونَ الفهمَ المُتشَابَه له .. وحيثُما تَجِدُ هَفَوَات وزَلَّات وسَقَطَات أهلِ العِلْمِ فَثَمَّ هُمْ .. ومَا حَمَلَهُم على فِعلِ ذلك إلا الرّغبةُ في:[ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ]؛ إرادَة وقَصْد فتنةِ النَّاس عن دِينِهم، وقصْد التَّشْويشِ على ثوابتِ الدِّين في نُفُوسِ النَّاسِ .. فهم يَطلبون العِلْمَ لتتَحصَّل لديهم القدرَةُ على التَّشْويشِ، والتَّضْليل، وتَزيين الباطِل، [وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ]آل عمران:7. إرادة تحريفِ كلامِ اللهِ عن مُرادِ اللهِ تعالى من كلامِه .. فيُسمُّون تحريفَهم لكَلامِ اللهِ تَأويلاً؛ ليروجَ تحريفُهم وباطِلُهم على النَّاس!

وأكادُ أجْزِمُ أنَّ كُلَّ مَن عَارَضَ الإسلامَ واعترَضَ عليه، مِن الكافرين، والمنَافِقين هم مِن الذين يَتَّبِعُون مَا تَشَابَه مِنه ابتِغَاءَ الفِتْنَةِ، وصَدِّ النَّاسِ عَن دِينِ اللهِ!

* * * * *

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

181- [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]آل عمران:7. العلماءُ العامِلُون .. المتمكِّنُون مِن علومِ الآلَةِ .. الجامِعون بين الفِقْهَين: فِقهُ التَّنزيلِ، وفِقْهُ واقِعِ التَّنزِيلِ .. المقتَدُون المتَّبعُون للكتَابِ والسُّنَّةِ، على فهمِ السَّلَفِ الصَّالح .. المنَافِحُون عن السُّنَّةِ، الرَّادُّونَ للبدَعِ، والمحدَثاتِ في الدِّين.

182- [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ]آل عمران:7. الذين يَعْقِلُونَ عنِ اللهِ تعالى، وعَن رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً

183- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ]آل عمران:10. أكثرُ مَا يَنشغِلُ بهم الكافرُ عن حقِّ اللهِ عليه، ويحملُه على الطُّغيان والكِبر، الأموَالُ والأَولَادُ .. فيُعاقَب يومَ القِيامَةِ مِن جِنْسِ ما كانَ يَنشغلُ به عن عِبادَةِ اللهِ، وتَوحِيدِه، فينقلبون عليه يومَ القِيامَةِ حَسْرةً ونَدَامَةً .. ثم لا يمنعُون عنه من عذَابِ اللهِ شيئاً، ولا يَقْدِرُون ...!

* * * * *

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

184- [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ]آل عمران:14. لتعمُرَ وتستمرَّ الحياةُ .. ولولا هذا التزْيين لمَا استمرَّت الحياةُ، ولَا وُجِدَ على الأرضِ إنسانٌ .. فالشهواتُ تُحَمَدُ ما ضُبِطَت بمنهجِ اللهِ، ولُجِمَت بلِجَامِ الشَّرْعِ .. واستُعينَ بها على استمرارِ الحياةِ وإعمارِها وفقَ منهجِ اللهِ .. ولها حُدُود حَدَّها اللهُ لا تتعدَّاها .. فإذا مَا خرَجَت عن منهجِ اللهِ، وتعدَّت حدودَ اللهِ .. وفُكَّ عنها عقالُ الشرْعِ، وشَذَّت .. وأُطْلِقَ لها العنَانُ .. لَا تُذَم حينئذٍ الشَّهوات، أو أصلُ الشهواتِ، وإنما يُذم مِنها ما تجاوزَ حدُودَ اللهِ، ومَا زَادَ عن الحدِّ الذي شَرَعَهُ اللهُ .. والشيطانُ لا يُزينُ الحلالَ مِن الشهواتِ، وإنما يُزينُ الشُّذُوذَ، والزائدَ عن المشروعِ من الشَّهواتِ!

* * * * *

شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

185- [شَهِدَ اللّهُ]؛ مِن خِلالِ آياتِه المقروءَةِ والمسْمُوعَةِ، وآياتِه الكونيَّةِ المرئيَّةِ .. فاجتمعَت في هذهِ الشهادةِ جميعُ الآياتِ الدَّالَّةِ على وحدانيَّتِه سُبحانه .. وكفَى به شَاهِدَاً، [أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ لَا مَأْلُوهَ، ولا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلا اللهُ، [وَالْمَلآئِكَةُ]؛ وزيادَةً في التَّأكيدِ على هذهِ الشَّهادَةِ العظيمةِ؛ فالملائكةُ كلُّهم؛ المقرَّبُون مِنهم، وغيرُ المقرَّبِين، شَهِدُوا بِشَهَادَةِ التَّوحِيدِ .. وأيضَاً، [وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ]؛ جميعُ أهْلِ العِلمِ مِن لَدُن آدَم عليه السلام، وإلى قِيامِ السَّاعَةِ، يَشْهَدُون ويَقرُّون بالاعتقَادِ، والقوْلِ، والعَمَلِ أنَّه لَا إله إلا اللهُ، [قَآئِمَاً] على شُؤونِ خَلْقِه؛ إذْ لا وجُودَ، ولا حرَكَةَ، ولا حَياةَ للخَلْقِ مِن دونِه سُبحانَه، [بِالْقِسْطِ]؛ بالعَدْلِ؛ الميزانُ الذي به يَنضَبطُ ويَستقِيمُ كُلُّ شَيءٍ، ومِن دُونِه يَضطَّربُ كُلُّ شَيءٍ، [لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ]؛ تكرارٌ يُفيدُ التَّأكيدَ على شَهادَةِ التَّوْحِيدِ، وأهميَّتِها

.. وهذه شَهادَةٌ اجتمعَ فيها مَا لم يجتمَعْ في غيرِها مِن الشَّهَادَاتِ؛ اجتمَعَ فيها أعظَمُ شَاهِدٍ، معَ أعظَمِ شَهَادَةٍ، على أعْظَمِ مَشْهُودٍ، [الْعَزِيزُ]؛ في مُلْكِهِ وخَلْقِه، ليسَ له وليٌّ مِن الذُّلِّ، [الْحَكِيمُ]آل عمران:18. الذي خَلَقَ، ثم هَدَى كُلَّ مخلُوقٍ إلى ما يَنفَعُهُ، ويَضُرُّه.

والآيةُ أفادَت أنَّ جميعَ العُلماءِ، مِن لَدُن آدم عليه السلام وإلى قِيامِ السَّاعَةِ، يَشهَدُون بالوحدانيَّةِ للهِ تعالى، وأن لا إله إلا الله، مَفهومُ المُخَالفَةِ أنَّ مَن لا يَشهد شَهادَةَ التَّوحِيدِ، أو يأتي بما يُناقِضُ ويُضَادُّ شَهادَةَ التَّوحيدِ، يخرجُ مُباشرةً مِن اسمِ وصِفَةِ وزِمْرَةِ العُلَماءِ، مَهما اتَّسَعَ صِيتُه، وكَثُرَت ألقَابُه!

* * * * *

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ

186- [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ]؛ إن الدِّينَ الحقَّ، الذي ارتضَاه اللهُ تعالى لعبادِه، وأوحاهُ إلى جميع أنبيائه ورسُلِه .. الذي لَا دِينَ غيره إلا البَاطِل .. هو دِينُ [الإِسْلَامُ]آل عمران:19. دِينُ الاستِسْلامِ، والطَّاعَةِ، والانقِيادِ، والخضُوعِ، للهِ عزَّ وجل، ولحُكمِه وشَرْعِه .. ولِشَهادَةِ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، الشهادَةُ التي بَعثَ اللهُ بها جميعَ الأنبياءِ والرسُلِ؛ والتي من معَانِيها ولوازِمِها، البرَاءَةُ مِن الشِّرْكِ، وعِبادَةِ غيرِ اللهِ، والإقرارِ ظَاهِراً وباطِناً، وبالقولِ والعَمَلِ، أن المعبودَ بحقٍّ ـ في الوجودِ كُلِّ الوجُودِ ـ هو اللهُ تعالى وحده.

187- [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ]آل عمران:19. لَا يُوجَدُ دينٌ سماوِي غَير دِينِ الإسلامِ .. فدِينُ إبراهيم .. وموسَى .. وعيسَى عليهم السلام هو دينُ الإسلام .. وهو يَقُوم على ركنَين أسَاسِيين: تَوحيدُ اللهِ تعالى في العِبادَةِ، والبرَاء مِن الشرْكِ، والمشرِكين .. وتوحيدُ الأنبياءِ والرسُلِ في المتَابَعَةِ .. ومَا مِن نبيٍّ مِن أنبياءِ اللهِ تعالى إلَّا وقَد بُعثَ بهذَين

الركنَين: عِبادَةُ اللهِ تعالى وتَوحِيدُه .. وطاعَةُ ومتابَعَةُ الأنبياءِ والرسُلِ فِيمَا يُبَلِّغُون عنِ اللهِ عزَّ وجل.

* * * * *

وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ

188- [وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ]آل عمران:28. يا ابنَ آدم .. يا ابنَ الأمواتِ .. مَهْمَا عِشْتَ .. وعَمِلْتَ .. ومَلَكْتَ .. وتَرَبَّعْتَ .. وكَيْفَمَا، وأينما ذَهَبْتَ .. ومَهمَا تَشَعَّبْت بكَ المذَاهِبُ، والدُّرُوبُ، والأسفَارُ .. إنَّكَ مَيِّتٌ، وإنَّك صَائرٌ إلى ما صَارُوا إليه .. وإنَّ مرجِعكَ المحتُومُ الذي لا حَيْدَةَ عنه؛ إلى اللهِ .. إلى خالِقِكَ، ومالِكِك .. وإنَّه تعالى لسائِلُكَ عمَّا كان مِنْكَ مِن عمَلٍ .. فانظُرْ مَلِيّاً بما تَرجِعُ به إلى رَبِّك!

* * * * *

وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء

189- [وَتُعِزُّ مَن تَشَاء]؛ مَن ألهمْتَه ووفَّقْتَه لطاعَتِك، [وَتُذِلُّ مَن تَشَاء]آل عمران:26. مَن آثَرَ مَعصِيتَك على طاعَتِك .. نسألُ اللهَ تعالى أن يُعزَّنَا ويُكرِمَنَا بطاعَتِه، وتَوحِيدِه.

190- [وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء]آل عمران:26. كم مِن عَزيزٍ؛ حملتهُ العِزَّةُ على الطُّغيانِ، والظُّلمِ، والكِبرِ، والتَّعالِي على الخلْقِ .. فأذَلَّه اللهُ، واستبدَلَ عِزَّتَه بالذُّلِّ، والهوانِ، وجَعَل الدَّولةَ عليه بعدَ أن كانَت لَه .. وكم مِن ذَليلٍ ضَعيفٍ؛ يُعَانِي الظلمَ مِن الفَريقِ السَّابقِ الذِّكْرِ .. يُعزُّه اللهُ بعدَ ذُلٍّ، ويُعْلِي مِن شَأنِه، ويجعلُ الدولةَ له، بعد أن كانَت عليه .. ليعلمَ الفريقَان أن الذي يُعزُّ، ويُذلُّ هو اللهُ .. يُعزُّ مَن يَشاء، ويُذلُّ مَن يَشَاء.

* * * * *

إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً

191- [إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً]؛ أي إلَّا أن تكونَ في ظِلِّهِم ـ العَدُو ـ لا تَستطيعُ الخروجَ من سُلطانِهم .. وتَخشَاهُم على دِينِك، ونَفْسِكِ، وعِرْضِكَ، ومَالِك .. في هذه الحالةِ يجوزُ لك أن تُظهِرَ لهم الموالاةَ باللسانِ بالقَدْرِ الذي يَدْفَعُ عنك أذَاهم وشَرَّهم، من غيرِ تَوسُّعٍ ولا زِيادَةٍ، بشرطين: أن تُضمِرَ لهم العَدَاوَةَ في القَلبِ ـ لأن القلبَ لا سُلطان للعدوِّ عليه ـ وأن لا تُعِينَهم على مسلمٍ؛ لأنَّك وأخِيكَ المسلم سَواء في الحُرمَةِ، فلا يجوزُ أن تَفْدِي نَفْسَك، بأخِيك .. [وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ]آل عمران:28. مِن أن تَلتجِئوا للتَّقيَّةِ من غيرِ ضَرورَةٍ، أو أن تَتوسَّعُوا في استخدَامِها في غَيرِ مَوضِعِها، وأكثَرَ ممَّا هو مُباحٌ لكم.

192- [إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً]، نتَفَهَّم العِبَارات التي تُقال للضرُورَةِ مِن قَبِيلِ التَّقيَّةِ السياسيَّةِ للتخذِيلِ عن المسلمِين، ودفع الشرِّ والأذَى عنهم .. أو التي تُقال مِن قَبِيل مُقَابلَةِ المعرُوفِ بمعرُوف .. لكن الشيء الذي لا نَقبلُه ـ وهو مَردودٌ شَرعاً ـ أن تُستخدَم التقيَّةُ السياسيَّةُ في غيرِ موضِعِها، وبالقَدْرِ الزائدِ عن المسمُوح به شَرعَاً، وأن تَأتي القَرائنُ العَديدَةُ التي تُعبِّرُ بقوةٍ عن صِدْقِ الولاءِ والانتماءِ للشرِّ والأشْرَارِ .. لذلك قالَ تعالى:[وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ]؛ يحذّركم اللّهُ انتقَامَه مِن أن تتوسَّعُوا في استخدامِ التقيَّةِ أكثر مِن القَدْر المسمُوح به، وفي غَيرِ مَوضِعِها .. ولغيرِ ضَرورَةٍ مُلجئةٍ .. أو أن تكونَ ذريعةً للتعبيرِ عن صِدْقِ الولاءِ والانتماءِ للشرِّ والأشْرَارِ، [وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ]آل عمران:28. المرجعُ والمآبُ، يومَ الحِسَاب، واللّهُ تعالى يَعلمُ الصادِقَ الذي استخدَمَ التقيَّةَ للضرورَةِ، مِن غيرِ توسُّعٍ، وبضوابطِها الشَّرعيَّةِ .. ومَن استغلَّها لمآربِه الخاصَّةِ والحزبيَّةِ مِن غيرِ ضَرورةٍ؛

ليُغطِّي على صِدقِ ولائِه وانتمائِه للشرِّ والأشرَارِ .. فيُحاسِبُ ويجازِي كلَّ طرَفٍ بما يَستَحِق.

* * * * *

قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ

193- [قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ]آل عمران:29. قَد تُخْفِي مَا في صَدْرِك عن المخْلوقِ، فتُبْدِي له خِلافَ ما في صَدْرِك .. أمَّا الخالِقُ عِلمُه بباطنِك وسَريرتِك كعِلمِه بظَاهِرِك .. أخْفَيْتَ أمْ أبدَيتَ فهو يَعلَمُه .. وهو عليه هيِّنٌ .. لا يُمكنُ أن تُخْفِي عنه شَيئاً .. وهذا يَسْتدعِي مِنك أن تُراقِبَ سَريرَتَك، ومَا وقَرَ في صَدْرِك؛ فَلا تُضمِر إلَّا خَيراً .. ولا تُرِي اللهَ مِنكَ إلا خَيْراً.

* * * * *

فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

194- [فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ]آل عمران:32. وبالتالي لا يمكنُ للمؤمنين ـ إن أرادُوا أن يحافِظُوا على صِفَةِ الإيمانِ والمؤمنين ـ أن يحبُّوا الكافِرِين المشركين .. أن يحبُّوا ما يَبغضُ اللهُ .. إذْ لا بدَّ للمؤمنين أن يُتابِعُوا اللهَ فِيمَا يُحبُّ، وفِيما يَكرَه؛ فيُحبُّونَ ما يحبُّ، ويَبغضُون ما يَبغضُ .. وفي الحديث:" من أحبَّ للهِ، وأبغض للهِ، وأعطَى للهِ، ومنع للهِ، فقد استكمل الإيمانَ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هواه تَبَعاً لما جِئتُ به ". لِما جاءَ به مِن عِندِ ربِّه .. ومَا تقدَّم لا يمنعُ مِن مُعامَلتِهم ـ كما وردَ في الكتابِ والسُّنَّةِ ـ بالرِّفقِ، والصِّدْقِ، والعَدْلِ، والإحْسَانِ .. وبخاصَّة في مواطِنِ الدَّعْوةِ إلى اللهِ.

* * * * *

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ

195- [قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ]آل عمران:31. للآية دلالتين: الأولى، أن المحبَّةَ على قدْرِ المتابعةِ للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمتابعةُ على قدرِ المحبَّة، فكلٌّ منهما لازمٌ وملزومٌ للآخر، زيادةً ونُقصاناً، وجُوداً وعَدَماً. الثانية، أن الغايةَ من المتَابعةِ ـ والتي تعني الانقيادَ والطاعةَ، والعبادَةَ العامَّة والخاصّة، الظاهرة والباطنَة ـ تحقيقُ المحبَّةِ، محبةُ العَبدِ لخالِقِه، ومحبّةُ الخالقِ لِعبدِه، فتحقيقُ المحبَّةِ ثمرَةُ الثَّمرات، وغَايةُ الغاياتِ، ليس بعدها غاية، وما قَبلها، وما دونها من غايات هي وسيلةٌ لتحقيقِ غايَةِ المحبّة.

* * * * *

فَاتَّقُواْ اللّهَ

196- [فَاتَّقُواْ اللّهَ]آل عمران:50. الاتِّقَاءُ، الاحْتِمَاءُ بشيءٍ مِن شَيءٍ .. أي احتَمُوا من اللهِ .. وأنَّى للعَبدِ أن يحتَمِيَ مِن خالِقِه؟! فيكونُ المرادُ: احتموا باللهِ من اللهِ .. احتَمُوا بطاعَتِه مِن مَعْصيتِه .. واحتَمُوا برضاه مِن غَضَبِه .. واحتمُوا بعفوِه ورحمتِه مِن عقوبَتِه، وشَدِيدِ عَذَابِه.

* * * * *

وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

197- [وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]آل عمران:57. قد تكونُ للظلمِ نشوَة أو مصلَحَة مُستعجلة، تحملُ صاحِبَها على الظُّلمِ .. لكن حَسْب الظَّالِمِ عقُوبةً أنه بظلمِه يخرجُ مِن ولايةِ اللهِ تعالى، ومن جملةِ أوليائِه وأحبَّائِه .. ومَن لا يحبُّه اللهُ يُوضَعُ له البُغضُ والنُّفُور في القُلُوبِ، فيَبغضُه مَن في السَّماءِ، ومَن في الأرضِ.

* * * * *

فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

198- [قُلْ]؛ الأمْرُ لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ولجميع أتباعِه، وإلى قيامِ السَّاعةِ .. والآمِرُ هو اللهُ سُبحانه وتعالى:[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ وهم اليهودُ والنَّصارَى .. وهم كفَّار .. ولكن الموضع موضع حِوارٍ .. ودَعوة إلى الحوارِ .. وهذا يَستدعِي تلطيفَ الخِطابِ عند مخاطبتِهم؛ فهو أدعى للإصغاءِ والفهم والقبول .. لذا جاء الأمرُ من اللهِ بأن نقول:[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ وهو خطابُ محبَّبٌ لقلوبِ اليهودِ والنَّصارى، يُذكِّرهم بأصلِ ومنبت دعوتهم ودينِهم، وأن الدِّينَ الذي أُنزِلَ على أنبيائِهم والإسلامَ الذي أنزِلَ على محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هو دِينٌ واحدٌ، وقد خرَجا من مِشْكاةٍ واحِدةٍ، وهو أدْعَى للاتفاقِ وعدَمِ الاختلافِ، [تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ]؛ لا يتمايزُ أحدُنا عن الآخَرِ، ولا يَتفاضَلُ ولا يتَعالى أحدُنا على الآخَرِ، فكِلَانا سَواءٌ أمامَ هذهِ الكلمَةِ .. لا فَرْقَ بيننَا وبينكُم في قبُولِها، والالتزامِ بها، والخضُوعِ لها .. فما هي هذه الكلمة؟ [أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ]؛ لا نَصرفَ العِبادةَ الظاهِرةَ والباطِنةَ إلا لمن يَستَحِقُّها؛ وهو اللهُ تعالى وحده، [وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً]؛ فتكونُ العبادَةُ خالِصةً لوجهِ اللهِ تعالى، لا يُصرَف شيءٌ منها أو ممَّا يَدخُل في مَعنى ومَسَمَّى العِبادَة لغيرِ اللهِ تعالى، [وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً]؛ مُشَرِّعين؛ نُشَرِّعُ لِبعْضِنا البَعْض التشريعَ الذي نشاءُ ونهواه، فنُحِلُّ ما نَشاءُ، ونحرِّمُ مَا نَشَاء .. لا نحنُ نشرِّعُ لكم، ولا أنتم تُشَرِّعُون لنا، [مِّن دُونِ اللهِ]؛ بغير إذنٍ ولا سُلطانٍ مِن اللهِ تعالى الذي له الحُكْم وحدَه، وله وحْدَهُ الحَقُّ في أن يُشرعَ ما يَشاءُ؛ فيُحلُّ ما يَشاءُ، ويحرِّمُ ما يَشاءُ، وليسَ على العبادِ إلا طاعَتهُ، وتَحليلُ حلالِه، وتحريمُ حرامِه، [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ أعرَضُوا، ونَأوا، وأبَوا أن يَستجيبُوا لهذا الكلمَةِ السَّواء، [فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]آل عمران:64. لا تَبحثُوا معَهم عن التقاءِ وتقارب في جوانب ومواضيع أخْرَى غيرَ هذه الكلمَةِ

.. كما يَفعلُ دُعاةِ حِوارِ الأدْيانِ في هذا الزَّمانِ، فإنَّهم يَتحاورُون حولَ كلِّ شَيء، ويتَنادونَ للحوارِ حولَ كلِّ شَيءٍ إلَّا هذه الكلمةِ التي أمرَنا اللهُ تعالى أن ندعوَهم إليها، ونحاورَهم حَوْلها، " مَن المعْبُود بحقٍّ في الوجُود ؟"، فلا يَقتربُون مِنها، ولا تكونُ مادَّةً مقرَّرَةً ومعروضةً للنِّقَاش .. وإنّما قولُوا لهم: اشهَدُوا بأنَّا مُسلِمُون .. مُستسلمُون لأمرِ اللهِ تعالى وحُكْمِه .. لكمْ دِينُكم، ولنَا دِين .. لا تَقَارُبَ ولا التقاءَ ولا تحاورَ بيننا وبينكُم على غيرِ كلمةِ الإسْلامِ والتَّوحيدِ:" لا إله إلا الله "، من المألُوه والمعبُود بحقٍّ في الوجُود ...؟

* * * * *

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً

199- [وَمِنْهُم]؛ أي مِن اليهود [مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً]؛ مثالُهم في يومِنَا الصهاينَةُ اليهود؛ لا يُمكن أن تنتزعَ مِنهم حَقّاً للشعبِ الفلسطيني ـ مهمَا كان ضَئيلاً! ـ إلا بشقِّ الأنفُسِ، ومعَ المراقبَةِ، والمتابَعَةِ، والإلحاح في المطالبَةِ، [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ]؛ أي في العرَبِ، [سَبِيلٌ]؛ أي مِن حرَجٍ يمنعُ مِن السَّطْوِ على حقُوقِهم، وممتلكاتِهم، وينَسبون ذلك زُوراً إلى اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى قد أذِنَ لهم بذلك .. وقَد كذَبُوا على اللهِ، وهم يَعلمون أنَّهم يكذِبُون، [وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]آل عمران:75.

* * * * *

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

200- [وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ]؛ يَقْرَؤُونَ المحرَّفَ من كلامِهم ويُرتِّلُونَه كما يَقرؤون كلامَ اللهِ، ليحْسَبُه السَّامعُ أنَّه من كَلامِ اللهِ المنزَّل، [وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ]آل عمران:78. وهذه آيةٌ نزلت في أهلِ الكِتاب، الذين

حَرَّفُوا كِتَابَ اللهِ .. والذين يُرتِّلُون ويَقرَؤُون الأدْعيَةَ والأذْكارَ التي هي ليسَت من القُرآنِ الكريم، كما يَقْرَؤون ويُرَتِّلُون ويجوِّدُون القُرآن ـ فتُشْكِلُ على السَّامع، وبخاصّة إن كان من العَجَمِ هَلْ هي من كِتَابِ اللهِ أمْ لا ـ لهم حَظٌّ مِن هذهِ الآيةِ، وما تَتَضمَّنه مِن وعِيدٍ!

* * * * *

أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ

201- [أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ]؛ يقصدُونَه، ويريدونَه .. وله يخضعُون، ويتَّبعون، ويُطيعُون .. ويُطالبون غيرَهم أن يدخلُوا في دينِهم وطاعَتِهم، مِن دونِ دينِ اللهِ؛ الإسلام .. فالكافرُ مِن أيِّ ملَّةٍ كانَت، وعلى أيِّ اعتقادٍ كان له دِينٌ يَعتقدُه، ويُطيعُه، ويتبعُ تعاليمُه، ويَدعُو إليه، يُوالي ويُعادِي فيه، [وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً]؛ كيفَ تَقْدِمُون على فعلِ ذلك، واللهُ تعالى قد انقادَ له، وخَضَعَ، واستَسْلَمَ، رَاغِباً مُطيعاً، ومحبَّاً، جميعُ مَن في الوجودِ مِن مخلوقاتٍ؛ استسلموا لحكمِه الكوني والشَّرعي، ووحَّدُوا اللهَ تعالى في ربوبيتِه وألوهيَّتِه، [وَكَرْهاً]؛ باستثناءِ الكافرِ الذي اختارَ الكفرَ؛ فإنه استسلمَ كَرْهاً لحكمِهِ الكوني، دونَ حكمِه الشَّرْعي .. استَسْلَمَ وخضعَ كرهاً ورغماً عن أنفِه لربوبيَّةِ الله تعالى، فهو مخلوقٌ مربوبٌ، ومملوكٌ للهِ، لا يخرجُ عن مشيئةِ وإرادَةِ اللهِ تَعَالى؛ وجُودُه، وحياتُه، وموتُه، ورزقُه، ومرضُه، وغير ذلك مِمَّا لا إرادَةَ له ولا اختيارَ في تحديدِه، ولا في دَفْعِه .. وعصَاهُ في الألوهيةِ والعِبادَةِ، مما له فيه اختيارٌ، وهو مع عصيانِه هذا ـ كنَفْسٍ ـ فإنَّ جميعَ خلَايَا وأعضاءِ وذَرَّاتِ جَسَدِه ـ سواءٌ كان مِن الجنِّ أم مِن الإنْسِ ـ داخلةٌ في معنى الطَّاعةِ، والعبادَةِ، والخضُوعِ، والانقيادِ العام للهِ تعالى، وتوحيدِه في الربوبيَّةِ، والألوهيَّةِ، تخالفُ صاحبَها في عصيانِه، واختيارِهِ للكفْرِ، وتلعنُه؛ لأنَّ مَا من شيءٍ إلا ويعبدُ اللهَ تعالى، ويُسبحُ بحمدِه، ومُستَسْلِمٌ لربوبيتِه وألوهيتِه طوْعَاً، [وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ]آل عمران:83. وإلى اللهِ تعالى يعودُ الجميعُ، ليُجازِيهم على ما كان مِنهم مِن اعتقادٍ وعملٍ، فيُجازِي المؤمنين على إيمانِهم بالجَنَّةِ، خالدين فيها أَبَدَاً، والكافرين على كُفْرِهم بنارِ جهنَّم، خالدين فيها أَبَداً.

* * * * *

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً

202- [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً]؛ ومَن يَطلُبُ ويَلتَمسُ دِيناً غيرَ دِينِ الإِسْلامِ؛ القائمِ على تَوحيدِ اللهِ عزَّ وجَل، وإفرَادِه بالعِبادَةِ، وطاعَةِ ومتَابعَة رسُولِه محمَّد صلى الله عليه وسلم .. أيَّاً كان مَصدرُ هذا الدينِ .. أو كانَت أُصُولُه .. سواءٌ كانت أُصُولُه سماويَّةً ثم طَرأَ عليها التَّحْرِيفُ، كاليهوديَّةِ، والنَّصرانيَّة، أم أَرْضيَّةٌ وضْعيَّةٌ .. ويَدخلُ فِيها جميعُ المذَاهِب الفكريَّةِ الوضْعيَّة التي وضَعها الإنْسانُ مِن عِندِ نفْسِه .. وكلُّ مَن يَرفضُ الإسلامَ دِيناً، لَا محالَة فهو يَطلبُ دِيناً غيرَه، ويتدَيَّنُ بدينٍ غيره، حتَّى لو سمَّى نفْسَه مُلْحِداً، واعتبرَ نفسَه مِن غيرِ دِينٍ، وفي عداد اللَّادِينيين؛ فدينه حينئذٍ يكونُ الإلحادُ، وعقَائدُ ومبَادِئُ الإلحادِ، [فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ]؛ مهمَا أتَى من الطَاعَاتِ، والأعمَالِ الخيريَّة الصَّالحة؛ لأنه فاقدٌ للإيمانِ، وللتوحِيدِ، وللمتابَعةِ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وهو شرطٌ لقُبُولِ العمَلِ؛ سواءٌ كان ظَاهِراً، أمْ باطِناً، [وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]آل عمران:85. الذين خَسِرُوا أنفُسَهم .. وخَسِرُوا أعمالَهم .. وأَوْبَقُوا أنفُسَهم في نارِ جهنَّم خالِدين فِيها أَبَدَاً.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ

203- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ]آل عمران:91. فِيهِ أَنَّ العِبْرَةَ بالخَواتِيمِ، وبِمَا يُختَمُ بِهِ على المرْءِ، وأَنَّ الوَعِيدَ بالعذَابِ الأَلِيمِ، والخُلُودِ فِي النَّارِ مُعَلَّقٌ بالموتِ والمُوَافَاةِ على الكُفْرِ .. نسألُ اللهَ تعالى السَّلَامَةَ، والثَّبَاتَ، وحُسْنَ الخِتَام.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

204- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ]؛ مِن اليَهودِ والنَّصارَى .. تُطِيعُوهم فِي تحليلِ الحَرَامِ .. وتَحرِيمِ الحَلَالِ .. وتَحسِينِ القبيحِ والشُّذُوذِ .. وتَقبِيحِ الحسَنِ والفِطرَةِ، [يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]؛ يَردُّوكُم بعد إيمانِكُم باللهِ وبرسولِه صلى الله عليه وسلم، وبما أنزلَ اللهُ إليكُم مِن الحقِّ، [كَافِرِينَ]آل عمران:100. فتنقَلِبُوا كافِرين جَاحِدين باللهِ، وبرسولِه، ومَا أنزلَ اللهُ إليكم مِن الحَقِّ .. وقولُه تعالى:[فَرِيقاً]؛ هَذا مِن الإنْصافِ الذي يجبُ أن نَلتزمَه؛ لأن ليسَ جميعُ أهلِ الكتابِ يَصْدُقُ فِيهم ما ذُكِر عَنهم أعْلَاه.

* * * * *

وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

205- [وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]آل عمران:101. قَد كَثُرَت الفِتَنُ، وتَزَاحَمَت .. وتكالَبَت على الإنْسانِ فِتَنُ الشَّهواتِ، والشُّبهاتِ .. وكثُرَ دُعاةُ الضَّلَالَةِ .. ولا عَاصم له مِن ذلك كُلِّه إلا اللهُ؛ أن يَعتَصِمَ ويَستمْسِك بدينِه، وحَبْلِه المتِين

.. ومَن اعتَصَم باللهِ، والتَجَأ إليه، وتوكَّلَ عليه، فَلا خَوف عليه .. لَا تَضرُّه الفِتَنُ شَيئاً .. وقُد هُدِي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ؛ الصِّراطُ المباينُ لجميعِ السُّبلِ البَاطِلةِ المنحرفَةِ عنِ الحقِّ.

206- [وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ]؛ وَمَن يَعْتَصِم بكتَابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، على مُرادِ اللهِ، ومُرادِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، [فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]آل عمران:101. فَقَد هُدِيَ إلى الدِّينِ الحقِّ؛ الذي فيه نجاتُه وسَعادَتُه في الدُّنْيَا والآخِرَة.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ

207- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ]؛ هي حدُودُ الاستطاعَةِ ونهايتُها، [وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ]آل عمران:102. أي احرصُوا واجتهدُوا أن لا تموتُوا إلَّا وأنتُم مُسلمُون، واسألُوا اللهَ تعالى حُسنَ الخاتمَةِ، وأن يَختمَ حياتَكُم وأنتم مُسلِمون.

* * * * *

وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ

208- [وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً]؛ لم يَقُلْ الرَّبُ سُبحانه:" وَاعْتَصِمُواْ جَمِيعاً "، وإنَّما أضَافَ، وحَدَّدَ، وقيَّدَ بما نَعْتصِمُ:[بِحَبْلِ اللّهِ]؛ لأنَّ أيَّ اعتصَامٍ بغيرِ حَبلِ اللهِ سرعان مَا يَنْفَضُّ، ويتفرَّقُ في فِرَقٍ أشَدُّ ممَّا كان عليه الحَالُ قَبلَ الاعتِصَام .. وحَبْلُ اللهِ تَعالى هو القُرآنُ الكَريم، كما في الحديث:" إنَّ هذا القُرآنَ سَبَبٌ طرفُه بيدِ اللهِ، وطرفُه بأيدِيكم، فتمسَّكوا به؛ فإنكم لن تضِلُّوا ولن تَهلِكُوا بَعدَه أبَداً ". وفي الأثَرِ عن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه في قَولِ اللَّهِ:[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ]، قالَ:" حَبلُ اللَّهِ القُرآنُ ". والقرآنُ أمَرَ في آياتٍ عَديدةٍ تجاوزَت الثَّلاثِين آيةٍ بطاعَةِ الرسُولِ صلى الله عليه وسلم،

واتّباعِ سُنَّتِه، فيكونُ بذلك حَبلُ اللهِ الذي يجبُ أن نَعتصِمَ به هو القُرآنُ، والسُّنَّةُ، [وَلاَ تَفَرَّقُواْ]آل عمران:103. عن الاعتِصَامِ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ .. فإن فعَلْتُم تَفَرقْتُم، ولَا بُد!

209- [وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ]آل عمران:103. الخِطَابُ الذي يُوَحِّدُ، ويجمَعُ، ويُؤَالِفُ بينَ القُلُوبِ، ولَا يُفَرِّقُ .. أكثرُ رُشْدَاً، وأَهدَى سَبيلاً، وأقرَبُ لمنْطُوقِ، ومَفْهُوم، ودَلَالَات الآيَاتِ القُرآنيَّةِ، ومَقَاصِدِ السِّيَاسَةِ الشَّرعِيَّةِ .. مِن الخِطَابِ الذي يُوغِرُ الصُّدُورِ، ويُفَرِّقُ، ولَا يجمَعُ، ويُفَرِّقُ المفَرَّقِ!

* * * * *

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

210- [وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]آل عمران:104. تَصوَّرُوا حياةَ الناسِ تخلُو مِن الطبِّ والأطبَّاءِ .. كم سيكثُرُ المرَضُ، والعجزُ، والموتُ بين الناسِ، وكم سيضْعُف عطَاؤهم .. ولربما تَوقَّفَت عجلةُ الحياةِ مِن على الأرضِ .. كذلك تأمّلوا خُلُو الحياةِ مِن " المكانيكيين "؛ الذين يُصلحُون السيَّارات، والشَّاحِانَات إذا مَا عطبَت .. لربما توقفَت السيَّارات والشَّاحِنَات ـ لأدنى عطَبٍ ـ عن السيرِ والعمَل .. بل لو خَلَت مدينةٌ من عمَّالِ القمامَةِ؛ لامتلأتِ المدينَةُ بالقُمامَةِ، والأوسَاخِ، وفشَت الأمراضُ، وأصبَحت السُّكْنَةُ في المدينة لا تُطَاق .. وقِس على ذلك كثيراً من المهَام والأشياءِ .. من أهمِّها بل وأعظمها خَطَراً خُلُو المجتمعاتِ مِن المصْلحين الذين يأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهون عن المنْكرِ، الذين يُصْلِحُون مَا يُفسدُه النّاسُ، ويُصلِحُون الناسَ إذا ما فَسدُوا .. فيتراكمُ الفسَادُ، والخرابُ، يَعلُو بعضُه بعضَاً إلى أن تُصابَ المجتمعَات بالهلاكِ والدَّمارِ .. لذلك أمرَ اللهُ تعالى في كلِّ مجتمعٍ من المجتمعاتِ، وكلِّ دولةٍ، ومدينَةٍ، وقريةٍ بوجودِ نفَرٍ متفرّغين ومتخَصّصين

يقومُون بواجبِ تعليمِ الناسِ الخيرَ، وواجبِ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، كما قال تعالى:[وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ]؛ أمرٌ يُفيدُ ابتداءً الوجوبَ على جميع المسلمين بأن ينفرَ منهم نَفَرٌ يقومُون بواجبِ الأمْرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ .. فإن تحققَت في هذا النَّفر الكفايَةُ قياساً للمجتمع الذي يَعيشُون فيه، سقَطَ الواجبُ عن الآخَرين، وأصبحَ بحقِّهم مندُوباً .. وإن لم تتحقَّق الكفايَةُ يبقَى حُكمُ الوجوبِ على جميع مَن هو مؤهَّلٌ من المسلمين لهذه المهمَّةِ العظيمةِ إلى أن تتحقَّقَ الكِفايةُ .. وممَّا يجبُ أن يتحقق في هذه الفئةِ التي تنفرُ للأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ، العِلمُ بما يَأمرونَ به، وبما ينهونَ عنه .. وإلا فإنَّ جاهلَ الشيءِ كفاقِدِه، لا يمكنُ أن يُعطيَه .. [يَدْعُونَ]؛ بالرِّفقِ، والحكمَةِ والموعظَةِ الحسنَةِ، [إِلَى الْخَيْرِ]؛ الخيرُ الجامعُ لخيرَي الدُّنيا والآخرَةُ، ولا يجتمعُ هذا الخيرُ الجامع لخيرَي الدِّين والدُّنيا إلا في الإسْلامِ، [وَيَأْمُرُونَ]؛ عندما لا تَفي مجرَّد الدَّعوةِ والتَّذكيرِ، والتَّعليمِ، بالغرَضِ، تأتي مرحلةُ الأمْرِ [بِالْمَعْرُوفِ]؛ وهو كلُّ ما تَعارَفَ عليه النَّقلُ والعَقْلُ بأنه معرُوفٌ، وحَقٌّ، وخيرٌ، وأعظمُ المعروفِ، وأعلاه، التَّوحِيدُ، [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ]؛ وهو كلُّ ما تَعارَف عليه النَّقْلُ والعقْلُ بأنه منكرٌ، وشَرٌّ، وأعظمُ هذا المنكرِ الذي ينهونَ عنه؛ الشِّركُ، [وَأُوْلَئِكَ]؛ الذين يَدعُون إلى الخيرِ، ويأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهونَ عن المنكَرِ، [هُمُ الْمُفْلِحُونَ]؛ الفائزون بخيرَي الدُّنيا والآخِرة.

* * * * *

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

211- [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ]؛ وجُوهُ الموحِّدين، [وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ]آل عمران:106. وجُوهُ المشْرِكين.

* * * * *

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

212- [وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ]؛ بسببِ إيمانِهم، وتوحِيدِهم، وأعمالِهم الصَّالحَةِ .. فهناك الأعمالُ هي التي تُبيِّضُ الوجُوهَ، أو تُسَوِّدُها .. [فَفِي رَحْمَةِ اللهِ]؛ في جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأرْضُ .. والتي فِيها من النَّعيمِ المقيمِ مَالَا عَينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ، [هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]آل عمران:107. خُلُوداً دائماً أبَداً لا يَنْقَطِعُ، ولا يَعْقُبُه مَوت.

* * * * *

وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ

213- [وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ]آل عمران:108. أيُّ أمْرٍ فيه ظُلمٌ .. أو يَدْعُو إلى ظُلمٍ .. أو يُقِرُّ ظُلماً ـ ومِن أيِّ طرَفٍ جاءَ الظُّلمُ، وتحتَ أيِّ عنوانٍ أو زَعْمٍ أو ذَرِيعَةٍ ـ فهو باطِلٌ، ومَردُودٌ .. ودِينُ اللهِ تعالى بريءٌ منه .. والظلمُ مِنهُ مَا يُعْرَفُ بالنَّقْلِ، ومِنْهُ مَا يُعْرَفُ بالعُرْفِ، والعَقْلِ.

* * * * *

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

214- [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...]آل عمران:110. خَيريَّةُ أمّةِ الإسلامِ على سَائِرِ الأمَمِ، لا لِنَسَبٍ، ولا لعِرْقٍ، أو لونٍ، أو لغَةٍ، أو جَاهٍ أو مُلْكٍ .. أو لمجرَّدِ الانتماءِ لقوميَّةٍ أو أرضٍ، أو تاريخٍ .. لا .. وإنما جُعِلت خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت للناسِ لجملَةٍ مِن القِيَمِ والمبادِئ والمفاهِيمِ، والمهَامِ، تَلتزِمُ بها، وتعمَلُ لها، وتجاهِدُ من أجْلِها .. من أهمِّها وأعظَمِهَا " الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ "؛ فإن تخلَّت عن الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ .. فقَدَت تمايزَهَا، وخيريَّتها على سائِرِ الأمَمِ،

واستوَت معَها ـ وربما زادَت ـ في دَرَجاتِ الهبُوطِ والانحطاطِ، والتَّحلُّلِ .. وعلى قَدْرِ تخليها عن الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، على قَدْرِ ما تَفقِدُ مِن قوَّتِها، وتمايُزِهَا وخيرِيَّتِهَا على سَائرِ الأمَمِ .. وتَفقدُ مِن مناَعَتِها!

الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ بمثَابةِ جهازِ المنَاعَةِ في جسَدِ الأمَّةِ، ومثابَةِ الحارسِ الذي يحرسُ ما وراءه مِن كلِّ شَرٍّ، وضَرَرٍ .. فإن تعطَّلَ جهازُ المناعَةِ أو مَاتَ، ماتَ معه الجسَدُ، واستوَت عندَهُ السيئاتِ والحسَنَات .. وصَعُبَ عليه التَّمييز بين الخيرِ والشَّرِّ .. وبين الحقِّ والبَاطِلِ .. وبين ما هو نَافعٌ، وما هو ضَار!

* * * * *

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ

215- [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ]؛ على اليهودِ بسببِ كُفرهِم، وبغيهم، وقَتلِهم الأنبياء، [الذِّلَّةُ]؛ الذلُّ، والصَّغارُ، والمسْكَنَةُ، [أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ]؛ أينما وجِدُوا، ومهما انتفَشُوا، وتكبَّروا، فالذُّلُّ لا يُفارقهم، وهو يعْلُو وجوهَهم، بما كسبَت أيدِيهم، [إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ]؛ إلا بعهدٍ من اللهِ لهم بالأمانِ، إن دخلَوا في السِّلمِ، والذمَّةِ، ودفعُوا الجزيَةَ، [وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ]آل عمران:112. وعهدٍ لهم من الناسِ بالنّصرةِ، والدعمِ، والتَّأييدِ .. فكانُوا، ولا يَزالُون ـ مهْمَا أُوتُوا مِن قُوَّةٍ ـ يَبحثُون عمَّن يحميهم مِن النَّاسِ، ويُقاتِلُ دُونَهم ومعَهم .. ويمدُّهم بأسْبابِ القوَّةِ والظُّهور .. وهو ما يُفسرُ وقوفَ أمريكا، وغيرِها من الدول، معهم في الظلمِ والباطِلِ، ومدِّهم بأسبابِ القوةِ والمنَعَةِ، والحياةِ .. واستخدامهم " للفيتو "، الذي يمنعُ من مساءلَةِ ومحاسَبةِ اليهودِ في فلسطين مهمَا بغَو، وظلَمُوا، وقتَلوا .. فجميعُ ما نراهُ من اصطفافٍ مع اليهودِ وظلمِهم، لا يخرجُ عَن معنَى قولِه تعالى:[وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ].

* * * * *

هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ

216- [هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ]آل عمران:119. المؤمنُ غِرٌّ كَريم، على الفِطرَةِ، قلبُه طيّب، سَليمُ السَّرِيرَةِ؛ لو قابلُه الكَافِرُ أو المنَافِقُ بابتسَامَةٍ صَفرَاء، قَابَلَهُ المسلمُ بضحكةٍ صَادِقَةٍ تخرجُ مِن قَلبِه، تَظلُّ مرتسمةً على وجههِ دقَائقَ، لَا يَستطيعُ إخفاءَهَا .. ولو قابلُوه بمعرُوفٍ، لقَابلَهم بمعروفٍ أحسَن مِنه، معَ ثناءٍ وشُكْرٍ، ومحبَّةٍ صَادقةٍ مِن قَلبِه .. فأنزلَ اللهُ قولَه يُرشِّدُ سُلوكَ المؤمنين:[هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ]؛ يحذِّرهُم من المبالغَةِ في مُقابلَةِ المعرُوف .. لَا بَأسَ بأن تُقابِلَ المعرُوفَ بمعرُوفٍ، وأن تَشكرَ المعرُوفَ مِن أيِّ طرَفٍ جاءَ .. وأن تحفظَ للقرابَةِ، والصَّداقَةِ حقُوقَها .. وأن تحبَّ لهم الخيرَ، وبخاصَّة خَير الهِدايَةِ .. لكن مِن غَيرِ توسُّعٍ يَشمَلُ المحبَّةَ القلبيَّة لذوَاتِهم؛ إذ لَا مُبرِّر لها؛ لأنَّهم لَا يُحبُّون المسلمين المؤمنين .. فتكُون حِينئذٍ محبَّة مِن طرَفٍ واحِدٍ وحَسْب، مِن دُونِ مُقابَلَةٍ مِن الطَّرفِ الآخَر المقَابِل!

* * * * *

وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا

217- قال تعالى: [وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. ومع ذلك يوجدُ منّا من يَرتضيهم حَكَماً وقُضاةً لحلّ مشاكلنا ومآسينا ...؟!

218- [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. فمن سَاءَتْهُ الحسَنَةُ ـ نَصْرٌ أو نِعْمَة ـ التي تُصيب المؤمنين، ويَفرَح للسيئةِ ـ شِدَّةٌ وبَلاء ـ التي تُصيبهم .. فهو ـ بنصِّ كتَابِ اللهِ ـ ليسَ مِن المؤمنين.

219- [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ]آل عمران:120. مجرَّدُ المَسِّ، والاقترابِ، ومَهمَا كان الخيرُ الذي يُصيبُ المؤمنين قَلِيلاً .. فإنَّه يُسيءُ الكافِرين ويُغيظُهم!

220- [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ]؛ نِعمةٌ، وخَيرٌ، ونَصْرٌ، [تَسُؤْهُمْ]؛ تُغيظُ قلوبَ الكافِرين والمنافقِين .. لِذَا ينبغي ويُستَحسَنُ إظهَار النِّعم والحسنَات التي تُصيبُ المؤمنِين .. [وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ]؛ بَلاءٌ، وشِدَّةٌ، [يَفْرَحُواْ بِهَا]آل عمران:120. وحتَّى لا يَفرَحُوا بها، وتَطْرَب لها قلوبُهم؛ ينبغي ويُسْتَحسَنُ كتمَان الشَّدَائِدِ والمصَائِبِ مَا أَمْكَن لذلك سَبِيلاً .. وأن لا يَروا مِن المؤمنين إلَّا صَبْراً، وتجلُّداً، واستِبْشَاراً.

* * * * *

فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

221- [فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]آل عمران:123. مِن غَايَاتِ وثِمَارِ التَّقْوَى تَحقِيقُ الشُّكْرِ للهِ .. ولَمَّا سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن اجتهَادِهِ في العِبادَةِ، قال:" أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوْراً ".

222- [فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]آل عمران:123. لكي تتمكَّنَ مِن شُكْرِ الله على نعَمِهِ، ولكي تكُونَ مِن الشَّاكِرين .. تحتَاجُ إلى زَادٍ كَبيرٍ مِن التَّقْوَى يُعِينُك على ذلِك .. فالشُّكْرُ ليسَ مقصُوراً على حركَةِ اللسانِ وحَسْب، وإنما يكونُ بالعمَلِ أيضَاً .. وعلى قَدْر التَّقْوَى يكونُ الشُّكْرُ.

* * * * *

وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

223- [وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ]آل عمران:126. العِدَّةُ، والعَدَدُ، والإعْدَادُ .. مِن مُتَطلَّبَاتِ الحرْبِ، وهي ضَروريَّةٌ، لا ينبغي الغَفْلَةُ عَنها .. لكن مَا كانَ، ولن يكونَ النَّصْرُ بسبَبِها .. كما لا يجوزُ للقَلبِ أن يَتعلَّقَ بها من دُونِ اللهِ .. فكم

مِن فئةٍ قَليلةِ العَدَدَ، والعِدَّةِ، غَلبَت فئةً كثيرةَ العَدَدِ والعدَّةِ .. لتَعْلَم يا عبدَ اللهِ أنَّ النَّصرَ مِن عندِ اللهِ تَعالى وحْدَه.

224- [وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ]؛ وهو الإمْدَادُ بالملائكةِ .. فالنفُوسُ البشريَّة لضعْفِ يَقِينها تميلُ لهذَا النَّوع مِن الوسَائِل، وهذا النُّوعُ من التأييدِ المادِّي المحسُوس .. واللهُ تعالى يمدُّ عبادَه المؤمنين بهذَا النَّوع مِن الإمْدَادِ، والتَّأييدِ بالملائكةِ؛ لتطمئنَّ وتَسكنَ قلوبُهم، [وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ]آل عمران:126. لكن على الحقيقَةِ فإنَّ النصرَ كله مِن عندِ اللهِ.

* * * * *

لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ

225- لمن يَستبطئ ثمارَ ونتائجَ دَعوتِه:[لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ]؛ أمر هِدَايةِ النَّاسِ [شَيْءٌ]؛ غير الدَّعوةِ والبيَانِ بالحكمةِ والموعِظَةِ الحسَنَةِ، ثم الصَّبر والثَّبات على ذلك، أما هِدايةُ التَّوفيقِ فمَردُّها إلى اللهِ تعالى وحدَه؛ فهو سُبحانه يَهدِي مَن يَشاءُ، ويُضِلُّ مَن يَشاء، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيهديهم إلى الإسلامِ قبلَ موتِهم، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ]؛ بموتِهم على الكُفْرِ، فيَستحقُّونَ بذلك العذَابَ، [فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران:128. لإيثارِهم الكُفْرَ والشِّرْكَ على الإيمان.

226- [لَيْسَ لَكَ]؛ يا مُحَمَّد، على علُو مَقَامك الرَّفيع [مِنَ الأَمْرِ]؛ مِن أمْرِ الوَعْدِ، والوَعِيدِ .. وأمْرِ هِدَايَةِ النَّاسِ؛ هِدَايَةَ تَوفِيقٍ، [شَيْءٌ]؛ فهذا ليسَ لَكَ، ولا لِغَيرِك .. وإنَّما الأمرُ كله للهِ تعالى وحدَه، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيتُوبُ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِه؛ بهدايتِهم إلى الإسلامِ، ومُوافاتِهم عليه، مَهْمَا كانَ مِنْهم قَبْلَ ذَلِكَ مِن عَمَلٍ، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران:128. لإيثَارِهم الكُفْرَ، ومُوافَاتِهم عليه.

227- [لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ]؛ فأنتَ أيُّها الدَّاعيَةُ إلى اللهِ تعالى عليكَ المُضِي إلى ما أمرَكَ اللهُ بهِ، والصَّبر على أمْرِ اللهِ .. وعلى ما يُصيبك بسببِ ذلك .. وليسَ لك أن تَستعجلَ الهَلاكَ على مَن تَدعُوهم إن نالَكَ مِنهم أذَى .. أو رأيتَ مِنهم إعرَاضاً .. فتقديرُ ذلك ليسَ لَكَ، ولا لغَيرِك، وإنما هو للهِ تعالى وحدَه، [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فاللهُ تعالى قَد يَهديهم إلى الإسلامِ، فيتُوبُ عليهم، فالإسلامُ يجبُّ مَا قبلَه مِن السَّيئاتِ .. فيتحوَّلُون مِن جندٍ في سبيلِ الطَّاغُوتِ، إلى جُنْدٍ في سَبيلِ اللهِ، [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]آل عمران: 128. أو يُعَذِّبَهم لبقَائِهم على الكُفرِ والظُّلمِ.

* * * * *

وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

228- [وَسَارِعُواْ]؛ بفِعْلِ الطَّاعاتِ، والإقْلاعِ عنِ المنْكَرَاتِ .. والأمْرُ بالمسَارَعَةِ؛ يُفيدُ الحركَةَ، والانطِلاَقَ، والسِّبَاقَ، والمنَافَسَةَ، واغتِنَامَ الوَقْتِ قبلَ فوَاتِه .. هذه المُسَارَعَة مُستمِرَّةٌ في انطلاقَتِها [إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. وهو الحدُّ النِّهائِي الذي عِندَه يَتوقَّفُ السِّباقُ، وتَتوقَّفُ الحركَةُ والمُسَارَعَةُ .. فتُعْرَضُ وتُعرَفُ نتائجُ المتَسابِقين والمتَسَارِعين .. نَسألُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَنا مِن المسَارِعين السَّابِقين .. وأن لا يَجعَل الدُّنيَا أكبرَ هَمِّنَا، ومَبْلَغَ عِلْمِنَا!

* * * * *

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

229- [وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. الجَنَّةُ مَقَامَاتٌ، ودَرَجَاتٌ، بَعضُها يَعلُو ويَفضُلُ بَعْضٍ؛ أُعِدَّتْ للمؤمنين المتقين؛ كُلٌّ بِحَسَبِ مَا أَعَدَّ وَقَدَّمَ مِن عَمَلٍ!

* * * * *

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

230- [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ]؛ الذين يكتمُون غضَبَهم في نُفوسِهم، ويجعلونَه حبيسَ صُدُورِهم، معَ القدرةِ على إنفَاذِه، ووجودِ دواعِي إنفاذِه .. والغيظُ؛ هو الغضَبُ الشَّديدُ، يَغلِي في الصُّدورِ، غلي القُدُورِ .. [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ]؛ عن أخطائِهم، وظُلمِهم، معَ قُدرتِهم على الانتصافِ مِنهم .. فالانتصافُ عَدلٌ .. والعَفْو إحسَانٌ .. والإحسانُ أكملُ وأعلى درَجةً مِن العدْلِ، لذلك قال الله:[وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]آل عمران:134. وفي الحديثِ:" من كَظَمَ غَيْظاً وهو قادرٌ على أن يُنفِذَهُ دَعاهُ اللهُ ﷻ على رُؤوسِ الخلَائقِ يومَ القِيامَةِ حتى يُخيِّرَهُ اللهُ مِن الحُورِ مَا شَاءَ ".

* * * * *

وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

231- [أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]آل عمران:136. لم يقُلْ:" نِعْمَ أَجْرُ المُصَدِّقين "؛ كما هو مذهَبُ الجَهْمِيَّةِ، وغُلاة المرجئةِ الذين يُعَلِّقُونَ الوَعْدَ والوَعِيدَ على التَّصديقِ والتَّكذِيبِ، فمن أَتَى بالتَّصدِيقِ وحَسْب مِن غيرِ عمَلٍ؛ فهو مِن أهلِ النجاةِ والجنَّةِ .. فالآيةُ الكريمةُ تردُّ هذا الفَهْم الخاطِئَ، والمدمِّرَ لمعاني الدِّين، وتُبيِّنُ أنَّ الجزَاءَ، والأجرَ يومَ القِيامَةِ يكونُ على العمَلِ، وعلى انقيادِ الظَّاهِرِ والباطِنِ للشَّرْعِ المنزَّلِ، وليسَ على مجرَّدِ التَّصْديقِ .. فإبليسُ اللعينُ كان من المصَدِّقين، ولم يكُنْ كُفرهُ مِن جهةِ التَّكذِيب!

232- [أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]آل عمران:136. بطاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسولِه صلى الله عليه

وسلم .. فعلَّقَ الأجرَ على العمَلِ، والانقيادِ، والمتابعَةِ، وليسَ على مجرَّدِ التَّصْدِيقِ أو االإقْرَارِ مِن غيرِ عمَلٍ، كما ينصُّ على ذلك المرجئةُ!

* * * * *

وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

233- [وَلاَ تَهِنُوا]؛ لا تَضْعُفُوا في طَلَبِ وجِهَادِ العَدُو، [وَلاَ تَحْزَنُوا]؛ عَلى مَا فَاتَكُم مِن ظَفْرٍ، ومَا أَصَابَكُم مِن جِرَاحَات وآلَامٍ، [وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ]؛ الغَالِبُون باعْتِبارِ النَّتَائِجِ والمآلَاتِ، [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]آل عمران:139. حَقًّا، وأتيْتُم بالإيمانِ اعْتِقَادًا، وقَوْلًا، وعَمَلًا.

234- [وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]آل عمران:139. اللهُ تعالى غَيورٌ؛ لَا أحدَ أغيرَ مِنه سُبحانه وتعالى .. رَفيقٌ بعباده .. يغَارُ عليهم .. لا يُرْضِيه أن يَرى قلُوبَ عِبادِه المؤمنين مُنْكسرَةً حَزِينةَ لمَا أصابَهم مِن جِراحَاتٍ وآلامٍ مِن قِبَلِ الأعدَاءِ .. فيتَعطَّفُ عليهم؛ ويَتودَّدُ لهم، ويُرَضِّيهم، ويُطيِّبُ خَاطِرَهم، وقلُوبَهم، " لَا تَحْزَنُوا "؛ لا يَنبغِي لكم أن تحزَنُوا .. فأنَا لا أريدُ لكم أن تحزَنُوا، ولَا أرضَه لَكُم .. ويعِدُهم ـ ووَعْدُه الحقُّ ـ بأنَّ النصرَ، والغلَبَةَ، والدولةُ ستكونُ لهم إن كانُوا مُؤمنين، وحَقَّقُوا في أنفسِهم الإيمانَ والتَّوحِيدَ حقًّا.

* * * * *

وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء

235- [وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء]آل عمران:140. إذا أرادَ اللهُ تعالى أن يَصطفي مِن عِبادِه شُهداءَ، وأن يُكرِمَهُم بمنازِلِ الشُّهداء .. يُهيِّء لهم الأسبَابَ؛ التي تُعينهم على أن يَكونُوا مِن الشُّهدَاءِ .. وفي الحديث، عن سعد بن أبي وقاص، قال: أنَّ رَجُلًا جاءَ إلى

الصَّلاةِ ورَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصَلِّي بِنا، فقالَ حينَ انْتَهى إلى الصَّفِّ: اللَّهُمَّ آتِني أَفضَلَ ما آتَيْتَ عِبادَكَ الصَّالِحينَ، فلمَّا قَضى رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَلاتَه، قالَ:" مَن المُتَكلِّمُ آنِفًا؟ ". قالَ: أنا يَا رَسولَ اللهِ، قالَ:" إذًا يُعقَرُ جَوادُك، وتُسْتَشْهَدُ في سَبيلِ اللهِ ". وقال رجلٌ: يا رسُولَ اللهِ أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال:" أن يُعقَرَ جوادُك، ويُهرَاقَ دَمُكَ ". وقوله " يُعقَرُ جَوادُك "؛ كنايةٌ على الانغِمَاسِ في الصُّفُوفِ الأَمَاميَّةِ للقِتَال.

* * * * *

وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ

236- [وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ]آل عمران:141. بَلاءٌ واحِدٌ ينزلُ يكونُ للمؤمنين اختبَاراً، وتمحيصَاً، وتَطْهيراً لقلُوبِهم مِن الآثَامِ والذُّنُوبِ، وحتى يتمايَزَ، ويُعرفَ المؤمنُ الصابرُ المحتَسِب مِن غَيره .. وفي نفسِ الوقتِ يكونُ للكافِرِين، والمنافقِين انتقامَاً، وعذَاباً!

* * * * *

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ

237- [وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ]آل عمران:142. يُظهِرُ اللهُ علمَه بالصَّابِرِين مِن خلالِ ابتلائِهم بالتَّكاليف، وبأنواعٍ من الشَّدَائِدِ .. فمن مقتضَى الصَّبرِ وجُود البَلاءِ .. لَا يُوجَدُ صَبرٌ مِن غَيرِ بَلاءٍ .. ولَا يوجدُ صابرٌ مِن دونِ أن يُبتلَى بالشَّدائدِ .. فمن غَايَاتِ البلاءِ إظهَارُ الصَّابِرين .. والتَّعريفُ بالصَّابِرين .. واصطفاءُ الصَّابِرين.

* * * * *

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

238- [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. الإسْلامُ؛ بناءٌ شامخٌ أصْلُه ثابِتٌ، وفَرعُه في السَّماءِ .. له رَبٌّ حيٌّ قيُّومٌ لَا يموت، يَرعَاهُ، ويحفَظه .. مَاتَ أبُو البَشرِ آدَم عليه السَّلام، وبَقِي الإسْلامُ .. ومَاتَ الأنبياءُ والرُّسلُ، وبَقِي الإسلامُ .. ومَاتَ سيدُ ولَدِ آدَم محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وبَقي الإسلامُ شَامخاً .. ومَاتَ العلماءُ، والمجاهِدُون، والعُظمَاءُ، وبَقي الإسلامُ في شموخِه، وتَوسُّعِه، وتمدُّدِه، يَزدَادُ انتشَاراً .. ولَا يَزالُ اللّهُ يَغرسُ في هذا الدِّينِ غَرساً يَستعملُهم في طَاعَتِه، والجهَادِ في سَبيلِه .. كُلَّما تَرجَّلَ فارسٌ مِن فوَارِسِ الإسلامِ، عَلا جِيادَ المجدِ، والشَّرَفِ، والجهَادِ، والاستِشْهادِ فوَارِسٌ، وأبطَال .. وإلى أن يَرِثَ اللّهُ الأرضَ ومَن عليها.

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ

239- [وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً]؛ مِن ضِعافِ العَقْلِ والإيمانِ مَن تَراهُ يمنُّ على اللهِ، وعلى الإسلامِ، والمسلمين إسلامَهُ وإيمانَه .. وتَراهُ عندَ أدْنَى بَلاءٍ ينزلُ بسَاحَتِه، يُهَدِّدُ، ويتوَعَّدُ بالارتِدَادِ عنِ الدِّينِ، ظَانّاً أنه بذلك يَضرُّ اللّهَ شَيئاً، أو أن السَّماءَ ستَبكي حزَناً عليه .. أو أنَّ عجلةَ الحياةِ ستَتوقَّفُ مِن أجْلِه .. وهو في الحقِيقَةِ لا يَضرُّ إلا نفْسَهُ؛ فيَعيشُ في الدُّنيَا حيَاةَ الضَّنْكِ، والكآبَةِ، وضيقِ الصَّدْرِ، وفي الآخِرةِ عذَابَ جَهَنم وبئسَ المصِير، [وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. الذين

يلتزمُون الرِّضَا والشُّكْرَ عند نزُولِ البَلاءِ والمحَنِ بهم .. فهؤلاء سيَجزيهُم اللهُ تعالى في الدُّنيا حيَاةً طيبةً مُباركَةً .. ويَزيدُهم ثبَاتاً على الحقِّ .. وفي الآخِرَةِ يُدخِلَهم جَنَّتَه.

* * * * *

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

240- [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]آل عمران:144. لم يُعرَفْ أن اللهَ تعالى حذَّرَ أمَّةً من الارتدادِ عن الدِّين والإيمان بسببِ وفاةِ نبيٍّ من الأنبياءِ، إلَّا أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ اسمَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وسيرتَه العطرةِ، وأخلاقَه العظيمة ملأت القلُوبَ قبل أن تملأَ الآفاقَ .. لَا تُوجد مصيبةٌ على المؤمنين ـ وإلى قيامِ السَّاعةِ ـ أعظم من مصيبةِ وفَاةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. فكلُّ مصيبةٍ تهونُ أمامَ مصيبة وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .. فخبرُ وفاته ليسَ أمرَاً هيناً على نفوسِ المؤمنين .. ولشدَّة حُبِّ المؤمنين لنبيِّهم محمد صلى الله عليه وسلم ـ في زمانِه وعلى مرِّ الأزمانِ ـ وتوقيرِهم له، وتعلُّقهم به، خُشِي عليهم أن يُفتَنوا في دينهم بعد مَوته، فَلا يُصدِّقون أنه قد مَاتَ، وأنه قد رجعَ إلى ربِّه .. وحتى لا يَظنَّ ظانٌّ أن دعوةَ الإسلامِ مرهونةٌ بحياةِ إنسانٍ أو قائدٍ مهمَا عظم وعَلا قدْرُه، فإذا ماتَ ماتَت معه دعوةُ الحقِّ والإسلام .. فدعوةُ اللهِ حيةٌ تتوارثها الأجيالُ جيلاً بعدَ جيلٍ إلى يومِ القيامةِ لا تموتُ بموتِ أحدٍ من الناسِ .. وحتى لا يظنَّ ظانٌّ أن الالتزامَ بتعاليمِ الإسلامِ مرتهن بوجودِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على قيدِ الحياةِ .. فإذا ماتَ لم يعدْ يلزمهم شيءٌ من تعاليمِ الإسلام .. فيرتدُّوا على أعقابهم كافرِين .. لأجلِ هذا وذاك .. ولكي لا يحصلُ شيءٌ من

ذلك أوحى الله تعالى إلى نبيه:[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]. ومع ذلك لَمَّا ماتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم .. لهولِ وشدَّةِ الموقفِ، لم يكن يجرؤ أحدٌ من المسلمين ابتداءً أن يقولَ: أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد مَاتَ .. وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ـ وهو هو ـ يقول: واللَّهِ ما مَاتَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .. وتوعَّد كل من يقول أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات .. وسكَتَ الناس .. لم يجرؤ أحدٌ أن يقولَ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد ماتَ .. إلى أن وقفَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ سيدُ الرجالِ والشَّاكرين بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فصعدَ المنبر، وقد أشارَ إلى عمر بن الخطاب قائلاً، وبكل ثبات ويقين:" أيُّها الحَالِفُ، علَى رِسْلِكَ ـ أي توقف واسكُتْ ـ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أبو بَكْرٍ وأَثْنَى عليه، وقَالَ: ألا مَن كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فإنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ "، ثم تلَى قوله تعالى:[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلكأَنِّي لم أقرأها إلا يومئذٍ .. ورجعَ عن مقالَتِه.

* * * * *

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً

241- [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً]آل عمران:145.

أنتَ يا ابنَ آدم عبدٌ مملوكٌ لله، حياتُك وموتُك بيدِ الله .. وليس بيدِ أحدٍ غير الله .. لو اجتمعَت عليك أسبابُ الموتِ كلها؛ فلن تموتَ إلا بإذنِ اللهِ، وفي الوقتِ والمكانِ

المحدَّدَين، والمكتوبَين، لَا يتقدَّمُ أجلُك ولا يتأخَّر عن المكتُوبِ في الكتابِ دقيقةً واحدَةً .. وفي المقابلِ أيضاً لو اجتمعَت جميعُ أسبَابِ الأمْنِ والأمَانِ، والرَّخَاءِ، وكنتَ في بروجٍ مشيَّدَةٍ، ثم جاءَ أجلُك المكتُوب، فلن يتأَخَّر أجلُك ولن يتقدَّم دقيقةً واحدة .. وذلك أن الموتَ والحياةَ كلاهمَا بإذنِ الله .. وبيدِ اللهِ .. لن يكونَ منهما شيءٌ إلا بإذنِ الله .. وإذا كانَ الأمرُ كذلك عِشْ حياتَك كما يريدك اللهُ أن تعيشَ، لا تخشَ في اللهِ لومَة لائمٍ ...!

242- [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً]آل عمران:145.

لَا يجوزُ لك أن تقتلَ نفْسَكَ بنفْسِكَ، أو أن تُعرِّضها للضرَرِ والهلَكَةِ، مهمَا كانَت بواعثُك، مِن دُونِ أن تَستأذنَ اللهَ، فأنتَ لَا تملكُ نفسكَ لكي تتصرَّف بها كيفَمَا تَشَاء .. وإذَا ما أرَدْتَ أن تقدمَ على عملٍ قد يترتَّبُ عليه وفاتك، أو بعض الضرَرِ، لا بدَّ لك أولاً من أن تَستأذنَ اللهَ المالكَ الحقِيقي لنفسِك، ولروحِك .. هل يأذن لك أن تُقدم على هذا العملِ الذي قد يتسبَّب لك بالخطَرِ أو الموتِ، أو بعض الجراحَات؛ كالجهادِ في سبيلِ اللهِ دِفَاعاً عن الدِّينِ، وعن العِرْضِ، والأرضِ، والمالِ، والحقُوقِ، والمظالِمِ .. ودَفْعِ البَغي والعُدْوان .. فالجهادُ لا يكونُ مَشروعاً إلا بشرطَين: أن يكون مأذُوناً به من قِبَل اللهِ .. وأن يكونَ خالِصاً لله.

* * * * *

وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

243- [وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ]آل عمران:146. الصَّابرون على الأمْرِ، والصَّابرون عَنِ النَّهي، والصَّابرون عَلى البَلاءِ.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

244- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ]آل عمران:149. محاولاتُ الكفَّارِ الأمْس، واليوم، وغداً، وإلى يومِ القيامَةِ .. في أطْرِ، وحمْلِ المسلمين على الارتدَادِ والكُفْرِ .. لَا، ولم، ولَن نَتوقَّف .. فهي مستمرَّةٌ استمرارَ الصِّراعِ والتَّدَافُعِ بين الحقِّ والباطِلِ على هذهِ الأرض .. وبأَسَاليب - وتحت عناوين - شتَّى؛ بعضُها يخضعُ للتَّرهِيبِ، وبعضُها الآخَر يخضعُ للترغِيب .. ومَن لا يأتي معَهُم إلى دينِهم دَفعةً واحدةً - قد يكونُ هذا الدِّينُ هي العلمانيَّةُ ذاتها - يَرضَون منه أن يأتي معَهم إلى دينِهم الباطِلِ خُطوةً، خُطوةً .. وأن يرَوا منه طاعَةً وخضُوعاً لما يملُونه عليه، ولو بشَكلٍ تدْرِيجي .. إلى أن يَسْلخُوه من دِينِه الإسلام، ويَنقَلِبَ على أعقَابِه كافِراً مثلهم، فيَخسَر دِينَه، وآخِرَته .. فحِينئذٍ وحَسْب .. يُرحِّبُون به، ويثنُون عليه المدائحَ، ويُصبحَ من المقرَّبين لهم .. ويُقدِّمُونه في المحافِل، والوظَائِف!

* * * * *

مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا

245- [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا]؛ تَقتَصِرُ همَّتُه وإرادَتُه على طلَبِ الدُّنيا، والتَّكَثُّرِ من متَاعِها، وزِينَتِها .. وهؤلاء هم الخاسِرُون، [وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ]آل عمران:152. يُرِيدُ اللهَ، ورِضَاه، وجَنَّتَه .. ويَسْعَى لذلك سَعياً حَثِيثاً .. وهؤلاءِ هم الفَائِزُون.

246- [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ]آل عمران:152. مِنكُم مَّن يُرِيدُ، ويَتحرَّى المجَالِسَ التي لا يُذكَرُ فِيها إلَّا الدُّنيا، وزِينَتها، وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ويَتحرَّى المجَالِسَ التي تُذكَر فِيها الآخِرَة، ومَا ينفعُه في الآخِرَة .. ومِنكُم مَّن يُرِيدُ الصَّاحِبَ الذي يُذَكِّرُه بالدُّنْيَا، وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الصَّاحِبَ الذي يُذَكِّرُه بالآخِرَة!

247- [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا]؛ كُلُّ إرَادَةٍ تَشَدُّك للدُّنيَا، [وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ]آل عمران:152. كُلُّ إرادَةٍ تَشُدُّك للآخِرَة!

* * * * *

وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

248- [وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ] ؛ ما في قُلُوبِكُم مِن نِيَّةٍ. [وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ]آل عمران:154. لِيَمِيزَ المؤمنُ مِن المنَافِقِ، ويُعْرَف الصَّادِقُ مِن الكَاذِبِ.

* * * * *

لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

249- [لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ]آل عمران:157. لمن شغَلَه التكاثُرُ، وتجميعُ الأموالِ وتخزينُها .. عن ذِكْرِ اللهِ، وعَن عبادَتِه .. قَد شُغِلْتَ بالأدْنَى عن الأعْلَى .. وبالقليلِ عن الكثيرِ .. وبالمفضولِ عن الفاضِلِ .. وبالمرجُوح عن الرَّاجح .. وبالزائلِ عن الدَّائمِ .. وبالوسيلةِ عن الغايَةِ .. وبالدُّنيا ومتاعِها عن الجنَّةِ ونعيمِها.

* * * * *

وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ

250- [وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ]آل عمران:159. فيه تَوجيهٌ وتَنبيهٌ لدُعاةِ الحَقِّ، أن لا يُراهِنُوا على قوَّةِ الحَقِّ الذي هم عليه مِن دُونِ أن يُحافِظُوا على حُسنِ الخُلُق .. ومِن دُونِ أن يَتحلَّوا بحسْنِ الخُلُق .. فيقُولُون: نحنُ على حَقٍّ .. ومَعَنا الدَّليل .. وعلى الناسِ اتِّباعُنَا، لأنَّنا على حَقٍّ .. مهمَا كُنَّا غِلاظاً فظَاظاً سَيِّئِ الأخْلاقِ .. لَا .. لا يكفِي في الدَّعَواتِ الجادَّةِ أن تكون على حقٍّ مِن دونِ المحافظَةِ على

حُسْنِ الخُلُق .. ومن دون أن تَتَزينَ بحُسْنِ الخُلُقِ .. فما يَأتي به الحَقُّ، يُنفِّره ويُبعِده سُوءُ الخُلُق .. ومَا يَبنيه الحَقُّ، يُبْطِلُه ويُفْسِدُه سُوءُ الخُلُق!

مِن أهمِّ عوامِلِ نجاحِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ في عهدِ النُّبوَّةِ، وما بَعْدَه .. ودُخُول النَّاسِ في دينِ اللهِ أفواجاً .. أنَّ النبيَّ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم كانَ أعظَمَ النَّاسِ وأحسَنَهم خُلُقاً .. يكفيه مَجْدَاً وشَرفاً وسُمواً ثَناءُ رَبِّ العَالمين على أخْلاقِه العَظِيمَة:[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. وأخلاقُ النَّبي صلى الله عليه وسلم المجيدَةِ العَظِيمَةِ، كانَت، ولَا تَزَالُ ـ وإلى قيَامِ السَّاعَةِ ـ سَبباً رَئيسيَّاً في دُخُولِ النَّاسِ في الإسْلامِ.

* * * * *

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ

251- [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ]آل عمران:159. هذا أمرُ اللهِ لنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم المسدَّدِ بالوَحْي، بأن يشاورَ أصحَابَه؛ ليسنَّ لهم، وللمسلمين مِن بعدِهم، مبدأَ الشُّورَى، لما في الشورَةِ من استخْلاصٍ لأفضلِ وأصْوَبِ الآرَاءِ .. بها تَطِيبُ النفوسُ والخواطِرُ، وتتخلَّصُ مِن طُغيانِ الاستبدادِ، وحُبِّ التفرُّدِ، والتَّسلُّطِ بالجَّبرُوت .. وتَتحقَّقُ المشاركَةِ في المسؤوليَّةِ واتخاذِ القرَاراتِ الهامَّةِ .. فَمَن دُون النبيِّ صلى الله عليه وسلم أوْلَى بأن يأخذَ بمبدأ الشُّورى، ويُشاورَ أهلَ المشورَةِ مِن ذَوي العِلمِ، والدِّرايَةِ، والاختصاصِ .. ثم أن الأمرَ الإلهي لم يحدِّدْ الأمرَ الذي يَنبغي أن يخضعَ للشورَةِ؛ ليُفهمَ منه مُطلق الأمْرِ، وفي أيِّ أمرٍ ومجَالٍ من مجالاتِ الحياةِ، وعلى جميعِ المستوياتِ الخَاصَّةِ والعامَّةِ ـ إلَّا الأمر الذي فيه نصٌّ من الكتَابِ والسُّنَّةِ ـ لتُصبحَ الشورَى ثقافَةَ الجميع .. وعقيدةَ الجميع .. ونظامَ حياةٍ للجميع؛ يَشملُ جميعَ أنشِطَتِهم الاجتمَاعيَّةِ، والاقتصَادِيَّةِ، والسياسِيَّة.

252- [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ]آل عمران:159. فيه أن المرءَ مَهمَا أُوتي مِن العِلمِ، والفَهمِ، ورجاحَةِ العَقْلِ .. لا ينبغي له أن يَستَعْلي على المشُورَةِ، وينفَرِدَ في اتخاذِ القَراراتِ في كلِّ شيءٍ .. فهو بحاجةٍ إلى المشُورَةِ، وإلى أن يَستشيرَ غيرَه مِن ذَوي الاختِصاصِ، والفَهم، والعِلْم .. وإلى أن يُصغي إلى مشورَتِهم.

* * * * *

إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ

253- [إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ]؛ لو اجتمعَت قوَى الأرضِ كُلِّها على أن يهزمُوكم ويغلبوكُم ـ ما دامَ اللّهُ معكم، وناصِراً لكُم ـ لَن يَقدرُوا على ذلك، [وَإِن يَخْذُلْكُمْ]؛ يتخلَّى عنكم، ويتركُكم، لسَببٍ مِن عندِ أنفُسِكم، [فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ]؛ أي مِن بعدِ أن خذلَكم اللّهُ مَن هَذا الذي يَستطيعُ أن ينصرَكُم، مِن دونِه؟! الجواب: لا أحَدَ يَستطيعُ نَصرَكم، ولو اجتمعَت قوى الأرضِ كلها على أن ينصروكُم لما استَطَاعُوا، [وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ]آل عمران:160. وهذا يَستدعِي مِنكم ـ أيها المؤمنون ـ أن تَثقُوا باللّهِ وبنَصرِه، ووعدِه، وتعتمدُوا عليه، وأن لا تعلِّقُوا قلوبَكم بغيرِه.

* * * * *

لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً

254- [لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً]؛ مِن أعظمِ مِنَنِ ونِعَمِ اللّهِ تعالى ـ التي تستوجبُ جزيلَ وعظيمَ الشُّكرِ ـ أن بعثَ اللّهُ محمَّداً صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالَمين .. تَصوَّروا الدُّنيا من غيرِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم كم سيكونُ حجمُ الظَّلامِ، والظُّلمِ، والضَّياعِ، والضَّلالِ ..؟! الحمدُ لله حمداً كَثيراً طيباً مُباركاً فيه أن أرسَلَ إلينا محمَّداً صلى الله عليه وسلم مُعلِّماً، وهَادِياً، وبَشيراً، ونَذيراً، [مِّنْ أَنفُسِهِمْ]؛ لم يكُن أعجمياً عليهم،

بل كان مِنهم؛ قُرشياً عربيّاً يَفهمُون عنه، ويَفْهم عنهم .. وهذه نعمةٌ عظيمَةٌ؛ إذ لو كان أعجميّاً لوجب عليهم أن يتعلَّموا لغتَه، ويَفهمُوا عنه، [يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ]؛ آياتِ القُرآنِ الكريم، ليتأمَّلُوها، ويتدبَّرُوها، ويتَفكَّرُوا بالإعجازِ فِيها، ويعملُوا بها، [وَيُزَكِّيهِمْ]؛ يُطهرهُم مِن الشِّركِ، والذُّنُوبِ، والآثَام .. ويخرجُهم مِن ظُلماتِ الشركِ والجهلِ إلى نُورِ التَّوحِيدِ والعِلمِ .. ومن الرقِّ والعبوديَّةِ للعبيدِ، إلى الانعتاقِ وعبادَةِ ربِّ العالمين .. ومِن جَوْرِ الأديانِ إلى عَدْلِ ورحمةِ الإسلامِ، [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ]؛ الأحكامَ والتَّعاليمَ الوارِدَة في القُرآنِ الكريم، [وَالْحِكْمَةَ]؛ والأحكامَ والتَّعاليمَ الوارِدة في السُّنَّةِ؛ وهي كلُّ قولٍ أو فِعلٍ، أو تقريرٍ صَادِرٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا يَصدرُ عنه إلا حَقّاً، [وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ]؛ قبلَ بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ]آل عمران:164. ومن ضَلالِهم أنَّهم كانُوا يَصْنَعُون آلهتَهم بأيدِيهم، فإذَا جَاعُوا أكلُوهَا ...!!

* * * * *

قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ

255- [قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا]؛ مِن أينَ جاءَنا هذا البَلاءُ، وهذا المُصَابُ، وهذا الشَّقَاءُ، والضَّنكُ في العَيْشِ .. وحَيثُما تلتَفِتُ تجدُ الفسَادَ، والظلمَ، والخرَابَ .. وجوابُ كُلِّ هذا؟ [قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ]آل عمران:165. بسبَبٍ مِن عِندِ أنفُسِكُم الأمَّارَةِ بالسُّوءِ .. بسَبَبِ مَا كسَبَت أيديكُم مِن الظُّلمِ، والبَغْيِ، والفَسَادِ في الأرضِ .. ولا تَلُومُوا إلا أنفُسَكُم!

* * * * *

الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا

256- [الَّذِينَ قَالُواْ]؛ القَائلُ هم المنافقُون المرجفُون .. وهم عند كلِّ معركةٍ بين الحقِّ والباطلِ - وفي كلِّ زَمانٍ - يقولُون هذا القول:[لإِخْوَانِهِمْ]؛ من عوائلِهم، وقبائلِهم، وأحزابِهم، [وَقَعَدُواْ]؛ ومن صفاتِ هؤلاء المنافقين المرجفين القائلين هذا القول أنهم يَقعدُون ويتخلَّفُون عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ، [لَوْ أَطَاعُونَا]؛ في تركِ الجهادِ في سبيلِ الله، وقعدُوا مثلنا معَ عوائلِهم، وفي بيوتِهم، ولم يخرجُوا معَ الخارجِين في سبيلِ اللهِ، [مَا قُتِلُوا]؛ ما ماتُوا في سَاحاتِ القِتالِ والجهاد، [قُلْ]؛ لهؤلاء المنافِقِين المرجفِين، [فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]آل عمران:168. فالموتُ سيصيبُكم أينما كنتم، ولو كُنتم في بيوتِكم، وفي بروجٍ مُشيَّدة .. فادفَعوه عن أنفسِكم إن كنتم قادِرين، وصَادقِين فِيما تقُولُون .. ثم شتَّان بينَ مَن يموتُ في ساحاتِ العِزَّةِ مُقبلاً غير مُدْبرٍ في سَبيلِ اللهِ، وبينَ مَن يموتُ مُدبراً، قاعِداً، ومتخلِّفاً عن واجبِ الجهادِ في سبيلِ الله.

257- [الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا]؛ مَا مِن مَعركةٍ بين الحقِّ والباطِلِ، وفي كلِّ زمَانٍ، ومَكَانٍ .. إلَّا ويوجَدُ فريقٌ مِن المنافقِين، والمرجِفين؛ يقُولُون لمن خرَجُوا للجهَادِ في سَبيلِ اللهِ - يَذودُون عن الأوطانِ، والحقُوقِ، والحرُمَات، فأكرمَهُم اللهُ تعالى بالشهادَةِ - لو أطاعُونا في تَركِ الجِهَادِ والقِتَال، وقَعَدُوا في البيوتِ معَ القاعِدين لمَا قُتِلُوا، ولمَا أُصِيبُوا، ولكانُوا أحيَاءً بيننَا، وبينَ أبنَائِهم، وعوَائِلِهم، ولا تَعرَّضْنَا بسَبَبِهم للضَّرَرِ، [قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]آل عمران:168. فالموتُ الذي تَفرُّونَ وتُحَذِّرُونَ منه، سيُصِيبُ الجميعَ؛ لَا يَستثني أحَدَاً، وكلٌّ في أجَلِهِ المحَدَّدِ؛ مَن خرجَ للقتَالِ في سَبيلِ اللهِ؛ يَذُودُ عن الحقُوقِ، والحرُمَاتِ، ويَردُّ عُدوانَ المعتَدِين .. ومَن كان قد قعَد في البيوتِ معَ القَاعِدِين، ولو كان في بُروجٍ مُشيَّدَةٍ .. لكن

شَتَّانَ بين الميتَتَين؛ بينَ مَن يموتُ شهيداً في سبيلِ اللهِ، وبين مَن يموتُ في مِيتَاتٍ أُخْرَى، ولأسبَابٍ أُخْرَى؟!

* * * * *

حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

258- [حَسْبُنَا اللهُ]؛ كافِينَا اللهُ كُلَّ شَرٍّ، وخَطَرٍ .. وكُلَّ ضِيقٍ، وعُسْرٍ .. وكَلَّ كَرْبٍ، وهَمٍّ .. وظُلمَ الظَّالمين .. كِفَايَةً تَامَّةً لا تحوجُنَا إلى غَيرِه، [وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]آل عمران:173فهو أحسن وخَيرُ مَن نفوِّضُ إليه أمْرَنَا، ونَرفَعُ إليه شَكْوَانا، ونتوَكَّلُ عليه.

259- [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]آل عمران:173. في دَفْعِ كُلِّ شَرٍّ، وجَلْبِ كُلِّ خَيْرٍ.

260- [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ]؛ تَعْنِي أنَّ قَضِيَّتَكَ قَد رُفِعَت إلى خالِقِ الخلْقِ، ومالِكِ المُلْكِ، لِمَن إذا قالَ لشيءٍ كُنْ فيكُون.

* * * * *

وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ

261- [وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]آل عمران:176. كما نُسَر ـ تبَعاً لنبينا صلى الله عليه وسلم الذي بُعِثَ رحمةً للعالمين ـ لهدايةِ الناسِ، وإنقاذِهم مِن النارِ .. لا ينبَغي أن نحزنَ إن رأينا منافقاً يُسارِعُ في اختيارِ الكُفرِ، والولوجِ فِيه، ويُصرُّ عليه، وبخاصَّة بعد أن قمنا بواجبِ البيانِ والنُّصح له .. وقامت عليه الحجَّةُ البالِغَةُ .. وقوله:[يُسَارِعُونَ]؛ فيه دلالةٌ على الخفَّةِ وعدمِ التريثِ والتأملِ والتَّفكرِ بالعواقِبِ، والمآلاتِ، وأنَّهم لا يأبَهون لنداءِ الحقِّ، ولا يُبالون .. فالإسراعُ يُحيلُ بينهم وبين ذلك .. وهؤلاء

يُعاقَبون مِن جِنسِ فعلِهم؛ كذلك أنتَ يا محمد صلى الله عليه وسلم ومَن معَك من المؤمنين لا تَأبَهوا لإسراعِهم في الكفرِ، ولا تحزَنُوا، [إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً]؛ نكرة بعدَ نفيٍ تفيدُ العُموم؛ أيُّ شيءٍ مهما كان ضَئيلاً فلن يَضرُّوه، كذلك لو آمنُوا وكانوا على أتقَى قلبِ رَجُلٍ؛ فلن ينفعوا اللهَ شيئاً .. فاللهُ تعالى غنيٌّ عن خلقِه أجمعين .. كما في الحديث القُدسي:" إنكم لن تبلُغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغُوا نفْعِي فتنفعُوني "مسلم. وإنما الضَّررُ يرتدُّ عليهم وحسْب، [يُرِيدُ اللّهُ]؛ لاختيارِهم الكفرَ، وإسراعِهم فِيه، [أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ]؛ نصيباً من الخيرِ والإيمانِ ينتفعون به في الآخِرةِ، [وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]؛ عذابٌ أليمٌ في نارِ جهنم، وبئسَ المصِير.

262- [وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ]؛ كُلَّمَا سمعُوا صَيحةً للكُفْرِ أَسْرعُوا إليها، ودَخَلُوا فِيها، وكثَّرُوا سوَادَها، ونَصرُوا أهلَهَا، وفَرِحُوا بها، [إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً]؛ وهم لجهْلِهم يَظنُّون أنَّهم في صَنيعِهم هذا يَضرُّون اللهَ شَيئاً .. فلَا يَعلمُون أنَّ أهلَ الأرضِ قاطِبَة؛ أوَّلهم وآخِرهم لو كانُوا على أكفَرِ وأفجرِ قَلبِ رجُلٍ، لَا، ولَن يَضرُّوا اللهَ شيئاً، ولو كانُوا على أتقَى قَلْبِ رَجُلٍ، لَا، ولَن يَنفعُوا اللهَ شَيئاً، فاللهُ تعالى غنيٌّ عن كلِّ ما سِوَاه، ومَا سِواه فَقيرٌ إليه، [يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]آل عمران:176. يريدُ اللهِ تعَالى ـ لسوءِ صنِيعِهم هذا ـ أن يموتُوا على الكُفْرِ والشِّرْكِ، مِن غيرِ تَوبةٍ؛ لكي لَا تُدركهم الرحمةُ يومَ القِيامَةِ، ويكُونُ لهم عذابٌ أليم في نارِ جهنم.

* * * * *

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً

263- [وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ]؛ نؤخِّرُ في أعمارِهم وآجالِهم، [خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ]؛ لا يَظنَّ أن هذا التأخيرَ خيرٌ لهم، أو هو علامَةٌ على رِضا الرحمن عنهم .. لَا؛ [إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً]؛ إنما يُطيلُ اللهُ أعمارَهم استدراجاً، وليزدادُوا إثماً وكُفراً، وحَسماً لأعذارِهم، وحتى لا يقولُوا يومَ القيامةِ لم نَأخُذ وقتنا الكافي للتفكيرِ ونحنُ في حياتِنا الدُّنيا .. وقد وُجدَ من الكافرين مَن يُزيدُ اللهُ بعمرِه عن المائةِ سَنةٍ؛ حتى إذا جاء أجَلُه ـ الذي لا يتأخّرُ ولا يتقدَّمُ دقيقةً واحدةً ـ طلبَ أن يُؤخَّر يوماً أو ساعاتٍ، ليستدْرِكَ ما قد فاتَ، وأنَّى .. وقَد أعطاهُ اللهُ قبلَ ذلك أكثرَ مِن مائةِ سَنَةٍ، [وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ]آل عمران:178. وهؤلاء لهم عَذابٌ أليمٌ ومُذِل.

في بعضِ الإحصائيات لإحدَى الدول الغربيَّةِ، تقول: يُوجد عشرةُ ملايين نَسَمَة ممن زادَت أعمارُهم عن المائةِ سنةٍ .. فأدِلَّةُ الواقعِ تصدِّقُ أدلَّةَ التَّنزيل!

* * * * *

حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

264- [مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ]؛ لو كان أمرُ الإيمانِ يَقتصرُ على مجرَّدِ الزَّعمِ والإدِّعاءِ، لهانَ الأمرُ على المنافقين، ولادَّعَى مَن شَاءَ الإيمانَ، وزعَمَ أنه مِن المؤمنين .. ولاندَسَّ المنافقُون في صفُوفِ المؤمنين .. واختلَطَ الصَّالحُ بالطَّالحِ، والحقُّ بالباطِلِ .. لكن تأبَى مَشيئةُ اللهِ تعالى وحكمتُهُ إلا أن تمايزَ الصفُوفُ، والنُّفُوس؛ فيَميزَ المؤمنين عن المنافقين .. والصَّادقين عن الكاذبين .. والصالحين عن الطَّالحين .. وهذا لا يتمُّ إلا بالاختبَارَاتِ والابتلاءَات .. والتي مِنها الجهادُ في سبيلِ اللهِ .. التي تُمايزُ بينَ الصُّفُوفِ .. وبها يُعرفُ المؤمنُ من المنافقِ .. والصابرُ

المحتسِبُ مِن المتسخّطِ المعترِض .. والصادقُ من الكاذِبِ في دعوَى وزَعْمِ الإيمان، [وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ]آل عمران:179. فيجعَلكُم تَعرفُون ما في نفُوسِ وقلوبِ المنافقِين .. فهذا غيبٌ .. ليسَ لكم .. ولَا لأحَدٍ من خَلْقِ اللهِ .. وإنما علمُه للهِ تَعالى وحدَه .. لِذا كان لا بدَّ من الاختباراتِ والابتلاءات التي تَكشفُ المنافقِينَ للمؤمنين، وتَفضحُ نفاقَهم .. وهذه غايةٌ من جملةِ الغايَاتِ العَديدَةِ للابتلاءِ، ولتَقديرِ البَلاءِ.

* * * * *

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ

265- [كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ]؛ قانونٌ عامٌّ لا يَستثني أحداً من الخلْقِ .. يتَساوَى فيه الجميعُ؛ الشريفُ والوضِيعُ، والغنيُّ والفقيرُ، والحاكمُ والمحكوم .. قانونٌ يتربَّص بالجميعِ، عنده تُقبضُ الأرواحُ، وتُهدَمُ اللَّذَّاتُ، وتتوقفُ الأعمالُ والمشاريعُ، ويُرفعُ التَّكليفُ .. ويُتركُ كلُّ ما في اليدِ للآخَرين .. لا فرصةَ للعَملِ بعدَ اليوم .. فمن عملَ عَملاً صالحاً هانَ عليه الموتُ، وما بعدَ الموتِ، ووجَدَ للموتِ طعماً حُلواً، ومَن عملَ عملاً طالحاً سيئاً، وغَلبَت سيئاتُه حسناتِه، صَعُبَ عليه الموتُ، وما بعدَه كان أصعب عليه، ووجَد للموتِ طَعماً مُرَّاً علقَماً، وهو ما يُفيدُه معنى " التَّذوّق "، [وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ]؛ كامِلَ [أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ على ما قدمتم في حياتِكم الدُّنيا مِن عملٍ؛ إن كان خَيراً فخير، وإن كان شَرَّاً، فشر، [فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ]؛ نُحِّي وأُبعِدَ عن نارِ جهنمَ بسببِ ما قدَّم مِن طاعاتٍ وعملٍ صالحٍ .. حيثُ يأذنُ اللهُ تعالى للطَّاعاتِ يومئذٍ أن تَستشرفَ، وأن تَتشفَّعَ، وتعملَ على دفعِ وزَحزحةِ صاحبِها عن النارِ، وإبعادِه عنها، كما في الحديث:" مَن صَامَ يَوْماً في سَبيلِ اللهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً "متفق عليه. أي سبعينَ سنَةً، وقال صلى الله عليه وسلم:" فَمَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ،

فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ "مسلم. [وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ]؛ فازَ فوزاً عظيماً بالجَنَّةِ ونعيمِها الدائمِ أَبَداً، جنَّةٌ فيها ما تَلَذُّ الأعينُ وتَشتهي الأنفسُ .. فيها مالا عينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشرٍ .. مفهومُ المخالفةِ والمقَابَلةِ أن من يُبعَد عن الجَنَّةِ، ويدخل نارَ جهنمَ فقد خسرَ خُسراناً عظيماً، [وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ]آل عمران:185. متاعٌ منقطعٌ غَرَّارٌ، يُغري ويَغشُّ، كأيِّ متاعٍ؛ سريعُ الذُّبولِ، والأفُول، والزَّوالِ، والانتقالِ إلى الغيرِ .. لا يغترُّ به إلا جاهلٌ؛ لا يَنظرُ إلى ما هو أبعد من أنفه، ويومه .. وما كان كذلك كيفَ يصدك ويشغلُك يا ابنَ آدَم عن الحقائقِ الكُبرَى الخالِدَةِ التي تتربَّصُ بك بعدَ الموتِ؟!

266- [فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ]آل عمران:185. ولَا يَتزَحزَحُ عن النارِ، ويَدخلُ الجنَّةَ، إلَّا مَن ماتَ على التَّوحِيدِ، لا يُشرِك باللهِ شيئاً .. بَلاغٌ مِن اللهِ، ورسولِه صلى الله عليه وسلم للناسِ جميعاً.

* * * * *

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

267- [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ]؛ في جميعِ أحوالِهم، وجميعِ أوقاتِهم، وعلى أيِّ وضْعيَّةٍ كانوا .. فهم في ذِكْرٍ، وطاعةٍ، وعِبادةٍ لله .. لَا يُوجدُ حائِلٌ أو مانعٌ يمنعهم مِن ذِكْرِ اللهِ، والتواصُلِ مع اللهِ .. فهم في ذِكْرٍ دائمٍ للهِ؛ وهذه صفَةُ المؤمنين العارِفين بالله، [وَيَتَفَكَّرُونَ]؛ يُعمِلُون عقُولَهم، في التفكّرِ والتدبُّرِ [فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ ومَا فِيهِمَا مِن آياتٍ باهِراتٍ، تَدلُّ على عظَمةِ الخالِقِ، وعلى قدرَتِه، وأنه تعالى هو المعبودُ بحقٍّ .. فيستدلُّون بعظمَةِ المخلُوقِ وجمالِه على عظَمَةِ الخالقِ، وجمالِه، ووحدانيَّتِه، [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً]؛ هذه نتيجةُ التَّأمُّل والتفكُّرِ .. فلمْ يكُنْ

تفكيرُهم ـ على طريقةِ الكافِرين ـ باهتاً سلبيّاً ينتهي ويَقفُ عند الصورةِ وجمالها وحَسْب .. بل هم يَتعَدُّون في النَّظَرِ، فيستدلُّونَ بعظمةِ الصُّورةِ على عظَمَةِ، وحكمَةِ المصوّر، وعلى قدرتِه، وأنَّه تعَالى مَا خَلقَ السماواتِ والأرضَ ومَا فِيهما عَبَثاً، ولغيرِ غايَةٍ، [سُبْحَانَكَ]؛ تَنزيهٌ للخالِقِ عن العَبثِ، وعن كلِّ صِفةِ نَقْصٍ، [فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]آل عمران:191. أجِرْنَا مِن عذَابِ جهنم يومَ نَؤُولُ إليك يومَ الحِسَاب.

* * * * *

وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ

268- [وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ]؛ السَّفيهُ هنا؛ هو المبذّرُ والمسرفُ؛ الذي لا يُحسنُ التدبيرَ، ولا التَّقديرَ، ولا يكترِثُ لمآلاتِ سلوكِه وإسرافِه، وتَبذيرِه .. ومهمَا أُوتِي من المالِ سرعان مَا يُهلِكُه في سبيلِ نزواتِه، وشَهواتِه .. وعلى المحرَّمات .. وفي دروبٍ يَقلُّ نفعُها .. لا يَعرفُ قَدْراً لقيمةِ نِعمَةِ المالِ .. فهذا ينَبغي أن يُحْجَرَ عنه المالُ؛ إلى أن يُلتمَسَ منه الرشدُ والاستقامَةُ، وحسنُ تقديرِه لنعمةِ المالِ، [الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً]؛ المالُ الذي ملَّككُم اللهُ إيَّاه، واستأمنَكُم عليه، وجعلَ معاشَكُم مُرتبطاً وقائماً به .. فالمالُ على الحقيقةِ هو للهِ، ومِن اللهِ .. فكما لا يجوزُ أن تكتسبُوه مِن المواضعِ المحرَّمَةِ التي نَهى اللهُ عنها .. كذلك لا يجوزُ أن تَضعُوه في غيرِ المواضعِ التي شرَعَها اللهُ لكم، وأذِن لكم فِيها .. والله تعالى لا يَأذنُ لكم أن تُعطُوا السفهاءَ أموالكم التي ملَّككم اللهُ إيَّاها، [وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ]؛ فالحَجْرُ ليسَ على إطْلاقِه .. مَا تَقدَّم لا يمنعُ أن تُنفِقُوا على السُّفهاءِ الضُّعفاءِ بالمعرُوفِ، وبالقَدْرِ الذي تَستمرُّ به حياتُهم بطريقةٍ عزيزةٍ كريمةٍ مِن غيرِ تَقْتيرٍ ولا إسْرَافٍ، [وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً]النساء:5. وهو الجانبُ الأهمُّ في عمليةِ الإمساكِ والإنفَاقِ؛ القولُ الحَسنُ، والرفيقُ، والجميلُ، الذي يُطيِّبُ النفوسَ والخواطِرَ، مِن غيرِ مَنٍّ ولا أذَى .. فمعروفُ الإنفاقِ مهما كان عَظيماً إن لم يُتابَع بمعرُوفِ القولِ .. يبطُلُ أجرُه عِندَ الله.

* * * * *

لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً

269- [آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً]النساء:11. مِن الناسِ من يتجاوزُ أحكامَ الإرثِ .. فيُوصِي لورثتِه وهو حيٌّ يُرزَق .. ويَحيفُ في الوصيَّةِ،

فيَميلُ لشخْصٍ من الورثةِ أكثرَ مِن شخصٍ .. ظناً مِنه أنَّ هذا الشخص يَستحقُّ مِن إرثِه مَالا يَستحقُّه الآخَر .. وأنَّه سينفعُه أكثرَ مِن الآخَر .. أو خوفاً على حقِّهِ من أن يَضيعَ .. وفي الحديث الصحيح:" لا وصيَّة لوارثٍ ". لأن الوارِثَ حقهُ محفوظٌ، ومعلومٌ بنصِّ الكتابِ والسنَّةِ، لا يمكنُ تجاوزُه زيادَةً ولا نُقصَاناً .. والوصيَّةُ له تَعدٍّ على حدودِ اللهِ تعالى في الإرْثِ، وتَقسيم للمقسَّم شَرعاً .. وتدخُّلٌ في عملِ الله!

* * * * *

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

270- [وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ]النساء:27. لو قِيلَ لك عن أحبِّ الناسِ إليك، وأعظَمِهم قَدْرَاً، وتَوقِيراً في نفْسِك .. هذا الإنسانُ يريدُ منك شَيئاً .. كم تُسْرِع، وتَهفُو لتُلَبِّي طَلَبَهُ وإرادَتَه .. وللهِ المثلُ الأعْلى .. فكيفَ بخالِقِ الخلْقِ، ومَالِكِ المُلْك .. رَبّ العَالَمين .. يقولُ لك: اقترِب مِنّي يَا عبدِي .. عُدْ إليَّ .. أريدُ أن أتوبَ عَليك .. أريدُ أن أغْفرَ لكَ ذَنْبَك .. تُبْ؛ لأتُوبَ عليك .. كيفَ يَنبغِي أن يكونَ إقْبالُك على ما يُريدُه اللهُ مِنك .. اللهمَّ تُبْ علينَا لنتُوب!

* * * * *

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً

271- [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً]النساء:27. عَنِ الفَضِيلَةِ إلى الرَّذِيلَةِ .. وعن الطُّهْر إلى الرِّجْسِ والنجَاسَةِ .. وعَنِ الفِطْرَةِ إلى الشُّذُوذِ، والمرَضِ!

272- [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً]النساء:27. لا يَرضون أن يميلُوا عن الفَضِيلَةِ إلى الرَّذِيلةِ، وعنِ الفِطْرَةِ إلى الشُّذُوذِ والفُسُوقِ .. ويَقتَصرُ

الميلُ والانحرَافُ على أنفُسِهم .. لا يَرضَون بذلك، ولا يَهدَأ لهم بالٌ حتى يَميلَ معهم المؤمنُون فِيما قَد مَالُوا فِيه .. ويُشارِكُوهم الشُّذُوذَ، والانحرَافَ، والمرَض .. ويكونُ ميلُهم عن الفضيلةِ إلى الرذيلةِ والشُّذوذِ شَديداً!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ

273- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ]النساء:29. كلُّ من طَاوعَ نفسَه على ضَرَرٍ، فهو يَسعى في قَتْلِها، وله سَهمٌ في قَتْلِها، بحسب نوعِ وكمِ الضَّررِ الذي يَقترفُه.

274- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً]النساء:29. الإنسانُ ـ كما في عَقيدَةِ الإسْلامِ ـ مخلُوقٌ مملوكٌ للهِ تعالى .. وهو مُستَخْلَفٌ على رعَايةِ نفْسِه وفقَ شَرعِ اللهِ وأمْرِه، ومُستأمَنٌ عليها .. ومَسؤولٌ عنها، وعن حمايَتِها مِن الضَّرَرِ .. فالله تعالى هو الخالِقُ، وهو المالِكُ الحقيقي لما يخلقُ .. وهو الذي يُحيي، وهو الذي يُميت، وقتَمَا، وكيفَمَا يَشاء .. وبالتالي لا يجوزُ للإنسانِ أن يقدمَ على الانتحارِ فيُنهي حياتَه بنفْسِه، أيَّاً كانت الذَّريعةُ التي تحملُه على فعْلِ ذلك؛ فهذا ليسَ له، وهو مِن التصرُّفِ فِيما لا يملِكُ، ولَا يحقُّ له .. بخلافِ ما عليه الأنظمَةُ الديمقراطيَّةُ في الدول الأوربيَّة؛ فالإنسانُ إلهُ نفْسِه، وحاكمُ نفْسِه؛ يحكمُ نَفْسَه بشَرعِ نَفْسِه، فهو على الحقيقَةِ يملكُ نفْسَه، لَا تُوجَدُ سُلطَةٌ عُليَا تَعلُوه؛ تَأمرُه وتَنهَاه، أو تقولُ له: هذا حَرامٌ، وهذا حَلالٌ .. هذا حَقٌّ، وهذا باطِلٌ .. وبالتَّالي مِن حَقِّه ـ وفق قانونِهم ونظامِهم الديمقراطِي ـ أن يَقتلَ نَفْسَه، ويُنهي حياتَه بنفْسِه، وقتَمَا، وكيفَمَا يَشَاء .. تحتَ عنوان مَا بَاتَ يُعرَف عِندَهم بقانُون " القَتْل الرَّحِيم "، فيستعجلُ القدُومَ على اللهِ بغيرِ إذنٍ مِن الله .. ويجمعُ على نفْسِه عَذابَ الكُفْرِ، وعذَابَ الانتحار!

* * * * *

وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ

275- [وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ]النساء:32. اللّهُ تعالى غَيورٌ، لَا أَحَدَ أغيرُ مِن اللهِ .. يَغارُ على عبدِه أن يَنصرفَ عنه، ويتوجَّه بالسؤالِ إلى غَيرِه .. أن يتعلَّقَ قلبُه بغيرِ اللهِ .. وهو ربُّه وخَالِقُه، يَراهُ، ويَسمعُه، والقادِرُ على أن يُغيثَه، ويجيبَهُ .. وفي الحديثِ الصحيح:" مَا أَحَدٌ أغيرُ من اللهِ "متفق عليه. ومِن غيرَتِه على عَبدِه أن يراهُ يَتوجَّه بالسؤالِ إلى غَيرِه .. أن يَشكُو حاجَته إلى غَيرِ اللهِ .. أن يَشكُوه إلى المخلُوقِ .. لأجْلِ ذلك كله جاءَ الأمرُ بأن نَسأَلَ اللّهَ تعالى من فَضلِه الواسع، الذي لا يَنضبُ، ولَا يَنقصُ أَبَدَاً .. فالله تعالى يحبُّ مِنَّا أن نَسأَلَه .. وأن نلحَّ عليه بالسؤالِ والدُّعاءِ، ومَهمَا أكثَرْنَا فاللّهُ تعالى أكثَر .. وفي الحديثِ:" إذَا سَألتَ فاسألِ اللّهَ، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِن بالله ".

* * * * *

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء

276- [الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء]النساء:34. " قَوَّامُونَ "؛ صيغَةُ مُبالَغَةٍ وتَكْثِيرٍ، أي الرجالُ كثيرُو القِيامِ على خِدمَةِ، ورِعَايَةِ، ونُصح مَن تحتهم مِن النسَاءِ، ومسَاعَدَتِهِنَّ على طاعَةِ اللهِ تعالى، وطاعةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، بِرِفْقٍ بعيدٍ عن العُنْفِ والشدَّةِ .. فهي قوَامَةُ رِعايَةٍ، وخِدمَةٍ، وقِيادَةٍ، ومسؤوليَّةٍ .. وليسَت قَوَامَة تَسَلُّطٍ، وجَبرُوتٍ، وعنفٍ، وظُلمٍ .. كما يَفهم البعضُ .. لَا .. مَا كان الرفقُ في شَيءٍ إلا زَانَه، ومَا نُزِعَ مِن شَيءٍ إلا شَانَه .. واللّهُ تعالى رفيقٌ يحبُّ الرفقَ، ويَجزِي على الرِّفقِ مَا لَا يجزِي على العُنفِ والشدَّةِ .. هذه القَوَامَةُ لا بُدَّ مِنها لسَلامَةِ البيوتِ مِن التَّفَكُّكِ، والتفَسُّخِ، والضيَاعِ .. فما مِن شركَةٍ أو مؤسَّسةٍ إلَّا وعليها مُدير " قَيِّمٌ " واحِدٌ، يُدِيرُ شؤُونَها، ويَرعَاها ..

والموظَّفُون فيها ـ من الرجالِ والنِّساءِ ـ يُطيعُونه فِيما يَأمرُهم به، وفِيمَا يرَى فيه مصلحَةً للشركةِ والمؤسسَةِ .. ويَرجعُون إليه فِيما يُشْكِلُ عليهم .. وجميعُ الناسِ يتفهَّمون مثلَ هذا النِّظامِ ويرتَضُونَه، ولَا يَرونَ فيه انتقاصاً لأحَدٍ .. فإذا جاؤوا إلى بيوتِ الناسِ .. إلى الأُسَرِ .. أعظمُ وأخطرُ مؤسسَةٍ وشركةٍ في المجتمع الإنساني .. أرادُوها بيوتاً متَفَسِّخَةً .. ومُتَحَلِّلَةً .. ومُتفرِقَةً .. خَرِبَةً .. تَعْمُرها الفَوضَى، لَا تخضعُ لنظامٍ ولا لِقَرَارٍ، ولَا لِقَيِّمٍ، ولا مُدِيرٍ، ولا لقَائِدٍ .. فالرجلُ في اتجَاهٍ .. والمرأةُ في اتجاهٍ آخَر .. والأبناءُ في اتجاهٍ .. ليعمَّ الفسَادُ في الأرضِ .. وهذا ما يَرفضُهُ الإسلامُ، ولَا يرتَضِيهُ .. ولأجلِ دَفعِ هذا المحظُور .. وحتَّى تَستَقِيم الحيَاةُ بطريقةٍ سَليمَةٍ بعيدَةٍ عن الانتكَاسَاتِ، والإخفَاقَاتِ، حسَمَ اللهُ تعالى ـ ربُّ العالمين، خَالِقُ الرجَالِ والنسَاءِ، والأعلمُ بما يصلحُ للرجالِ وللنِّساءِ سَواء ـ مسألَةَ القَوَامَةِ في البيتِ، فقال:[الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء]؛ والمسلمُون والمسْلِمَات لَا يَسعُهم سوى أن يقُولُوا سمِعْنا وأطَعْنَا.

فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ

277- [فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ]النساء:34. مُطِيعَاتٌ للهِ، ولرسُولِه صلى الله عليه وسلم، ولأزوَاجِهِنَّ في الحقِّ والمعرُوفِ، وفِيمَا ليسَ فيهِ مَعصِيَةَ لله .. فالبيتُ كالسَّفِينَةِ؛ إن تُرِكَت في البحرِ مِن غَيرِ قائِدٍ يَقُودُها، أو كان لها قائدٌ غير مُطَاعٍ .. تآكَلَتْها الأمواجُ، وتَاهَت في البحَارِ، وغَرِقَت .. وهكذا بيوتُ النَّاس.

* * * * *

وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً

278- [وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً]النساء:36. ركَّان لا يكتمِلُ الدِّينُ إلا بهما مَعاً .. ودَعوةٌ لا يكتملُ عملُ الدُّعاةِ إلا ببيانِهمَا مَعاً: أن تَعبدُوا اللهَ وحدَه، وتخصُّوه

وحدَه بالعبادِة العَامَّةِ والخَاصَّةِ .. وأن تجتنبُوا الشِّركَ، وتتبرَّأوا مِنه، مَا ظَهَرَ منه ومَا بَطَنَ .. الشركُ الأكبر والأصغر سواء، وهو المستَفَادُ مِن كلمةِ [شَيْئاً]. أي مهمَا كان هذا الشَّيءُ من الشِّركِ دقيقاً وصَغيراً، يجبُ اجتنابُه .. ومَن أتى بأحدِهما دُونَ الآخَر، لا يَصحُّ إيمانُه، ولا يُقبَلُ منه دِينٌ ولا عملٌ .. وهذا يَستدعي التَّفقه بالشِّرْكِ وضرُوبِه، ومذاهِبِه، فالشيطانُ يقومُ بتحديثِ الشِّركِ، والإضافةِ عليه باستمرارٍ .. ثم أن جاهلَ الشِّركِ لا يُؤْمَنُ عليه أن يقعَ فيه، وهو يحسبُ أنه يُحسنُ صُنعاً!

279- على خطورَةِ الشِّركِ، وأهميةِ اجتنابِه .. نجدُ كثيراً مِن الدُّعاةِ المعَاصِرين تَقتصرُ دَعوتُهم على " اعبدُوا اللهَ "، مِن دونِ " واجتنبُوا الشِّرْكَ " .. لأنَّ الجانبَ الأصعبَ من الدَّعوةِ الذي يترتَّبُ عليه تَبِعاتٌ، ومواجهةٌ معَ الباطلِ وأهلِه هو " اجتنبُوا الشركَ "، وهو مَا لا يُريدونَه، ويَهربُون مِنه .. وهم بذلك قد أعْطُوا الشيطانَ إجازَةً طويلة!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً

280- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً]النساء:36. إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ متكَبِّراً مُعجَباً بنفْسِه، مُصَعِّراً لخدِّه، مختَالاً في مشْيَتِه .. يَسْتَعلي على عبادِ الله، يُباهيهم، ويفتخرُ عليهم بما أُوْتِي مِن نِعَم .. وأنه يملكُ مَالَا يملِكُون .. وفيه مِن الخصائصِ ما ليسَ في غَيرِه .. إذا دخَلَ مجلساً للمسْلِمين نظَرَ لنفْسِه على أنَّه خَيرُهُم، وأفضلُهُم .. فلَا يَشكرُ اللهَ .. ولَا يَردُّ الفَضلَ فِيمَا هو فيه من خَيرٍ إلى اللهِ .. وإنما يَردُّه إلى نفْسِه، وعزَمَاتِه، وعَضَلاتِه، مِن دُونِ اللهِ .. وكم مِن طاغِيَةٍ متكبِّرٍ مُتجَبِّرٍ مُعْجَبٍ بنفْسِه، وبما

يملك .. حَقِيرٌ عِندَ الله .. وفي الحديث:" إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ علَى أَحَدٍ "مسلم.

* * * * *

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

281- [الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ]النساء:37. لَا هم يَتصدَّقُون بما يجبُ عليهم، ولا هُم يَدَعُون غيرَهُم يتصَدَّقُون .. فيَبْخَلُون عن أنفُسِهم، وعَن غَيرِهم!

* * * * *

لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى

282- [لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى]النساء:43. تشملُ جميعَ الطّاعاتِ، لأن جميعَ الطاعات تحتاج إلى العقلِ، ويُشترَط لها العقل، وحُضُور العَقْلِ.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ

283- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ]؛ حظّاً من الكتابِ، والعِلمِ، والحقِّ .. والخوفِ مِن هؤلاءِ - الذين يُؤتون جزءاً من العِلم والحقيقةِ - أكثرُ مِن غيرِهم؛ لأنَّ هذا القليل مِن الحقِّ والعِلمِ الذي معَهم، يُغرِيهم، ويحملُهم على الطَّغيانِ، والظلمِ، وهو لا يُغني من الحقِّ شَيئاً، [يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ]؛ بالهدَى، ودينِ الحقِّ .. ومنهم من يَشتري الضَّلالةِ بالمالِ أيضاً؛ فينفقون أموالَهم في استيرَادِ وشِراءِ الباطِلِ، والضَّلالِ، والفُسُوق، [وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ]النساء:44. وهم لا يكتفُون أن يَشتروا الضَّلالَة لأنفسِهم، وأن تَقتصرَ الضلالةُ على أنفسِهم .. لا يَرضون بذلك، ولا تَقرَّ لهم عينٌ، حتى يُصدِّروها للمسلمين، ولأبنائِهم، حتى يُضلوا طريقَ الحقِّ، كما ضَلُّوا .. فيكونُون سواء في الضَّلالِ!

* * * * *

إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ

284- [إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]؛ لأنَّ الشِّركَ ظُلمٌ عَظيمٌ، لا يُوَازِيه ولا يَعلُوه ذَنْبٌ ولا ظُلمٌ .. وهو يَعني أن تُلْغِي الغَايَةَ مِن وُجُودِك، وأنْ تَصرفَ حَقَّ الخَالِقِ عليك، الذي خَلَقَكَ وأوْجَدَك، وتَفضَّلَ عليك بالنِّعَمِ التي لا تُحْصَى، إلى المَخْلُوقِ؛ فتَعْبُدُه، وتتوجَّهُ إليه بالعِبادةِ من دُونِ اللهِ .. فهذا هو الذَّنْبُ العَظيمُ والوحِيدُ الذي لا يَغفرُهُ اللهُ، [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ]؛ ما دُونَ الشِّرْكِ؛ مَهمَا كان الذَّنْبُ [لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. من عِبادِه؛ لِسعَةِ رَحمتِهِ وعَفْوِهِ ومَغْفرتِه سُبحانه.

285- [إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. الذَّنْبُ الوحيدُ الذي لا يغفرُهُ اللهُ تعالى، ولا تُدرِكُ صاحِبَه الرَّحْمَةُ، ويخلِّدُه في النَّارِ أبَدَاً؛ هو الذي يموتُ على الشِّركِ والكُفْرِ .. لِذا فهو في يَأسٍ وقنُوطٍ مِن رحمةِ الله .. وما سوى الشِّرك مِن الذُّنُوب والخَطَايا مهْمَا عظُمَت، تخضَعُ لمشيئةِ اللهِ تعالى؛ إن شاءَ غَفَرَ لصَاحِبِها مِن غيرِ عذابٍ .. وإن شَاءَ عذَّبَه بها .. ولو عَذَّبَه بِها، تُدركُه الرحمةُ، ويُخرجُه اللهُ مِن النَّارِ بعدَ أن يتطهَّر من ذنُوبِه؛ لوجودِ أصلِ الإيمانِ والتَّوحيدِ عِندَه .. هذا الذي دَلَّت عليه نصوصُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، والذي عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعَة.

286- [إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]؛ لِمَن ماتَ على الكُفْرِ والشِّرْكِ، [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ]؛ لمن يموتُ على الإيمانِ والتَّوحِيدِ، مَهمَا كان منه مِن عمَلٍ، [لِمَن يَشَاءُ]النساء:48. إن شَاءَ سُبحانه عفَا عنه، وإن شاءَ حاسَبَهُ وعاقبَه .. وبالتَّالي لا يُجزَم لمن يموتُ على التَّوحِيدِ مِن أهلِ القِبلةِ بجنَّةٍ، ولا نَارٍ .. والجزْمُ له بالجنَّةِ أو النَّارِ .. هو مِن التَّألِّي على اللهِ تعالى بغيرِ عِلم.

287- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ]النساء:48.

لأَن تَلْقَى اللهَ سبحانه بكلِّ ذَنْبٍ خَلَا الشِّركِ، وتَرْكِ الصَّلاةِ .. أهونُ وخَيرٌ مِن أنْ تَلقَى اللهَ تعالى بكلِّ حسنَةٍ، معَ الشِّرْكِ، وتَرْكِ الصَّلاة!

288- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ]النساء:48. إلَّا مَن أَسْلَمَ، أوْ تَابَ؛ فالإسلامُ يَهدمُ مَا كانَ قَبْلَه، وكذلك التَّوبَة.

* * * * *

وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً

289- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً]النساء:48. الظلمُ أنواعٌ ودرجاتٌ .. بعضها يعلو بعضاً .. أعظمُها، وأشدها ضرراً على صاحِبها، الشِّرك:[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]لقمان:13.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ

290- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ]؛ يطرُون أنفسَهم، ويَثْنُون عليها بالخيرِ والمدائح، من دونِ أن يردُّوا الفضلَ إلى اللهِ .. وأخطرُ أنواعِ التَّزكيةِ؛ أن يتشبَّعَ المرءُ بما لم يُعطَ، وبما ليسَ فِيه، وأن يتألَّى على الله؛ فيشهدُ على نفْسِه وعلى من يُريد من الناسِ بأنهم مِن أهلِ الجنَّةِ، والنَّجاةِ والفَلاح يومَ القِيامة، [بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ]؛ يُزكيه بالإيمانِ، والإخلاصِ، والعملِ الصَّالح .. ويضَعُ لمن يشاءُ من عِبادِه القبُولَ، ويجعلُ لهم ودّاً في الأرضِ، وفي السماءِ، [وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً]النساء:49. ثم يومَ القيامة لا يَنقصُهم اللهُ من أعمالهم شيئاً مهمَا كان ضَئيلاً؛ حتى لو كان مقدارَ قشر نواةٍ، فما دون ذلك، فالله تعالى يجزيهم عليه خَيراً مُضاعفاً.

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا

291- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا]النساء:58. ومِن أعظَمِ الأَمَانَاتِ التي أُمِرْنَا أن نُؤدِّيَها إلى أهْلِها كامِلَةً من غيرِ زيادةٍ ولا نُقْصَان، أَمَانَةُ الدِّين.

تَعِبَ الأجدادُ حتى وصلَ الدينُ إلينا نقيّاً كاملاً .. وحتى يَصلَ هذا الدِّينُ إلى أبنائِنَا، وإلى الأجيالِ التَّاليةِ، كما وصَلَ إلينا، لا بد من أن نتعَبَ كما تَعِبُوا.

292- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ]؛ أمْرَ وجُوبٍ، [أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ]؛ الحقُوق؛ سواءً كانَت هذه الحقُوقُ مَادِيَّة أم مَعْنَوِيَّة، ومِن الأَمَانَاتِ: الحُكْمُ، والإمَارَةُ، والوظَائِفُ الحكُوميَّةُ، [إِلَى أَهْلِهَا]؛ إلى أَصْحَابِها الذين يَستَحِقُّونَها، وكانُوا الأكْفَأ لها، والأجْدَرَ بها، مِن غَيرِ مُحَاباةٍ لأَحَدٍ، لِقَرَابةٍ، أو جَاهٍ، أو رَشْوةٍ، أو لانتماءٍ حِزبي، أو غَير ذلك، [وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ]؛ كلَّ النَّاسِ؛ مُؤْمنهم وكافِرهم، [أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]؛ فَلا تُفَرِّقُوا في الحُكمِ والقضَاءِ بينَ المسلمِ وغَير المسلم، وبينَ الغَنِي والفَقِير، وبينَ الضَّعِيفِ والقَوِي، وبينَ الرَّئِيسِ والمرْؤوسِ، بل تَحكُمون للمظلُومِ المُحِقِّ، على الظَّالِمِ المحقُوقِ، وتُنْصِفُونَ حَقَّهُ منه، ولو كان الأوَّلُ كافِراً، والآخَر مؤمِناً مُسلماً .. ولو كان الأوَّلُ مَرْؤُوساً والآخَرُ رَئِيساً، [إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ]؛ أي نِعِمَّ، وعَظُمَ، وجَمُلَ، وكَمُلَ هذا الشيءِ الذي يَعِظُكم اللهُ ويأمرُكم به؛ وهو أدَاءُ الأَمَاناتِ إلى أصحَابِها، والحُكْمُ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ، [إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً]؛ بما تَقُولُون وتَحْكُمون، [بَصِيراً]النساء:58. بمَا تَفْعَلُون.

293- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا]النساء:58. مِن الأَمَانَاتِ خُطْبَةُ الجُمُعَة.

294- [إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ]النساء:58. بِهاتَين الصِّفَتَين العَظِيمَتَين: أَدَاءُ الأَمَانَاتِ والحقُوقِ إلى أَصْحَابِها، ومُسْتَحِقّيها .. والحُكمُ بينَ الناسِ بالعَدْلِ .. تَعْمُرُ الأُمَمُ والدُّوَلُ، وتَنْهَضُ .. ومِن دُونِهمَا، وبالتَّخَلِّي عنْهُمَا، تَنهَارُ الأُمَمُ والدُّولُ، وتُصابُ بالدَّمَارِ والخَرَابِ .. ووَجْهُ التَّرابُطِ بينَ هَاتَين الصِّفَتَين: أَدَاءُ الأَمَانات والحقُوقِ إلى أهلِها، وبينَ الحُكْمِ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ .. وتَقَدُّم ذِكْر أَدَاءِ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أهلِها على الحكْمِ بينَ النَّاسِ بالعَدْلِ .. أن الحُكمَ بينَ الناسِ بالعَدْلِ لا يمكِنُ أن يتحقَّقَ أو يَسُودَ إلَّا إذا تَقَدَّمَهُ أولاً أَدَاءُ الأَمَاناتِ والحقُوقِ إلى أَهْلِها، وبعد أن تُوَسَّدَ الأُمُور إلى مُسْتَحِقّيها!

انظرُوا إلى أيِّ دَولَةٍ تَشْكُو مِن الفَسَادِ، والتَّخَلُّفِ، والخَرَابِ .. ستَجِدُون مَرَدَّ ذلك كُلِّه إلى تَنَكُّبِ هذه الدَّولةِ والقَائمينَ عليها عَن هَاتَين الصِّفَتَين العَظِيمَتَين .. مَا أَعْظَمَ كَلَامَ اللهِ، ومَا أَعْظَمَ وأَجْمَلَ تَوجِيهاتِه وأَوَامِرَه لِعِبَادِه!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ

295- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ وهو وحدهُ سُبحانه المطاعُ لذاتِه، وما سواه مُطاعٌ له، وفيه، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبلِّغُ عن ربِّه، ولا ينطقُ عن الهوى، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ] ؛ وهم العلماءُ والأمراء، وطاعتهم واجبة بقيدٍ وشرط؛ شرطها أن تكون في المعروف، وأن لا تكون في معصيةِ الله؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ] ؛ أولي الأمر بعضُهم مع بعضٍ، أو أولي الأمر من الحكام مع مَن يحكمونَهم من الشعوبِ والناس، [فِي شَيْءٍ] ؛ أي شيءٍ يتعلق بشؤون

الحكمِ والسياسةِ، وطريقةِ الحُكمِ، وما للحاكمِ مِن حقُوقٍ، وما عليه مِن واجباتٍ، وغير ذلك، [فَرُدُّوهُ] واجبٌ وفرض، [إِلَى اللهِ] إلى كتابه؛ القرآن الكريم، [وَالرَّسُولِ] إلى شخصه في حياته، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنّته، وهذا دليل على أن في الكتابِ والسنَّة حلٌّ حاسم وشاملٌ لأي شيءٍ يتمُّ التنازع فيه بين الحاكمِ والمحكومِ، أو بين أولي الأمرِ بعضهم مع بعض، إذ يستحيل أن يردنا الله إلى مرجعٍ نرجع إليه في حلِّ نزاعاتنا، وما نختلف فيه، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]؛ إن كنتم صادقين حقّاً في دَعْوى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِرِ، فإن لم تردُّوا النزاعات إلى الله، وإلى الرسولِ، كان ذلك دليلاً على عدم صدقِكم في دعواكم الإيمان بالله واليومِ الآخِرِ، وكان دليلاً على عَدمِ إيمانكم، [ذَلِكَ خَيْرٌ]؛ أي في ردكم إلى الله وإلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم خيرٌ لكم من أن تلتَمِسُوا الحلولَ لنزاعاتكم من عندِ أهوائِكم، أو مِن الشّرقِ أو الغَربِ، أو من عندِ أعدائكم، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبة ومآلاً.

296- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ طاعةَ امتثالٍ وعِبادة، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ] ؛ طاعة امتثال واستسلام من غير تعقيب ولا جِدَال، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]؛ طاعة امتثالٍ في المعروف، على بينةٍ وبصيرةٍ؛ إذ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالِق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ]؛ مع أولي الأمرِ منكم، أو أولي الأمر بعضهم مع بعض [فِي شَيْءٍ]؛ من أمورِ الدِّين والدُّنيا [فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ]؛ إلى القرآنِ الكريم؛ كلام الله [وَالرَّسُولِ]؛ إلى شخصه الشريف في حياته، وبعد مماته إلى سنَّتِه المُطهَّرةِ صلى الله عليه سلم، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ]؛ إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان، والتَّصديق [بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]؛ وما فيه مِن وعْدٍ

ووعِيدٍ، [ذَلِكَ خَيْرٌ]؛ لكم مِن ردِّ ما تتنازعون فيه إلى أهوائكم، وإلى الشرائع والقوانين الوضْعيَّة، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبةً ومآلاً في الدُّنيا والآخرة.

297- قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ وهو وحدهُ سُبحانه المطاعُ لذاتِه، وما سواه مُطاعٌ له، وفيه، [وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ]؛ واجبٌ وفرضٌ من غير قيدٍ ولا شرط؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يبلغُ عن ربّه، ولا ينطقُ عن الهوى، [وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]؛ وهم العلماءُ والأمراء، وطاعتهم واجبة بقيدٍ وشرط؛ شرطها أن تكون في المعروف، وأن لا تكون في معصيةِ الله؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، [فَإِن تَنَازَعْتُمْ] ؛ أولي الأمر بعضُهم مع بعضٍ، أو أولي الأمر من الحكام مع مَن يحكمونَهم من الشعوبِ والناس، [فِي شَيْءٍ]؛ أي شيئ يتعلق بشؤون الحكمِ والسياسةِ، وطريقةِ الحُكمِ، وما للحاكِمِ من حقوقٍ، وما عليه من واجبات، وغير ذلك، [فَرُدُّوهُ] واجبٌ وفرض، [إِلَى اللهِ] إلى كتابه؛ القرآن الكريم، [وَالرَّسُولِ] إلى شخصه في حياته، وبعد وفاته يكون الرد إلى سنته، وهذا دليل على أن في الكتابِ والسنَّة حلٌّ حاسم وشاملٌ لأي شيئٍ يتمُّ التنازع فيه بين الحاكِمِ والمحكومِ، أو بين أولي الأمرِ بعضهم مع بعض، إذ يستحيل أن يردنا الله إلى مرجعٍ نرجع إليه في حلِّ نزاعاتنا، وما نختلف فيه، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً لها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ] ؛ إن كنتم صادقين حقا في دعوى الإيمان بالله واليوم الآخِر، فإن لم تردُّوا النزاعات إلى الله، وإلى الرسول، كان ذلك دليلاً على عدم صدقِكم في دعواكم الإيمان بالله واليوم الآخر، وكان دليلاً على عدمِ إيمانكم، [ذَلِكَ خَيْرٌ] ؛ أي في ردكم إلى الله وإلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم خيرٌ لكم من أن تلتمسوا الحلول

لنزاعاتكم من عند أهوائكم، أو من الشّرقِ أو الغربِ، أو من عند أعدائكم، [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً]النساء:59. عاقبة ومآلاً.

* * * * *

فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ

298- [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]النساء:59. [إِلَى اللهِ] ؛ أي إلى الكِتَاب .. [وَالرَّسُولِ] ؛ في حياته، وبعد مماته صلى الله عليه وسلم، يُرد النزاع إلى سنته. [شَيْءٍ]؛ يفيد العموم؛ أي شيء يتنازع فيه من أمور الدين والدنيا؛ السياسية منها وغير السياسية، يجب أن يُرَد [إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ]. وهذا من لوازم الإيمان وشرط لصحته [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ].

والله تعالى إذ يأمرنا بأن نرد النزاع؛ أي نزاع إلى الكتاب والسنة، فهو يأمرنا لأننا سنجد فيهما الحل لكل نزاع ومشكل .. تعالى الله أن يردنا وما نتنازع فيه إلى مرجعٍ، ثم لا نجد في هذا المرجع حلّاً شافياً وافياً وكاملاً، لما نتنازع فيه!

299- [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ]؛ إلى كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولهِ صلى الله عليه وسلم، وإلى مَن يحكم لكُم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. أمَّا مَن عَرَفْتُم عنه أنَّه سيَحكُم لكم بهَواه، وبقَوانينَ وضْعيَّة ما أنزَلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ، فاجتَنِبُوه، ولا تحتكِموا إليه .. هذا [إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ]النساء:59. حَقَّاً وصِدْقاً .. فإن لم تَفْعَلُوا ذلك، وأبيتُم إلَّا أن تَحْتكِموا إلى مَن يحكم لكُم بغيرِ كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، معَ وجُودِ مَن يَحكُم لَكُم بكتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولهِ صلى الله عليه وسلم .. فأنتم حِينئذٍ لَسْتُم ممَّن يُؤمنُون باللهِ واليومِ الآخِرِ حَقَّاً

وصِدْقاً، حتَّى لو زَعَمْتُم بلسانِكم خِلافَ ذلك؛ فعملَكُم يُكذِّبُ زَعْمَكُم، ويُناقِضُه، وهو أصْدَقُ لهجةً ونبأً مِن مجرَّدِ زَعْمِ اللسَانِ!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

300- [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ]؛ زَعْمُ الإيمانِ باللسانِ لا يكفِي، إذا لم يُصدِّقْهُ الاعتقادُ، والعملُ .. والدليلُ على كذبِ زَعمِهم الإيمان أنهم يَعدِلُون عن الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، وعن التحاكُمِ إلى مَن يحكم لهم بما أنزلَ الله، مع وجودِه، ووجُود القوَّةِ والسلطةِ التي تمثلُه، و [يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ]؛ والمرادُ بالطاغوتِ هنا الحاكمُ الكافرُ الذي لا يحكمُ بما أنزلَ اللهُ، وسُمي طاغُوتاً لأنه يُعبَد مِن جهةِ التَّحاكم إليه، ومِن جهةِ طاعتِه ومتابعَتِه فيما يحكمُ فيه، ويَصدرُ عنه من أحكامٍ مُضاهِيَّةٍ لشرعِ اللهِ تعالى المنزَّلِ .. وقوله:[يُرِيدُونَ]؛ يفيدُ انتفاءَ مظنَّةِ الإكراهِ أو الاضطرارِ عنهم .. وأنَّهم أقدَموا على التَّحاكُمِ إلى الطاغوتِ بمحضِ إرادتِهم، واختيارِهم، ورَغْبتِهم، [وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ]؛ أن يتبرَّأوا منه، وأن لا يتحاكَمُوا إليه، [وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ]؛ بعدُولِهم عن شرعِ اللهِ المنزَّلِ، وإعراضِهم عنه، وحمْلِهم على التحاكُمِ إلى الطاغوتِ، [أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً]النساء:60. عن الحقِّ، والإيمانِ .. وأن يوقعَهم في الكفرِ!

* * * * *

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً

301- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً]النساء:61. من علاماتِ النفاقِ والمنافقِين؛ أنَّهم إذا دُعوا إلى

التَّحاكُمِ إلى ما أنزَلَ اللهِ، تراهم يُعرِضون، ويُعارِضُون، ويتبرَّمُون، ويلُوون برؤوسِهم، ويعتذرون بأعذارٍ واهِيةٍ؛ ليعْدِلُوا عن التحاكمِ إلى كتابِ اللهِ تعالى، وإلى سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم إلى التَّحاكمِ إلى الطاغوتِ وشرائعِه المضاهيةِ لشرعِ اللهِ!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ

302- [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ]النساء:64. لِيُطَاعَ بأمرٍ مِن اللهِ، في جميعِ مَا يأمرُ به، ويَستَحسنُه، وجميعِ مَا يَنهى عنه، ويَستقبِحُه، ويَسْتَكْرِهُه، مِن غيرِ تَعقِيبٍ، ولا اعتراضٍ، ولا مُعارضَةٍ، لا لِيُعْصَى، وتُرَدّ سُنَّتَه .. فاللهُ تَعَالى يُعَرِّفُ عن ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وعن حقِّه، وأحكَامِه وشَرعِه عَن طَريقِ رُسُلِه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين .. فمن أطاعَ رُسُلَ اللهِ فقد أَطَاعَ اللهَ، وهُدِي إلى صراطٍ مُستقيم، ومَن عصَاهُم، فقد عصَاه، وضلَّ سَواءَ السَّبيل .. فهُم البابُ الآمِنُ والوحيدُ في الوجودِ الذي يُؤدِّي بوالجِهِ إلى الحقِّ، والسَّلامَةِ، والنَّجاةِ، ومَعرفةِ اللهِ .. فمَن ولجَه فقَد نجَا، ومَن أعرَضَ عنه، والتمسَ لنفسِه أبواباً أخرَى، هَلَك!

* * * * *

حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

303- [فَلاَ وَرَبِّكَ]؛ يُقْسِمُ الربُّ سُبحانه بذاتِه المقدَّسَةِ؛ لجلالةِ وعظمَةِ وأهميَّةِ الأمْرِ، [لاَ يُؤْمِنُونَ]؛ نَفْيٌ لمُطلَقِ الإيمان، [حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ]؛ يا محمد صلى الله عليه وسلم .. والتَّحاكُمُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياتِه يكونُ إلى شَخْصِه، وبعدَ موتِه يكونُ التَّحاكُمُ إلى سُنَّتِه، [فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ]؛ فِيما أشْكَلَ واختَلَطَ عليهم، وفِيما اختلفوا وتنَازَعُوا فيه؛ سواءٌ اختلفُوا وتنازَعُوا في أُمورِ الدِّينِ أَمْ في أمورِ الدُّنيا .. لا يَكْفِي هذا

لِتحقيقِ الإيمانِ، [ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً]؛ لاَ يَجِدُوا ضِيقاً ولا تَرَدُّداً في صُدُورِهم، [مِّمَّا قَضَيْتَ]؛ ممَّا حكَمْتَ به .. أيضاً لا يَكْفِي ذلك لتَحقِيقِ الإيمانِ، [وَيُسَلِّمُواْ]؛ ويَنْقَادُوا ظاهِراً وباطِناً لحُكْمِكَ .. لا يَكفِي ذلك لتَحقِيقِ الإيمانِ، [تَسْلِيماً]النساء:65. مِن دُونِ مُعارَضَةٍ أو اعتراضٍ .. فإن تحقَّقَت فيهم هذه الصِّفاتِ مُجتمعَةً؛ فأولئك هُم المؤمنُون حَقّاً.

* * * * *

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ

304- [وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ]النساء:72. إذَا انطلَقَت قوافِلُ الجهَادِ تَشَاغَلَ، وتَباطَأ إلى أن تمضِي القَوافِلُ إلى الجهَادِ، ويَبقَى هو معَ الخوالِفِ والقَاعِدِين .. فإذا أصَابَ المجاهِدِين مُصيبةٌ فرِحَ أنه لم يكُنْ معَهم، ولم يخرُجْ معَهم للجهَادِ .. واستَحْسَن موقِفَه وتباطُأَه .. وإذا أصابَ المجاهِدِين نِعْمَةٌ وخَير .. كَرِه لهم تَفرُّدَهم بالنِّعمَةِ، والنصْرِ، والغنِيمةِ .. وتمنَّى لو أنَّه كان مَعَهم .. ليسَ من أجلِ الجهَادِ، واستدرَاكِ مَا قَد فاتَه مِن خَيرِ وبرَكَاتِ الجهَادِ .. وإنَّما مِن أجْلِ أن يُقاسِمهم الخيرَ والغنَائمَ .. هؤلاء هم المبَطِّئون .. وهؤلاءِ ليسُوا على خَيرٍ، بَل على شَرٍّ كَبِير!

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ..

305- [الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ]؛ وهو كُلُّ قِتَالٍ يَتحقَّقُ فيه شَرْطَان: أوَّلهمَا؛ أن يكونَ القِتالُ لإعلاءِ كَلمَةِ اللهِ؛ وهو كُلُّ قِتَالٍ قَد شَرَعَهُ اللهُ، وأذِنَ بِه .. وكُلُّ مَعْنَى قد أَذِنَ اللهُ القِتالَ دُونَه. ثَانِيهمَا؛ أن يكونَ القِتالُ خالِصاً لله؛ لا تَشُوبُه شَائِبَةُ سُمعَةٍ

ورِياءٍ، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ]النساء:76. وهو كُلُّ قِتَالٍ يُخالِفُ ويُضَادُّ القِتالَ في سَبيلِ اللهِ، ويَنتَفِي عنه الشَّرْطَانِ الآنِفَا الذِّكْرِ أعْلَاه.

* * * * *

أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ

306- [أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ]النساء:78. لا داعي للهروبِ والاختباءِ من الأجَلِ .. لا تجعلْ الخوفَ من الأجَلِ يمنعُك من القيامِ بالواجبِ .. فإذا جاءَ الأجل أدركَك ولو كنْتَ على فراشِك، في حُصونٍ ذاتِ أسوارٍ مرتفعَةٍ .. أو كنت مختبئاً في الخنادِق تحتَ الأرض .. وإن لم يأتِ أجلُك مهمَا تكالبَتْ عليك أسبابُ الموتِ، فلن تموتَ إلا في أجَلِك المحدَّدِ والمكتُوب .. وكاتُبُ هذه الكلماتِ قَد رَأى الموتَ عِدَّةَ مرَّاتٍ، حتَّى لا يكونُ بيني وبينَه إلا شِبرَاً، فيصرفُه اللهُ عني، ويَصرفَنِي عنه .. وقد صدَقَ مَن قال: أن الأجَلَ يحمي صاحِبَه!

307- [أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ]النساء:78. يَفرُّ المترَفُون من الموت ببناءِ المخابِئِ والملاجِئِ عشرات الأمتَارِ تحتَ الأرضِ .. يُزوِّدُونها بأسبَابِ الحياةِ .. ويُنفقُون عليها عشراتِ الملايين مِن الدُّولاراتِ .. يحسبُون أنَّها مانعتهم مِن الموت .. وهذه ضحكةٌ كبيرةٌ مِن ضحكَات إبليس عليهم .. وتَلبيسَةٌ مِن تَلبيساتِه .. وفَاتَ هؤلاء الجهَلَةِ أنَّ الأجَلَ إذَا جاءَ لَا تَردُّهُ تِلكَ المخابئ والملَاجِئ، ولا تِلكَ الحصُون، والقُصُور .. ولا يتأَخَّرُ ولا يتقدَّمُ دقيقةً واحدةً .. ومَلَكُ الموتِ الموكَّلِ بقبضِ الأَرْوَاحِ لَا تُعجزُهُ تِلكَ المخَابئ والملاجِئُ، ولو كانَت في الأرضِ السَّابعَةِ .. ولا تِلكَ القُصُور الشَّاهِقَةِ المحصَّنَةِ، ولو بلَغَت عنَانَ السَّماءِ .. يَفتَحُ الأبوابَ المؤصَدَة مِن غَيرِ قَرْعٍ لها ولَا اسْتِئذَان!

* * * * *

قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ

308- [وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ]؛ في أنفسِهم، وأموالِهم، فرحُوا بها .. و [يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ]؛ أي أنَّ اللهَ قد كتبَها وقدَّرَها لنا، [وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ]؛ شدَّةٌ وبلاءٌ في أنفُسِهم، وأموالِهم .. تشاءمُوا بالمسلمين، و [يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ]؛ أي بسببكَ يا محمد، ومَن آمَن معَك، [قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ]؛ الحسنَةُ والسيئةُ، الخيرُ والشدَّةُ، والشرُّ، كلها بقضاءٍ وقدَرٍ مِن اللهِ، [فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً]النساء:78. لا يَفهمُون حديثاً رغم بياننا وتفصيلنا له؛ بما لا يَدعُ للجاهلِ عُذراً .. والسؤالُ هنا يُفيدُ التعجُّبَ والإنكارَ!

* * * * *

مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ

309- [مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ]؛ من خيرٍ في نفْسِك، وأهلِك، ومالِك، [فَمِنَ اللهِ]؛ هو بتوفيقٍ مِن الله تعالى، [وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ]؛ مِن شدَّةٍ، وشَرٍّ في نفسِك، ومالِك، [فَمِن نَّفْسِكَ]النساء:79. فسببُه من نفسِك الأمَّارةِ بالسُّوءِ، وما تقترفُه من سيئاتٍ .. فيقدّرُ اللهُ لك شِدةً يُطهرُكَ بها من ذُنوبِك .. ويعفُو اللهُ عن كثيرٍ .. وكلاهما الحسنَةُ والسيئةُ بقضاءٍ وقدَرٍ مِن اللهِ، لا يخرجُ شيءٌ في الوجودِ سواءٌ كانَ خَيراً، أم كان شرّاً عن قضاءِ اللهِ وقدَرِه.

* * * * *

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً

310- [وَأَرْسَلْنَاكَ]؛ يا محمد صلى الله عليه وسلم، [لِلنَّاسِ]؛ تفيدُ العمُوم؛ أي لكلِّ النّاسِ عُرْبهم، وعَجمهم، أبيضُهم وأسودُهم، ذكُوراً وإناثاً .. وإلى قِيامِ الساعةِ .. لا يُعذَرُ أحَدٌ ـ أيّاً كان جنسه، ودِينُه، ولونُه، وموطِنُه، وكانت لغَتُه ـ يَسمعُ بكَ ثم لا يؤمنُ بك، وبما أُرسِلَ إليك من اللهِ .. [رَسُولاً]؛ بشيراً ونذيراً، تبلِّغ آياتِ اللهِ ورسالاتِه للنَّاسِ كافَّة .. فإن كذَّبكَ الكُفارُ، [وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً]النساء:79. أنَّك يا محمد صلى الله عليه وسلم رسولُ اللهِ.

* * * * *

مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ

311- [مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ]النساء:80. لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَا يَأمرُ إلَّا بما أمرَ اللهُ به، ولا يَنهى عن شيءٍ إلا ما نَهى اللهُ عنه .. ولا يُشرِّعُ شَيئاً إلَّا ما ارتضَاه اللهُ .. لَا يَنطقُ عن الهوَى، فكلُّ مَا يَنطقُ به فهو بوَحي مِن اللهِ تعالى .. فطاعتُه من طاعةِ اللهِ .. وفيه أنَّ مُتابعَةَ السُّنَّة واجبةٌ كمتابعَةِ القُرآنِ الكرِيم .. وأنَّ الذي يُفرِّقُ في الطَّاعَةِ والمتابعَةِ بين القُرآنِ والسُّنَّةِ؛ فيتَّبعُ القُرآنَ دُونَ السُّنَّة .. فهذَا لا يكونُ مُسلِماً، وهو عَاص للهِ، ورَادٌّ لكتَابِهِ وآياتِه، قبلَ أن يكونَ رَادّاً لسنَّةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

312- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]النساء:82. يَتأمَّلُون ويَتفكَّرُونَ معَانيَ القُرآنِ الكَرِيم؛ البَلِيغَة الزَّاجِرة، الجَّامِعَة، المانِعَة .. يَتدَبَّرُون أوَامرَه ونوَاهِيَه .. وعْدَه، ووعِيدَه ..

تَرغيبَهُ، وتَشويقَه، وتَرهِيبَه .. فالغايَةُ من التِّلاوةِ التَّدبُّرُ، والتَّأمُّلُ، والتَّفكُّرُ، والاتِّعَاظُ .. وليسَ مجرَّدَ حركَةِ اللسَانِ، والفَمِ .. وكانَ عليٌّ بنُ الفُضَيل بنُ عِيَاض؛ لِشِدَّةِ اسْتغرَاقِه في التَّأمُّلِ والتَّدَبُّرِ لَا يَستطيعُ أن يُكمِلَ تلاوَةَ السُّورَةِ الواحِدَةِ إلَّا ويُغْشَى عليه .. وكانَ لا يَقْدِرُ أن يَسمعَ سُورَةَ الزَّلْزَلَةِ، ولَا سورةَ القَارِعَةِ أَبَدَاً .. وكانَ ـ رحمه الله ـ يقولُ لأبيه: يا أَبَتِي ادْعُ اللهَ لي أنْ يُقَدِّرَني على سمَاعِ سُورَةٍ كامِلَةٍ، أو على خَتمِ القُرآنِ، ولو مَرَّةً قبلَ مَوتِي ...!

313- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]؛ سؤالٌ فيه حضٌّ على التأمُّلِ والتَّفكرِ بما في القرآنِ الكريم من إعجازٍ في لغتِه، وبيانِه، وآياتِه، وأحكامِه، وشرائعِه، وإخبارِه، ومعانِيه .. يُعجِزُ ويُبهِرُ العقولَ .. أوله يصدقُ آخِرَه، وآخِرُه يصدق أوَّلَه .. مُبرأ من النَّقصِ، والاختلافِ، والتعارضِ .. لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا مِن خَلْفِه .. وهذا من أصرحِ الأدلةِ أن هذا القرآن الكريم هو من عندِ الله، وأنه كلامُ اللهِ، إذ [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً]النساء:82. لأنَّ كلَّ ما عَدا الله ـ مهما أُوتي من عِلم ـ ضعيفٌ، وناقصٌ .. وضَعفه، ونقصه، وجهله ينعكسُ لا محالَةَ على عطائِه، وكلامِه، ويَظهر فيه الخلَلُ والاختلافُ، والضَّعفُ، والتَّعارضُ .. وخُلُو القرآن الكريم من كلِّ ذلك .. لهو دليلٌ قاطعٌ على أنه من عندِ الله، وأنه كلامُ اللهِ .. ولا يتَدبرُ القرآنَ أحدٌ إلا وهُدِي لهذه الحقيقةِ، وكان ذلك سبباً في هِدايتِه، ودخولِه في الإسْلام!

314- [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ]؛ يُريدُون الدليلَ على صدقِ النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عندِ ربِّه .. فهَلَّا تأمَّلوا القرآنَ الكريم، وفهمُوه، وتفكَّروا ما فيه من إعجازٍ باهِرٍ للعقولِ، يجيبهم عمَّا يَسألون عنه، وعما يُشكِّكُون فيه، [أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

]محمد:24. أم أن قلوبَهم عليها أقفالٌ تُحيل بينهم وبينَ سماعِ، وفَهمِ القُرآن الكريم، وتَدبُّر آياتِه؟!

315- وقد وُجِدَ من الأحبارِ والرُّهبان مَن يخافون من القرآن الكريم، ويُخوِّفُون، ويحذِّرُون أتباعَهم أشدَّ التَّحذيرِ من الاقترابِ من القرآنِ الكريم، أو اقتنائِه، أو قِراءةِ بعض آياتِه، حتى لا يَهتدوا إلى دينِ الله الإسلام .. وحتى لا يكتشِفُوا ما هم فيه من باطِلٍ، وضَلالٍ!

* * * * *

وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ

316- [وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ]النساء:83. هذه الآيَةُ الكريمةُ تُؤسِّسُ لقاعِدَةٍ عَامَّة، هَامَّةٍ، في كيفيَّةِ التَّعامُلِ معَ الإشَاعَاتِ، والغوَامِضِ من الأخبارِ ذَاتِ العلاقَةِ بالنَّصرِ أو الهزِيمَةِ، وغيرها مِن الأمور ذاتِ العلاقَةِ بالشَّأنِ العَامّ، التي تحتاجُ إلى عِلمٍ، ودِرايةٍ، وشُعُورٍ بالمسؤوليَّةِ، وهذَا كان مُتَحَقِّقَاً في شَخصِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياتِه، وكِبارِ صحابَتِه، وبعدَ موتِه صلى الله عليه وسلم، بَقِيَ وإلى يومِ القِيامَةِ؛ [أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ]؛ وهم أهلُ العِلمِ والدِّراية المخلِصين الصَّادِقِين .. فيُرَدُّ كلُّ خَبرٍ إلى المختَصِّين به من أهلِ العِلم .. وقولُه " مِنْهُمْ "؛ أي من المسلمين المؤمنين؛ إذ لا يُؤمَنُ الغِشُّ والخَدِيعةُ إذا رُدَّت الأخبارُ ذَاتِ العَلاقَةِ بالمسلمين وأمْنِهم، إلى غَيرِهم .. فإن لم يلتزِمْ المسلمون بهذا التَّوجِيهِ، وهذا الأدَب .. فإنَّ البديلَ أن يخوضَ العَوَامُّ وأهلُ الأهواءِ في الشَّارِدَةِ والوارِدَة، وبِعِلم، وغَيرِ عِلم ـ وبخاصّة في زَمَانِنا الذي أصبَحَ كلُّ فَرْدٍ فيه يملكُ إذَاعةً عن طريقِ غُرَفِ وصَفَحَاتِ التَّواصُلِ الاجتمَاعِي ـ فتَعمُّ الفَوْضَى،

والاضطرابَات، وتَنْتَشِرُ الإشاعات، ويَعُمُّ الإرجَافُ مِن قِبَل المنَافِقِين الذين يَستغلُّون هذه الأجواء أَسْوأَ استِغْلَالٍ!

* * * * *

مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً

317- [مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً]؛ يَسْتجلبُ بها حقاً لضعيفٍ أو مظلومٍ، ويَدفعُ بها ظلماً عن مَظلوم، [يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا]؛ نصيبٌ من الأجرِ، شريطَةَ أن لا يأخُذ على شفاعتِه وتوَسُّطِه أجراً أو مَالاً، لقولِه صلى الله عليه وسلم:" مَن شفعَ لأخيهِ شفَاعةً فأَهدَى لَه هديَّةً عليها فقبِلَها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبوابِ الرِّبا "صحيح أبي داود:3541. هذا فيمن يَقبلُ الهديةَ على شفاعتِه، فكيف بالذي يَشترطُ أجراً على شفاعتِه وتوسُّطِه ..؟![وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً]؛ ينصرُ بها ظالماً على مظلومٍ .. أو يقتطعُ بها حقّاً لمن لا يستحقُّه .. أو ليدْرَأ حَدّاً من حدُودِ اللهِ على من يستحقُّه، [يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا]؛ فهو شريكٌ في الوزْرِ، وله نصيبٌ منه، [وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً]النساء:85. مقتدراً، وشاهداً، وحفيظاً .. يمدُّه بالقوَّةِ، وبما يعينه على مواجهَةِ مُتطلبات الحياة.

* * * * *

فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا

318- [وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ]؛ أيّاً كانَ المُحَيِّي؛ سَوَاءٌ كانَ مُسلِماً أَمْ كَافِرَاً، وأيّاً كَانَت التَّحِيَّةُ، وكانَت مُنَاسَبَتُهَا، مَا لم تَكُنْ التَّحِيَّةُ إثْمَاً، [فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا]؛ مِن قَبِيلِ الإحسَانِ والتَّفَضُّلِ، والمُقَابَلَةِ بمَا هو أَحْسَن، وهو الخيارُ الأوّلُ، والأفْضَل، [أَوْ رُدُّوهَا] النساء:86. كَمَا هِي؛ غَيرَ مَنْقُوصَةٍ، من قَبيلِ المعَامَلَةِ بالمِثْل، والعَدْلِ، وهو الخيارُ الثَّانِي ..

وليسَ وراءَ ذلِكَ إلا الظُّلم، وقَد أُثِر عنِ ابنِ عَبَّاس رَضي اللهُ عنه أنّه قال:" لو أنَّ فرعونَ قَالَ لي: بَارَكَ اللهُ فِيكَ، لقُلْتُ: وفِيْكَ بارَكَ اللهُ، وفرعونُ قَد مَاتَ! "؛ وهذا كُلُّه مِن قَبِيلِ تَقْرِيرِ مَبْدَأ وخُلُقِ المُقَابَلَةِ في المعَامَلَةِ؛ مُقَابَلَةُ المعروفِ بمعرُوفٍ، والتَّحِيَّةُ بِتَحِيّةٍ أو بِمَا هو أَحْسَن مِنها .. وهذا خُلُقٌ عَظِيمٌ رَفِيعٌ لا أعْرِفُ مَن سَبَقَ الإسلامَ إلِيه!

319- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. الآيةُ تَشملُ مبدأ المقابَلَةَ في كلِّ تعبيرٍ حَسنٍ جميل ـ غير التّحيّة ـ يزيد من المودّة والمحبَّة.

320- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. يشمل السّلامَ، وكلَّ معروفٍ يُبذَل، ينبغي أن يُقابَل بالمثلِ، أو بما هو أحسَن منه .. فإن لم يُوجَد، قُوبِل بالدّعاءِ، والثَّناءِ الحسَن.

321- [وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا]النساء:86. هذه الآية الكريمةُ دليلٌ على مبدأ وأدَبِ المُقابَلة؛ مقابلَةُ المعروفِ بمعروفٍ مثله أو أحسن منه، والكلمةُ الطيّبة بكلمةٍ طيبة مثلها أو أحسن منها، أيّاً كان دينُ صاحب المعروف، وصاحب الكلمة الطّيبة، وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه قال:" لو أنّ فرعون قال لي: بارك الله فيك، لقلتُ له: وفيكَ بارَكَ اللهُ، وفرعون قد مات ".

* * * * *

وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ

322- [وَدُّواْ]؛ يتمَّون، ويُنفقون في سبيلِ ذلك الغالي والنَّفيس، [لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89. سواء في الكفرِ، وفي ضنَك العيشِ، وضِيقِ الصَّدرِ، الذي يتسببهُ الكُفرُ .. فالنَّجِسُ تُؤذيه رُؤية طهارَةِ الطَّاهِر، فيودُّ لو أن جميعَ مَن حولَه يُشاركونَه النجاسَةَ، ويَشعرُون بشعورِه .. والمدْمنُ على المسْكرات والمخدّراتِ يتمنى لو

أن جميعَ من حوله مُدمِنون مثله، يُشاركُونه آلامَ وشُعورَ الإدْمانِ .. كذلك الكافرُ، تُؤذيه رُؤية المؤمن، لأن المؤمنَ يُذكرُهُ باللهِ، وبالطُّهرِ، والعفَّةِ، والاستقامَةِ، وبسوءِ ما عليه من حالٍ، وعادات خاطئةٍ .. فيكدّرُ عليه حياتَه .. فيودُّ لو أنَّ المؤمنَ يُشاركُه قرفَ الكُفْرِ .. وطريقتَه الماجِنةِ والبهيميَّة في الحياةِ .. فيكونان سواءً في الشُّعُورِ، وفي مقارَفَةِ قرَفِ الكُفرِ والشّركِ، والفسُوقِ!

* * * * *

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ

323- [سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا]النساء:91. فريقٌ مِن النَّاسِ، هم أقربُ للكُفْرِ والنِّفَاقِ .. لا يخلُو منهم زمانٌ ولا مَكانٌ، تَراهم لكي يأمَنوا على أنفُسِهم، وعلى أموالِهم، ومصَالِحهم، يَقفُون وسَطاً بين الحقِّ والباطِلِ؛ لا هم إلى الحقِّ قولاً واحِداً، ولا هم إلى البَاطِلِ قولاً واحداً؛ فإذا جاؤوا إلى المسلمِين، وكانت مصالحُهم تَقضي بالاقترابِ من المسلمِين، والتوجُّهِ إليهم، قالُوا لهم: إنَّا معكم، ونحن مِنكم، وعلى دِينِكم .. فإذا انصرَفُوا عنهم إلى الكافِرين المشركِين المحارِبين، قالُوا لهم: إنا مَعَكُم، ونحنُ مِنكم، وعلى دِينِكم الشِّركي والكُفرِي .. واقترابُنا من المسلمِين إنما هو لمصلحةٍ دنيويَّة .. وسَهُلَ عليهم أن يمارِسُوا الكفرَ والشركَ معَ الكافِرين المشركِين، وكلما طُلِبَ مِنهم ذلك .. وما أولئك بالمؤمنِين .. وأولئك في الفتنَةِ سَقَطُوا!

324- [وَأُوْلَئِكُمْ]؛ على مَا تَقَدَّم مِن صِفَاتِهم، [جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً]النساء:91. جَعَلنَا لكم حجَّةً بينَةً ظاهِرةً في قِتالِهم .. فالأمرُ لا يخضعُ للأهوَاءِ، والرَّغبَاتِ، وحُبِّ التَّشَفِّي، والانتقَامِ .. لَا .. فالأمرُ كُلُّه مرده للهِ تعالى وحدَه، إذْ لا بدَّ قبلَ الشُّروعِ في أيِّ قتالٍ من النظرِ والتَّثبتِ أوَّلاً؛ هل أذِنَ اللهُ لنا أن نُشرِعَ في هذا القِتالِ ..

وهل لنَا من اللهِ تعالى بُرهَانٌ، وحجةٌ ظاهِرةٌ قاطِعةٌ حَاسِمةٌ، تُجيزُ لنا هذا القِتال، أو المشَاركَة فِيه .. وعلى ضَوءِ ذلك يُتخذُ القَرارُ، وتتحدَّدُ المواقِف.

* * * * *

وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً

325- [وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً]النساء:94. مَن أتَى بأيِّ قرِينةٍ تُفيدُ بأنَّه مسلمٌ .. حتَّى مجرَّد إلقاءِ السَّلامِ ـ السلام عليكم ورحمة الله ـ ينَبغي ابتداءً أن يُحسَّنَ به الظنَّ، وأن لا يُرمَى بالكفرِ والنِّفاقِ، تحتَ زعمِ أنه قالَ مَا قالَ فَرَقاً ونِفَاقاً .. ما لَمْ يَثبتْ العكْسُ بقولٍ أو فِعلٍ .. فمن أتَى بيقينٍ لا يُزَالُ إلَّا بيقينٍ .. وبخاصَّة في المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، التي يَغلبُ عليها المسلمون .. فلا يَعلَمُ ما في القُلُوبِ إلا عَلَّامُ الغيُوبِ .. واللهُ تعالى أمرَنا أن نُعامِلَ النَّاسَ بناءً على ظاهِرِهِم، ومَا يُظهرُون، لا مَا يُبطنُون .. فلمْ نُؤمَر أن نَشقَّ البطُونَ .. وأن نتحرَّى البواطِنَ، ومَا في البُطُونِ .. فهذَا ممَّا لا سُلطانَ لنا عليه، ولا سَبيلَ لنا إليه!

* * * * *

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ

326- [وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ]؛ طَاعةً لله؛ طَلَباً للأمْنِ في نَفْسِهِ ودِينِه، والتماسَاً لسلامَةِ العِبادَةِ والدِّينِ على الوجهِ الأكملِ والأفضَلِ، [يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً]؛ مَهَاجِرَ كثيرَةً يَقصدُها ويُهاجِرُ إليها، فالله تعالى وسَّعَ الأرضَ لتحقيقِ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين؛ حتى إذا ضَاقَت أرضٌ على عَبدٍ من عِبادِه، وكان مُضطهداً فيها في دينِه، ومُنِعَ فيها من إظهارِ العبادَةِ بمعنَاها العَام على الوجْهِ الأكملِ والأفضَلِ، وجَدَ لنفسِه ودينِه سِعَةً في أرضٍ أُخْرَى، يُهاجر إليها، [وَسَعَةً]؛ ورِزْقاً واسِعَاً، فالهجرةُ لم تُذكَر في القرآنِ

الكريم إلا وذُكِرَ معَها، وبعدَها الخيرُ والسَّعَةُ في الرِّزقِ .. فالمهاجِرُ في سَبيلِ اللهِ يُضحِّي في مَقَرِّ إقامتِه ببيتِه، ومتاعِه، ومالِه، حتَّى أن منهم مَن يخرجُ مهاجِراً وهو لا يملكُ الأوراقَ الثبوتيَّة التي تُعرِّفُ عن شخصِه .. فيُكافِئُهُ اللهُ تعالى مِن جِنْسِ عمَلِه وتَضحيتِه، فيوسِّعُ عليه في الرِّزقِ، ويَرزقه رِزقاً حَسَناً .. لكن الرزقَ يأتي تَبَعاً، لا يُطلَبُ قَصْداً، حتى لا يَشوبُ الإخلاصَ، ومَعنَى في سبيلِ اللهِ شَائِبةٌ .. [وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ]؛ مَقَرَّ إقامَتِه، [مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ]؛ لا يَبتَغِي من هجرتِه ظُلماً، ولا عُدواناً، ولا فُجُوراً .. وإنما يُريدُ من هجرتِه طاعةَ اللهِ، وطَاعَةَ رسولِه صلى الله عليه وسلم، والتماسَ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين، [ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ]؛ في الطَّريقِ؛ بسَبَبٍ مِن العَدُو، أو بآفَةٍ مِن آفاتِ الطَّريقِ؛ إذْ لا تخلُو طُرُقُ الهِجرةِ مِن مخَاطر .. لكن لا يَنبَغِي أن تكونَ مخاطِرُ طَريقِ الهِجرَة بمثابةِ أو أخْطر مِن مخَاطِرِ المُكْثِ في الأرضِ التي تَتَعيَّن الهِجرةُ منها، [فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ]؛ فهو شَهيدٌ، وآجَرَهُ اللهُ الجنَّةَ، وقوله تعالى:[فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ]؛ فيه تَرغِيبٌ وإغْراءٌ للمهاجِرِ على الهجْرةِ، وأن لا يَصدُّه الخوفُ من مخَاطِرِ الهِجْرةِ ـ وما يمكن أن يُواجههُ في طريقِ الهِجْرَةِ ـ على الهجرةِ في سَبيلِ اللهِ، [وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً]النساء:100. وفي الحديث:" إنَّ الهجرةَ لا تنقطعُ ما دامَ الجهادُ "، وفي رواية:" لا تنقَطعُ الهجرةُ ما قُوتِل العدُوُّ "، فالهجرةُ باقِيَةٌ ما بَقِيَ الجهادُ .. والجِهَادُ بَاقٍ ومَاضٍ إلى يومِ القِيامَةِ .. ومَن يُعَطِّلُ الهجرةَ لزِمَهُ أن يُعَطِّلَ الجهادَ في سبيلِ الله، فالهجرةُ والجهَادُ كُلٌّ منهما لازِمٌ ومَلزُومٌ للآخَر.

327- الهِجْرَةُ إذا تَعَيَّنت، ووجِدَت أسبَابُها، ودوَافِعُهَا .. عِبادَةٌ عَظِيمةٌ، أجرُهَا عَظِيم، لمن تَجَلَّد، وصَبرَ، واحتَسَبَ .. تَتَطلَّبُ جَلادَةً وصَبْراً .. لمَا تَنْطَوِي عليه من مُفارَقَة للأهْلِ، والأوْطَانِ، والمأْلُوفَاتِ، والعَادَاتِ .. وهَذا أمرٌ لا طَاقَةَ لأيِّ أَحَدٍ عليه .. وقَد

رأينَا كَثيراً ممَّن هاجَرُوا، ثم تحتَ ضَغْطِ الهِجْرَةِ، وتكَاليفِها .. لم يتحمَّلُوا ولم يَصبرُوا .. فآثَرُوا ذُلَّ العَودَة إلى أوطَانِهم؛ ليدْخلُوا مِن جَديدٍ في الرُّكونِ إلى الطُّغاةِ الظَّالمين، وفي عبُوديَّتِهم .. جَاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الهِجْرَةِ ـ يُريدُ الهِجْرَةَ ـ فَقالَ:" ويْحَكَ! إنَّ الهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ "متفق عليه. لا طَاقَةَ ولَا صَبْرَ لكَ على تحمُّلِ تَبِعَاتِها .. ومَشَاقِّها .. ثمَّ وجَّهَهُ إلى الإنْشِغَالِ بإبِلِه!

328- [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ]؛ بتَرْكِ الهِجْرةِ، والإقامَةِ في دَارٍ لَا يَسْتَطِيعُون أن يُظهِرُوا فيها دينَهُم، ويُجبَرُون فيها على إظهارِ الموافَقَةِ للمشركين الظَّالمين، [قَالُواْ]؛ لهم الملائِكَةُ:[فِيمَ كُنتُمْ]؛ مِن أمْرِ دِينِكُم .. كَيفَ كانَ دِينُكُم .. عَلامَ لم تكونُوا تُظهِرُون دِينَكم، وعِبادَتَكم للهِ تعالى وحدَه .. عَلامَ كنتم تُظهِرُون الموافقَةَ والمتَابَعَةَ للطُّغَاةِ الظَّالمين المجْرمين؟! [قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ]؛ اعتَذَرُوا بالاستضْعَافِ والخوْفِ مَعَ قُدرَتِهم على الهِجْرةِ، ووجُودِ البَديلِ، والأرضِ التي بمقدُورِهم أن يُهَاجِرُوا إليها، ويَستطيعونَ أن يُظهِرُوا فيها دينَهم، [قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا]؛ عذْرَكم مَرْدُود ومَرفُوض، معَ وجودِ الأرضِ التي بمقدُورِكم أن تُهاجِروا إليها، وأن تُظْهِرُوا فِيها دِينَكم مِن غَيرِ خَوفٍ .. فالتَّكليفُ على قَدْرِ الاستطَاعَةِ، وأنتم تَستَطِيعُون .. فعَلامَ لم تُهاجِرُوا؟![فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:97. لتَرْكِهِم الهِجْرة معَ الاستطاعَةِ، ولإظهَارِهم الموافقَة والمتَابَعَة للطُّغاةِ الظَّالمين المجرمين!

329- غَايَةُ الهِجْرَةِ سَلامَةُ النَّفْسِ، والعِبَادَةِ، والدِّينِ .. وأيُّمَا أرْضٍ يَتحقَّقُ فِيها هذا المقْصَدُ على الوَجْهِ الأَكْمَلِ والأفضَلِ، تَتَعَيَّنُ الهِجْرَةُ إليها .. بغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الصِّفَةِ الحَاكِمَة لهذِه الأرْض.

330- [أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا]النساء:97. شُرِعَت الهِجْرَةُ لغَايَاتٍ أَرْبَع: طَلَبَاً لِسَلامَةِ العبادَةِ والدِّينِ .. وطلَباً للأَمْنِ والأَمَانِ .. وطلَباً للعِلْمِ .. وطلَباً للرِّزْقِ والمعَاشِ .. وليسَ وراءَ ذلك إلَّا استِشْرَاف الذُّلّ.

* * * * *

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

331- [إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ]؛ بسببِ الجهَادِ، [فَإِنَّهُمْ]؛ أعداءكم من الكافرين، [يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ]؛ يُصيبُهم ما أصَابَكُم، فَلا يَنبَغِي أن يكونُوا أكثرَ مِنْكُم صَبراً وتجَلُّداً على تحمُّلِ الألمِ، وبخاصَّة أنَّكم، [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ]؛ نَصْرَهُ، ورِضَاه، والجنَّة، [مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. وهو مَا يفتقدُه أعدَاؤُكم؛ إذْ ليسَ لهم في الآخِرَة إلَّا النَّار!

332- [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. ممَّا يُعِينُ المؤمنين على الثَّباتِ على الحقِّ .. ومجاهَدَةِ البَاطِلِ .. والمضِي في الصِّرَاطِ المستقيم إلى نهايَتِه .. مهْمَا تكاثَرَت عليهم الآلامُ والمحَنُ، والجِرَاحُ .. وتكالبَ عليهم الأعْداءُ حَسَداً مِن عِندِ أنفُسِهم .. واستَهزَأَ بهم المستهْزِئون .. أنَّهم يَرجُون ـ مُقابِلَ ثبَاتِهم وجِهَادِهم ـ رِضَا اللهِ، وتَثبيتَه، وعَونَه، ونَصْرَه، وثوابَه، وجنَّتَهُ .. وهو ما يَفتقدُه الآخَرُون .. فَلا رَجاءَ لهم مِن اللهِ .. وليسَ لهم عِندَ اللهِ إلا نار جهنم وبِئسَ المصِير.

333- [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ]النساء:104. قَتْلَانَا في الجنَّةِ، وقَتْلَاهُم في النَّارِ .. شعارٌ ينبَغي على المجاهِدين في سبيلِ اللهِ أن يَرفَعُوه، ويُرَدِّدُوه، في كلِّ مَوقِعَةٍ، وكُلِّ زَمَانٍ.

* * * * *

وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً

334- [وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ]؛ الذين يخُونون اللهَ بمعصيته، ويُخونُون الحقُوقَ، والأماناتِ .. ويخُونُون الدِّينَ، والأوطَانَ، والعِبادَ، [خَصِيماً]النساء:105. مُخَاصِماً عنهم، تُدافِعُ وتُرافِعُ عنهم .. وفي الآية زَجْرٌ، ووعيدٌ شَديدٌ للمحَامِين الذين يُرافِعُون في المحاكِمِ نِيابةً عن الظَّالمين، يُدافِعُون عنهم، مُقابل عَرَضٍ من الدُّنيا .. كما فيها زَجْرٌ لمشايخ السُّوءِ الذين يُجادِلُون عن طُغاةِ الحكمِ الظَّالمين الآثمين!

* * * * *

وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ

335- [وَلاَ تُجَادِلْ]؛ ولا تُدَافِعْ باللِّسَانِ، [عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ]؛ بارتكابِ المعَاصِي، وركوبِ البدَع والأهواء، فتُعينُهم بجدالِك على المعصِيةِ، والخِيانَةِ، والبدَع، [إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً]؛ كثيرَ الخِيانَةِ للأماناتِ، والحقُوقِ، وما استرْعَاه اللهُ إيَّاه، [أَثِيماً]النساء:107. كثيرَ الوقوعِ في الإثمِ .. والنَّهيُّ كما يَشملُ النَّهيَّ عن الجدالِ عن الذين يختَانُونَ أنفسَهم بالمعاصِي .. كذلك يَشملُ النهيَّ عن الجِدالِ عن مشايخ البِدَعِ والأهْواءِ، الذين يَنشرُونَ بدعَهم وأهواءَهَم بين الناسِ .. وفي الأثرِ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه:" مَن وقَّرَ صاحِبَ بدْعةٍ فقد أعانَ على هَدْمِ الإسلام ".

* * * * *

فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً

336- [وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً]؛ ذَنْباً صَغيراً، [أَوْ إِثْماً]؛ ذَنْباً كبيراً، [ثُمَّ يَرْمِ بِهِ]؛ بِذَنْبِه الصَّغير أو الكَبيرِ، [بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً]النساء:112. فهذا اثْمُه مُغَلَّظٌ مُتَعدٍ إلى غَيرِه، ومُرَكَّبٌ مِن مجموعَةٍ مِن كَبائِرِ الذُّنُوب؛ فقد جَمَعَ في ذَنْبِهِ بينَ

الكَذِبِ، والبُهْتَانِ، والظُّلمِ، وشَهادَةِ الزُّورِ، والخِيانَةِ .. وأجْرَى حُكمَ اللهِ على غَيرِ مُسْتَحَقِّه .. وأمِنَ عَينَ الجبَّارِ وانتِقَامَه .. وهذا غَالِباً يُؤخَذُ بذَنْبِهِ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَة .. غيرَ الذي يَنتظرُهُ في الآخِرَةِ!

* * * * *

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ

337- [لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ]النساء:114. الكَلامُ ما كانَ مِنه لجَلْبِ نَفْعٍ، أو دَفْعِ ضُرٍّ، فهو لَك، وهو محمُودٌ .. ومَا سوى ذلك فهو عَلَيك، وهو مَذْمُوم .. قالَ صلى الله عليه وسلم:" مَن كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليقُلْ خَيراً أو ليَصْمُتْ ". وقالَ صلى الله عليه وسلم:" فمن كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيقُلْ خيرًا، أو يَسْكُتْ عن شَرٍّ، قُولُوا خَيرًا تَغنَمُوا، واسكُتُوا عن شَرٍّ تَسْلَموا ". وقال صلى الله عليه وسلم:" مَنْ صَمَتَ نَجَا ". أي مَن صَمَت عَن شَرٍّ، أو عَن قَوْلٍ مُتَشَابِهٍ، لا يُعرَفُ خَيرُهُ مِن شَرِّه، فَقَد نَجَا.

* * * * *

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ

338- [وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ]؛ فيخالفُه، ويُعارضُه، ويَقفُ في الشِّقِّ، والصفِّ، والطابورِ المخالفِ والمعارضِ لِشِقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى]؛ من بعد ما أُقيمَت عليه الحُجَّة، وظهرَت له الأدلَّةُ والبراهينُ النَّقليةُ والعقليَّةُ، الدالة على صِدقِ نبوتِه، وصِدقِ ما جاءَ به من عندِ ربِّه، [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ]؛ ويتبع غيرَ طريقِ ونهجِ المؤمنين ـ وبخاصَّة منهم الصَّحابة والتابِّعين لهم بإحسانٍ ـ الذين اتبعُوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم، [نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى]؛ نُوَلِّيه مَا تَوَلَّاه واختارَه مِن الكُفْرِ، والضَّلالِ،

والمشاققَةِ للرسولِ صلى الله عليه وسلم، ليبوءَ بإثمِه، [وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ]؛ التي يزيدُ حرُّ نارِها حرَّ نارِ الدُّنيا مجتمعة سبعينَ ضعفاً، [وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:115. وساءَت مآباً، ومرجعاً، ومُستقراً .. والآية فيها أن مخالفَةَ الإجماعِ، واتّباعَ غيرِ [سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كُفْر.

* * * * *

وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً

339- [وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ]؛ فيتوجَّه بالعِبادَةِ لغيرِ اللهِ، أو يجعلُ للهِ نِدّاً في صفةٍ مِن صِفاتِه، أو خاصيَّةٍ من خَصائصِه، [فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً]النساء:116. لم يَضِلْ وحَسْب، وإنما ضَلَّ ضَلالاً بعيداً جِدّاً عنِ الحقِّ، وعنِ الصِّراطِ المستقيم، وعنِ الغَايةِ التي خُلِقَ لأجْلِها .. وعن التَّكريمِ الذي كرَّمَهُ اللهُ إيَّاه .. وتاهَت به الدُّرُوب!

* * * * *

وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ

340- [وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ]؛ من التَّغييرِ الذي يأمرُ به الشيطانُ أولياءَهُ، ويُوحِي إليهم به؛ اللعبُ بهرمُوناتِ الإنسانِ، وقَتْلُ الهرمُونَاتِ الذَّكَرِيَّةِ عِندَ الذَّكَر، وقتل الهرُمونات الأنثويَّةِ عِندَ الأنثَى؛ فيغيرُنَّ الذَّكَرَ إلى أُنْثَى، والأُنْثَى إلى ذَكَر، وتَنْعَكِسُ الرَّغبَةُ لكلٍّ منهما .. وقالُوا هناكَ فريقٌ ثَالثٌ؛ لا هو ذَكَرٌ ولا هو أُنثَى .. وفريقٌ آخَر خليطٌ بين الجِنْسين .. وما بينَ الصِّنفينِ أصنافٌ عديدةٌ؛ ولا يزالُ الشيطانُ يلعبُ بِهم، ويُغَيِّرُ بِهم، ولَا نَدري التَّغيير في خَلْقِ اللهِ إلى أيِّ هاويةٍ سَينْتَهي .. ومن التَّغيير الذي يَأمرُهم به الشيطانُ؛ الوشم؛ موضَة العَصر .. ومَا تفعلُه النِّساءُ النَّسويَّات في زمانِنَا بأنفُسِهنَّ؛ فيغيرنَّ شَكلَ وجوهِهنَّ، وأنوفِهنَّ، وشفَاتِيرِهنَّ؛ حتَّى تُصبحَ شفَاتِير إحداهنَّ منتفخةً، ومُتدَلِّيةً إلى الأسفَلِ؛ كشفَاتِيرِ الجمَل .. ومِن علمائنا الأوائِل مَن فسَّر قوله:[فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ

اللهِ]؛ أي دِين اللهِ .. حلاله وحَرَامه .. وهذا بَعيد .. لأنَّهم لم يكونُوا يتصوَّرُون أن يبلغَ التغييرُ مَبلغاً في الخِلقَةِ والصُّورَةِ، كما بلغَ في هذهِ الأيام .. وأن يَطالَ التغييرُ صورةَ الإنسانِ ذَاتِه، [وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً]؛ يُطِيعُه فِيمَا يُوحِي إليه، وفِيما يأمرُه مِن التَّغْيِيرِ في خَلْقِ اللهِ، [مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً]النساء:119. بيّناً ظاهِراً، في الدُّنْيَا والآخِرَة.

وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً

341- [وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً]؛ يَعبدُه، ويُطيعُه، ويتَّبعُه فيمَا يأمرُه به، ويوسوسُ له، [مِّن دُونِ اللهِ]؛ الذي يجب أن يُفرَدَ بالعبادَةِ، والتَّوجُّه، [فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً]النساء:119. فقد هلَكَ، وخَسرَ نفسَه خُسراناً واضحاً وجَلِيّاً في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وأوبقَها العذَابَ الأَلِيم!

* * * * *

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً

342- [يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً]النساء:120. الطَّاعةُ لها ثمنٌ ومُقابلٌ؛ وحتى يُطيعُوا الشيطانَ فِيمَا يأمرُهم به، وينَهاهُم عنه .. فإنه يَعدُهم ويمنِّيهم - إن فَعلُوا وأطاعُوا - بالظَّفْرِ، والغِنَى، والوفْرَةِ، والازدهَارِ، وطُولِ العُمُرِ، والسَّعَادَةِ .. هذه المفردَات التي تَستَهويها الأنفُس، ومِن أيِّ طَريقٍ جاءَت .. ومَا يَعدهُم الشَّيطانُ ويمنِّيهم به على الحقِيقَةِ إلَّا كَذِباً، وبَاطِلاً!

* * * * *

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ

343- [لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً]النساء:123. أحكامُ الوَعْدِ، والوَعِيدِ، لَا تُقَامُ، ولَا تُبنَى

على مجرَّدِ التَّمني، والأمنيَاتِ، والرَّغبَاتِ، أو مجرَّدِ الانتسابِ إلى مُسمَّى الإسْلامِ، أو إلى اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ، مِن دُون اعتبَارٍ للإيمانِ والعمَلِ الصَّالحِ .. فالحقُّ لا يُحابي أحَدَاً .. وقانُون العَدْلِ يجري على الجميعِ؛ على المسلمِ وعلى غيرِ المسلمِ؛ مَن وقعَ في ذنبٍ، أو جرمٍ، أو تقصيرٍ عن واجبٍ، سيُحَاسَب عليه؛ أيَّاً كان اسمُه، وكان انتماؤُه، لَا يَتشفَّعُ له اسمُه، ولا مجرَّد انتمائِه، وانتسَابِه .. ولن يجدَ مَن يمنعُه مِن عدالَةِ اللهِ أن تَأخذَ طريقَها إليه .. ففي الآيَةِ الكريمةِ حَضٌّ وتَرغيبٌ على العملِ الصَّالحِ، وبذلِ الجهدِ في الخيرَاتِ، وعدَمِ التواكُلِ على المسميَّاتِ، ومجرَّدِ الانتسَابِ والانتماءِ مِن غيرِ عمَلٍ .. كما في الحديثِ الصَّحِيح، لما أنْزَلَ اللَّهُ:[وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ]الشعراء:214. قَامَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللَّهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئاً "متفق عليه.

* * * * *

وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله

344- [وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً]؛ لَا أَحَدَ أحسَنُ دِيناً، [مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله]؛ أخلصَ في عملِه وتوجُّهِه للهِ، [وَهُوَ مُحْسِنٌ]؛ وهو مُتَّبِعٌ للكتَابِ والسُّنَّةِ غير مُبتدِعٍ .. فجمَعَ بين الإخْلاصِ والاتِّباعِ، شَرْطَا القُبُولِ لأيِّ عملٍ تَعبُّدِي، [واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً]النساء:125. مُوحِّداً، مائلاً عن الشِّركِ إلى التَّوحِيدِ.

* * * * *

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ

345- [وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ]النساء:127. هذا تشريف عظيم للنساء، وإكرام لهنّ؛ فالله تعالى لم يُحِل الفتوى في النساء إلى نبيه ولا إلى العلماء، وإنما هو بذاته سبحانه يُفتي في النساء؛ ما لهن من حقوق، وما عليهن من واجبات ..!

الله تعالى بذاته يُفتي في النساء؛ لبيان عظيم قدر النساء، وعظيم حقوقهنّ، وما يستفتين فيه!

فكيف يليق بالنساء بعد هذا الإكرام والتشريف، أن ينصرفن عن الله، وعن دينه، وأن يستفتين غير الله في شأنهن، وحقوقهن .. فضلاً عن أن يلتمسن الفتوى في أنفسهنَّ وحقوقهن من أعدائه؛ من شياطين وطواغيت الإنس والجن .. فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

كيف يليق بالنساء بعد هذا الإكرام والتشريف أن يعرضن عن الحقوق التي شرعها الله لهن .. وهو سبحانه خالقهنّ، والخبير بهنَّ، وبأحوالهن، وبما يناسبهنّ، وما يحق لهن من حقوق .. ويستبدلنها بالحقوق التي شرعها لهنَّ الطاغوت؟!

كيف يليق بهنَّ بعد هذا الإكرام والتشريف أن يرضين لأنفسهن أن يفتيهن مَن هَبَّ ودَبَّ من شياطين الإنس .. يلتمسن الفتوى في أنفسهنَّ وحقوقهنَّ من الشرق والغرب .. ويعرضن عن فتوى الله فيهن؟!

أما المؤمنة الصالحة لا تستبدل فتوى الله فيها، بفتوى غيره كائناً من كان .. وأما غيرها من النساء، فليس بعد الكفر والنفاق ذنب!

[اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:257.

* * * * *

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ

346- [إِن يَشَأْ]؛ اللّهُ [يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ]؛ بالهلاكِ والاستئصالِ، والإفناءِ .. فيأخذكم بذنوبِكم .. فلا يَغُرَّنَّكم حِلمُ اللهِ بكم، وصَبرهُ عليكم، [وَيَأْتِ بِآخَرِينَ]؛ بدَلاً مِنكم .. يكُونون خيراً مِنكم .. ليسوا مثلكم في السُّوءِ، والإنحرافِ عن منهجِ اللهِ، [وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ]؛ على استبدالِكم بناسٍ آخَرين، [قَدِيراً]النساء:133.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ

347- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]النساء:135. ليسَت البطولَةُ في أن تُنصفَ نفْسكَ مِن الأعداءِ .. فهذَا الكلُّ يفعلُه، ويُحسِنُه .. ولكن البطُولةُ والعدلُ في أن تُنصفَ عدوكَ، ومَن لا تُحب، مِن نفْسِك، وممَّن تُحب مِن الأقارِب، والأخِلَّاء .. وأن تتجرَّدَ للحقِّ والعدْلِ ـ ولو على نفْسِكَ ومَن تُحِب ـ ابتغاءَ مَرضاةِ اللهِ سُبحانه، ورَجاءَ ما عندَه مِن ثوابٍ .. وهذا الذي تُوجِّهُ إليه هذه الآية الكريمة عبادَ اللهِ المؤمنين:[كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ]؛ صيغةُ مبَالغة؛ أي كونُوا شَديدِي الحرْصِ على القيامِ بالعَدلِ، والتمسُّكِ به، وبما يقتضِيه مِنكم .. فلا قِيامَ لكم، ولا سُؤْددَ لكم إن لم تقومُوا بالعدلِ وبواجباتِه .. [

شُهَدَاء لِلّهِ]؛ وأنتم إذْ تَشهدُون وتحكُمون بالعدلِ؛ فإنما تفعلون ذلك طاعةً للّهِ، وامتثالاً لأمْرِه، وتقرُّباً إليه، وطلباً لِرِضَاه، ورجاءَ ما عِندَه سُبحانه مِن أجرٍ وثوابٍ لأهلِ العَدْلِ .. لا لهوَى، ولا لغَرضٍ من أغراضِ الدُّنيا؛ لأنَّ مَن يلتزمُ العدلَ لغرضٍ من أغراضِ الدنيا .. يتخلَّى عن العدلِ عندما يَفتقِدُ الغرَضَ الذي مِن أجلِه التزمَ العدلَ، وحكَمَ به .. [وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ]؛ أي احكُموا بالعدلِ، وأنْصفُوا الحقَّ ولو مِن أنفُسِكُم، ومِن الوالدَين، والأقرَبين .. ولو كان صاحبُ الحقِّ الذي تحكُمون له من أعدَائِكم، ومِن الأباعِد، وممَّن لا تحبُّون .. وخُصَّت النفسُ بالذِّكْرِ، وكذلك الوالِدَان، والأقربُون لعظيمِ حقِّهم .. فمن أَنصفَ الحقَّ من نفسِه، ومن الوالدَين، ومن الأقرَبين .. حريٌّ به أن يحكمَ بالعدلِ، ويُنصفَ الحقَّ ممَّن سوى ذلك .. [إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا]، وحتَّى تُصيبُوا العدلَ في حُكمِكُم، وتتجرَّدُوا عن البواعِثِ، والروابطِ، والعوالِقِ، لا تنظرُوا إلى الخلفيَّةِ الاجتماعيَّةِ التي ينتمِي إليها من تحكُمون له أو عليه: هل هو فَقيرٌ أم غنيٌّ .. وهل هو ضعيفٌ أم قويٌّ .. وهل هو صغيرٌ أم كبيرٌ .. وهل هو عالمٌ أم جاهِلٌ .. وهل هو حاكمٌ أم محكُومٌ .. وهل هو ذَكَرٌ أم أُنْثَى .. ولو فعلتم شيئاً من ذلك؛ فتعاطَفْتُم مع أحدِ الفريقين على الآخَر ـ مهمَا كانت البواعثُ بريئةً ـ فلن تُصيبُوا العدلَ .. وقد تَقعُون في الظلمِ .. ومَا قد تخسَرُونَه بالعدلِ، أو تخافُون أن تخسرُوه بسببِ العدلِ .. ستخْسَرون أضعافَ أضعافِه بسببِ الظُّلمِ، وعدمِ حكمكم بالعدلِ، [فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ]؛ الخطابُ موجهٌ للمؤمنين .. والمؤمنُ يُستبعَدُ أن لا يحكمَ بالعدْلِ ـ بما أنزلَ الله ـ جُحُوداً، أو استحلالاً، أو استخفَافاً .. وإنما قد يَقع مِنه شيءٌ من الظلمِ، وأن لا يحكم بالعدلِ عن ضَعْفٍ، ورغبةٍ بعطَاءٍ، ومَيلاً لطرَفٍ على طرَفٍ، أو لأنه يحبُّ طرَفاً أكثرَ مِن آخَر؛ فيكونُ هواهُ معه على غريمِه .. فنَهى اللّهُ تعالى عن ذلك صوناً لقُدسية العدلِ،

ومكانتِه .. ولأنه من كبائرِ الذُّنوب .. وفي الآية دلالةٌ أن المؤمنَ لو حكمَ بالظلمِ، ولمْ يحكمْ بالعدلِ لرَغْبَةٍ، وميلٍ، وهوى في النَّفْسِ، لا يُعتبرُ كافراً كمَن لا يحكمُ بما أنزلَ الله جحُوداً، واستحلالاً، واستخفافاً، وانتقاصاً .. بدليلِ أن اللهَ تعالى قال في أوَّلِ الآية:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ إذ من يقع بهذا الوزر على الوصف الآنف الذِّكرِ لو كان كافراً لما خُوطِب بصفةِ الإيمانِ .. وعلى هذا الصنفِ من الحكَّامِ يُحمَل قولُ ابنُ عبَّاس، وغيره من السَّلفِ:" كفرُ دُونَ كُفْرٍ ". [وَإِن تَلْوُواْ]؛ تُخفُوا .. وتتلَجْلَجُوا .. وتُماطِلُوا، وتَمطُّوا بالألفاظِ، والجلسَاتِ، والمرافعَاتِ، لتضيعَ الحقوقُ، ويَغيبَ العدْلُ فِيما رُفِعَ إليكم، وتحكمُون فيه، [أَوْ تُعْرِضُواْ]؛ أو تتركُوا البتَّ والنظَرَ في القضيَّةِ كُليّاً، وفِيما رُفِعَ إليكم مِن مَظَالِمٍ، وتُميتُوا القضَايا في الدُّرُجِ .. والإعراضُ إعراضَان: إعراضٌ عن شرعِ اللهِ تعالى المنزَّلِ، والعدُولُ عنه إلى ما سِوَاه، وهذا ظُلمٌ أكبر، وكفْرٌ أكبر، وإعراضٌ عن البَتِّ والنَّظَرِ في القضيَّةِ المرفوعَةِ للقضاءِ لهوَى في النَّفْسِ، وهذا ظلمٌ أصغَر، وكفْرٌ أصغر، [فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]؛ لا يخفَى عليه شيءٌ مما تصنعُون، فاتَّقُوا اللهَ، واخشَوه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ

348- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ]؛ فصَدِّقُوا وحَقِّقُوا الإيمانَ؛ فآمَنُوا باللهِ، وملائكته، وكُتُبِه، ورسُلِه، وبالقضَاءِ والقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، [آمِنُواْ ...]النساء:136. اثبتُوا وحافِظُوا على إيمانِكم، واحرصُوا على تجديدِه وتقويتِه، واعْمَلُوا بمقتضَاه، وبما يَزيدُ الإيمانَ إيمانَاً .. وفي الحديث:" إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثّوبُ، فاسْأَلُوا اللهَ تعَالَى: أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكُمْ ".

* * * * *

لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً

349- [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً]النساء:137. فيه أنَّ المرتدَّ الذي تتكررُ رِدَّته وتَزيدُ عن ثلاثِ مرَّات .. زنديقٌ مُتلاعبٌ بالدِّين، لا يُستتابُ، ولا تُقبلُ توبتُه .. ولو تُرِكَ بابُ التوبةِ مفتوحاً مهما تكرَّرت الرِّدَّةُ .. لهانَ على المنافقِ أن يرتدَّ في الصَّباح، ويؤمنُ في المسَاءِ، ويَرتدُّ في المساءِ، ثم يؤمنُ في الصَّباحِ؛ ليفتنَ المسلمين عن دينِهم .. ولاستخَفَّ الناسُ بأمرِ الدِّين، واتخذُوه لعِباً!

* * * * *

حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ

350- [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ]؛ في القُرآنِ الكريم، [أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ]؛ وهذا يَشمَلُ جميعَ المجالسِ والتَّجمعاتِ التي يُطعَن فيها بالدِّين، ويُستَهزأ فِيها بآياتِ اللهِ، وأحكامِه، [حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ]؛ فإن أبيتُم إلا الجلوسَ معَهم بعدَ أن بلَغَكُم هذا النَّهي، فأنتم مِثْلُهم في الوزْرِ، وإن لم تَفعَلُوا فِعْلَهم .. فيه أنَّ الرِّضَى بالكُفْرِ كُفْرٌ، وأنَّ مَن يُجالِس مجالِسَ البَاطِلِ من غَيرِ إكْراهٍ، ولا إنْكَارٍ، ولا قِيَامٍ، له وزْرُ أصحابِها، وإن لم يَفْعَل فِعْلَهُم، [إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ]؛ الذين يُظهِرُون الإسلامَ، وفي نفس الوقت يُجالِسُون المستهزئينَ من الكافِرين في مجالِسِ اسْتِهْزائِهم، وطعنهم بالدِّين، [وَالْكَافِرِينَ]؛ الذين يُباشِرُون الاستهزاءَ بدينِ اللهِ، وآياتِه، [فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً]النساء:140. فكما اجتمَعُوا في الدنيا على الاستهزاءِ بدينِ اللهِ، وآياتِه .. يجمعُهم اللهُ يومَ القِيامةِ في نارِ جَهنَّمَ؛ فالعُقُوبَةُ من جِنْسِ العَمَلِ!

* * * * *

وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً

351- [وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً]النساء:141. فإن حَصَلَ في موقعةٍ مِن المواقِع، أو في ظَرْفٍ من الظُّروفِ الزَّمانيَّةِ أو المكَانيَّة، خِلافُ ذلك؛ يكونُ لخَلَلٍ، ونَقْصٍ، وضَعْفٍ في تَحقيقِ مَعنَى الإيمانِ في نُفُوسِ المؤْمنِين!

* * * * *

وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً

352- [وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً]النساء:142. لأنَّهم يَذْكُرُون غيرَه كَثِيراً .. والوَقتُ لا يتَّسعُ لِذِكْرِه، وذِكْرِهم معاً!

353- [وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً]النساء:142. مِن الصِّفَاتِ البارِزَةِ للمنافقِين أنَّهم لَا يَذكُرُون اللهَ في المواضِع التي يتعيَّن عليهم، ويُسَن لهم أن يَذكُروه فِيها، إلَّا قَليلاً؛ ليَدفَعُوا العتَبَ والحرَجَ عن أنفُسِهم، كما أنَّهم لَا يَذكُرُون اللهَ في هذه المواضِع القَلِيلةِ إلَّا قَليلاً؛ فالصَّلَاةُ ذِكْر، لِذَا فهم لا يُصَلُّون إلَّا قَلِيلاً، وإذا قَامُوا إلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى، ولو صَلُّوا لَا يخشَعُون، ولَا يَذكُرُون اللهَ في صلاتِهم القَلِيلَةِ إلَّا قَليلاً .. وهكذا حالُهم معَ سَائرِ العِبَادَات؛ قَلِيلٌ معَ قَلِيلٍ .. مَفهُومُ المخالَفَةِ؛ أنَّ الذين يَذكُرُون اللهَ كَثيراً ـ ويكُونُ لِسَانُهم رَطِباً بذِكرِ اللهِ ـ فإنَّهم مُبرَّؤُون مِن صِفَةِ النِّفَاقِ .. جعَلَني اللهُ وإيَّاكُم مِن الذَّاكِرين للهِ كَثِيراً.

* * * * *

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء

354- للمؤمنِين والمؤمِنَات طابُورٌ يقفُون فيه؛ بَعضُهم أولياءُ بَعْض، وللمنافِقِين والمنَافِقَات طَابُور يقفون فيه؛ بَعْضُهم مِن بَعض .. وبين الطَّابُورَين طابُورٌ كَبيرٌ، نَصيبُهم

مِن كتابِ اللهِ:[مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً]النساء:143.

355- [مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء]؛ سِمَتُهُم التَّرَدُّدُ، والتَّذَبْذُب، والتَّقَلُّبُ؛ ليسَ لهم قَرَارٌ، ولا استِقْرَار .. ولا لونٌ ثَابِتٌ يُعرَفُون بِه .. فتَارَةً يميلُون إلى المؤمنين، ويَقْتَرِبُون مِنهم .. ويَقُولُون لهم نحنُ مِنْكُم، ومَعَكُم .. وتارةً يَمِيلُون إلى الكافِرِين، ويَقْتَرِبُونَ مِنهم .. ويَقُولُون لهم نحنُ مِنْكُم، ومَعَكُم .. بِحسْبِ مَا تَقْتَضِي مصَالحهُم الشَّخْصِيَّةِ والحِزْبِيَّةِ .. وعَلى قَوْلِ المثَل:" محل ما بيرزَق بيلْصَق "! [وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً]النساء:143. ومَن كانَ هذا وَصْفُه وحَالُه، مَهْمَا حَاوَلتَ لن تَجِدَ له سَبيلاً لِهدَايَته!

356- [مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء]النساء:143. تارَةً تجدُهم يَقِفُون معَ الحقِّ؛ يَستَرْضُونَه .. وتارَةً تجدُهم يَقِفُون معَ الباطِلِ يَسترضُونَه .. بحسْبِ ما تَقتَضي مصَالحهُم الدُّنيويَّة!!

* * * * *

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ

357- [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ]؛ الذين يُظهرُون الإسلامَ، ويُبطنُون الكفرَ، والبغضَ لدِينِ اللهِ .. ظاهِرهُم معَ المسلمين، وباطنُهم مع الكافِرين .. ظاهِرُهُم التَّصدِيقُ، وباطِنُهم الكذِبُ، والتَّكذِيب، [فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ]؛ جهنمُ درجَاتٌ؛ بعضُها يعلُو بعض، وبعضُها أشدُّ إيلامَاً وعذَاباً مِن بعضٍ .. و"إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذابًا يومَ القِيامَةِ، لَرَجُلٌ تُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْها دِماغُهُ "متفق عليه. المنافقون في قَعْرِها السُّفلي؛ الأشدُّ إيلامَاً، وظلمةً، وعذَاباً؛ لأنَّ

كفرَهم أغلظُ، وضررَهم أكبرُ على الإسلامِ والمسلمين، [وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً]النساء:145. مُعيناً يمنعُ ـ أو يخففُ ـ عنهم العذَابَ.

* * * * *

مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ

358- [مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ]؛ اللهُ تعالى لا يعذبُ أحداً لمنفعةٍ ترتَدُّ عليه، أو لحاجةٍ، أو لدفعِ ضُرٍّ عنه .. أو لأيِّ غرَضٍ من أغراضِ الدُّنيا التي يعرفُها الناسُ؛ كالثَّأرِ، والتَّشفِّي، ونحو ذلك .. فاللهُ تعالى غنيٌّ عن ذلك كُلِّه .. وبالتالي يا ابنَ آدم حسِّن الظنَّ باللهِ، ولا تظنَّنَّ أن اللهَ تعالى خلقَكَ ليُعذِّبَك، أو أنك ليسَ لك عندَ اللهِ إلا العذاب .. فهذا ظنٌّ سيء قد يُردِيك .. و " مَا "؛ استفهاميَّةٌ تُفيدُ النَّفيَ الجاذِمَ؛ أي أنَّ اللهَ تعالى لَا، ولَن يُعذِّبَكم، [إِن شَكَرْتُمْ]؛ نِعَمَ اللهِ عليكم التي لا تُحصَى، ورَدَدْتُم ما أنتم فيه مِن نِعَمٍ وخيرٍ إلى فضلِ اللهِ عليكم، [وَآمَنتُمْ]؛ باللهِ، وقمتم بواجبِ ومتطلباتِ الإيمانِ .. وهذا عهدٌ من اللهِ، بأن لا يُعذِّب مَن شَكَر، وآمَن، ومَن أصدَقُ مِن اللهِ عَهداً؟! [وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً]؛ لمن يَشكرُه؛ فيزيدُه من فضلِه، ويَرضَى عنه، ويُثيبُه جنَّةَ الخُلدِ، [عَلِيماً]النساء:147. بمن يَشكر، ومَن يكفُر.

* * * * *

وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً

359- [وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً]؛ يَشْكُرُ القَلِيلَ بالكَثِيرِ، [عَلِيماً]النساء:147. بالشَّاكِرين، وبشُكْرِهم.

360- [وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً]النساء:147. يُعِينُ الشَّاكِرين على الشُّكْرِ، ثم يَشْكرُهُم على شُكْرِهم!

* * * * *

لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ

361- [لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ]؛ وهو كلُّ قَولٍ جَارِحٍ، نَابٍ بَذِيءٍ يَخرُجُ عَن حَدَّي الأدَبِ، والعَدْلِ .. فاللهُ لا يحِبُّه .. ولا يَرضَاهُ لِعبادِه، وينَهَانَا عنه، [إِلَّا مَن ظُلِمَ]؛ فاضطرَّ أن يُعَرِّفَ بمظلمَتِه، أو يُدَافِعَ عنها؛ فيَضطرُّ أن يقولَ مَا قِيلَ له من الكَلامِ الجَّارِحِ، وأن يُشِيرَ إلى الظَّالِمِ بما ظلَمَه، مِن غَيرِ تَوسُّعٍ ولا زِيَادَةٍ .. فهذا انتصَافٌ يُؤذَنُ به، مُسْتَثْنَى مِن النَّهي العَام، [وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً]النساء:148. لما يُقالُ، ومَا يُفعَل .. لا يخْفَى عليه شيءٌ سُبحانه .. فيه تَحذِيرٌ مِن استغْلالِ الرِّخصةِ في الانتِصَافِ مِن التَّوسُّع، والإسْرَافِ في الانتِصَافِ والانتقَامِ .. فيَزيدُ المنتَصِفُ عن الحَدِّ المسْمُوحِ بِه .. ويَردُّ الكَلِمَةَ بأضْعَافِها .. ويتحوَّلُ المظلُومُ إلى ظَالِمٍ .. ولو حصَلَ شَيءٌ مِن ذلك فاللهُ يَسْمَعُه ويَعْلَمُه، ويُحاسِبُ عليه.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ..

362- [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ]؛ في الإيمانِ، [بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ]؛ فيؤمنون باللهِ مِن دونِ الإيمان برُسُلِه .. [وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ]؛ وبعضُهم يقولون نؤمنُ ببعضِ الرُّسلِ، ونكفرُ ونكذِّبُ بالبعضِ الآخَرِ؛ فآمَن اليهودُ بموسى عليه السلام، وكفرُوا وكذَّبوا بعيسى، ومحمَّدٍ عليهما السلام، وآمَن النصارَى بموسى، وعيسى عليهما السلام، وكفرُوا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. بينما المسلمون آمَنوا بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُل: آمنوا بموسى، وعيسى، ومحمد صلواتُ الله وسلامه عليهم، وبغيرِهم من الأنبياءِ والرُّسُلِ، لا يفرقُون بين أحَدٍ من رسلِ اللهِ، لعلمِهم أن مَن يكفر برسولٍ

واحدٍ من رسلِ الله، لزمَهُ أن يُكَذّبَ، ويكفرَ بجميع الأنبياءِ والرسلِ، ويكفرُ باللهِ تعالى الذي أرسلَ جميعَ الرسُلِ .. [وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً]؛ أن يجمعُوا ويُوفّقُوا بين الكفرِ والإيمانِ، ويجعلُوا منه طريقاً ومنهجاً لهم في التَّدينِ، وهذا سبيلُ كُفْريٌّ باطلٌ مردُود، [أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً]؛ الذي لا يَعتريه الشكُّ والباطلُ بوجهٍ من الوجوهِ، لا ينَبغي التردُّد أو الشكُّ في كفرِهم، وكفرِ منهجِهم، [وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً]النساء:150-151. عذابٌ مع إهانةٍ وإذلالٍ؛ لأن كفْرَهُم يمازِجُه الكِبرُ والتَّعالي على الحقِّ، والخلْقِ، وعلى والإيمانِ بالرسلِ أو ببعضِ رسلِ اللهِ .. فيُعاقَبُون مِن جِنْسِ ذنبِهم!

* * * * *

فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً

363- [فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً]النساء:153. هَذا مَطلبُ الكُفَّارِ الملحدِين مِن قَبل، واليَوم، وعلى مَدارِ الأزْمِنَةِ والعُصُور .. وهؤلاءِ لو كانَ لهم عَقلٌ لما تَجرأوا على أن يَطلبُوا هذا الطَّلَب؛ فهم يُؤمنون ويُصدّقُون بالمخلوقِ الذي لا تُدركُه حواسُّهم، ولا يَستطيعون مشاهدَتَه .. ولَا يَشترِطُون للإيمانِ به أن يَروه؛ كالروح التي في أنفُسِهم مثلاً .. فإذَا كان هذا شَأنُهم معَ المخلُوقِ، فكيفَ يشترطُون للإيمانِ بالخَالقِ أن يرَوه جَهرَةً .. وأنّى لهم القُوَّةُ على ذلك، وفي الحديث:" حِجابُهُ ـ أي حجابُ اللهِ ـ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ـ بهاؤ ونورُ وجَلالُ وجْهِهِ ـ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ "مسلم. أي لاحترقَ الخلقُ كُله؛ لأن بصَرَه لا يفُوتُه شَيئاً مِن خَلقِه.

* * * * *

رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

364- [رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ]النساء:165. رغْمَ أنَّ الحُجَّةَ تُقَامُ على الإنسانِ مِن جِهَات عِدَّة؛ مِن جِهَةِ الآياتِ الكونيَّةِ، والنفْسيَّة، ومِن جهَةِ الفِطْرَةِ، ومِن جهةِ الميثَاقِ الذي أُخِذَ عليهم وهم كالذَّر في صلبِ آدَم عليه السلام، إلَّا أنَّ الحُجَّةَ التي يُنَاطُ بها الوعدُ والوَعِيدُ، ويَنعقِدُ عليها الحِسَابُ، وتَحسِمُ الأعْذَارَ؛ هي الحُجَّةُ التي تُقَامُ من جهةِ نَذَارَةِ الرُّسُلِ؛ فَمَن بلغَتْهُ نَذَارَةُ الرُّسُلِ، أو نَذَارَةُ ودَعوَةُ رسُولِ زَمانِه .. ثم قابَلَهَا بالرَّدِّ والإعرَاضِ .. لَمْ يَعُدْ يُعذَرُ بالجهْلِ .. فقد أُقِيمَت عليه الحجةُ الحاسِمةُ للأعْذَارِ، والتي يُحاسَبُ على أسَاسِها.

* * * * *

لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ

365- [لكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ]؛ إن كذَّبكَ الكفارُ والمشركون ـ يا محمد صلى الله عليه وسلم ـ وشهدُوا زُوراً ـ وبغيرِ عِلمٍ ـ أنَّك لستَ نبياً مُرسلاً .. وأنكروا ما في كتُبهم من أدلَّةٍ تدلُّ على أنَّك رسولُ الله .. فالله تعالى خالقُ الخلْقِ، وربُّ العالمين، يشهدُ أنك رسولُه، ويَشهدُ أن هذا القرآن الذي أُنزِلَ عليك إنما هو أُنزِلَ من عِندِه، وهو كلامه سُبحانه، [أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ]؛ لا يَتنزَّل منه شيءٌ إلا بعلمِه وأمرِه، [وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ]؛ والملائكةُ كلهم المقرَّبون منهم وغير المقرَّبين، يَشهدُون أيضاً أنك رسولُ اللهِ، وأن ما أُنزِل إليكَ هو الحقُّ مِن رَبِّك، [وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً]النساء:166. وشَهادَةُ اللهِ تكفي لمن يطلبُ الحقَّ .. إذ يَستحيلُ على اللهِ تعالى الذي له الأسماء الحُسنى والصِّفات العُليا أن يَدَّعِي رجلٌ النبوَّةَ، وأنه مرسلٌ من اللهِ، وهو في نفسِ الوقتِ يَكذِبُ في دَعْوَاه .. ويَكذِبُ فِيما يُبلِّغ عن اللهِ .. واللهُ تعالى يَراهُ ويَسمعُه، وهو قادِرٌ عليه .. ثمَّ ـ مع كَذِبِه ـ يَدَعُه اللهُ ..

بل ويصدِّقُه بالآياتِ، والمعجزاتِ، ويحفَظُه مِن شَرِّ أعدائِه، ويَنصرُه في حياتِه، وبعدَ مماتِه .. ويضعُ له ولدينِه القبولَ في الأرضِ .. فهذا يَستحيلُ وقوعُه .. ومجرَّدُ افتراضِ وقوعِ شيءٍ مِن ذلك، هو مِن سُوءِ الظنِّ باللهِ عز وجل!

* * * * *

إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ

366- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ]؛ باللهِ، [وَظَلَمُواْ]؛ فأتبعُوا كُفرَهم طُغياناً وظلماً للعبادِ، وحَرْباً على اللهِ، ورسولِه، والمؤمنين .. وطَعناً بالدِّين .. فهؤلاء مِن ذَوي الكُفْرِ المغلَّظِ والمركَّبِ، وهم أشَدُّ جرماً وكُفراً مِن ذَوي الكُفْرِ المجرَّد .. والسُّنّةُ في ذَوي الكفرِ المغلّظِ المركّبِ، [لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ]؛ أن لَا يَغفرُ اللهُ لهم ذنُوبَهم، [وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً]. مستقيماً يُؤدي بهم إلى النَّجَاةِ والفَلاح، [إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ]النساء:168-169. إلا طريقاً واحداً يُوصلُهم، ويَنتهي بهم إلى جهنَّم .. [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً]؛ لا يخرجون مِنها أبَداً!

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

367- [إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ]المائدة:1. الخَلْقُ خَلْقُهُ، والمُلْكُ مُلْكُه، والعِبَادُ عِبادُه، والرِّزْقُ رِزْقُه، وهو رَبُّ العالمين، ولا يكونُ في مُلكِه الواسع إلا ما يَشَاء، ومن كان كذلك له الحقُّ وحدهُ في أن يَحكمَ ما يُريد .. يُحلُّ ما يَشاء، ويُحرِّمُ ما يَشاء .. يُعِزُّ مَن يَشاء، ويُذِلُّ مَن يَشاء .. ويَفعلُ في خلْقِهِ ما يشاء، [لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ]الرعد:41. لا رادَّ، ولا مانعَ، ولا مُبطِلَ لحكمِه.

* * * * *

وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

368- [وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. هذه الآية الكريمَة تُجيبُ عن نِصْفِ المسَائِلِ التي يَسْألُ عنها النَّاسُ، ويُريدُون فِيها فَتْوَى .. وعِندَما يختلفُ عالمان حَولَ مَسألةٍ مِن هذه المسَائلِ؛ هو لاختِلافِ تَقْدِيرِهمَا؛ هل هذهِ المسَأَلَة أقرَبُ للبرِّ والتَّقْوَى، أَم أَنَّها أَقرَبُ للإثمِ والعُدْوَان.

369- [وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى]؛ حيْثُمَا يُوجَدُ البِرُّ والتَّقوَى، يَجِبُ التَّعَاونُ، وتَجوزُ المشَارَكَةُ، [وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. وحيثُمَا يُوجَدُ الإِثْمُ والعُدْوانُ، يَجِب الاعتِزَالُ، والابتِعَادُ، وعَدَمُ التَّعاونِ، والمشَارَكَةِ.

* * * * *

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً

370- عندما يكون الإسلامُ جزءاً من الحلِّ؛ فإنه لا يعطي عطاءَه المرجو .. وعندما يرتَضي أتباعَ الإسلامِ أن يكونَ الإسلامُ جزءاً من الحلِّ، وليس كلَّ الحلّ، فإنهم بذلك يحكمون على الإسلام بالفَشلِ، ويُظهرونَه في أعينِ الناسِ بصورةِ الدين

الناقص القاصِر، العاجز عن إيجاد الحلول للأمَمِ والشعوب التي ترتضيه حَكَماً، وأنه بحاجة إلى حلول إضافية تُجبر نقصه، وتساعدُه على ما هو فيه، والله تعالى يقول:[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3. [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً]المؤمنون:115. هَملاً من غير حكمةٍ، ولا غايةٍ، ولا شريعة شاملة، توصلكم إلى تلك الغاية؟!

371- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. فيهِ حَسْمٌ لأعْذَارِ، وشُبهَاتِ، وحُجَجِ المُبْتَدِعَةِ؛ الذين يُحْدِثُون في دِينِ اللهِ ما ليسَ منه .. بذَريعَةِ أنَّ الدِّينَ ناقِصٌ، وأنَّهم بما يُحْدِثُونَه مِن البِدَعِ في الدِّينِ، يُجْبِرُون نَقْصَه!

372- كما فيهِ رَدٌّ على كُلِّ مَن يَزعُمُ أنَّ الدِّينَ نَاقِصٌ .. لا يُواكِبُ ولا يَفِي بحاجياتِ ومَتَطَلَّباتِ العَصْرِ .. وبالتَّالي لا بُدَّ مِن أن نَجْبُرَ هذا النَّقصِ مِن قَوانينَ وتَشريعاتٍ وضْعِيَّةٍ بَعضُها يأتِي مِن الشَّرْقِ، وبَعضُها الآخَر يأتِي مِن الغَرْب!

373- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. الدِّينُ الذي يَفِي بجميعِ مَصَالِحِكُم الدِّينِيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ على مَرِّ العُصُورِ والأزْمانِ، وإلى أن تَقُومَ السَّاعَةِ .. فَلا تَحْتَاجُون معه إلى دِينٍ آخَر.

374- [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ]المائدة:3. الكَمالُ الذي لا يَعْتَريه النَّقْصُ مِن جِهَةِ الكَم، ولا مِن جِهَةِ النَّوْع.

* * * * *

فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

375- [فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:3. مِن هذه الآيةِ الكَرِيمةِ وغيرها استنبطَ أهلُ العِلمِ القاعِدَة التي تَقُول:" الضَّرُورَات تُبيحُ

المحظُورَات ". " والضَّرُورَاتُ تُقَدَّر بِقَدْرِهَا "؛ فالمأكُولاتُ التي تكونُ محظُورةً في الحالاتِ الطَّبيعيَّةِ، تكونُ مُباحةً في حالاتِ المجَاعَةِ، التي يترتَّبُ عليها هلكَةُ الإنسَانِ، أو هلكَةُ عُضْوٍ مِن أعضَائِه، بالقَدْرِ الذي تندَفعُ به الضَّرورَة، ويُزالُ الضَّررُ .. مِن غيرِ مَيْلٍ وتَوسُّعٍ في انتهاكِ المحظُوراتِ، بما يَزيدُ عن حَدِّ الضَّرورَةِ والحاجَةِ .. وفي حَالِ إباحَتِها يَسقطُ الوَعِيدُ المتعلّقُ بها طيلَة فترَةِ الإبَاحَةِ.

* * * * *

وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ

376- [وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ]؛ بأركانِ الإيمانِ، وهي: الإيمانُ باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، والقَضَاءِ والقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، أو يَكْفُرُ بِرُكنٍ واحدٍ مِن أركانِ الإيمانِ، أو يكفُر ببعضِ الرُّكْنِ من أركانِ الإيمانِ؛ كأن يُؤمن ببعضِ الكُتُبِ، ويَكفُر ببعضٍ، أو يُؤمنُ ببعضِ الكِتَابِ الواحِد ويَكفرُ ببعضٍ، أو يُؤمنُ ببعضِ الرُّسُلِ ويَكْفُرُ ببعضٍ، ولو برسولٍ واحدٍ من رُسُلِ اللهِ، أو يُؤمن ببعضِ الملائكةِ المقرَّبينِ ويَكفُرُ ببعضٍ .. فجميعُ هؤلاء لهم حكمٌ واحِدٌ، ووصفٌ واحِد؛ وهو الكُفْرُ بالإيمانِ، ومَن يَكْفُر بالإيمانِ، [فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ]؛ بَطُلَ عمَلُه الصَّالح، وما كان منه مِن صَدقَةٍ أو صومٍ، أو صَلاةٍ، وبَطُلَ الانتفاعُ به؛ كأنه لم يَكُنْ، فكما أنَّ الشِّرْكَ يُحبطُ العمَلَ ويُبطلُه، ويَمنعُ من الانتفاعِ به، كذلك الكُفْرُ يُحبِطُ العملَ، ويُبطله، ويَمنعُ من الانتفاعِ بِه، [وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ]المائدة:5. مِن الهالِكين؛ إذْ لم يَعُد في صَحِيفَتِه مِن حَسَناتٍ يَنتفعُ بها يومَ القِيامة.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ

377- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ]؛ كُونُوا كَثِيرِي وشَدِيدِي القِيَامِ بحقُوقِ اللهِ تعالى عَليكُم، مِن غَيرِ تَرَاخٍ، ولَا تكاسُلٍ، ولَا تَوَاكُلٍ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي العِبادَةِ، والتَّوجُّهِ، والإخْلاصِ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي الغَضَبِ، والرِّضَى، والسُّخْطِ، لَا تَأخذُكُم فِي اللهِ لومَةَ لائِمٍ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي الحُبِّ والكُرهِ .. قَوَّامِينَ للهِ فِي الحُكْمِ والشَّهادَةِ، [شُهَدَاء]؛ على أنفُسِكُم، وغَيرِكُم، [بِالْقِسْطِ]المائدة:8. بالعَدْلِ، فلا تُحَابُون فِي الحقِّ أحَدَاً.

اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

378- [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ]؛ لا يحملنَّكم يَا مُسلمين، يَا مَن رَضيتُم بالإسلامِ دِيناً، [شَنَآنُ]؛ عداوتُكم وبغضُكم لـ [قَوْمٍ]؛ على أيِّ دينٍ أو ملَّةٍ كانُوا، ولأيِّ سَبَبٍ من الأسْبابِ، [عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ]؛ يمنعكُم مِن العَدلِ فِيهم لكُفْرِهم، أو لبغضِكُم وعداوتِكُم لهم، [اعْدِلُواْ]؛ أمرُ يُفيدُ الوجُوبَ، وجوبُ العدْلِ معَ مَن تُحب، ومعَ مَن تَكرَهُ وتبغَضُ سَواء، [هُوَ]؛ أي العَدْلُ مع البعيدِ كما معَ القَريبِ، ومعَ العدُو كما معَ الصَّديقِ، ومعَ الكافِرِ كما معَ المؤمنِ، [أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى]المائدة:8. أقربُ لمُلازَمَةِ التَّقْوَى، وللسَّلامةِ، وللعَدلِ وتحرِّي الحقِّ، وتَفَادِي الظلمِ، ولأن تكونَ من المتَّقين العَادِلين المصْلِحين.

379- [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى]المائدة:8. كُلَّما كان المرءُ قادراً على إنصَافِ الأخَرين، وأن يُنزلَهم المنزِلَةَ التي يَستحقُّونَها، ممَّن يختلفُون مَعَه، كان علامَةً على النُّضْجِ، والتَّرفُّعِ عن الهوَى، والقُربِ مِن التَّقوى، ومِن أن يكونَ مِن المتَّقين.

ليسَت العظَمَةُ في أن تعدِلَ مَعَ مَن تُحِبُّ أو معَ القَرِيبِ؛ فهذا الكلُّ يفعلُه ويُتقِنُه .. وإنَّما العظَمةُ والبطولَةُ في أن تَعدِلَ معَ مَن تبغَض، وتُعَادي، ومعَ البَعِيدِ .. وهو مَالا يُتْقِنُه، ولا يَقْدِرُ عليه إلا القَلِيل!

* * * * *

فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء

380- نسيانُ حَظٍّ من الدين والتَّوحيد، يُورِثُ العَداوةَ والبَغْضاءَ، والتنازُع والفرقة، فيما بين الإخوان والأصحاب، على قَدْرِ ونوعِ النّسيان، كما قال تعالى:[فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء]المائدة:14. وعلى الذين يَنشدون توحيدَ الصّفوفِ، وجمعَ الكلمة، أن يتنبّهوا لهذا البعد والمعنى.

381- [وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى]؛ من أنصارِ وأتباعِ المسيح عليه السلام، وما أُنزِل عليه من ربه، [أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ]؛ العهد على ما قالوا، وعلى الإلتزامِ بما قالوا، [فَنَسُواْ]؛ فنقضوا العهدَ، وأعرضوا، وتركوا، وأهمَلُوا [حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ]؛ بعضاً من الدِّين الذي أنزله اللهُ تعالى على عبده عيسى عليه السلام .. فكانت النتيجة، والعقوبة الدنيوية المستعجلة [فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء]؛ فتفرقوا نتيجة لذلك إلى فِرَقٍ وطوائف شتى تُكفِّرُ بعضها بَعضاً، وتلعنُ بعضها بعضاً .. وتُعادي بعضها بعضاً .. وهم كذلك إلى يومِنا هذا، و [إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]، وهذا الإخبارُ عن النصارى، وإلى يوم القيامة، من إعجاز القُرآنِ الكريم .. ومن علامات صِدقِ نبوَّةِ نبينا صلى الله عليه وسلم .. إذ لو كان واقعُ النصارى في أي حِقبة من الزمن بخلافِ ما وصفهم به القرآنُ الكريم، لكذَّبوا القُرآنَ الكريم، ولأتَوا بالدليل على بُطلانِ نبوَّةِ النبي محمد صلى الله عليه وسلم .. وأنَّى! .. وفي يوم القيامةِ يجازيهم اللهُ على صَنيعهم هذا، ويُعاقِبهم عليه، [وَسَوْفَ يُنبِئُهُمُ

اللهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ]المائدة:14. وفي ذلك عِظَةٌ للمسلمين وعِبرة، وتحذيرٌ لهم من أن يفعلوا فِعلَ النصارى .. فإن فعلوا ونَسوا حَظّاً من الدِّين والتوحيد .. وأعرضوا عن بَعضِ ما أُمروا به، وتَركوه .. فإن العقوبة هي ذاتها؛ التَّفرقُ في فِرَقٍ وأحزابٍ متفرِّقة متباغضة .. تُعادي بعضها بعضاً، وتلعن بعضها بعضاً .. وكلما زِيدَ في النسيان، والتَّركِ، والإعْراض، زِيدَ في التَّفرُّقِ والتَّباغُضِ، والتدابُرِ .. فليس للنصارى كل مُرَّةٍ، ولنا كل حُلْوَةٍ .. والذين يَنشدون الوحدةَ ونَبذَ الفُرقةِ فيما بين المسلمين مع تواطؤهم على نسيان حظٍّ من الدين .. كَمَن ينشدُ الشيءَ وضِدَّهُ، وهو يُصادم هذه الآية الكريمة بكلِّ وضُوح!

* * * * *

وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

382- [وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]المائدة:23.التوكّلُ عَمَلٌ قَلبي؛ وهو اسمٌ جامعٌ لجميع معاني التَّفويضِ، والثِّقَةِ، والرِّضا، والاستسلامِ، والصّبر. بينما الأسبابُ وتَعاطِيها من عمَلِ الجسدِ والجَّوارح الظَّاهرةِ، لا يجوز أن يَسْرِي منها شيءٌ إلى القَلبِ، ولو سَرَى منها شيءٌ إلى القلب لَعُدّ خرْمَاً في التَّوكّل ونَقصاً فيه، وعلى قَدْرِ ما سَرَى منه .. ولو سَرَى شيءٌ ممّا في القلبِ من توكّلٍ إلى الجسَدِ والجوارح الظاهرة، لَعُدَّ تَواكلاً، وخَرْماً ونَقصاً في العقلِ، والدِّين، بقدر ما سَرَى منه .. والتوكّلُ بهذا المعنى العام والشَّامل، يُعتَبرُ شَرطاً لصحّةِ الإيمان، كما قال تعالى:[إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ].

* * * * *

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

383- [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]المائدة:26. مِن أعظمِ وأجَلِّ النعَمِ التي يمنُّ اللهُ بها على عبادِه .. هدايتهم إلى صراطِه المستقِيم .. وأن يُعَيّشَهُم في ظلِّ حُكْمٍ يحكُمُ

فيهم بما أنزَلَ اللهُ .. ومِن أشقَى الشَّقاءِ إنصرافُهم عن حُكْمِه وشَرْعِه، وعن صراطِه المستقيم .. وإيثارُهم للفسُوقِ والعصيان .. وفي كثيرٍ من الأحيانِ ينتابُ الدُّعاةُ إلى اللهِ الحزنَ على قومٍ آثَرُوا الضلالَ على الهُدَى .. والفسوقَ والعُصيانَ على الاستقَامةِ على أمرِ اللهِ .. لما فاتَهم من خيرٍ كثيرٍ في الدُّنيَا والآخِرَة .. إلَّا أنَّ حكمَ الله تعالى فاصِلٌ وحاسِمٌ في هذه القضيَّةِ، [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]؛ هُم لا يَستحِقُّون هذا الخير الذي فاتَهم .. كما أنَّهم لا يَستحِقُّون أن تحزَنَ عليهم!

* * * * *

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

384- [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]المائدة:27. الذين يتحقَّقُ في أعمالِهم شَرطَان: الإخْلاصُ، والمتَابَعَةُ للشَّرْعِ المنزَّلِ.

* * * * *

مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً

385- [مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً]؛ أيّاً كانت هذه النفس، كانت شَرقيّةً أم غربيّة، غَنيةً كانت أم فقيرة، شَريفةً كانت أم وضيعة، وأيّاً كان لونُها، وجِنْسُها، ودينُها، [وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً]المائدة:32.

* * * * *

إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً

386- [إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ

خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ]المائدة:33. هذه الآيةُ الكريمةُ نزَلَت في العُرَنيين؛ قومٌ من عُرَيْنة .. وهؤلاء ارتدُّوا بعدَ إسلامِهم .. وقَتَلُوا النَّفسَ التي حرَّمَ اللهُ .. وسَرقُوا إبلَ بيتِ المسلمِين .. وغَدَرُوا بعهدِ وأَمَانِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لهم، واستخفُّوا به .. وشَهرُوا السلاحَ، وأخافُوا السَّبيلَ .. فجمعُوا بين جميع هذه الموبِقَاتِ المهلِكَات .. فأنزلَ اللهُ فيهم آيةَ حَدِّ الحِرَابَة الوارِدَةِ أعلَاه .. واستَحقُّوا العقوبةَ .. وعلى هذه الآيةِ الكريمةِ، وعلى من نزلَت فِيهم قاسَ أهلُ العِلم كلَّ من حملَ السِّلاح يَقطعُ الطريقَ على المسلمِين؛ يُخيفُهم، ويُغيرُ على أنفسِهم، وأموالِهم، وحُرماتِهم، وبيوتِهم، ورواحِلهم .. على تفصيلٍ تَناولتهُ كُتبُ الفِقه والتَّفسير؛ متَى يُقتَل، ومتَى يُقتلُ صَلباً، ومتَى يُكتفَى بقطع الأيدِي، والأرجُل من دونِ أن يُقتَل، ومتى يُكتفَى بنفيه وسجنِه من دونِ أن يُقتَل .. وهل يُعفَى عنه في حال توبته قَبل القدرَةِ عليه .. وهل تنفعُه التوبةُ بعدَ القُدرةِ عليه .. فهذ التَّفصيلُ ليسَ هنا موردُه .. وإنما أَرَدْنا الإشارَةَ إلى عدمِ جَوازِ التَّوسُّع في استخدامِ هذه الآيةِ الكريمةِ، والقياسِ عليها على كلِّ مَن يقَع في نوع فسادٍ في الأرضِ .. أو يُعارضُ ظلمَ حاكمٍ مُستبدٍّ .. أو يُسمعَه كلمةَ حقٍّ .. فيُقتَل، ثم تُحمَل عليه آيةُ حدِّ الحرَابة .. أو تحتَ عنوان " القَتْلُ تَعزيراً !"، فهذا تحميلٌ للآيةِ ما لا تحتَملُ، وهو من الظلمِ الشَّديدِ، والإسرافِ في القَتلِ بغيرِ حقٍّ، قد نَهى الشارعُ عنه .. فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللَّهِ، إِلَّا بإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَماعَةِ "البخاري.

* * * * *

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ

387- [سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ]؛ صيغَةُ مبالغَة؛ أي كثيرُوا الاستماعِ، والإصغاءِ للكذِبِ .. وهم اليهودُ، ومَن والاهُم مِن الكافِرين، والمنافقِين .. كلُّ كَذِبٍ على الإسلامِ والمسلمِين .. وتَكذِيبٍ للإسلامِ والمسلمِين .. وتَصدِيقٍ للكَذِبِ .. يَرغبُون بالاستماعِ له .. ويَرغبُون بإشاعَتِه، وترويجِه؛ لأنه يَروي بعضَ أحقَادِهم، ويحقّقُ لهم بعضَ التَّشفِّي والشَّماتةِ بالإسلامِ والمسلمِين .. وهو سِلاحُهم المعتمَد في تشويهِ صُورةِ الإسلامِ، وتَنفيرِ الناسِ عنه، [أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ]المائدة:42. أي كثيرُوا الأكْلِ للحرَامِ، لا يتورَّعون عن أكلِ الحرامِ .. والسُّحت كلُّ ما حرَّمَهُ اللهُ، وحرَّمَ التكسّبَ به، ومِن خلالِه؛ كالرِّبَا، والرشوةِ في الحكمِ، والسّرقةِ، والغشِّ، والميسِرِ، وبيعِ الخمرِ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وغيرها ...!

388- [أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ]المائدة:42. أَكَّالُونَ للرشْوَةِ في الحُكْمِ .. وقَد قِيل:" البرَاطِيلُ تَنْصُرُ الأبَاطِيلَ "!

* * * * *

فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ

389- [فَلاَ تَخْشَوُاْ]؛ الطُّغاةَ والظالمين مِن [النَّاسَ]؛ فتكتُموا العِلمَ والحقَّ خشيةً ورهبةً مِنهم، وكان الواجِبُ عليكم أن تُبينُوا العِلمَ، وتَصدَعُوا بالحقِّ، [وَاخْشَوْنِ]؛ فاللهُ أحقُّ وأَولَى أن تخشَوه، وتخشوا عذابَه، وأن تَلتمسُوا رِضَاه، [وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً]المائدة:44. ولا تكتموا الحقَّ .. ولا تحكُموا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ مُقابِل متَاعٍ أو غرَضٍ من أغرَاضِ الدُّنيا .. ومهما كان الثمنُ المدْفُوع مقابلَ كتمَانِ الحقِّ، وعدَمِ الحُكمِ بما أنزَلَ اللهُ كثيراً، ومُغرياً .. فهو قياساً لما عِندَ اللهِ مِن أجْرٍ، وثوَابٍ، ونَعيمٍ .. قَليلٌ، وقَليلٌ جِدّاً!

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ

390- [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ .. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]المائدة :44-45و47. يُراد من الآياتِ الثلاث الكُفْرُ الأكبرُ، والظُّلمُ الأكبرُ، والفُسقُ الأكبرُ؛ لأنَّ جميعَها نزلت في أهلِ الكِتابِ اليهود والنَّصارى .. وهي تُحمَل على حُكَّامِ المسلمين إن طابَقَت أعمالُهم أعمالَ اليهودِ والنَّصارى .. فإن لم تُطابِق، ولم تُماثِل .. وإنَّما وقَعُوا في الحُكْمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عن شَهوةٍ، وهوى، وتَأويلٍ .. من غيرِ جُحُودٍ، ولا انتِقَاصٍ، ولا اسْتِخْفَافٍ .. فتُحْمَل عليهم الأحكامُ التَّاليةُ: الكُفرُ الأصْغَرُ، والظُّلمُ الأصْغَرُ، والفُسقُ الأصْغَرُ؛ أو كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وظُلمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وفُسْقٌ دُونَ فِسْقٍ؛ لا تُخرِج صَاحِبَها من المِلَّةِ .. كما قال بذلك بعضُ الصّحَابة والتَّابعين.

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

391- [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]المائدة:45. لأنَّ كلَّ حُكمٍ مغَاير ومخالِف لحكمِ اللهِ تعالى فهو ظُلْمٌ .. وكلّ مَن يَرتضِي الحكمَ بغيرِ ما أنزَلَ اللهُ، فقد رَضي لنفْسِه الظُّلمَ، وحكَمَ بالظُّلمِ .. فكان ظَالماً ومَظْلُوماً؛ ظَالماً مِن جهةِ حُكمِه بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، ومَظلُوماً مِن جهةِ أنه أجرَى على نفْسِه الحكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ!

* * * * *

فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ

392- [فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ]؛ بشَرْعِ اللهِ المنزَّلِ، [وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ]؛ مَا يَرغَبُونه، ويميلُون إليه مِن الشَّرعِ المبَدَّلِ .. رغبةً فِيهم، أو بما عِندَهُم، ومَعَهم .. فيَحمِلُكَ ذلك على الانصِرَافِ، [عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ]المائدة:48. عن القُرآنِ الكريمِ، والشَّرعِ المنَزَّلِ .. وموافقَتِهم على ما يُريدُون، ويَرغبُون .. وهذا الخِطابُ كما هو موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهو موجَّهٌ لأمراءِ وعُلماءِ أمَّتِهِ .. فكلُّ خطابٍ موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم مِن ربِّهِ، هو موجَّهٌ لأمَّتِه، إلى يومِ القِيامَةِ .. مَا لم يَرِدْ نَصٌّ أو قَرِينَةٌ شرعيَّةٌ تُفيدُ أنَّ هذا الخِطَاب خاصٌّ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم دونَ غيرِهِ مِن أُمَّتِه.

* * * * *

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ

393- [وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ]؛ لا تتوقّفُ محاولات الكفارِ عن ثَني أهلِ الحقِّ عن الحقِّ، والإيمانِ .. فمن وجدُوه لا يُؤتَى من جهةِ الإغْراءِ بعرَضٍ مِن الدُّنيا .. ساومُوه في المتابَعَةِ، وقالُوا له: نؤمنُ ببعضِ الكتَابِ .. نتبعُكَ ببعضِ ما أنزلَ اللهُ .. مُقابلَ أن تتركَ ـ أو تَعفينا مِن ـ البعضِ الآخَر .. يُتابعُونَه فِيما سَهُلَ عليهم، ويُساومُونه فِيما صَعُبَ عليهم .. فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه وتحذيرَه لمواجهَةِ هذا الموقفِ الذي يواجهُ المؤمنِين، والذي قد يتكرَّرُ في كلِّ زمَانٍ:[وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ]؛ احذَرْ أن تطيعَهم وتتابعَهم فِيما يطالبونَك به .. فتَضِل، وتَهلك .. حتى وإن تولَّوا وأعرضُوا عن متابعةِ الحقِّ بالكليَّةِ، [فَإِن تَوَلَّوْاْ]؛ وأعرضُوا عن متابعةِ الحقِّ؛ لأنك لم تُطاوعْهم، ولم تجبْهم إلى ما طالبُوك به .. فَلا تَأسَ عليهم، [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم]؛ بعذَابٍ وعِقابٍ مِن عِندِه في الحياةِ الدنيا غيرَ الوعيدِ الشَّديدِ الذي يَنتظرُهم يومَ القيامَة، [

بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ]المائدة:49. التي اقترفُوها، والتي مِنها مساومتهم الباطِلَة لك .. وإعراضُهم عن متابعَةِ الحقّ.

* * * * *

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

394- [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ]المائدة:50. يَطْلبُون .. ويَقْصُدُون .. ويُريدُون؟! سُؤالٌ فيه تَقْرِيعٌ، وإنْكَارٌ، وتَعَجُّب ممّا يَطلبُون .. إذْ كيفَ يَعْدِلُون عَن حُكمِ اللهِ المنزَّلِ إلى حُكمِ الجَاهِليَّةِ .. وحُكمُ الجاهليَّةِ ليسَ مَقْصُوراً على عَصْرٍ دُونَ عَصْرٍ .. أو زَمَانٍ دونَ زَمَان .. أو حُكْمٍ دُونَ حُكْمٍ .. فكُلُّ حُكمٍ يُضَادُّ، ويُضَاهِي، ويُخَالِفُ حُكمَ اللهِ، له صِفَةُ حُكْمِ الجاهِليَّةِ .. وكلُّ مَن يَعْدِلُ عَن حُكمِ اللهِ تعالى، ويَطلُبُ التَّحاكُمَ إلى شَرَائع تُضَاهِي وتُضَاد حُكمَ اللهِ، فهو ممَّن يحتكمُ إلى شَرائع وحُكْمِ الجاهِليَّةِ .. وممن يَبغون حُكْمَ الجَاهِليَّة!

* * * * *

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ

395- [بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ]المائدة:51. في أيما صِرَاعٍ - وعلى مَدارِ الأزْمِنَةِ - بينَ الحقّ والباطِلِ .. تجدُ جميعَ مِلَلِ الكُفْرِ، والشِّركِ، والنِّفاقِ، على ما بينَها مِن تبايُنٍ واختِلافٍ في الدَّوافِعِ والنَّوازِعِ .. وعلى اختِلافِ مُسَمَّياتِها وانتماءاتِها الدِّينيَّةِ والطَّائفيَّة .. يَقِفُون صَفّاً واحِداً - ومن دون أدْنَى تَرَدُّدٍ - معَ البَاطِل ضِدَّ الحَقّ .. بَعِيداً عنِ النَّظَرِ في عدَالةِ وصوَابيَّةِ موقِفِهم .. ومَا يحملُهم على ذلك سوى كراهيتهم للحقّ، وحقدهم الدِّينِي الطَّائفِي .. ومحاولةُ تَبريرِ موقِفِهم بمسمَّياتٍ وإطْلَاقاتٍ سياسِيَّةٍ، وإنسانيَّةٍ مَطَّاطَةٍ .. لَا تُلغِي هذه الحقيقة التي نَلْحَظُها بوضوحٍ في كلِّ معركَةٍ تُدارُ بينَ الحقّ وأهلِه مِن جهةٍ، وبينَ البَاطِلِ وأهلِه مِن جهةٍ أُخْرَى.

* * * * *

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

396- [وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ]؛ فيُظَاهِرُهُم بالقَولِ أو الفِعْلِ، أو بِهِمَا مَعَاً، على الإسْلامِ، وعلى المسلمين؛ لإسْلَامِهِم، ولكونِهِم مُسْلِمين، [فَإِنَّهُ مِنْهُمْ]المائدة:51. فإنَّه مِن جُملَتِهِم؛ كافِرٌ مِثْلُهم!

* * * * *

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ

397- [فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ]؛ مرَضُ الشَّكِّ، والنِّفاقِ .. لم يقتصِرْ وجودهم على عهدِ النبوَّةِ وحسب .. بل هم موجودُون في كلِّ مجتمعٍ، وكل زمانٍ يُدارُ فيه صراعُ بينَ الحقِّ والباطِلِ، يكرِّرُون نفْسَ الموقفِ، ونفْسَ الكلمات، [يُسَارِعُونَ]؛ مِن غَيرِ تَلَكُّؤٍ، ولا إبطَاءٍ، [فِيهِمْ]؛ في موالاةِ، ومُصانعَةِ، ومُداهَنةِ اليهودِ وغيرِهم مِن الكافِرين، والدخُول في حِلفِهم، وأمانِهم .. وحجَّتهم في ذلك:[يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ]؛ نخشَى أن تكونَ الدولةُ والغَلَبَةُ لهم على المؤمنين، فينتقمون مِنَّا .. وحتَّى لا يحصلُ شيءٌ مِن ذلك فنحنُ نؤمِّن على أنفُسِنا من جانبِهم، فلا يُصيبُنا منهم ضَرَرٌ، [فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ]؛ بنصرٍ ينصرُ به المؤمنين على الكافِرين، [أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ]؛ أو أمر آخر يشاؤه الله؛ يُعلي به كلمة الحقِّ على كلمةِ الباطِلِ .. وينصرُ به المؤمنين على الكافِرين .. ويذلُّ الكفرَ والكافِرين، ويخذِي المنافقين،[فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ]المائدة:52. فيصبحُ المنافقُون على ما أضمرُوا في أنفسِهم من موالاة للكافِرين، وغشٍّ للمؤمنين، نادِمين متحسِّرين على ما فاتهم من أمجَادِ وغنائمِ النَّصْرِ .. وأنّى ينفَعُهم النَّدمُ بعدَ الفَتحِ المبِين.

* * * * *

فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

398- الصفاتُ التي تتبلّد بسببها الحياةُ وتجمد، والتي منها: الهوانُ، والوهْنُ، والركون إلى العَجْزِ، وإلى الظّالمين .. والاستدفاءُ بالذل .. إيذانٌ ببدءِ الاستبدالِ لتَستمرَّ الحياةُ وتَعمُر، فيأتي اللهُ بقوم صفاتهم عكس صِفات المُستبدَلين المتبلّدين، كما قال تعالى:[يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ]المائدة::54. وقال تعالى:[وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]محمد:38.

399- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ]؛ إلى الكُفْرِ، فيُوالي ويُعادِي .. ويحبُّ ويكرهُ، في غيرِ اللهِ .. ويَتخذُ الكافرين أولياءَ مِن دونِ المؤمنين .. يَسْتَعلِي على المؤمنين، ويَذُلُّهم .. فإذا أقبَلَ على للكافِرين، تذَلَّلَ لهم واسترْضاهم .. يخشَى الكافِرين نَحشيتِه مِن اللهِ وأكثر .. ويَترُكُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ، [فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ]؛ بدَلاً مِنْكُم؛ فِيهم مِن الصِّفاتِ خِلاف وعكسَ صِفَاتِكم الآنفَةِ الذِّكْر، التي كانت سَبباً في ارتِدَادِكُم عَن دِينِكم، وهي:[يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]المائدة:54.

* * * * *

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

400- [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ]؛ المؤمنُ أرضٌ ممهَّدَةٌ، وَطِيئةٌ، مُذَلَّلَةٌ، هَيِّنَةٌ، سَهْلَةٌ، على المؤمنين، [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]المائدة:54. جِبَالٌ شَمَّاءُ، عَصِيَّةٌ أَبِيَّةٌ .. وسَمَاءٌ تَعلُو على الأَعْدَاءِ الكافِرين .. ومتَى يكُونُ المؤمنُ غيرَ ذلك عليه أن يُدَقِّقَ في إيمانه!

401- مَن كانَ عَزيزاً على المؤمنين؛ يُذِلُّهم، ويُقْصِيهم، ويتَعَالَى عَليهم .. بينَمَا هو ذَليلٌ على الكافِرين، والزَّنَادِقَةِ الملحِدين؛ يُكْرِمُهم، ويُدْنِيهم، ويُعْلِي مِن شَأنهم .. فهذا ليسَ مِن المؤمنين، مَهْمَا تَشَبَّع وَزَعَمَ أنَّه مِن المؤمنين!

* * * * *

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

402- [يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]المائدة:54. الغَايَةُ مِن الخلْقِ، والوجُودِ كُلِّه تحقيقُ العِبَادَةِ .. والغَايَةُ مِن العِبَادَةِ، والجهْدُ الأكبَر الذي يَسعَى له العَابدُون الموحِّدُون، ويُسَارِعُون فِيه؛ تَحقيقُ المحبَّةِ؛ محبَّةُ اللهِ تعالى لعِبَادِه، ومحبَّةُ العِبَادِ لربِّهم .. فتَحقيقُ المحبَّةِ هي الغَايَةُ مِن العِبَادَةِ، وهي غايَةُ الغَايَات .. هي الغَايَةُ العُظْمَى .. فلَا تَسْمُو عليها، ولَا تُوازِيها غَايَة.

403- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]المائدة:54. المؤمنُ لَا يمكنُ أن يخرجَ عن صِفَةِ المُحِبِّ للهِ، فإذا خرَجَ عن صِفَةِ [وَيُحِبُّونَهُ]؛ يخرُج مُبَاشَرةً عن صِفَةِ، وجَماعَةِ [الَّذِينَ آمَنُواْ]، ويَتعَرَّض للاستبدَالِ بقومٍ يحبُّهم اللهُ ويُحبُّونَه.

404- [يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]المائدة:54. قَدَّمَ حُبَّهُ لهم على حُبِّهِم لَهُ؛ فأَحَبَّهُم ثمَّ أَحَبُّوه .. وأعَانَهم على حُبِّه .. ولولَا حُبِّه لهم لما تمكَّنُوا مِن حُبِّهم لَه .. فمِن عَلامَات حُبِّ اللهِ لَك؛ حُبُّك له.

* * * * *

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

405- [وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ]المائدة:55. كم هي شِدَّةُ استِجَابَتهم وسرعَتِهم إلى بَذلِ الصَّدَقَاتِ، واستِغلالِهم للوَقْتِ المتَاح؛ لم يمهِلُوا أنفُسَهم إلى الرفعِ مِن الركُوعِ، أو إلى أن ينتَهوا مِن صَلاتِهم، ثم يتَصدَّقُون .. لَا؛ لم يَفْعَلُوا ذَلك .. فهذا ممَّا لا يَضمَنُون حصُولَه، بل تصَدَّقُوا وهم في حَالةِ الركُوعِ .. فلَا يَضمَنُ المرءُ لنفسِهِ؛ هل سيَعيشُ ويُمهَل إلى مَا بعد الركُوعِ، وانتهاءِ الصَّلاةِ، ليقُومَ بواجبِ الصَّدَقَةِ .. أمْ لَا .. فهذَا ممَّا لا يَستطيعُ أن يَضمَنَه أحَدٌ لنفسِهِ أو لغَيرِه!

* * * * *

كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ

406- [كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]المائدة:64. هكذَا كانت سيرةُ اليهود مِن قَبل، وهكَذا هي اليوم، وهكذا هي غداً .. فإنَّهم دُعاةُ حربٍ .. مَصلحتُهم يرونَها مع الحربِ، والدَّمارِ، لا السَّلامِ .. لا يحترمُون عهودَ السَّلامِ .. الغَدْرُ ونقضُ العهُودِ مِن شيمتِهم .. يَرونَ في السَّلامِ تَهديداً لوجودِهِم، ومصالِحِهم، وقمعاً وتحجيماً لأحقادِهم .. فإن لم يَستطيعُوا أن يحاربُوا المسلمينَ بأنفسِهم .. حاربُوهم - وحَضُّوا على حربِهم - عن طريقِ عملائِهم ووكلائِهم .. لَا يألُون جهداً في الكذبِ، والتَّلفيقِ، وافتعالِ أسبابِ الحرُوبِ والدَّمارِ والفسادِ في الأرضِ ..

لكن الله لهم بالمرصَادِ، كلما أوقَدُوا ناراً للحربِ، وجَدَّدُوا نيرانَ الأحقَادِ، والحرُوبِ .. يُبطلُها اللهُ .. ويُبطلُ كيدَهم ومكرَهم .. وسِيرتُهم اليوم في فلسطين المحتلَّةِ ـ ومنذُ أكثر من خمسٍ وسَبعين سَنَة ـ أكبرُ شاهدٍ على مَا قرَّرهُ القُرآن الكريم عنهم قبلَ أكثر مِن ألفٍ وأربعمائة سَنَة!

* * * * *

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

407- على قدْرِ البلاغِ، والبيان، والصَّدعِ بالحقّ، تكون العِصمةُ من شُرُورِ الناس، والدليل قوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ]المائدة:67.

408- [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ]المائدة:67. هذا الخِطَابُ موجَّهٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ـ وقد بلَّغَ الرسالةَ أكملَ وأتَمَّ وأجملَ بَلاغٍ، وأدَّى الأمانَةَ ـ ولمن كان أهلاً للتبليغِ عن الله، ورسولِه، مِن العُلمَاءِ، والدُّعاةِ إلى اللهِ، وهؤلاء لَا ينبغي ولا يجوزُ أن يحملَهم الخوفُ، وترهيبُ الأعداءِ، والظالمين، أو الخجل من الآخَرين، ومن المجتمَع الدَّولي ومنظماتِه .. أن يكتمُوا شَيئاً مما أنزَلَ اللهُ، ولا يبينونَه وقتَ الحاجَةِ إليه .. مهمَا كان هذا الذي يكتمُونه ولا يبلغونَه يَسيراً، فمن كتمَ القَليلَ، وخافَ أو استحيَا مِن بيانِه ـ رهبةً أو رَغبةً ـ فكأنما كتمَ الدِّينَ كله، ولم يبلِّغْ الرسَالةَ التي أنزلها اللهُ على رسُولِه .. فليسَ في الإسلامِ ما نَستحِي مِنه، ونخافُ مِن بيانِه .. فيا أيُّها العَالِم، ويا أيَّها الدَّاعيَة إلى اللهِ، إما أن تبلِّغَ رسالةَ اللهِ كاملةً غير مَنقُوصَةٍ كما أُنزِلَت على قَلبِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أو تَنحَّى، فهو أعذَرُ لك .. لا تُدافِعْ

عن شَرعِ اللهِ المنزَّلِ، وكأنَّك تُريدُ أن تدفَعَ عنه العَيبَ، أو النَّقصَ، أو الاتِّهامَ .. مَن يَفعل ذلك يَرتكب خطأً كبيراً بحقِّ نَفسِه، ودِينِه .. والإسلامُ مِن صَنيعِه براء!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

409- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]المائدة:67. الذين يجمعُون معَ الكُفْرِ العنَادَ، والإعرَاضَ، والمعَارَضَةَ، والكِبْرَ .. أمَّا مَن يَصْدُق في الإقبَالِ على اللهِ، ويَسألُهُ الهِدايَةَ، فاللهُ تَعَالى يَهديه.

* * * * *

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً

410- [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً]المائدة:68. عندما يُقابَل العِلمُ بالكُفرِ والجحودِ، والعمَلِ بما يخالفُ مُقتضاه .. حينئذٍ يكونُ العِلمُ وبَالاً على صاحِبِه، يَزيده طُغياناً، وكُفراً، وهو كلما ازدَادَ عِلماً، ازدَادَ طُغْيَاناً وَكُفْراً .. فالذي يَنتهي به علمُه إلى العِلمِ بآيةٍ أو آيتَين، ثم يقابلهُمَا بالكفرِ والجحودِ .. ليسَ مِن حيث الطُّغيانِ والكفرِ، والوزرِ، والوعيدِ كالذي يَنتهي به عِلمُه إلى العِلمِ بعشراتٍ، ومِئاتِ الآيَاتِ الكونيَّةِ، والسمعيَّةِ، ثم يقابلُها بالكُفرِ والجُحودِ .. فالعِلمُ حجَّةٌ، والمرءُ كلما ازدَادَ عِلمُه ازدَادَت حجةُ اللهِ عليه!

* * * * *

وَحَسِبُواْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ

411- [وَحَسِبُواْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ]؛ ظَنُّوا أنَّهم مهمَا عصَوا اللهَ، وتمَادَوا في العُصيَانِ والطُّغيَان، وتنكَّبوا طريقَ الحقِّ، وسَلَكُوا طريقَ البَاطِلِ، لن يُصيبَهم بَلاءٌ، وأنَّهم

في أمَانٍ من انتقَامِ اللهِ مِنهم، ومِن عذابِه .. والأمرُ ليسَ كما يَظنُّون، [فَعَمُواْ وَصَمُّواْ]المائدة:71. فعَمِيَت أبصَارُهم عن رُؤيةِ الحقِّ، وصُمَّت آذَانُهم عن سَماعِه .. وأنَّى للعُمْيِ والصُّمِّ أن يَهتدُوا إلى حقٍّ، إلَّا أن يَشاءَ اللهُ .. وهذه الآيةُ وإن نزَلَت في اليهودِ، فهي تَطَالُ مَن يتخلَّق بأخلاقِهم مِن المسلمين .. فليسَ لهم كُلّ مُرَّةٍ، ولنَا كُل حُلْوَة!

* * * * *

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً

412- [قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً]؛ الاستفهامُ للإنكارِ، أي كيفَ تَرضُون لأنفُسِكم ـ بعد أن كرمكَم اللهُ بالعقلِ، وأرسل لكم الرُّسلَ، وأنزلَ الكتُبَ، التي بها تُقام الحجةُ عليكم ـ أن تتوجَّهوا بالعبادةِ، والدُّعاءِ لغيرِ اللهِ تعَالى، لمن لا يملكُ لكم نَفعاً، ولا يَدفعُ عنكم ضرَّاً .. لمن لا يَسمعُ دعاءَكُم، ولا يعلمُ عنكم شَيئاً، [وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]المائدة:76. الذي يسمعُ دعاءَكم، ويعلمُ أحوالَكُم، والقادِرُ على أن يجيبَ الدَّاعيَ، والسَّائلَ ..؟!

* * * * *

ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ

413- [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ . كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ]المائدة:78-79. عِلَّةُ اللعنِ، والطردِ من رحمةِ اللهِ، ثلاثَةُ أشياء: العِصيانُ، وعملُهم بالمعاصِي، والعُدوَان على حقُوقِ الآخَرين .. ثم هم معَ العِصيانِ، والعُدوان، [كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ]؛ لا ينتهون مِن تلقاءِ أنفُسِهم عن مُنكَرٍ، ولا يُوجدُ مَن ينَهاهم عن المنكرِ .. مما زادَهم عصْياناً، وعُدواناً، وطُغياناً .. وجرأةً على العصيانِ .. فكانُوا بذلك

أكثر استِحْقَاقاً للَّعْنِ .. فالمنكرُ يزيدُ ويتكاثَرُ، وتَقْوَى شوكتُه مع السُّكوتِ عنه .. ومَن كان ينهاهُم من علمائِهم لا يَرى حرجاً أن يجالِسَهم في مجالِسِهم، وأسواقِهم، ويؤاكلَهم، ويُشاربَهم .. مع إقامتِهم على المنكَرِ، وعدمِ انتهائِهم عنه .. فيُعطي إيحاءً للرَّائين أنه راضٍ بمنكرِهم، وما يَصنعُون .. وأنَّ ما يفعلونَه من منكراتٍ لا يَستدعِي المفاصلةَ والمباينَةَ .. فلُعِنَ الجميعُ، وضَرَب اللهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ .. وآثارُ هذا اللَّعنِ فيهم مستمرَّةٌ حتَّى يومنا هذا؛ فهم في توسُّعٍ مُستَمرٍّ ومُتزايدٍ في المنكَرِ، وفي التَّواطُؤِ عليه .. وهذه الآياتُ وإن قِيلَت في الذين كفَرُوا من بَني إسرائيل إلا أنها تَطالُ المسلمين في مجتمعاتِهم لو تخلَّقُوا بأخلاقِهم، واتَّصفُوا بصفاتِهم المدمِّرةِ الآنفةِ الذِّكرِ أعلاه .. فليسَ لهم كل مُرَّةٍ، ولنا كل حُلْوَةٍ .. وفي الحديث:" كلَّا واللَّهِ لتأمرنَّ بالمعروفِ، ولتنهونَّ عنِ المنكرِ، ولتأخذنَّ على يدي الظَّالمِ، ولتَأْطُرُنَّهُ على الحقِّ أَطْرًا، ولتَقصُرُنَّهُ على الحقِّ قَصْرًا، أو ليَضربنَّ اللَّهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ، ثمَّ ليلعنَنَّكم كما لعنَهم ".

* * * * *

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء

414- [وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ]المائدة:81. كما لا يجتمعُ إيمانٌ وكُفرٌ .. لا يجتمعُ ولاءٌ للهِ وولاءٌ لأعدائِهِ الكافِرين .. فمن زَعمَ بلسانِه الإيمانَ، بينما هو في واقعِه، وعملِه يُوالي الكفَّارَ، ويميلُ إليهم، وينصرهُم على الإسلامِ والمسْلمين .. فعملُه يُبطلُ زعمَه، ويردُّهُ، ويكذِّبُه - وهو أقوى في الدَّلالَةِ على حقيقةِ الإيمانِ من مجرَّدِ القولِ وزَعمِ اللسانِ - ويدمغُه بالكُفرِ والفُسوقِ، والخروُجِ عن طاعَةِ اللهِ تعالى وموالاتِه، إلى طاعةِ أعدائِه الكافِرين، وموالاتِهم.

* * * * *

لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ

415- [لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ] من طعامٍ، وشَرابٍ، ومَلْبَسٍ، ومَنْكَحٍ، ومَتَاعٍ بزعْمِ التَّزهّد، والانقطاعِ للعِبادة، [وَلاَ تَعْتَدُواْ] بالإسْرافِ أو التَّبذيرِ أو بكليهما مَعاً، [إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]المائدة:87. الذين يَتجَاوَزون حُدُودَ الحَلالِ إلى الحَرَام!

* * * * *

وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً

416- [وَكُلُواْ]؛ اللّهُ تعالى هو الخالقُ لجميع ما في الوجُودِ، وهو المالِكُ على الحقِيقةِ لجميع مَا في الوجُودِ .. ومَن كان له الخَلْقُ والمُلْكُ، له الحقُّ وحدَه أن يقولَ لمن خَلَق مِن النَّاسِ: كلُوا هذا، ولا تَأكُلوا هَذا .. هذا حَلالٌ لكم، وهذا حرامٌ عليكم .. أمَّا من لا يخلقُ، ولا يملكُ على الحقيقَةِ لا يجوزُ له أن يقولَ للناسِ كلُوا ممَّا لا يخلقُ، ولا يملكُ .. هذا حَلالٌ لكم، وهذا حرامٌ عليكُم .. فمن كان يَفقدُ حقَّ المِلْكيَّةِ يَفقدُ حقَّ التصرفِ كيفَما يشاءَ فِيما لا يملكُ .. وما كان يملِكُه؛ اللّهُ هو الذي مَلَّكه إيَّاه، ينزعهُ منه متى شَاء .. وهو يملِكُه مؤقَّتاً لفترةٍ زمنيَّةٍ محددةٍ؛ على وجهِ الاستئمانِ، والاستخلافِ، ثم يَتركُه لغَيرِه؛ لينظرَ كيفَ سيتصرَّفُ فِيما استُئمِنَ عليه، واسْتُخلِفَ فِيه، [مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ]؛ حَصْراً؛ لأنه لا يُوجَدُ رزقٌ تأكلونَه وتتمتّعون به من غيرِ رِزقِ اللّهِ .. فجميعُ الأرزاقِ التي بينَ أيديكُم هي من الله تعالى وحدَه، [حَلاَلاً]؛ تتحرَّونَ فِيما تَأكلُون وتَشربُون الحلالَ الذي أحلَّه اللّهُ لكم .. ومَا أحلَّه اللّهُ لكم، لا يحقُّ لأحَدٍ كائنٌ مَن كانَ أن يحرمَهُ عليكُم، أو يمنعكم عنه، [طَيِّباً]؛ فالله طيِّبٌ، لا يُحِلُّ إلا الطيب، [وَاتَّقُواْ اللّهَ]؛ في تحرِّي الحلالَ والحرامَ؛ فلا تتجرَّأوا على الحرامِ، ولا تحرِّموا على أنفُسِكُم وغيرِكم الحلالَ، [

الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ]المائدة:88. فإنَّ إيمانكم باللهِ يحتم عليكم أن تتَّقُوا اللهَ، وأن تتحرّوا حلالَه مِن حرامِه، فتُحلُّوا ما أحلَّه لكم، وتحرِّمُوا ما حَرَّمهُ عليكم.

* * * * *

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ

417- [فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ]المائدة:89. أوسَطُ؛ أي لا أَعلاهُ، ولا أدْنَاهُ، وإنما وسَطٌ بينهمَا .. ولَا يُوجَد " أوسَط " واحدٌ ثابتٌ يُقاس عليه، يُلزَمُ به الجميع، في كلِّ زَمانٍ ومَكانٍ .. إذ لكلِّ شخصٍ " أوسَط " يُناسِبُه، بحسْبِ دَخْلِه وغِنَاه .. فأوْسَط الغني ليسَ كأوسَطِ الفقيرِ .. كما أنَّ للعرفِ أثره في تحديدِ معنى " الأوسَط " الذي يُناسِبُ الزَّمانَ والمكانَ.

* * * * *

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ

418- [فَإِن تَوَلَّيْتُمْ]؛ فإن أعرَضتم عن الإيمانِ، والطَّاعةِ، وآثَرتم الكُفْرَ، [فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ]المائدة:92. لم نكلِّفْ رسولنَا بأن يهديكم هِدايَة تَوفِيقٍ، واستِجَابة .. فهذا ليسَ له، ولَا يَقدِرُ عليه .. وإنما عليه أن يَهديَكُم هِدَايةَ البَلاغِ، والبيَانِ، والدَّلالَةِ، وقَد قامَ به على أحسَنِ وأكمَلِ وجْهٍ .. أمَّا هِدايةُ التَّوفيق، والاستجَابَةِ فهي لله تَعالى وحدَه.

* * * * *

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ

419- [لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ]؛ حَرَجٌ وإثمٌ، [فِيمَا طَعِمُواْ]؛ من حرامٍ؛ كشربِ الخمرِ، وأكلِ الحرَامِ؛ كلحم الخنزيرِ، والميتَةِ، وغير ذلك ..

قبلَ الإسلامِ، أو بعدَ الإسلامِ، لكن لم يبلغْهُم النصُّ المحرِّمُ لما أكَلُوا وشَرِبُوا .. فهؤلاء لا حرَجَ عليهم، ولا تأثيماً؛ لأن الحَرَجَ يكونُ بعدَ بلُوغِ النَّصِّ المُحَرِّم، وليسَ قَبلَه .. بل اللهُ - بكرمِه ورحمتِه - يُبدِّلَ سيئاتهم إلى حسناتٍ .. بشرط، [إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ]المائدة:93. بعد أن أسلموا، وعلموا بالنصِّ المحرِّم لما كانُوا يَشربونَه ويأكلونَه ممَّا قَد حرَّمه اللهُ .. يجبُ عليهم مُباشَرَةً أن يتوقَّفُوا عمَّا كانُوا يَطْعَمُونَه من الحرامِ إيمانَاً باللهِ، وطاعةً له، وخَشيةً منه .. أمَّا مَن استمرَّ على أكلِ وشربِ الحرامِ بعدَ الإسلامِ، وبعدَ أن بلغَه نصُّ التَّحريمِ، وانتفَى العُذرُ عنه، فهذا لا يكون ممَّن [اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ]؛ وهو يُؤخَذُ بالأوَّلِ والآخِرِ مِن ذَنبِه.

* * * * *

اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

420- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]؛ لمن وقَعَ في الأمْنِ، واتَّكَلَ على الرَّجاء، وتركَ العمَل، وتجرَّأ على المعَاصِي، [وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] المائدة:98. لمن وقعَ في الذَّنْبِ ثم استغْفَر، وتاب، وأنَاب، ومن استغْفَارِهم وإنابَتِهم أنَّهم [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً]؛ من غَيرِ يأسٍ وقنوطٍ، [وَطَمَعاً] السجدة:16. بالعَفْوِ والرَّحْمَةِ .. مِن غَيرِ تواكُلٍ وجَفَاءٍ، فجَمَعَت بَينَ الخوفِ والرَّجَاء.

421- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. مِن أساليبِ القُرآنِ الكريم؛ إذا وردَت آياتُ الوَعيدِ أتبَعَها بآياتِ الوَعْدِ، وإذَا وردَت آياتُ الوَعْدِ أتبَعَها بآياتِ الوَعيدِ؛ ليحْمِلَ المرْءَ على الاعتِدَالِ والتَّوسُّطِ في الخوفِ والرَّجَاءِ؛ فيَخافُ مِن غَيرِ يأسٍ وقُنُوطٍ مِن رَحمَةِ اللهِ .. ويَرْجُو مِن غيرِ إرْجَاءٍ، وتفْرِيطٍ في العَمَل.

422- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. كما أنَّ اللهَ تعالى واسعُ المغْفرةِ والرحمةِ .. وسِعَت رحمتُه كلَّ شَيء .. يُعطِي بغيرِ حِسَابٍ .. مِن عطائِه الجنَّة التي فيها مَا تَشْتَهِي الأنفُسُ، وتَلَذُّ الأعينُ .. فيها مِن النَّعيمِ الدائمِ والمقيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَت، ولا أذُنٌ سَمعَت، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ .. كذلك فإنَّ اللهَ تعالى شَديدُ العِقَابِ، عقابُه لا يُماثِلُه عِقَابٌ .. وكما أن اللهَ تعالى ليسَ له شبيهٌ ولا مَثيلٌ في رَحمتِه، ومغفرتِه، وعفوِه، وجُودِه .. كذلك ليسَ له شبيهٌ ولا مثيلٌ في عِقَابِه، وعذَابِه، وانتقامِه .. إنَّه رَبُّ العالَمِين.

423- [اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]المائدة:98. إذا نازَعَتْكَ نفْسُكَ إلى الشرِّ .. فتذَكَّر واعلَمْ أنَّ اللهَ شديدُ العِقَاب .. وإذَا نازَعَتْكَ إلى اليأسِ والقُنُوطِ .. فتذَكَّر، واعلَمْ أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم.

* * * * *

قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

424- [قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ]؛ الحرامُ، والرِّجسُ، [وَالطَّيِّبُ]؛ والحَلالُ، والطُّهرُ .. لا يَستويان مَثَلاً، [وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ]؛ مَهمَا كانَ الحرَامُ كَثيراً .. ومُزَخْرَفاً .. تعلُوه الأصبَاغُ، والزَّخَارِفَ .. وكان الطَّيِّبُ قَليلاً .. فدرْهَمُ حَلالٍ خَيرٌ مِن مائةِ ألفِ دِرهَم حرَام .. وفيه مِن البركَةِ ما ليسَ في المائةِ ألفِ دِرهم، [فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ]؛ فاطلبُوا الحلالَ، واصبرُوا عليه، وإن قَلَّ .. وابتعِدُوا عن الحرَامِ؛ مهمَا كان كَثيراً، ومُغْرياً، [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]المائدة:100. تَفوزُون بنعيمَي الدُّنيا والآخِرة .. نحن في زَمَانٍ قد صَعُبَ فيه الدِّرهمُ الحَلالُ، وسَهُلَ الدِّرهَمُ الحرامَ .. وهذا من البَلاءِ الشَّديدِ؛ مَن يَصبرُ على الحَلالِ، ومَن يَنْأَى بنفْسِه، ومَن يُعِيلُ، عنِ الحرَامِ؟!

425- [قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ]؛ الشِّركُ .. والبَاطِلُ .. والحَرَامُ، [وَالطَّيِّبُ]؛ التَّوحِيدُ .. والحقُّ .. والحَلَالُ، لَا يَستويَان مَثَلاً في ميزَانِ الحقِّ، والعَدْلِ، مِن حيث القِيمَةِ، والرتبَةِ، والشَّرَفِ، والأثَرِ، والنَّفْعِ، والمآل، [وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ]المائدة:100. مهمَا تكَاثَرَ عدَدُ الخبِيث، وتنَوَّعَ .. فالكَثْرَةُ ـ مهما تكاثرت، وتعدَّدَت، وتنوَّعَت ـ لا أثَرَ لها في تحدِيدِ الحقِّ ومعرفَتِه، ولَا في الحكمِ على الأشيَاءِ عندما تَصْطَفُّ هذه الأكثريَّةُ معَ باطِلِ الخبِيث!

* * * * *

قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

426- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ]المائدة:104. المسلمون ـ على اختِلافِ أجناسِهم، وألوانِهم، ولغاتِهم، وأوطانِهم ـ لا يَدعُون إلى أنفُسِهم، ولا إلى متابَعةِ وتقليدِ آبائِهم، ولا حتَّى العُلماءَ مِنهم .. وإنَّما يَدعُون إلى كتَابِ الله تعالى وإلى سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. والعالمُ مَهمَا عَلا كعبُه فحُجَّتُه ليسَ في قولِه؛ وإنما في موافقَتِه ومتابعَتِه للدليلِ من الكتَابِ والسُّنَّةِ .. فحكمُ الكتَابِ والسُّنَّةِ يمضي على الجميع .. وكلُّهم سَواءٌ أمامَ حُكمِ الكتَابِ والسُّنَّةِ .. وما سواهُم مِن غيرِ المسلمين ـ على اختلافِ مِلَلِهم، ونِحَلِهم، ومَذاهِبهم، ومجتمعَاتِهم ـ كلهم يَدعون إلى متابعةِ وتقليدِ الآباءِ .. وما جرَت عليه العَادَاتُ والتَّقاليدُ في بلدانِهم ومجتمعاتِهم .. وكلُّهم يجدُون في تَقليدِ الآباءِ والأجدَادِ السَّلاسلَ والقيودَ التي تمنعُهم مِن متابعةِ الحقِّ، والإصغاءِ إليه .. وللآباءِ سلطةٌ قاهرةٌ ومخيفةٌ على حريةِ اختيارِ الأبناءِ .. حتى الملحدِين المتفلّتين مِن قيودِ الدِّين؛ فإنَّهم يتَّبعون آباءَهم وأحبَارَهم الملحدِين المتفَلّتِين من قيودِ الدِّينِ .. فترَى كلَّ فريقٍ يَرُدُّكَ إلى ما يقولُ

به آباؤه وأجدَادُه، وإلى ما يَعتقدُون .. وإلى ما جَرَت عليه العادَةُ في مجتمَعاتِهم .. بغضِّ النَّظرِ هل هو موافقٌ للحقِّ أم لَا .. حتَى لو كانَ آبَاؤهم لا يَعلمُون شَيئاً عن الحقِّ المنَزَّلِ، ولا يَهتدُون إليه سَبيلاً .. ومَن يتحرَّر منهم على الحقيقَةِ مِن قيودِ تقليدِ الآبَاءِ، ومِن مُتابعَةِ التَّقاليدِ والعَادَات في مجتمَعِه .. هذا يَعني أنَّه قد دَنَى من الإسلامِ، وأصبحَ منه قابَ قوسَين أو أدْنَى.

427- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ]؛ إلى الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، [قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا]المائدة:104. دُعاةُ التَّعصُّب للمذاهِبِ الفِقْهِيَّةِ؛ الذين يَردُّونَ حُكمَ الكتَابِ والسُّنَّةِ، تَعصُّباً للمذْهَبِ، ولأقْوالِ رِجَالَاتِ المذْهَبِ .. ويَتعَامَلُون معَ قَولِ المذْهَبِ كما يتعامَلُون مع النَّصِّ المنزَّلِ، وربما أشَد .. لهم نَصيبُهم الأَوْفَرُ مِن الزَّجْرِ الوارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمَةِ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ

428- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ]المائدة:105. لا يَضرُّكُم في دينِكم إذا أنكرْتُم على الضَّالِّ الظالِمِ ضَلالَه وظلمَه، ومُنكرَه .. وصَدعتُم بالحقِّ في وجهِه، وحاولْتُم أطْرَه إلى الحقِّ أطراً، فلم تقدِرُوا .. بعد ذلك لا يَضرُّكُم ضَلالَه وظُلمَه إن لم يَستجِبْ لكُم، إذا مَا التزَمتُم طريقَ الحقِّ والهِدايةِ، واستقَمتُم في خاصّةِ أنفُسِكُم .. لأنَّكم قد قمتم بواجبِ الإصلاحِ، والأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، ولَمْ تكتُموا الحقَّ .. فإن لم تَفعلُوا ذلك؛ ولم تقُومُوا بواجِبِ أمرِهِ بالمعرُوفِ ونهيه عن المنكرِ .. وسَكتُّم عليه .. فإنَّ ضَلالَه وظُلمَه يَضرُّكم في الدُّنيا والآخِرة.

* * * * *

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي

429- [وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي]المائدة:110. هذا التكرارُ الهامُّ لكلمةِ " بِإِذْنِي .. بِإِذْنِي .. بِإِذْنِي "؛ جاءَ للتأكيدِ على أن الفاعِلَ هو اللهُ تعالى وحده .. وأن هذه الآيَات والمعجِزَات أجرَاها اللهُ تعالى على يدِ عيسى عليه السلام بإذنه ومَشيئته .. مَا كانَت لتكُون لولَا أن أذِنَ اللهُ بها .. وحتَّى لا يتوهَّمُ واهِمٌ، ولَا يظنُّ ظانٌّ أن عيسىَ عليه السلام قادرٌ على أن يخلقَ، أو أن يَفعلَ شيئاً مِن هذهِ الخوارِقِ والمعجِزاتِ مِن تِلقاءِ نفسِه، مِن دُونِ إذنِ اللهِ ومَشيئتِه .. فيَقَعُ في الشِّركِ، والظُّلمِ!

* * * * *

فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ

430- على قَدْرِ قيامِ الحجةِ الشّرعية، والعِلمِ باللهِ، وبمرادِه، تكون المساءلة والمُحاسبة .. قال تعالى:[قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ]المائدة:115.

* * * * *

كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

431- [وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ]؛ وذلك يومَ القِيامَةِ .. وأمامَ الأشهادِ .. توبيخاً، وتبكيتاً لمن عبدَه وأُمَّه من دونِ اللهِ، ونسَب لهما الألوهيَّةَ مِن دونِ اللهِ .. وإظهاراً للحقِّ .. وتَقريراً لعقيدةِ ومَبدأ التَّوحيدِ، وأنَّ المعبودَ بحقٍّ هو اللهُ، [أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ]؛ معبودَين؛ يؤلهونكما، ويَصرفُون لكما العبادَةَ، [مِن دُونِ اللّهِ]؟! فإن قِيل: النصارى لم يَعبدوا المسيحَ، وأُمَّهُ مِن دونِ اللهِ، وإنما عبدُوهما معَ اللهِ ..؟!

يُقال: إنَّ اللهَ تعالى أغنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ؛ لا يَقبلُ عملاً فيه شِركٌ، فمَن أشرَكَ معه غيرَه، فعبادَتُه كلها لغيرِه، لا يَصلُ منها شيءٌ إلى اللهِ .. فالعبادةُ معَ اللهِ، والعِبادةُ مِن دُونِ اللهِ سواء، كما في الحديثِ القُدسي:" قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم. [قَالَ]؛ المسيحُ عليه السلام، [سُبْحَانَكَ]؛ تنزيهٌ للخالقِ سبحانه وتعالى عن الشَّريكِ، وعن كُلِّ نقصٍ، [مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ]؛ إنما أنا عبدُك، ليسَ مِن حَقِّي أن أستشرِفَ مقامَ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وأن أقولَ للناسِ: اعبدُوني وأمِّي مِن دونِ اللهِ .. فهذا ليس مِن حَقِّي، ولا مِن حقِّ غَيري .. وإنما هو حقٌّ خالِصٌ لك، [إِن كُنتُ قُلْتُهُ]؛ إن كنتُ قلتُ للناسِ اعبدُوني وأمِّي مِن دونِ اللهِ، [فَقَدْ عَلِمْتَهُ]؛ فاللهُ تعالى يَعلمُ كلَّ شَيءٍ، لا يخفَى عليه شيءٌ، [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي]؛ تعلمُ ما أخْفِي وأُبطِن في نفْسِي، [وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ]؛ لا أحدَ يعلمُ ما في نفسِ اللهِ ـ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ ـ إلا ما أخبرَ اللهُ تعالى عن نفْسِه، [إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ]؛ ولا أحدَ يَعلمُ الغيبَ إلا اللهُ تعالى وحدَه، [مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ]؛ هكذا شأنُ جميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وعيسَى عليه السلام مِنهم، لا يأمرُون بشيءٍ، ولا يَدعونَ إلى شيءٍ، ولا يُشَرِّعُون شيئاً إلا ما أمرَهُم اللهُ به، لا يَخرجون عن أمرِ اللهِ في شيءٍ؛ أي شَيءٍ .. وأهم وأعظمُ ما أُمِرَ به عيسى عليه السلام، وجميعُ الأنبياءِ والرسل، أن يقولوا للناس:[أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ]؛ توجَّهوا بالعبادَةِ ـ كل ما يدخلُ في معنى العِبادةِ ـ إلى اللهِ تعالى وحدَه لا شَريكَ له، [رَبِّي]؛ الذي خلَقَني .. أشارَ لنفْسِه عليه السلام بأنَّه مَربوبٌ مخلوقٌ للهِ؛ ليُذْهِبَ التوهمَ عن أذهانِ الناسِ؛ فلا يُغالون فيه، فيتعاملون معه كربٍّ وإلهٍ؛ لِمَا أجرَى اللهُ على يدَيه مِن الآياتِ والمعجزاتِ، ولميلادِه المعْجِز، والفَريد، [وَرَبَّكُمْ]؛ الذي خلقَكُم، وخَلقَ الخلْقَ

أجمعين .. ومَن كان ربّي وربُّكُم هو الذي يجبُ أن تَعبدُوه، وتَصرفُوا له العِبادَةَ وحدَه لا شَريكَ له، [وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ]؛ كنتُ شاهداً عليهم، وعلى أعمالِهم، وأقوالِهم .. فلم يجرُؤ أحدٌ وأنا حيٌّ بين أظهرِهم أن يقولَ عنّي أني رَبٌّ وإلهٌ، وأنّي معبودٌ من دونِ اللهِ، ولو قالَه أحَدٌ لأنكرتُه عليه أشَدَّ الإنكارِ، [فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي]؛ قبضَتني بالرفعِ إليك .. فقد غبتُ عنهم، فلا أعلمُ ما أحدَثُوا من بعدِي، [كُنتَ أَنتَ]؛ يا الله، [الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ]؛ ترى أفعالَهم، وتسمعُ أقوالَهم، وما قد أحدثُوه من بعدِي، [وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]المائدة:116-117. شاهِدٌ على كلِّ شيءٍ، لا يخفَى عليك شيءٌ، أيُّ شيءٍ، مهمَا كان دَقيقاً، وخَفيّاً.

* * * * *

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

432- [رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ]؛ لإيمانِهم، ولسلامَةِ دينِهم، واعتقادِهم، وجهادِهم .. فأثابَهُم جنَّاتَ الخلُدِ،[وَرَضُواْ عَنْهُ]؛ رَضُوا عنِ اللهِ؛ رَبّاً، وإلهاً مَعبوداً، ومحبُوباً ومُطاعاً لذَاتِه .. رَضُوا بحكمِه الكَوْنِي والشَّرْعِي .. رَضُوا بمنْعِه وعطَائِه .. وبلائِه .. وقَضائِه وقَدَرِه .. لا يتَسَخَّطُون ولا يَعترضُون .. ولم يَظنُّوا باللهِ إلَّا خَيراً، [ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]المائدة:119. يتحقَّقُ هذا الفوزُ العَظيمُ لمن رَضيَ اللهُ عَنهم ورَضُوا عنه .. ويكونُ الرِّضَا مُتبادلاً بين الخالِقِ سُبحانِه وبين عبادِه المؤمنِين .. وهَذا يَشملُ جميعَ المؤمنين الذين يَرضُون عن اللهِ عزَّ وجل عبرَ جميعِ العصُورِ والأزْمَانِ، وإلى يومِ القِيامَة.

* * * * *

أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ

433- [أَلَمْ يَرَوْاْ]؛ رُؤيَا البَصرِ، والبصِيرَةِ .. ويتفكَّروا؛ [كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ]؛ مِن أمَمٍ وأجيالٍ قبلَهم، آثارُهم لم تَندَثِرْ بعْدُ، يمرُّون عليها فَكِهين لاعِبين، غافِلين، [مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ]؛ كانُوا أكثرَ جَمْعاً وقوَّةً، وتمكيناً في الأرضِ، ممَّن جاؤوا بعدَهم مِن الكفارِ الذين يُعانِدون الحقَّ، ويَتكبَّرون على الخلْقِ، [وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ]؛ وكان مِن فتنةِ اللهِ واستدراجِه لهم، أن زادَهم من عطائِه، ورِزقِه، فأرسَلَ عليهم المطرَ الكثيرَ، لا يَكادُ يَنقطعُ عن بلادِهم، وأجرَى لهم الأنهارَ من تحتِ قصورِهم، ومنازِلهم، وبساتِينهم .. سَببٌ في كلِّ خيرٍ، ورزقٍ تُنتجهُ الأرضُ .. حتَّى ظنُّوا أنَّهم قادِرُون على الأرضِ، وأنَّ البلاءَ بعيداً عنهم، وأن لَا أحدَ قادرٌ عليهم، وأمِنُوا مَكرَ اللهِ وانتقامِه .. حينها يَتنَزَّلُ العِقابُ الإلهي، [فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ]؛ بسببِ ذنُوبِهم، ومعاصِيهم، وظُلمِهم، وعدَمِ شُكرِهم للهِ على نِعَمِه .. وهذه سُنَّةٌ من سُنَنِ اللهِ تعالى في خلْقِه، لا تتخلَّفُ في زمانٍ من الأزمنَةِ، ولا تَستَثني أمَّةً مِن الأُمَم: كفرٌ وظلمٌ وفسُوق، يتْبَعهُ تَوسعةٌ في الرزقِ والخيرِ استدرَاجاً وفتنةً .. ثم كِبْرٌ، وبَطَرٌ، واسترْسَالٌ في المعاصِي، والظُّلمِ، والغَفْلةِ عن الشُّكرِ، حتى إذا اطمأنَّت قلوبُهم إلى ما أُوتُوا، وأَمِنُوا العِقابَ، وغرَّتهم أنفُسَهم .. يَتنَزَّلُ العقابُ الإلهي، ويتنزَّلُ الهلاكُ، [وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ]الأنعام:6. أبدلناهُم بأمَّةٍ أخْرَى، وجيلٍ آخَر، لِينُظرَ ماذا سيَفْعَلُ، وكيفَ سيتصرَّفُ تجاهَ قضيَّةِ الإيمانِ .. وهل سيعتَبرُ ويَستفيدُ ممَّا أصابَ الأممِ والأجيالِ مِن قبلِه أم لَا ...؟!

* * * * *

قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

434- [قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ]؛ نظرَ تَدبُّرٍ، وتفكرٍ، واعتبارٍ [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ]الأنعام:11. مِن غاياتِ السَّفرِ، والسيرِ والضَرْبِ في الأرضِ النَّظرُ إلى ما حلَّ بالإمِمِ السّابقةِ التي آثَرَت التَّكذيبَ على التَّصديقِ، والكفرَ على الإيمانِ .. وكانوا أكثرَ قوَّةً وجمْعاً .. فتلك آثارُهم لا تزالُ تحدِّث عمَّا حصلَ لهم من إهلاكٍ ودمَارٍ .. وفي ذلك عبرة للأحياءِ منهم أنَّهم صائرون لا محالةَ إلى ما صارُوا إليه .. وأنَّهم صائبهم ما أصابَهم إن لم يتَّعظوا ويَعتبرُوا، ويُؤمنوا باللهِ العظيم ...!

* * * * *

الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ

435- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. أَشَدُّ أنواعِ الخَسَارَاتِ أنْ يخْسَرَ المرءُ نفْسَه؛ فيُوبِقُها - بإرادَتِه! - في نارِ جهنَّم خَالِداً فِيها أَبَدَاً .. قد يتحمَّلُ الإنسانُ أنْ يخسَرَ كُلَّ شَيءٍ؛ يُرجَى له أنْ يَستأنِفَ عملاً يُعوِّضُه ما قَد خَسِرَه .. أمَّا أن يخسَرَ نَفْسَه؛ هذا يَعني أنَّه قَد خَسِرَ الفُرصَةَ، والقدْرَةَ على النجَاةِ، وعلى التَّعويضِ، والاستئنافِ بعملٍ جَديدٍ .. الذينَ يَخسَرونَ أنفُسَهم هؤلاء؛ هم الذين لا يُؤمنون باللهِ العَظيم، ولا بما يُوجِبُه عليهم الإيمانُ .. الذينَ يُؤْثِرُونَ الكُفْرَ على الإيمانِ!

436- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. أَشَدُّ أنواعِ الميْسِرِ وأخْطَرُه أنْ يقَامِرَ المرءُ على نَفْسِهِ .. وأنْ يجعَلَ الرِّهانَ على نفْسِه .. وليسَ على شيءٍ آخَر مِن متاعِ الدُّنيا .. فإن خَسِرَ الرِّهانَ، خَسِرَ نَفْسَهُ، وأوبَقَها في العَذابِ الأليمِ .. الكَافِرُ الذي يُؤثِرُ الكُفرَ والإلحادَ على الإيمَانِ هو مَن يَفعلُ ذلك!

437- [الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:12. الذين قامَرُوا بأنفُسِهم، ورَاهَنُوا على آخِرَتِهم، وعلى مَصيرِهم يومَ القِيامَةِ .. فخسِرُوا الرِّهانَ، وأوبقُوا أنفُسَهم في نارِ جهنَّم، وذلك هو الخُسرَانُ المبِين، الذي ليسَ بعدَه فَوزٌ ولَا نجاة .. وسَبَبُ هذا الخُسرَان أنَّهم في حيَاتِهم الدُّنيَا لم يؤمنُوا باللهِ العَظِيم، وكذَّبُوا باليومِ الآخِر.

* * * * *

قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً

438- [قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً]؛ مَألُوهاً، ومَعْبُوداً أعْبدُه .. واللهُ تعالى هو [فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ المتفرِّدُ بخلْقِ وإبداعِ السماواتِ والأرضِ، ومَا فِيهما مِن تنوُّعٍ بَديعٍ وعظيمٍ في المخلُوقاتِ، [وَهُوَ]؛ على الحقِيقةِ [يُطْعِمُ]؛ الطَّعامَ؛ فقدَّرَ لكلِّ مخلوقٍ رِزقَهُ وطعامَهُ الذي يُناسِبُه، ثمَّ هداهُ إليه .. ثمَّ مكَّنَهُ من ازْدِرادِ الطعامِ، وإساغَتِه .. ثمَّ جعلَ له مُسْتقرّاً ومستوْدَعاً في المعدَةِ إلى حِينٍ؛ ليستفيدَ مِنهُ الجِسمُ .. ثمَّ جعلَ للفضلاتِ مِنه سَبيلاً ومخْرَجاً .. ولو حُبِسَ الطعامُ، أو تَعَطَّلَت حلَقَةٌ واحِدةٌ مِن تِلك الحلَقاتِ لتَعطَّلَت وتوقَّفَتْ عمليَّةُ الإطعامِ كُلِّها، ولما استفادَ الإنسانُ شيئاً مِن الطعامِ، [وَلاَ يُطْعَمُ]الأنعام:14. ولا يجْرِي له شيءٌ ممَّا تقدَّم؛ لكمالِ غِناه عن الأشياءِ .. إلَهٌ هذه بعضُ صفاتِه، كيفَ تريدُون مِنَّا أيُّها الجاهِلُون أن نعْدِلَ عن عبادَتِه وتَوحِيدِه .. ونتخذَ مِن دُونِه ـ ممن لا يَخلقُون ولا يُطْعِمُون ـ آلهةً نَعبدُهم ونتولَّاهُم مِن دونِ اللهِ ...؟!!

* * * * *

فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

439- [وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ]؛ ابتلاءً، واختباراً .. أتَصْبرُ، وتحتَسب، وتَسأل اللهَ تعالى أنْ يكشفَ الضرَّ عنك .. أمْ أنَّك ستَشْكُو اللهَ إلى خلْقِه .. وتَسأَلُهم أن يكشفُوا

الضرَّ عنكَ مِن دُونِه؟! فإن كانَ هذا اختيارُك، فاعلمْ أنَّه [فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ]؛ نفيٌ بعدَه أدَاةُ استثناءٍ يُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، أي لا أحَدَ ـ أيَّاً كانت صِفتُه وهيئتُه ـ يكشفُ الضرَّ عنك، ولا يَقْدرُ عليه إلا اللهُ، فهو وحده القادِرُ على أنْ يكشفَ الضرَّ عنك .. وإذا كان الأمرُ كذلك فمن الشِّركِ .. والسَّفاهَةِ .. والخفَّةِ في العقْلِ أن تلتَمِسَ كشْفَ الضرِّ مِن غيرِ اللهِ .. أن تلتمسَ شيئاً عند مَن لا يملكُه ولا يَقدرُ عليه، [وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]الأنعام:17. كذلك جانبُ الخيرِ، إن أرادَك اللهُ بخيرٍ أصابَك هذا الخيرُ ولا بُد .. لا يحولُ بينَك وبينَهُ حائلٌ .. فلا شيءَ يُعجزُ اللهَ، ولا شيءَ يمنَعُه مِن المضِي فِيما يُريدُ .. سُبحانَه وتَعالى.

* * * * *

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

440- [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ]الأنعام:18. سُبحَانَ الذي قَهَرَ عِبادَهُ، وأدَّبَهم، بالموْتِ .. وبالأمرَاضِ، والأَوْجَاع .. وبأصنَافٍ مِن البَلاءِ .. تخضَعُ لإرادَتِه الإرادَاتُ، ولمشِيئتِه المشِيئات.

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

441- [وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ]الأنعام:18. لَا يُوجَدُ شَيءٌ في الوجُودِ مِن غيرِ حِكْمَةٍ وغَايَةٍ .. فإنْ خَفِيَت على حِكْمَتِكَ الحِكْمَةُ مِن حُكْمٍ شَرَعَهُ اللهُ، أو أمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ، مِنَ الحِكْمَةِ أن تَسْتَسْلِمَ لحكْمَةِ الحكِيمِ الذي له الحِكْمَةُ الكَامِلَةُ المطْلَقَةُ .. الخبيرُ بشؤونِ خَلْقِه، الظَّاهِرَةِ والباطِنَة، ومَا يَنفَعُهُم ومَا يَضُرُّهُم.

أحيَاناً يُقدِّرُ اللهُ شَيئاً ويُخْفِي الحِكْمَةَ مِنه، ليُرَى مَن يؤمِنُ ومَن يكْفُرُ، ومَن يُسَلِّمُ ويَرضَى، ومَن يَعترِضُ، ويتَسَخَّط!

* * * * *

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى

442- [أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى]؛ استفهامٌ يُفيدُ التوبيخَ والتَّقْريعَ .. تَوبيخٌ وتقريعٌ للشاهِدِ؛ إذْ كيفَ يتجرَّأ أن يشهدَ هذه الشهادَةِ العظيمَةِ الآثمةِ مِن غيرِ عِلمٍ، ولا سُلطانٍ .. وتَوبيخٌ وتَقريعٌ للمشْهودِ لهم بأنَّهم آلهةٌ معَ اللهِ، وهم مَرْبُوبون مخلُوقُون، لا يملكُون شَيئاً من خصائصِ وصفاتِ الربوبيةِ والألوهيَّةِ .. كيف تشهدونَ لهم بأنَّهم آلهةٌ، تُصرَفُ لهم العبادَةُ، وهم بهذا العَجْزِ، والضَّعفِ، والجهلِ؟! فإنْ أبيتمْ إلَّا أنْ تَشهدُوا شهادَةَ الزورِ هذه، [قُل لاَّ أَشْهَدُ]؛ فأنا بريءٌ مِنكم ومِن شِرْكِكُم وشَهادَتِكُم .. لا أشْهدُ شهادَتَكُم الآثمةِ الباطلةِ الكاذِبةِ التي تنمُّ عن الجهلِ، والظلمِ .. لا يمكنُ أن أشهدَ شَهادَتَكُم الباطلةِ هذه، وأتابِعكم عليها، مهمَا عرَضْتُم عليَّ مِن عروضٍ وإغْراءاتٍ .. أو مارسْتُم ضدِّي من وعيدٍ، وتَرهيبٍ، وتَهديدٍ، [قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ فأنا أشهدُ عكسَ شَهادَتِكُم .. أشهدُ بأنَّ الإلهَ المعبودَ بحقٍّ، هو إلهٌ واحِدٌ لا شريكَ لَه، [وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ]الأنعام:19. هي المباينَةُ، والمفاصلَةُ التامَّةُ بيني وبينكم، مِن غير لجْلَجَةٍ، ولا غمُوضٍ، وبكلِّ وضُوح .. والبراءُ مِنكم، وممَّا تُشركون وتَعبدُون مِن دُونِ اللهِ.

* * * * *

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ

443- [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ]الأنعام:19. لَا شَاهِدَ أعظم مِن اللهِ، ولَا شَهادَةَ أعظم مِن شَهادَةِ الله .. وأيُّما شَهادَة تخالفُ شَهادَةَ اللهِ، فهي لا شَيء، وهي شَهادَةٌ باطِلَةٌ .. يكفي نبينا صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ تعالى يَشهدُ له أنَّه رسولُ الله، وأنَّه بلَّغَ، وأتمَّ الرسالَةَ .. ولكلِّ مَن يُكذِّبُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم،

أو يَشكُّ بصدْقِ نبوَّته، يُقالُ له: أنتَ بتكذيبِك لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، تُسيءُ الأدَبَ معَ اللهِ، وتُسيءُ الظنَّ باللهِ؛ إذْ كيفَ تَفترضُ رجلاً ـ لا يَقرأ ولا يَكتُب ـ يَدَّعي النبوَّة .. وأنَّه مرسَلٌ من اللهِ .. تَتنزَّل عليه الآياتُ البينات من اللهِ .. تجري على يَدَيه الآيَاتُ والمعجزَاتُ الباهِرَات .. وقد أتَى بدِينٍ؛ شرائعُه شامِلةٌ لجميع جوَانِبِ الحيَاةِ، وعلى مَدَارِ الأزمَانِ، وإلى قِيامِ السَّاعةِ .. وأنَّه قُدوةٌ ومثَلٌ أعلَى للنَّاسِ جميعاً، واجب الطَّاعَةِ والاتباعِ .. وهو في جميعِ ما يَصدر عنه مِن قَولٍ، وعملٍ، وتقريرٍ، يَردُّه إلى اللهِ .. واللهُ تعالى يَسمعُه ويرَاهُ، ويُقِرُّه، ويُصدِّقُه، ويُؤيدُه، وشَاهِدٌ عليه، لا يُنكرُ عليه، وقد نَصرَه على أعدَائِه، ووضَعَ له القبُولَ، والثَّناءَ الحسَن على ألسنةِ الناسِ وإلى يومِ القِيامَة .. ثم هو مع كل ذلك يكونُ كاذِباً فِيما يَنسبُه إلى اللهِ ...؟!! فهذا ممَّا لَا يَقرُّه عَقلٌ سَليمٌ، ولا نَقلٌ صحيحٌ، وهو يتَنَافَى معَ كمالِ صِفَاتِ اللهِ تعالى، وأسمائِهِ الحُسْنَى، والتي من مُقتَضَاها الانتصافُ مِن الظَّالِمِ الكَاذِبِ، وبخاصَّة إن كان ظلمُه، وكذبُه يَردُّهمَا إلى اللهِ تعالى، كما قال تعالى:[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ]الحاقة:44-46.

* * * * *

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ

444- [وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ]؛ لينْذِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الكافرين في زمانِه، ويخوفَهم بآياتِ الوعيدِ الواردَةِ في القرآنِ الكَريم، [وَمَن بَلَغَ]الأنعام:19. ومن بلَغَه هذا القُرآن من الإنْس والجنّ، وإلى يومِ القيامَةِ .. فهو حجةٌ عليهم .. وهو لهم نذيرٌ مُبين بين يدَي عذابٍ شَديد .. وأُمِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ والعلماءُ مِن بعدِه ـ بأن ينْذرُوا ويخوفُوا المخالِفين بالقرآنِ الكريم؛ لأنَّهُ أبلغُ، وأقوَى، وألزَمُ في الحجَّةِ

على المخالِفين الكافِرين .. وقولُه [وَمَن بَلَغَ]؛ فيه أنَّ القُرآنَ الكريم رسالةٌ للبشريَّةِ جمعاء على اختلافِ لغاتِهم، وألوانِهم .. وإلى يومِ القيامَةِ .. وليس لقومٍ دُونَ قَومٍ .. وفيه أنَّ النذَارَةَ تُلْزِم المخاطَب بعد بلوغِها.

* * * * *

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ

445- [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ]؛ يَنهَونَ أتباعَهم، والناسَ عن مُتابعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، والدخولِ في دينِه الإسلام؛ دين جميعِ الأنبياءِ والرسُلِ .. ويَستخدِمُون في سَبيلِ ذلك جميعَ وسَائلِ الصَّخَبِ، والتشْوِيشِ، والتشْوِيه، [وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ]؛ ويبتَعِدُون بأنْفُسِهم، وفِكرِهم، واهتماماتِهم عنه، وعن هَديِه وسُنَّتِه .. تَرَفُّعاً، وكِبراً، وتَعالِياً، [وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]الأنعام:26. وهُم بصنِيعِهم الآثِم هذا يُعَرِّضُون أنفُسَهم للخُسْرانِ، وللهلَكةِ، وضنكِ العَيشِ .. وهم لا يَشعرُون بفداحَة الخسارَةِ التي تَتلَبَّسُهم؛ لظنِّهم أنهم يُحسنون صُنعاً .. وكلُّ مَن يَنأى بنفْسِه، وتفكيرِه، واهتِماماتِه ـ في زماننا المعاصِر ـ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعن متابعةِ سنَّتِه، وهَدْيِه .. حتَّى لا يُرمَى بالتَّخلُّفِ، والرجعيَّةِ، والجمودِ .. وحتَّى يُقال عنه تقدُّمي، وتحرُّري، وتنويري، وحَدَاثي، وليبرالي .. أو يُقَلِّلُ مِن شَأنِ السُّنَّةِ، ومِن مرجعيتِها، وحجيّتِها، ومِن شَأنِ مُتابعةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. فله حظٌّ وافرٌ مِن الوعيدِ الوارِدِ في الآيةِ الكريمةِ أعْلاه!

* * * * *

وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

446- [وَلَوْ رُدُّواْ]؛ إلى الدُّنيا، وأُعْطُوا فُرصةً جديدةً لاستئنافِ العمَلِ، كما يَطلبُون [لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ]؛ لعادُوا مرةً ثانيةً ـ وكلما أُعِيدُوا! ـ إلى كُفْرِهم، وشِركِهم،

وفِسْقِهِم، [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ]الأنعام:28. فيمَا يَزعمُون أنَّهم لو أُعِيدُوا إلى الدنيَا، وأُعْطِيَت لهم فُرصَةٌ جَديدةٌ في الحياةِ لآمَنُوا وعملُوا صَالحاً .. فاللهُ تعالى يَعلمُ أنَّهم كاذِبُون، ويَعلمُ ما سيكُون مِنهم من التكْذِيبِ، والجحودِ، لو أُعِيدُوا، قبلَ ومِن دُونِ أن يُعَادُوا .. واللهُ تعالى لا يخلدُ في نارِ جهنَّم إلَا مَن كان هذا وصْفُه مِن الكافِرين.

* * * * *

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ

447- [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ]؛ يَا أيُّها النَّاسُ .. يَا مَن غَرَّتْهم الحياةُ الدُّنْيَا، وشغلتْهُم عن الآخِرَةِ .. يَا مَن لا هَمَّ له سِوَى التكاثُرِ مِن الدُّنْيا، والتفَاخُرِ بحطامِها .. يَا مَن استعبدَتْهُم الدُّنيا لذاتِها، وأغرَاضِها، حتَّى إذَا قِيلَ عن أحدِهم عبدُ الدُّنيَا .. وكَلْبُ الدنيَا .. لاستحَقَّ هذا الاطْلَاق والتَّوصِيف .. اعلمُوا أنَّ مَا تَشتغِلُون به على الحقيقَةِ هو لَعِبٌ ولهوٌ، لَعِبٌ ولهوٌ مِن حَيث الكَم، والنَّوعِ، والكَيْف، والقِيمَةِ .. لَعِبٌ ولَهْوٌ مِن حيث دَوامِه وبقائِه، لَا هو يَدومُ لَكُم، ولَا أنتم تَدومُون له .. أوَّلُه هَمٌّ، وغَمٌّ، وكَدٌّ، وخَوفٌ، وقَلَقٌ، وشَقاءٌ .. وآخِرَه فِرَاقٌ، وحَسْرَةٌ، وندَامَةٌ .. لَعِبٌ ولَهْوٌ قياساً لما أنتم قادِمُون عليه بعدَ الموتِ، [وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ]؛ الجنّةُ [خَيْرٌ]؛ خيرٌ مِن الدُّنيا، وما أنتم مَشغُولُون بِه .. خَيرٌ مِن هذا اللَّعبِ واللَّهو .. خَيرٌ مِن حيث نعِيمِها المقِيم والدَّائِم .. وخَيرٌ مِن حيث الكَم .. ومِن حَيثُ نَوعِ وجمالِ نَعِيمِها .. وخَيرٌ مِن حيث خلُوِّها مِن المكدِّرَات، والمنغِّصَاتِ، والمنَفِّراتِ .. وخيرٌ من كلِّ وجْهٍ وجانِبٍ، [لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ]، هذا الخَير هو للذين يَتَّقُون؛ الذين يأتمرُون بأمرِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، وينتهُون عمَّا نَهى عنه اللهُ ورسُولُ صلى الله عليه وسلم .. الذين يَعمرُون حياتَهم الدُّنيَا بالطَاعَاتِ، وفعلِ الخَيرَاتِ .. ويتخذُون مِن الدُّنيا سُلَّماً للآخِرَةِ، [أَفَلاَ تَعْقِلُونَ]الأنعام:32. هذه

الحقِيقَة .. فتترفَّعُون عن اللعَبِ واللَّهوِ .. وتُؤمنُون وتعمَلُون صَالحاً .. وتَنشغِلُون بما ينفعُكم في الدَّارِ الآخِرَةِ؟!

* * * * *

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

448- [إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ]؛ الذين يَستَجيبُون لِنِدَاءِ الإيمانِ؛ هم الذين تتحرَّرُ مسَامِعُهم مِن الضغُوطَات، والمؤثِّرات السَّلبيَّة؛ التي تمنَعُ صَاحِبَها مِن حسْنِ الاستماعِ، والفَهم، ومن ثمَّ الإيمان والإنقيَاد .. أمَّا مَن كان قلبُه عامِراً بالحقدِ، والكراهيَّةِ، والكِبْرِ .. فهذا لا يحسنُ الاستماعَ، ولو سمعَ فسمَاعُه سماعاً آليَّاً صورياً لَا يُؤدِّي بصاحبِه إلى الفَهم، والهِدَايةِ، والالتزامِ .. مثَلُه مثَل الموتَى الذين لَا يَستفيدُون مِن الخِطابِ شَيئاً، [وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ]الأنعام:36. مثَلُ الذي يحسنُ الاستماعَ؛ تكفِيه كلماتٌ مِن الحقِّ، ليَستجيبَ وينقَادَ .. ومثَل الذي لا يُحسِنُ الاستماعَ؛ لو تلَوتَ عليه القرآنَ الكريم كامِلاً، وأَرَيْتَه الآيَات الكونيَّة والنفسيَّةِ البَاهِرَاتِ .. لَمَا آمَنَ، ولا استَجَاب!

* * * * *

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم

449- [وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ]؛ شامِلٌ لجميع الدوابِّ، والحيواناتِ، والحشراتِ، البريَّةِ منها والبَحريَّةِ، [وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ]؛ شامِلٌ لجميع أنواعِ الطيورِ الكبيرِ مِنها والصَّغير، الجوارحُ مِنها، وغيرُ الجوارِح، [إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم]؛ لهمْ طريقتُهم الخاصَّةِ بهم في الحيَاةِ .. لهمْ مَأكلُهم، ومشرَبُهم، ومَأواهُم .. كلٌّ يَهتدِي إلى مأكلِه، ومَشْرَبِه، ومأواه الذي أعدَّه اللهُ له .. يَحسُّون كما تحسُّون .. ويخافُون كما تخافُون ..

ويألمُون كما تألمُون، ويفرحُون كما تفرحُون .. لهمْ وسائلُهم وغاياتُهم الخاصَّة بِهم، ومِن أعظمِ غاياتِهم عبادةُ اللهِ تعالى وتوحيدِه، والتَّسبيح بحمْدِه، إذْ لا يُوجَد حيوانٌ كان بَرِيَّاً أم بحريَّاً كافرٌ باللهِ تعالى .. كلُّهم مؤمنُون، وموحِّدُون، ومُسَبِّحُون؛ يُسَبحُون بحمدِ اللهِ، ولكن لا نفقَهُ تَسبيحَهم، [مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ]؛ في اللَّوح المحفُوظِ [مِن شَيْءٍ]؛ خَلقَه اللهُ؛ فالمخلوقُ ـ وكل مَا سِوى اللهِ مخلوقٌ ـ وكلُّ ما يتعلَّقُ به مِن حَركاتٍ وسكناتٍ، وحاجِياتٍ، وما يَصدرُ عنه، مكتوبٌ في اللوح المحفُوظِ قبلَ أن يخلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنَةٍ، اللهُ تعالى أعلمُ بمدَّةِ وزمَنِ السَّنَةِ مِنها، [ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ]الأنعام:38. يومَ القِيامَةِ .. فيُحاسَبُون على ما كانَ مِنهم مِن عمَلٍ.

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ

450- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا]؛ السمْعِيَّة في القرآنِ الكريم، والآياتِ المرئيَّةِ في الكونِ، وسائرِ المخلُوقات .. فهُم على الحقِيقَةِ [صُمٌّ]؛ لا يَسمعُون السمَاعَ الذي يجعلُهم يُؤمنُون، ويَفقهُون الآياتِ، ولو سمعُوها فسمَاعُهم لها آليٌّ لغَوِي، لَا يتعدَّى معنَى فَهم الدلَالاتِ اللغويَّةِ للآياتِ، [وَبُكْمٌ]؛ وإنْ كانُوا ينْطِقُون ويتكلَّمُون إلا أنَّهم لا ينطقُون ولَا يَشهدُون الحقَّ .. وإنما يشهدُون الزورَ، والكذبَ، والتكذيبَ، فلمْ يُحسِنُوا الاستفادَةَ مِن نعْمةِ اللسانِ، والنطقِ، والبيَانِ، وهُم مِن هذا الوجهِ مثلُهم مثَل البُكْم، [فِي الظُّلُمَاتِ]الأنعام:39. ظلماتُ الشركِ، والكفْرِ، والجهلِ .. ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ .. وأنَّى لمن هو في الظُّلمات أنْ يُبصرَ النورَ، أو يرَى الحقَّ ...؟!

* * * * *

وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

451- [وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ]الأنعام:43. فهي لشدَّةِ قساوَتِها لم تَعُدْ تَنتَفِعُ بموعظَةٍ، ولَا تَعتَبِرُ بآيَةٍ، ولا تخشَعُ لذِكْرِ اللهِ، ولَا تَقبَلُ حَقًّا، ولَا تَردَعُها القَوارِعُ والزَّواجِرُ .. وليسَ فِيها رحمة للضُّعفَاءِ والمسَاكِين!

* * * * *

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ

452- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ]؛ نَسُوا الآيَاتِ السَّمعيَّةِ القُرآنِيَّةِ .. والآيَاتِ والمصَائِبَ الكونِيَّةِ الزَّاجِرَةِ، الرَّادِعَةِ؛ كالزَّلَازِلِ وغيرِها .. فأعْرَضُوا عنْهَا، وعن الاعتِبَارِ بها، وتَرَكُوها .. إذْ سرعان ما يَنسُون مَا يُوعَظُون به، ويَعودُون إلى مَا أَلِفَتْهُ نفُوسُهم المريضَة مِن اللَّهوِ، والفسُوقِ، والعصْيانِ، [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ]؛ عُقوبَةً لهم، [أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]؛ أبوابَ الخيرِ والنِّعَم، استِدْرَاجاً لهم .. ليَزْدَادُوا في الغَيِّ والنِّسْيانِ، [حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ]؛ فرِحُوا فرحَ بَطَرٍ وجُحودٍ، وظنُّوا أنَّهم قادِرُون على مَا أُوتُوا مِن الخيرِ والنِّعَم، [أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً]؛ أخذناهم بالعَذابِ الأليم فجأةً؛ مِن حيثُ لا يَعلمُون، ولا يَشْعُرُون .. وفقَدُوا النِّعَمَ التي كانوا يَتنعَّمُون بها، ويَردُّون الفضْلَ فيها لأنفُسِهم مِن دونِ اللهِ، وانقلبَ فرَحُهم إلى حزْنٍ، وهَمٍّ، وغَمٍّ، [فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]الأنعام:44. آيِسُون مِن رحمةِ الله ومِن كُلِّ خَير .. يَتلَبَّسهم اليأسُ والقنوطُ .. والنَّدَمُ والحسَرَاتُ على ما كانَ مِنهم، وما كانُوا فِيه، وكيفَ أَصْبَحُوا .. ولاتَ حِينَ مَنْدَمٍ .. هذا في الدُّنيَا غيرَ الوعيدِ الشَّدِيدِ الذي ينتظرُهُم يومَ القيَامَة!

* * * * *

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ

453- [فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:45. هَلاكُ الظَّالمين المجرمِين، وانقطاعُ أثَرِهم، نِعمةٌ عَظيمةٌ يمنُّ اللهُ بها على المؤمنِين، بَل وعلى أهلِ الأرضِ، وساكنِيها .. تَستوجِب الحمدَ والشُّكرَ.

* * * * *

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

454- [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ]؛ مَنْ أطاعَهُم بالجَنَّةِ، [وَمُنذِرِينَ]الأنعام:48. مَن عصَاهُم بالنَّارِ.

* * * * *

وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

455- [وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]الأنعام:52. حَلقاتُ الدَّعوةِ والتَّعليمِ مبذولةٌ للجميعِ؛ للفقيرِ، وللغنيِّ، وللشريفِ، والوضِيعِ سَوَاء .. لَا فرقَ بينهمَا .. لا يجوزُ أن يمنَعَ عنها الفقراءُ من أجلِ مشاعِرِ ورغباتِ الأغنياءِ، والمسؤولين، وأبنائِهم .. أو لأيِّ ذريعةٍ كانَت .. هذا هو الواجبُ الذي لَا حَيدَة عنه لأيِّ سَببٍ مِن الأسْبَابِ.

كان المشركون مِن قَبل يأنَفون الجلُوسَ معَ الفقراءِ والمستضعَفين مِن المسلمين في مجلِسٍ واحِدٍ .. فكانوا يَطلبُون مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يطردهم من المجلسِ إذا ما أرادوا الإنفرادَ به، والاستماعَ إليه .. فنهاه اللهُ تعالى عن ذلك .. حتى لو كان مَطلبُهم شَرطاً لإيمانِهم .. فَلا يُبنَى حَقٌّ على باطِلٍ .. وأنزلَ وعيدَه المخيف:[فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ]، ورغْم هذا الوعيد الشديد، وهذا النَّهي الصَّريح .. تُوجدُ بعضُ الجماعاتِ

المعاصِرة .. وبعضُ الدُّعاةِ المعاصِرين الذين يَستحسنُون أن تكونَ دعوتُهم، وأنشطتُهم الدعويَّة مَقصورَةً على الأغنياءِ، والمسؤولينِ، وأبنائِهم .. دُونَ الفقراء وأبنائِهم .. فيبشُّون لأبناءِ الأغنياءِ والمسؤولين الحكوميين .. ويكشِّرُون في وجوهِ الفقراءِ وأبنائِهم .. وكاتِبُ هذه الكلماتِ قد عانى في طفُولتِه من هذا النوعِ من الشيوخِ والدَّعاةِ الانتقائيين ـ حيثُ كنتُ مصنَّفاً على الفقراءِ، وأبناءِ الفقراءِ ـ فكانوا يتواعَدون سِرَّاً معَ أبناءِ الأغنياءِ، والوجَاهَاتِ حتَّى لَا نُشَاركهم مجالِسَهُم ...!

* * * * *

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

456- [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ]؛ لَا أحَدَ يَقْضِي على اللهِ .. ولا أحَدَ يُلزِمُ اللهَ بشيءٍ .. فاللهُ تعالى يَقْضِي، ولا يُقضَى عليه .. ومِن قضَائِه أنَّه تعالى كتَبَ على نَفْسِه ـ كرَمَاً، ومِنَّةً، وتَفضُّلاً ـ الرحمَةَ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ، يتفضَّلُ اللهُ بها على عِبادِه، [أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ]؛ أي مِن المؤمنين .. أما المشركُون فقَد كتَبَ اللهُ على نفْسِه أن لا يغفرَ لهم وهم متلبِّسُون بالشركِ، ثم ماتُوا على الشِّرْكِ، [سُوءاً]؛ ذَنْباً؛ أيّ ذَنبٍ، [بِجَهَالَةٍ]؛ كلُّ ذَنْبٍ يُرتكَب على غيرِ وجهِ الاستحْلالِ، والتَّحْسِينِ، والمبَاهاتِ، والافتخارِ، فهو يُرتكَب " بِجَهَالَةٍ "، [ثُمَّ تَابَ]؛ استغْفَر، وأنابَ، ونَدِمَ، وعزمَ أن لَا يَعودَ لمثْلِه، [مِن بَعْدِهِ]؛ مِن بعدِ ما وقَعَ بالذنْبِ بجهالَةٍ، [وَأَصْلَحَ]؛ ما أفسدَهُ بذَنْبِه؛ فمن الذنُوبِ ما يكونُ متعدِّياً للغيرِ، وآثارُه السلبية تَنعكِسُ على الغيرِ .. وهذا النوعُ مِن الذنُوبِ لا بُدَّ من إصلاحِ آثارِهَا السلبيَّة الضارَّةِ، [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]الأنعام:54. فإن اللهَ تعالى غفورٌ لمن كان هذا وصفُه، ورَحيمٌ له في الدُّنيا والآخِرةِ .. لا يَنبغي أن يَقنطَ ويَيأسَ مِن رحمةِ اللهِ .. كما لَا يَنبغِي للدعَاةِ والوعَّاظِ أن يُأَيِّسُوه مِن رَحمةِ الله.

* * * * *

وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ

457- [وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ]؛ نُبينُ الآياتِ بياناً في غَايةِ الوضُوحِ، والتَّفصيلِ، والشُّمولِ .. غايَةُ هذا البيانِ والتَّفصِيلِ الدَّقيق والشَّامِل؛ [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]الأنعام:55. لكي تَستبينَ طُرُقُ ومناهِجُ وأساليبُ المجرمين في حَرْبهم للإسْلامِ والمسْلِمين .. وصَدِّ الناسِ عَن دِينِ رَبِّ العالمين .. فبيانُ طرُق المجرمين ومنَاهِجهم ـ ما كان منها، وما يكُون، وما سيكُون وإلى قيامِ السَّاعةِ ـ غايةٌ عظيمةٌ من غايَاتِ البيانِ القُرآني؛ حتى لا يَلتَبسَ أمرُ هذهِ الطُّرُقِ والمناهِجِ الباطلةِ على النَّاسِ .. وحتى يكونوا في كامِلِ الحذَرِ والوعي من خَطَرِهَا ومَرَامِيها .. وحتَّى لا يُعْذَر بالجهلِ مَن يأبَى إلا ركوبَها واتّباعَهَا، وتكثيرَ سَوادِها، وسوادِ أهلِها!

وفي الآيَةِ حَضٌّ صَريحٌ على ضَرورَةِ التَّفقُّهِ بسُبُلِ المجرمين، ومناهِجِهم وأفكارِهِم ـ وهو ما يُسَمَّى بفِقْهِ الواقعِ الذي يَنْفُرُ، ويُنَفِّرُ منه البعض! ـ ليتمَّ الحَذَرُ والتَّحْذِيرُ منها ومِن أصحَابِها .. إذْ كيفَ يَتمُّ اجتنَابُ شَيءٍ معَ الجهلِ به .. فجاهِلُ الشَّيءِ لا يُؤمَنُ عليه الوقوعُ في هذا الشَّيءِ، وتَبَنِّيه، وتَزْيينه .. وهو يحسَبُ أنَّه يُحسِنُ صُنْعاً!

458- [وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ]الأنعام:55. مِن عجائبِ القُرآنِ الكريم وإعجازِه أنَّ ما مِن معركةٍ تُدَارُ بينَ الحقِّ والباطِل .. وفي كل زمَانٍ ومَكانٍ .. إلَّا وتجدُه يُبيِّنُ للحقِّ وأهلِهِ خبَايَا، وطُرُقِ ومكائدِ المجرِمين .. ويمشِي مع المؤمنين في جميعِ مراحلِ صراعِهم معَ المجرمين؛ يَهديهم ويرشدُهم .. ويُضيءُ لهم الطريقَ .. ويبيّنُ لهم السَّبيلَ .. ويُسدِّدُ لهم الوجْهَةَ والخُطَا!

* * * * *

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ

459- [قُلْ]؛ للكافِرِين الذين يَدْعُونك إلى عبادَةِ غيرِ الله تعالى .. وهم فاعِلُون لا محالَةَ؛ إمَّا عن طَريقِ الترغيبِ، أو الترْهِيبِ، [إِنِّي نُهِيتُ]؛ والنَّاهِي هنا هو اللهُ سُبحانه وتعالى، [أَنْ أَعْبُدَ]؛ أنْ أصرفَ العبادةَ؛ أي نوعٍ من أنواعِ العِبادةِ؛ سواءٌ كانت عبادَةَ الطَّاعَةِ، أم عبادَةَ المحبَّةِ، أم عِبادَةَ الدُّعاءِ، أم عِبادَةَ السُّجودِ والركوعِ والخضُوعِ، والخَشْيةِ، أمْ عبادَةِ النَّذْرِ، [الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ]؛ الذين تَعبدُون، وتَصرفُون لهم العبادَةَ مِن دُونِ اللهِ، [قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ]؛ فيما تَدعونَني إليه من الشِّرْكِ، وعبادَةِ غيرِ اللهِ .. فأنتم في شركِكُم وعبادتِكم لغيرِ اللهِ ليسَ لكُم دَليلٌ من النقْلِ والعَقْلِ .. سوى اتباعِ الهوَى بغيرِ عِلمٍ، [قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً]؛ عن الحقِّ، وعن الإيمانِ، والصراطِ المستقِيمِ إن اتبعتُ أهواءَكم فِيما تَدعونَني إليه، [وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ]الأنعام:56. إلى الإيمانِ والتوحيدِ، وإلى الصراطِ المستقيمِ؛ الذي فيه نجاتي يومَ الدِّين.

* * * * *

مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ

460- [مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ]الأنعام:57. جرَت عادَةُ الكافِرين مِن قَبل، واليَوم، أن يُطالِبُوا بدليلٍ على وجُودِ اللهِ تعالى، وأنَّه تعالى المعبُودُ بحقٍّ؛ باستعجَالِهم نزُولَ العذَابِ بهم كبُرهانٍ تَطمئن إليه نفُوسَهم على صِدقِ دعوةِ الأنبياءِ والرسُلِ .. كلُّ هذه الآياتِ المبثُوثَةِ في الكَون، وفي الكتَابِ المسْطُورِ المقرُوء، وفي أنفُسِهم، وفي المعجزاتِ التي يُجريها اللهُ تعالى على أيدِي الأنبياءِ والرُّسُل .. لا يجدُون فيها جواباً عمَّا يُريدونَه، ويَبحثونَ عنه، وعمَّا يُطَالِبُون به من الإيمانِ، سوَى أن يُنَزِّلَ اللهُ عليهم عذاباً مِن عِندِه، يَعيشونَه بأنفسِهم، ويُشاهِدُونه بأعينِهم .. فَلا يَطمئنُّون إلى صِدقِ دَعوةِ

الأنبياءِ والرسلِ إلَّا بعد نزولِ العذَابِ بهم .. وهذا مِن شَقائِهم، وجهلِهم، وسَفاهتِهم .. وفاتَ هؤلاء الأشقياءِ الجَهَلَة أن الحكمَّ فيما يَسألُون عنه، ويُطالِبُون به ـ وفي غَيرِه ـ للهِ تعالى وحدَه، وليسَ لأحَدٍ مِن عِبادِه .. فاللهُ تعالى إن شاءَ أنزلَ العذابَ بهم، وإن شَاءَ لم يُنزلْ العذَابَ .. ولَا مَانعَ، ولَا رَادَّ لمشيئتِه شَيء .. ثم لو أَنزَلَ بهم العذَابَ، وأخذَهم به، فإنهم يُحرَمُون فرصَةَ التَّوبَةِ والهِدَايَةِ .. وهذه نتيجةٌ لَا يُطالِبُ بها، ويتمنَّاهَا إلَّا شَقيٌّ سَفِيه!

* * * * *

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ

461- [وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ]؛ وهي خمسٌ، كما في الحديث الصحيح:" مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُها إلَّا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إلَّا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأرْحامُ إلَّا اللَّهُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتي المَطَرُ أحَدٌ إلَّا اللَّهُ، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا اللَّهُ "البخاري. [لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ]؛ ومَن ادَّعَى علمها مِن دُونِ اللهِ فهو كاذبٌ، وكافِرٌ، قد ادَّعَى خاصيَّةً مِن خصُوصياتِ اللهِ تعالى وحدَه، [وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا]؛ كامِلُ العِلْمِ والإحَاطَةِ الشَّامِلَةِ لكلِّ شيءٍ، الذي لا يَخْفَى عليه شيءٌ من مخلوقاتِه مهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً، [وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]الأنعام:59. إلا وهو معلومٌ ومدوَّنٌ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ يُخلَق .. لَا يُوجَد شيءٌ في الوجُودِ مهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً عبَثاً مِن غيرِ غايةٍ ولَا عنايةٍ ولَا رقابَةٍ .. أو يخرجُ عن عِلمِ اللهِ، وقدرَتِه، وإحَاطَتِه، وإرادتِه .. بما في ذلك الإنسانُ، وأعمالُه الظَّاهرةِ، والباطِنَةِ ..

وهذا لكمالِ علمِه، وقدرَتِه، وإحاطَتِه بالأشياءِ، وكمالِ أسمائِهِ الحُسْنى، وصِفاتِهِ العُلْيَا سُبحانَه.

* * * * *

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

462- [قُلْ]؛ الأمرُ موجَّه إلى النبي محمدٍ صلى عليه وسلم مِن ربِّه، وإلى كلِّ مؤمنٍ آمَنَ واتبعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، أُمِرُوا بأن يَقولُوا للكافِرين عند مُحَاجَتِهم، وبيانِ ضَلالِهم:[مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]؛ عندما تُداهمكم الأخطارُ، والخطُوبُ، والمهالِك، وتَضلُّون طريقَ النَّجاةِ، سواءٌ كنتم في البرِّ أم كنتم في البَحرِ .. إلى مَن تَلتجئون، وتَتضرَّعُون، ليكشفَ عنكم الضُّرَّ، والكَرْبَ، إلى آلهتكم التي تعلمون ضَعْفها وعجزَها عن إغاثتِكُم، أمْ إلى اللهِ الواحدِ القَدير؟! [تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً]؛ تتوجَّهون إلى اللهِ تعالى بالدعاءِ في الجهرِ والخفَاءِ، لعلِمكم ويَقينِكُم أنه تعالى وحدَه القادِرُ على أن يَصرفَ عنكم البلاءَ والكَرْبَ، والضُّرَّ .. فلا تَتذَكَّرون عِندَ الشَّدائدِ إلا الله، وتَنْسونَ مَا سِواه، [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ]؛ فقطْ هذه يا رب .. هذا الكرب، والضِّيق فقَط .. ثم بعدَها نعاهدُكَ يا الله [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]؛ بأن نتوبَ، ونكونَ من الموحِّدين العَابدِين المخلِصين .. ونقلع عن الشركِ، وعبادَةِ ما سواكَ الذين لا يَنفعوننا في شيءٍ، ولا يَقدرُون، [قُلِ اللّهُ]؛ وحْدَهُ، [يُنَجِّيكُم مِّنْهَا]؛ مِن هذا الكَرْبِ، والخَطَرِ الذي أنتم فيهِ، وتَستغيثُون منه، [وَمِن كُلِّ كَرْبٍ]؛ ومِن كلِّ كَرْبٍ وغَمٍّ سواه، [ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ]الأنعام:63-64. ثم أنتم تَنسون مَا قَطَعتُم على أنفُسِكُم .. ومَا قَد عاهَدتُم اللهَ عليه .. فتَعودُونَ مِن جديدٍ إلى الشِّركِ، والعِصيانِ .. إلى عِبَادةِ ودُعاءِ الأوثَانِ، والطواغيتِ، والقُبُور، التي لا تجلبُ لكم نفْعَاً، ولا تَدفعُ عنكم ضرَّاً؟!!

في الشَّدائدِ يَقولُ الناسُ: يا الله .. وفي الرخَاءِ، وإقْبالِ النِّعَم، يَغلُب على النَّاسِ الغَفْلَةُ، واللهو، واللَّعِبُ، والعصْيَان!

* * * * *

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

463- المؤمن يُعرَف إيمانُه وثباتُه في بلاءِ الرخاءِ والخير، أكثر مما يُعرف في بلاء الشدَّةِ والحاجة؛ ففي بلاء الشدة، الكل يلتجئ إلى الله تعالى؛ يسأله العون والفرج، بما في ذلك الكافر: [لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ]الأنعام:63. ثم يتفرقون، ويتباينون في بلاء الرّخاء، والخير. فإذا رُفع عنهم بلاء الشدة، وعادوا من جديدٍ إلى بلاء الخير، والرخاء، عادُوا إلى ما كانوا عليه من النسيان، واللهو، والنكران [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ]الأنعام:64. ثم تَعودُون من جَديدٍ إلى الشِّركِ؛ فتَعبدُون آلهةً لم تنفعُكُم في الشِّدَّةِ، ولن تَنفعُكُم في الأمْنِ والرَّخَاء!

* * * * *

لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

464- [لِّكُلِّ نَبَإٍ]؛ لكلِّ خبرٍ أخبرَ به اللهُ تعالى، وأخبرَ به نبيَّه محمَّد صلى الله عليه وسلم .. سواءً كان في الدُّنيا أم كان في الآخِرةِ، وسواءً كان مِن شؤونِ الدُّنيا أمْ مِن شؤونِ الآخِرَةِ، [مُّسْتَقَرٌّ]؛ موعِدٌ لا يتَخَلَّف .. لا محالَةَ واقعٌ ومحقَّقٌ في زمانِه، ومكانِه المحدَّدَين والمقدَّرَين، لا يتأخَّرُ ولا يتقدَّم .. فإذا أرَادَ اللهُ شَيئاً جَمَعَ له أسْبَابَه .. وكانَ حسَنُ البَصْرِي يقول:" حُبِسَت عقُوبَتُها حتَّى إذا عُمِلَ ذَنْبُها أُرْسِلَت عقُوبَتُها ". [وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ]الأنعام:67. حَقيقةَ ذلك عِندما تَرونَه عينَ اليَقين .. فيُسَاءُ الكُفَّار بوعيدِ اللهِ، ويُسرُّ المؤمنون بوَعْدِه.

* * * * *

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

465- [وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا]؛ إذا رأيت الكافرين يستهزئون بالقرآنِ الكريم، وبآياته، وأحكامِه .. ويُكذّبونه، [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ]؛ لا تجلسْ معهم ابتدَاءً، ولا تَقترب منهم، ولا تلتَفِتْ إليهم .. إعراضٌ مع إدْبارٍ .. فإن كنتَ جالِسَاً معهم فاخرجْ من مجلسِهم، [حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ]؛ غير حديثِ الطَّعْنِ، والاستهزاءِ، والتكذِيب، [وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ]؛ النهيُّ عن مجالسَةِ المستهزئين المكذّبين، [فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى]؛ فالنسيان يرفع المؤاخذة، أما بعد الذِّكْرَى فلا عذْرَ .. يجبُ مباشرةً أن تخرجَ، وأن لا تَقعد [مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]الأنعام:68. الذين يَستهزئون، ويُكذّبون بالقرآنِ وآياتِه، وأحكامِه.

ونحو مجالسِ الطَّعنِ، والاستهزاءِ، والتَّكذيبِ .. المجالسُ التي تُدار فيها المعاصِي، أو تتخلَّلها المعاصِي؛ أيضَاً يجبُ اعتزالها، وعدم الجلوسِ مع العُصاةِ في مجالسِ المعصيةِ .. فالمرءُ بالنسبةِ لمجالسِ المعصيةِ مخيرٌ بين أمرَين: إمَّا أن يُنكرَ على العُصَاةِ، والمكذّبين، تَكذيبَهم وعصيانَهم، فإن لم يَستطعْ، أو فعلَ ثم لمْ ينتهُوا؛ فاستمرُّوا في الطَّعنِ والاستهزاءِ، والعُصيانِ .. حينئذٍ يأتي الخيارُ الثاني؛ وهو اعتزالُ مجالسِهم وعدمِ القُعُود معهم .. فإن لم يفعلْ هذا، ولا ذَاك .. ولم يَكُن ناسِياً لحكمِ النهي عن مجالستِهم في مجالسِ الطَّعنِ، والمعصيةِ .. حينَئذٍ يكونُ الجالسُ معهم له حُكمهم، وحُكم المعصيةِ التي يَقترفونَها في المجلسِ؛ لأن الجلوسَ معهم من غيرِ إنكارٍ، ولَا قِيام، ولا إكراهٍ .. علامَةٌ على الرضَى، والرضَى بالشيءِ كفاعِلِه.

466- [وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]الأنعام:68. في كَثيرٍ مِن الأحيَانِ تحتَ عنوانِ حُبِّ وحريَّةِ الاطِّلاعِ .. والغُرُور

والإعجاب بالنَّفْسِ، وبالرَّأْي .. يقتَحِمُ الإنسانُ ـ قَبلَ أن يتمكَّنَ مِن أساسيَّاتِ الدِّين ـ مجالسَ البَاطِل والبِدَع والأهوَاءِ .. ويجعَلُ مِن نفْسِه عُرْضَةً لباطِلِهم، ولأوسَاخِهم، وشُبهاتِهم .. فيَدخُلُ إليهم موحِّداً، ويخرجُ من عندِهم مُشركاً .. فيَدخلُ إليهم مُطمئناً مُستيقِناً بالحقِّ، ويخرج شَاكّاً مُرتاباً بالحقِّ، ومُشَوَّشاً .. ويَدخُلُ إليهم سُنِّيّاً، ثم يخرجُ مِن تلك المجالِس مُعادياً للسنَّةِ، ومِن أهلِ الأهواءِ والبِدَع .. وهو مثلُه في ذلك مَثل مَن يُدخِلُ رأسَهُ جُحْرَ أفْعَةٍ ثم تُسولُ له نفسُه الأمَّارَة بالسُّوءِ أن ذلك لا يَضرُّه، وأنَّهُ فوقَ أن يتأثَّر بِسُمِّ الأفْعَةِ .. لأجْلِ ذلك كُلِّه جاءَ النَّهي عن مجالَسَةِ الظَّالمين، والاستماعِ إليهم .. وفي الحديثِ:" ستكُونُ فِتَنٌ مَن يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ "البخاري. أي مَن يتَعَرَّض لها، ويُشَارِك فِيها، تُهلِكْهُ وتَغلِبْهُ!

* * * * *

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ

467- [كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ]؛ كالَّذي تَميلُ الشَّياطينُ ـ شياطينُ الأنسِ والجنِّ ـ إليه، وترغَب بإغوائِه، وإضلالِه، وتَسييرِه، واستعمَالِه في الاتجاهِ الذي يُريدُون .. فحرَفَته عن الطَّريقِ الصَّحيح والمستقيم، وجعَلَته يَسيرُ بَعدَ هِدَايَةٍ، [فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ]؛ تَائهاً ضالاً لطريقِ الحقِّ والهِداية .. تتنازَعُه الطُّرقُ والمشارِبُ، والأهوَاءُ؛ تَارَةً يَتيَامَن، وتَارةً يتشَاءَم، وتَارَةً يتقدَّمُ، وتارةً يتأخَّر .. تَارَةً تراهُ مُلحداً، وتَارةً تراهُ ليبراليّاً متحلِّلاً، وتارَةً تراهُ مشركاً يعبدُ مع الله آلهةً أُخرَى، وتارةً تراه يَعبدُ الشيطانَ صَراحَةً .. فتَاهَت به الدُّرُوبُ؛ لَا يَهتدي إلى الطريقِ الحقِّ الموصلِ إلى النَّجاةِ .. كلُّ شيطانٍ يَدعُوه إلى مَذهبِه واتجاهِه، ويُزيّن له مَذهبَه، وكُفرَهُ، وضلالَه .. وهو في هذا التِّيه والضَّياعِ؛ تتنازَعُه الأهواءُ، والطرقُ، كمن يتخطَّفُه الطيرُ؛ كل يأخذُ مِنه مُزْعةً لنفْسِه، [لَهُ أَصْحَابٌ]؛

مؤمنُون، مخلصُون له، يحبُّون له الخيرَ، يَصْدُقُونَه النَّصيحةَ، ولا يتخلَّون عنه، [يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا]الأنعام:71. يُنادُونَه أن قد ضَلَلْتَ الطَّريقَ .. الطريقُ الصَّحيحُ الموصِلُ إلى النَّجاةِ، هو ما كنتَ عليه من الهدَايَةِ والإسلامِ .. ما نحنُ عليه، ومِن حيثُ نحنُ نَسِير .. لَا مِن حيثُ أنتَ تَسير .. وانتَهى بِك المسِيرُ .. إلَّا أنَّ الشياطِين ـ بعدَ أن استملكَتْه واستعبدَتْه ـ تكونُ أكثرَ تَأثيراً عليه، من أصحابِه المؤمنِين .. وهذَا مَثَل كلُّ مَن يَرتدُّ عن الإسلامِ، وتتمكَّنُ مِنه الشَّياطينُ، بعد أن ذاقَ طعمَ الإيمانِ .. وله أصحابٌ من المسلمين يحرصُون عليه .. ويحزنُون، ويَقلقُون لأجلِه .. يُنادُونه كلَّما سنَحَت لهم فرصَةٌ أن " ائتِنَا "، هلمَّ إلينَا، فبَابُ التَّوبَةِ والأَوبَةِ مفتُوحٌ لك!!

468- [قُلْ]؛ بعزَّةٍ، وشُموخٍ، وبصوتٍ مُرتفعٍ، ومِن دُون أدنَى تَردُّدٍ، أو وَجَل، [إِنَّ هُدَى اللهِ]؛ إن دينَ اللهِ الإسْلام، حَصْراً، وقَصْراً [هُوَ الْهُدَى]الأنعام:71. هو الدِّينُ الحقُّ، الذي ليسَ بعدَه إلَّا التِّيه والضَّلَال، والضَّيَاع!

469- [وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:71. أَمَرَنَا اللهُ خَالقُ الخلْقِ، ورَبُّ العَالَمِين، الذي له الأمرُ كُله ـ فالذي له الخلْقُ هو الذي له الأمْر ـ أن نَسْتسلمَ، ونخضَعَ لأمرِ اللهِ، طَائِعين، مختَارِين، محبِّين، ومخلِصين.

* * * * *

وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ

470- [وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ]الأنعام:72. لم يَرِد الأمْرُ بالصَّلاةِ مجرَّداً مِن دونِ أن يَتقدَّمَه أمرٌ آخَر [أَقِيمُواْ]؛ الذي يُفيدُ اتقَانَ الصَّلاةِ، وإقامَتها بأركانِها، وواجِبَاتِها، وتَحقِيقَ الخُشُوعِ فيها .. وهو الجانِبُ المرَادُ والأهَمُّ في الصَّلاةِ .. والذي من دُونِه لا تُقْبَلُ الصَّلاةُ، ولا تتَحَقَّقُ الفائِدةُ المرجوَّةُ مِنها!

471- الصَّلاةُ هي بمثابَةِ زيارَةِ العَبْدِ المخْلُوقِ لخالِقِه ومَعْبُودِه .. والوقُوفِ بين يَدَيْهِ .. وعلى العَبدِ الزَّائِرِ أن يتعلَّمَ أدَبَ الزِّيارَةِ قبلَ أن يَزورَ خَالِقَه .. وهذا لا يَتحقَّقُ له إلا إذَا حَقَّقَ واستَوْفَى مَعْنَى [أَقِيمُواْ].

* * * * *

قَوْلُهُ الْحَقُّ

472- [قَوْلُهُ الْحَقُّ]الأنعام:73. قَولُ اللهِ، وحكمُه، وأَمرُه هو الصَّادِقُ، الصَّائبُ، المطابِقُ للواقِعِ، النَّافِذُ الذي لا يتخلَّف .. ليسَ بعدَه إلا الباطِلُ والضَّلَال .. وهو القَولُ الفَصْلُ، والحقُّ، والميزَانُ، الذي به تُوزَن الأشيَاء، وإليه تُردُّ الحقائِقُ، والمفَاهِيم، والمعَاني .. فيُعرَفُ الحقُّ مِن الباطِلِ، ويميز الخبيث مِن الطَّيب.

* * * * *

فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ

473- [فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ]الأنعام:76. استدَلَّ إبراهيمُ عليه السلام على بُطلانِ ألوهيَّةِ وربُوبيَّةِ النَّجْمِ، والقَمَرِ، والشَّمسِ، وغيرها ممَّا يُعبَد مِن دُونِ اللهِ .. بأنَّها تَغيبُ عن الأشْهَادِ .. بينَمَا الإلهُ الحقُّ الذي يجبُ أن يُعبَد هو الإله الذي يَكُون شَاهِداً على كلِّ شيءٍ .. ورَقيباً لكلِّ شيءٍ .. لَا يَغيبُ عنه شَيءٌ .. يَسمَعُ ويَرَى كلَّ شيءٍ .. لَا يَخفَى عليه شَيء، في ليلٍ كان أو في نهارٍ .. وهذه صِفَاتٌ لا يتَّصِفُ بها إلَّا اللهُ الواحِدُ الأحَد.

* * * * *

أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ

474- [وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ]؛ جادَلَ الملأُ مِن الكفارِ إبراهيمَ عليه السلام في إيمانِه ودعوتِه إلى اللهِ، وإلى توحيدِه، وعبادتِه .. يُريدُون بجدالِهم أن يُبطلُوا دعوتَه، والحقَّ الذي جاءَهم به من عندِ ربِّه، وأن يُحِقُّوا باطلَهم، ودعوتَهم إلى عبادةِ الأصنامِ والطواغيتِ .. هذا الجدالُ لم يتوقَّفْ عند إبراهيم عليه السلام مع قومِه .. بل هو ممتدٌّ ليشملَ جميعَ الأزمنةِ والأنبياءِ والرسلِ معَ أقوامِهم، ومَن أُرسِلُوا إليهم .. بمن فيهم خاتم الأنبياءِ والمرسَلين محمدٌّ صلى الله عليه والسلام .. فالجدالُ بين الكافرين المشركين الملحدِين وبين المؤمنين الموحِّدين لا يزالُ قائماً حولَ مَن هو المعبُود بحقٍّ في الوجُودِ، اللهُ، أم الأصنامُ والطواغِيت .. مَن هو المُطاعُ لذاتِه، والمحبوبُ لذاتِه، اللهُ، أم الأصنامُ، والطواغِيت؟! [قَالَ]؛ إبراهيم عليه السلام في ردِّه على كفَّارِ قومِه، [أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ]؛ أتجادلونني في إيماني باللهِ العظيم، وأنه وحدَه الربُّ والمألوه المستحقُّ للعبادَةِ، الذي يجبُ على العبادِ أن يَصرفُوا له العبادَةَ دونِ غيرِه .. وتريدون مِني أن أنصرفَ وأعدِلَ عن عبادَةِ اللهِ تعالى إلى عبادَةِ أصنامِكم وطواغِيتكم؟! [وَقَدْ هَدَانِ]؛ بعد أن هداني اللهُ إلى الحقِّ، إلى نعمةِ الإيمانِ والإسلامِ .. وبعد أن تذَوَّقتُ حلاوَةَ ولذَّةَ التَّوحيد؟![وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ]؛ هكذا شأنُ الكافِرين عندما يَفتقدُون الحجةَ في مواجهةِ الحقِّ .. يَلتجِئون إلى التَّخويفِ والتَّرهيبِ؛ التخويفُ من أصنامِهم، وطواغيتِهم .. يهدّدون المخالفينَ لهم بالقَتْلِ، والسَّجنِ، والطَّردِ، والتَّعذيبِ، والأذَى .. والواجبُ حينئذٍ على المؤمنِ أن يقولَ لهم: لا أخافُ شَيئاً مما تخوفونَني به .. لا تَقدرُون ـ ولا أصنامُكم وطواغيتكم ـ على إنزالِ الضُّرِّ بي، [إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً]؛ إلا أن يشاءَ ربي الذي خَلقني شَيئاً من ذلك؛ اختباراً وامتحاناً لي، فهو وحده القادِرُ على أن ينزِّلَ الضرَّ بمن شاء من عبادِه،

ويدْفَعَ الضُّرَّ عمَّن يَشاءُ .. فأنا لا أخافُ إلا اللهَ، ولا أرجُو إلا اللهَ، [وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً]؛ كلَّ شيءٍ، وأيُّ شيء، وأين كان موقعُ هذا الشيء، سواءٌ كان ظاهراً أم خفياً باطناً .. فاللهُ يعلمُه لا يخفَى عليه شيء .. يعلمُ مكانَه .. وزَمانَه .. وحاجَتَه .. وأحوالَه .. وتَقلباته .. وأطواره .. وقادرٌ عليه .. بينما آلهتكم وأصنامُكم، وطواغيتُكم لا يعلمون شيئاً مِن ذلك، [أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ]الأنعام:80. أفلَا تؤمنُون وتوحِّدُون اللهَ تعالى، وتُقلعُون عن شركِكم، وباطِلِكُم؟!

* * * * *

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ

475- [وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ]، تخوفُونَني آلهتَكم، وأصنامكم، وطواغيتَكم .. الذين لا يملكُون نفْعَاً ولا ضرَّاً؟! [وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ]؛ فعبدتم مِن دُونِه آلهةً أُخْرَى .. عبدتم أصناماً، وطواغيتاً لَا يملكُون لكم نفْعَاً ولا ضُرَّاً .. وكان الأحْرَى بكم أن تخافُوا أنتم عواقِبَ شركِكم باللهِ .. أن يُنْزِلَ اللهُ بكم عذَابَه وعِقابَه في الدُّنيا، والآخِرَة، وهو القَادرُ على كلِّ شَيءٍ، [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً]؛ عبدتم هؤلاءِ الأوثَانِ والطواغيتِ مِن دُونِ اللهِ بغيرِ عِلمٍ، ولا بُرهان وحجَّة مِن اللهِ .. وهذا ممَّا يَشتدُّ له الإنكارُ، [فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ]؛ بأن يكونَ آمِناً مِن عذَابِ اللهِ وانتقامِه نحنُ الذين نعبدُه، ونوحِّدُه، ولا نُشْرِكُ به شَيئاً، أم أنتم أيُّها المشركون الكافرون الذين أشركْتُم معَ اللهِ آلهةً أُخْرَى لَا تَنفَعُ ولَا تَضرُّ .. لَا شَكَّ أن المؤمنين الموحِّدين هم أَوْلَى بالأمْنِ والسَّلامَةِ مِن غيرِهم، بل لَا أمْنَ ولَا سَلامَةَ إلا لهم، [إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ]الأنعام:81. هذه الحقِيقة التي دَعَتْ إليها جميعُ الأنبياءِ والرُّسُلِ .. ودَلَّت عليها جميعُ أدلَّةِ النقْلِ والعَقْلِ.

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ

476- [الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ]؛ أي بِشِرْكٍ أكْبَر، فالشرْكُ أظلَمُ الظلمِ، وأكبرُ الكبائرِ .. وهو ظُلمٌ عظِيم .. لا يجتمعُ معَ الإيمانِ في قلبِ امرِئٍ أبَدَاً .. فالمؤمنُون الذين لَمْ يخالِطُوا إيمانَهم بشرْكٍ أكبر، [أُوْلَئِكَ]؛ تحديداً لا غيرهم، [لَهُمُ الأَمْنُ]؛ السَّلامَةُ، ولهم الأمْنُ؛ فلا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزَنُون، [وَهُم]؛ تحدِيداً لا غيرهم، [مُّهْتَدُونَ]الأنعام:82. إلى الحقِّ، وإلى صِراطِ اللهِ المستقِيم الذي يُؤدِّي بهم إلى النجاةِ، والسلامَةِ، والأمْنِ، والأمَانِ، في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

477- [ذَلِكَ هُدَى اللّهِ]؛ أي هذا هو الهُدَى الحق؛ هُدَى الله، الذي ليسَ بعدَه إلَّا الضَّلال، والباطِل، والضَّيَاع، [يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ]؛ يَهدي به الأنبياءَ والرسلَ، وأتباعَهم من المؤمنين إلى الحقِّ والتَّوحِيد، [وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأنعام:88. وهؤلاء المؤمنين افتراضاً لو أشْرَكُوا باللهِ، وعبَدُوا مع اللهِ آلهةً أُخْرى، أو صرَفُوا شيئاً من العبادةِ لغيرِ الله تعالى، لبطُلَت أعمالُهم الحسَنَة، ولم يَعدْ يَستفيدُون منها شيئاً .. فالشرْكُ يُدَمِّرُ العملَ الصَّالحَ ويُبطلُه، ويُفسدُه، كأنَّه لَمْ يكُنْ .. وفي هذا تخويفٌ شَديدٌ مِن الشرْكِ، ومِن اقترافِه، أو الدُّنو مِنه .. ودعْوةٌ للمؤمنين أن يكونوا شَديدي اليقظَةِ والحذَرِ مِن الشِّركِ، وأن يتفقَّهُوا بأنواعِ الشِّرْكِ ومَا يؤدِّي إليها؛ حتى لا يَقَعُوا في الشرْكِ وهمْ لا يَدرُون .. وأن لا يغرَّهم ما كان مِنهم مِن عمَلٍ صالِحٍ .. فالعمَلُ الصالحُ لا يَتشفَّعُ ولا يَنفعُ معَ الشرْكِ الأكبَرِ.

* * * * *

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ

478- [أُوْلَئِكَ]؛ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأصحابُه الكِرَام رضيَ اللّهُ عنهم، [الَّذِينَ هَدَى اللّهُ]؛ هَدَاهُم إلى الحقِّ، وإلى الصِّراطِ المستقِيم، [فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ]الأنعام:90. إذا أردتَ النَّجاةَ، والسَّعادَةَ في الدَّارَين اقتدِ بِهم، اعتقَاداً، وقَولاً، وعمَلاً، وتَعبُّداً، وأخلاقاً .. والأمرُ هنا يُفيدُ الوجُوبَ .. وهذا يقتَضي مِنك أن تتفَقَه بسيرَتِهم، وفقهِهِم، وأدَبِهم، وأخلاقِهم .. لأن الاقتِدَاء يجبُ أن يتقدَّمَه العِلمُ، فَلَا اقتِدَاءَ مِن غَيرِ عِلمٍ .. ومَالَا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجِب.

* * * * *

قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

479- [قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً]الأنعام:90. أي على تبليغِ القُرآنِ، وأحكَامِه. وقال تعالى:[وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ]هود:29. والعلماءُ ورثةُ الأنبياء، ومن إرثِ الأنبياءِ الذي ينبغي أن يحرصَ عليه العلماءُ، عَدمُ الأكلِ بالدِّين، أو اشتراط الأجْرِ على تَبْليغِ الدِّين.

الدَّاعيةُ إلى اللهِ كلَّما تجرَّدَ في دعوتِه عن حظُوظِ النفس، وعن طلَبِ المُقَابِل، كانت لدعوتِه أثراً طيباً وكبيراً في نفوسِ المدْعوين .. وكان العوَضُ له من اللهِ تعالى أكبر وأعْظَم.

* * * * *

وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

480- [وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]؛ ما عظَّمُوا اللّهَ تعالى حقَّ التَّعظيم، ومَا وقَّرُوه حقَّ التَّوقيرِ الذي يَستحقُّه، [إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ]الأنعام:91.

عندما يَقولُ الكفَّارُ والملحدُون الجاحِدُون ما أنزلَ اللهُ تعالى الكتابَ على أحدٍ من رُسُلِه .. ويجحدُون أن اللهَ تعالى قد أنزلَ القرآنَ على قلبِ رسولِه محمد صلى الله عليه وسلم .. لأنَّ هذا النوع من الجحودِ يتضمَّنُ الانتقاصَ مِن عظَمَةِ الخالقِ سُبحانه وتعالى؛ إذْ كيفَ لبَشرٍ أن يَدَّعِي أن اللهَ تعالى قد أنزلَ عليه الكتابَ .. ويتلُو آياتِه على الناسِ .. ويتَّبعه الناسُ .. وتَنتشرُ دعوتَه بينَ الناسِ .. وهو في نفسِ الوقتِ يَكذِبُ في دعواه على اللهِ .. واللهُ تعالى يَراهُ ويَسمعُه .. ثم يدَعه لسنواتٍ وعقُودٍ من غيرِ انتقامٍ ولَا عِقابٍ .. بل يُباركُه وينصُرُه، ويؤيدُه بالآياتِ والمعجزاتِ الباهِراتِ .. هذا عينُ الطعنِ والاستخْفَافِ بالخالقِ سُبحانه، وبأسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيَا التي تَأبَى أن يقرَّ أو يُمهلَ أو يُباركَ مثلَ هذا النوعِ من الكذبِ عليه!

481- [وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]الأنعام:91. مَا عَرَفُوا اللهَ حقَّ المعْرِفَةِ، ومَا عَظَّمُوه حَقَّ التَّعْظِيمِ، ومَا عَبَدُوه حَقَّ العِبَادَةِ؛ فتَجَرَّأُوا على مَعْصِيَتِهِ .. وخَافُوا مِن المخلُوقِ أكثَرُ ممَّا يخافُون منه .. وعَبَدُوه عِبَادَةَ الجهَّالِ، والسُّفهَاءِ، والحمْقَى .. إذَا دَخَلُوا في صَلاةٍ لَا يَعقلُون منها ثلثها ولا رُبعها، ولَا أقَلَّ مِن ذَلك .. يَذكُرُون فِيها كلَّ شَيءٍ إلَّا الله .. يَذكُرُون اللهَ بألسِنَتِهم، ويَذكُرُون غيرَه بقلُوبِهم .. واللهُ يَعلمُ مَا في قلُوبِهم، ويَنظُرُ إليها، وغَيرُه لَا يَعلمُ مَا في قُلُوبِهم!

* * * * *

وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ

482- [وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ]الأنعام:94. مَهمَا أُعْطِيتَ، ومَهمَا جمَعْتَ، وأكثَرْتَ مِن زِينَةِ ومتَاعِ الدُّنيَا، وسَكَنْتَ القُصُورَ، فإنَّك ـ رَاغِماً، وحَتْماً ـ تَارِكُه، ومودِّعه، ومُفَارِقُه .. تَارِكُه خلفَكَ في دُنْيَاك؛ لَن يَتبَعَك مِنه شَيءٌ، ولَن تَأخُذَ

مِنه شَيئاً لآخِرَتِك .. إلَّا مَا تَصَدَّقْتَ، وأنفَقتَ في سَبيلِ اللهِ، وكان مِن كَسبٍ حَلالٍ .. فكما أتيتَ الدُّنيا عارِياً مِن كلِّ شيءٍ، ستخرجُ مِنها، وستُبعَث يومَ القِيامَة عارياً مِن كلِّ شَيءٍ، كما ولدَتك أُمُّك .. فعَلامَ تَنشغِلُ بما سيزُولُ عنك، وتزولُ عنه، ويَنقَلبُ عَليكَ حَسَرَات، عن مَصيرٍ يَتربَّصُ بك، وقَادِمٍ عليه؛ لَا تَزولُ عنه، ولَا يَزولُ عنك أبَدَا .. فكيفَ تنشغلُ بالنِّعمةِ عن المنعِمِ، وعن شُكرِه، وعبادَتِه، وتَوحِيدِه؟!

* * * * *

قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ

483- [قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ]؛ حجَجٌ، وبراهينٌ، وآيَاتٌ باهِراتٌ .. تَهديكُم إلى الإيمانِ والتَّوحيدِ، والصراطِ المستقيمِ .. وتُبصِّركُم بالحقِّ، ومَا يُؤدِّي إليه، وبالباطِلِ، ومَا يُؤدِّي إليه .. وتُعَرِّفكُم على حقيقةِ الأشياءِ كما هي، [مِن رَّبِّكُمْ]؛ فالبَصَائرُ تُلتَمَس من اللهِ لا مِن غَيرِه .. مِن رَبِّكُم؛ الذي خَلقَكُم، وربَّاكُم، وأنشَأكُم وفقَ مشيئتِه، والعالمُ بما يَنفعُكم، ومَا يَضرُّكُم .. وهذا من تمامِ وكمالِ رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه، وكمالِ حجتِه عليهم؛ فلمْ يخلقْهُم من غيرِ بصَائر تُبصِّرُهم بحقائقِ الأشياءِ، أو خلقَهم ثمَّ تركَهم يلتمِسون البصَائرَ من غَيرِه ـ ممَّن لا يملكُون البصَائرَ ـ فيزدَادُون غَيَّاً وضَلالاً، [فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ]؛ فمَنْ أبصرَ بقلبِه الحقَّ، وآمَن بهِ، والتزمَه، فَنَفْعُ إيمانِه، وهدايَتِه يرتدُّ على نَفْسِه، لا على غَيرِه .. لا يَصلُ شيءٌ منهُ إلى اللهِ؛ لكمالِ غِناه عن خلْقِه، وعَن أفعالِهم، [وَمَنْ عَمِيَ]؛ الحقائِقَ، فلمْ يُبْصِرْهَا، وضَلَّ طَريقَ الهِدايةِ، [فَعَلَيْهَا]؛ فضَرَرُ عمَاه يرتدُّ على نفْسِه، لا على غَيرِه .. فَلا تَجْنِي نفسٌ إلَّا على نفْسِها، [وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ]الأنعام:104. ومَا محمدٌ صلى الله عليه وسلم برقيبٍ عليكم، وعلى أعمالِكم يُحصِيها عليكم، ولا هو محيطٌ بها .. وبما خَفِي مِنها .. فلمْ يُرسَل مِن أجْلِ ذلك .. وإنما أُرْسِلَ إلى الناسِ كافَّة بَشيراً ونَذيراً.

* * * * *

وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ

484- [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ]الأنعام:108. إذَا كان المؤمنُ يَعلمُ أنَّهُ إذا سَبَّ آلهةَ المشركين مِن الأصنامِ، والدَّوابِ، والطواغِيتِ .. سيُقابَل من المشركين بأن يَسبُّوا اللهَ تعالى .. لا ينَبغي ولا يجوزُ للمؤمنِ حينئذٍ أن يتَسبَّبَ بالسبِّ لله تعالى، وذلك أن المشركين والكافرين لا يَعرفُون اللهَ تعالى، ومَا يجبُ له مِن التَّعظيمِ، والتَّوقِير، والإجْلالِ .. وهذا لا يمنعُ مِن الاستمرارِ في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى، وإلى توحيدِه .. والاستمرارِ في بيانِ الحقِّ، وتعريةِ باطِلِ المبطلين المشركين .. فإن تجرَّأ المشركون على سبِّ الله تعالى لمجرَّد الدعوةِ إلى اللهِ، وإلى عبادتِه، وتوحِيدِه .. فهذا ليسَ سَبَباً يَستَدْعِي التوقفَ أو الإقْلاعَ عنه .. وإلَّا لتوقَّفت الدَّعوةُ إلى اللهِ تعالى في الأرْضِ، كل الأرضِ!

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً

485- حقٌّ لا عدوَّ له، ولا يُريدُ أن يكونَ له عدوّاً، ليسَ حَقّاً، وعليه أن ينظرَ أين هو من الحقِّ الخالِص، قال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً]الأنعام:112. وقال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31.

486- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ]الأنعام:112. هذه العدَاوَةُ مِن شياطِين الإنسِ والجنِّ شاملةٌ لجميع الأنبياءِ والرسلِ .. ولجميع أتباعِ الأنبياءِ والرسلِ مِن المؤمنين، لَا تَسْتَثنِي أحَدَاً مِنهم، وبخاصَّة ورثة الأنبياءِ مِن العلماءِ

العامِلين .. كما أنَّها شامِلةٌ لجميعِ معاني العدَاوَةِ، الماديَّةِ مِنها، والمعنويَّةِ .. هذه العداوةُ بين الفريقَين مستمرَّةٌ منذُ أن خلقَ اللهُ آدمَ عليه السلام، وخَلقَ عدوَّهُ إبليس، وأهبطَهُمَا إلى الأرضِ، وإلى أنْ تقومَ السَّاعة .. هذه العداوةُ قَدَّرَها اللهُ تعالى وخلقَها ليتحقَّقَ معنى الاختِبارِ، والبَلاءِ، والجهادِ، والمجاهَدَةِ .. ويتحقَّقُ معنَى التدَافُعِ بينَ الحقِّ والباطِلِ .. ولتتَمايزُ النفوسُ، والصُّفُوف، فيُعرَفُ المؤمنُ مِن الكافِرِ، والصَّالحُ مِن الطَّالحِ، والمجاهدُ ممَّا سواه.

* * * * *

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

487- [يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ]؛ شَيَاطينُ الإنسِ والجِنِّ، [زُخْرُفَ الْقَوْلِ]؛ يُزيِنُونَ باطِلَهم بالعِبَاراتِ المنمَّقَةِ، والمشوِّقَةِ، وبالذَّرائعِ الكاذِبَةِ، والمخادِعَةِ، وأنَّهم ما أرَادُوا إلا خَيراً، [غُرُوراً]الأنعام:112. وإنَّما غايتُهم الحقِيقيَّةُ أنْ يخدَعُوا الناسَ، وأنْ يَصْرِفُوهم عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. وعنِ الصَّوابِ إلى الخطَأ .. وعنِ الإيمانِ إلى الكُفْرِ.

* * * * *

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

488- [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ]الأنعام:112. ولو شَاءَ اللهُ أن يمنعَ الكُفَّارَ عن كُفْرِهِم، والأشرارَ عن شَرِّهم .. لمنَعَهُم بأمرٍ كونِيٍّ؛ كُنْ فيكُون .. ولهداهُم أجمعين .. وجعَلَهم على أتْقَى قَلبِ رجلٍ .. فاللهُ تعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ .. لا يُعْجِزُهُ شيءٌ .. لكن هذا يتنَافَى معَ حكمتِه تعالى مِن خَلْقِ الإنسانِ، ومِن وجُودِه على هذهِ الأرضِ .. فقد شاءَ اللهُ تعالى لهذه الحياةِ الدُّنيا أن تكونَ دَارَ عملٍ، واختبارٍ، وبلاءٍ، وجهَادٍ، ومجاهَدَةٍ .. وأنْ يقَعَ فيها التدَافعُ بينَ الحقِّ والباطِلِ؛ فيَدْفَعُ البَاطِلَ بالحقِّ .. وهذا مِن مُقتَضَاه

وجُود الخَيرِ والشرّ .. الحقّ والباطِلِ .. الصَّالحِين والطَّالحِين .. الأخْيَارِ والأشْرارِ .. المؤْمنِين والكافِرين .. ثمَّ يكونُ الجزاءُ يوم القيامَةِ؛ فريقٌ إلى الجنَّةِ، وفريقٌ إلى السَّعيرِ .. كلٌّ بحسبِ ما كان مِنهُ في الحياةِ الدُّنيا مِن اعتقَادٍ، وقَولٍ، وعمَلٍ.

* * * * *

أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً

489- [أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً]؛ الكفَّارُ يَرضَون مِنك أن تحكمَهُم بشريعةِ الغَاب، وبشريعَةِ ياسِقِ التَّتَارِ، وبشَريعةِ الطُّغاةِ الظالمين، وبأيّ شَريعةٍ وضعيَّةٍ متخلّفةٍ وظالمة .. لَا يَأبَهون ولا يُمانِعُون .. لكنهم لا يَرضونَ مِنك أن تحكمَهم بحكْمِ وشرْعِ الله .. بل منهم مَن يَرضَى مِنك أن تحكمَهُ بحكمِ اللهِ؛ شَريطَة أن لا تُرُدَّ الحكمَ إلى اللهِ، وأن تردَّهُ لغيرِ الله .. فلَا يَرى في ذلك حَرَجاً .. بينما يجدُ كلَّ الحرجِ، وكلَّ الإعراضِ والمعارضَةِ، أن تردَّ حكمَ اللهِ إلى اللهِ .. وأن تذكرَ الله .. وكما أنَّ هؤلاء يُظْهرُون هذا الحقْدَ والكُفْرَ، وهذه الوقاحَةَ في رَدِّ حكمِ اللهِ تعالى .. واستبدَالِه بأيّ حُكمٍ آخَر .. في المقابِل على المؤمنِ أن يواجِهَهم بكلّ جرْأةٍ ووضُوحٍ، وفخرٍ، واعتزَازٍ بقوله تعالى:[أَفَغَيْرَ اللهِ]؛ تُطَالِبُونني بأَنْ [أَبْتَغِي حَكَماً]؟! سؤالٌ يُفيدُ الإنكارَ، والتَّعجبَ مِن الطالِبِ، والمطلُوب؟![وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً]الأنعام:114. واللهُ تعالى هو الذي أنزلَ إليكم القرآنَ الكريم تَفصيلاً وتبْيَاناً لكلّ شيءٍ .. وهادِيَاً إلى الحقّ بإذنِه .. فيه الحكمُ الفَصْلُ، والعَدْلُ لكلّ شَيءٍ؟!

* * * * *

وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ

490- [وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ]الأنعام:116. فِيه أنَّ الأكثرِيَّةَ لا تَعنِي دَائماً أنَّها على حَقٍّ وصَوابٍ، أو أنَّها علامَةٌ على موافقَةِ الحَقِّ الذي يجبُ اتِّبَاعه .. فالحقُّ لا يُعرَفُ بعدَدِ أتْبَاعِه؛ قَلُّوا أمْ كَثُرُوا، وإنَّما يُعرَفُ بموافقَتِه للحقِّ المنَزَّل.

* * * * *

وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ

491- [وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ]؛ يتّبعُون أهواءَهم، ومَا تُملي عليهم؛ فمَا تَرَاه أهوَاؤُهم حَلالاً؛ فهو الحَلالَ .. ومَا تَرَاهُ حرَاماً؛ فهو الحرَامُ .. وما تَرَاهُ أهواؤهم حَقَّاً، وخَيراً؛ فهو الحقُّ وهو الخير .. وما تَرَاهُ باطِلاً، وشَرَّاً؛ فهو الباطِلُ، وهو الشَّرُّ .. فأهواؤُهم هي مَصدرُ التَّشرِيع، والتَّحلِيل والتَّحرِيم .. وهم بذلك يتألَّهون أهواءَهم .. ويَفعلُون كلَّ ذلك [بِغَيْرِ عِلْمٍ]؛ مِن غيرِ دَليلٍ مِن كتَابِ اللهِ، ولَا مِن سنَّةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، اللَّذان إليهما ـ حَصْراً ـ يُرَدَّ التَّحلِيلُ والتَّحريمُ، والتَّحْسينُ، والتَّقبيحُ، [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ]الأنعام:119. الذين يتَعدّون قَدْرَهم، ويَستَشرفُون لأنفُسِهم مقامَ الألوهيَّةِ، ويَتألَّهُون أهْوَاءَهم، ويَعتدُون على حقٍّ هو ليسَ لهم!

* * * * *

وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ

492- [وَذَرُواْ]؛ اتركُوا، وأقْلِعُوا .. والأمرُ هنا يُفيد الوجُوبَ، [ظَاهِرَ الإِثْمِ]؛ جميعَ الآثَامِ والذُّنُوب التي تجرِي على الجوارِحِ الظَّاهرةِ، [وَبَاطِنَهُ]الأنعام:120. جميعَ الآثامِ والذنُوبِ التي مَقرُّها ومَبْعَثُها القَلْبُ، وهي أشدُّ خَطراً وضَرَراً على صاحِبِها مِن

الآثَامِ والذنُوبِ الظاهِرةِ .. وهذا يَعني أن المرءَ كما عليه أنْ يَسعَى ليطهِّرَ جسَدَهُ مِن الآثامِ والذنُوبِ الظاهِرةِ، عليه أنْ يَسْعَى ليطَهِّرَ باطنَه وقَلبَه مِن الآثامِ والذنُوبِ الباطنة .. وهي تَستَوجِبُ منه جهداً أكبر، ومُراقبَةً دائمةً .. فاللهُ تعالى يَعلمُ الظاهِرَ مِنه والبَاطِنَ.

493- [وَذَرُواْ]؛ اتركُوا، وتخلُّوا، واهجرُوا، [ظَاهِرَ الإِثْمِ]؛ جميعَ الآثَامِ والذُّنُوبِ التي تجري على الجوَارحِ الظَّاهِرَةِ، [وَبَاطِنَهُ]الأنعام:120. وجميعَ الآثامِ والذُّنُوبِ التي تجري في الباطِنِ، ومَقَرُّها القَلب؛ كالنِّفَاقِ، والرِّيَاءِ، والشَّكِّ، والأهوَاءِ، والشُّبهاتِ وغَيرِها!

* * * * *

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

494- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ]؛ في تَحليلِ الحرَامِ، وتَحريمِ الحَلالِ، [إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. باتخاذِكُم إيَّاهم أربَاباً مِن دونِ اللهِ؛ تُسْنِدُون إليهم حَقَّ التَّحْليلِ، والتَّحْريمِ، والتَّحْسِينِ والتَّقْبِيحِ مِن دونِ اللهِ، وبغيرِ سُلطانٍ مِنَ اللهِ!

495- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. الذي له حقُّ التَّحليلِ والتحريمِ هو اللهُ تعالى وحدَه .. مَا يقولُ اللهُ عنه حَلال، فهو حَلال، ومَا يقولُ عنه حرامٌ، فهو حرام .. وأيما مخلُوق تُسْنَد إليه هذه الخاصيَّة؛ خاصيَّةُ التحليلِ والتحريمِ مِن دونِ اللهِ، وبغيرِ سُلطانٍ من اللهِ؛ فيحلُّ ما يَشاءُ، ويحرِّمُ مَا يَشَاء .. فقد جعلَ من نفْسِه نِدّاً وشريكاً لله تعالى .. وأيما امرءٍ يُطيعُه ويتابِعُه في التحليلِ والتحريمِ، أو يَرى له حَقَّ التَّحليلِ والتحريمِ مِن دونِ اللهِ، أو معَ اللهِ .. فقد أشرَكَ، واتخذَه رَبّاً وشَريكاً لله.

496- [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ]؛ أيما جِدَالٍ في الباطِلِ؛ يُحقُّ باطلاً، ويُبطِلُ حقّاً .. يُحلُّ حرَاماً، ويحرمُ حَلالاً .. ينصرُ ظَالماً، ويَخذلُ مظلوماً .. هو ممَّا يُوحي به شياطينُ الجنِّ، إلى إخوانِهم من شيَاطينِ الإنسِ، ليُجادِلُوا المؤمنِين، [وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ]؛ فيما يجادلوُكم به، وتَابعتمُوهم عليه، ورددتم حقَّ التَّحليلِ، والتَّحريمِ، والتَّحسِين، والتَّقبيح لغيرِ اللهِ، [إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]الأنعام:121. بطاعَتِكُم لهم؛ فقد أشركتُم بعدَ إيمانِكُم، واتخذتم آلهةً ومشرِّعين معَ اللهِ .. ولَا يُفلحُ المشركُون .. هذه النتيجةُ ـ وهي الوقوع في الشركِ والكُفرِ ـ هي التي يَسعَى إليها الشياطينُ مِن وراءِ هذا الجدَالِ، وهو مَا يُريدونَه، وليسَ إرادَةِ الخيرِ لكُم .. وسَواءٌ أكلتم مَا حَرَّم اللهُ، أم لم تَأكلُوا!

* * * * *

أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

497- [أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً]؛ بسَبَبِ الكُفْرِ، [فَأَحْيَيْنَاهُ]؛ بالإيمانِ، [وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً]؛ هُدَى وعِلماً مِن الكتابِ، والسُّنَّةِ، [يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ]؛ يُضيءُ لهم طريقَ الحقِّ .. ويحسنُ التمييزَ بهذا النُّورِ بين الحقِّ والباطِلِ .. وبينَ المحقِّ مِنَ المُبْطِلِ، [كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ]؛ هو الكافرُ والمشركُ؛ يعيشُ ظُلماتِ الكُفْرِ، والشركِ، والظُّلمِ، والفُسُوقِ، والضَّيَاعِ .. ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، [لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا]؛ لأنّه لا يملكُ النورَ الذي يُعينُه على الخروجِ من الظُّلمَاتِ .. كيف يخرجُ من تلك الظُّلماتِ، ويَهتدي إلى الصِّراطِ المستقيم .. ومصباحُ نُورِه مُطْفَأ، لا زَيتَ فِيه، [كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأنعام:122. وهو معَ كفرِهِ وشركِه، وضَلالِه، وضيَاعِه .. وفقدانِه للنورِ الذي مِن خلالِه يَعرفُ حقيقَةَ الأشياءِ .. يَزعمُ أنَّه على خَيرٍ .. وأنَّه ممَّن يُحْسِنُون صُنعاً .. وأنَّه تَنويريٌّ .. يَدْعُو إلى الفِكْرِ التَّنويرِي!

498- [أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً]؛ بالكُفْرِ؛ فضَلَّ الغَايَةَ مِن وجُودِه، لَا يَهتَدِي إلى حَقٍّ، ولَا إلى باطِلٍ؛ الحقُّ يَراهُ بَاطِلاً، والبَاطِلُ يَراهُ حَقّاً، فكَانَ ـ جِيفَةً تمشِي على الأَرْضِ ـ هو والأمواتِ سَواء، [فَأَحْيَيْنَاهُ]الأنعام:122. فَأَحْيَيْنَاهُ ـ بعدَ أن كانَ ميتاً بالكُفْرِ ـ بالإسْلامِ، ومعَ الإسْلامِ، ومِن أجْلِ الإسْلامِ .. فأَبْصَرَ، وأدْرَكَ الغَايَةَ مِن وجُودِه، وأدْرَكَ الوسَائلَ التي تُعينُه على تحقِيقِ تِلك الغَايَة.

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا

499- [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا]؛ مضَت سُنَّةُ اللهِ تعالى في خَلقِه مِن قَبْل وفي كلِّ عَصْرٍ، ومِصْرٍ؛ أنَّ الذين يتصدَّرُون مُعَادَاةِ ومواجهَةِ دَعْوةِ الأنبياءِ والرُّسلِ؛ هم الكُبرَاء، والرؤسَاءُ، والفراعِنَةُ مِن المجرمِين والكافِرين؛ لأنَّهم يَرونَ في دَعْوةِ الأنبياءِ تَصادُماً معَ رغبَاتِهم، ومصَالحِهم، وأهوائِهم، وتَهديداً لمكانَتِهم وزَعَامَتِهم .. كما يَرونَ فيها صَرْفاً للناسِ عن الدخولِ في عبوديَّتِهم، وطاعَتِهم .. وتحريراً لهم مِن العبوديَّةِ للعَبِيدِ .. فيَصدُّونَ الناسَ عن متابعةِ الأنبياءِ والرسلِ، وعن الدخولِ في دينِهم، ويُزينون لهم دروبَ الفسُوقِ، والغَيِّ، والضَّلَالِ .. ويَظنُّون أنَّهم بهذا المكْرِ هم الغالِبُون، [وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]الأنعام:123. بينمَا مَكرُهم هذا يَرتَدُّ عليهم بالضَّرَرِ والخُسرانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وهم غافِلُون .. لا يَعْلَمون!

* * * * *

فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ

500- [فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ]؛ للإيمانِ، [يَشْرَحْ صَدْرَهُ]، يَفْسَح صَدْرَهُ .. ويُملأُ نُوراً، وسَعَادَةً، وهنَاءةً .. ويَجِد نَفْسَهُ مَشْدُوداً، [لِلإِسْلاَمِ]؛ لقبُولِ الإسْلامِ،

والعَمَلِ بهِ .. فَلا يَقْوَى مانعٌ على صَدِّهِ عن دينِ اللهِ، [وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ]؛ عنِ الإيمانِ والإسْلامِ .. ويُبْقِيَه اللهُ في أوحَالِ الكُفْرِ والشِّرْكِ، [يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً]؛ بحيث لَمْ يَعُدْ يتَّسعُ لقبُولِ الإيمانِ، فهو مِن الضِّيقِ والحرَجِ ما يمنعُ أن يَدخُلَ إليهِ أيُّ خَيرٍ .. أو يَقبَلَ أيَّ خَيرٍ .. وهو بذلك كَمَن كانَ في حَالَةِ ضِيقٍ واختِنَاقٍ، لقِلَّةِ الهواءِ والأُوكْسجِين، [كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء]؛ فكَما أنَّ الذي يصَّعَّدُ في السَّماءِ يَضِيقُ صَدْرُهُ كلَّمَا صَعَدَ وارتَفَعَ، ويَصعبُ تَنفُّسُه لانعدامِ الهواءِ والأوكسجِين الكافي، كذلك الكافِرُ الذي يَرفضُ الإيمانَ والإسْلامَ؛ فهو يَضِيقُ صَدْرُهُ، حتَّى لم يَعُد يتَّسعُ لشيءٍ مِن الخيرِ .. فتظهرُ عليه علامَاتُ الكآبةِ والحرَجِ، [كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ]؛ العَذَابُ، والنَّجَاسَةُ، والشَّيطانُ .. فهذه كُلُّها تجتَمعُ، [عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنعام:125. ومَن اجتمَعَت عليه العناصِرُ الثَّلاث فأنَّى يَعرِفُ انشراحَ الصَّدْرِ، والسَّعَادَةَ الحقيقِيَّة؟!

501- يُوجَدُ فَرْقٌ بينَ اللّذَّةِ والسَّعادَةِ؛ فالسَّعادَةُ تَشمَلُ اللّذَّةَ، واللّذَّةُ مِن مفرداتِها .. بينَمَا اللّذَّةُ لا تَشملُ السَّعَادَةَ .. والكافِرُ يَعرِفُ مِن متَاعِ الدُّنْيا اللّذَّةَ؛ وهذه تَذهَبُ وتَضْعُفُ بذهابِ وضَعفِ أسبَابِها .. حتَّى إذا مَا ذَهبَت ـ اللّذَّةُ وأسْبَابُها ـ ظهَرَت عليه الكَآبَةُ، والأمرَاضُ النَّفْسِيَّةُ .. بخِلَافِ المؤمنِ فحَظُّهُ مِن متَاعِ الدُّنيَا السَّعَادَة .. فإذا ذَهبَت اللّذَّةُ مِن السَّعَادَةِ، بَقِيَ أصْلُ السَّعَادَةِ، يتَمَتَّعُ به المؤمنُ مَا بَقِيَ حَيَّاً.

* * * * *

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً

502- [وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً]؛ نُوَلِّي الحكَّامَ الظالمين، على الشعوبِ الظالمةِ الفاسِدَةِ، [بِمَا كَانُواْ]؛ الحُكَّامُ، والمحْكُومُون، [يَكْسِبُونَ]الأنعام:129. مِن الذُّنُوبِ والمعَاصِي .. ويَستَعْلِنُون بها، ولا يَسْتَخْفُون .. فإذا فَسَدَت الشعوبُ وظَلَمَت

.. لا يتوقَّعُوا حِينئذٍ أن يحكمَهُم حَاكمٌ عادلٌ كعُمَرِ بن الخطَّاب، أو كعُمرِ بن عبدِ العَزيزِ رضي الله عنهما .. وإنما عليهم أن يتوقَّعُوا أن يحكمَهم حاكمٌ ظالمٌ منهم، ومِثْلُهم!

503- [وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ]الأنعام:129. مِن انتقَامِ اللهِ مِن الظَّالمِين؛ أن يُسَلِّطَ بَعضَهم على بَعضٍ، وأن يَضرِبَ بعضَهم ببعضٍ، وأن يُذلَّ بعضَهم ببعضٍ .. قال فُضَيل بنُ عِياض:" إذا رأيتَ ظالماً يَنتَقِمُ مِن ظَالمٍ فَقِفْ، وانظرْ فِيه متعَجِّباً "! وقال ابنُ زَيد بنُ أسْلَم:" نُسَلِّطُ بعضَ الظَّلَمَةِ على بعضٍ فيُهلِكُه ويُذِلُّه ". قال القُرطبي:" وهذا تَهديدٌ للظالمِ إن لم يمتَنِع مِن ظُلمِه سَلَّط اللهُ عليه ظالماً آخَر ".

* * * * *

ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ

504- [ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ]الأنعام:131. مِن كمالِ عَدْلِ الخالِقِ ورحمتِه بعِبادِه أنَّه تعالى لا يَأخذُ قريةً أو مَدينةً بالهلاكِ والدَّمَارِ، والعَذَابِ، حتَّى تَتحقَّق فيها خِصلتَان: الظلمُ، وقِيامُ الحُجَّةِ عليهم من جِهَةِ نذَارَةِ الرسُلِ، فيُقابلُونَها بالإعْرَاضِ، والتَّهكُّمِ، والاستخفَافِ .. وحتَّى ـ إذَا مَا أُخِذُوا ـ لَا يَعتذِرُون بالجهلِ، وأنَّهم كانوا غافِلين لَا يَعلمُون شَيئاً عمَّا جاءَت به الرسُل مِن نُذُرٍ.

* * * * *

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

505- [فَقَالُواْ]؛ الكفارُ .. وأحفَادُهم مِن العلمانيين، [هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ]؛ المساجِدُ، والمعابِدُ، ومَا يَحصِرُ فيها من طقُوسِ العبادَةِ .. فحَدَّدُوا ما للهِ، وما يُصرَفُ للهِ من مُلْكِه وخَلْقِه .. وكأنَّهم أوصيَاءُ على اللهِ؛ ماذَا يَملِكُ، ومَاذا لا يملِكُ .. وماذا يكونُ له، وماذا لا يَكُون .. وماذا يحقُّ له، ومَاذا لا يَحِقُّ؟! [وَهَذَا]؛ وهو كُلُّ ما سِوى

المسَاجِد والمعَابِد .. مِن شؤونِ الحُكمِ والحياةِ: السياسِيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والاجتماعِيَّةِ، والأخلاقيَّةِ، وغيرِها .. هذا كُلُّه، [لِشُرَكَآئِنَا]؛ لقَيصَر .. لطواغِيت الحُكْمِ .. ليسَ مِنه شيءٌ للهِ، [فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ]؛ لطواغيتِ الحُكْمِ والظُّلمِ مِن مُلْكٍ، وسُلطانٍ؛ وهو جميعُ شُؤونِ وجوانِبِ الحياة، [فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ]؛ فلا يصلُ شيءٌ مما هو لِقَيْصَر ولطواغِيت الحُكْمِ إلى اللهِ .. ولَا حقَّ للهِ في أن يَتدخلَ به، أو يَحْكُمَ فِيه، [وَمَا كَانَ لِلّهِ]؛ من شؤونِ المساجِدِ والمعابِدِ، وما يجرِي في داخِلِها، فهو ليسَ حَقّاً خالِصاً للهِ؛ [فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ]؛ حتى هذه القِسمَة الظالمة؛ فما هو للهِ بزعمِهم الباطِلِ .. لقَيصَر الحاكِمِ كامِلِ الحقِّ في أن يتدخَّلَ به، وأن يُشرِّعَ له .. وأن يَسْتَقْطعَ منه لنفْسِه ما شَاء .. متَى تُفتَحُ المسَاجِدُ ومَتى تُغْلَق .. وما هو مَسموحٌ فِيها ومَا هو غيرُ مَسْمُوحٍ .. ومَاذا يُقالُ فيها، ومَاذا لا يُقال .. وعلى الخُطباءِ والمتكلمين أن يخصُّوا في كلماتِهم قيصَر الحَاكم بالدُّعاءِ، تَعبيراً عن الطَّاعةِ والولَاءِ، وإلا تَعرَّضُوا للعقوبَةِ والطَّردِ، والمنْعِ، [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ]الأنعام:136. باطلٌ ما يحكمُون .. وبُطلانُ هذا الحُكْمِ، وهذه القِسْمَةِ الظَّالمةِ مَعْلُومٌ ومَردُودٌ بالنَّقْلِ والعَقْلِ!

* * * * *

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً

506- [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً]؛ فقال: هَذا حَلالٌ، وهَذا حرَامٌ .. هَذا حَقٌّ، وهَذا باطِلٌ .. هَذا حَسَن، وهَذا قَبِيح .. ثم يردُّ أحكامَه وإطلاقَاتِه هذه إلى اللهِ كَذباً على اللهِ وعلى دينِه .. يَفعلُ ذلك؛ [لِيُضِلَّ النَّاسَ]؛ عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. وعن شَرْعِ اللهِ المنزَّل، إلى الشرعِ المحْدَثِ والمبَدَّلِ .. وعن السنَّةِ إلى البِدْعَةِ، [بِغَيْرِ عِلْمٍ

]الأنعام:144. بغيرِ حجةٍ ولَا دَليلٍ مِن كتابِ اللهِ تعالى، ومن سنةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم .. فهذا لا أَحَدَ أظْلَمَ مِنه!

* * * * *

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا

507- [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ]؛ يَستدلُّ الكافرُون المشركُون على كُفْرِهم، وشِركِهم، وعِبادَتِهم للطواغِيت .. وعلى استحْلَالِهم لما حرَّمَ اللهُ تعالى بمشيئةِ اللهِ الكونيَّةِ على مَشيئتِه الشرعيَّةِ؛ فيقولُون: مَا دامَ اللهُ قدَّر وشَاءَ وجودَ الكُفْرِ والشركِ في الحياةِ الدُّنيا، وقَدَّر المعاصِي وركوبَها .. هذا يعني أنَّ اللهَ يرضَاها ويُحبها شَرعاً، ودِيناً .. وإذَا كان لا يرضَاها ولا يُحبها شَرعاً ودِيناً فعَلامَ قدَّرَ وشاءَ وجودَها في الحياةِ الدُّنيا .. وهمْ بهذا القولِ الساقِط، والفهمِ السَّقِيم، يَردُّون شرعَ الله تعالى، ويُشركُون باللهِ العظيم .. ويَعبدُون الشَّيطانَ، والأصنامَ، والطواغيتَ .. ويَرتكبونَ الفواحِشَ والموبقَاتِ .. ويُبطلُون الحِكْمَةَ مِن إرسالِ الرسلِ، وإنزالِ الكُتُبِ .. ومن وجودِ وخلْقِ الدُّنيا كدارِ اختبارٍ وبلاءٍ، التي تَقضي بوجُودِ الشيءِ وضِدِّه .. وجُود الإيمانِ والكُفْرِ .. وجُود الحقِّ والباطِل .. وجُود الخيرِ والشَّر .. وجُود العدْلِ والظلمِ .. ليتحَقَّق معنى التَّدافُعِ، والاختبارِ والبَلاءِ .. [كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم]؛ هذا القولُ والاستدلالُ بالمشيئةِ الكونيَّةِ على المشيئةِ الشرعيَّةِ، هو حجَّةُ وذريعَةُ المشركين والكافرين مِن قَبل، واليوم، وغَداً .. [حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا]؛ والأمم الكافِرة مِن قبل بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذين تمسَّكُوا بهذا القولِ الباطلِ، وتَترَّسُوا به .. كان سبباً لسخطِ وغضَبِ اللهِ عليهم، ونزُولِ العقابِ بهم في الدُّنيا والآخِرة، [قُلْ هَلْ عِندَكُم]؛ فيما تَدَّعون، وتَنسبُونه إلى اللهِ، [مِّنْ عِلْمٍ]؛ من حجةٍ، وبرهانٍ، وسُلطانٍ من الله، [فَتُخْرِجُوهُ

لَنَا]؛ فتظهرُوه لنا، فنتَّبعُه .. لأن القولَ الملزِمَ الذي يجبُ اتباعُه هو القولُ الذي عليه دليلٌ وبرهانٌ من اللهِ تعالى، وما سِوى ذلك فهو من التَّقوّلِ على اللهِ تعالى بغيرِ عِلم، وهو مَردُودٌ، يُضرَب به عرضَ الحائِط، [إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ]؛ بل أنتم ليسَ عندكم عِلمٌ ولا دَليلٌ مِن اللهِ تعالى .. وقولُكم هذا هو من الظنِّ الكاذِبِ الذي لَا يُغني مِن الحقِّ شيئاً، [وَإِنْ أَنتُمْ]؛ في قولِكم الآثِمِ الظالِمِ الآنِفِ الذِّكْرِ، [إِلاَّ تَخْرُصُونَ]الأنعام:148. إلَّا تَكذِبُون على اللهِ، وتَنسبُون إليه مَا لا يَليقُ ولا يَجوز ...!

* * * * *

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ

508- [قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ]؛ للهِ تَعالى الآياتُ، والبراهينُ، والحججُ النَّقْليَّةِ، والعَقْليَّةِ، والكونيَّةِ التامَّةِ الدَّالَّة على وحدانيَّتِه، وأنَّه الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ .. وأنَّه صادقٌ في جميعِ مَا أمرَ بِه، ونَهى عَنه .. وأنَّه تَعالى مُنَزَّهٌ عن أن يَرضَى لعبادِه الكُفْرَ، والفسُوقَ، والعصيانَ، والظُّلمَ .. تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً .. بخلافِ غيرِه؛ ممَّن يَدَّعون الألوهيَّةَ، ويُعبَدُون من دونِ اللهِ؛ فإنَّهم لا يملِكُون الحجَّةَ على ما يَدْعُون إليه، والدَّالَّة على استحقاقهم للتألِيه، ولأَن يُعبَدُوا مِن دونِ اللهِ، أو مَعَ اللهِ .. فكيفَ لهذا الإنسان الذي وهبَ اللهُ له العقْلَ، وخاصيَّةَ التفْكير، وخَلَقَه على الفِطْرَةِ، ومِلَّةِ التوحِيدِ، أن يحيدَ عن عِبادَةِ مَن لَه الحجَّةُ البالِغَةُ التامَّةُ الدَّامِغَةُ فيمَا يَدْعُو إليه ويأمرُ به، إلى عبادَةِ غيرِه؛ مَن ليسَ له حجةٌ عليه؟! [فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ]الأنعام:149. فلو شاءَ اللهُ تعالى لهدَى جميعَ الناسِ إلى الإيمانِ، وجعلَهم جميعَهم على أتْقَى وأعلمِ رجلٍ .. فاللهُ تَعالى لَا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن قضَت حِكمتُه أنْ تكونَ الدُّنيا دارَ عملٍ، وكَدْحٍ، وتَدافُعٍ، واخْتِبَارٍ، وبَلاءٍ .. لَا دَارَ جزَاءٍ .. وهذا يَقتضِي وجودَ الشيءِ وضدِّه.

* * * * *

وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ

509- [وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ]؛ لأنّ من يَقترِبُ منها، يوشكُ أن يقَعَ فِيها، ومَن فتحَ البابَ ولجَ فِيه، ثمَّ لا يُحسِنُ الخروجَ مِنه .. فمن السلامَةِ سَدُّ ذَرائِعِ الفواحِش والمنكَرَاتِ، والابتعادِ عنها .. ومِن المقامَرَةِ؛ المغَامَرَةُ، وتزكيةُ النَّفْسِ على اللهِ، والاقترابُ منها، والحوْم حولها على اعتبارِ أنها لا تَضرُّه، وأنَّه محصَّنٌ بالعِلمِ، والعَقْلِ، والتقْوَى، وأنه فوقَ أن يتأثَّر بها .. فهذه مُقامَرةٌ لا تُؤمَن عَوَاقِبُهَا؛ لِذَا جاءَ النهيُ عن الاقترابِ، مجرَّد الاقترَابِ مِن الشرِّ، والفواحِشِ، والمنْكَرَاتِ، [مَا ظَهَرَ مِنْهَا]؛ وهي جميعُ الفواحِشِ والمنكراتِ الظاهِرَةِ التي تجري على جوارحِ الجسَدِ الظاهِرَة، وهذه غالباً يكونُ مصدرُها من جهةِ الشهوَات، [وَمَا بَطَنَ]الأنعام:151. وهي جميعُ الفواحِشِ والمنكَرَاتِ المعنويَّةِ التي مَقرُّها القَلبُ والبَاطِنُ، وهذه غالباً يكونُ مصدَرُها مِن جهةِ الشُّبُهَات .. وهذا من لوازِمه الابتعاد عن مصادر ووسائلِ التَّلقِين العَدِيدةِ والمتنوِّعَةِ، التي تتَناولُ وتثيرُ الشُّبهَات، والبِدَع، والأهوَاء .. وتُزينُها، وتحسِّنُها في النُّفُوسِ .. كَمْ مِن سُنِّيٍّ كانَ في مَأْمَنٍ، وكان على خَيرٍ، غَرَّتْهُ نَفْسُه، وغَرَّهُ عِلْمُه .. فخاضَ في عِلمِ الكَلَامِ، والفَلْسَفَةِ .. فدَخَلَ ولَمْ يُحْسِن الخرُوجَ .. فتاهَ، وضَلَّ، وأَضَلَّ .. وفقَدَ مَا كان يتمَتَّعُ به مِن اطمئنَانٍ، ورَاحَةٍ نفْسيَّةٍ، وفِكْرِيَّة!

* * * * *

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ

510- [وَإِذَا قُلْتُمْ]؛ حكَمتُمُ أو شهدتُمْ، [فَاعْدِلُواْ]؛ في أحكامِكُم وشهاداتِكُم .. وقُولُوا الحَقَّ، [وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى]الأنعام:152. حتَّى لو كان هؤلاء الذين تَحكُمونَ أو

تَشْهَدُون عليهم من الأقارِبِ، والرَّحِم .. وكان الذين تَحكُمونَ وتَشْهدُون لهم من الأباعِدِ والأعدَاءِ، يجبُ أن تَلْتَزمُوا في أحكامِكُم وشهادَاتِكم بالعَدْلِ، الذي يُرضي اللهَ تعالى .. واحذَرُوا أن تَحِيفُوا، أو أن تَنحَرفُوا عن العَدْلِ إلى الظلمِ .. وإذَا كان هذا معَ الرحمِ والأقارِبِ، فمن دُونَهم ـ مِن الأصْدِقَاءِ أو الجماعَةِ، أو الحزْبِ، أو القبيلَةِ، أو القَوْمِ ـ مِن بابِ أوْلَى أن تحكمَ فِيهم بالعَدْلِ، وتَشْهدَ شَهادَة الحقِّ.

* * * * *

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ

511- [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً]؛ وهو الإسلامُ، الدينُ الذي ارتَضَاهُ اللهُ تعالى لِعبادِه، وأوحَاهُ إلى جميع أنبيائِه ورُسُلِه، مِن لَدُن آدَمَ عليه السَّلام إلى نبيّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. وهو صِراطٌ مُستقيمٌ طويلٌ، ومتَّصِلٌ، لَا عِوَج فيه عنِ الحقِّ، ولا انقِطاعَ، أوَّلُه عندَ آدَم عليه السَّلام، وآخِره عندَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وأُمَّتِه، وإلى قيامِ الساعةِ، [فَاتَّبِعُوهُ]؛ فاسْلكُوه، وتمسَّكُوا به ظَاهِراً وباطِناً، واصْبرُوا عليه وإنْ بَدَا لكم أنَّه طَويلٌ، وأنَّ تكالِيفَه شَاقَّة، [وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ]؛ ولَا تَلتَفِتُوا عنه إلى مَا سِواه من الأدْيَانِ، والأهواءِ، والبِدَعِ المحْدَثَات، والطُّرُقِ، مهمَا بدَت أنَّها مُغريةٌ، وعلَتْها الزِّينَ والزَّخَارِفُ، وأنها قَصيرةٌ وسَهلةٌ، أو كثُرَ أتبَاعُهَا، [فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ]؛ فاتباعِكُم لها يُبْعِدكُم عن الصِّراطِ المستقِيم .. عنِ السَّبيلِ الذي ارتضاهُ اللهُ لكم .. ويُفَرِّقكُم في فِرَقٍ وشِيعٍ ومِلَلٍ وطوائف شتَّى متفرِّقةٍ متناحِرَة مُتدَابِرة، ما أنزلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ، [ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ]؛ وهو اتباعُ صراطِ اللهِ المستقيم، وعدمُ الالتفاتِ عنه إلى غيرِه مِن الطُّرقِ والسُّبلِ المخالِفَةِ، [لَعَلَّكُمْ]؛ إن فعلْتُم ذلك، [تَتَّقُونَ]الأنعام:153. تُصبِحُون مِن

الأتقياءِ، الذين يأتمرُون بما أمرَ بهِ اللهُ ورسولُه، وينتهون عمَّا نهى عنه اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ

512- [انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]الأنعام:158. كلُّ مَن يُشَكِّكُ بأمْرٍ مِن أمُورِ الآخِرَةِ، ممَّا جاءَ ذِكْرُه في كتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. ويَستصْعِبُ وجُودَه، وحصُوله .. نقول لهم:[انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ]؛ فليسَ بينكُم وبينَ مَا تُشَكِّكُون وتُكَذِّبُون به سوَى قَنطَرةِ الموتِ .. وإنَّهُ لآتٍ .. وهو مُلاقِيكُم .. فحينئذٍ ستُدرِكُون عَينَ اليَقِين صِدْقَ مَا كُنتم تَشكُّون وتُكَذِّبُون به .. ولَاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ

513- [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ]؛ وفي قِراءَةٍ [فَارَقُوا دِينَهُمْ]؛ فخرَجُوا عَن أصْلِه؛ الدَّاعِي إلى التَّوحِيدِ، وإلى عِبَادَةِ اللهِ تعالى وحده، وذَهَبُوا بعيداً عنه في مَذَاهب، وطرُقٍ شَتَّى، واعتقادَات عديدَةٍ باطِلة، ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطان .. يَدخلُ في ذلك اليهودُ، والنصَارى، وأهلُ البِدَع والأهواءِ ممن يُحسَبُون على أهلِ القِبلَةِ .. الذين استبدَلُوا الشَّرْعَ المنزَّلَ بالشرْعِ المؤوَّلِ، والمبدَّل، [وَكَانُواْ شِيَعاً]؛ طوائفَ، وأحزاباً متفرِّقةً، مُتناحِرةً مُتدابرةً .. كلُّ طائفةٍ بما لَدِيها فرحةٌ .. تحتكرُ الحقَّ لنفْسِها، وتُكفِّرُ غيرَها، ثم يَحسَبون أنَّهم يُحسنُون صُنعاً، [لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ]؛ أنتَ يا محمد ومَن تبعَك من المؤمنِين بُرآءُ مِنهم، ومِن باطِلِهم، وظلمِهم، لَا هُم مِنكُم، ولا أنتم مِنهم، [إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى

اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ]الأنعام:159. فمرجعُهم إلى اللهِ تعالى يحكمُ فِيهم فِيمَا كانُوا فيه مختلفِين، ومُتَفَرِّقين.

* * * * *

مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

514- [مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ]؛ وهي التي نَصَّ الشارِعُ على أنَّها حسَنَةٌ .. وشَرْطُها الإخْلاصُ الذي لَا رياءَ فِيه، [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا]؛ مِن الأجْرِ؛ تفَضُّلاً وإحسَاناً .. وترغيباً في فعلِ الحسناتِ، والإقبالِ عليها .. ويَا لهَا مِن تجارَةٍ رابحةٍ لا خَسَارةَ فِيها؛ دِرْهَمٌ بعشرَةِ دراهِم .. وحسَنَةٌ بعشْرِ حسَنَاتٍ، واللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء، [وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ]؛ وهي التي نَصَّ الشارِعُ على أنَّها سَيئة، [فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا]؛ فلَا تُكْتَب على فاعِلها إلَّا سيئة واحِدَة .. وجَزاؤها لا يُؤخَذُ به غَيره، [وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ]الأنعام:160. شَيئاً مِن جَزَاءِ حسَناتِهم، وسيئاتِهم .. فقَد أحصَى اللهُ الحسنَاتِ، والسيئات، وعدَّها عَدَّاً لَا يفُوتُه شَيئاً مِنْهَا .. ومِن إحسانِ اللهِ تعالى وعفْوِه ورَحمتِه لعِبَادِه أنه يُنجزُ لهم الوعْدَ، بينَمَا الوعيدُ يُترَك للمشيئةِ؛ إنْ شَاءَ أمضَاه، وإنْ شَاءَ عَفَا عنه .. مَا لم تكُن السيئةُ شِرْكاً وصَاحِبها ماتَ عليها مِن غيرِ تَوبَةٍ!

515- [مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا]الأنعام:160. الحسَناتُ تتَضَاعَفُ؛ الحسَنَةُ بعشْرِ أمثَالِها، ويُضَاعِف اللهُ لمن يَشاءُ .. بينمَا السيئةُ بمثلِها؛ تُكتَب سَيئةً واحِدَةً .. عِند مَورِدِ الحسنَاتِ يُعاملنا اللهُ تعالى بإحسانِه، وعَظِيم كَرَمِه، وجُودِه .. وعِندَ مَورِدِ السيئاتِ يُعامِلُ اللهُ تعالى عِبادَه بعظيمِ وكمَالِ عَدلِه .. ويَعْفُو عَن كَثيرٍ .. ولا يَظلمُ ربُّكَ أحَداً.

* * * * *

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

516- [قُلْ]؛ للمشركِين؛ الذين يحتفُون بشركِهم وكفْرِهم، ويَنصبُون لشرْكِهم وطواغِيتِهم، الأصنَامَ، والأوثان .. ويَعبدُون آلهةً معَ اللهِ، أو مِن دُونِه، [إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]؛ قَد وفقَني اللهُ إلى دينِه؛ دِين الإسلام، وأن أتخذَه منهجاً لحياتي وسلوكِي؛ الدِّينُ الذي لا عِوجَ فيه عن الحقِّ، والعدْلِ، والتَّوحيدِ، الذي يَهدي صاحبَه إلى خيرَي الدُّنيا والآخِرَة .. وينجيه مِن شَقاءِ الدُّنيا، والآخِرَة، [دِيناً قِيَماً]؛ ثابتاً، مُستقيمَاً، قائماً بالقسْطِ .. يَسودُ، ويَعلُو، ولا يُعلَى عليه .. دِيناً بريئاً من الشرْك والمشركِين، [مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ]؛ هذا الدِّينُ الحقُّ، والصراطُ المستقِيم، هو دِينُ إبراهيم عليه السلام، الذي تَدَّعُون الانتماءَ إليه، وتنسبُون دينَكم وأنفسَكُم إلى اسمِه، ودِينِه، وهو منْكُم، ومِن شركِكُم بَريء، [حَنِيفاً]، كان إبراهيمُ موحِّدَاً، قائماً على التوحيدِ الخالِص، مِن غيرِ جنُوحٍ إلى غُلوٍّ، ولا إلى جفَاءٍ وتفريطٍ، [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]الأنعام:161. ولَمْ يكُنْ عليه السلام مِن المشركِين الذين يُشركُون باللهِ، ويَعبدون آلهةً معَ اللهِ، أو مِن دونِه .. وإنما كان من الموحِّدِين المخلَصِين .. فأينَ أنتم مِنه، ومِن دينِه؟!

* * * * *

قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

517- كما أننا من مُلْكِ اللهِ تعالى، ونعيشُ على مائدته، وأن الله تعالى ألزَمَنا بعبادتِه على مدار الوقت، فلا يجوز أن نصرفَ دقيقةً واحدة من حياتنا وأعمارنا لغيره سبحانه وتعالى، كما تفيد الآية الكريمة:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]الأنعام:162-163. كذلك فإن الله تعالى لم يحوجنا إلى غيره دقيقة واحدة، ولا في جزئية من جزئيات حياتنا، سواء

كانت مادية أم معنوية .. ولم يتركنا من غير شريعةٍ شاملةٍ توجهنا في دقائق الأمور، كما في جليلها، علم ذلك منّا من عَلِم، وجَهِلَ ذلك منا من جهِل، كما قال تعالى:[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3. وقال تعالى:[أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ]المؤمنون:115.

518- [قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162. المسلمُ الذي يَعملُ في شركةٍ .. أو ينتمي إلى حِزْبٍ وَضْعِيٍّ .. قد يُطالَبُ بالتقاعُدِ والاعتزالِ .. وأن يَستريحَ، ويُريحَ .. وقد يكونُ لهذا المطْلَبِ وجاهة .. أمَّا مَن كان يعملُ عِندَ اللهِ في خِدمةِ دينِه وعِبادِه .. فهذا ـ مهما بَلَغَ به العُمُر ـ لا يَعرفُ التَّقاعُدَ .. ولا يجوزُ أن تخطرَ لذهنِه فِكرةُ الاعتزالِ، والإحالَةِ إلى التَّقاعُدِ .. بل هو جِهدٌ وجِهادٌ متواصِلَين .. وبَذْلٌ وعَطاءٌ في نصرةِ دينِ اللهِ، ونصرةِ المستضعفين والمظلومين، وقضاياهم العادِلَة ـ بحسب استطاعتِه ـ من المهْدِ إلى اللَّحْدِ .. لا يَعرفُ الكللَ ولا الملَلَ .. لا يَلينُ، ولا يَستكين .. إلى أن يتوفَّاهُ اللهُ، وهذا من مُقتضَى معَاني قوله تعالى:[وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي]. لا يكفي أن تكونَ حياتُهُ كلها لله .. لا يَصْرِفُ شَيئاً منها لغَيرِ الله .. إذ لا بدَّ أيضاً أن يكونَ مماتُه للهِ، وفي سبيلِ اللهِ، وعلى طاعةِ اللهِ .. وأن يحرصَ أن يُختمَ له بخير.

519- تَرِدُ العِبادَةُ، ويُرادُ منها العِبادَةُ الخاصَّةُ، الشَّاملةُ للشَّعائرِ التَّعَبُّدِيَّة: كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والحَجِّ، والزَّكَاةِ، ونحوَها من العِبادَاتِ، وهو المُرادُ مِن قولِه تعالى:[قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي]. وتَرِدُ، ويُرادُ منها العِبَادَةُ العَامَّةُ الشَّاملةُ لجميع ما يحبُّهُ اللهُ تعالى مِن الأقوالِ والأعمَالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، والشَّاملَةِ لجميع المسَاحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنسانُ، وهو المُرادُ من قولِه تعالى:[وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162.

520- [قُلْ]؛ للمشركين إن كنتم تَعبدون آلهةً معَ اللهِ، أو من دُونِه .. وتتوجَّهون في صلاتِكُم ونُسُكِكُم إلى غيرِ الله .. فأنَا لستَ على دينِكُم الشرْكِي، فأنَا على خِلافِكم فِيما تُشْركُون، وفِيما تَدعون إليه مِن الشِّرْكِ، وعِبادَةِ غيرِ اللهِ، فـ [إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي]؛ وهي جميعُ الطَّاعاتِ والعبادات التي يُتَقَرَّبُ بها إلى اللهِ تعالى، كالصَّلاةِ، والصومِ، والحجِّ، والزكاةِ، والجهادِ، وغيرِها .. وخُصَّت الصَّلاةُ بالذِّكْرِ مِن مجموعِ النُّسُك؛ لأهميتها، وبيانِ فضْلِها، [وَمَحْيَايَ]؛ ليسَ فقط الصلاةُ والنُّسُك، بل وحياتي كُلّها ومَا يتخلَّلها مِن أنشطَةٍ سياسيَّةٍ، واقتصاديَّةٍ، واجتماعيَّةٍ، وغيرِها، [وَمَمَاتِي]، حتَّى الموافاتِ .. فهو [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. خالِصٌ لربِّ العالمين .. أموتُ في سبيلِه، لا في سَبيلِ غيرِه .. أصرِفُ جميعَ ما تقدم ذِكرُه للهِ تعالى وحدَه؛ خَالِقِ الخلْقِ، ومالِكِه، والمتصرِّفِ به وفقَ مشيئتِه كيفَما شَاءَ، [لاَ شَرِيكَ لَهُ]؛ في ربُوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، وفي أسمائِه وصِفاتِه، [وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ]؛ أمرَني اللهُ على لساني أنبيائِه ورسُلِه .. فالدِّينُ يكونُ بما يُوحَى، وليسَ بما تَهْوَى، [وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]الأنعام:162-163. ولن أتَرَدَّدَ لحظَةً أن يكونَ لي الشرفُ والسَّبْقُ في دخُولِ الإسلامِ، وأن أكُونَ مُسلماً، وفي عِدادِ المسلمين .. وفي حَقِّ نبيِّنَا محمَّد صلى الله عليه وسلم هو أوَّلُ المسلمين مِن أُمَّتِه.

* * * * *

وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا

521- [وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا]؛ لا تَجْنِي نفْسٌ إلا عَلِيها؛ فما تَجترِحُه مِن سيئاتٍ هي وحدها ـ دُونَ غيرِها ـ تتحمَّلُ تَبِعاتِها، وتُسأَلُ عنها في الدُّنيا والآخِرةِ .. فلا يجوزُ أن يُؤخَذَ المرءُ بجريرَةِ غيرِه، مَهمَا كان هذا الغيرُ قَريباً مِنه، [وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى]الأنعام:164. ولا تَأثمُ نفْسٌ بإثمِ غيرِها .. وإنَّما تأثَمُ فقط بإثمِهَا الذي

ارتكبَتْهُ .. فكلٌّ يُحاسَبُ على وزرِه الخاصِّ به الذي اقترَفَه .. هذا قانونٌ عظيمٌ مِن قوانينِ الإسلامِ في تَرسيخِ دعائمِ الحقِّ والعَدْلِ .. يُريدُنا الخالقُ سبحانه أن نتخلَّقَ ونعمَلَ به .. وأن نبتعدَ عن العَصَبيَّاتِ، والعاداتِ الجاهليَّةِ الخاطِئةِ ـ كما هو سَائدٌ في كثيرٍ من الأنظمَةِ والأمصَارِ ـ التي تَحمِلُ الإنسانَ على التَّوسُّعِ في الثَّأرِ والانتقامِ للمظالِمِ والحقُوقِ ممَّن لم يَظلِم، ولم يُشَارِك في الظُّلمِ والعُدوانِ .. فإذا أخْطَأ شخصٌ عاقَبوا عائلتَه كلَّها، وأخذُوها رَهينةً لخطَئِهِ .. وفي الحَديثِ: "لا يُؤخَذُ الرَّجلُ بجنايَةِ أبيهِ، ولا جِنايَةِ أخِيهِ".

* * * * *

قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً

522- [قُلْ]؛ للكافِرِين الذين يُطالبونَك بأن تعبدَ آلهةً غيرَ اللهِ، وأن تتخذَهُم أرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ، تُطيعُهم مِن دُونِ اللهِ، [أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً]؛ سؤالٌ يُفيدُ الإنكارَ والتعجُّبَ مِن الطالبِ وممَّا يَطلبُون .. إذْ كيفَ أتخذُ غيرَ اللهِ ربّاً ومَعْبُوداً، وهو مخلُوق، مَرْبُوبٌ، لا يَقدرُ أن يخلقَ شَيئاً؟! [وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ]الأنعام:164. بينما اللهُ عزَّ وجل الذي أعْبُدُه، وأدعُوكُم إلى عِبادَتِه؛ هو ربُّ كلِّ شيءٍ .. وخالِقُ، ومالِكُ كلِّ شَيءٍ .. ومَن كان له الخلْقُ والمُلْكُ، والأمْرُ .. وهو يَخلُقُ ولَا يُخلَق .. هو الربُّ بحقٍّ، وهو المألُوه المعبُود بحقٍّ، الذي يجب أن تُصْرَفَ له العِبادَةُ، والطاعَةُ، والمحبَّة.

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ

523- [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ]؛ يخلفُ بعضُكم بعضاً .. كلمَا ذَهبَ جيلٌ أتَى جيلٌ آخَر، يرثُ ويخلفُ الجيلَ الذي قبلَه؛ لتستمرَّ الحياةُ، وتعمُرَ الأرضُ، ويتحقَّقَ الاختبارُ والتمحيصُ والبلاءُ، [وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]؛

في الاهتمامَاتِ، والمهَمَّاتِ، والوظائفِ، والقُدُرَاتِ .. وطرُقِ ومستوى العيْشِ .. ليتحقَّقَ التنوُّعُ الذي به تستمرُّ الحياةُ، وتَعمرُ، وتكتَمِلُ .. وهذا من أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على الأرْضِ وعلى سَاكِنِي الأَرْضِ .. وإذا كانت المساوَاةُ مِن كُلِّ وجْهٍ مُنتَفيةً في الجِنْس الواحِدِ؛ جِنسِ الذُّكُورِ والرِّجالِ .. فمن بابِ أوْلى أن تنتفِيَ المسَاواةُ بينَ الرجالِ والنِّساءِ ـ أو حتّى فِيما بينَ النِّساءِ ذواتِهنَّ ـ التي يَدعُو إليها الغَربُ، ويُقاتِل دونها الفِكرُ النَّسَوي .. فكرةُ المسَاوَاة بينَ الرجالِ والنِّساءِ فكرةٌ خرافيَّةٌ عاطفيَّةٌ غير واقعيَّةٍ .. يَرادُ منها حملُ المرأةِ على الاسترْجَالِ، والتَّشَبُّه بالرجلِ .. وقتْلِ أنوثَتِها، وحيَائِها، وفِطرَتِها التي فطرَها اللهُ عليها .. يَنفِيها النَّقْلُ، والعَقْلُ، والواقعُ المشَاهَد والمعَايَش، [لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ]؛ ومِن غايَاتِ هذا التنوعِ والتعدُّدِ، والتبَايُنِ في الدَّرجاتِ، والمستويَات .. تحقيقُ البَلاءِ والاختبارِ؛ كيف سيتَصرَّفُ الغنيُّ نحو الفَقيرِ .. والقويُّ نحو الضَّعيفِ .. والعالِمُ نحو الجاهِلِ .. والكبيرُ نحو الصَّغيرِ .. والحاكمُ نحو المحكُومِ، والعَكْسُ كذلك .. فكُلٌّ بَلاءٌ واختِبارٌ للكلِّ بحسبِ موقعِه، وبحسبِ مَا آتاهُ اللهُ، وبحسبِ مَا استأمنَهُ، واستخلَفَهُ عليه، كما في الحديث الصحيح:" كُلُّكُم رَاعٍ، وكُلُّكم مَسْؤولٌ عَن رَعيَّتِه "البخاري. [إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ]؛ لمن عصَاه، [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ]الأنعام:165. لمَن تابَ، واستغفَرَ، وأنَاب.

* * * * *

كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ

524- [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. حَرَجٌ مِن بيَانِ وتَبَنِّي أحْكَامِه.

525- قال تعالى:[كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. وقال تعالى:[ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ]النساء:65. الذين يخجلُون من التَّعبيرِ عن الإسلامِ، وعن غاياتِه وأحكامِه، ويجدون في صدورهم حَرَجاً منه؛ فيستعيضُون عنه ـ في المحافل، وعبر وسائل الإعلام ـ بعبارات متشابهة حمّالة أوجه ومعانٍ .. أولئك لا يستحقون أن يوقّعوا عن الله تعالى، ولا عن رسولِه صلى الله عليه وسلم قولاً، ولا حكماً!

* * * * *

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا

526- [وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا]؛ كثيرةٌ هي القُرى والمدن التي أهلَكَها اللهُ تعالى ودَمَّرَها بسبَبِ ظُلمِ أهْلِهَا، وفسوقِهم، وكُفْرِهم .. وكثيرٌ مِن هذا الكثيرِ شَاهِدٌ إلى الساعَةِ على هذَا الدَّمارِ والإهْلاكِ .. وقَليلٌ مَن يعتبرُ ويتَّعظ .. إذْ سرْعَان مَا يَنْسَى الظالمون مَا نزلَ بِهم، والسَّبَبَ الذي أدَّى إلى ما نزَلَ بهم؛ ليعُودُوا إلى غَيهم، وفسُوقِهم، وفجُورِهم .. ويَستعجلُوا نزولَ العذَابِ بهم مِن جَدِيد .. والمرادُ بالقُرَى؛ أهلُها، ومساكِنُهم، ومعاشُهم، [فَجَاءهَا بَأْسُنَا]؛ عذَابُنا وانتِقامُنا، [بَيَاتاً]؛ لَيلاً وهم في غَفْلَةٍ نائمون، [أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ]. أو في النهارِ وهم راقِدين في فترَةِ القيلُولَةِ، [فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ]الأعراف:4-5. فلمَّا ينزلُ بهم العذابُ، والدَّمارُ .. يَرجعوا إلى أنفُسِهم، وإلى بَعضِهم البعضَ يَتلاوَمُون .. ويَتقاوَلُون، ويَشهدُون

على أنفُسِهم أنَّهم كانوا ظالمِين .. وكانُوا فاسِقِين .. وأن هذا العذَاب الذي نزلَ بهم هو بسببِ ظلمِهم وبَغيهم، واستعجَالهم العذَابَ .. وأنَّى ينفَعُهم التَّلاومُ والتَّقَاولُ أو الإقْرَارُ بما كان مِنْهم!

* * * * *

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم

527- [وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ]؛ خَفَّت حَسنَاتُه؛ لخلوِّها من التَّوحِيدِ الخَالِص، وثَقُلَت سيئاتُه؛ لتضمُّنها الشِّرك، فَلا يَثقلُ معَ التَّوحِيدِ سَيئةٌ، كما لَا يَثقلُ معَ الشِّركِ حَسَنَةٌ، [فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم]؛ فأَوبقُوها في نارِ جهنَّم، وفوَّتُوا على أنفُسِهم فُرَصَ النَّجاةِ، وخيراتِ الجنَان، والسَّبَب أنَّهم، [بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ]الأعراف:9. فجحَدُوا الآيَات القُرآنيَّة السَّمعيَّة، والآيَات الكونيَّة، والآيَات النَّفْسيَّة الدَّالَّة على وحدَانيَّةِ الله تعالى، وأنَّه الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ .. وهم بجحودِهم وردِّهم للآياتِ فقَد ظلَمُوا العِلمَ، والحقَّ، والحقَائقَ الكليَّة والمطْلَقَة، والمنطقَ الصَّحِيح السَّليم!

* * * * *

قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

528- [قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ]الأعراف:12. استعلَى إبليسُ اللَّعين على آدم عليه السلام بعُنصرِه؛ عُنصرُه مِن نَارٍ، وعُنصرُ آدَم مِن طِينٍ .. والنارُ - في نظرِ إبليس - خيرٌ وأعلى مِن الطِّين .. فكان أوَّلَ عُنصَريّ في الوجودِ هو إبْليس .. وأوَّل ذنب يُعصى به الله عز وجل هو ذَنْب " العُنصريَّة "؛ وهو الذَّنبُ الذي أدى إلى لعنِ إبليس وطردِه من رحمةِ الله، ومِن الجنَّةِ .. وكل مَن يَتصف بالعنصريَّةِ، ويَنهج نهجَ العنصريَّةِ في تعاملِه مع الآخَرين، ويَستعلي عليهم بعنْصُره، وعرقِه،

ولونِه، أو بقوميَّتِه .. فهو من حزبِ إبليس، وعلى مَذهبِه العُنصُري في استعلائِه على أبي البشر آدم عليه السلام!

* * * * *

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

529- [قَالَ]؛ إبليسُ اللَّعينُ، بعد أن لعنَهُ اللهُ تعالى وطرَدَه مِن رحمتِه، وأخرجَه مِن جنَّتِه، [فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي]؛ أضْلَلْتَني، وأهلكتَني، وأبعدتَني مِن رحمتِك .. ومِن قَبيلِ الانتقامِ لنفسِه، وما حصلَ له، [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ]؛ لأتربصَنَّ لعِبَادِك .. تعبيرٌ يُفيدُ الإصرارَ والتصميمَ، وتكرارَ المحاوَلةِ، معَ طُولِ المكْثِ، مِن غيرِ كَلَلٍ، ولا مَلَلٍ، [صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]. الإسلامُ؛ دينُك الحق؛ الذي لا عِوَجَ فيه .. الصراطُ الموصِلُ إلى رضوانِك، والجنَّةِ .. فأصدهم عن الإسلامِ، والتوحيدِ، والطَّاعةِ .. وأُكسِّلُهم وأجبِّنهم عن عبادَتِك وطاعتِك .. فإن لَمْ أُفلح معَهم في طاعَةٍ لقوَّتِهم فِيها، أتيتُهم مِن جهةِ طاعةٍ أخْرَى، عُرِفُوا بالضَّعفِ فِيها .. ومَن لم أُفلح في صَدِّه عن الدينِ كُلِّه، صدَدْتُه عن بعْضِه .. ومَن لَمْ أُفْلح معه من جهةِ الشُّبهاتِ أتيتُه من جهةِ الشَّهواتِ .. ومَن لَمْ أُفْلح معه مِن جهةِ شهوةِ المالِ، أتيتُه مِن جهةِ شَهوةِ النِّساءِ، وشهوةِ النساءِ للرجالِ .. ومَن لم أُفلحْ معه من جهةِ شهوةِ النساءِ، أتيتُه من جهةِ شهوةِ حُبِّ الرياسَةِ والزَّعامَةِ .. وكونُه يتربَّصُ وينثرُ شِباكَه في صِراطِ اللهِ المستقيم؛ هو لظنِّه أن الصيدَ وافرٌ .. وأنَّ مَن يُريد صَدَّهم وإضلالَهم قد اجتمَعُوا جميعُهم في صراطِ اللهِ المستقيم .. فهو لا يحتاجُ إلى أن يبحثَ عنهم في الطرُقِ والسُّبلِ الأُخْرَى؛ لأنَّها خاويةٌ، لَا صَيدَ فِيها، وكلُّ مَن فيها فقد أجابَه وأطاعَه لما يُريد، ودَخَل في حزبِه وحِلْفِه، وأصبَحَ مِن جُنْدِه .. فلا يحتاجُ لأن يَنشغلَ بهم عن عِبادِ اللهِ المؤمنين .. وإضْلالُ إبليس الشيطان اللعين للناسِ ليسَ أمراً هيِّناً .. أو أمراً

كونيَّاً ـ كن فيكُون ـ لا يتخلَّف .. يُضل مَن يشاء، وقتَمَا يشَاء .. لا .. فهذا ليسَ له .. فهو أضعَفُ وأخسُّ مِن ذلك بكثِير .. لِذَا يحتاجَ إلى بذلِ الجهدِ .. وتكرارِ المحاولةِ .. وإلى ابتكارِ وتجديدِ وسائلِ المكْرِ، والخِداعِ، والإغْواءِ .. وأن يأتي صَيدَهُ مِن كلِّ الجهات .. وفي النهايَةِ لا يُضلُّ، ولا يَستطيعُ أن يُضِلَ، إلَّا مَن كَتبَ اللهُ له الضلالَ .. لذا أتبَعَ فقال:[ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ]؛ فأُفْسِدُ عليهم دُنيَاهُم، [وَمِنْ خَلْفِهِمْ]؛ فأفسدُ عليهم آخِرَتهم، [وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ]؛ فأفسدُ عليهم إيمانَهم، وعبادَتَهم وطاعَتَهم، وأصدُّهم عنها، [وَعَن شَمَآئِلِهِمْ]؛ فأزينُ لهم السيئاتِ، وأُجمِّلُها لهم، ليُكْثِروا مِنها، وينغَمِسُوا فيها، حتَّى يُصبِحُوا لا فكَاكَ لهم من سُلطانِها، [وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ]الأعراف:16-17. ثم بعدَ ذلك لَا يَشكُرُونَك .. بَل يكفرُونَك .. ويَردُّون الفضلَ فيما هم فيه من النِّعم والخيرِ لغيرِك .. وقولُه [أَكْثَرَهُمْ]؛ ولم يقلْ كلّهم؛ لأنَّ عبادَ اللهِ المخلَصين لا سُلطانَ له عليهم، ولو اجتمَعَت معه جميعُ شياطينُ الأنْسِ والجنِّ .. وفيه أن الكثرةَ لا تَعني دائماً أنَّهم على حَقٍّ!

* * * * *

وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

530- [وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ...]الأعراف:19-20. [فَأَكَلَا مِنْهَا ...]طه:121. رغمَ سِعَةِ الخيرِ في الجنَّةِ .. ورغمَ أنَّ جميعَ ما في الجنَّةِ مِن خَيرٍ، وأشجارٍ، وثمارٍ، هي كلها مُباحَةٌ لآدَم عليه السلام ولزوجِه .. إلَّا شجرةٌ واحدة فقَط مُنِعَا مِن الأكلِ مِنها .. وهو ما لا يُطِيقَانِه .. فوضِعَت الجنَّةُ في كَفَّةٍ، وهذه الشَّجرة في كَفَّةٍ .. فوَسْوَسَ لهمَا الشَّيطَانُ .. فأبَيَا إلَّا الشَّجرَةَ، والأكْلَ مِنها .. فخسِرَا الجنَّةَ، وهَبطَا

مِنْها .. فكلُّ ممنُوعٍ مَنَعَ منه الشَّرْعُ يُزينُه الشيطانُ للإنسانِ، ويُغرِيه به .. وهو مَرغُوبٌ للنَّفْسِ .. وهذه صِفةٌ قد انتقَلَت بالوراثَةِ إلى بَني آدَم، إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ .. فكم مِن شجرَةٍ نَهى اللهُ عن الأكلِ مِنها .. وبنُو آدَمَ يأبَون إلَّا أن يأكلُوا مِنها .. نَهى اللهُ عن الأكلِ مِن شجرةِ الخمرِ، وكُلِّ شجرةٍ خبيثةٍ تُسْكِر .. فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ الرِّبَا، فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرَةِ الميْسِرِ فأكَلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ الزِّنَى، فأكلُوا مِنها .. ونَهى عن شجرةِ اللواطَةِ، والمثْلِيَّةِ، والشُّذُوذِ، فأكَلُوا مِنها .. ونهى عن شجرَةِ العُرِي، والتَّعَرِّي؛ فأكَلُوا مِنها .. وهكذا مَا مِن نَهْيٍ نَهى اللهُ عنه إلا ووُجِد مِن بني آدَم مَن يتجرَّأ على اقترافِه، والوقُوعِ فيه، والأكلِ مِنه .. ولو أُحِلَّت جميعُ نِساءِ الأرضِ لرجُلٍ، إلا امرَأةً واحِدَة .. لتَطَلَّعَت نَفْسُه إلى الزَّواجِ مِن تِلك المرْأةِ، وظَنَّ أنَّ فِيها مَا ليسَ في غيرِهَا مِن النِّسَاء .. إنَّها مخالَفَةٌ تتَكَرَّرُ، وتتوارَثُها الأجيالُ جِيلاً بعدَ جِيلٍ، إلى آخرِ إنسانٍ يتَواجدُ على هذهِ الأرض .. إنَّه حظُّ الأبناءِ مِن أبِيهم آدَم، ويتُوبُ اللهُ على مَن تَابَ!

* * * * *

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ

531- [وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:21. ليتمكَّنَ إبليسُ اللَّعين مِن خِداعِ وإغواءِ آدَم وزَوجِه عليهما السَّلام، أتاهما بثوبِ النَّاصحِ الغيورِ على مصلحتِهمَا، ثم زيادَة في الترهِيبِ، والإغواءِ أقسمَ باللهِ العظِيم لهما أنه من النَّاصِحين، وأنه ما أرادَ لها إلا خَيراً .. وهكذا هم دُعاةُ الضَّلالةِ والإغواءِ؛ أتباعُ وجندُ إبلِيس ـ عبر كلِّ زمانٍ ومكانٍ ـ لكي يتمكَّنوا من إضلالِ النَّاسِ وإغوائهم عن الحقِّ؛ يأتُونَهم متدثِّرين بثوبِ النَّاصِحين .. وأنهم يُريدون لهم الخيرَ، والتقدُّمَ، والتنويرَ، والازدِهارَ، والوفْرَةَ، وغير ذلك من العِبارَاتِ التي ظاهِرُها الخَير، وباطِنُهَا الشَّرُّ .. ولا يَتورَّعُون ـ كلما دَعَت الحاجَةُ ـ عن

القَسَمِ باللهِ كذباً وزُوراً؛ ليحمِلُوا المتردِّدِين من المخاطَبِين على تَصديقِ كذِبِهم .. يُنفِّقُون باطِلَهم ودَجَلَهم بالأيمَانِ الكاذِبةِ!

* * * * *

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

532- [قَالَ]؛ اللهُ [فِيهَا]؛ أي في الأرضِ، [تَحْيَوْنَ]؛ حياتَكُم الدنيويَّةِ المقدَّرةِ إلى أجَلٍ محدَّدٍ، لا يتأخَّر، ولا يَتقَدَّم، [وَفِيهَا تَمُوتُونَ]؛ أي في الأرضِ تموتون، وفي باطنِها تُدفَنُون، [وَمِنْهَا]؛ أي من الأرضِ، [تُخْرَجُونَ]الأعراف:25. تُبعثُون ليومِ الحِسَابِ .. ومعَ كلِّ هذا التَّأكيدِ على أنَّ الأرضَ مستودَعُ الأحياءِ والأمواتِ؛ الأحياءُ على ظَهرِهَا، والأمواتُ في بَطنِها .. فإن الجاحِدِين لا يَزالُون يبحثون لأنفسِهم عن حياةٍ، ومُستقَرٍّ لهم في الكواكِب والمجَرَاتِ الأخْرَى التي تَبعدُ عن الأرضِ أكثر من ستِّ مليارِ كيلُو مِتر!

* * * * *

وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ

533- [وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ]الأعراف:26. اللِّبَاسُ لِبَاسَان؛ لِبَاسٌ يَسْتُرُ الأبدَانَ، وعَوْرَات الجَسَدِ .. ولِبَاسٌ يَسْتُرُ مَسَاوِئَ وعَوْرَات الأخْلَاقِ والأعمَالِ؛ وهو لِباسُ التَّقْوَى .. وهو خَيرٌ مِن اللِّبَاسِ الذي يَسْتُرُ الأبْدَانَ .. وكلاهُمَا خَير.

* * * * *

يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا

534- [يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ..]الأعراف:27. هَذا التَّحذيرُ الربَّاني يُفيد أنَّ محاولاتِ

الشَّيطانِ الدَّؤوبِ بتجريدِ بَني آدم من لِباسِهم ـ بالتَّدَرُّجِ ـ حتى لا يُبْقِي عليهم ما يَستُرُ سَوآتهم، لا ولَن نَتوقَّف، وهي مستمرَّةٌ ما استمرَّتِ الحياةُ على هذهِ الأرض .. وقد نجَحَ في كَثيرٍ مِنَ المَواطِن، والأمْصَار!

وفيه أنَّ بَنِي آدَمَ مِن الذُّكُورِ والإنَاثِ، كلَّما سَارُوا في اتجاهِ التَّعَرِّي، وأخَذَ التَّعَرِّي مِنْهم مَأخَذَه .. كانُوا أقرَبَ إلى الشّيطانِ، وأبعَدَ عنِ الرَّحمنِ.

* * * * *

وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا

535- [وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ]الأعراف:28. حججُ الكافرين والفاسقين عبر جميعِ الأزمنَةِ .. إذا مَا سُئلُوا عن سَببِ ارتكابِهم للشِّركِ، وللفَواحِش، والموبقَاتِ .. تتلخَّص بأمرين: بتقليدِ الآباءِ والأجدَادِ، والسَّائدِ في المجتمعَاتِ .. إذْ لو كان هذا الذي يَرتكبونَه مِن الشركِ، والفَواحِش والموبِقات خطَأً أو حراماً لَمَا فعله الآباءُ مِن قبلِهم، ولما كان هو العُرفُ السائدُ والمتعارَفُ عليه بين الناسِ في المجتمَعاتِ في زمانِهم .. فيعتبرون تواطُؤ أكثر الناسِ على المنكرِ والباطِل دَليلاً على صوابِ المنكَرِ والباطِل .. والأكثريَّةُ لا تُحيلُ الحقَّ باطِلاً، ولا الباطلَ حقَّاً .. وثانِيهما؛ استدلالُهم بالقَدَرِ الكَوْنِي؛ أي أنَّ اللهَ تعالى قدَّرَ وجُودَ هذه الفواحِشَ والموبِقَات، وأرَادَها أن تكونَ في الحياةِ الدُّنيا .. ولو كانَت حرَامَاً، واللهُ تعالى لا يُريدُها، ولا يحبُّها، لَمَا قدَّرَ وجودَهَا؛ فيستدلُّون بالقَدَرِ الكوني على القَدَرِ الشَّرعي؛ بما أرادَه اللهُ كَوْنَاً على ما يحبُّهُ ويَرضَاهُ دِينَاً، [قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء]؛ إنَّ اللهَ لا يحبُّ الفحشَاءَ، ولَا يَأمرُ عبادَهُ بِه، ولا يَرضَى مِنهم أن يفعلُوه على أي وجهٍ مِن الوجُوهِ .. وتَقْديرُ وجُودِه لحكمةِ البَلاءِ والاختبَارِ في الحياةِ الدُّنيا، لَا

يَعني أنَّ اللهَ تعالى يحبُّه، ويرضَاهُ، ويريدُه دِيناً لعِبَادِه، [أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ] بغيرِ سُلطانٍ ولا حجَّةٍ مِن كتابٍ أو سُنَّةٍ؟!

* * * * *

فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ

536- [فَرِيقاً هَدَى]؛ وهم المؤمنُون الموحِّدُون؛ الذين يَعبدُون اللهَ ولا يُشركون به شَيئاً، [وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ]؛ وهم المشركُون الذين يَعبدُون معَ اللهِ ـ أو مِن دونِه ـ آلهةً أخرَى، [إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ]؛ شيَاطين الأنْسِ والجنِّ، [أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللهِ]؛ يُوالونَهم، ويُطيعُونَهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ، وفي التزيين، والتَّقْبِيح من دُونِ اللهِ، [وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ]الأعراف:30. ثم هم مع ذلك، يحسَبُون أنفُسَهم بطَاعَتِهم ومتابعتِهم لطواغِيت وشيَاطِين الأنْسِ والجنِّ أنَّهم على حقٍّ، وأن ما سواهم على باطِل .. بينما واقعُهم وحقيقَةُ أمرِهم يُكذِّبُ ادعاءَهم، ويُبطلُ زَعمَهم، ويَدمغُهم بالضَّلالِ المبِين .. وفيه أن مجرَّدَ الاعتقَادِ أو الظنِّ أنَّهم على حقٍّ وصَوابٍ لا يمنعُ من لحوقِ الوعيدِ بِهم، كما لا يُعتبَر مَانِعاً مِن موانِع التَّكْفِيرِ والتَّأثِيم، إذا ما وقعَ مُوجِبُ التَّكْفِير والتَّأْثِيم.

* * * * *

يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

537- [يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ]الأعراف:31. عندما تَقصدُ المسجدَ للصَّلاةِ؛ اجتهِدْ أن تَلبسَ أجمَلَ، وأنظَفَ، وأطهَرَ ثيابِك، وأن تُزيلَ عن نفسِك الروائحَ الكريهَةَ، وأن تتعطَّر بما يُتَاحُ لك من العُطُورِ .. فأنتَ ذاهِبٌ للوقُوفِ بين يَدَي اللهِ سُبحانه، ولمناجَاتِه .. واللهُ تعالى جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ أن يرَى أثَرَ نعَمِهِ على

عَبدِه .. كما أن للمسلمِين في المسجدِ عليك حقًّا، ومِن حقِّهم عليك أن لا يصِلُهم مِنك مَا يُؤذِيهم في صَلاتِهم!

* * * * *

وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ

538- [وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ]؛ أيَّ شَيءٍ، ومَا شِئتم، واشكرُوا اللهَ على نعَمِه؛ فالأصْلُ في الأشياءِ الإباحَةِ، مَا لم يَرِدْ نصٌّ يُفيدُ الحظْرَ والمنعَ لنوعٍ من الأطعِمَةِ، والأشربَةِ، [وَلاَ تُسْرِفُواْ]؛ فلَا تَعَدُّوا مِن الأطعِمَةِ والأشربَةِ مَا يَزيدُ عن حَاجتِكُم؛ فتضطرُّون إلى رَميهِ في القُمامَةِ، وهذا لا يجوزُ، وهو ممَّا لا يحبُّه اللهُ، [إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]الأعراف:31.

* * * * *

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

539- [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ] الأعراف:32. الورَعُ؛ أدناهُ تركُ الحرامِ، وأعلاهُ تَركُ المتَشابَهِ، وليسَ وراءَ ذلك إلَّا التَّشدّد والتَّكَلّف، وتحريم ما أحلَّ الله.

* * * * *

وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ

540- [وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ]الأعراف:33. مِن أشَدِّ الأُمُورِ حُرمَةً وتأثيماً أن تُحَلِّلَ، وتحرِّمَ، وتحسِّنَ، وتُقَبِّحَ .. أو أن تَصِفَ اللهَ تعالى صِفَةً أو تَنْفي عنه صِفَةً .. مِن تِلقَاءِ نَفْسِك، ثم تَنْسِبُ قَولَك وفِعْلَك إلى اللهِ بغيرِ سُلطانٍ مِن كتَابِ اللهِ ولَا

سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فِعْلُك هذا إثمٌ عَظِيمٌ، وهو مِن كبائِرِ الذُّنُوبِ، ومِن أَشَدِّ الأُمُورِ تحرِيماً.

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا

541- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا]؛ جَحَدُوا وأنكَرُوا الآيَاتِ السَّمْعِيَّةِ القُرآنِيَّةِ، والآيَاتِ الكَونِيَّةِ المبثُوثَةِ في الكونِ، والآيَاتِ النَّفْسِيَّةِ الموجُودَةِ في النَّفْسِ البشَرِيَّةِ، والتي جميعُها تَدلُّ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه تَعَالى المعبُودُ بحقٍّ، [وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا]؛ رَدُّوها، وأعرَضُوا عنها كِبراً، وتَعالِياً، [أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]الأعراف:36. لا يخرجُون مِنها أَبَدَا.

* * * * *

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً

542- [قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ]الأعراف:38. الجديدُ يُقلِّدُ القَديمَ، ويتَعَصَّبُ له في الباطِلِ والكُفْرِ .. والآتي يُقَلِّدُ السَّابقَ له في الكُفْرِ .. والأبناءُ يقلِّدُون الآباءَ والأجدَادَ في الكُفْرِ .. والضُّعفَاءُ والجنودُ يُقلِّدُون الرؤسَاءَ والطواغِيت في الكُفْرِ .. في الدُّنيا يتوارَثُون الكُفْرَ كما يتَاورَثُون المتَاعَ وأشَد .. ويتعَصَّبون له، ويُقاتِلُون دُونَه .. فإذا جَاؤُوا يومَ القِيامَةِ، ورَأوا العذَابَ، تبرَّأَ التَّابِعُ مِن المتبُوعِ .. والمتبوعُ مِن التَّابِعِ .. ولَعَنُوا بعضَهم بَعضَاً .. وسَألَ التَّابعُون المقلِّدُون اللهَ تعالى أن يُضَاعِفَ العذابَ على المتبوعِين المقَلَّدِين في نارِ جهنَّم، الذين كانوا سَبَباً في إضْلالِ مَن

جَاءَ بعدهم، [قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ]؛ مِن العَذَابِ، [وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ]؛ أنَّ لكلِّ فريقٍ منكم ضِعْفاً من العَذَابِ .. والآيةُ فيها تحذيرٌ شَديدٌ من عواقِبِ التَّقليدِ مِن غيرِ عِلمٍ ولا بَصيرَةٍ .. وفِيها أنَّ التقليدَ لا يُعتبرُ مانِعاً يمنعُ من لحوقِ الوَعيدِ بصاحِبِه.

وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ

543- [وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ]الأعراف:39. قالَ ـ يومَ لا يَنفعُ التَّلاومُ والتَّقاولُ ـ السَّابقُون في الكُفْرِ، قادَةُ وزُعماءُ، ورُؤساءُ الكُفْرِ المتَّبَعُون .. للَّاحِقين بهم؛ التَّابِعين المقلِّدين لهم في الكُفْرِ .. لا تمنُّونَ علينا كُفرَكُم، وأنَّكُم قد تابعتُمُونا على الكُفْرِ والضَّلالِ .. لَمْ نُكرِهْكُم على الكُفرِ وعلى مُتابعَتِنا على الكُفْرِ .. بل أنتم كنتُم أغبياءَ، وضُلالاً، بِلَا عَقْلٍ رَاشِدٍ ورَادِعٍ؛ إذ تابعتُمُونا على الكُفْرِ والضَّلالِ .. ورَضيتُم بأن تكونُوا وقُوداً للكُفْرِ .. فكلَانَا في الضلالِ سَواء .. وكلانَا ـ التَّابعُ والمتبُوعُ ـ في العذَابِ على ما كانَ مِنَّا مِن كُفْرٍ وعمَلٍ غير صَالحٍ!

* * * * *

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ

544- [وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]الأعراف:44. هناك يَنتهي الحوَارُ .. ويتوقَّفُ تهكُّم واستهزاءُ الكفَّارِ بالإسلامِ والمسلمين .. ويُصبحُ الشكُّ، ومَا كانوا يُكَذِّبُون به، يَقيناً وعَيَاناً .. فتقَعُ النَّدَامَةُ، والحسَرَاتُ على ما فرَّطُوا بحقِّ اللهِ عليهم، ولَاتَ حِينَ مَنْدَم .. ومِمَّا يَزيدُ مِن حسَرَاتِ وآلَامِ الكافِرين المكذِّبين أن المؤمنين وهم في الجنَّةِ والنَّعيمِ المُقيمِ يُنادُون الكافِرين وهم في النارِ والعذابِ الأليمِ:[قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا]؛ مِن الجِنَانِ، والنَّعيمِ، والرِّضْوانِ، جزَاءَ إيمانِنا باللهِ،

وعبادَتِنا، وتَوحِيدِنا له، [حَقّاً]؛ صِدْقَاً ويَقِيناً؛ لا ريبَ ولا شَكَّ فيه، كما أخبرَنا ربُّنا في كتُبِه، وعن طريقِ رسُلِه، [فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ]؛ مَا وعَدكُم به ربُّكم - في كتُبِه وعن طريقِ رسُلِه - من العَذَابِ الأليم المقِيمِ، جزَاءَ تَكذيبِكُم، واستهزائِكم بالإسلامِ، والمسلمِين، [حَقّاً] صِدْقَاً ويَقِيناً لا رَيبَ فِيه؟ [قَالُواْ نَعَمْ]؛ تحسُّ أنَّ كلمةَ " نَعَم " قَد خرَجَت مِنهم مليئةً بالنَّدَمِ والحسَرَاتِ، والإنكسَارِ، والخزْي، والذُّلّ .. والإقْرارِ بأنَّهم كم كانوا أشقيَاءَ وأغبيَاءَ إذْ كانُوا في الحياةِ الدُّنيا مِن الكافِرين المكذّبين المسْتَهزئين .. لَيتَهم قَالُوا نَعَم في الحيَاةِ الدُّنيَا، يومَ أن جاءتهم الأنبياءُ والرُّسُل بالنُّذُرِ، ولم يقولُوا " لَا "، لنفَعَتهم، وأنجَتهم، ولمَا كانوا مُضطَّرِّين في هذا الموقفِ المخزِي، والعَصِيب، أن يقُولُوا " نَعَم "، التي لا تنفعُهم شَيئاً، [فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]؛ فنادَى مُنَادٍ يُنهِي الحِوَارَ بين الفَريقَين؛ فرِيقُ المؤمنِين، وفريقُ الكافِرين المكذّبين، لينكفِئ كل فريقٍ على ما أعَدَّ اللهُ له، [أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]؛ ولعنة اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ تَعني؛ أن رحمةَ اللهِ تعالى ممنوعَةٌ عن الكافِرين المكذّبين المستهزئين .. فمْهَمَا طالَ عذَابُهم فهي لَا تَطالُهم ولَا تَشْمَلُهم .. وهذا ممَّا يزيدُ مِن حَسْرَتِهم وآلامِهم .. بل هو أشدُّ إيلامَاً لهم مِن العذَابِ ذَاته!

* * * * *

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ

545- [وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُواْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ]الأعراف:50. يومَ القِيامَةِ يُنادِي الأخُ من الكافِرين، وهو في نارِ جهَنم، أخَاهُ من أبوَيه مِن المؤمنين، وهو في الجنَّةِ .. والوَلَدُ الكافِرُ أباهُ المؤمِنُ .. والوالِدُ الكافِرُ ابنَهُ المؤمِن .. والصَّاحِبُ الكافِرُ صاحِبَه المؤمِن .. والجارُ الكافِرُ

جارَه المؤمن .. يُنادونَهم، ويَسألُونَهم بحقّ ما بينهم من المعرِفَةِ والرَّحِمِ، وقَد تفحَّمَت أجوافُهم مِن العَطَشِ .. أن يُفيضُوا عليهم مِن الماءِ، ومِمَّا رزَقَهم اللهُ من طعامِ الجنَّةِ .. ويَشاءُ اللهُ للمؤمنين وهم في الجنَّةِ أن يَسمَعُوا أصواتَهم ونِداءاتِهم .. فيأذَنُ لهم أن يُجيبُوهُم، ويقُولُوا لهم: ليسَ لأحَدٍ أن يفعلَ شَيئاً إلَّا بإذنِ اللهِ .. فسُقيَاكُم وإطعَامُكُم من ثمارِ وطعَامِ الجنَّةِ ليسَ لنَا، وليسَ لأحَدٍ غيرِنا، وإنما هو للهِ تعالى وحدَه .. واللهُ تعالى قد حرَّم الماءَ، والطعامَ على الكافِرين .. فليسَ لكُم في جَهنَّمَ إلَّا العَذَاب؛ جزَاءَ كُفرِكُم، وشرِكِكُم، وعنَادِكُم، واستهزائِكُم باللهِ، وآيَاتِه، ورُسُلِه، والمؤمنين .. وما إن يَنتهوا مِن جوابِهم إلَّا وتَهدأ الأصواتُ، وتتوقَّفُ المنَاجَاةُ والمنَادَاة، ويُحَالُ بين الفَريقَين، وينكَفِئ الكافِرُون على عذَاباتِهم وآلامِهم نادِمين!

* * * * *

الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً

546- [الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً]؛ لم يُحسِنُوا تَلقِّي دينَ الله، ولا التَّعامُلَ معَه، ولم يأخذُوه بقوَّةٍ وجِدٍّ، بل تلَقّوه على وَجْهِ اللَّعبِ، والاستهزاءِ، والاستخفَافِ، والتَّهكُّمِ بالإيمانِ والمؤمنين، [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]؛ وغرَّهم الانغماسُ في النَّعيم والتَّرفِ الذي هم فيه، وظَنُّوا أنه باقٍ لهم؛ وأنَّه لن يزولَ عنهم، ولن يَزُولُوا عنه .. ونَسوا أنَّه استِدْراجٌ وفتنةٌ لهم؛ هل سيَشكرُون أم سيكفرُون، [فَالْيَوْمَ]؛ يوم القيامَةِ، يومَ الحِساب، [نَنسَاهُمْ]؛ نتركُهم في نارِ جهَنَّمَ، وفي العذَابِ الأليمِ، فلا نلتفِتُ إليهم، ولا إلى نداءاتِهم، واستغاثاتِهم، [كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا]؛ فكما تركوا العمَلَ، وأهملوا الطاعاتِ التي تنجيهم يوم القيامَةِ، وكانوا يستخفُّون بها .. فإنهم يُترَكُون، ويُعاقَبون اليومَ مِن جنسِ فعلِهم، [وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ]الأعراف:51. وهؤلاء لم يَقتصِرْ جرمُهم على

ما تقدَّم ذِكرُه .. بل كانوا مع ذلك يُنكِرُون ويُكذِّبُون بالآياتِ الباهِرات الدَّالَّةِ على وحدانيَّةِ الله تعالى، وأنه المعبودُ بحقٍّ؛ الآياتُ السمعيَّةُ القرآنيَّةُ، والآياتُ الكونيَّةُ، والآياتُ النَّفسيَّةُ .. والآيةُ الكريمةُ وإن نزلَت في الكافِرين الجاحِدين إلا أنَّها تَطالُ العُصَاةَ من المسلمين ـ بحسب تقصيرِهم وعلى قدْرِ تَشبههم بالكافِرين ـ الذين لم يأخذُوا دينَ اللهِ تعالى بقوَّةٍ وجدٍّ كما ينبغي .. وتعامَلُوا معه كمادَّةٍ للرقْصِ، والقَفْزِ، والغِناءِ، واللَّعبِ، والطَّرَب!!

* * * * *

أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ

547- قال الذين كفَرُوا: للهِ الخلْقُ، ولنا الأمْرُ .. واللهُ إلهٌ في السّماءِ، ونحن الآلهةُ في الأرضِ .. وهذه قِسمةٌ ظالمةٌ لا تَستقيمُ شَرْعاً، ولا عَقْلاً؛ فالذي له الخَلْقُ، هو الذي له الأمْرُ فيما خَلَق .. والذي هو إله في السماوات، هو الإله المعبود والمُطاع في الأرض:[أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]الزخرف:84. [لَوْ كَانَ فِيهِمَا]؛ أي السماواتِ والأرض [آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]الأنبياء:22.

548- [أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. الذي لهُ الخلْقُ، له الأَمْرُ .. ولَهُ الطَّاعَةُ فِيمَا يَأمرُ بِه .. أمَّا مَن لا يخْلُقُ، لا يَأمرُ، ولا يحقُّ له أن يَأمُرَ، ولو أمَرَ لا يُطاعُ فِيما أمَرَ به.

* * * * *

ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً

549- [ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً]؛ بذِلَّةٍ، وخضُوعٍ، ورجَاءٍ، وخَشْيَةٍ، [وَخُفْيَةً]؛ فالدُّعاءُ الخفِي أفضلُ مِن الجهرِ بِهِ؛ فالدُّعاءُ الخفِي أقربُ للإخْلاصِ، وأرْعَى للخشُوعِ، والأدَبِ معَ اللهِ، وألحَظُ لمعيَّةِ اللهِ وقُرْبِه، [إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]الأعراف:55. بالدُّعاءِ، ومِن العُدْوانِ بالدُّعاءِ أن يدعُو المرءُ ظُلماً، وبَغْياً، وقَطيعَةً للرَّحِمِ، وتكلُّفاً، وتَنطُّعاً .. وتَتَبعاً للسجَعِ مِن القَوْلِ .. وأن يسألَ اللهَ مَا حرَّمَ على نفْسِه، وحَرَّمَهُ على عِبادِه .. وفي الحديث أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ مُغفَّلٍ، سمعَ ابنَهُ يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ القَصرَ الأبيضَ، عن يمينِ الجنَّةِ إذا دَخلتُها، فقالَ: أي بُنَيَّ، سلِ اللَّهَ الجنَّةَ، وتعوَّذ بِهِ منَ النَّارِ، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ:" إنَّهُ سيكونُ في هذِهِ الأمَّةِ قومٌ يَعتدونَ في الطَّهورِ والدُّعاءِ ".

* * * * *

وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا

550- [وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ]؛ فتُشيعُون فيها الكُفْرَ، والفواحِشَ، والمنكرَات، [بَعْدَ إِصْلاَحِهَا]؛ بعد إعمَارِهَا بالإيمانِ، والخَيرِ، والأعمالِ الصَّالحَات، [وَادْعُوهُ]؛ التجِؤوا وتَضرَّعُوا إلى اللهِ بالدُّعاءِ، [خَوْفاً]؛ مِن عذَابِه، [وَطَمَعاً]؛ برحمتِه، وعفْوِه، فتَجمَع في دُعائِك بينَ الخوفِ والرَّجاءِ؛ فلَا تُغَلِّب الخوفَ؛ فتَجنَح إلى اليأسِ والقُنُوطِ، ولَا تُغَلِّب الطمَعَ والرَّجاءَ؛ فتَجنَح إلى الإرجَاءِ، والتَّواكُلِ، وترْكِ العَمَلِ، وإنما وسَطٌ بينَهما، [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]الأعراف:56. والمحسنُون هم الذين يأتُون بما زَادَ عن الفرضِ والواجِب؛ من النَّوافِل والطَّاعَات؛ فكلُّ ما زَادَ عن الفَرضِ يَدخُلُ في الإحسَانِ، والمرْءُ كلَّمَا أكثرَ مِن فعلِ النوافِل والمندوبَات كان أقرَبَ إلى المحسنِين، وألصَقَ بصفَاتِ ومعَاني الإحْسَان.

* * * * *

إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ

551- عَلى قَدْرِ الإحْسَانِ على قَدْرِ مَا تَكُونُ الوَلَايَةُ، ويَكُونُ القُرْبُ مِن رَحْمةِ اللهِ، [إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ]الأعراف:56. [وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]البقرة:195. والإحْسَانُ كُلُّ تَطَوّعٍ زَادَ عَنِ الوَاجِبِ، وكُلُّ مَعْرُوفٍ وفَضْلٍ زَادَ عنِ العَدْلِ .. وفي الوَاجِبِ؛ يَكُونُ الإحْسَانُ بإتْقَانِه .. قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ "؛ في الوَاجِبَاتِ، والمنْدُوبَاتِ، والمبَاحَاتِ.

* * * * *

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

552- [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ]؛ هي دَارُ الإيمانِ والإسْلامِ، التي تُسَاسُ وتُحكَمُ بشرْعِ رَبِّ العَالمِين، [يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ]؛ تُعطِي عطَاءَها الجميل والعَظيم بإذنِ رَبِّها؛ فيَعُمُّ فيها الخَيرُ، والأمنُ، والأمَان، [وَالَّذِي خَبُثَ]؛ وهي دَارُ الكُفْرِ، والشِّرْكِ، والفُسُوقِ والعُصْيَانِ، التي تُساسُ وتُحكَمُ بشرائعِ الطَّاغُوت، [لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً]؛ فهي مهمَا تَزيَّنَت، وتزَخْرَفَت، وتلَوَّنَت، فهي دارَ عُسرٍ، وشَقاءٍ، وظُلمٍ، وكَآبَةٍ، [كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ]؛ نضرِبُ الأمثَالَ، ونبيّن الآيَات العَديدةِ، وننوّعُ فِيها، لتَستَبينَ الحقَائِقَ والمعَانِي، [لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ]الأعراف:58. يَشكرون نِعَم اللهِ عليهم .. وهذا المثَل وإن حُمِلَ على البلَدِ الطَّيبِ، والبلَدِ الخَبيث .. فإنَّه كذلك يُحْمَلُ على المؤمنِ الموحِّدِ، الذي يطيب عَطَاؤه، وتَطيبُ حيَاتُه .. والكافِرِ المشْرِك الذي كفَر وأعرَضَ، الذي خَبُثَ عَطَاؤه، وخَبُثَت حيَاتُه!

* * * * *

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ

553- [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ]؛ المشركين؛ الذين صنَعُوا لأنفُسِهم أصناماً، عكَفُوا على عبادَتِها مِن دُونِ اللهِ، [فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ]؛ وحِّدُوه، وأفردُوه بالعبادَةِ، والطاعَةِ، والخضُوع، والتَّوجُّه، والدُّعاءِ، وكلِّ ما يَدخلُ في معنى ومُسمَّى العِبَادةِ من الأعمالِ، والأقوالِ الظاهِرةِ والباطِنَةِ، [مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]؛ ليسَ لكم مِن مألُوه تتألَّهونَه، وتَعبدُونه إلَّا الله؛ فاللهُ تعالى هو الإله الحقُّ الذي يجبُ أن تُصرَفَ إليه العِبادَةُ .. وما سواه مخلوقٌ ومربُوب لا يَستحقُّ، ولا يجوزُ أن يُعبَد .. فإن لم تَستجيبوا لما أدعُوكم إليه، وآمرُكم به من التَّوحِيد، [إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ]الأعراف:59. يومَ القِيامَةِ؛ الذي يَشتَدُّ فيه العذَابُ على المشركين، وهو عذابٌ محقَّقٌ لا يتخلَّفُ؛ سيَطالُ كلَّ مُشركٍ يموتُ على الشِّركِ .. وهذا الذي أُرْسِلَ به نوحٌ عليه السلام إلى قومِه قد أُرسِل به جميعُ الأنبياءِ والرسلِ مِن بعدِه؛ فجميعُ الأنبياءِ والرسُلِ بُعِثُوا بهذِه الرسالةِ [اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]، وهي القضيَّةُ الكُبرى بالنسبةِ لورثةِ الأنبياءِ من العُلماءِ والدُّعاةِ؛ فإنه يتعيَّن عليهم ـ حيثما كانُوا، وفي أي زمَانٍ كانُوا ـ أن يَرصدُوا الشِّركَ بكلِّ أنواعِه ـ على مدارِ الوقتِ ـ بشكلٍ دَقِيقٍ، ويقُومُوا بتعريتِه، وبتعريفِ النَّاسِ به، وتحذيرهم مِنه، ومِن الطوَاغِيت التي تُعبَد مِن دُونِ اللهِ، ويُشرَكُ بها معَ اللهِ!

* * * * *

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ

554- [وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً]؛ ونحوه كُلُّ نبيٍّ مُرسَلٍ، [قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ]؛ وحِّدُوه، وأفرِدُوه بالعِبَادَةِ، ولا تُشرِكُوا به شَيئاً، [مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ]الأعراف:65. مَا لكم على الحقيقةِ من إله تُألِّهُونَه، وتَعبدُونه مِن دُونِ اللهِ .. والآلهةُ التي

تتخذوها وتَعبدُوها مِن دُونِ اللهِ، مخلوقَة، لا تملكُ شَيئاً من خصَائصِ وصِفاتِ الألوهيَّة، والربوبيَّةِ، وبالتَّالي لا يجوزُ أن تصرفُوا لها العِبادَةَ مِن دُونِ اللهِ عزَّ وجل.

* * * * *

قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ

555- [قَالُواْ]؛ قالَت عادٌ لنبيِّهم هُود .. وبنحو قولِهم قالَ جميعُ الكفَّار على مرِّ العُصُور لأنبيَائِهم:[أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ]؛ أكثر ما تَستثقلُه نفُوسُ الكفَّار والمشركين، ويُنكرونه على أنبيائِهم التَّوحِيد؛ دَعوتهم إلى أن يعبدُوا اللهَ ولا يُشركُوا به شيئاً .. قَد يَقبلُون مِنك كلَّ شيٍ .. أمَّا " لا إله إلا الله "، فَلَا!! [وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا]الأعراف:70. السببُ الرَّئيس الذي يحملُهم على رَدِّ دَعْوةِ التَّوحِيد؛ هو التعصب للآباء، وتَقليدهم في الشِّركِ، وعبادَةِ الأوثانِ والطَّواغِيت .. فهم لم يردُّوا دَعوةَ التَّوحِيد لما يملكونَه من حججٍ وبرَاهِين علميَّة وعقْليَّة .. لَا .. ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. إنما فقَط تَقليدُ الآبَاءِ، والتَّعصُّب لهم، ولِمَا كانُوا يَعبدُون مِن دُونِ اللهِ!

* * * * *

أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم

556- [أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ]الأعراف:71. لم يَتوقَّف جدالُهم حولَ أسماء الأصنامِ التي كانوا يَعبدونها مِن قَبل .. كاللَّات، والعُزَّى، ومَنَاة، وهُبَل، وغيرها .. فالجدالُ مستمرٌّ إلى اللحظةِ ـ وما بعدَها ـ حول أسماءِ أصنَامٍ، وأوثانٍ، وآلهةٍ محدَثَةٍ جديدَةٍ تُعبَد مِن دُونِ اللهِ .. فشياطينُ الأنسِ والجنِّ لم يتوقَّفوا عن العمَلِ؛ فهم في تحديثٍ مستمرٍّ للأسماءِ التي تقرِّرُ وتُشَرعِنُ وتحسِّنُ عبادَةَ غَيرِ اللهِ .. وللأسماءِ التي تُحقُّ الباطِلَ، وتُزينُه، وتُبطلُ الحقَّ .. وتُحلَّ الحرامَ، وتحرم

الحلالَ .. وتحسّنُ القبيحَ، وتُقبّحُ الحسَن .. مِن هذه الأسماءِ، الأسماءُ التي شَغلُوا بها النَّاسَ دَهراً مِن الزَّمَن، وسَفكُوا في سبيلِها ولأجلِها أرواحَ عشَراتِ الملايين مِن الناسِ: الشيوعيَّةُ .. والاشتراكيَّةُ .. والديمقراطيَّةُ .. والليبراليَّةُ .. والحداثَةُ .. والقوميَّةُ .. والعلمانيَّةُ .. والإباحيَّةُ .. والمثليَّةُ .. والإلحادُ .. وغيرُها من الأسماءِ والمفاهِيم التي ما أنزَلَ اللهُ بها من سُلطان، فالجدالُ حول هذه الأسماءِ والمفَاهِيم المُحْدَثَةِ بين أهلِ الحقِّ، وبين أهلِ الباطِل مستمرٌّ، وبَاقٍ، لم يتوقَّف .. وسيَظلُّ مُستمراً إلى أن تقومَ السَّاعة .. فالصراعُ على المفاهِيم، والمصطلحَات، والأسماءِ، والقِيم، والمبادِئ الحاكمَةِ الكليَّة، التي تُشكّلُ عقائدَ، وتَصورات الناسِ .. أشَدُّ تَدافُعاً وأثَراً مِن الصِّراعات المسلَّحَةِ التي تكون بين الجنُود!

* * * * *

وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

557- [وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. هذهِ الصِّفَةُ هي في النِّساءِ أكثر مِنْها في الرِّجَالِ .. كَثيرٌ مِنَ النِّسَاءِ يَعْتَبِرْنَ النَّصيحَةَ ـ وبخاصَّة إذا جَاءَتْهُنَّ مِن الرِّجَالِ ـ قَوَامَةً ممقُوتَةً!

558- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. كُلَما تمكَّنَت الأهواءُ مِن الناسِ، وتَمَلَّكَ العُجْبُ بالنَّفْسِ، والرَّأي .. كانُوا أشَدَّ نُفُوراً مِن النَّصيحةِ، والنَّاصِحين .. فحُبُّ النصيحةِ والنَّاصِحين ميزَانٌ يُعرَفُ به أهلُ الأهواءِ مِن عَدَمِهم .. ونحنُ في زَمانٍ إذَا أرَدتَ أن تخسرَ النَّاسَ مِن حَولِك، فانهَجْ طريقَ النَّاصِحين!

559- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. كُلَما تمكَّنَت الأهواءُ مِن الناسِ، وتَمَلَّكَ العُجْبُ بالنَّفْسِ، والرَّأي .. كانُوا أشَدَّ نُفُوراً مِن النَّصيحةِ،

والنَّاصِحين .. فحُبُّ النصيحةِ والنَّاصِحين مِيزَانٌ يُعرَفُ به أهلُ الأهواءِ مِن عَدَمِهم .. ونحنُ في زَمانٍ إذَا أرَدتَ أن تخسرَ النَّاسَ مِن حَولِك، فانهَجْ طريقَ النَّاصِحين!

560- [وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ]الأعراف:79. لكي يتمكَّن دُعاةُ الدَّجَلِ، والشَّعْوذَةِ، والفَسَادِ مِن الانفرَادِ بضحَايَاهُم، وتَفرِيغ سُمِّهم ودَجَلِهم في نفوسِهم وعقولِهم .. يُبَغِّضُونهم بالنَّصِيحَةِ والنَّاصِحين .. وأن لا يَسمعُوا للناصِحين المشْفقِين .. وأن يُغلِقُوا على الناصِحين منافِذَ النَّصيحَةِ ـ وبخاصَّة إن كان الناصحُون مِن محيطِهم الاجتمَاعِي القَريبِ مِنهم الأكثر تأثيراً ـ على اعتبارِ أنَّهم يملكُون المهارَات الذَّاتيَّةِ، والقوَّةِ، والقُدرَةِ، والطَّاقةِ الخارِقةِ على نُصح أنفُسِهم بأنفُسِهم .. وعلى تَحفِيزِ أنفُسِهم بأنفُسِهم .. فلا يحتَاجُون إلى غيرِهم .. ولا إلى نصائِحِهم وتحفيزاتِهم .. ومَشورَتِهم .. فيُلغون بذلك عملَ الأنبياءِ، وعمَلَ الصَّالحِين المصْلِحين ـ عبر التاريخ كلِّه، وعبر جميع الأزمنَةِ الماضيَةِ، والحاضِرَةِ، والمستقبلةِ ـ القَائِمِ على النصيحَةِ، والتَّناصُحِ، وعلى الأمْرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكَرِ .. وعلى الشُّورَةِ، والتَّشَاور .. كما أنَّهم يَضَعُون بذلك الحواجزَ النفسيَّة المدمِّرَة للبيوتِ، ولمحيطِهم الاجتماعِي، فيَقطَعُون ما يجبُ وصْلُه .. ويُدَمِّرون ما يجبُ بُنْيَانُه .. وهذا مِن الغُرُور، والكِبْرِ، والتَّعالِي على الحقِّ، والخلْقِ، ومِن تَلْبِيسِ إبْلِيس عليهم .. وأكثَرُ مَن يَقع في شِباك هؤلاءِ الدَّجَاجِلَةِ المفْسِدِين، ويُصغُون إليهم، هم مِن النِّساءِ، وللأسَف ...!!

* * * * *

أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ

561- [أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ]؛ اطردُوهُمْ من أرضِكُم ودولتِكُم .. لماذا .. وما هو السَّبب؟![إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ]الأعراف:82. هذه هي جريمتُهم الكُبْرَى؛ إنَّهم لا

يَقترِفُون الفَواحِشَ والمنْكَرَاتِ .. ولا يُشَاركونَنَا ممارسَةَ الفُجُور .. وعادَةَ قَومِ لُوطٍ .. فاعتزالُهم لفجُورِنا وفسُوقِنا، وعَدَمُ مشَاركتِهم لنَا في طَريقةِ حيَاتِنَا، وفِيمَا نحنُ فِيه مِن فُجُورٍ .. وتحرِيمُهم وتَأثيمُهم " للمِثْلِيَّةِ "، والتزَامُ نِسائِهم الطُّهرَ والحِجَابَ .. مَنْظَرٌ يُؤذِينَا .. يَتَناقَضُ معَ ثقافَتِنَا وطريقَةِ حياتِنَا .. ويُعَكِّرُ علينا مَزاجَنَا، وصَفْوَ حياتِنَا الماجِنَةِ .. لا طاقَةَ لنَا أن نَرَاهُم أو أن تجمَعنا بِهم أرضٌ واحِدَةٌ!

هذه كلمَاتٌ جرَت على لِسانِ قَومِ لوطٍ مِن قَبل .. إلَّا أنَّها تَتَكَرَّرُ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ـ بصيَغٍ وأساليب مختلِفَةٍ ـ يتَواجَد فيه مَن يَفْعَلُ فِعْلَ قَومِ لُوطٍ .. ويُحَسِّنُ ويُشَرْعِنُ صَنِيعَ قَومِ لُوطٍ!

* * * * *

وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً

562- [وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ]؛ في كلِّ طريقٍ يُفْضِي إلى الحقِّ .. إلى الإيمانِ .. والنورِ والهِدايَةِ .. ترَى الطغاةَ الظَّالمين وأَعْيُنَهم قابِعين جالِسين، يتربَّصُون، ويتجسَّسُون، ويُراقبون العابرين المؤمنين، السالكِين إلى اللهِ، [تُوعِدُونَ]؛ يتوعدونَهم بالقتْلِ أو السجْنِ، والتعذِيبِ، أو الطَّردِ، والنَّهبِ، ومُصادَرةِ الأموالِ والممتلكاتِ .. إن آمَنُوا، وسَلَكُوا طريقَ الأنبياءِ والرُّسُلِ، [وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ]؛ يَصدونَهم ـ بالتَّرهيبِ والتخويفِ تَارةً وتارةً بالترغِيبِ ـ عن الإسلامِ .. عن صراطِ اللهِ المستقِيمِ .. حتَّى باتَ المؤمنُ في كثيرٍ من الأمصَارِ لا يَأمَن على نفْسِه أن يُصَلِّي الجماعَةَ في المسَاجِدِ، خَشْيَةَ التَّصْنِيفِ،[وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً]الأعراف:86. يريدُون لو أنَّ دينَ اللهِ تعالى ينحرفُ عن الصراطِ المستقيمِ .. عن جادَّةِ الحقِّ .. ويُتابِعُهم على ما هُم فيه مِن العوَجِ، والانحرافِ، والضَّلالِ .. وأَنَّى!

* * * * *

قَالُوْاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ

563- [وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوْاْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ]الأعراف:113. هَذا هو هَمُّهُم .. وهذا هو شَرْطُهم مُقابِلَ خَدَمَاتِهم التي سَيُقَدِّمُونَها لفِرعَون .. الأجْرُ المادِّي .. ولا شيءَ غَيرَ الأجْر .. وهكذَا حَالُ كُل مَن يَشتَغِل عندَ الطُّغاةِ المجرِمين، ويُقَدِّمُ لهم خدَمَاته .. أوَّل وآخَر ما يَسألُ عنه، ويَهتَمُّ لَه .. مَا هو الأجْرُ المادِّي الذي سيَحْصَلُ عليه .. وكَم سَيرمِي له الطَّاغيةُ مِن الفُتَاتِ مُقَابِلَ خَدَمَاتِه .. بينَمَا لَمَّا انتقلَ السَّحَرةُ إلى ساحَةِ الإيمانِ، وآمَنُوا بربِّ هارُونَ ومُوسى .. جَادُوا بأنْفُسِهم في سَبيلِ اللهِ .. ولم يَعُدْ يهتمُّوا بالأجرِ الدنيوي، ولَمْ يَسألُوا عنه، وزَهِدُوا بالدُّنيا ومَا فِيها؛ لظُهُورِ الحَقِّ لهم، ولِعِلمِهم أنَّ الأجرَ عِندَ اللهِ أعظَمُ، وخَيرٌ، وأبْقَى!

* * * * *

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

564- [وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ]الأعراف:117. إذَا حَضَرَت عَصَا موسى بَطُلَت عُصِي السَّحَرَةِ .. وبَطُلَ كيدُهُم وتَلفيقُهم وغشُّهم .. وإذَا حَضرَت الآيَاتُ والمعْجِزَاتُ بَطُلَت الخرَافَات، والشَّعْوَذَات .. وإذا حَضَرَ الحقُّ بَطُلُ الباطلُ، وتَلعْثَمَ، وخَنَس، وبانَت عوراتُه، ونَوَاقِصُه .. وانقَضَّ الحقُّ عليه، وتَلَقَّفَهُ، وأصبحَ أثَرَاً بعدَ عَين!

* * * * *

وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ

565- [وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ]الأعراف:127. هكَذا شَأنُ الطُّغاةِ الظَّالمِين مِن قَبل، واليوم، وفي كلِّ زمَانٍ، ومكانٍ؛ عندما يَعجَزُون عن مواجَهَةِ الرجَالِ .. وعن مواجهةِ الحجَّةِ بحجَّةٍ تُقابلُها .. وعن مواجَهةِ الفِكْرِ بفكرٍ يُقابِلُه .. يلجَأون للحلقَةِ الأضعَفِ في المجتمعِ؛ فيَستهدِفُون الأطفَالَ، والنِّساءَ، بالتَّقتيلِ، والتَّعذيبِ، والاغتصَابِ .. وهذا النوع من الاعتدَاءِ والتَّوحُّشِ قد يَروي ظَمَأ أحقادِهم بشكلٍّ مؤقَّت .. لكن لَا يحقِّقُ لهم نَصراً على المدَى البَعيدِ، وبالنظَرِ إلى الخواتِيم والمآلَات!

* * * * *

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

566- [وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]الأعراف:128. في الطَّريقِ قَد تَواجُهك بَعضُ الصِّعَابِ، والعَقَبَات .. وقَد تُصيبُك بعضُ الآلامِ والجِرَاحَات .. لكن اعْلَمْ أنَّ المآلَاتِ والخَوَاتِيم ـ مهمَا طَالَ الطريقُ ـ للصَّابِرين المتَّقين .. فلَا تَقْلَقْ على " العَاقِبَة "، وإنما يكونُ قَلَقُك مُنْصَبٌّ في اتجاهِ تحقيقِ الصَّبرِ والتَّقْوَى .. وهَل أنتَ مِن الصَّابِرين المتَّقين؟!

* * * * *

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ

567- [سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ]؛ عن طَلَبِها، وفَهمِها، وتدبُّرِها، والعملِ بدلالاتها [الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ]الأعراف:146. الذين يَتعالَون على الحقِّ، والخَلْق؛ فيردُّون الحقَّ، ويحتقرون الخلْقَ، فيُعاقِبهم اللهُ ـ بالجَهل، وعدم الانتفاع ممّا يتعلمونَه ـ من جِنس فِعلِهم

وذَنْبِهم .. فكم مِن رائدٍ للفضاء، يَرَى الآياتِ الباهِراتِ في السَّماءِ، ثم يَعُودُ إلى الأرضِ أشَدَّ كُفْراً وعنَاداً!

* * * * *

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

568- [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]الأعراف:156. الحمدُ للهِ ربِّ العَالمين حَمداً كَثيراً طيِّباً مُباركاً فيه، مِلْء السَّماواتِ والأرض أنَّ رحمةَ اللهِ وسعَت كلَّ شَيء .. أعجب للمؤمنِ العاصِي كيفَ يَقنطُ مِن رحمةِ الله .. وربُّه يقول له:[وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]؛ تَسَعُكَ وتَسعُ كلَّ شَيء .. فعلَامَ القُنوط مِن رحمةِ الله .. ألستَ شَيئاً يا عبدَ الله .. فمن أنتَ حتَّى لا تَسَعُكَ رحمةُ اللهِ ..؟! خَابَ وخَسرَ مَن لم تَسعْهُ رحمةُ اللهِ .. ومَن ظنَّ أن رحمةَ اللهِ لَا تَسَعُه!!

* * * * *

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

569- [وَاتَّبِعُوهُ]؛ أي اتَّبعُوا محمداً صلى الله عليه وسلم [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الأعراف:158. جَوابٌ لكُلِّ مَنْ ضَلَّ السَّبيلَ، وتَاهَت به الدُّرُوبُ، وأرَادَ النَّجَاةَ.

* * * * *

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ

570- [وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ]الأعراف:164. لَا ينبغي للداعيةِ إلى اللهِ تعالى أن ينصرفَ عن الدَّعوةِ إلى اللهِ، وعن الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكَرِ، لقلَّةِ الأتباعِ، والمُقبِلين، وكَثرةِ المعرِضين .. فهو إذْ يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكَرِ يَقومُ بما يجبُ عليه

مِن اللهِ، طاعَةً وامتثالاً لأمرِ اللهِ، وحتَّى لا يُؤاخَذ بكتمانِ الحقِّ، والعِلم، وبالرِّضَى بالباطِلِ، والسكوتِ عليه .. ثم بعد ذلك يتركُ النتائجَ إلى اللهِ تعالى .. فكم مِن كلمةٍ مخلِصَةٍ لم تثمْرْ في حِينِها ـ اختباراً لصاحِبها ـ أثمرَت، وآتَت أُكُلَها بعدَ سنِين، وعُقُودٍ، وكانت سَبباً في هداية كثيرٍ من الناسِ .. وكَمْ مِن قصَّةٍ ظنَّ أصحابُها أنَّها لن تتجاوزَ زمانَهم، وأيامَهُم، فكتَبَ اللهُ لها القبُولَ، والذِّكرَ لعقُودٍ، وقرُونٍ مَديدَةٍ .. وإنَّ مِن الأنبياءِ ـ وهو نبيٌّ مُرسَل ـ مَن لَمْ يُؤمِنْ به من قومِه، وممَّن أُرسِل إليهم، إلَّا الرجلُ الواحِدُ .. والنَّفرُ القَليل .. لكن بعدَ موتِه، ورحيلِه .. آمنَت به أمَّةُ الإسلامِ كلها، وإلى قيامِ السَّاعَةِ .. فعليكَ ـ يا عبدَ الله ـ حُسن الدَّعوَةِ، والبيانِ، والتَّبليغ .. وعلى الله تعالى الهِدَاية والتَّوفِيق.

* * * * *

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

571- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ]الأعراف:165. لَا يَكْفِي ـ لكي تنجُو مِن العذابِ الذي يَتنزَّل على الظَّالمين ـ أن تكونَ صَالحاً في نفْسِك .. إذْ لَا بدَّ مِن أن تكونَ أيضاً ممَّن يَنهونَ عن السُّوءِ، كُل السُّوء، السُّوءُ الاعتِقَادِي، والسُّوء السِّياسِي، والاجتماعِي، والأخْلاقِي، والاقتصادِي .. وتَأمرُ بما يَضَاده مِن المعروفِ .. وتَصْبرُ على الأذَى الذي يَتَسبَّبُه لكَ الأمرُ بالمعروفِ، والنَّهيُ عنِ المنكَرِ والسُّوء!

572- [أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ]الأعراف:165. خَصَّ [الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] بالذِّكْرِ، لأنَّه الجانِبُ الأشَدُّ والأصعَبُ في عمليَّةِ الإصْلاح، يترتَّبُ عليه مِن التَّبعاتِ مَا لَا يَترتَّبُ على الأمْرِ بالمعرُوفِ .. ولأنَّ الذي يَنهى عنِ السُّوءِ يَلزَمُه أن يأمرَ بالصَّلاحِ، وبالمعرُوفِ، بخلافِ مَن تَقتصرُ دعوتُه على الأمرِ بالمعرُوفِ، فإنَّه لا يَلزمُ مِن

الأَمْرِ النَّهيَّ عن المنكرِ والفَسَادِ .. لِذا فإنَّ المشركين قد يَقبلون مِنك أن تَأمُرَهم بعبادَةِ اللهِ .. فيعبدُون اللهَ معَ جملةِ معبُودَاتِهم .. لكن لا يَقبلون مِنكَ أن تَنهاهُم عَن عِبادَةِ غيرِ اللهِ!

573- [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ]الأعراف:165. قَدْ كَثُرَ الخبَثُ، والفُسوقُ، والعُصيَانُ، وكثُرَت المنكرَات، والفَواحِشُ، والسِّيئاتُ، في الأمصَارِ .. وفي المقَابلِ قَد كَثُرَت الآياتِ والقوَارِعُ الربَّانيَّةُ الكونيَّةُ على الظالمين .. وقَليلٌ هم الذين يتَّعِظُون ويَعتَبرُون .. وعلى قَدْرِ ما يَعتزِلُ العَبدُ تِلكَ المنكرَاتِ، والفواحِش، والسَّيئاتِ، وينَهى عنها .. ويُظْهِر براءَتَه مِنها، وإنْكارَهُ لها، ولأهلِها الظالمين .. على قَدْرِ مَا يُسَلِّمُه اللهُ تعالى مِن تِلك القوَارِع والآياتِ الزَّاجِرَاتِ المهْلِكَات!

* * * * *

فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

574- [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ]الأعراف:175. هو بَلْعَام كان مِن كِبارِ عُلماءِ بني إسرائيلِ، قَد آتاهُ اللهُ مِن العِلمِ الكثِير .. وقِيل أن دعاءَه كان لا يُرَد .. انسَلخَ من الآياتِ والكرَامَاتِ التي آتاهُ اللهُ إيَّاهَا، كما تنسلخُ الحيَّةُ مِن جِلْدِها .. بسَببِ نصرتِه للظَّالمين، والوقوفِ معهم، والجِدَالِ عنهم، والدُّعاءِ لهم على مَن نَاوَأهم .. وهو بذلك مثَلٌ سَيِّئٌ لعلمَاءِ السُّوءِ مِن بَعدِه - على مدَارِ الأزْمِنَةِ - الذين لا يَحفَظُون أمانَةَ العِلمِ، وأمانَةَ التَّبليغِ؛ فيَقفُون معَ الطُّغاةِ الظَّالمين، ويُكثِّرون سوادَهم، ويجادِلُون ويُنافِحون عنهم، وعن ظُلمِهم .. ويَعمَلُون على تَبييضِ

جَرائمِهِم .. وهؤلاء مَهمَا تَوسَّعَت لهم المجالِسُ لا يَحسَبُون أنْفُسَهم أنَّهم على خَيرٍ .. وهم مِن حزبِ وجماعَةِ بَلْعَام!

* * * * *

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

575- اتّباعُ الهوَى منه مَا يكونُ كُفراً، كما في قولِه تعالى:[وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]الأعراف:176. وقوله تعالى:[وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. وقوله تعالى:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً]الفرقان:43. وقوله تعالى:[فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]القصص:50. ومِنهُ ما يكُونُ مَعصيةً دُونَ الكُفْرِ، كما في قَولِه تعالى:[فَلاَ تَتَّبِعُواْ الهَوَى أَن تَعْدِلُواْ]النساء:135. وقوله تعالى:[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى]النازعات:40. وغيرها من الآيات.

576- [وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا]؛ بالآياتِ التي آتَاهُ اللهُ إيَّاهَا، ورفَعهُ بها إلى منزلةِ الأولياءِ الصَّالحين، والعُلماءِ العَامِلين، [وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ]، مَالِ إلى الأرضِ، وركَنَ وسَكَنَ إليها، وإلى متاعِها، وزينَتِها، وإغراءاتِها، واطمَأنَّ بِها .. وهو معَ ذلك، [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]الأعراف:176. أصبَحَ يحسِّنُ ويُقبِّحُ، مَا يرَاهُ هوَاهُ حَسَناً وقَبيحاً .. ويُحلُّ، ويحرِّمُ مَا يَراهُ هواهُ حَلالاً وحرَامَاً، مِن غيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فانسلَخَ ـ بسبَبِ ذلك ـ مِن آيَاتِ اللهِ، ومِن ولايَتِه، وكرامَتِه.

577- [وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. لَا يُوجدُ عالِمٌ ـ مهمَا أُوتِي

مِن العِلمِ ـ له دَالَّةٌ على اللهِ، تجرِّئه أن يقولَ في دِينِ اللهِ ما يَشاءُ، ومَا ليسَ فِيه، ولَا مِنه، أو أن يَفعلَ مَا يَشاءُ .. ثم يظنُّ أنَّ مكانَتَهُ العلميَّة والمشيخيَّةُ تُؤهلُه لذلك، وتمنَعُ مِن مُساءلتِه، وتحفَظُه من سخطِ اللهِ .. أو له منزلَةٌ عند اللهِ تمكِّنُهُ أن يقولَ ويَفعلَ مَا يَشاءُ .. لَا .. ثمَّ ألفُ لَا .. ليسَ لأحدٍ دَالَّةٌ ولا فضْلٌ على اللهِ .. لا يوجدُ كبيرٌ على اللهِ .. يُشَدَّدُ على العَالِمِ مَالَا يُشَدَّدُ على الجاهِلِ .. ومَا يؤخَذُ به العَالِمُ لَا يُؤخَذُ به الجاهِلُ .. يُعِزُّ اللهُ الذَّليلَ إذَا شَاءَ، ويُذلُّ العَزيزَ إذَا شَاءَ .. يَرفَعُ مَن يَشَاءُ، ويخفِضُ مَن يَشَاء .. والعَاقِلُ مَن يَسأل اللهَ السَّلامَةَ، وحُسنَ الخِتَام .. ولَا يُزَكِّي نفْسَهُ على اللهِ!

* * * * *

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث

578- [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176.

مِثَالُه كُلّ أَجيرٍ يُجَادِلُ عن الطُّغاةِ الظَّالمين .. فهَذَا مهْمَا حَمَلْتَ عليه .. وكَيْفَمَا حمَلْتَ عليه .. وسواءٌ أمسَكْتَ عنه وتركْتَه، أو أنكرْتَ عليه، وألقمتهُ حجَراً .. فنُبَاحُه عليك لا يَتوقَّف .. يُسَمُّونَه في زَمَانِنَا بـ " الشِّبِّيح "، و " البَلْطَجِي "!

579- مَثَلُ عُلماءِ السُّوءِ في كِتَابِ اللهِ، وهم فريقان: فَرِيقٌ رَكَنَ إلى الظَّالمين، يُجَادِلُ عنهم، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. وفَرِيقٌ لا يَعمَلُ بما يَعْلَمُ، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً]الجمعة:5.

* * * * *

أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

580- المؤمِن تُقلِقه صغائرُ الذنوبِ، والكافرُ لا يحس بكبائرِ الذّنوب؛ وذلك لأنه ميتُ القلبِ؛ فأنَّى له أن يحسّ بها، فضلاً عن أن تُقلِقَه .. صدق اللهُ:[لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ]الأعراف:179. وفي الحديث:" مَن سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فهو مؤمن "، مفهوم المخالفة أنَّ من لم تُسرُّه الحسنَةُ، ولم تُسِئْهُ السيئةُ، لا يكونُ مؤمناً.

* * * * *

لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا

581- كثيرون الذين يَظنُّون أنَّ العَقلَ في الرأسِ، والصوابُ، أنَّه في القَلبِ، قال تعالى: [لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا]الأعراف:179. وقال تعالى:[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا]الحج:46. فردّ الفقهَ والعقْلَ إلى القُلُوب .. ممَّا دلَّ أن العَقلَ موطِنُه في القَلْبِ .. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" إنَّ العَقْلَ في القَلْبِ ".

* * * * *

وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا

582- [وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]الأعراف:180. كلُّ مَن يُسمِّي اللهَ باسمٍ لم يَرِدْ في الكتابِ والسُّنَّةِ، فهو ممن يُلحدُون بأسماءِ اللهِ الحسْنَى، ويَقولُ على اللهِ تعالى بغيرِ علمٍ .. وكل مَن يُفسِّر اسماً من أسماءِ الله الحسْنَى، بخلافِ التفسيرِ الثابتِ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأصحابِه، والتَّابعين لهم بإحسانٍ، وبما لا تحتملُه اللغةُ العربيَّةُ الصحيحةُ والسَّليمةُ، فهو ممن يُلحِدُون بأسماءِ اللهِ الحسْنَى، ينبغي اعتزالُه، واعتزالُ فَهمه وتَفسيره، ليبوءَ بوزرِه .. وعمليَّةُ الإلحادِ بأسماءِ اللهِ الحسنَى لم تَقتصِر على إلحادِ المشركين الأوائلِ في عَهدِ النبوَّةِ، حيثُ كانوا يُسمُّون بعضَ آلهتهم باللَّاتِ، اشتقاقاً من اسم " الله "، ويُسمون بعضها الآخر

بالعُزَّى، اشتقاقاً من اسم اللهِ " العزيز " .. بل هي مستمرةٌ استمرارَ وسوسةِ إبليس اللَّعين لشياطِين الإنسِ والجنّ .. ومِن آخرِ ما توصَّلَ إليه إلحادُ الكافِرين المشرِكين مِن دُعاة وعبدَةِ الطَّاقة .. تَسميةُ الله تَعالى بـ " الطَّاقَة .. والمصدَر .. والطَّاقَة الكونيَّة .. والقَانون الكُوني .. والطبيعَة "، ويتعاملون مع أسماءِ اللهِ تعالى الحسْنَى كأدَاوتٍ ومَصدَرٍ للطاقَةِ، يَستمدون مِنها الطَّاقة ـ كما يَزعمون!! ـ ويُفَعِّلُونها ـ كما يُفعِّلون أيَّ آلةٍ ـ وقتمَا يَشاؤُون وللأغراضِ التي يُريدُون، فمَثلاً إذا أرادَ أحَدُهم رِزْقَاً، فليسَ عليه سوى أن يُفعِّلَ طاقَةَ اسمِ " الرَّزَّاق "، فيأتيه الرزقُ مباشرَةً، وهكذا يتعامَلُون مع بقيَّةِ أسماءِ اللهِ الحسْنَى .. والاسم الذي يُفَعِّلُونه ويَستمدُّون مِنه الطَّاقَةَ لا بُدَّ مِن أن يَستجيبَ لهم، ويَتفَاعل مع مَا يُريدُون ويَشاؤون .. وكأن اللهَ أجيراً عندَهم .. تَعالى اللهُ علوَّاً كَبيراً عن إلحادِ وتحريفَاتِ هؤلاء الزَّنادقَة الكَفَرةِ المُلْحِدين!

* * * * *

وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم

583- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم]؛ بالنِّعَمِ .. والإمْهَالِ .. وعدَمِ الاستعجَالِ بعذَابٍ، أو انتقَامٍ، [مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ]الأعراف:182. أنَّ هذا الاستدْراجَ هو بمثابة حَبلٍ يُقادُون به إلى الانتقَامِ الأكبَرِ، والعَذَابِ الأليمِ المُقِيمِ!

584- [وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ]الأعراف:182. مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ أنَّه استدرَاجٌ .. فيطمئنُّون إلى طريقَةِ حياتِهم التي تجمعُ بينَ الرَّخَاءِ والنَّعِم والمعَاصِي والفُسُوقِ .. ويَظنُّونَ أن النِّعَمَ معَ الإقامَةِ على المعَاصِي لَا يَضُرُّهم، وأنَّه خيرٌ لهم .. بَلْ هو شَرٌّ لهم .. لكِنَّهم لا يَعلمُون .. والآيةُ وإنْ نزَلَت في

الكافِرين المكَذِّبين إلا أنَّ المترَفين المسْرفين مِن عُصَاةِ أهْلِ القِبْلَةِ لهم حَظٌّ وافِرٌ مِن الوَعِيدِ الوارِدِ في هذه الآيةِ الكريمَةِ.

* * * * *

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

585- [وَأُمْلِي لَهُمْ]؛ أُرْخِي لهمْ وأمدُّهم بأسْبَابِ وحِبَالِ الظُّهُورِ، والنِّعَم، والرَّخَاءِ، [إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ]الأعراف:183. أيما جَاهٍ، أو سُلطانٍ، أو ظُهُورٍ، أو شهرَةٍ، أو رَخَاءٍ، أو نِعمَةٍ، أو استِعْلاءٍ .. فاعلمْ أنَّه إملاءٌ مِن اللهِ تعالى، واستدراجٌ، وبَلاءٌ؛ هل سيحملُكَ ذلك على الطاعةِ، والشُّكرِ، والتواضُعِ، أم على المعصيَةِ، والظُّلمِ، والطُّغيانِ .. فإن كانت الثانية فاعلَمْ أنَّكَ قد رَسِبتَ في الاخْتِبَارِ .. وأنَّ عذابَ اللهِ لك بالمرْصَادِ، وأنَّ أخذَه أليمٌ شَديد .. فالسَّلامَةُ معَ الإقامَةِ على المعصيَةِ استدْرَاجٌ مُخِيف!

* * * * *

أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ

586- [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191. [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. مَن كان شريكاً للهِ تعالى في الألوهيَّةِ، لزمه بالضرورَةِ أن يكونَ شريكاً له في الربُوبيّة، فإن انتفَت عنه الشراكَةُ في الربوبيّةِ، وكان عاجزاً عن أن يخلقَ بعوضةً فما دُون، لزمه بالضَّرورةِ أن تنتفي عنه الشَّراكَةُ في الألوهيّةِ، ولا بُد.

587- [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً]؛ أيَعْبدُون مَا لا يخلُقُ شَيئاً؟! فهذا ممَّا يأباهُ ذوو العُقُول والفطَرِ السَّليمةِ، [وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191. قَد خَلَقَهم اللهُ .. فالمخلوقُ

لا يَستحقُّ أن يُعبَدَ .. فخَدُّه ـ كمَخْلُوقٍ ـ الذي لا يجوزُ أن يتجاوَزَه، ومَقامُه الذي لا يجوزُ أن يَتَعدَّاه، أن يكونَ عابِداً، لا مَعبُوداً!

* * * * *

خُذِ الْعَفْوَ

588- [خُذِ الْعَفْوَ]الأعراف:199. اقبَلْ مَا تيَسَّر مِن أخلَاقِ النَّاسِ، ومَا يُطيقُونه ـ فَلا تُلزِم كلَّ واحِدٍ مِنهم بأعْلَى الأخلاقِ وأحْسَنِها، وبما لَا طَاقةَ له بِه، ولا يُحسِنُه ـ مَا لَم يَكُنْ إثماً .. واقبَلَ ظَاهِرَ أعمَالِهم مِن غيرِ تجَسُّسٍ، ولَا تَحسُّسٍ، ولَا تُهمَةٍ أو سُوءِ ظَنٍّ .. مَا مِن خُلُقٍ حَسَنٍ إلَّا ولَه أدْنَى، ووَسَطٌ، وأَعْلَى، فمَن لم يَقْدِرْ أن يَأتيَ مِنه الأَعْلَى، يُقبَلُ مِنه أن يَأتي بالوَسَطِ مِنه، أو الأَدْنَى.

* * * * *

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

589- [وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ]الأعراف:199. أي وأمر بالمعروفِ؛ وهو كل ما تعارف عليه الشرعُ، والعقلُ، والعُرْفُ على أنه معروفٌ .. بشرط أن لا يتعارض معروفُ العقلِ والعُرفِ، مع معروفِ الشَّرعِ .. فإن تعارضَ وتناكَر .. انقلبَ معروفُ العَقلِ، والعُرف إلى مُنكرٍ وهوى.

كذلك قوله تعالى:[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ]النحل:90. والعدلُ الذي يأمرُ اللهُ به، هو كل ما تعارف عليه النقلُ، أو العقلُ، أو العرفُ على أنه عدل، فإن تعارضَ العدلُ الذي يقرره العقلُ أو العرفُ مع العدلِ الذي يقرره النقلُ الصّحيح، قُدّم العدلُ الذي يقرره النقلُ الصحيح، وحُكِم ـ حينئذٍ ـ على العَدلِ الذي يقرره العقلُ أو العُرفُ، بأنَّه هوى، وظُلم.

* * * * *

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

590- [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]الأعراف:199. لا تُقَابِل السَّيئَةَ بِسَيِّئةٍ .. ولا سُوءَ الخُلُقِ بمثْلِه .. ولا السَّفَهَ بِسَفَهٍ مِثْله .. فترَفَّع عن هَذا كُلِّه، وأعْرِضْ عَنْهُ .. وأكْرِمْ نَفْسَكَ مِن أن تَنْشَغِلَ بِهِ، وبأهْلِه!

* * * * *

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ

591- [وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]الأعراف:200. خُبرَاتُ إبليس في الإضْلَالِ والإغْواءِ، ضَخمةٌ وكبيرةٌ، فهي متراكمةٌ مِن لَدُن آدم عليه السلام، وإلى يومِ القيامَةِ، وهذا يَعني أنك أمامَ عدوٍّ شرس، يحتاجُ مِنك لمراقبةٍ شديدَةٍ لشباكِه ومكائِده، الظاهِرةِ منها والخفيَّةِ، التي يَفترشُها في طَريقِ المؤمنين .. كما يحتاجُ مِنك إلى أن تَلوذَ وتحتَمي بقدرَةِ الخالِقِ القَادرِ سُبحانَه وتَعالى، مِن شرِّ الشيطانِ الرَّجِيم، ومِن شرِّ نزَغاته، ومكَائِده، ووسَاوسِه .. فلَا سَبيلَ لإبليس وأعوانِه مِن الشَّياطين لمن يلُوذُ ويحتَمِي باللهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ

592- [وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ]الأنفال:7. مِن خصَائصِ القُرآنِ الكريم أنه نزَلَ ليُحِقَّ الحقَّ، والعدْلَ .. ويُبطلَ الباطلَ، والظلمَ، والجهْلَ .. لا يأبَهُ، ولا يَهابُ، ولَا يُحابي ـ حاشَاه! ـ جِهةً مِن الجهَاتِ، أو طرَفاً من الأطرَافِ؛ أيًّا كانَت قوَّتُه الماديَّةِ أو المعنويَّةِ، وفي أيِّ زَمانٍ أو مَكانٍ كان .. في كلِّ كلمَةٍ من كلماتِه، بَلْ في كلِّ حرفٍ مِن أَحرُفِه، تَلمسُ القوَّةَ .. والعِزَّةَ .. والحقَّ .. والعلوَّ .. يَعلُو ولَا يُعلَى عليه .. يَأمرُ ولَا يُؤمَر .. يَسألُ ولا يُسْأَل .. يَحكم ولا يُحاكَم .. ولِمَ لَا .. وهو كَلامُ اللهِ الملِكِ، العَزِيزِ، القويِّ، القَادِرِ، العلِيِّ، الذي له الأسماءُ الحُسنَى، والصِّفاتُ العُلْيَا .. سُبحانَه وتَعَالى.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ

593- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ]الأنفال:20. كُلُّ أمْرٍ أَمَرَ اللهُ به، قَد أَمَرَ رسُولُه بِه، وكُلُّ أمْرٍ أَمَرَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم به، قَد أَمَرَ اللهُ به .. وكُلُّ مَن أَطَاعَ اللهَ، فقَد أَطَاعَ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، وكُلُّ مَن أَطَاعَ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقَد أَطَاعَ اللهَ.

* * * * *

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ

594- [وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا]؛ سَمِعُوا بآذَانِهم مَا يُقَالُ لهم، [وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ]الأنفال:21. لَا يَسمَعُون بقلُوبِهم؛ فلم يَفقَهُوا، ولم يتدبَّروا مَا سمعُوه بآذَانِهم .. وهؤلاءِ مَثَلٌ سيءٌ في الاستماعِ، والتَّعامُلِ معَ مهارَةِ الاستماعِ، فَلَا تَكُنْ مِثْلُهم.

* * * * *

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ

595- [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ]الأنفال:22. هم المشركُون الذين يَعْبدُون آلهةً مَعَ اللهِ، أو مِن دُونِه .. وهم ليسُوا دوابَّاً وحَسْب؛ بلْ هُم شَرُّ الدَّوابِّ؛ لأنَّ اللهَ تعالى خَصَّهم بما لم يخصَّ الدُّوابَّ؛ خَصَّهم بالعقْلِ، وحريَّةِ الاختيارِ، وأرسَلَ إليهم الرُّسلَ، وأنزلَ الكتبَ .. فلم يَستفيدُوا مِن كُلِّ هَذا؛ فآثَرُوا الكفْرَ على الإيمانِ، والضَّلالةَ على الهُدَى .. وهم مع هذا الفَارِقِ بينهم وبينَ الدَّوابِّ .. فإنَّ الدَّوابَّ ـ كل الدوابِّ ـ يَعبدُون اللهَ تعالى، ويُسبِّحُون بحمدِه، ولكن لا نفقهُ تَسبيحَهم .. ممَّا وسَّعَ الفَارقَ بينَهم وبينَ الدَّوابِّ .. فكانُوا ـ عِندَ اللهِ، وفي ميزانِ اللهِ ـ شَرَّاً مِنَ الدَّوابِّ!

* * * * *

وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ

596- [وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ]الأنفال:23. لأفْهَمَهُم، وأسمَعَهُم السَّمَاعَ الذي يُؤدِّي بهم إلى الفَهْمِ، والاعتقَادِ، والانقيَادِ .. وإلَّا فهم يَسمعون السَّماعَ الآلِي الذِّهني؛ الذي يُمكِّنهم مِن مَعرِفَةِ مَعنَى الخِطَابِ، ودَلالاتِه اللُّغويَّةِ، ولكن لَمَّا لم يَنتَفعُوا بسَمْعِهم، ولَا بما سَمعُوا؛ فكانُوا هم والذين لا يَسمَعُون سَوَاء!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ

597- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ]الأنفال:24. هذه الآيةُ الكريمةُ لا تَقتَصِر على معنًى من معاني الشريعَةِ دُون معنًى، بل تُحمل على جميع ما دعَانا إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الفرائضِ، والسّنَنِ، والشرائع، ومحامِد الأخْلاقِ، وجميع ما نهانَا عنه .. فمَا مِن أمْرٍ أمرَنا به النبيُّ صلى الله عليه وسلم، أو نهي نهانَا عنه، إلا ولنَا في طاعتِه فِيمَا دعانا إليه حياةٌ طيبةٌ، عزيزةٌ، وكريمة.

مما يدلُّ على هذا المعنى الحديثُ الصحيحُ الذي يرويه الصحابي أبو سَعيد بن المُعَلَّى، قال:" مَرَّ بيَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقالَ: ما مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: [يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ]؟ ثُمَّ قالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَذَهَبَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. هي السَّبْعُ المَثَانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ "البخاري. وقوله: [إِذَا دَعَاكُمْ]؛ فيه ردٌّ على القُرآنيين؛ الذين لا يأخُذُون إلَّا بالقُرآنِ ...!

* * * * *

وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ

598- [وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ]الأنفال:24. يَحُولُ بينَ المرْءِ، ومَا يُرِيدُه قَلْبُهُ؛ فالقَلبُ يُرِيدُ شَيئاً، واللهُ يُرِيدُ شَيئاً آخَر .. ولَا يَكُونُ إلَّا مَا يُرِيدُه اللهُ.

* * * * *

وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً

599- [وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً]الأنفال:25. أحياناً يُقدِّرُ اللهُ تعالى بلاءً يُصيبُ به الظالمين المذنبين، ويُصيبُ به الصالحين لعدمِ قيامِهم بإنكارِ مُنكرِ الظالمين كما يَنبغي؛ فسكَتُوا عليهم، وساكنُوهم، وواكَلُوهم .. وهؤلاء يُصيبهم ما أصابَ الظالمين المذنبين مِن البلاءِ .. فكما شاركُوهم في المساكَنةِ والمؤاكَلةِ من غيرِ إنكارٍ لمنكرِهم، ولا مُباينةٍ لهم، فإنهم يُشاركونَهم في البَلاءِ والمصَاب .. بخلافِ الذين يَنصحون، ويَصدَعُون بالحقِّ، ويقومُون بواجبِ الأمْرِ بالمعرُوفِ، والنَّهي عن المنكرِ كما أمرَ اللهُ، ورسولُه صلى الله عليه وسلم .. فهؤلاء يُنجيهم اللهُ .. فلا يُصيبهم ما أصابَ الظالمين من بلاءٍ .. وفي الآيةِ ترهيبٌ للصالحين مِن أن يركنُوا على صلاحِهم في أنفُسِهم، مِن دُونِ أن يُبينُوا الحقَّ فِيما يَلتبسُ على الناسِ مِن أمرِ دِينِهم، ومِن دونِ أن يأمرُوا بالمعروفِ، وينَهوا عن المنكرِ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ

600- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ]؛ لَا تَعصُوا اللهَ ورسولَه .. وكلمَا عَظُمَت المعصيةُ عظُمَت الخِيانَةُ، ومِن الخيانةِ للهِ ولرسولِه، التَّواطُؤ معَ أعداءِ اللهِ ورسولِه على الإسلامِ والمسلمين، والتَّجَسُّس على عوراتِ المسلمين لصالحِ الكافِرين والمنافِقين، [وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ]؛ وهو كلُّ ما استأمَنَكم اللهُ عليه من حقُوقٍ، وما استأمنَكم عليه العِبادُ مِن ودائع وأماناتٍ .. فحفظُ الدِّينِ أمانَةٌ .. والعهُودُ والعقُودُ أمانةٌ .. وحقُّ الوالِدَين أمانَةٌ .. وحقُّ الزوجِ على زوجتِه أمانَةٌ، وحَقُّ الزوجةِ على زوجِها أمانَةٌ .. وحَقُّ الأبناءِ أمانةٌ .. وحقُّ الجارِ على جارِه أمانةٌ .. وهكذا بقيَّةُ الحقوقِ .. وأيما تَفريط بحقٍّ من الحقوقِ التي أوجبَها اللهُ تعالى، أو تفريط بأماناتِ وحقُوقِ وودائع العِبادِ ـ حتى

لو كانوا من غيرِ المسلمين ـ فهو خيانةٌ، وغَدْرٌ بالأمانَةِ، [وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]الأنفال:27. أنَّ هذا الذي تفعلونَه من الخيانةِ للهِ، ولرسولِه، وللناسِ.

* * * * *

إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً

601- [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29. يجعل لكم نُوراً تَفْرُقُون به بينَ الحقِّ والباطِلِ .. وفيه أنَّ كلَّ مَن خلَطَ بينَ الحقِّ والباطِلِ، ولم يُحسِن التمييزَ والتفريقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، إنما هو لنقصٍ في التَّقْوَى .. مهمَا اتَّسعَ صِيتُه، وتَصَدَّرت به المجالسُ، وتَعدَّدَت رُتبهُ، وشهاداته الدراسيَّة!

602- [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ]؛ بطاعَتِه، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29. يَجْعَل لَّكُمْ فَلَقاً وانفِرَاجاً من كل مُغلَقٍ، وضِيقٍ، وعُسْرٍ، لا يُرجَى له حَلٌّ ولا مخرَجٌ؛ فيَفْلُقُهُ اللهُ فَلْقاً، ويَفْرُقُه فَرْقاً، مِن حَيثُ لا تَحتَسِب .. ويَجعَل مِن أمْرِه يُسْراً، وفرَجاً، ومَخرَجاً.

مَفْهُوم المخَالفَةِ؛ إن لَمْ تَتَّقُوا اللهَ، ثمَّ عِشْتُم الاخْتِنَاقَاتِ كُلِّهَا .. فَلا تَلومُنَّ إلَّا أنْفُسكُم!

* * * * *

وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

603- [وَيَمْكُرُونَ]؛ يُخطِّطُون .. ويُدَبِّرُون .. ويأتمِرُون .. ويتآمَرُون .. ويتَناجَون .. كيفَ يُحارِبُون الإسلامَ والمسلمين .. وكَيفَ يُنزِلُون الهزائمَ والضَّرَرَ بالمسلمين، [وَيَمْكُرُ اللّهُ]؛ فيُبْطِلُ مَكْرَهم .. وكَيدَهم .. ويجعلُ مكْرَهم يَرتَدُّ على نحُورِهم، [وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]الأنفال:30. العالِمُ بمكرِهم، والقَادِرُ على إبطالِ مَكْرِهم، وإنزَالُ المكْرِ بِهم .. وتحويلُ مَكرِهم إلى نَصْرٍ للحقِّ وأهلِه .. وهزيمَةٍ للباطِلِ وأهلِه.

* * * * *

وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

604- [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ]، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول:" أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي "مسلم. أي من أن ينزلَ بهم العذابُ وهو فيهم ومعهم، وهذا الأمان قد رُفِعَ بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي الأمانُ الآخر، والدّائم: [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33. [لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]النمل:46. لا يجتمعُ عَذابٌ معَ تَوبةٍ واستِغْفارٍ.

605- [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33. مَا دُمْتَ تُلَازِمُ الاستِغْفَارَ، فأَنتَ في أَمَانٍ ...!

* * * * *

إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ

606- [إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ]الأنفال:34. هذا هو المقيَاسُ، وهذا هو الميزَانُ الذي بِهِ يُعرَفُ أولياءُ اللهِ مِن غَيرِهِم .. وهو مِيزانٌ لا يخضَعُ لمعَايِيرِ الأرضِ؛ مَعَايِيرُ النَّسَبِ، أو الجَاه، أو الجِنْسِ، أو اللّونِ، أو اللُّغَةِ .. لَا؛ ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. إنما هو مِيزانُ التَّقْوَى فقَط .. فمن حقَّقَ في نفسِه التَّقْوى ـ بغضِّ النَّظرِ عن لونِه، أو جِنْسِه، أو قوميَّتِه، أو لُغَتِه ـ فهو الوَلِيُّ .. وهو مِن أولِيَاءِ اللهِ المقرَّبين، وفي الحَدِيثِ، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إِنَّ أولِيَائِي مِنكُم المتَّقُونَ، مَن كانُوا، وحَيثُ كَانُوا ".

* * * * *

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ

607- تأمَّلوا كم معركةٍ خاضوها ضدَّ الإسلام، وكم هي المليارات التي أنفقوها في سبيلِ حروبهم على الإسلام .. ثم تنقلبُ عليهم حسرات، وانهيارات للميزانيات .. بينما الإسلام في تمدّد، وعلوّ، وظُهور، رَغماً عن أنوفهم، [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ]الأنفال:36.

608- [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ]؛ في كل زَمانٍ ومكانٍ تكونُ المعركة بين الحقِّ والباطِلِ .. بينَ الإيمانِ والكُفرِ .. فإن الكافِرين على اختلافِ مللِهم وانتماءاتِهم، [يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ]؛ برغبةٍ جامحةٍ، وحِقدٍ دَفين .. وبسخاءٍ كبيرٍ للطرفِ الباطِلِ، والكافِرِ الذي يخوضُ المعركةَ بصورةٍ مباشرةٍ معَ الحقِّ، وأهلِه .. والدافعُ لهم على هذا السَّخاءِ في الإنفاقِ، [لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ]؛ عن دينِ اللهِ .. وحتَّى لا تكون كلمةُ اللهِ هي العُليَا .. وحتَّى لا يكون للإيمانِ وأهلِه شوكة وقوة يُدافعون بها عن أنفُسِهم، ودينِهم، وحقوقِهم، وحرماتِهم .. وهذا لا يتحقَّقُ لهم إلا بانتصارِ الباطلِ وأهلِه، على الحقِّ وأهلِه، [فَسَيُنفِقُونَهَا]؛ فسينفقُون أموالَهم في نصرةِ الباطلِ وأهلِه، [ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ]؛ ثم تَرتدُّ عليهم هذه الأموالُ التي أنفقُوها، [حَسْرَةً]؛ في قلوبِهم، وندَامَةٍ؛ لأنها لم تحقِّقْ لهم الغرَضَ الأساس الذي مِن أجلِه تمَّ الإنفاقُ؛ وهو علُو كلمةِ الكُفر على كلمةِ الإيمانِ، وانتصارُ الباطلِ وأهلِه، على الحقِّ وأهلِه، [ثُمَّ يُغْلَبُونَ]؛ ومما يزيدُ من حسرتِهم أنهم يُغْلَبون، ويُدحَرون، وتكونُ الغلبَةُ في نهايةِ المعركة للإيمانِ وأهلِه، [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ]الأنفال:36. ثم في الآخِرةِ يُساقُون إلى نارِ جهنم على ما كان مِنهم مِن باطلٍ، وعلى ما أنفقُوا من أموالٍ في سبيلِ الباطلِ ونصرتِه .. فيزدادون حسْرَةً، ونَدامَةً .. ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

609- [لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ]الأنفال:37. مِن غايَاتِ البَلاءِ، والتَّدافُعِ بين الحقِّ والباطلِ تمَايُزُ النُّفُوس، والصُّفُوف؛ فَلا يَلتَبِسُ حقٌّ بباطِلٍ، ولا مُحِقٌّ بمبطِلٍ، ولَا صَادقٌ بكاذِبٍ، ولا مجاهِدٌ بمرجِفٍ مُتَسَلِّقٍ .. والاصطِفَاءُ، والاجتِبَاءُ؛ فلا اصطِفَاءَ، ولا اجتِبَاءَ مِن غَيرِ بَلاءٍ، وصَبرٍ على البَلاءِ .. والاصطِفَافُ في جبهَتَين منفصلَتَين، متمَايزتين: الكافِرُون والمنافِقُون في جَبهةِ الخَبَثِ، والباطِلِ .. والمؤمنُون الصَّادقُون في جبهةِ الحقِّ؛ الجبهةُ المقَابِلة الطَّيبَة!

* * * * *

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ

610- [وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ]الأنفال:37. الخبيثُ عكسُ الطَّيِّب، وهو كلُّ ما خَبُث وفَسُدَ، وبَطُلَ مِن الأقوَالِ، والأعمالِ، والأموَالِ، والنَّوَايا .. وكلُّ جَهْدٍ مَادِّيٍّ، أو فِكْرِي، أو مَعْنَوي، صَادِرٌ عن الكافرين والمنافقين يُبْذَلُ في نِصرَةِ الباطلِ .. وما أكثره .. يجمعُه اللّهُ بعضَه إلى بَعضٍ، ويجعلُ بعضَه فوقَ بعضٍ ككتلةٍ واحدةٍ .. تَبكِيتاً وتَحقيراً له، ولأهْلِه .. فيقذِفُه جميعاً في جهنَّم، وبِئسَ المصِير.

* * * * *

حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ

611- [حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ]الأنفال:39. حتى تكونَ الطاعةُ كُلها للهِ تعالى وحدَه؛ فهو المُطاعُ لِذَاتِه؛ لأنه هو هو سُبحانه، ومَا سواه يُطاعُ له ما

أطاعَ اللهَ، وفِيما ليسَ فيه مَعصية لله .. فالأُمراءُ، والعُلماءُ، وكلُّ مَن كانَ في موضعِ الأمرِ، والنَّهي، يُطاعُون للهِ، وفي المعرُوفِ، والحقِّ، وليسَ في الباطِلِ، ومَعصيةِ اللهِ، ومَعصيةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. فَلا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعصيةِ الخالِقِ .. وهذا يَستدعي مِن النَّاسِ أن تكونَ طاعَتُهم للأمرَاءِ، والعُلماءِ، والمشايخ، وغيرِهم، على بصيرةٍ، وبينةٍ، ومَعْرفَةٍ؛ هل طاعتُهم في الحقِّ والمعرُوفِ، وفِيما يُرضي الله، أمْ أن طاعتَهم في الباطِلِ، وفِيما يُسخِطُ اللهَ .. فالفتنةُ ـ والتي هي الشِّركُ، والردَّةُ، والانتكاسُ ـ أن تطيعَ الأمراءَ، والعُلماءَ، وكُلَّ مَن كان في موضِعِ الأمرِ والنَّهي، كما تُطيعُ اللهَ، ورسولَه صلى الله عليه وسلم .. فتُحِلُّ حلالَهم، وتحرِّمُ حرامَهم .. وتجعلُ أمرَهُم ونهيَهم ـ مِن حيثُ وجُوبِ الطاعَةِ والمتَابعةِ ـ كَأمْرِ اللهِ تعَالى، وأمرِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وتُسَلِّم لهم تَسلِيماً!

* * * * *

لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً

612- [لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:44. إذا قَضَى اللهُ أمراً في خَلْقِه، كانَ مَقضيّاً، نافِذاً، محقَّقاً، وواقِعاً لا محالَةَ في زمَانِه ومكانِه المُقَدَّرين .. لا يمنعُه مَانِعٌ، ولا يَردُّه رَادٌّ .. ولو اجتمعَت الإنسُ والجنُّ، ومعَهم جميع المخلوقات على أن يمنَعُوه لما قَدرُوا على مَنْعِه!

613- [لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:44. إذا قَضَى اللهُ أمراً في خَلْقِه، تَهيَّأت له الأسبابُ، واستشْرَفَت، وانتَظَمَت، وتَدَافَعت؛ كأنَّها جنُودٌ مجنَّدَةٌ .. كلُّ سَببٍ يُؤدِّي ما عليه تجاهَ أمرِ اللهِ .. ثمَّ يُسْلِمُه ويَدفَعُه إلى السَّببِ الآخَرِ ليقُومَ بدَورِه وواجِبِه .. فتَتَناقَلُه الأسبابُ ونتداوَلُه فِيمَا بينها إلى أن يتحقَّقَ مِيعَادُه، ومِيْلادُه المقدَّر؛

الذي لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّر ولو لثانيةٍ واحِدَةٍ .. ويَصبحُ أمر اللهِ مَفْعُولاً، مَرْئِيًّا، وواقِعَاً مُشَاهَدَاً!

* * * * *

وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً

614- [وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً]؛ ذِكْر اللِّسَانِ؛ بالتَّسْبيح، والتَّهليلِ، والتَّحميدِ، والتَّكبيرِ، والدُّعَاءِ .. وذِكْر الجوارح الظَّاهِرةِ؛ بفِعلِ الطاعَاتِ، كالصَّلاةِ، والصُّومِ، والزَّكاةِ، والحجِّ، والعُمْرَةِ، والجهادِ، وطلَبِ العِلمِ، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المنكَرِ، وتلاوَةِ القُرآنِ، وغيرِها مِن الطَّاعاتِ .. وذِكْر البَاطِنِ بالخشْيَةِ، والإخْلاصِ، ومُراقَبَةِ النيَّةِ .. وذِكْر العَقْلِ؛ بالتدَبُّرِ، والتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ بآيَاتِ اللهِ تَعالى الكونيَّةِ والسَّمْعِيَّةِ، [لَّعَلَّكُمْ]؛ إنْ فعلتُم الذِّكْرَ بهذا الوصْفِ، وهَذا الشمُول، وحافَظْتُم عليه، [تُفْلِحُونَ]الأنفال:45. تفُوزُون في الدُّنْيَا، والآخِرَة.

* * * * *

وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

615- [وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ]الأنفال:46. لَا تَدَعُوا فُرجَةً للشيطانِ، ولوساوِسِه، وإملاءاتِه .. فتَخْتَلِفُوا .. وتتفرَّقُوا .. فتتفرَّقَ قلُوبُكم وصفُوفُكُم مَشارِبَ، ومذَاهِبَ شَتَّى .. فتَضْعفُون بعدَ أنْ كنتُم أقوياءَ، وتَجبنُون بعدَ أنْ كنتُم شُجعَاناً عن مواجَهَةِ الأعداءِ، والتَّحديَات .. وتَذْهبَ قوَّتُكم ضَعْفاً ووَهْنَاً .. وتجرِّئون الأعْدَاءَ عليكُم!

لَا يُذهِبُ قوَّةَ الدولِ والجماعَاتِ كالمنَازَعَاتِ، والاختِلافَاتِ، والصِّراعاتِ الدَّاخليَّةِ على المناصِب، والمكاسِبِ .. والحظُوظ، وحُبّ التَّسلُّطِ والرياسَةِ .. فالدولَةُ كالشجرةِ قد تَقْوَى على مواجَهةِ الرياحِ العَاتيَةِ .. لكِنْ لَا تَقْوَى على مواجهَةِ دُودَةٍ تَنخرُ فِيها مِن داخِلِها!

* * * * *

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

616- [ذَلِكَ]؛ العَذَابُ في الآخِرَةِ، وفي الدُّنْيَا، [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ]؛ مِن ذُنُوبٍ، [وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ]الأنفال: 51. لا يُعذِّبُ أحَدَاً مِن غَيرِ ذَنْبٍ .. ويَعفُو سُبحانَه عن كَثِير.

* * * * *

وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ

617- [وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ]الأنفال: 51. لم يقُلْ سُبحَانَه:" وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ للعِبَاد "؛ لأنَّ العِبَادَ هم الذين يَدخُلُون في عِبادَةِ اللهِ الشَّرعيَّةِ طواعيَةً، وعن حُبٍّ، ورِضَاً؛ وهؤلاء هم المؤمنُون .. وهؤلاء لهم العَفْوَ، والرحمَة، والنَّعيم الدائم في الجِنَان .. بينما العَبِيدُ هم الذين يَدخلُون في العبُوديَّةِ، والخضُوعِ، والانقيَادِ كَوْنَاً، وقَهْراً، ويأبون أن يَدخلُوا في العِبادَةِ الشرعيَّةِ عن حُبٍّ ورِضاً؛ وعلى هؤلاءِ - ومن جَارَاهم في المعَاصِي - يجري الوَعِيد.

* * * * *

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ

618- [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ]؛ فيُزيلُها عنهم، ويَستبدِلُها بنَقْمَةٍ، وعَذَابٍ [حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الأنفال:53. من الشُّكْرِ إلى الكُفْرِ، ومِنَ الطَّاعَةِ إلى المعْصِيَةِ، ومِنَ العَدْلِ إلى الظُّلْمِ ...!

* * * * *

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ

619- [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ]الأنفال:55. الكُفْرُ يَحطُّ مِن قَدْرِ الإنسانِ، ويُفقِدُه كثيراً من خصَائصِ التَّحضُّرِ والرُّقِي .. فأيُّ تحضُّرٍ، وأيُّ رُقِيٍّ معَ اتِّصَافِ الكافِرِ بشَرِّ الدَّوَابِّ، وبالصُّمِّ البُكْمِ .. فهو على مَا آتاهُ اللهُ من نِعمَةِ العَقْلِ، ونعمَةِ السَّمعِ، والبصَرِ، ونعمةِ التَّفَكُّرِ، والاختيارِ، والإرادَةِ .. ومع ذلك لم ينتفعْ شيئاً مما يُتلَى عليه من الآيَاتِ السَّمعيَّةِ، ولا ممَّا يُشاهِدُه مِن الآيَاتِ الكونيَّةِ، والنَّفْسيَّةِ .. ولم يَرَ فِيها شَاهِداً على الإيمانِ باللهِ العَظِيمِ .. بينمَا الدَّوابُّ لم تُؤتَ ما أُوتِي الإنسانُ الكافِرُ مِن خصَائص ونِعَم، ومعَ ذلك فهي تُؤمنُ باللهِ العظيمِ، وتُوحِّدُه، وتُسَبِّحُ بحمْدِه؟!

* * * * *

إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ

620- [إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ]الأنفال:58. الذين يخونُون العهودَ والمواثِيقَ .. ويخونُون الدِّينَ؛ فيكتمونَ منه ما يجبُ أن يظهَرَ، ويُعلَن، ويُحرِّفُون معانيَه وأحكامَه عن مواضِعِها، ومُرادِ الشَّارِعِ منها .. ويخونُون المؤمنين؛ فيُظاهِرُون الكافرين عليهم .. ويَشتغلُون جواسِيسَ عليهم .. ويخونُون الأعْراضَ، وما أستُؤمنُوا عليه .. ويخونُون الأصدِقاءَ وما لهم مِن حَقِّ الوفَاءِ .. ويخونُون الودَّ القديم .. ويخونُون الشعوبَ؛ فيكتمونَ عنهم النَّصيحَةَ، ويجاملونَهم في الباطلِ .. ويخونُون وظِيفتَهم وعملَهم؛ فلا يَبذلُون الجهدَ المتوقَّع والمرجُو

منهم .. ويخونُون الأماناتِ ـ على اختلافِ تَنوعِها ـ وما استؤمِنُون عليه .. فهؤلاء لا يحبُّهم اللهُ .. ولا يمكن أن يكونُوا من أولياءِ الله!

* * * * *

وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ

621- [وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ]الأنفال:59. مَهمَا أُوتِي الكُفَّارُ مِن أسبَابِ القوَّةِ، والمنَعَةِ .. وعلَت بهم طَائِرَاتُهم .. وغَرَّتهم قوَّتُهم .. وحَسِبُوا أنَّ قوَّتَهم مَانِعَتُهم مِن اللهِ .. تحفَظُهم مِنه، وتَردُّ عنهم انتقامَه، وبأسَه .. فهم واهمُون، ومُخطِئون .. فإنَّهم لا يُعجِزُون اللهَ شَيئاً؛ فاللهُ قادِرٌ عليهم، وعلى أن يَأتي بهم جميعاً متَى شَاء .. لَا يُعجِزُه شَيءٌ في الوجُودِ، كُلّ الوجُود.

* * * * *

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

622- [وَأَعِدُّواْ لَهُم]؛ لمواجَهةِ الأعْدَاءِ، [مَّا اسْتَطَعْتُم]؛ أقصَى درَجاتِ القدرَةِ والاستِطاعَةِ .. وليس بعدَ بَذْلِ المُسْتَطاع مُؤاخَذَة ولا مُسَاءَلَة .. إنّما المؤاخَذَةُ تكونُ في حالِ حصُولِ التَّقْصِير، وكان الإعدادُ دونَ حَدِّ الاستِطاعَةِ، وعلى قَدْرِ التَّقْصِيرِ عَن حَدِّ الاستِطَاعَةِ، [مِّن قُوَّةٍ]الأنفال:60. جميعُ ما يَدخُلُ في معنى القُوَّةِ؛ الماديَّة منها والمعنَوِيَّة؛ قُوَّةُ السِّلاحِ واستخدامَاتِه، وقُوَّةُ الجسَدِ، وقُوةُ المالِ، وقُوةُ العِلْمِ، وقُوةُ الإيمانِ، وقُوةُ الاتِّحادِ، ونَبْذِ الفُرْقَةِ ودواعِيها .. وغيرُها ممَّا يَدخلُ في معنى القُوَّةِ وأسبابِها .. والمؤمنُ القَوِيُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ تعالى من المؤمنِ الضَّعيف.

623- [وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ]الأنفال:60. المسلمُون بينَ خِيَارَين، وموقعَين لا ثالِثَ لهما: مواقِعُ الجهادِ والرِّبَاطِ في سَبيلِ اللهِ، والدفاعِ عن الأوطَانِ،

والحقُوقِ، والحرمَاتِ .. ومَوقعُ وخَيارُ الإعدَادِ؛ إعدَاد القوَّةِ بكل مفرَدَاتِها، وما يَدخلُ في معَانِيها .. وليسَ وراءَ هذين الخيارَين سوَى الوِزْرِ، والذُّلِّ، والخزْي، والفرارِ من الواجِبِ؛ واجِب الجهادِ، والإعدَادِ .. أعجَبُ لأمَّةٍ، دِينُها يقول لها:[وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ]، تَستَوردُ أسلحتَها وقوَّتَها مِن أعدَائِها .. من أمَّةٍ يَقُولُ لها دِينُها:" مَن صَفَعَكَ على خَدِّكَ الأيمَن فأَدِرْ له خَدَّكَ الأيْسَر "؟!!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

624- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]الأنفال:64. أي يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكُم اللّهُ .. ومَن كان اللّهُ حَسْبه، فهو كافِيه، ولَا خَوفَ ولَا ضَيعَةَ عليه.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ

625- [وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ]؛ لم ينحازُوا إلى دَارِ الإسلامِ، وبقوا في دارِ الكُفرِ، [مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ]؛ أي ولايَة التَّوارُثِ؛ ثم نُسِخَت بقولِه تعالى: [وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ]الأنفال:75. أي أُوْلُواْ الأَرْحَامِ أولَى بالتَّوارُثِ بعضُهم ببَعضٍ، سَواءٌ هاجَرُوا، أم لم يُهاجِرُوا .. وبَقيت ولايةُ النُّصْرَةِ في الدِّينِ لمن لم يُهَاجِرْ، [وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ]؛ فإن اعتُدِيَ عليهم؛ لتَدَيُّنِهم، ولأنَّهم مُسلمُون، وطَلبُوا مِنكُم النُّصْرَةَ، والنَّجْدَةَ، [فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ]؛ يجب عليكم أن تَنصرُوهم، وتُدافِعُوا عنهم، وتَردُّوا عنهم، وعن الدِّينِ العُدوان، [إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ]؛ مِن الكافِرين، [بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ]؛ عهدُ صُلْحٍ، وأمَانٍ يمنعُكُم مِن قتَالِهم، كما يمنعُ عدوَّكم

مِن قتَالِكُم .. لا يجوزُ لكم حينئذٍ أن تنصرُوهُم عليهم، حِفَاظاً لحرمَةِ العَهْدِ، ودِرْءاً للوقُوعِ في شُبهةِ غَدْرٍ، وشُبهَةُ الغَدْرِ غَدْرٌ .. إلَّا في حَالَتَين: أن تَنبذُوا إليهم عَهدَهُم وميثَاقَهُم، وتَعُودُوا معَهم إلى ما كُنتم عليه قَبل عَهدِ الأمَانِ مِن الحربِ، وتُعلمُوهم بذلِك. والحالَةُ الثَّانيةُ: إذا هم بَدَأوا بالغَدْرِ، ونَقضِ العَهدِ، حينئذٍ يَكُونُ الطرَفُ المسلمُ في حِلٍّ مِن عَهدِهِ، ومِيثَاقِه، [وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الأنفال:72. هل سَتَلتزِمُون بما تُوجِبُه عليكُم العُهُودُ والمواثيقُ مِن وَفَاءٍ، وعدَمِ الغَدْرِ، أم لَا ...؟!

* * * * *

وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ

626- [وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ]الأنفال:73. كما أنَّ الكافِرين بَعضُهم أولياءُ بَعْضٍ، يَنصُرُون بَعضَهم بَعضاً .. كذلك المؤمنُون، يجبُ أن يكونُوا بعضهم أولياءُ بَعْضٍ، يَنصرُون بعضَهم بَعضاً .. فإن لم يُحافِظُوا على هذه المفَاصَلَةِ، وهذا التمايُزِ في الوَلاءِ والبراءِ، والموالاةِ والمعَادَاةِ .. تَعلُو وتَقْوَى شوكَةُ الكُفْرِ والبَاطِلِ، وتَضعُفُ شَوكَةُ الإيمانِ، والحقِّ .. ويختَلِطُ الحقُّ بالباطِلِ، والبَاطِلُ بالحقِّ، فلا يُعرَفُ العدُو مِن غَيرِه، ويَنتجُ عن ذلك ضَيَاعٌ للحقُوقِ، والحُرُمَاتِ، وفَسَادٌ في الأرضِ كَثِير!

* * * * *

وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ

627- [وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ]الأنفال:75. وهذا ليس مقصوراً على الإرث والتّوارُثِ وحسب، بل هو يشملُ بذلَ كلّ خيرٍ، بما في ذلك النّصرة،

والذَّود عن الحقوقِ والحُرمات؛ فالأقربون أولى بالمعروفِ والنُّصرة .. والجارُ الأقربُ؛ له من الحقُوقِ ما ليس للبعِيد.

إذا اشتعلت النّيرانُ في الدُّورِ؛ أطفئ نارَ بيتك أولاً، ثم نارَ جارِك، ثمَّ نارَ الأقرَبِ فالأقربِ إليك؛ هذا حكمُ النّقلِ والعَقل.

* * * * *

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

628- [وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ]؛ المحارِبين، [اسْتَجَارَكَ]؛ طلبَ جوارَ المؤمنين وأن ينزلَ آمناً في دِيارِهم، وهذا مِن لوازِمه أن يتخلَّى عن صفةِ المحارَبَةِ، [فَأَجِرْهُ]؛ فليجيرُوه وليؤمِّنُوه .. وليُحْسِنُوا معامَلَتَه .. وأيُّ مسلم له الحقُّ في أن يُجيرَ ويؤمِّنَ مَن شاءَ من غيرِ المسلمين، وفي زمَانِنا الفيزَا المتعارَف عليها بين جميع الدول والشُّعُوبِ، التي يحصَل عليها الزائرُ، تقومُ بهذا المقَامِ، وتحققُّ هذا المعنَى، [حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ]؛ حتَّى يَسمعَ القُرآنَ الكريم، ويتعرَّفَ على أحكامِه وشرائعِه .. ففي بلدِه ومَقرِّ إقامتِه قد يصلُه الإسلامُ، والخطابُ الشرعي بصورةٍ مشوَّهةٍ وخاطئةٍ، تُعطيه تصوراً خاطئاً عن القرآنِ، وعن الإسلام .. لِذَا ينبغي أن يُفتَحَ له البابُ لو أرادَ أن يزورَ بلداً مُسلماً .. فإن تحقَّقَ له ذلك .. وأرادَ أن يُنهي زيارَته والجوارَ الذي طلبَه .. وانتهَت مدةُ إقامتِه، وأراد أن يعودَ إلى موطنِه الذي جاءَ مِنه، [ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ]؛ فأنت يا مسلم مطالبٌ بحمايتِه ومسؤولٌ عنه وعن سلامتِه ما دامَ في بلدِك وموطِنِك، إلى أن يعودَ ويبلغَ موطِنَه الآمِن الذي جاءَ مِنه .. والسببُ في هذه المعامَلَة، [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ]التوبة:6. لا يَعلمون حقيقةَ القُرآنِ، والإسلامِ .. وما يعلمونَه عن الإسلامِ وهم في موطنِهم الأصلي قد لا يكونُ صحيحاً .. ولعلَّهم في زيارَتِهم لبلادِ المسلمين يتحقَّقُ لهم ما كانُوا يجهلونَهُ، ويتعرَّفُون على حقيقةِ الشبهات التي يثيرها إعلامُهم المغْرِض حولَ الإسلام .. وقد وجدنا كثيراً من السائحين الزائِرين في زمانِنا قد دَخَلُوا في الإسلامِ، بسببِ زيارَتِهم لبلدٍ مُسلمٍ، وما رأَوه مِن المسلمين، وسمعُوه عن القُرآنِ، والإسلامِ.

* * * * *

كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً

629- [كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً]؛ إذَا كانَت لهم الغَلَبَةُ، والكلمةُ العُليَا .. لَا يُراعُون في المؤمنِين حَقًّا لقرابَةٍ، ولَا لجوَارٍ، ولَا لمواطَنَةٍ .. كما أنَّهم لَا يُراعُون فِيهم عَهْداً، ولَا مِيثَاقاً قَد قَطَعُوه لهم .. وظَهَرت مِنهم العداوةُ والبَغضَاءُ .. وحَرَمُوهم مِن حقُوقِهِم .. وإذَا كانَت الغَلَبَةُ للمؤمنِين، والكلمَةُ العُلْيَا لهم، [يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ]؛ لَانُوا بألسنَتِهم، وقالُوا للمؤمنِين بأنَّهم إخوَانٌ وأحبَّاء بالإنسانيَّةِ، والمواطَنَةِ .. وسَألُوهم كامِلَ الحقُوق؛ مَا يحقُّ لهم، ومَا لَا يحقُّ، [وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ]؛ إلَّا أن تمتلئ غَيظاً وحِقداً، وكراهيَةً للمؤمنِين، فألسِنَتُهم في وادٍ، وقلُوبُهم في وادٍ آخَر .. يَنتظرُون فرصَةً سانحةً للغَدْرِ، ولنقْضِ العُهُودِ والمواثِيقِ، [وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ]التوبة:8. يَنقضُون العُهُودَ والمواثِيقَ عِند أوَّل فُرصَةٍ تَسمحُ لهم بذلك .. ويَشعرُون فيها أنَّهم أقوياء!

630- [يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ]التوبة:8. لو تَأمَّلتم أنشِطَةَ، وكلمَات السَّاسَةِ مِن غيرِ المسلمين في تَعامُلهم وتَعاطِيهم معَ قضَايا المسلمِين .. لوجدتمُوها لا تخرجُ عن هذا التَّوصِيف:[يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ]؛ يُسمِعُونكم بألسنَتِهم الكلمَات المنَمَّقَةِ، والجميلَة التي تُرضِيكُم .. بينَمَا قلوبُهم على نَقيضٍ ممَّا تُظهرُه ألسنَتُهم؛ فهي تَنطوي على الحقْدِ، والكراهيَّةِ، والتَّآمُرِ، وتَنعقِدُ على الغَدْرِ بِكُم، [وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ]؛ يَنقضُون العهُودَ، والمواثِيقَ، ولَا يَفُون لكم بما قَطَعُوه على أنفُسِهم بألسِنَتِهم؟!

* * * * *

فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

631- [أَتَخْشَوْنَهُمْ]؛ أتخَافُون مِمّن يتَعيَّن عليكم جِهادَهم، ودَفع شَرِّهِم، والصّدع بالحقّ أمَامَهم، مِنَ الكافِرين والمنَافِقين .. وهم ليْسُوا لهم عليكم سُلطان إلا مَا شَاءَ اللهُ، [فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ]؛ لما له من حَقٍّ عليكم، ولأنَّه القَادِرُ عليكم، وعليهم، بيدِه الخَيرُ

والشَّرُّ، والضُرُّ والنَّفْعُ، [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]التوبة:13. بوعدِ اللهِ ووعيدِه .. وأنه تعالى هو النَّافعُ والضَّارُ .. وأنه لا يصيبُكم شيءٌ إلا مَا كتبَهُ اللهُ لكم .. وأنَّكم إليه راجِعُون، وفي الحديث:" لا يَمنَعَنَّ أحَدَكم مَخافَةُ النَّاسِ أنْ يقولَ بالحَقِّ إذا شَهِدَه أو عَلِمَه ". وفي رواية:" لا يمنعَنَّ رجلًا هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه؛ فإنه لا يُقرِّبُ مِن أجَلٍ ولا يُباعِدُ مِن رِزقٍ ".

632- [أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]التوبة:13. مَهمَا طَغَوا، وتَبَاهوا بقوَّتِهم .. وبطَائراتِهم، وسُفُنِهم، وقنابِلِهم .. فاللهُ تعالى أقوَى، وأعْلَى، وأجَل .. وقادرٌ عليهم أينما كانُوا .. لَا يُعجِزُه - ولا يخفَى عليه - شيءٌ مِنهم .. محيطٌ بِهم .. لَا يَقدرُون على أن يَردُّوا شَيئاً أرادَهم اللهُ به .. كما لَا يَقدِرُون - ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهرياً - على أن يُنزِلُوا بإحَدٍ ضُرّاً، أو أن يَدفعُوا عنه شَرّاً، إلا بإذنِ اللهِ تَعالى، وبمشيئتِه .. فمشيئتُه هي النَّافِذَةُ، والحاكِمَةُ في خَلْقِه، ومَشيئةُ ما سواه محكُومَةٌ بمشيئتِه، وخاضِعَةٌ لمشيئتِه، لَا يَنفذُ منها شيءٌ إلا إذَا شَاءَ اللهُ، وبالقَدْرِ الذي يَشَاءُ .. وإذا كان الوصْفُ على مَا ذُكِر فكيفَ يليقُ بالمؤمنين أن يخشَوْهُم، ولا يخشَونَ اللهَ؟! [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] باللهِ حقَّ الإيمانِ فلا تخشَوْهُم، واخشوا اللهَ تَعالى وحدَه.

* * * * *

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ

633- [وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ]التوبة:14. المؤمنُون مَهمَا سَمَت بهم أرواحُهم، وأخلاقُهم .. إلَّا أنَّهم مِن لحمٍ ودَمٍ؛ يَعتَرِي صدُورهم مَا يَعتَري غيرهم مِن حُبِّ الثَّأرِ والانتصافِ ممَّن ظلمَهُم، واعتدَى على دِينِهم، وعلى حقُوقِهم، وحرُمَاتِهم .. واللهُ تعالى يَعلمُ مِن عبادِهِ المؤمنِين هذا الشُّعُور، وهذه الرِّغْبة في الانتصافِ، والتَّشَفِّي ..

فيُكرمهم اللهُ، ويمنُّ عليهم؛ فيُذهِب ما في صدُورِهم مِن حُبِّ التَّشَفِّي والثَّأرِ لمظالِمِهم ممَّن ظلمَهم، واعتدَى عليهم .. ويحقِّقُ لهم ذلك مِن خلالِ ثَلاثةِ طُرق، كُلها قَد دَلَّ عليها النَّقْلُ الصَّحِيح: أن يُسَلِّطَ المؤمنينَ على الظالمِين المعتدِين، ويمكِّنَهم من الانتصافِ لحقُوقِهم ومظَالمِهم منهم .. أو أن يُسلِّطَ على الظَّالمِين المعتدِين ظالمِين مِثلهم، أو أشَدَّ منهم ظُلماً؛ فيضربُ الظَّالمِين بالظَّالمِين، ويتحقَّق للمؤمنِين الاشتِفَاء مِن دُون مشارَكةٍ مِنهم في القِتالِ .. أو أن يُسلِّطَ على الظالمِين المعتدِين عذَاباً مِن عِندِه، وبجندٍ مِن عندِه، وبأسبَابٍ كونيَّةٍ لَا يَعلمُها إلا اللهُ .. ويكفِي اللهُ المؤمنِين مؤنَةَ القِتَال .. كُلُّ هَذا وَارِدٌ، وقَد حَصَلَ، ولَا يَزَالُ يحصَل.

* * * * *

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

634- [قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا]؛ لم يقُلْ إن كان آباؤكُم أو أبناؤكُم أو، أو .. على التَّخيير، وإنما جمعَ بينها جميعاً بواو العَطفِ .. فإذَا كانت هذه الأشيَاء على عِظَمِها، وشَرَفِها، ونفَاسَتِها، وعَظِيمِ حَقِّها، مجتمعةً بعضُها معَ بعْضٍ، [أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ]؛ تؤثرُونَها على طاعَةِ اللهِ تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. قَد لا يقولُ القائلُ بلسانِه: الآباءُ، والأبناءُ، والإخوانُ، و، و، و .. أحبُّ إليَّ مِن اللهِ ورسولِه .. وبُرهانُ صِدقِ قولِه مِن عدَمِه يَظهرُ في الطاعَةِ والمتابعَةِ؛ فإن قدَّمَ طاعةَ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم على طاعةِ مَا ذُكِرَ مِن أشياءٍ؛ فقد صَدَقَ في دَعْواه أنَّ اللهَ تعالى، ورسولَه صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليه مما ذُكِرَ مجتمعَاً، وإن كان العَكسُ؛ قدَّمَ طاعَةَ هذهِ الأشياءِ الواردَةِ في الآية أعْلاه، على طاعَةِ الله تعالى، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم؛ فهو

كاذِبٌ في دَعْواه أنه يحبُّ اللهَ ورسولَه أكثر مِن جميع مَا ذُكِرَ في الآيةِ أعلاه، مَهمَا زَعَمَ بلسانِه خِلافَ ذلك، [وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ]؛ وكان ما ذُكِرَ أعلاه مِن أشياء وروابِطَ، وعوَالِق سَبباً في تركِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، [فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ]؛ انتظرُوا حتَّى يأتي اللهُ تعالى بوعيدِه وعذابِه لكم في الدُّنيا والآخِرةِ؛ في الدُّنيا ذِلٌّ، وصَغَارٌ، وفِقدانٌ للعزيزِ، وتيهٌ في الأرضِ، وفي الآخِرةِ عذابُ جهنم وبئسَ المصِير، [وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ]التوبة:24. الكافِرين.

* * * * *

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

635- [وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ]التوبة:25. وذلك أنَّ قلوبَهم تَعَلَّقَت بالكثرةِ والعَدَدِ، وظَنُّوا أن كثرَتَهم هي التي ستنصُرهم مِن دُونِ اللهِ .. وتَعصمُهم من الهزيمةِ .. وكان عددُ المسلمين يَومئذٍ ثلاثةُ أضعافِ أعدائِهم .. إلَّا أنَّها لم تُغنِ عنهم شَيئاً .. فكانَت غفلةً مِنهم دَفَعُوا ضَريبتَها ثمناً باهِظاً .. ليَعْلَموا أنَّ النصرَ مِن عندِ اللهِ؛ فهو سُبحانَه الذي يَنزِّلُ السَّكينَةَ على القلوبِ .. ويُثَبِّتُ الأقدَامَ .. ويُسَدِّدُ الرَّميَ .. ويَنْصُر!

* * * * *

اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ

636- [اتَّخَذُواْ]؛ اليهودُ، [أَحْبَارَهُمْ]؛ عُلماءَهم .. والنَّصارَى، اتخَذُوا [وَرُهْبَانَهُمْ]؛ عُبّادَهم وعلماءَهم [أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ]التوبة:31. وذلك عِندما أطاعُوهم واتَّبَعُوهم في التَّشْرِيعِ، والتَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ بغيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فأحَلُّوا لهم ما حَرَّم اللهُ، وحَرَّمُوا عليهم مَا أحَلَّ اللهُ .. وحَسَّنُوا لهم ما قبَّحَ اللهُ .. وقبَّحُوا لهم ما حَسَّنَ اللهُ ..

فأطاعُوهم واتَّبعُوهم، فاتَّخَذُوهم بذلك أرْبَاباً ومَعْبُودِين مِن دُونِ الله .. وللمتعصِّبَةِ مِن الأمَّةِ لأقوالِ العُلماءِ في الحقِّ والبّاطِلِ .. فِيما أصَابُوا فيه، وفِيما أخْطَأوا .. حَظٌّ وافِرٌ مِن هذهِ الآيةِ .. فليسَ لليهودِ والنَّصَارَى كُلّ مُرَّةٍ، ولَنَا كُلّ حُلْوَة!

637- حظُّ الأمّة من هذه الآية الكريمة:[اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ]التوبة:31. يكمن في التَّعصّب لأقوالِ العلماءِ، ومذاهِبهم، على حسابِ الحق!

638- [اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ]التوبة:31. قَلَّدُوهُم في التَّحلِيلِ والتَّحرِيمِ، والتَّحْسِينِ، والتَّقْبِيحِ .. وتَركُوا مُتَابَعَةَ الشَّرْعِ المنَزَّلِ .. فاتخذُوهُم بذلك أَرْبَاباً مِن دُونِ الله!

* * * * *

وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

639- [يُرِيدُونَ]؛ الكُفَّارُ الظَّلامِيُّون؛ أينما وجِدُوا، وعلى مَدارِ أزمنَتِهم: الماضِي منها، والحاضِرُ، والمسْتقبَلُ، [أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ]؛ دِينَ اللهِ .. وسُمِّي دينُ اللهِ بالنُّورِ؛ لأنه النُّورُ الذي يُبَدِّدُ ظُلَمَ وظَلامَ الكُفْرِ، والشِّركِ، والضَّلالِ .. ويكشفُ الأشياءَ على حَقِيقَتِها .. ويَهدي إلى الحقِّ، والإيمانِ، والصِّراطِ المستقيم؛ الذي لا اعْوِجَاجَ فِيه، [بِأَفْوَاهِهِمْ]؛ تَعبيرٌ عن جميعِ وسائلِ إعلامِهم: المقرُوأةِ، والمسْمُوعَةِ، والمرئيَّةِ؛ التي تَمكرُ الليلَ موصُولاً بالنَّهارِ، والنهارَ موصُولاً بالليلِ، لصَدِّ الناسِ عن دينِ اللهِ، وإطفاءِ ما في قلوبِهم مِن نورِ الحقِّ والهِدَايَةِ، [وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ]؛ يُتِمّ دينَه بيَاناً، ويتمه ظُهوراً وانتشَاراً؛ حتى " لا يَبْقى على ظَهرِ الأرضِ بَيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدْخَلَه اللهُ كَلِمةَ الإسلامِ؛ بعِزِّ عَزيزٍ، أو ذُلِّ ذَليلٍ "، [وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ]التوبة:32. ذلك؛ فكرهُهم،

ومَكْرُهم المتواصِل ـ مهمَا اشتَدَّ واجتمَعَت له الأسبابُ ـ لن يَقْوَى أن يمنعَ مَشيئةَ اللهِ في أن يُتِمَّ نُورَه.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

640- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ]التوبة:34. يأكلُون الرَّشْوَةَ في الحُكْمِ، ويحلُّونَ الحرَامَ، ويحرِّمُون الحلالَ، ويَشهدُونَ على الحقِّ بأنَّه باطِلٌ، وعلى البَاطِلِ بأنَّهُ حَقٌّ .. ابتغاءَ مَرضَاةِ الحُكَّامِ، وابتغَاءَ مَا عِندَهم مِن المنَحِ والعَطَاءِ، والفُتَاتِ الذي يَرمونَه للمتزَلِّفين .. فلَا تكونُوا مِثلَهُم!

* * * * *

وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً

641- [وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً]؛ اجتمَعُوا جميعكُم على قِتالِهم، ولا تَختلِفُوا ولا تَفَرَّقُوا، [كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً]التوبة:36.كما يجتمعون جميعَهُم على قتالِكم .. فإذا فرَّقْتُهم العَدَاوات فِيما بينهم، وحَّدَهم وجمعَ صفوفَهم القِتالُ ضِدَّكُم .. فبعضُهم على الإسْلامِ والمسلمين أولياءُ بَعْض!

* * * * *

إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً

642- [إِلاَّ تَنفِرُواْ]؛ إن ركنْتُم إلى الدُّنيَا، ولَمْ تَنفِرُوا للجهَادِ في سَبيلِ اللهِ، عندما يتَعَيَّن النَّفيرُ، ولم تعدُّوا له عُدَّتَه، [يُعَذِّبْكُمْ]؛ اللهُ،[عَذَاباً أَلِيماً]؛ في الدُّنيَا؛ يُسلِّطُ عليكم الأعدَاءَ، والوهْنَ، والذُّلَّ، والتِّيه، وفي الآخِرَةِ عذَابٌ أليم، [وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ]؛ يجاهِدُون في سبيلِ اللهِ، لَا يكونُون مثلَكُم في تَركِ الجهَادِ في سَبيلِ اللهِ، [وَلاَ تَضُرُّوهُ

شَيْئاً]التوبة:39. لأنَّ جهادَكُم مَردُّه وخَيرُه لأنفُسِكُم .. وتنكُّبكُم عن الجهادِ والنَّفيرِ في سبيلِ اللهِ لا يَضرُّ اللهَ شَيئاً، فاللهُ تعالى غنيٌّ عنكم، وعن جهادِكُم، وعن الخلْقِ أجمَعين .. وإنما تَضرُّون أنفُسَكُم لَا غَير .. وتُعطُون لعدوِّكُم فُرصَةً سانحَةً يَستبيحُ بها دِيارَكم، وحُرماتكم!

* * * * *

وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً

643- [وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً]التوبة:46. مِن العَلامَاتِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ خرُوجِهِم للجهادِ، وأنَّهم يُريدُون الجهادَ حَقَّاً ـ سَواءٌ كان الخارجُ فرداً أم جماعَةً أم دَولةً ـ الإعدَادُ للخرُوجِ إلى الجهادِ، والأَخْذُ بأسبَابِ القُوَّةِ قَدْرَ المتَاحِ والمستَطَاع .. فإذا انتفَى الإعدَادُ، كان ذلك دَليلاً قَاطِعاً على عَدَمِ صِدقِهم ورغبتِهم في الجهادِ، مَهمَا زَعمُوا بلسَانِهم خِلافَ ذلك .. وكانُوا حِينَئذٍ أقرب للنِّفَاقِ مِنهم إلى الإيمَانِ!

* * * * *

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي

644- [وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ]التوبة:49. هذه آيةٌ نزلَت في رجلٍ خَشِيَ على نَفسِهِ الإثمَ والحرَج، وأن يُفتَتَن بنساءِ بَني الأصفَر، لو خرَجَ مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهادِ في تَبُوك .. فهرَبَ مِن فتنةٍ غير محقَّقَةٍ، وموهُومَةٍ، إلى فتنةٍ محقَّقةٍ ـ اثم وحرَج ـ أشَدّ وأعظم؛ وهي التَّخلُّف عن الجهادِ معَ النبي صلى الله عليه وسلم .. وهذه آيةٌ تُحمَل على كل مَن يفعَل نحوَ فعَلَ هذا الرجُل؛ فيدفَعُ فِتنةً موهومَةً أو صغيرةً بفتنةٍ أكبر وأعظَم .. كما تُحمَل على كلِّ مَن يتخلَّف عن واجبٍ شرْعِيٍّ خَشيةَ الفِتنَةِ، وخَشيةَ الإثمِ والحرَجِ .. وبخاصَّة أنَّنا نَعيشُ زمَاناً مَا مِن خَيرٍ إلَّا ويَشُوبُه

شَيءٌ مِن حَرَامٍ، فإذَا تَرَكْتَ الخيرَ الكَثيرِ مِن أجْلِ هذا القَليلِ مِن الحرَامِ، وخَشيةَ الفِتْنَةِ، فإنَّك لَا تَفْعَلُ خَيراً قَط!

* * * * *

قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا

645- [قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ]التوبة:51. عَلَامَ الخوفُ، والتردُّدُ، والاحجَامُ عن مواطِنِ الإقدَامِ، والجهادِ .. إذا كان كلُّ شيءٍ مكتُوباً في اللَّوحِ المحفُوظِ، ولَن يُصيبَنا شَرٌّ إلا ما كتبَه اللهُ، وقَدَّرَه، وشَاءَه .. ومَا كتبَه وقَدَّرَه كائنٌ لا محَالَةَ؛ أقْدَمْتَ أم أحجَمْت، وسيُصيبُك ولو كُنتَ في بروجٍ مُشيَّدة .. ومَا لم يكتبْه ويُقَدِّرْه مهمَا أقدَمت .. ولو اجتمَعَت الأنسُ والجنُّ على أن يُصيبُوك به، لما استَطاعُوا، ولمَا أصَابَك .. فحسِّن الظنَّ باللهِ، وعلِّقْ قلبَك به، وتوكَّل عليه لا على غَيرِه، والتمِسْ منه النَّصرَ لَا مِن غَيرِه.

* * * * *

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

646- [قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ]التوبة:52. كيفَمَا انتهَت معركَةُ المؤمنين معَ أعدائِهم .. ومهمَا كادَهم الأعدَاءُ، وأعَدُّوا العِدَّةَ لقتالِ المؤمنين .. فنتائجُ المعركَةِ بالنسبةِ للمؤمنين لا تخرجُ عن هَذَين الوصْفَين، والخِلَّتَين، الحسَنَتَين: إمَّا نَصرٌ على الأعداءِ؛ وهو حَسَنٌ وخَيرٌ، وإمَّا شَهادَةٌ في سبيلِ اللهِ؛ وهو حَسَنٌ وخَيرٌ، وفوزٌ بالجنَانِ، ونَعيمِها .. وبالتَّالي لا مجَالَ لشَمَاتَةِ الأعدَاءِ بمصَابِ وقَتْلَى المؤمنين .. فقَتْلَى المؤمنين في الجنَّةِ، وقَتْلَى الكافِرين في النَّارِ .. ويَا لَه مِن فارِقٍ ضَخمٍ بين الميتَتَين، وبين المآلَين!

* * * * *

لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ

647- [قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ]التوبة:53. أي كافِرين .. ولأنَّ الكُفرَ يُحبِطُ العمَلَ .. فَلا يُقبَل معَ الكُفْرِ والشِّرْكِ عَمَل.

* * * * *

فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَادُهُمْ

648- [فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ]التوبة:55. النِّعمَةُ عندما تَصرفُ صاحِبَها عن الشُّكرِ، وعن العبادَةِ، وتُشغلُه عن توحيدِ المنعِمِ المتفضِّلِ .. ويَردُّها إلى نفْسِه، وعَزَمَاتِه، وجهدِهِ مِن دُونِ اللهِ .. تكونُ نقمَةً، واستِدْراجاً، وعذَاباً لصَاحِبها؛ عَذاباً حينَ يجمعُها، وعذَاباً حِينَ يحاولُ عبَثاً الحفَاظَ عليها، وعذاباً حينَ تَتفَلَّت منه؛ فيُفَارِقُها، وتُفَارِقُه، إلى غَيرِه .. وعذَاباً، وحسْرَةً، وندَامَةً، يومَ يُسْألُ عنها يومَ القِيامَةِ؛ كيفَ جمَعَها، وبمَ أنفَقَهَا .. ومن كان كذلك لَا يَنبَغي أن يُنْظَرَ إليه وإلى ما جمعَه من أموالٍ نَظرَةَ إعجَابٍ، واستحسَانٍ، وغبْطَة!

* * * * *

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

649- [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ..]التوبة:60. والمؤلّفةُ قلوبهم فريقان: فريقٌ تطمعُ في دخولِه الإسلام، وفريقٌ تخشى عليه الخروجَ من الإسلام، فكلا الفريقين يجوز أن تؤلّفَ قلوبَهما على الإسلام بالصدقات،

والصدقات تشملُ بذلَ كلَّ معروفٍ يساعدُ على تأليفِ قلوبهم على الإسلام؛ كالتّصدُّق بالمالِ، والإهداءِ، والبرِّ، والمعاملةِ الحسنةِ، وإطعامِ الطَّعام، وأن تسعى في قضاءِ حوائجِهم، وأن تلقاهُم بوجهٍ طَلقٍ، وغير ذلك مما يدخل في معنى الصَّدقات وبذلِ المعروف.

650- [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ]التوبة:60. هذه مواضعُ مصَاريف فريضَةِ الزكاةِ حَصْراً؛ لا يجوزُ صرفُ شيءٍ مِن أموالِ الزكاةِ خارجِ هذه المواضع والأصنَافِ .. أمَّا النَّافِلةُ في الصَّدَقَات ـ وهي كلُّ صَدَقَةٍ غَير فريضَةِ الزَّكاة ـ يجوزُ صَرفُها على هذه الأصنَافِ، وعلى غَيرِها.

* * * * *

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

651- [وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ]التوبة:61. كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم لشدَّةِ تواضُعِه، وعَظِيمِ أخلاقِه وأدَبِه، شَدِيدَ الاستماعِ، والإصْغاءِ لمحدِّثِه، يُقبلُ على محدِّثِه بكليَّتِه؛ يَفهَم مِنه، ويُفْهِمُه، ويُفِيدُه .. وليسَاعِدُه في حاجَتِه إن كان مِن ذَوي الحاجَةِ، أو يَقْبَلُ عِذرَه إن كان له عذرٌ .. حتى قال المنافقُون عنه مقولَتهم الشَّنِيعة:[هُوَ أُذُنٌ]؛ أي شَديدُ الإصغاءِ؛ يَسمعُ لأيِّ أحَدٍ، ويُصدِّقُ ويَقْبَلُ كلَّ ما يُقالُ له .. فأَسَاؤوا تَفسيرَ تواضُعِه، وحُسن استماعِه وإصغائِه .. فأنزلَ اللهُ ردّاً عليهم، وتكذيباً لمقولتِهم:[قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ]؛ فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم إذْ يَسمعُ فَلا يَسمعُ إلا حقّاً وخَيراً، ولا يُصدِّق إلَّا حقّاً وخَيراً .. ولا يَقبلُ إلا حقّاً وخَيراً .. فهو يُصَدِّق باللهِ أنه لا إله إلا هو .. ويُصدِّقُ

المؤمنين، الذين يَنشدُون الحقَّ، ويَسألون استرشَاداً، ولا يقولون إلا صِدْقاً .. ولا يُصدِّقُ الكافِرين، والمنَافقِين المكذِّبين الذين يُريدُون من أحادِيثهم المرَاءَ، والكذِبَ، والتَّكذِيبَ .. وفي الآيةِ توجيهٌ للمسلمين وبخاصَّة منهم الدُّعاة إلى اللهِ ـ اقتداءً بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكتَسبُوا مهَارَةَ حُسنِ الاستمَاعِ، والإصغَاءِ، والإقبالِ بسَمْعِهم على محدِّثِهم، مهمَا كان محدِّثُهم جاهِلاً .. يَفهمُون منه ليَفْهَمَ مِنهم .. وحُسنُ الاستمَاعِ والإقبالِ ليسَ لقبولِ كل ما يُقال لهم .. لَا .. وإنَّما لكي يَقبَلُوا الحقَّ مِمَّا يَسمعُون، ويُحسِنوا إفَادَة المتكلِّم، فِيما يَسألُ عنه، أو يَشكُو مِنه .. ولكي يَقبَلُ المتكلمُ مِنهم ما يملُون عليه من تَوجيهٍ ونصَائح .. إذْ لو قابلُوه بالتَّجاهُلِ، والتطْنِيشِ، والإدْبارِ، وعدَمِ الاهتمَامِ، والإنشغالِ عنه بما يُشعره بأنَّه غيرُ مرغُوبٍ به ولا بحديثِه ـ كما ينصحُ بذلك كثيرٌ ممن يتصدَّرُ الحديثَ عن علمِ النَّفسِ، وراحةِ وحبِّ النَّفسِ! ـ لنَفَرَ مِنهم .. ولمَا قَبِلَ منهم قَولاً، ولا نُصحاً ولا تَوجِيهاً .. وبَقيَت حاجَتُه ومشكلتُه حبيسَةَ نَفْسِه، وبيئتِه .. ونحنُ أمرنا بأن نبشِّرَ، ولا ننفِّرَ .. وأن نكونَ دُعاةَ خَيرٍ للنَّاسِ.

* * * * *

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

652- [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]التوبة:61. مِن صُورِ الأذَى التَّعرُّضُ لشَخصِ النبِّي صلى الله عليه وسلم تصريحاً أو تَلميحاً، بما يُسيء، أو بأدنَى كلمَةٍ تُفيدُ الانتقاصَ مِن قَدْرِهِ ومكانَتِهِ .. أو التَّعرُّضُ لمكانَتِه كنبيٍّ مُرسَل، ومكانَةِ سُنَّتِه المطهَّرَةِ، وأهميَّتِها في التَّشريع الإسلامِي، بأدْنَى انتقاصٍ أو تَشكِيكٍ .. أو التعرُّضُ لأهلِ بيته ونسائِه أمهات المؤمنِين بأدْنَى انتقَاصٍ أو إسَاءةٍ، أو سُوءِ ظنٍّ .. أو التعرضُ لأصحابِه الكِرامِ بالطَّعنِ والانتقَاصِ .. كلُّ هذه الصُّور ممَّا يُؤذِي رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم،

وهي تَدخلُ في معنَى الأذَى المنهي عنه، والذي يجبُ الاحترازُ مِنه أشَد الاحترَازِ .. وأصحابُها، يومَ القِيامَةِ، [لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ].

* * * * *

وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ

653- [وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ]التوبة:62. عندما تُخَير بين طاعَةِ ورِضَا المخلُوقِ، أيَّاً كان هذا المخلُوق، كان حَاكماً، أو أميراً، أو والِداً، أو والِدَةً، أو زوجَاً، أو زوجةً، أو شيخاً، أو غيرَ ذلك .. وبينَ طاعَةِ ورِضَا الله ورسُولِه صلى الله عليه وسلم، يجبُ عليك أن تُقَدِّمَ طاعةَ ورِضَا اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم على ما سواهما .. فاللهُ تعالى أحقُّ وأوْلَى بأن يُرْضَى .. ومَن أرضَى اللهَ بسخَطِ الناسِ، رَضيَ اللهُ عنه، وأَرضَى عنه النَّاسَ، ومَن أسخَطَ اللهَ برضَى النَّاسِ، سخِطَ اللهُ عليه، وأسخَطَ عليه النَّاسَ.

* * * * *

لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

654- [قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]التوبة:65-66. هذه آياتٌ نزَلَت في نفَرٍ قالُوا كَلاماً على وجْهِ التَّهَكُّمِ، والاستِخْفافِ بحقِّ أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه:[قُلْ أَبِاللّهِ]؛ الذي أثنَى خَيراً على أصحَابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وَآيَاتِهِ]؛ التي تُثْنِي خَيراً على أصحابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وَرَسُولِهِ]؛ الذي أثْنَى خَيراً على أصحابِه، [كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ]؛ تَتهكَّمُون، وتَسْتَخِفُّون، وتَتَنَدَّرُون؛ فالطَّعنُ بالصَّحَابةِ طَعنٌ بمَن زَكَّاهُم وأثْنَى عليهم خَيراً، [لاَ تَعْتَذِرُواْ]؛ عَمَّا بَدَرَ منكم مِن كلامٍ جَارِحٍ بحقِّ الصَّحابةِ رضي اللهُ عنهم .. فأيَّاً كانَ عذرُكم؛ فعذْرُكم مَردُودٌ غير مَقبُول، [قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

]؛ يُفيد مَعنيين: قَد طَرأَ عليكم الكُفرُ والنِّفاقُ، بسببِ استهزائِكُم وتَهكُّمِكُم بأصحابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بعدَ أنْ كُنتُم مُؤمنين. والثَّاني قد أظهرتُم كُفركَم ونفَاقَكم، بعد أنْ كُنتم تُظهِرُون الإيمانَ، والأوَّلُ أرجَحُ، واللهُ تعالى أعلم.

* * * * *

نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ

655- [نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ]التوبة:67. كَيْفَما التفَتَّ، وأينَمَا تَوَجَّهْتَ، تَجِد الخرَابَ، والفَسَادَ، والنِّزاعَاتِ، والمجَاعَاتِ، والأَوْبِئَةَ، والأَمْراضَ .. وهذا مَردُّه لسَبَبٍ واحِدٍ ـ اعتَرفُوا بذلك أم لم يَعْتَرِفُوا ـ هو البُعْد عنِ الله، [نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19.

656- [نَسُواْ اللّهَ]؛ نَسُوا حقَّ اللهِ عليهم؛ وهو أن يَعبدُوه ولَا يُشْرِكُوا به شَيئاً، [فَنَسِيَهُمْ]التوبة:67. فتركَهم لأنفُسِهم يتخبَّطُون، ويَجْهَلُون، ويُفسِدُون .. ويَسيرُون على غيرِ هُدَى ونُورٍ .. فعاقَبَهم مِن جِنْسِ فِعْلِهم.

* * * * *

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

657- [وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]التوبة:72. أعظمُ وأكبرُ نعمةٍ يمنُّ اللهُ تعالى بها على عبادِه المؤمنين يومَ القيامَةِ نِعمةَ الرِّضا؛ فيرضَى عنهم، فلا يَسخطُ عليهم أَبَدَاً .. أَمَانٌ دائمٌ أَبَدَاً .. هي نعمةٌ أكبرُ وأعظمُ من الجنَّةِ ذاتها، ومَا فِيها مِن خَيراتٍ، ونَعِيمٍ مُقيمٍ .. كما في الحديث:" فَيَقُولونَ ـ أي أَهْلُ الجنَّةِ ـ: رَبَّنا أعطيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ العالَمِينَ. فيقولُ: فإنَّ لَكُمْ عِندي أفضلَ مِنْهُ! ـ أي أفضل من الجنَّةِ

ونَعيمِها! - فَيَقُولون: رَبَّنا وما أفضلُ مِن ذَلكَ؟ فيقولُ: رِضَائِي عَنْكُم، فلا أَسْخَطُ عليكُمْ أَبَدَاً ".

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

658- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ]التوبة:73. جهادُ المنافقين في كثير من الأحيان يكون أَشَدّ وأهمّ من جِهادِ الكافِرين، وذلك من أوجه:

منها: من جهةِ غموضِ باطلِ وخطرِ المنافقين، بخلاف الآخرين!

ومنها: مِن جهةِ أن باطلَ المنافقين أسرعُ رواجاً، وأقربُ للتصديقِ، من قبلِ عوام المسلمين، من باطلِ الكافرين!

ومنها: مثَلُ باطلِ المنافِقين، كحريقٍ في داخلِ البيت، بخلافِ الآخرين؛ حريقهم خارج البيت .. فهو - من هذا الوجه - أشدُّ خطَراً!

ومنها: أن مجاهِدَ المنافقين، أكثر عُرضةً لسِهام النّقدِ والطَّعنِ، والتَّشهِيرِ، مِن قِبل العَوام المغفَّلين، من مجاهِدِ الكافرين .. لذلك كثيرٌ هم الذين يجاهدون الكافرين، ويتهيَّبون من مجاهدةِ المنافقِين .. وقليلٌ هم الذين يجاهدون المنافِقين، ويُغلِظون عليهم!

* * * * *

وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ

659- [يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ]التوبة:74. لكي يكْفُرَ المرءُ، ويُحْكَم عليه بالكُفْرِ، لا يحتاجُ إلى جَريدةٍ مَليئةٍ بالكُفْرِ .. بل

يَكْفِي لكي يُحكَمَ عليه الكُفْرِ، أن تَصْدُرَ مِنه كلمَةٌ واحِدَةٌ، تَمُّ عن الطَّعْنِ، والاسْتِخْفافِ، باللهِ، وآيَاتِه، ورسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

660- [وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ]التوبة:81. هذا الوَعِيدُ الشَّديدُ لا يَقْتَصِرُ على مَن يتخلف عنِ الجِّهَادِ بذَرِيعةِ الحَرِّ .. بل هو يَطالُ كُلَّ مُتَخَلِّفٍ عن طاعَةٍ، بِذريعَةِ حَرَارَةِ الطَّقْسِ، وبخاصَّة النِّساء اللَّاتي يَتَخَلَّفْنَ عن الحِجَابِ، وارتِدَاءِ الجِلْبَابِ، بمواصَفاتِه الشَّرْعِيَّةِ، بذَرِيعَةِ حَرارَةِ الطَّقْسِ .. وأن الجوَّ حَارٌّ .. ولهؤلاءِ جميعاً يُقال:[قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ]؛ لو كانُوا يَعلَمُون.

* * * * *

فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً

661- [فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ]التوبة:82. مَهمَا ضَحِكَ الكفَّارُ والمنافِقُون في دُنيَاهُم .. فهو قَليلٌ جِدّاً لمَا يَنتظرُهم يَومَ القِيَامَةِ، ويَكُونُ سَبَباً في بُكَائِهم الكَثِير، الذي لَا يَعقبُه ضَحكٌ أَبَدَاً!

* * * * *

وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ

662- [لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ]التوبة:88. ليسَ خَيراً واحِداً .. أو أَكْثَرَ .. بَل لهم الخَيرَاتُ، كُلَّ الخيرَاتِ .. خَيرَاتِ الدُّنيَا والآخِرَة .. وهذا يَشملُ كلَّ مَن آمَنَ بالرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وجَاهَدَ

بمالِهِ ونَفْسِه، مَن آمَنَ به في زَمَانِه، ومَن آمَنَ بهِ، وجَاءَ مِن بعْدِه .. لأنَّ الجَّزاءَ على الصِّفَةِ والفِعْلِ، وليسَ على مجرَّدِ الزَّمَن.

* * * * *

مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ

663- [مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ]التوبة:91. أي مِن حَرَجٍ، وطَرِيقٍ لمؤَاخَذَتِهم .. وفيهِ أنَّ المُحْسِنِين ـ عند الكَبَواتِ والعَثَرَاتِ، ومَوْرِدِ المُتَشَابِهات ـ يُتَوَسَّعُ لهم في التَّأويلِ والأعْذَارِ، وإقَالَةِ العَثَرَاتِ، مَا أمْكَنَ لِذلكَ سَبِيلاً.

664- [لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ]التوبة:91. لَا يَنتَفي الحرَجُ عن القاعِدِين عن الجِهادِ بأنفُسِهم، الذين حالَت بينهم وبينَ مشَاهِد ومواقع الجهَادِ، والمشاركَةِ فيه، ظرُوفٌ قاهِرةٌ مانِعَةٌ إلا بشَرْطٍ، أن يُضمرُوا خَيراً للمجاهدِين، وأن يَدْعُوا، ويَنْصَحُوا لهم، ويَذبُّوا عنهم بالكلمَةِ، وبما هو مُتاحٌ لهم .. وأن يعتزلُوا الإرجافَ، والتَّثبيطَ عن الجهادِ .. وأن يُخَذِّلُوا عنِ المجاهِدِين مَا استَطاعُوا .. بهذا الشَّرطِ، وهذه المواصَفاتِ يُعذَرُون، وإلَّا فالملامَةُ تَطالُهم.

* * * * *

لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ

665- [لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ]التوبة:94. مَا مِن كَيْدٍ يَكيدُونَه على الإسْلامِ والمسلمِين، ولَا مَكْرٍ يمكرُونَه .. ولا شَرٍّ يُضْمِرُونَه .. إلَّا ولَنَا فِيه مِن اللهِ تَعَالى نَبأ، وعِلْمٌ، وخَبرٌ .. قَد أطلَعَنَا اللهُ تعالى في كتَابِه العَزيز على جميعِ أحوالِهم،

وأخبَارِهم، ومَا يُضْمِرُون .. ولو حَاوَلوا أن يُظهِرُوا خِلافَ مَا يَكِيدُون، ويمكرُون، [لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ]؛ لَن نُصَدِّقَكُم.

* * * * *

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ

666- [يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ]التوبة:96. المؤمنُ يُقيمُ أحكامَه على الظاهِرِ؛ فيحكُم أحياناً على منافقٍ بالإيمانِ، ويَرضَى مِنه ما يُظهر له .. فالمؤمنُ مِن جهةٍ مَعذُورٌ في خطَئِه، واجتهادِه الخاطِئ؛ لأنه مُلزم شَرعاً بأن يحكمَ على الظاهِرِ، لا على السَّرائِرِ، ولأنه غَير مُطَالَب بالتَّحرِّي، والشَّقِّ عما في القلُوبِ، فَلا يَعلمُ ما في القَلُوب إلَّا علَّامُ الغيُوب .. ومِن جهةٍ أخرَى فإن حكمَ المؤمِن الخاطِئ لا يُغيِّرُ من حقيقَةِ الأشياءِ شَيئاً؛ فلا يجعلُ مِن الكافِرِ، ولا المنافقِ عند اللهِ مؤمناً مَرضيَّاً .. ولَا مِن المرَائي عند اللهِ مخلِصاً .. ولإن يَرضَى الناسُ عن منافقٍ أو مُرائٍ فإن اللهَ تعالى لَا يَرضَى عنه؛ لأنه سُبحانه يَعلم مِنه مَالا يعلمه النَّاسُ .. ثم ما قِيمةُ أن يَرضَى الناسُ عن أحَدٍ قد سخطَ اللهُ عليه، ومَا يضرُّه إن رضي اللهُ عنه، وسخطَ عليه الناسُ .. فمن أرْضَى اللهَ بسخَطِ الناسِ؛ رَضِي اللهُ عنه، وأرضَى عنه الناسُ، ومَن أسخطَ اللهَ بِرضَى الناسِ، سخطَ اللهُ عليه، وأسخطَ عليه النَّاسَ؟!

* * * * *

وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ

667- [وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ]؛ هم أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ]؛ اتَّبعوا الصحابَةَ الذين اتَّبعُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فلم يحيدُوا عن سُنَّتِهم، وهَدْيهم، وفَهْمِهم لكتَابِ اللهِ، ولسنَّةِ رسولِه صلى الله

عليه وسلم .. ولم يُقدِّمُوا فهمَ وتَأويلاتِ الخلَفِ والمتأخّرين ـ في حال التعارض ـ على فهمِهم، [رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ]؛ رضيَ عن التزامِهم، وفهمِهم، وسَلامَةِ اعتقادِهم، [وَرَضُواْ عَنْهُ]؛ رباً، ومعبوداً، ومَألوهاً .. ورَضُوا عن ثوابِه الجزِيلِ الذي وعدَهم إيَّاه .. وهم مُقابل تحقيقِ المتابعةِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولما كان عليه الصَّحابة رضي الله عنهم من فَهمٍ للدِّين، والتزامٍ به .. ومُقابل رِضَاهُم عن اللهِ عزَّ وجل ربّاً ومَعبوداً .. كافأهُم اللهُ:[وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]التوبة:100. والآية فيها أن من يَطعنُ بالصحابةِ رضيَ اللّهُ عنهم، وبالتَّابعين لهم بإحسانٍ ـ وهم كلُّ مَن اتبعهم بإحسانٍ إلى يومِ القِيامةِ ـ فهو يطعنُ بدينِ اللهِ، ويُكذِّبُ بكتابِ الله وآياتِه .. ويردُّ على اللهِ كلامَه .. وهذا لا شَكَّ في كُفْرِه، ومروقِه من الدِّين!

* * * * *

لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ

668- [لاَ تَعْلَمُهُمْ]؛ لَا تعلمُ المنافِقين؛ لأنهم يُظهرُون الإسلامَ، ويُضمرُون في قلُوبِهم الكُفرَ، ولَا سُلطانَ لك على قلُوبِهم، وما يُضمرُون، [نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ]؛ لكن اللهَ تعالى يَعلمُهم، ويَعلمُ نفاقَهم، ومَا يُضمرُون في قلُوبِهم، فلَا يخفَى عليه شيءٌ مِن حالِهم، [سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ]؛ مرَّةً بفضحِهم، وإظهَارِ نفَاقِهم، فنجعلُ للمؤمنين عليهم سُلطاناً، ومرَّةً عند الموتِ؛ فيُعَذَّبُون في قبُورِهم، [ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ]التوبة:101. وهو العذَابُ الأكبرُ يومَ القِيامَةِ.

* * * * *

وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ

669- [وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ]؛ أقَرُّوا، [بِذُنُوبِهِمْ]؛ بتَقْصِيرِهِم وخَطَأهم .. لم يُكَابِرُوا، ولم يُنْكِرُوا .. أو يجَادِلُوا عن خَطأهِم وذُنُوبِهم، [خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً]؛ وهذا حَالُ كَثيرٍ مِن النَّاسِ .. يُحْسِنُون ويُخطِئون .. وهؤلاء أفضلُ بكثيرٍ ممَّن لا يَأتِي إلا بالسَّيئاتِ، أو يَغْلِبُ عليه السَّيئاتِ .. ينبغي أن يُشَجَّعُوا .. وأن يُثْنَى على جانِبِ الخيرِ والصَّلاحِ فِيهم خَيراً .. لا أنْ يُثَبَّطُوا، وتُذْكَرُ سيئاتهم عِند كُلِّ حسَنَةٍ يَقُومُون بِها .. عسَى أن تَقِلَّ وتَضِيقَ مساحَةُ السِّيئاتِ لَدَيْهِم .. وهؤلاء:[عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ]؛ فيتَجَاوزُ عن الجَانِبِ الذي أخطَأوا وأَسَاؤوا فِيه، [إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التوبة:102.

* * * * *

وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

670- أنت في هذه الدنيا مجرّد أجيرٍ مستخدَم، ومُستخلَف ـ لا حريّة ولا حق لك في نفسِك ولا مالِك أن تفعل فيهما ما تشاء ـ والله تعالى ناظرٌ إليك ماذا ستفعل فيما استخدمَك فيه، وفيما استأمنَك واستخلفك عليه:[وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]التوبة:105.

* * * * *

وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً

671- [وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ]التوبة:107. ونَحْوَ مَسْجِدِ ضِرَارٍ، كُلُّ مَدْرَسَةٍ أو طَاعَةٍ تُنَشَّأُ وتُمارَسُ على نيَّةِ وقَصْدِ الإضْرَارِ، والتَّفْرِيقِ بين المؤمنين، فلها ولأهْلِها حُكْمُ مَسْجِد ضِرَارٍ .. وبِخَاصَّة أولئك الذين يَطلبُون العِلْمَ والمشْيَخَةَ على نِيَّةِ وقَصْدِ التَّشْوِيشِ على النَّاسِ أمْرَ

دِينِهم، والإضْرَارِ بِهم، والتَّفْرِيقِ بينَ المؤمنين .. فهؤلاء مِن حِزْبٍ وجمَاعَةِ " مَسْجِد ضِرَارٍ !"

* * * * *

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ

672- [أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ]التوبة:109. كما أنَّ البُنيانَ لا يُمكنُ أن يتماسَكَ، ولا أن تقومَ له قائمةٌ ـ وهو سُرعان ما يَتهاوَى ويَنهَار ـ إذا رُفِعَت قوائمُه وطوابِقُه مِن غيرِ أُسسٍ متينةٍ صحيحةٍ ضَارِبَةٍ في أعماقِ الأرْضِ .. كذلك الأعمالُ لا تُقبَلُ، ولا تَتماسَكُ، ولا يمكنُ الانتفاعُ منها إلا إذا أُقِيمَت على دَعائم وأُسسٍ مَتِينَةٍ من الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. والتَّقْوَى والعملِ الصَّالح .. مخافَةً مِن اللهِ، وطَلَباً لِرِضْوانِهِ ومحبَّتِه .. فالتَّوحيدُ هو الأَسَاسُ الذي يقومُ عليه البُنيانُ .. والتَّقْوَى، والعملُ الصَّالحُ هي الدَّعائمُ التي تَزيدُ الأَسَاسَ متَانَةً وقوَّةً .. أمَّا مَن يأتي يومَ القِيامَةِ بالأعمَالِ الكَثِيرةِ مِن غيرِ أُسُسٍ مَتينَةٍ مِن التَّوحِيدِ، والتَّقوَى، والعَمَلِ الصَّالح .. فهَذا مَآلُه ومَثَلُه، مَثَلُ:[مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ].

* * * * *

إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ

673- [إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كل المؤمنين؛ ذُكوراً وإناثاً .. لا يتخلَّفُ عن هذا البيعِ من المؤمنين أحَدٌ .. فالبيعُ قَد تمَّ، والشَّارِي هو اللهُ تعالى .. اشترَى ما يملِكُه ومَا هو مِن مُلكِه؛ زيادَةً في الفضْلِ، والتَّرغيبِ والتَّشويقِ لمن قَد بَاعَ .. ومَن يجحَدُ هذا البَيعَ، وهذا الشراء .. ويُريدُ أن يَنقُضَ الصفقَةَ، ويخرجَ مِنها .. أو يريدُ أن يعقدَ صفقةَ

البيع مرةً ثانيةً معَ غيرِ اللهِ بعد أن باعَ للهِ .. يخرجُ مباشرةً مِن صِفةِ ومُسَمَّى [الْمُؤْمِنِينَ]، إلى صفةِ ومُسمَّى الكافِرِين .. ما هو المبَاعُ، ومَا هو المُشْتَرَى؟ [أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم]؛ وهذا مِن لوازِمِه أن تكونَ حياتُكَ ـ يا عبد الله ـ كلها للهِ .. وأن يكونَ مالُكَ كُلّه للهِ .. فلا يَراكَ اللهُ إلا حيثُ يحبُّ ويَرضَى .. فتكون حيثُ يُريدُ اللهِ مِنكَ أن تكونَ .. ولا تَضَع مالَكَ إلا حيثُ يُحبُّ ويَرضى .. فأنتَ ومالُكَ مملوكان للهِ تعالى، ولا يجوزُ للمملوكِ أن يضعَ نفْسَهَ ومالَه، أو أن يتصرَّفَ في شيءٍ مِن نَفْسِه ومالِه إلا حيثُ وفِيما يحبُّ ويَرضَى مالِكُه وخالِقُه .. هذا هو البيعُ .. وهذهِ هي السلعَةُ: النَّفْسُ، والمالُ .. فما هو الثمن؟ [بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ]التوبة:111. ما أعظمَهُ، وأجلَّه، وأرفعه مِن ثمنٍ، وأجْرٍ .. أنْعِم وأكرِم بهِ مِن ثمنٍ عَظِيم .. إنه عطاءُ رب العالمين.

* * * * *

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ

674- [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى]؛ مَن ماتَ على الشركِ لا يجوزُ الاستغفارُ والتَّرحمُ عليه؛ لأنَّ اللهَ تعالى قَد نَهى عَن ذلك .. ولأنَّ الاستغفارَ له لا يَنفعُه شيئاً؛ فقد كتَبَ اللهُ تَعالى على نفْسِه أن لا يَغفِرَ لمشركٍ ماتَ على الشركِ والكُفرِ .. ومعَ هذا النَّهي الصَّريح مِن ربِّ العالمِين، كثيرٌ من الناسِ تأخذُهم العاطِفَةُ، وعصبيَّةُ التَّحزُّبِ والانتماءِ؛ فيتَرحَّمون على مَن ماتَ على الكُفرِ، والشِّركِ، والمحادَدَةِ، والبَعض يُبالغ فيُدخلهم الجنَّةَ، ويجعلُهم من الشُّهدَاءِ!، [مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ]التوبة:113. مِن بعدِ علمِهم أنهم ماتُوا على الكُفرِ والشِّركِ .. فكلُّ مَن نعلمُ منه أنه مَاتَ على الكُفرِ والشركِ، مِن غير توبةٍ، نجزمُ له بأنَّه من أصحابِ الجحيمِ، ومِن المعذَّبين في النَّارِ، وهذا ليسَ من التَّألِّي على اللهِ.

* * * * *

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ

675- [فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ]التوبة:114. قَد يُعذَر المؤمنُ عندما يُظهِر نوعَ مُوالاةٍ لمن يتَشابَه عليه أمرُه؛ فلا هو إلى الكُفْرِ قَولاً واحِداً، ولا هو إلى الإيمانِ قولاً واحِداً .. يُظهِر من الأعمالِ مَا يُقرِّبُه إلى الكُفرِ حِيناً، وحِيناً آخَر يُظهِر من الأعمالِ ما يُقرِّبه إلى الإيمانِ .. فيتَشَابه أمرُه على المؤمنِ .. لكن إن تَبيَّن له بالدليلِ القَاطع والحاسِمِ أنه عدُوٌّ للهِ، ولرسولِه، وللمؤمنِين .. فحِينئذٍ يجبُ عليه أن يتَبرأ مِنه، ومِن كُفْرِه، ولو كان مِن ذَوي القُرْبَى .. ولَا يُقبَل مِن المؤمنِ أن يُظهر أيَّ تراخٍ أو تَردٍ في مفاصَلتِه، والبراءةِ منه.

676- [فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ]التوبة:114. فيه أنَّ البرَاءَةَ التَّامَّة تَكُونُ معَ البينَةِ التَّامَّةِ .. فالشَّكُّ، والظَّنُّ يُقابلهمَا شَكٌّ، وظَنٌّ .. واليَقِين يُقابِلُه يَقِين.

* * * * *

لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ

677- [لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ]التوبة:118. كُلُّ شَيءٍ ممْكِنٌ أن تَلتَجِئَ مِنه إلى غَيرِه .. تَفرُّ مِنْه إلى سَوَاه، إلَّا اللهُ، فإنَّك تَلتجِئُ مِنْه إِليه .. تَفرُّ مِنه إِليه .. ومَهمَا حَاوَلْتَ فلَن تِجدَ مَلْجَأً تَأوي إليه مِنه إلَّا إِليه .. فتَلتَجِئُ مِن مَعْصِيتِه بطَاعَتِه، ومِن غَضَبِه بِرِضَاه، ومِن عقُوبَتِه بعَفْوِه، ورَحْمَتِه.

* * * * *

ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ

678- [ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ]؛ تَابَ عليهم أوَّلاً ثم ألهمَهُم وأعانَهم على التَّوبَةِ .. فلو تَابُوا أوَّلاً قبلَ أن يتوبَ اللهُ عليهم لرُدَّت تَوبَتُهم، ولوجَدُوا بابَ التَّوبَةِ مُؤصَداً، [إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]التوبة:118. إنَّ اللهَ شَديدُ وكَثيرُ التَّوبِ؛ يَتُوبُ على عِبادِهِ، ويَقبَلُ مِنهم التوبَةَ، ويُوفقُهم للتوبَةِ، ويُعينُهم على التَّوبَةِ .. وعليه إن وَجَدْتَ نفسَكَ ـ يا عَبدَ اللهِ ـ مَشْدُوداً ومُنقَاداً للتوبَةِ، فاعلَمْ أنَّ اللهَ تعالى قَد تَابَ عَليك، ويُريدُك أن تَتوبَ .. اللهمَّ تُبْ علينا لِنَتُوب.

* * * * *

وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ

679- [وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ]التوبة:119. الصِّدقُ عنصرٌ مُرجِّحٌ لتحديدِ المعيَّة؛ فإن وُجِدَ فريقَان، انظر أقربَهُمَا للصِّدقِ، وتَصديقِ الصِّدْقِ، والوَفاءِ بالعُهودِ، فالزَمْهُ .. وكُنْ مَعَه .. فملازَمَتُه مَنجَاةٌ لك في الدُّنيا والآخِرَةِ .. وهذا يَشْملُ الأصحابَ والأصْدِقاءَ؛ فإنَّ الصَّديقَ لا بُدَّ مِن أن يُراعِي عُنصرَ الصِّدْقِ فِيمَن يتخذه صَديقاً .. أمَّا مَن يُعرَف بالكذبِ، وتَكذِيبِ الصِّدْقِ، وتَصْديقِ الكَذِبِ؛ فيَعتزِلُه، ولا يَتخذه صَديقاً.

* * * * *

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ

680- [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ]التوبة:120. عِندَمَا يجتمعُ فِيكَ الإخلاصُ، وصِدْقُ النيَّةِ، مع حُسْنِ المتابَعَةِ للكِتَابِ، والسُّنَّةِ .. تُصبحُ جميعُ أعمَالِك، وحرَكَاتِك .. وجميعُ أحوَالِك

وتَقلُّباتِك .. وجميعُ مَا يُصِيبُك مِن خَيرٍ أو شَرٍّ .. عِبادَةً .. ويُكتَبُ لك بها أجْرٌ وعمَلٌ صَالِحٌ.

* * * * *

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً

681- [وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً]؛ أي إلى الجهَادِ، [فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ]؛ طائفةٌ تغزُو وتُجاهِد، وطائفةٌ تمكثُ وتقْعدُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ [لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ]؛ ليتعَلَّموا الجديدَ من المسائلِ والعِلمِ الذي يَتنزَّلُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، [وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ]التوبة:122. وليُعَلِّموا الطائفةَ المجاهدَة ما تَعلَّموه من النبيِّ صلى الله عليه وسلم عندما تَعودُ من الغزوِ والجهادِ .. وفي هذه الآية الكريمة إبطالٌ للقاعِدَةِ المزعُومَةِ الشائعةِ، والتي يتنَاقَلُها بعضُ المتحَمّسَةِ " لَا يفتي قاعدٌ لمجاهِدٍ "؛ فهذه قاعدةٌ باطلةٌ، لا أصْلَ لَها، مَردُودٌ عليها بنصُوصِ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وفعلِ الصَّحابةِ، والأئمةِ الأربعةِ، وغيرِهم مِن كبارِ أهلِ العِلم.

* * * * *

وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً

682- [وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً]التوبة:123. أرَى في الرِّفقِ مَنهَجَ حَيَاةٍ، وبخَاصَّة عند التَّعامُل معَ أخطَاءِ العَوَام، ومَن كان خَطُؤه عن شَهوَةٍ وضَعْفٍ، أما عِند التّعامُلِ والتَّخاطُبِ معَ الزَّنَادِقَةِ والمنَافِقِين، ومعَ دُعَاةِ وأربَابِ الأهوَاء، مِن أهلِ الإفرَاطِ والتَّفْرِيطِ، أهلِ الغُلُوّ والجَفَاء .. فهؤلاء ليسَ لهم إلَّا الشِّدَّة والغِلظَة في الخِطَابِ، والمعَامَلَة!

* * * * *

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ

683- [عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ]التوبة:128.

هذه بعضُ صفاتِ سيدنا رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم .. أنْعِم وأكْرِم بها مِن صِفَاتٍ .. ما أنبَلها وأجمَلها وأعظمها مِن صِفات .. فإنَّه صلى الله عليه وسلم يَشتدُّ عليه الألمُ والحزَنُ إذا ما أصابَ المسلمين مَشقَّةٌ أو تَعبٌ .. حريصٌ عليهم أن لا يُصيبُهم أي مكروهٍ في دينِهم، وفي أنفسِهم، ومعاشِهم .. يَسهرُ على راحتِهم، وأمنِهم، وسَعادَتِهم .. ويحيطُهم بالرحمةِ، واللطفِ، والرِّفقِ، والخَيرِ ما أمكنَه لذلك سَبيلاً .. وهو صلى الله عليه وسلم من هَذا الوجْه أشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً .. وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك مَثَلٌ أعْلَى، وقُدوَةٌ حسنةٌ للقادَةِ والأمراءِ مِن بعدِه؛ كيفَ يجبُ عليهم أن يألموا لألمِ الناسِ .. وأن يَعيشُوا حياتَهم وواقِعَهم .. وأن يَقلقُوا لأيِّ أذَى أو ضررٍ ينزلُ بهم، ويعمَلوا جاهدِين على دَفعِه عنْهم .. فالقيادَةُ مسؤوليةٌ وأمانَةٌ .. وليسَت مغنَماً، وسَبباً للتَّعالي، والتَّسلُّطِ بالجَّبرُوتِ على رقابِ، وأرزاقِ العِباد!

* * * * *

مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ

684- [مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ]يونس:3. أَيَّاً كانَ هَذا الشَّفِيعُ، سَواءٌ كانَ مِن الأنبياءِ والرُّسُلِ، أو الملائِكَةِ المقرَّبين، أو العُلَماءِ والشُّهَداءِ .. لا أحَدَ يَستطيعُ أن يَشفعَ يومَ القِيامَةِ مِن تِلقاءِ نَفْسِه إلَّا بَعدَ أن يأذَنَ اللهُ له في أن يَشْفَعَ .. وفِيمَن يَشفَع .. والكَم أو القَدْر الذي يَشفَعُ لهم .. فيحدُّ اللهُ له حَدَّاً ممَّن يُؤذَن له أن يَشفعَ لهم لا يتجاوَزه .. كما لَا يَستطيعُ أحَدٌ أن يَطلبَ الشَّفاعَةَ مِن أحَدٍ، إلَّا بإذنٍ مِن الله .. فالشَّفَاعَةُ كُلُّها للهِ، وبيدِ اللهِ، يمنحُهَا لمن يَشاءُ، وبالقَدْرِ الذي يَشَاء، ويمنعُهَا عمَّن يَشَاء.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

685- [إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا]؛ لَا يَرجُون اليومَ الآخِرِ؛ لسُوءِ أعمالِهم، وطويَّتِهم، وتمسُّكِهِم بالدُّنْيَا، [وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا]؛ رَضُوا بمتاعِ وزينَةِ وزُخْرُفِ الحياةِ الدُّنيا، فلمْ يَعُد يتطلَّعُون إلى حياةٍ سِواهَا .. وهذا لجهْلِهم بالحياةِ الآخِرَةِ وما أعدَّ اللهُ تعالى فيها لعبادِه المؤمنين مِن نَعيمٍ عظيمٍ مُقيمٍ يَفُوق التَّخيُّلَ والتصور .. لَا وجْهَ للقياسِ بينهُ وبينَ متَاعِ الدنيا الزائِلِ .. فآثَرُوا الذي هو أدْنَى على الذي هو أعْلَى![وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا]؛ اطمَأنَّت نفوسُهم إليها، وركَنُوا إليها ركُونَ المطمئِنّ؛ بحيث لم يَعُدْ عندهُم هِمَّةٌ ولا إرادَةٌ ولا رغبَةٌ للحركَةِ والانتقالِ عنها إلى مَا سِواها؟![وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ]يونس:7. غافِلُون عن الآياتِ الكونيَّةِ، والآياتِ النَّفْسِيَّةِ، والآياتِ السَّمْعِيَّةِ القُرآنيَّةِ .. التي تُبيِّن لهم خَطأ ما هُم فيه .. وخَطأ اختيارِهم، واطْمِئنانِهم للدنيا دُونَ الآخِرة!

* * * * *

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ

686- [وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ]؛ وهذا قمةُ السَّفَاهةِ، والحُمقِ؛ إذْ كيفَ يتوجَّهون بالعبادَةِ لمن لا ينفعُ ولا يَضُر .. وإذَا ما رُوجِعُوا، وسُئلُوا لماذا يَعبدُون مَالا يَضرُّهم، ولَا ينفعُهم؛ فالعِبادَةِ تُصرَف لمن بيدِه النَّفع والضُّر؟! أجابوا:[وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ]؛ فلم ينكروا أن آلهتَهم التي يَعبدُونها من دونِ اللهِ لَا تنفعُ، ولا تَضر .. بل أقَرُّوا .. وكانُوا يتَذرَّعُون لشركِهم بأن هذه الآلهة واسِطَتَهم إلى اللهِ، وأن لهم سُلطة تمكِّنُهم مِن الشَّفاعَةِ لهم يومَ القِيامةِ، وهم لأجلِ ذلك يَعبدُونها، ويتوجَّهُون إليها بالدُّعاء! [قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ]؛ وجُودَه، [فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ]؛ فهذا الذي تخبرون عنه لا يُوجدُ شيءٌ مِنه في السمواتِ ولا في الأرضِ، فكيفَ تثبتون شيئاً، اللهُ تعالى لا يعلمَ بوجُوده، ولم يأذن به، فهل يكون في الوجودِ الذي خلقهُ اللهُ تعالى شيء لا يَعلمه اللهُ، وأنتم تَعلمونَه؟! وهل أنتم أعلَم مِن الله بما هو كائنٌ ومَا لم يَكُن؟![سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]يونس:18. فاللهُ تعالى منزَّهٌ عن الشركِ، والشُّركاءِ .. وعمَّا يقولُ هؤلاء المشركُون عن شفعائِهم الذين لا وجُود لهم أصْلاً!

* * * * *

قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً

687- [وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا]؛ مَا إن يكشِفَ اللهُ عنهم الشِّدَّةَ، وينقَلِبُوا مِن بعدِ العُسْرِ والشِّدَّةِ إلى رخَاءٍ وسَعَةٍ .. بَدَلاً مِن أن يُسرعُوا في الشُّكرِ لله، والدُّخُولِ في عبادَتِه، أن رَفَعَ عنهم الضَّرَّاءَ والشِّدَّةَ .. يُسرعُون إلى ما كانُوا عليه قبلَ الضَّرَّاءِ مِن كُفْرٍ، ومجُونٍ، واستهزاءٍ باللهِ، وآياتِه، وطَعْنٍ في الدِّينِ .. [قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً]يونس:21. أسرَعُ مِنهم في إبطَالِ مَكْرِهم، واستهزَائِهم، وطَعْنِهم .. وإعَادَتِهم ثَانيَةً إلى ما كانُوا عليه مِن الضَّرَّاءِ، والشِّدَّةِ، والعُسْرِ .. عِندَما تكونُ المعركَةُ بين

الكافِرين والمؤمنين، قد تكونُ للكافِرين جَوْلاتٌ، وجَوْلات، يَنتَصِرُونَ حِيناً، ويُهزَمُون حِينَا .. أمَّا إذا كانَت معركَتُهم معَ اللهِ تعالى مُبَاشَرَةً .. فاللهُ تعالى لا يُحارَب .. وهو الأسْرَعُ مَكراً، وانتِقَاماً .. والمنتَصِرُ فيها واحِدٌ، وهو اللهُ تعالى.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم

688- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم]يونس:23. لا يَفْرَحْ بَاغٍ عَادٍ بِظَفْرٍ، فعواقِبُ بَغْيِه سَتَنْقَلِبُ عليه في الدُّنْيَا، غيرَ الذي يُدَّخَر لهُ من العَذابِ في الآخِرَة!

689- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم]يونس:23. مَا تَرتكبُونَه مِن شِرْكٍ، وظُلمٍ، وفسَادٍ .. إنما هو بَغيٌ وعدوان مِن عِندِ أنفُسِكُم على الحقِّ المنزَّلِ .. مَا أنزلَ اللهُ به مِن سُلطَانٍ .. وآثَارُه تَرتَدُّ عليكُم، في الدُّنيَا مَزِيداً مِن الشَّقَاءِ، والخرَابِ، وضَنَكِ العَيشِ، وفي الآخِرةِ عذَاباً أليماً .. فأنتم مَن سيَدفَعُ ضَريبَةَ بَغيكم .. فأنتم البَاغِي والمَبْغِيُّ عليه .. ولا تَلومُنَّ إلا أنفُسكم!

* * * * *

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

690- [إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]يونس:24. هكذا هي الحيَاةُ الدُّنيا، بُزُوغٌ وأفُولٌ .. انتفَاخٌ، وانتفَاشٌ، وضُمور .. قُوَّةٌ، وضَعْفٌ، وذُبُولٌ .. خُضرَةٌ، وهَشيمٌ تَذْرُوه الرِّياحُ .. أرحَامٌ تَدْفَع، وقُبُورٌ تَبْلَع .. حياةٌ وموتٌ، لا دوامَ، ولَا بقاءَ لحيٍّ فيها .. تُعطي عطَاءَها البَدِيع

الجميل، وتُخرجُ أسرَارَ وخيرَات باطِنِها، وتَتَزَيَّن وتتجمَّلُ للرَّائين .. فيظنُّ الإنسانُ الجحودُ الجهولُ أن هذا الجمالَ، والعطَاء، والخيرَ مَردُّه إلى الأسبَابِ التي هي مِن عِندِ نَفْسِه، أو من عندِ الطبيعَةِ .. مِن دُونِ اللهِ؛ مِن دُونِ أن يردَّ الفضْلَ فيمَا هو فيه مِن نِعَمٍ وخَيرٍ إلى اللهِ .. فيؤمُن بالسَّبب المخلُوق، ويجحَدُ المسبِّبَ الخالِقَ، واجِد الوجُود .. ويَنظرُ إلى جمالِ الصُّورَةِ، ويجحَدُ جمَالَ المصَوِّر .. ثم هو معَ هذا الاعتقادِ الفاسِدِ، والتَّصوِّر الخاطِئ، الذي يحملُه على العُجبِ، والتِّيهِ، والكِبرِ والتَّعالي، يَظنُّ أنَّه قادرٌ على السيطرةِ والتَّحكُّم بهذا الخيرِ والجمالِ، وهذا العطَاء الذي تُعطيه وتُظهرُه الأرضُ .. وأنَّه قادرٌ على استغلالِه، وتَصريفِه وتَوظيفِه في الاتجاهِ الذي يُريد، من دُونِ اللهِ .. فيَقعُ مَرَّةً ثانيَةً في الغَفْلةِ، والكفْرِ، والجحُودِ، والفُسُوقِ .. ويرسبُ في اختِبَارِ الاستِدْرَاجِ .. فيكونُ سَبباً لزوَالِ النِّعَم، ولنزولِ النِّقَم؛ وسَبباً في زَوالِ واستئصالِ، وأفُول ما على الأرضِ مِن زُخرفٍ، وزينَةٍ، وخَيرٍ .. فيَهلَك كلُّ مَن عليها؛ كأنَّها لم تَكُن موجُودةً، ولم تَعِشْ، وتَنعَمْ مِن قَبْل .. وهاهي الأُمَم الكثيرةُ مِن قَبلِنا ـ وكثيرٌ مِنها كانت أقوَى وأكثر قوَّة وجمعاً من الأمَمِ المعَاصِرَة ـ أين هي ومَا عمَّرته، ومَابنَته، وأينَ هي الزِّينَةُ والزَّخَارِفُ التي كانوا يتَنعَّمُون بها، ويتَمَاجَدُون، ويفتَخِرُون بها .. لا أثَرَ، ولا حِسَّ، ولا وجُودَ لها .. وكما أفلَت تلك الأمَم، وأفلَت معها حضَارَاتُها، وزَخَارفُها، بسببٍ مِن عندِ أنفُسِهم .. فإن الأمَمَ المعاصِرَة ستأفُلُ، ويَزول مجدُها، ونَعيمُها، ومُلْكُها، بما ظَلمَت، وكَفَرت بأنْعُمِ رَبِّها .. فالأمَمُ المعَاصِرَةُ لن تكونَ نشَاذَاً عن الأمَمِ السَّابقَةِ .. فالاستِبدَالُ كما يُصيبُ الأفرَادَ، والجمَاعَات، يُصيبُ الأُمَمَ، والدُّولَ، والحضَارَات .. وهذه سُنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه لا تَتخَلَّفُ، ولا تَتبدَّل .. تَستَدعِي الاعتِبَارَ، والتَّفكُّرَ!

* * * * *

فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ

691- [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ]يونس:32. ليس بَعْدَ التَّوحِيدِ إلا الشِّرْك .. وليسَ بعدَ الإيمانِ إلَّا الكُفْر .. وليسَ بَعدَ السُّنَّةِ إلَّا البِدْعَة!

692- [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ]يونس:32. مَسَارَان مُتَدَابِرَان، مُنفَصِلَان، ومُتَنَافِرَان لَا يَلتَقِيَان، ولَا يَتآلَفَان، وهُما في صِرَاعٍ وتَدَافُعٍ مُستَمرَّين؛ مَسَارُ الحقِّ، ومَسارُ البَاطِلِ .. فالحَقُّ؛ حَقٌّ لَا يَقبلُ القِسْمَةَ ولا المشَارَكَةَ بينَهُ وبينَ الضَّلالِ؛ فليسَ بعدَ الحقِّ؛ نِصْف حَقٍّ، أو ثُلثه، أو رُبعه، أو أكثَر مِن ذلك أو أَدْنَى .. مُفَاصَلَة تَامَّةٌ للبَاطِلِ والضَّلالِ .. فإمَّا حَقٌّ كامِلٌ لا يَشُوبُه باطِلٌ، وليسَ بعدَه إلَّا الضَّلالُ، وإمَّا ضَلالٌ كامِلٌ لا يشُوبُه حَقٌّ؛ وليسَ بَعدَه إلَّا الحَق.

* * * * *

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

693- [قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم]؛ طواغِيتِكُم التي تَعبدُونها مِن دونِ اللهِ؛ أيًّا كانت صِفةُ هؤلاء الطَّواغِيت؛ سواء كانُوا مِن حجَرٍ، أو مِن شجرٍ، أو مِن بَشَرٍ، [مَّن يَهْدِي]؛ مَن يَقدرُ على أن يَهدي ضالاً تَائهاً عن الحقِّ؛ هِدَايَةَ دَلالةٍ أو هِدايَة تَوفِيقٍ، [إِلَى الْحَقِّ]؛ الذي فيهِ سعَادتُه ومَنجاتُه في الدُّنيا والآخِرَة ..؟ الجوابُ قطعاً لا يُوجدُ مِن الطَّواغيت مَن يَقدرُ على شيءٍ مِن ذلك .. فمن اجتمعَ فيه جَهلُ الشيءِ وفَقْدِه، أنَّى يُعطيه للآخَرِين؟! [قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ]؛ ولكن اللهَ تعالى وحده هو القَادِرُ على أن يَهدِيَ هِدايةَ تَوفيقٍ وتَسديدٍ مَن يَشاءُ إلى الحقِّ، ويُجيبُ المضطرَّ إذَا دَعَاه، [أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى]؛ فأيُّهما أولَى بالعبادَةِ، والطَّاعةِ، والمتَابَعةِ مَن كان يملكُ الحقَّ، ويملكُ المنهجَ، والتَّصورَ، والدِّينَ الحقّ، ويَقدرُ على أن

يَهدِيَ إلى الحقِّ، أمَّن كان عاجِزاً، جاهلاً لا يملكُ الحقَّ، ولَا يَقدرُ على أن يَهدي أحَدَاً، ولا نفْسَه إلى الحقِّ، إلَّا أن يهديَه اللهُ، [فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ]يونس:35. أليسَ لكم عقولٌ تَعرفُون بها مَن الذي يجبُ أن يُعبدَ، ويُطَاعَ، ويتَّبع دِينُه .. مَن الذي يجبُ أن تُؤمنُوا به، ومَن الذي يجبُ أن تكفرُوا به، وتَتبرَّأوا مِنه، ومِن عبَادَتِه؟!

* * * * *

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ

694- [وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ]يونس:41. إن رَدُّوا الحقَّ، وكَذَّبُوا به .. وأظهَرُوا عناداً وكِبراً في تَعامُلِهم معَ دَعوةِ الأنبياءِ والرُّسُل .. تَأتي مرحَلَةُ المفَاصَلة، والمبَايَنَة، مرحلةُ البَراء .. وليسَ مرحَلَة المشاركَةِ، وتَقْسِيم الحصَص، والأدوَارِ .. كما يَفعل ذلك كثيرٌ من مُرجفِي هذا العَصْرِ؛ الذين يُشاركُون الباطِلَ في باطلِه لأدْنَى فُتَاتٍ يُرمَى لهم!

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً

695- [إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً]؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد حرَّمَ الظُّلمَ على نفْسِه، ونهَى عن الظُّلمِ، وجَعَلَه بين عبَادِه محرَّماً .. ثم أنَّ الظلمَ يتَنَافى معَ مقتضياتِ أسمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وصفاتِه العُليَا التي تَأبَى الظُّلمَ .. فهو سُبحَانَه إمَّا أن يأخذَ عِبادَه بالعَدْلِ، وإمَّا أن يأخذَهم بالعَفْوِ، والإحْسَانِ، [وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ]يونس:44. وذلك عندما تَنكَّبُوا شَرْعَه .. وتحاكَموا إلى شَرعِ غَيرِه، والذي إليهِ يُرَدُّ كلُّ ظُلْمٍ.

* * * * *

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ

696- [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ]؛ لهولِ يوم الحشْرِ يَظنُّون أنَّ آلافَ السِّنين التي عاشُوهَا في حياتِهم الدنيا، وفي عالَمِ البرزَخ، مُجرَّد ساعةٍ مِن النَّهارِ .. فيُدركُون حقارَة ووضاعَةَ ما كانُوا فيه في الحياةِ الدُّنيا ـ التي كانوا يَتهافَتُون عليها، وعلى متَاعِها ـ منذُ اللحظاتِ الأولى مِن الحَشْرِ، ومِن خرُوجِهم من القبُورِ، [يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ]؛ يتعارَفُ الأقاربُ، ويتعارفُ المعارِفُ، والأصدقاءُ والأخِلَّاء، وما كان مِنهم في الحياةِ الدُّنيا مِن عمَلٍ، ومواقفٍ، يتَذاكرونَها فِيما بينهم .. ثم لهولِ الموقفِ سرعانَ ما يَنتهي هذا التَّعارُف، والتَّحَاور، ويتفرَّقُون .. كلُّ نَفْسٍ مشغُولةٌ مَهمومَةٌ، تَستشوفُ ما يَنتظرُها، ومَا ستؤولُ إليه، [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ]؛ هنالك يُدركُ المكذّبون بيوم البعْثِ، والمكذّبُون بالإيمانِ فداحَةَ الخسَارَةِ التي وقَعُوا فِيها، ولحقَت بِهم، والتي لا تُجبَرُ أبَداً، [وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ]يونس:45. وأنهم لم يكونُوا موفَّقِين باختيارِهم للكفْرِ على الإيمانِ!

697- مِن أسَاليبِ القُرآنِ العظيمَة البَديعَةِ ـ زيادَةً في إقامَةِ الحجةِ على الناسِ ـ أنه يَنقلُ مِن الماضِي إلى الحاضِرِ، ومن المستقبَلِ إلى الحاضِرِ، الصُّورَ، والمشَاهِدَ، والحقَائِقَ، والمعَاني كما هي، وكما كانَت، وكما ستَكُون .. كأنَّك تَرَاها بعينِ رَأسِك .. وفي ذلك عِظَةٌ وعِبرةٌ للمتَّعظِين، والمعتَبِرين .. وزيادَةً في الحجةِ على الجاحِدين الكافِرين .. وحتَّى لا يَقُولُوا يومَ القِيَامَة: لم يَصِلْنَا بَلَاغٌ، ولَا عِلمٌ عما سَتؤولُ إليه، ولَمْ يُرسَل إلينَا رسُولٌ مِن اللهِ، يخبرُنا عمَّا كانَ، وعمَّا سيكُون!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

698- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ كلُّ النَّاسِ، [قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ]؛ لمن أرادَ أن يتعظَ، ويَعتبرَ، ويتذكَّر .. وهي القُرآن الكريم؛ [مِّن رَّبِّكُمْ]؛ الذي خلقَكُم .. وليسَ من غيرِه .. فالقرآنُ كلامُه .. فلا تنسبوا القرآنَ الكريم إلى أحدٍ غير الله .. وموعِظةٌ جاءَت إليكم من ربِّكم الذي خلقكم حريٌّ بكم أن تحسنُوا الإصغَاءَ إليها، [وَشِفَاء لِمَا فِي الصُّدُورِ]؛ لما في القُلوبِ مِن أمراضٍ معنويَّةٍ، ونفْسيَّةٍ؛ كالجهلِ، والشَّكِّ، والقَلَقِ، والوسْوسَةِ، والنِّفاقِ، والحَسَدِ، والكآبَةِ، وضيقِ الصَّدْرِ، وغيرِها من الأمراضِ القلبيَّةِ والنفسيَّةِ .. فجميعُها تجدُون شفاءَها في القُرآنِ الكريم، ومَن لم يجدْ في القرآنِ شفاءً لما يَعتلجُ في صَدرِه من أمراضٍ ووسَاوس، فلن يجده في مَصدرٍ آخَر، [وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ]يونس:57. للمؤمنين خاصَّة؛ لأنَّ مَن لا يُؤمن بالقُرآنِ الكريم .. لن يزيدَه كفرُه إلا ضَلالاً، وتِيهَاً، وضيَاعَاً .. ومثله مثَل المريضِ الذي يَصلُه الدواءُ، فيردّه، ويرفضُ تناولَه؛ فأنَّى يَستفيدُ منه!

* * * * *

قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ

699- [قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ]يونس:59. ممَّا دَلَّ عليه النَّقلُ والعقلُ أن الكونَ كلَّه وما فِيه مِن مخلوقاتٍ وأرزاقٍ .. مخلوقٌ مَرْبُوبٌ للهِ تعالى وحدَه .. فاللهُ تعالى هو الخالِقُ، وهو الذي خَلَقَ .. وهو الرَّازقُ، وهو الذي رَزَقَ .. ومَن كان له الخلْقُ، والمُلْكُ، له الحقُّ وحدَه في أن يحدِّدَ ما هو حَلالٌ، وما هو حَرامٌ .. وأن يقولَ لعبادِه: هذا حَلالٌ، فأحِلُّوه .. وهذا حرامٌ فاجتنِبُوه، وحرِّمُوه .. أمَّا مَن لا يَخلقُ، ولا يملِكُ، ولا يَرزقُ إلا أن يُرزَقَ .. وهو مرْبُوبٌ مخلُوق .. لا يحقُّ له أن يحكمَ على شَيءٍ - مِن تلقاءِ نفْسِه وبغيرِ سلطانٍ مِن

اللهِ ـ لم يخلقْهُ، ولم يملِكْهُ ـ إلا على وجهِ الاستئمانِ ـ بأنَّه حلالٌ أو حَرامٌ .. وأن يقولَ للناسِ: هذا حلالٌ فأحِلُّوه .. وهذا حَرامٌ فحرِّمُوه .. ويجعلُ مِن نَفْسِه عليهم رَبَّاً ومُشرِّعَاً!

ولما تجرَّأ فريقٌ من الطغَاةِ ـ لم يَقتصِرْ وجودُهم على زَمَنٍ دونَ زمَن ـ على هذا الفِعلِ الشَّنيع؛ فزَعمُوا لأنفُسِهم الربوبيَّةَ والألوهيَّةَ .. وأنَّ لهم الحق، في أن يُحلُّوا ويحرِّمُوا ما يَشاؤون .. ومَا على الناسِ إلَّا اتباعُهم وطاعتُهم فِيما يُحلُّون، ويحرمُون .. أنزلَ اللهُ تعالى قولَه فِيهم، تَوبيخاً وتَقْريعاً لهم:[قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ]؛ هل استأذَنتُم اللهَ الخالقَ المالكَ، الذي أنزلَ لكم الرِّزقَ .. فأذِنَ لكم في تحليلِ مَا تُحلُّونَه، وتحريمِ ما تُحرمونَه .. فإن لم يكنْ شيءٌ مِن ذلك .. واللهُ لم يأذَن لكُم .. فكيفَ تتجرَّؤون على تحليلِ وتَحريمِ مَا لا تَخلقُون ولا تملِكُون .. فتقولُون للناسِ، وبغيرِ سُلطانٍ من اللهِ: هذا حَلالٌ، وهذا حَرامٌ .. [أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ]؛ أم أنَّكم تَكذبُون؛ فتردُّون تحليلَكُم وتحريمَكُم للأشياءِ إلى اللهِ تعالى كذِباً وزُوراً .. لتضلوا الناسِ باسمِ اللهِ، واللهُ تعالى من ذلك بَرَاء .. فيجتمعُ عليكم وِزْرَان: وزرُ تَحليلِ الحرامِ، وتحريمِ الحلالِ .. ووزرُ الكذبِ على اللهِ، ونِسْبَةُ الكَذِبِ إلى الله!

* * * * *

إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

700- [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ]؛ أيُّ شَأنٍ مِن شُؤون الدِّينِ والدُّنيَا .. والخطابُ موجهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه، وللناسِ أجمعين، [وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ]؛ خُصَّت تِلاوةُ القرآنِ الكريم بالذِّكْرِ مِن عمومِ العَمَلِ، و " الشَّأن "؛ لبيانِ فضلِ وشَرفِ التِّلاوَةِ، [وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ]؛ أيَّاً كان هذا العمَل؛ سَواءٌ كان في مجالِ الخيرِ أم الشَّرِّ، وسَواءٌ كان عامَّاً أم خاصَّاً، ومهمَا كان دَقِيقاً أو خَفِيَّاً، [إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً]؛

محيطين بِكم وبأعمالِكم، نراكُم، ومَا تفعلُون، لا يخفَى علينَا مِن شَأنِكُم شَيئاً، [إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ]؛ عندما تخوضُون وتباشِرُون العملَ؛ أيّاً كانَ هذا العملُ؛ سواءٌ كان العملُ في اتجاهِ الخيرِ أم في اتجاهِ الشَّرِّ .. فنحنُ نعلمُه، ونُبصُره، [وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ]؛ لا يخفَى ولَا يَغيبُ عن اللهِ تعالى شيءٌ مِن خَلْقِه، ولَا مِن أعمالِهم، مهمَا كان هذا الشيءُ دَقيقاً وصَغيراً، وأيَّا كان موقعُه؛ في السَّماءِ أم في الأرضِ، في البرِّ أم في البحرِ، [مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ]؛ حتَّى لو كان هذا الشيءُ بوَزنِ الذَّرَّةِ؛ وهي أصغَرُ جزءٍ من الجِّسْم، لَا يمكنُ أن يُرى بالعينِ المجرَّدَةِ .. فاللهُ يعلمُه، ويراه، [فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ]؛ أي أصغَر مِن الذَّرَّةِ؛ وهو ما اكتشفَه العِلمُ مؤخَّراً أنَّ الذَّرةَ على صغرِ حجمِها، يوجدُ ما هو أصغرُ مِنها؛ حيثُ أن الذَّرةَ ذَاتها تتكوّنُ مِن جُسيماتٍ دقيقةٍ جِدّاً من البروتونات، والنيوترونات، [وَلا أَكْبَرَ]؛ من الذَّرَّةِ، [إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]يونس:61. إلا وهو مدوَّنٌ ومكتوبٌ في الكتابِ الأكبرِ ـ اللوحُ المحفُوظ ـ قبل أن يخلقَ اللهُ الخلقَ بخمسينَ ألفَ سَنَةٍ .. قِمَّةٌ في الضَّبْطِ، والتَّحكُّمِ، والعِلمِ، والإحاطَةِ .. رَبُّ هذه بعضُ صِفاتِه سُبحانه ألَا يَستحِقُّ أن يُعبَد، وأن يُفرَدَ بالعبادَةِ؟! بَلَى .....!

* * * * *

أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ

701- [أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ]يونس:62. الوَلِيُّ لا يكونُ وليّاً إلَّا بأرْبَعٍ: الإخْلاصُ، وحُسْنُ المتَابَعَةِ للسنَّةِ، والجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ، وحِلُّ المأكَلِ، والمشْرَبِ، والمَلْبَسِ .. والذين يَنسبُون الولايةَ للمجانِين، والمهابيلِ، الدَّنسة ثيَابهم، وأبدانهم .. فقد أسَاؤُوا الأدَبَ معَ اللهِ!

* * * * *

إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً

702- [إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً]يونس:65. لم يَجْعل اللهُ مِنَ العِزَّة شَيئاً لِغَيرِه، تُلتَمَس مِنْه .. فهو سبحانه عَزيزٌ بِذَاتِه، له العِزَّةُ جَمِيعاً .. وما سواه عَزِيزٌ بِهِ لا بِذَاتِه، لا يَمْلِكُ مِن العِزَّةِ شَيئاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ .. ومَن كان يُرِيدُ العِزَّةَ، وسَعَى لها سَعْيَها، فليَطْلُبْها بِطَاعَةِ مَن لَهُ العِزَّةُ جَميعاً.

* * * * *

إِنَّ اللّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ

703- [إِنَّ اللّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ]يونس:81. مَن بنَى عملاً صالحاً على فسَادٍ .. وأدخلَ حراماً على حَلالٍ، أو أدخلَ حَلالاً على حرَامٍ .. أو عملَ عمَلاً صالحاً، أرادَ به باطلاً، وفسَاداً .. فاللهُ تعالى يُبطِلُه، ويَمحَقُه، ولا يَقبلُه .. اللهُ تَعالى طيِّبٌ، لا يَقبلُ، ولا يُبارِكُ إلَّا طيِّباً.

* * * * *

قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

704- من نّعمِ الله تعالى، وفضلِه، وكمالِ حُجَّته، أن مَنَّ على عبادِه بقرآنين: قرآنٌ مسطورٌ منزَّلٌ نقرؤه ونتدبّر آياتِه. وقرآنٌ صامتٌ منشورةٌ آياتُه في السماواتِ والأرض، نلحظُها ونتأمّلُها على مدار الوقت، [قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] يونس:101. أحدُهما يُصدّق الآخر، ويؤكدُ ويدلُّ عليه، إن شَكَكتَ بأحدهما، ناداك الآخر أن انظر في آياتي نظرَ تدبّرٍ وتعقّل، سيَذهبُ عنك ما شَكَكتَ فيه، ويرتدَّ إليك يقينُك، [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ]فصلت:53. أي أن القرآنَ المسطورَ المنزَّل حقٌّ لا ريب فيه.

705- [قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]يونس:101. يَا مَن أكثرتَ مِنَ النَّظَرِ في الأرْضِ، وفي شِعَابِها، ودُرُوبِها، ومَشَاغِلِها .. لَا تَغفَلْ عنِ النَّظرِ إلى السَّماءِ، ومَاذَا في السَّماءِ، ومَاذَا تَنَزَّلَ، ويَتَنَزَّلُ مِن السَّمَاءِ ...؟!

706- هناك كتابٌ مفتوحٌ منشورٌ للجميع، من لا يُحسِن القراءةَ والنظرَ فيه لا يُحسن القراءة والنظر في غيرِه من الكتُب؛ ألا وهو كتابُ السماواتِ والأرض، وما فيهما من آياتٍ باهرات، تدلّ على عظمةِ الخالقِ سبحانه، وأنّه لا إله إلا الله، قال تعالى:[قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]؛ نظرَ اعتبَارٍ، وتدَبُّرٍ، وتأَمُّلٍ، [وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ]يونس:101.

* * * * *

وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ..

707- [وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ]؛ إلَّا اللهُ، فاللهُ تعالى وحده هو الذي يكشفُ الضُّرَّ عَنك .. ولو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ على أن يكشفُوا عنكَ ضُرَّاً مِن دُونِ اللهِ تعالى، لَا يَستطيعُون .. وبالتَّالي لا يجوزُ لكَ يا عبدَ اللهِ أن تَلتمِسَ كشْفَ الضُّرِّ مِن غائبٍ، أو ميّتٍ، أو قَبرٍ، فهذا مِن الشّركِ، والمشْركُ هو الذي يَفعلُ ذلك،[وَإِن يُرِدْكَ]؛ اللهُ [بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ]يونس:107. فلو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ، وكانَ بعضُهم لبعضٍ ظَهِرِيَّاً على أن يمنَعُوا عنكَ خَيراً كَتبَه اللهُ وأرادَهُ لكَ .. لَا يَقدِرُونَ أن يمنَعُوه عنْكَ .. فالضَّارُّ والنَّافعُ هو اللهُ تَعَالى وحْدَه .. وبالتَّالِي فإنَّ التماسَ النَّفْعِ من غَائبٍ، أو ميّتٍ، أو قَبرٍ من الشّركِ، والمشركُ هو مَن يَفعلُ ذلك!

فإن قِيل: فما بالُ الأسبابِ التي يتعَاطَاها النَّاس، ويَنتفعُون بها، كالتماسِ الدَّواءِ، والسَّعي في طلَبِ الخيرِ والرِّزقِ، ودَفعِ الشَّرِّ، وغَيرِها مِن الأمُور ..؟

أقول: السَّعيُ وتَعاطِي الأسباب المتَاحَةِ في دَفْعِ الضُّرِّ، وجَلبِ النَّفعِ .. هذه مَسألَةٌ أُخرَى .. وهي مَشرُوعة .. وأحياناً تكونُ واجِبَةٌ .. على أن يبقَى الاعتقَادُ أنَّ هذه الأسباب والوسائل لَا تَنفعُ، ولا تَضرُّ بذَاتِها .. وإنما اللهُ تعالى هو الذي أودَعَ فيها خاصِيَّةَ الخيرِ أو الضُّرِّ .. إن شاءَ لهذهِ الأسبَابِ والوسَائلِ أن تَعمَلَ عملَها، وتُعطي عطَاءَها، أعطَت وعَمِلَت بإذن رَبِّهَا .. وإن لم يَشَأْ أن تَعملَ عملَها، ولَا تُعطي عطَاءَها، فَلا تُعْطِي عطَاءَها، ولَا تَعمَلُ عملَها المرْجُو .. كَمْ مِن دَوَاءٍ لم يُعطِ عَطاءَه المرجُو .. بَل وأحيَاناً يَزيدُ الدَّاءَ استفْحَالاً، ويكونُ سَبباً في وفاةِ صَاحِبِه .. ليبْقَى القَلْبُ متوكِّلاً على اللهِ، ومُتعلِّقاً بخالِقِه وخالقِ الأسبابِ .. وخَالقِ الدَّاءِ والدَّواء.

* * * * *

وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ

708- [وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ]يونس:107. الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مُباركاً فيه .. أن لا أحَدَ يقدرُ أن يردَّ فضْلَ اللهِ عليك، لو أرادَك بفضلٍ أو خَيرٍ .. لو اجتمعَت الإنسُ والجِنُّ، ومعهم الملائكةُ أجمعين على أن يمنعُوا عنكَ خَيراً يُريدُك اللهُ به .. لا يَقدِرُون .. إنَّها لنعمةٌ عظيمةٌ نَسألُ اللهَ تعالى أن يُعرِّفَنَا قَدْرَهَا، وأن يُعينَنا على شُكْرِهَا .. تَصوَّر يا عبدَ اللهِ لو أنَّ مشيئةَ اللهِ تعالى معلَّقةٌ بمشيئةِ أحَدٍ مِن خَلْقِه، لَا يُنجَزُ من مَشيئةِ اللهِ شيءٌ إلَّا بعدَ أن يَشاءَ الآخَرُ .. كم ستكونُ الحسرَةُ، وتكونُ المأساةُ عظيمةٌ على هذا الكونِ كله ومَن فيه .. تأمَّل الراحَةَ النَّفْسيَّة، والاطمئنانَ الذي يَرتدُّ عليك .. وأنتَ تدعُو وتَسأل اللهَ ـ مهما أعظَمتَ في المسْألةِ فليسَ على اللهِ شيءٌ عظيم ـ وأنت تَعْلمُ يقيناً أن لَا أحَدَ يَستطيعُ أن يُحيلَ بين مسألتِك وبينَ اللهِ .. ليسَ بينَك وبينَ اللهِ وسطَاء ولا شُفَعَاء .. ولا بوَّابين تحتاجُ إلى استئذانِهم قبلَ دخُولِك على اللهِ .. للهِ الحمدُ والمنَّةُ والفَضْلُ.

* * * * *

كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ

709- [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ]هود:1. ما مِن مُتشَابَهٍ في القرآن الكريم، إلا وبجوارِه مُحْكَمٌ من القرآن الكريم يُفسِّرُه، وينقلُه من المُتشَابَه إلى المحْكَمِ، ويَصرِف عنه صِفَةَ التَّشَابُه .. فيكون القُرآن الكريم بهذا الاعتبارِ كُلَّه مُحْكَمٌ لا تَشابُه فيه.

المتَشَابَهُ في القرآنِ الكريم أمرٌ نسبي، يختلفُ من شخصٍ لشخص، ومن عالِمٍ لآخَر؛ فما تشَابَه وأشكَلَ معناهُ الرّاجحُ عليك، قد يكون عند غيرِك واضحاً مُحْكَماً .. ثم لو رددْتَ ما تَشابه عليك إلى أهلِ العِلم؛ الذين يعلمون تأويلَ الكِتاب، والمتشابَهَ مِنه، لذَهبَ عنك التَّشابُه والإشكالُ، وأصبحَ المتشابه عليك مُحْكَماً.

* * * * *

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

710- [لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]هود:7. البَلاءُ نوعان: بَلاءٌ كَوْنِيٌّ، وبَلاءٌ شَرعيٌّ؛ البلاءُ الكوْني هو البَلاءُ القَاهِرُ الذي ليسَ للإنسانِ فيه اختيارٌ في قُبُولِه أو رَدِّه، وهو فوقَ قدرَتِه على ردِّه، ومعالجتِه، كالبَلاءِ الذي يَنزلُ في الجسَدِ، وكالجُوعِ، ونَقْصٍ في الأموالِ، والأنفُسِ، والأمراضِ، والخَوفِ، والأوجَاعِ، والضَّعْفِ، والعَجْزِ بعدَ قوَّةٍ، وكالبَلاءِ الناجِمِ عن الكوَارِثِ الطبيعيَّةِ، ونحوها، مِثالُه في كتابِ الله:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. وبَلاءٌ شَرعيٌّ؛ للإنسانِ دَورٌ واختيَارٌ في قبولِه أو رَدِّه؛ يترتَّب البلاءُ على نوعِ اختيارَاتِه، كالبَلاءِ النَّاجِم عن اختيارِه للجهادِ في سبيلِ اللهِ .. وكالذي يُبتلَى في دينِه وإيمانِه؛ إن اختارَ الإيمانَ على الكُفرِ، تَعرَّضَ للتعذيبِ، والسجْنِ، والتَّهجِيرِ بسببِ اختيَارِه .. كذلك الذي يختَارُ الحقَّ على الباطِلِ .. والحلالَ على الحرَامِ .. ومَا قَد يترتَّبُ على اختياراتِه

ومواقفِه مِن بَلاءٍ، وشِدَّةٍ .. فهو يَعلمُ مُسبَقاً أنه سيُبتَلَى، بحسبِ نوعِ اختيارِه، والجهةِ التي يَنحازُ إليها، ويَصطفُّ معَها .. كما حصَلَ للسَّحَرَةِ مع فرعون لما آثَرُوا واختارُوا الإيمانَ على الكُفْرِ، وآثَروا عبادَةَ اللهِ تعالى على عِبادَةِ فرعون الطَّاغُوت .. وآثَرُوا الاصطفافَ معَ مُوسى وهارُون، والمؤمنين .. كانوا يَعلمون مسبقاً أنَّ اختيارَهم هذا سيعرِّضَهم للبلاءِ والتَّعذيبِ، كما قالَ تعالى عن اختيارِهِم الإيمانِي، والحوارِ الذي حصَلَ بينهم وبين الطاغيةِ فرعون:[قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى . قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا]طه:71-72. ولِكِلَا النَّوعَين مِن البلاءِ يحتاجُ صَاحبهمَا إلى الصَّبرِ .. وله أجْرٌ على صَبْرِه واحتِسَابِه .. لكن أعظم النَّوعَين بَلاءً، وأعلاهمَا درَجَةً، وفضْلاً، وأجْراً البلاءُ الشَّرْعي، والصَّبرُ عليه؛ لأنه تمَّ باختيَارِ صَاحِبِه، بخلافِ النَّوعِ الآخَرِ مِن البَلاءِ فإنَّه لَا خِيارَ لهُ فِيه.

* * * * *

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ

711- [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ]هود:12. أحيَاناً يَدخلُ المسلمُ مجتمعَات، ويُخالطُ تجمُّعَات غير مُسلمةٍ، ولَا مُلتزِمَةٍ .. فيَشعر بالحرَجِ مِن أن يُظهِرَ بعضَ الشَّعَائِرِ، والشَّرائِع، والأحكامِ الإسلاميَّةِ ممَّا يَتعيَّن عليه أن يُظهرَها، ويُبلِّغَها للآخَرين؛ خَشيةَ أن يَسخرُوا منه، أو أن يَعترضُوا عليه باعتراضَاتٍ تُحرجُه .. فيمتنعُ عن إظهَارِها، والإشهارِ بها .. لَا؛ لَا تَفعل ذلك؛ فهذا شعُورُ ضَعْفٍ يتَنافَى معَ عِزَّةِ المسلم، ومعَ قوَّةِ الحقِّ المنزَّلِ الذي يَعتنقُه، ومعَ الأمانَةِ التي أُمِرَ أن يُبلِّغها للآخَرين مِن غيرِ

خَوفٍ، ولا إرجَافٍ، ولا ارتِعَاشٍ مِن العواقِب .. فعلَى الدُّعَاةِ إلى اللهِ البَلاغ؛ والبَلاغ الكامِل مِن غيرِ نُقْصَان لشيءٍ مِمَّا أنزَلَهُ اللهُ .. وعلى اللهِ الحِسَاب.

* * * * *

مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

712- [مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا]؛ من اقتصرَ سَعيُه، وانحصرَت اهتماماتُه في تحصيلِ الدُّنيا ومتَاعِها وحَسْب .. وسَعَى لذلك سَعْيَه، وانحصَرَ في ذلك قصْدَه، [نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا]؛ يُعطون في دُنياهم ما سَعَوا إليه، وقَصَدُوه، حتى لو كانُوا كافرين، فالدُّنيا لا تُحجَب عن أحَدٍ؛ فهي معروضة على الجَميع، على الكافرين والمؤمنين سَواء، [وَهُمْ فِيهَا]؛ في دُنْيَاهم، [لاَ يُبْخَسُونَ]، لا يُنقَصون ولا يُظلَمون شيئاً مما سَعوا إليه .. فالعطاءُ الدُّنيوي متاحٌ لكلِّ من سَعى له سَعيه، وما كان قَط علامةً على رِضا ومحبَّةِ الخالِق سُبحانه .. [أُوْلَئِكَ الَّذِينَ]؛ انحصرَت مطالِبُهم واهتماماتُهم، ومساعيهم في الدُّنيا، ومتَاعِها، وزينتِها وحسب، [لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ]؛ لأن الآخِرَةَ لم تكن من جملة اهتماماتِهم، وحساباتِهم، ولم يَسعوا لها سَعيها، فليس لهم حظٌّ سوى النار، [وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا]؛ في الدُّنيا من عَملٍ صَالح؛ لأنهم لم يكونوا يُريدون من أعمالهم الصَّالحةِ وجهَ اللهِ، ولا الدَّارَ الآخِرَةِ .. فكافأهم اللهُ على أعمالهم في الدُّنيا، من جِنسِ أعمالهم ومَسْعاهم، فإذا جاء يومُ الآخِر، حبطَ وبطلَ ما كانوا يَعملون من عملٍ صَالح؛ لِشِرْكِهم؛ فالشِّرْكُ يُحبطُ ويبطلُ العملَ، وما كانوا قد عَمِلُوا من عَملٍ صَالح، [وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]هود:15- 16. كما في الحَديثِ الصَّحيح الذي أخرجَهُ مسلم:" إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلهِ في الدُّنْيا، حتَّى إذا أفْضَى إلى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها ".

* * * * *

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ

713- [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ]هود:17. الحقُّ لا يُعرَفُ بكثرَةٍ أو قِلَّةٍ .. وإنما يُعرفُ بالحقِّ المنَزَّلِ، وبموافَقَةِ الحقِّ المنَزَّلِ .. والأكثريَّةُ ليسَت دائماً دَليلاً على الحقِّ الذي يجبُ أن يُتَّبَع .. فلو اجتمعَت الأكثريَّةُ على عدَمِ الإيمانِ باللهِ، فاجتماعُها باطِلٌ، ومَردُودٌ، وأكثريَّتها لا تُحيلُ الحقَّ باطِلاً، ولَا البَاطِلَ حقّاً كما تُقرِّرُ الديمقراطِيَّاتُ المعَاصِرَة؛ التي تَدورُ معَ الأكثريَّةِ واختيَارِهَا حيثُما دَارَت؛ ولو كان في اختيارِها وحُكمها فسَادُ وخرَابُ البِلادِ والعِبَادِ!

* * * * *

أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

714- [أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ]هود:18. انتَبِهْ أنْ تكونَ مِن الظَّالمين؛ فتَلْعَنُ نَفْسَكَ وأنتَ تَتْلُو القُرآنَ، وأنتَ لَا تَدْرِي!

* * * * *

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً

715- [الَّذِينَ يَصُدُّونَ]؛ النّاسَ، ويَدفَعُونَهم بكلِّ ما أُوتُوا مِن قُوَّةٍ، وقدرَةٍ على الإغْواءِ، والإغراءِ، ومَا أُوتُوا مِن وسَائِلِ التَّرهِيب، والتَّرغِيب، [عَن سَبِيلِ اللهِ]؛ عن صراطِ اللهِ المستقِيم؛ الذي فيه سعَادَةُ النَّاسِ ونجاتِهم في الدُّنيَا، والآخِرَة، [وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً]؛ ويَبغُون حياةً عوجَاءَ، مائلَةً عن الحقِّ، والإيمانِ، مُتفَلِّتةً مِن قيودِ الطُّهرِ، والفَضِيلَةِ، والاستِقَامَةِ .. حياةً تَميلُ معَ أهوائِهم ورغَباتِهم حيثما مَالُوا، ورَغِبُوا، مِن غيرِ

رَقِيبٍ ولا حَسِيبٍ، [وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ]هود:19. وهم مع هذا التَّفَلُّتِ والعِوَجِ، والضَّلالِ، والفسُوقِ، فإنَّهم لَا يُؤمنُون بيومِ الحِسابِ، ولا بجنَّةٍ ولا نَارٍ!

* * * * *

وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ

716- [وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ]؛ على الدِّينِ وتَبْلِيغِه، [مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ]هود:29. مَا مِن نَبِيٍّ إلا وكان يَبتَدئُ قَومَهُ، بقولِه:[لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً]؛ لِيُنزِّه دَعوتَه عنِ الظُّنونِ، وعن المآربِ الدُّنيويّةِ والماديّة .. وهو أَطْهَرُ، وأدْعَى للقبولِ، والاسْتجابَةِ .. والعُلماءُ ورَثَةُ الأنْبيَاءِ في هَذا النَّهْجِ، ينَبغي أن يترَفَّعوا عمّا تَرفَّع عنهُ الأنبياءُ، وأن لا يجعلُوا الأجْرَ شَرْطَاً للدَّعْوةِ والتَّبليغ!

* * * * *

وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً

717- [وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ]هود:31. لَا تُدْخِلْ نفْسَك بينَ اللهِ وبين عِبادِه، فتحكُم عليهم، وعلى مآلِهم عندَ اللهِ تعالى، فِيما ليسَ لك بهِ عِلم .. فتَظلم نفْسَك، وتَظلم الآخَرين .. فرُبَّ فَقِيرٍ، أشْعثَ، أغبرَ، مَدفُوعٍ بالأبوابِ، ولو استأذَن لَا يُؤذَن له .. خَامل الذِّكْرِ، لَا يُؤْبَه له .. هو عندَ اللهِ مِن المقبُولين، وأنتَ لَا تَدْرِي .. ورُبَّ مَشهُورٍ، واسع السِّيطِ والذِّكْرِ، يُشارُ إليه بالبَنَانِ، تُفَتَّحُ له الأبوابُ، ويُوسَّعُ له في المجَالِس .. هو عِندَ اللهِ مِن المبغُوضِين المسْخُوطِين، وأنتَ لَا تَدرِي .. فَدَع مَا في القُلُوبِ لِعَلَّامِ الغيُوب .. فبينَ اللهِ وبينَ عِبَادِه أَسْرَارٌ لَا يعلَمُها إلَّا اللهُ!

* * * * *

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاءَ

718- [قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ]هود:33. تُعرَض الآياتُ السَّمعيَّةُ، والكونيَّةُ، والحُجَجُ العلميَّةُ البَاهِرات، على الكفَّارِ الملحِدين، فَلا يَأبَهون بها، ولَا يَرون فِيها حجَّةً تَردُّ باطِلَهم .. فيَستعجلُون من الآياتِ نزولَ العذَابِ بهم، ويُطالبون الأنبياءَ وأتباعَهم من المؤمنين أن يُنْزِلَ اللهُ بهم العذَابَ، ويَروا العذَابَ يتنزَّل رأي العين؛ ليتثَبَّتُوا أنَّ اللهَ تعالى حقٌّ .. ولكَي يُؤمنُوا بدعوةِ الأنبياءِ والرسلِ أنَّها دَعوةَ حَقٍّ .. فلَا ينكَفِئون عن باطِلهم وكُفرِهم، وعنَادِهم، إلا بعدَ أن ينزلَ اللهُ بهم العَذابَ .. ومَاذا تَنفعهم آياتُ العَذابِ بعدَ أن يُصبحوا صَرْعَى، وهلْكَى، وضحَايَا من ضحَايَاها .. ثم آياتُ العَذابِ ليسَت متعلّقة بمشيئةِ ورغبةِ مخلُوقٍ، أيّاً كان هذا المخلُوق، لكي تُطلبَ منه .. فالأمرُ كله بيدِ اللهِ؛ إن شاءَ أنزلَ عليهم العذابَ، وحِينئذٍ لَا رادَّ لقضَائِه وحُكمِه، ولَا مَفرَّ، ولَا مَنجَى للكافِرين مِن عذابِه وانتقَامِه.

* * * * *

وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ

719- [وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ]هود:34. أنتَ ـ أيّاً كانَت صِفَتُك العلميّة والدَّعويَّة ـ عليك أن تَنصحَ نُصحَ البيَانِ، والدَّلالَة على الحقِّ، والهُدَى .. فَمهمَا حرصتَ على هِدايَةِ مَن تُحب له الهِدَاية، وبذَلتَ له النُّصحَ، فلَن تَقدِرَ على هِدايَتِه، ولَا يَنتفعُ مِن نُصْحِك له .. وذلك أن هِدايَة التَّوفِيقِ، والاستجابَةِ هي للهِ تَعالى وحدَه؛ فاللهُ تعالى يَهدِي مَن يَشاء، ويُضِلُّ، ويُهلك مَن يَشَاء .. ومَن كان يُريدُ اللهُ أن يُهلِكَه بذنُوبِه، ومعَاصِيه، وكِبرِه، وإعرَاضِه .. أنَّى له أن يَنتفعَ مِن نُصْحِ النَّاصِحين له؟!

* * * * *

إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ

720- [إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا]؛ في الدُّنيا؛ فتستهزئُون بِنَا، وبدِينِنا، وما نزلَ بنَا مِن شدَّةٍ وبلاءٍ، وتُظْهِرُون الشَّمَاتَةَ، [فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ]؛ يومَ القِيامَةِ، يومَ تُسَاقون إلى جهَنَّم، وترَونَ العذَابَ الأليم، وليسَ لكُم منه مَفَرٌّ ولا مَنجَى، [كَمَا تَسْخَرُونَ]هود:38. كما كُنْتُم تَسخَرون مِنَّا في الحياةِ الدُّنْيَا .. فنقَابلُكُم مِن جِنْسِ فِعْلِكم؛ استهزاءً باسْتِهزَاءٍ .. وشَتَّان شَتَّان بينَ الاستهزَائَين!

* * * * *

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ

721- [وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ]هود:43. الأبُ الرؤوفُ الحريصُ على إيمانِ ولَدِه، ونجاتِه، في جانبٍ .. والولَدُ الكافِرُ؛ الذي غرَّتهُ نفْسُه، وغَرَّته الأسبابُ، في جانبٍ آخَر .. وبينهما مَوجٌ يَلطمُ بعضَه بَعضَاً، يَعْلُو علُوَّ الجبالِ، وينخفضُ انخفَاضَ السُّهولِ والوديانِ .. في هذا المشْهَد المهِيب، والمخِيف، يُنادِي الأبُ ابنَه بأعلَى صَوتِه، يُغالِبُ صَوتَ الأمواجِ، [يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ]؛ فيجيبُه الولَدُ بنداءٍ مُقَابل، مُستخِفَّاً، ومُستهتِراً بنداءِ والِدِه، وحرصِه على نجاتِه .. لَا تَقلَقْ عليَّ، [سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء]؛ يَحمِيني مِن المَاءِ، والغَرَقِ، قالَ له الوالِدُ:[لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ]؛ لَا الجبالُ؛ مَهمَا علَت، ولَا غيرُها، فأمْرُ اللهِ غالِبٌ على كُلِّ شيءٍ .. وإذَا قَضَى اللهُ أمْرَاً كان مَفعُولاً .. وهمَا في هذا المشهَدِ، وهذا التَّحاورِ .. يُحيلُ بينهمَا، وبين استمرارِ حوارِهما، علُو الموجِ؛ لَا الأبُ يَقدرُ أن يرَى ولَدَه، ولَا أن يُسْمِعَهُ، أو

يَسمَعَ مِنه شيئاً .. ولا الولدُ يَقدرُ أن يرَى والِدَه، ولَا أن يُسمِعَه، أو يَسمَعَ مِنه شَيئاً، [وَحَالَ بَيْنَهُمَا]؛ وحَجَبَ بينَهما [الْمَوْجُ فَكَانَ]؛ الولَدُ [مِنَ الْمُغْرَقِينَ].

* * * * *

فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

722- [فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ]هود:49. لمن يَستبطِئُ النَّصرَ، والفَتْحَ .. ثم بدَت عليه علاماتُ الاستسْلامِ، والركونِ إلى الظَّالمين .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لِمَن تتكالَبُ عليه العِدَى .. وتتناوشُه سِهامُ الظالمين والمنافقين مِن كلِّ حدَبٍ وصَوْبٍ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يَستوحِشُ من الغُربةِ وقلَّةِ الأعْوَانِ والأنصَارِ .. ويَرَى من الناسِ نفُوراً من الحقِّ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لمن يستوحشُ طولَ الطَّريقِ .. وتَضعفُ نفْسُه عن المواصَلَةِ وإتمامِ المسيرِ، ومقاومَةِ التَّحدياتِ .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن أصابتهُ رَهبَةٌ وخَشيةٌ من قوَّةِ الطغاةِ الظالمين وجُندِهم .. وظَنَّ أن لا قائمَةَ للحقِّ وأهلِه .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن دَاهمتهُ المحنُ والهمُومُ .. وتراكمت عليه البَلايا والخُطُوب .. وظَنَّ أن لا مَنْجَى ولا مخرجَ منها .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لَمَن آلمه ظلمُ الظَّالمين .. ثمَّ لم يجِدْ سَبيلاً ولا مُعيناً للانتصافِ ممَّن ظلمَه .. يُقالُ له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

* * * * *

وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ

723- [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ]هود:53. القُوَّةُ التي يَزيدُها اللهُ تعالى بِسَبَبِ الاسْتِغْفَارِ، شَامِلَةٌ لجميع أنْواعِ القُوَّةِ المادِيَّةِ، والمعْنَوِيَّةِ، قُوَّةُ الإيمانِ .. وقُوَّةُ الصِّحَّةِ والجَسَدِ .. وقُوَّةُ العِلْمِ .. وقُوَّةُ المالِ .. والقُوَّةُ العَسْكَرِيَّةِ التي تُعِين على مُواجَهة الأعْدَاءِ.

* * * * *

يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

724- [يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ]هود:76. اللهُ تَعالى هو الملِك الذي لا يُراجَعُ في شَيءٍ شَاءَه وقدَّرَه، فإذا جاءَ أمرُ اللهِ تَعَالى بالانتِقَامِ من الظَّالمِين، فَلا يَردُّ أمرَه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَل .. ولا شيءٌ في الوجُودِ، فللهِ الأمر كله مِن قَبل، ومِن بَعد.

* * * * *

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى

الملائِكَةُ بين إبراهيم وبين لوط عليهما السلام

725- الملائِكَةُ بين إبراهيم وبين لوط عليهما السلام: لما جاءت الملائكة إبراهيمَ عليه السلام، لم يكن إبراهيم في شدة أو كرب، أو عجلة من أمره، وكان في سعة من الأمن، والأمان، والاطمئنان، والوقت .. لذا أخذ وقتاً ليس بقصير حتى تعرّف على الملائكة، وحتى عرَّفت الملائكة عن نفسها له بأنهم رُسل الله، والمهمَّة التي جاؤوا لأجلها [وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ]؛ وهذه مرحلة السلام، والترحيب بالضيوف، قد استغرقت وقتاً .. [فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ]؛ أي عجل

كامل النضج، صغير السن، لحمه طري، مشوي على الرِّضْفِ؛ وهي الحجارة المُحمّاة .. وهذه مرحلة من إعداد الطعام، والعجل الحنيذ لا شك أنها استغرقت وقتاً .. وإلى هنا إبراهيم عليه السلام لا يعرف أن ضيوفه الذين أمامه هم ملائكة الله .. فقدم لهم العجل الحنيذ ليأكلوا [فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ]؛ أي إلى الطعام [نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً]؛ وهذه مرحلة من الحدث أيضاً استغرقت جزءاً من الوقت [قَالُوا لَا تَخَفْ]؛ ومع ذلك فالخوف لا يزال قائماً، ولماذا لا يخاف .. إلى أن جاءه الخبر اليقين المطمئن، والمزيل للخوف كلياً [إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ]هود:69-70. فعلم حينئذٍ أنهم ملائكة، وأنهم مرسلون من الله، فهدأت نفسه، وذهب عنه الرَّوع.

بينما لمَّا جاؤوا لوطاً عليه السلام، كان الموقف مختلفاً؛ كان الموقف عصيباً، وشديداً، ومحرجاً لنبي الله لوط، لا يحتمل هذا التريث والتأخير في الإخبار بأنهم ملائكة مرسلون من الله، [وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ . وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ]؛ إلى هنا تصوير للمشهد والحَدَث، ولحجم الكرب، والضيق، والشدة، والحرج الذي نزل بنبي الله لوط عليه السلام .. وهو حجم ضخم بلا ريب .. ولما رأت الملائكة ما رأت، وسمعت ما سمعت .. لم تقل للوطٍ عليه السلام لا تخف .. لا عليك .. أو تنتظر منه الترحيب بهم، وبضيافتهم كما حصل بينهم وبين إبراهم عليه السلام .. لا .. ولا حتى مجرد السلام ورد السلام .. فالمسافة طويلة .. ولوط عليه السلام في كربٍ، وموقف عصيب لا يحتمل التأخير، يحتاج إلى إغاثةٍ عاجلةٍ، وإلى أقل كلمات ـ وأقصر مسافة، وزمن ـ تُدخِل

الاطمئنان والأمان إلى قلبه، وتُذهِب عنه الرَّوع، والحرج، وضيق الصدر .. يندفع بها شر قومه .. فقالت الملائكة مباشرة:[يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ]؛ أقل كلمات، بأقل زمن، وأقصر مسافة .. فلما سمع لوط هذه الكلمات .. انتهى الأمر مباشرة، وفي حينه .. أنَّى للأشرار أن يقتربوا منه ومن رُسل الله بسوء .. فذهب عنه الروع والحرج، والضيق كله .. واستبدل كل ذلك بالأمن، والاطمئنان .. ثم بعد ذلك بدأوا يزفّون له مزيداً من البشرى والاطمئنان، والتوجيهات[لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ . فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ]هود:77-81. إلى آخر الآيات الكريمات.

* * * * *

إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

726- [إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ]هود:102. يَستعجِلُ السُّفهاءُ مِن الكفَّارِ عَذابَ اللهِ .. ويَسألونَ اللهَ نزولَ عِقابِه وانتقامِه بهم؛ ليَتَثَبَّتوا ـ بزعمِهم ـ أنَّه الحقُّ، وأنَّ مَا يَدعُو إليه هو الحَقُّ .. فيَظُنُّونَ أخْذَ اللهِ كَأخْذِ النَّاسِ بعضِهم بَعضاً .. ويجهلُون أنَّ اللهَ تعالى إذَا أخَذَ يَأخذُ أخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ .. وأنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَدِيدٌ .. لا يَقْوَى لأَخْذِه شَيءٌ .. ولا يُماثِلُ أخْذُهُ أخْذَاً .. أخْذُهُ يجعَلُ الدُّولَ، والقُرَى، والدِّيارَ بَلَاقِعَ .. وأثَراً بَعدَ عَينٍ!

* * * * *

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ

727- [فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ]؛ كَافِرٌ شَقِيٌّ؛ يُقذَفُ في نَارِ جَهنَّم، [وَسَعِيدٌ]هود:105. ومِنْهُم مؤمنٌ سَعيدٌ؛ يَدخُلُ الجَنَّةَ.

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

728- [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ]هود:107. فَعَّالٌ، صِيغةُ مُبالغَة تُفيدُ الكثرَةَ والعدَدَ، وتُفيدُ الشدَّةَ، والقوةَ النافذ أمرها، التي لَا يُعجِزُها شيءٌ، أي أنَّ اللهَ تعالى كثيرُ الفعلِ لما يُريد، والقَادرُ على فعلِ مَا يُريد، ففي وقتٍ واحدٍ قَد يريدُ اللهُ تعالى مِلياراتِ الأشياءِ أن تكونَ في الخلْقِ والوجُود .. فتكونُ ـ مهمَا تَعاظَم شأنُها ـ كما أرادَ وشَاءَ .. وفي الوقتِ الذي شَاءَ .. لا نَتقدَّمُ، ولا نتأخَّرُ ثانيةً واحدَةً.

* * * * *

فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء

729- [فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ]هود:109. أيُّما عِبَادَةٍ تُصرَفُ لغَيرِ اللهِ .. أيَّاً كانَ هذا الغَير، وكانَت صُورتُه .. فهي عِبادَةٌ باطِلَة، لَا يجوزُ التوقُّف أو الشَّكُّ في بُطلانِها، وفي ضَلالِ وكُفْرِ مَن يَعبُد تلك الآلهةِ، والأصنَامِ مِن دُونِ اللهِ، أو مَعَ اللهِ .. وهُم إذ يَعبدُونها لَا يَملكون حجةً على عبَادَتِها، سوى التَّقليد لآبائِهم الذين كانوا يَعبدونَها، فعبَدُوها كما كان يَعبُدُها آبَاؤُهم مِن قَبل .. وهؤلاء وآبَاؤُهم المشرِكين سينَالُهم مِن اللهِ نَصيبهم المقَدَّر مِن العَذابِ الذي يَستحِقُّونَه كامِلاً غَير مَنقُوص.

* * * * *

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

730- [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ]هود:112. كَما أمرَكَ اللهُ، ورسولُه صلى الله عليه وسلم .. لَا كَما تَرْغَبُ، وتُحِبُّ، وتَهْوَى .. ولا كَما يَأمُرك شَياطِينُ الإنْسِ والجِنِّ!

731- [فَاسْتَقِمْ]؛ على طَاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، في جَميعِ أحوالِك؛ في حالَةِ الاستِضْعَافِ، وحَالَةِ القُوَّةِ، قَبلَ التَّمكِين، وبَعدَ التَّمكِين، وفي حَالَةِ الفَقْرِ، وحَالَةِ الغِنَى، ولكلِّ حَالةٍ أحكَامُها، [كَمَا أُمِرْتَ]هود:112. في الكِتَابِ، والسُّنَّةِ .. مِن غَيرِ التفَاتٍ إلى البدَعِ والأهواءِ، والسُّبُلِ الملتويَةِ والمنحَرِفَةِ عن مَنهجِ اللهِ .. فَلا تَسْتَعْجِل الظَّفْرَ والوصُولَ بغيرِ مَا أُمِرْتَ به!

732- [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ]هود:112. هذا هو عَمَلُك، وهذا هو المطلُوبُ مِنك، وهذا هو حَدُّك؛ أن تَستقيمَ على أمْرِ اللهِ، وأمْرِ رسُولِه، كما أمَرَكَ اللهُ، وأمرَكَ رسولُه صلى الله عليه وسلم .. ومَا وراءَ ذلك، ومَا سيترتَّبُ، ويَنتجُ عن ذلك فهو ليسَ عمَلُك، وليسَ مِن شَأنِك، ولَسْتَ مَسْؤولاً عنه .. ولَا يَنبغي أن تَستَشْوِفَه .. إنما هو من عمَلِ اللهِ تعالى .. قالَ أحَدُ الصَّالحِين:" كُن طَالِبَ الاستِقامَةِ لَا طَالِبَ الكرَامَةِ؛ فإنَّ نفْسَكَ مُتحركَةٌ في طَلَبِ الكرَامَةِ، وربُّكَ يَطلُبُ مِنك الاستِقَامَةَ ".

733- [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ]هود:112. في هذا الأمْرِ الإلهي نَهيٌ عن التَّقليدِ، وأَمْرٌ بالمتَابَعَةِ على بَصيرَةٍ وبينَةٍ، وتحرِّي العِلمَ مِن مَصدَرِه، ومِن مِشْكَاتِه؛ قالَ اللهُ، قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم .. والعَالِمُ الربَّاني يَحصِرُ دَورَهُ في كيفيَّة وصْلِ الناسِ بأمْرِ اللهِ، ورسُولِه، وتَعريفِهِم به .. إذْ لا يَليقُ به أن يحمِلَهم على تَقليدِه!

* * * * *

وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ

734- [وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ]؛ هو المَيْلُ القَلْبِي، ولو كانَ يَسِيراً .. وتَعلُّقُ القَلْبِ بالظَّالمين؛ وأنَّ النَّصرَ لَن يأتي إلَّا مِن خِلَالِهم، وعَن طَرِيقِهم .. فإنْ فعَلتُم ذلك، وتعلَّقَ قَلبُكُم بالكافِرين الظَّالمين، وكان الواجِبُ أن لا يتعلَّق القَلْبُ إلا بخَالِقِه، [فَتَمَسَّكُمُ

النَّارُ]؛ هذا في الآخِرةِ .. أمّا في الدُّنيا؛ [وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء]؛ يَنْصرُونَكُم .. أو يَستطيعُون نَصْرَكُم مِن دُونِ اللهِ، إلَّا مَا شَاءَ اللهُ، [ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ]هود:113. على عَدُوِّكُم .. لأنَّ النَّصرَ كُلَّه مِن عِندِ اللهِ تعالى وحْدَه .. وهَذا لا يتَنَافَى مع الإعْدَادِ، والأخْذِ بالأسْبَابِ.

735- [وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ]هود:113. قِيل هو الميلُ القَلِيلُ إلى باطِلِ وظُلمِ الظَّالمِين .. فكيفَ بالذي يَميلُ إلى دَرَجَةِ الانبطَاحِ؟!

* * * * *

إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

736- [إِنَّ الحَسَنَاتِ]؛ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، [يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114. يَمحينَ السَّيئاتِ وآثارَها، كأنَّها لم تَكُنْ .. ما اجتُنِبَت السَّيئاتُ ذَات العَلاقَةِ بحقُوقِ العِبادِ .. كما في الحديث:" أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا "مسلم. وأثَرُ الصَّلاةِ على السيئاتِ يَقْوَى ويَضْعُفُ، بِحَسْبِ طريقةِ أدَاءِ الصَّلاةِ؛ فالصَّلاةُ التي تُؤدَّى في وقتِها، وفي جماعَةٍ، ويتَحَقَّقُ فيها الخُشُوعُ، أثَرُهَا على السَّيئاتِ، وعلى إزالَتِها، أعظَمُ وأكبرُ مِن الصَّلاةِ التي لا يَتَحَقَّقُ فِيها ما تَقدَّم ذِكْرُه.

وفي الآيةِ دَلالَةٌ على أنَّ مَن عَظُمَت حَسَناته .. يُتَوَسَّعُ له في العُذْرِ والتَّأويلِ .. عند مَوردِ العَثَرَاتِ، وحُصُولِ الكَبَوَات!

737- [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114. مَا أُقْلِعَ عنِ السَّيئاتِ ـ وبخاصَّة إنْ كانَت السّيئاتِ مِن جِهَةِ الشُّبُهَات لا الشَّهَواتِ ـ وكانَت الحَسَنَات بعْدَ السَّيِّئات.

* * * * *

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ

738- غِيَابُ الإصلاحِ والمُصلحين، وارتفاعُ صوتِ المُفسِدين على صوتِ المصلحين، سَبَبٌ في نُزولِ العَذَاب: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]هود:117. يَغْلُبُ على أهلِها الإصْلَاحُ .. فَلا يجتمعُ هَلاكٌ بظلمٍ مع إصْلاح.

739- [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]هود:117. مَوْتُ الصَّالحين، وخُلُو الأرْضِ مِن المُصْلِحين؛ إيذَانٌ في خَرَابِ الأَرْضِ، وهَلَاكِ أهْلِها .. فالمصْلِحُون الذين يَأمرُون بالمعرُوفِ، وينَهَوْن عن المنكَرِ .. ويُصلِحُون ما أفْسَدَ ـ وإذا ما فَسَدَ ـ النَّاسُ .. هُم صَمَّامُ الأمَانِ في الأرْضِ!

740- [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ]هود:117. لم يَقُلْ " وأهلُهَا صَالحُون "؛ فالهلَاكُ يَتنزَّل مع وجُودِ الصَّالحِين إذا كَثُرَ الخبَثُ .. فالصَّالحُ؛ صَالحٌ في نفْسِه، ويَقتصرُ صَلاحُه على نفْسِه، وهَذا لَا يكفي في عمليَّة الإصْلاح، كما أنه لا يَعصمُ القُرَى من الهَلاكِ، بخلافِ المصْلح؛ فهو صَالحٌ في نَفسِه، ويَعمَلُ على إصلاح غيرِه، ومَا يُفسدُه غيرُه .. كما في الحديثِ عَن زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ:" نَعَمْ؛ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ "البخاري. أي إذَا كَثُرَت المعَاصِي، والذُّنُوبُ، وجاهرَ بها الفَاسِقُون، مِن دُونِ أن يُنكرَ عليهم أحَدٌ، وانكَفَأ الصَّالحُون على صَلاحِ أنفُسِهم، دُونَ إصْلاحِ غَيرِهم!

* * * * *

وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

741- [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]هود:118-119.

742- [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ]؛ بأمْرِ كَوْني؛ كُن فيكُون [أُمَّةً وَاحِدَةً]؛ على الإيمانِ والإسْلامِ، وعلى أتْقَى قلبِ رَجُلٍ .. فهذا أمرٌ هيّنٌ على اللهِ، فالله تعالى لا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن هذا بخلافِ حِكمَتِه سُبحانه من إيجاد الخلْقِ .. لذلك فأهلُ الباطِلِ، والدياناتِ الباطِلةِ [وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] ومتنَازعين ومُتَفرّقين في الدّين .. [إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ]؛ إلا المؤمنون المسلمون فيرحمهم الله تعالى من الاختلاف والتنازع والتَّفرقِ في الدّين .. [وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]؛ خلقَ أهلَ الباطلِ للفرقَةِ والعَذَابِ .. وخلق أهلَ الإيمان والحنيفية السمحة للرحمةِ والوحدةِ والجماعة والاعتصامِ بحبلِ الله، مَهْمَا اختَلَفَت دِيَارُهم، قلُوبُهم مجتمِعَةً .. فريقٌ إلى السَّعيرِ، وفريقٌ إلى الجنَّةِ، وكل مُيسَّر لما خُلِقَ له، [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]؛ من الذين اختَلَفُوا وتفرَّقُوا في مِلَلٍ ومذاهب وأديان باطلةٍ، مُغَايرة لِدينِ اللهِ الحقّ الإسلام.

743- دُعاة الفرقة، والتَّفرق، والخلاف والاختلاف، والتحزبات، يكثر استدلالهم بقوله تعالى:[وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]هود:118-119. فيضعونها في غير موضعها، ويحملونها على شرعية التفرق، واختلاف التضاد .. وتعدد الأحزاب .. وقالوا: الله تعالى ـ بدلالة هذه الآية ـ خلقنا من أجل الاختلاف والتعدد في المناهج والرؤى والتوجهات ..

فالاختلاف والتعدد غاية من غايات الوجود والخلَق .. وسنة من سنن الحياة التي لا بد منها .. وبالتالي لا ينبغي ولا يجوز أن نسعى أو نقف في مواجهة الغاية التي وُجِدنا من أجلها؛ ألا وهي الاختلاف، والتعدد، والتفرق في الدين، والرؤى، والمناهج، وفي أحزاب، وجماعات، ومِلَل شتَّى ...؟!

وهذا فهم خاطئ وضار بدلالة النقل والعقل، فيه تحميل للآية ما لا تحتمل، كما فيه تلبيس على الحق والخلْق، يُرد عليه من أوجه عدة:

منها: أن هذا الفهم للآية الكريمة لم يقل به عالم معتبر، ولم يُؤثَر عن أحدٍ من علماء السلف، ولا هو في كتاب من كتب التفسير المعتمدة والمعتبرة، والمنشورة بين أيدينا!

ومنها: أن هذا الفهم الخاطئ بخلاف الأدلة المُحْكَمَة والكثيرة التي تحض على الوحدة، والاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التفرق، والاختلاف، والتنازع .. والتي منها قوله تعالى:[وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ]آل عمران:103. وقوله تعالى:[وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]آل عمران:105. وقوله تعالى:[وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ]الأنفال:46. [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ]الأنعام:159. [وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ]الروم:31-32. [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ]آل عمران:19. [شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ]الشورى:13-14. [وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ]البقرة:176.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله يرضى لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال " مسلم.

وقال ﷺ :" عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ". وقال ﷺ:" الجماعة رحمة والفرقة عذاب ". وقال ﷺ:" يد الله مع الجماعة ". وقال ﷺ:" لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله "متفق عليه. وقال ﷺ:" لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا "البخاري. وقال ﷺ:" لا تختلفوا فتختلف قلوبُكُم ". فتأمل كيف أن مجرد الاختلاف في تسوية الصفوف للصلاة مؤداه لاختلاف القلوب وتنافرها .. ومصداق هذا الحديث الشريف فما اختلفت مع مصلٍّ يصلي بجواري في جماعة على تسوية الصف إلا ووجدت في قلبي عليه شيئاً .. وأظنه قد وجد في قلبه عليَّ ما وجدت في قلبي عليه .. فالاختلاف لا يأتي إلا بشر .. لذا يمن الله تعالى على عباده المؤمنين بأن آلَفَ بين قلوبهم، وجعلهم بنعمته إخواناً متحابين، كما في قوله تعالى:[وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً]آل عمران:103. وقال تعالى:[إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ]الصف:4. وقال صلى الله عليه وسلم:" الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً "مسلم. وهذا لا يتأتَّى مع التنازع والاختلاف.

قال ابن عباس ﷺ:" أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ".

ومنها: ما تقدم أعلاه هو المحكم من دين الله، الذي يجب القول به، والرجوع والاحتكام إليه، ورد ما تشابه من النصوص إليه، وتفسيرها وفهمها على ضوئه وحُكْمِه ..

فإن عُلم ذلك، ننظر في تفسير الآية الكريمة التي اختلفوا وخالفوا في فهمها، وماذا قال أهل العلم والتفسير المعتبرين في تفسيرها.

قال تعالى:[وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]هود:118-119.

[وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ]؛ بأمر كوني؛ كن فيكون [أُمَّةً وَاحِدَةً]؛ على الإيمان والإسلام، وعلى أتقى قلب رجل .. فهذا أمرٌ هيّنٌ على اللهِ، فالله تعالى لا يُعْجِزُه شيءٌ .. لكن هذا بخلاف حكمته سبحانه من إيجاد الخلق .. لذلك فأهل الباطل، والديانات الباطلة [وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] ومتنازعين ومتفرقين في الدين .. [إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ]؛ إلا المؤمنون المسلمون فيرحمهم الله تعالى من الاختلاف والتنازع والتفرق في الدين .. [وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]؛ خلق أهل الباطل للفرقة والعذاب .. وخلق أهل الإيمان والحنيفية السمحة للرحمة والوحدة والجماعة والاعتصام بحبل الله .. فريق إلى السعير، وفريق إلى الجنة، وكل مُيسَّر لما خُلِق له، [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ]؛ من الذين اختلفوا وتفرقوا في ملل ومذاهب وأديان باطلة، مغايرة لدين الله الحق الإسلام.

هذا المعنى تواترت عليه الأدلة من كتاب الله، كما في قوله تعالى:[وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]النحل:93. وقوله تعالى:[وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ]الشورى:8. فاستثنى الله وميز بين المؤمنين الذين يُدخلهم في رحمته، وجنته .. وبين الضالين الظالمين المختلفين المتفرقين المتنازعين في الدين، الذين ليس لهم إلا العذاب الأليم.

عن عطاء:[وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ]؛ قال: اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفيَّة همُ الذين رحم ربُّك.

وعن الحسن البصري:[ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك]، قال: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلفين.

وعنه: [ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك]، قال: الناس كلهم مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلف. [ولذلك خلقهم]، فقال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه.

وعن مجاهد:[ولا يزالون مختلفين]، قال: أهل الباطل، [إلا من رحم ربك]، قال: أهل الحقّ.

وعن ابن المبارك:[إلا من رحم ربك]، قال: أهل الحقّ، ليس فيهم اختلاف.

وعن ابن عباس:[ولا يزالون مختلفين]قال: أهل الباطل، [إلا من رحم ربك]، قال: أهل الحق.

وعنه:[ولذلك خلقهم]، قال: خلقهم فريقين: فريقاً يُرْحَم فلا يختلف، وفريقاً لا يُرْحَم يختلف، وذلك قوله:[فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ]هود:105.

وعن قتادة، قوله:[ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك]، فأهل رحمة الله أهل جماعة، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم.

وعن الأعمش:[ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك]، قال: من جعله على الإسلام.

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره بعد أن نقل الآثار الواردة أعلاه: وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قولُ من قال: معنى ذلك:" ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله". وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله:[وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين]، ففي ذلك دليلٌ واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار .."ا-هـ

ومنها: قولهم أن الله تعالى خلقنا من أجل الاختلاف .. ومن ثم استدلالهم بالآية الكريمة على شرعية هذا الاختلاف .. هو مغاير ومصادم للآيات الكثيرة التي تبين أن الله تعالى ما خلقنا إلا لعبادته وتوحيده سبحانه، كما في قوله تعالى:[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. وقوله تعالى:[وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ]التوبة:31. وقوله تعالى:[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ]البينة:5. وقوله تعالى:[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. وغيرها كثير من الآيات التي تحدد الغاية من الخلق، ومن وجود الإنسان، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ومنها: أنهم استدلوا بالإرادة الكونية على الإرادة الشرعية؛ فقالوا: ما دام قد قدر الله لنا التفرق والاختلاف .. وشاءه لعباده .. وخلقنا من أجل الاختلاف .. هذا يعني أن الله تعالى يريده ويرضاه لنا تديناً .. فكيف نوقف ونرد ونمنع ما خلقنا الله من أجله .. ولا نرضى ما رضي الله لنا؟!

وهذا استدلال خاطئ، قد سبقهم إليه المشركون الأوائل؛ فاستدلوا بالمشيئة الكونية الشاملة للخير والشر، على المشيئة الشرعية الدالة على ما يحبه الله تعالى ويرضاه .. فأحلوا نتيجة لهذا الاستدلال الخاطئ، الشرك والموبقات، كما قال تعالى:[سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ]الأنعام:148. [وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ]النحل:35. فقالوا ما دام أن الله تعالى هو الذي خلق الشرك وقدره، وخلق الحرام وقدره؛ هذا يعني أن الله تعالى يحب ويرضى الكفر والشرك، والحرام .. فكيف تمنعوننا من شيء الله تعالى قد قدره وشاءه .. وهو نفس قول واستدلال أصحاب التفرق والاختلاف بالآية الكريمة الواردة في سورة هود .. تشابهت أقوالهم، وقلوبهم .. بل وقد ذهب كبيرهم الذي علمهم التحريف والتزوير ـ كما تعقبناه في كتابنا حكم الإسلام في الديمقراطية قبل أكثر من عشرين سنة ـ إلى الاستدلا بتعدد ألوان الجبال والصخور على شرعية الاختلاف والتفرق والتعدد في الرؤى والدين، والسياسة، والمناهج .. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أمرين: الإفلاس في الاستدلال .. وسوء الطوية نحو دين الله، والعياذ بالله!

* * * * *

فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ

744- [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ]هود:123. التوكُّلُ عملٌ قلبيٌّ؛ له ركْنٌ، وشَرطٌ، رِكْنُه؛ تعلُّقُ القَلبِ باللهِ، واعتمَادُه عليه، والثِّقَةُ بِهِ سُبحانَه، واليَقِينُ بتوفِيقِه، وأنَّ اللهَ تعالى قَادِرٌ على كلِّ شَيءٍ .. وشَرْطُهُ السَّعْيُ، وتعَاطِي الأسبَاب، والأخْذُ بها، مِن غيرِ

تَعلُّقِ القَلبِ بها .. وهذا كلامٌ نَظريٌّ سَهلٌ .. الناسُ يتمايزُون ويَفترِقُون في تَطبيقِه، وتَنزيلِه على أنفُسِهم، وعلى الوَاقِعِ .. والتوكُّلُ مِن العِبَادَةِ العَامَّةِ، ومِن أخصّ مَا يَدخلُ في معنَى العِبادَة .. أُفْرِدَ بالذِّكْرِ لبيانِ فضْلِه وأهميتِه في تحصيلِ المنافِعِ الدينيَّةِ، والدنيويَّة، وفي الحَدِيثِ:" لو أنَّكم كنتُم تَوَكَّلونَ علَى اللهِ حَقَّ توَكُّلِه لرُزِقتُم كما يُرزَقُ الطَّيرُ؛ تَغْدُو خِمَاصَاً، وتَرُوحُ بِطَاناً ".

* * * * *

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً

745- [إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً]يوسف:2. لا يَبغضُ العرَبَ، والعربيَّةَ مؤمنٌ صحيحُ الإيمانِ .. وفي الحديث:" أحِبَّ العَرَبَ من قَلبِك ". والمرادُ بالعرَبِ؛ العربُ الذين يتشرَّفُون ويؤمنون بالقرآنِ الكريم .. الذين يَنصرُ اللهُ بهم الدِّينَ .. ومهما تخلَّى العربُ عن القرآنِ الكريم، وابتعدُوا عنه، أذَلَّهم اللهُ، وتفرَّقُوا .. وأصبحُوا ذَيلاً، ومن أطرافِ الأمَم ـ بعد أن كانُوا بالقُرآنِ رأساً، وسادَةً على الأممِ ـ وفقَدُوا خصائصَ، ومقوِّمات عزَّتِهم، ومكانتِهم، وقوَّتِهم!

746- [إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً]يوسف:2. حيثُما وجِدَ الإسلامُ، وُجِدَت معه اللغةُ العربيَّةُ .. وحيثُما وُجِدَ الإقبالُ على القُرآنِ الكريمِ؛ حِفْظاً، وتلاوَةً، ودراسةً، وُجِدَ معه الاهتمَامُ باللُّغَةِ العربيَّةِ .. لا يجتمعُ في قلبِ امرِئٍ حبٌّ للإسلامِ والقُرآنِ الكريمِ .. وبُغضٌ للعربيَّةِ .. فاللغةُ العربيَّةُ ليسَت مجرَّدَ لغَة قومٍ .. وإنما هي لغةٌ عالميَّةٌ .. هي لغةُ القُرآنِ الكرِيم .. ولغَةُ خاتَمِ وسيِّدِ الأنبياءِ والمرسَلين .. ولغَةُ أصحابِه الكِرام رضي الله عنهم أجمَعين .. هي لغَةُ الدِّينِ؛ فمَن رفَضَها، وعَادَاها فقد رَفَضَ، وعَادَى الدِّين!

747- [إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]يوسف:2. ذَنْبُ الكافِرِ العَربي ـ أو الذي يُحسِنُ العربيَّة، ويَفْقَهُ لُغَةَ القُرْآنِ الكَريم ـ أضعَافُ ذَنبِ الكافِرِ الأعجَمِي، الذي لا يُحسِنُ العربيَّة، ولَا يَفْقَه لُغَةَ القُرآنِ الكَريم.

* * * * *

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

748- [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ]يوسف:3. أصْدَقَ القَصَصِ، وأجمَلَها، وأمتَعَها، وأَقْوَاهَا، وأنفَعَها .. وما أحوجنا وأبناؤنا إلى أن نعْكِفَ أوَّلاً على قِراءَةِ

وتَدبُّرِ قَصَصِ القُرآنِ الكَرِيم، نَسْتَلْهِمُ مِنها الحِكَمَ، والعِلمَ، والفَوائدَ، والعِبَر، ونَزْدَادُ بها إيمانَاً ويَقيناً .. كَمْ هو محزِنٌ ومؤلمٌ أن نرَى أطفالَ المسلمين يَعكفُون على قَصَصٍ مَليئةٍ بالكَذِبِ، والخرَافَات، والفُسُوقِ، والمجُون .. وكثيرٌ منها خيَاليٌّ غير واقِعِي .. بينَمَا تَرَاهُم يُعْرِضُون عن قِراءَةِ وتَدَبُّرِ أحسَنِ القَصَصِ؛ قَصَص القُرآنِ الكرِيم .. لا يَعرفُون عنها شَيئاً؟!

* * * * *

قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً

749- [قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً]يوسف5. وذلك أن صاحِبَ النعمَةِ محسُودٌ .. ومِن لوازِمِ استمرَارِ النِّعمَةِ، وإنجاحِهَا أن يستعينَ صاحبُها بالكتْمَانِ، وبخاصَّةٍ عن أقرانِه، ومَن يُعرَف بالحسَدِ .. فكم مِن نعمَةٍ ـ بما في ذلك الطَّاعَات والنِّعَم المعنَويَّةِ ـ يُفْسِدُها التَّعريفُ والإشهَارُ بِها!

* * * * *

قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ

750- [قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ]؛ أيُّ غُلَامٍ؛ إنَّهُ يُوسُفُ الصِّدِّيق، ابنُ الصِّدِّيق، ابنُ الصِّدِّيق، ابنُ الصِّدِّيق، [وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً]يوسف:19. فأخَذُوه، وأخْفَوا أمرَهُ، وحمَلُوه معَهم كمتَاعٍ مِن جملةِ أمتِعَتِهم .. وعَرَضُوه للبيعِ كما يُبَاع أيُّ متَاعٍ، وبثمنٍ بخْس .. وهُم لَا يَعرفُون أنَّهم يَبيعُونَ نَبيَّاً ..... لَا تَزْهَدَنَّ بأحَدٍ .. ولَا تحتَقِرنَّ أحَداً .. ولَا تحكُم على أحَدٍ مِن مَظْهَرِه .. فقَد يكُون عندَ اللهِ مِن أولِيَائِه المقرَّبين وأنتَ لَا تَدْرِي!

* * * * *

وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ

751- [وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ]يوسف:20. مَنْهَجُ الزُّهدِ بالصَّالحِين، والعُلماءِ الربَّانِيين لم يتوقَّفْ عندَ أخوةِ يُوسُف .. فهو مَنهَجٌ قَائمٌ ومُستمرٌّ إلى مَا بَعدِ يُوسُف عليه السلام .. فَكَم هؤلاء الذين يَزهدُون بالقُرآنِ، والإقبالِ عليه .. ويَزهدُون بسنَّةِ النبيِّ المصطَفى صلى اللهُ عليه وسلم .. ويَزهدُون بالعلماءِ الربَّانيين الصّادِقين .. حتَّى بِتْنَا نَرى القَوْمَ يَستبدِلُون مائةَ عَالِمٍ براقِصَةٍ .. ويحرصُون على الرَّاقِصاتِ الفَاسِقَاتِ أكثَرَ ممَّا يحرصُون على العُلماءِ، وعِلمِهم .. وهؤلاء كُلُّهم على نَهْجِ أُخْوَةِ يُوسُف في الزُّهدِ في الخَيرِ وأهْلِه!

* * * * *

وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

752- [وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ]؛ أمْرُ اللهِ هو النَّافِذُ في الوجُودِ، لَا رَادَّ، ولَا مُعَقِّبَ لأمْرِه .. وأمْرُ ما سواه لا يَنفذُ منه شيءٌ إلا بإذنِه، ومَشيئتِه؛ فالأمْرُ كُلّه إليه .. ولو اجتمَعَ الأنسُ والجِنُّ على أمْرٍ، وأرادَ اللهُ أمرَاً آخَر فأمْرُ اللهِ تعالى هو الغَالِبُ، وهو النَّافِذُ .. وأمْرُ الإنْسِ والجنِّ هو المغلُوبُ، والمردُود .. ولو غَلَبَ شَياطينُ الإنسِ والجنِّ بعضَ المؤمنين على الوقوعِ في ذَنْبٍ، يَغلبُهم اللهُ تعالى بعَفْوِه، ومَغْفِرتِه، وتَوبَتِه على المؤمنين، ولا يُسْلِمُهم للشَّيَاطِين، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ]؛ وهم الكُفَّارُ، [لاَ يَعْلَمُونَ]يوسف:21. هذه الحقِيقَة التي لا شَكَّ ولا رَيبَ فِيها!

* * * * *

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ

753- [فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ]؛ فأدخَلَهُ السِّجْنَ، [فَصَرَفَ عَنْهُ]؛ عن يُوسُفَ عليه السَّلام، [كَيْدَهُنَّ]يوسف:34. فصَرَفَ كَيْدَ النُّسْوَةِ عنه بالسِّجْنِ؛ فجَعَلَ السِّجْنَ

حَاجِزاً صَادّاً ومانِعاً لكَيدِ النُّسْوَةِ عن يُوسُف عليه السَّلام .. ومِن أَنْ يَصِلْنَ إليه .. فكانَ السِّجْنُ في ظاهِرِه شَرّاً، وفي باطِنِهِ رحمةً، وخَيراً كَثيراً .. يَنْدَفِعُ به شَرّاً أكبر .. وكم مِن شَرٍّ يكونُ بهذَا المعنى؛ يُقَدِّرُه اللهُ لِيَدْفَعَ به شَرّاً أكبر .. ويُحَقِّق به خَيراً راجِحاً .. وصَاحِبُه لا يَعْلَمُ .. أو قَد لا يَعْلَمُ إلَّا بعدَ حِين!

754- الحسَنَاتُ النَّاجِمَةُ عَن سَجنِ يُوسُف عليه السلام عَديدَةٌ، منها:

1- كانَ السِّجْنُ سَبَباً في صَرفِ كَيدِ النُّسْوةِ عن يُوسُف عليه السلام.

2- كان سَبباً في تبرئتِه ـ أمامَ الملَأ ـ ممَّا رمَتْهُ به امرَأةُ العَزيزِ، مِن زُورٍ وبُهتَانٍ، وإظهَارِ الحقِيقَةِ ...!

3- كان سبباً لدخُولِ يُوسُف عليه السلام على الملِكِ، وتَأويلِ رُؤيَاه ...!

4- كان سبباً في أن أصبحَ يُوسُفُ عليه السلام عَزيزَ مصر، وسَيِّدَ مصر الأول .. إليه يُردُّ حُكمُ البِلاد، وإدارَةُ شؤونِها!

5- كان سبباً في إنقاذِ أهلِ مصر، ومَن حولَهَا مِن القُرى، مِن المجَاعَةِ والهَلاكِ ...!

6- كان سبباً لاجتماعِ يُوسف عليه السلام بأبوَيْهِ، وإخْوَتِه، بعدَ فِراقٍ دَامَ عُقُوداً، والإتْيانِ بِهم إلى مصر ...!

7- كان سبباً في إظهارِ وتحقيقِ تَأويلِ رُؤيا يُوسُف عليه السلام:[إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ]يوسف:4.

كُلُّ هذا الخير، وغيره، ما كانَ سيتَحَقَّقُ لولا السِّجْن وتقدير اللهِ له .. فكم مِن ضَارَّةٍ نَافِعَة .. وكم من شَرٍّ يَعْقُبُه خَيرٌ كثير .. ولو اطَّلعتُم على الغَيْبِ؛ لرضِيتُم بالواقِع، وإنْ كَانَ مُرّاً!

* * * * *

يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ

755- [يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ]يوسف:39. لم يَرِدْ يُوسفُ عليه السلام صحبَتَهما لنَفْسِه، عِلماً أنَّهما كانَا معَه في السِّجْنِ، وإنما رَدَّ صحبَتَهما إلى السِّجنِ؛ أي يا مَن يَسكَانِ ويَتواجَدَان في السِّجْنِ .. وذَلك أنَّ الصُّحبةَ الحقَّةَ لها شُروطُها، وحقُوقُها، والتي مِنها الموافَقَة في الاعتقادِ والدِّينِ .. وهو مَا لم يَتحقَّقْ بَعْدُ في الفتَيَيْنِ اللَّذَين دَخَلا معه السِّجنَ.

756- [يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ]يوسف:39. كان لكلِّ واحدٍ مِن صَاحبي السِّجنِ رُؤيا عجيبَة قَد رآها في السِّجنِ .. قد أهمَّته، وأقلقَتهُ يُريدُ أن يعرفَ تأويلَها وتَفسيرَها .. وكان مَعهُما في السِّجنِ خَير وأصدق مَن يُفسِّر لهما رُؤيتَهما .. فتوجَّها إليه يَسألانِه ويَرجوانِه تَأويلَ رُؤياهمَا .. وكانا في قمَّةِ الانتباهِ والاهتمَامِ لما سيقُولُه يوسُفُ لهما .. لكن النبي يوسُف عليه السلام أحسَنَ استغلال إقبَال السَّجينَين عليه، وحاجتَهما الماسَّةِ إليه، ولما سيقوله .. فمثلُ هذا الاهتِمامِ، والإقبَالِ منهمَا نحوه قد لا يَتكرَّر .. فتلَقين المقْبلِ عليك، يختلفُ عن تَلقِين المدبرِ المنشَغِلِ عنك .. فلم يَتسرَّع في الإجابةِ عمَّا قَد سَألا عنه .. لَا؛ لم يفعلْ ذلك، وإنما أوَّلاً دَعاهُما إلى ما هو أهم ممَّا سَألَا عنه بكثِير، دَعَاهما إلى التَّوحِيدِ، وعبادَةِ الله تعالى وحدَه، ونَبذِ الأندَادِ والشُّركاءِ .. وبعدَ أن انتَهى مِن دَعوتِهما إلى التَّوحيدِ، ونَبذِ الأندادِ والشُّركاءِ .. أجابهما عمَّا قَد سَألَا عنه .. وهذا أسلوبٌ عظيمٌ في الدعوةِ إلى اللهِ، حريٌّ بالدعاةِ إلى الله أن يَستفيدُوا منه، فيُحسِنُوا استِغلالَ إقبَال الناسِ عليهم، وحاجَتهم إليهم في أمورِهم الدُّنيويَّة والاجتماعيَّةِ .. فيُلقنونَهم التَّوحيدَ، وما يحتاجُونه من أمورِ دِينِهم وآخِرتِهم ـ قَدرَ الإمكَانِ ـ قَبل أن يُجيبُوهم لما سَألُوا عنه، وعمَّا أهَمَّهم مِن أمُورِ الدُّنيَا ...!

* * * * *

إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ

757- [إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ]؛ ليس الحُكمُ ـ سواءٌ كان كَونيّاً أمْ شَرْعيّاً ـ لأحَدٍ إلَّا للهِ، [أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ]يوسف:40. أَمَرَ أَلاَّ تُطِيعُوا إِلاَّ إِيَّاهُ، في الحُكْمِ والتَّشْرِيعِ.

* * * * *

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

758- [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ]يوسف:53. هذه النَّفسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ، صديقةُ الشيطانِ، وحليفةٌ له، يمدُّها بحبالِه ووسَاوسِه؛ لتحملَ صاحِبَها على فعلِ مَزيدٍ مِن الخطَايا والسُّوءِ .. وهي أشدُّ ضراوةً على صاحبِها مِن كَيدِ الشيطانِ .. وأحياناً تعملُ مستقلَّةً بمعزلٍ عن الشيطانِ ـ كما في شهرِ رمضان حينما تُصَفَّدُ الشياطينُ ـ تأزُّ صاحبَها أزّاً على فعلِ الخطَايا والمنكراتِ .. وخطُورةُ هذه النفسِ أنَّها كلما مَدَّها صاحِبُها بما تُريدُ شعَرَت بالمتْعَةِ المؤقَّتَةِ .. وقالت له هلْ مِن مَزيدٍ .. وهي في صِراعٍ وتَدافُعٍ مُستمرَّيْنِ مع النفْسِ اللَّوامَةِ .. ولمن تكونُ الغَلَبَةُ منهما يكونُ الإنسانُ؛ فإن غلبَت النفسُ اللَّوامَةُ كان إنساناً صالحاً، وإن غلبَت النفسُ الأمَّارةِ بالسُّوءِ، كان طالحاً وشريراً.

* * * * *

آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ

759- [آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]يوسف:69. لم يَقُلْ لأخِيه أنا يُوسف؛ لاحتمالِ أن يُفكرَ ويَذهبَ ذهنُه في كلِّ يوسُف إلَّا يُوسُف أخيه .. وإنَّما قالَ له الكلمَةَ الأكثَرَ دِفْأً، والأكثر وشِيجَةً، والأسْرَع في إدخَالِ الطَّمأنينَة إلى قَلبِ ونَفْسِ أخِيه، والأَسْرَع في إيصَالِ المعنَى المُرَاد؛ " أَنَاْ أَخُوكَ "!

* * * * *

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

760- كلُّ شيءٍ له بدايةٌ ونهايةٌ .. عَدا العِلمُ؛ له بدايةٌ لكن ليس له نهاية .. فهو بَحرٌ ذو شاطئٍ واحد، لا يُدرَك شاطئهُ الآخَر .. [وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]يوسف:76. لذا فالإنسانُ مهما كان عالِماً يَظلُّ طالِباً للعِلمِ، ومهما بَلَغَ درجةً من العِلمِ .. يُقالُ له في النهاية:[وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85.

* * * * *

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

761- [فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ]يوسف:77. فيه تَقريرٌ لمبدأ التَّغَافُلِ، والتَّجَاهُلِ، والتَّعَامِي، والتَّغَاضِي، والتَّغَابِي .. وأن ليسَ كل ما يُعْلَم يُسْتَحْسَنُ أن يُقال!

مِن التَّغَافُلِ ما يَكُونُ إلى حِينٍ، ومِنهُ مَا يكُونُ أَبَدَا.

صَدَقَ القائلُ: ليسَ الذَّكِيُّ بسَيِّدٍ في قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي

* * * * *

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ

762- [قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ]يوسف:86. اللهُ تَعَالى غَيورٌ؛ لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِن اللهِ، ومِن غَيرَتِهِ على عَبدِهِ أن يَراهُ قَد تَعلَّقَ قَلبُه بغَيرِه .. وتوجَّه بحاجَتِه، ومَسْأَلَتِه إلى غَيرِه .. وهو رَبُّهُ، وخَالِقُه، ومَالِكُه، والقَادِرُ على أن يجيبَه، ويكشفَ له كَرْبَه .. والبَلاءُ أحيَانَاً يَنزِلُ؛ ليُرَى كيفَ سيتعامَلُ العبدُ معَ البَلاءِ؛ هَل سَيَشْكُو اللهَ إلى خَلْقِهِ، وعِبادِه .. أم أنَّه سيَصْبِرُ، ويَشْكُو بَلاءَه ومُصَابَه إلى اللهِ وحْدَه ...؟!

وفي الحديث:" مَن تكفَّلَ لي أن لا يَسألَ النَّاسَ شيئًا أَتكفَّلُ لهُ بالجنَّةِ ". لهُ الجنَّةُ للمعنَى المُشَار إليه أعْلَاه.

* * * * *

إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

763- [وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]يوسف:87. اليَأسُ والقُنُوطُ مِن رحمَةِ اللهِ صِفَةٌ مِن صِفَاتِ الكافِرين؛ لأنَّهم كُفَّارٌ ومُشْرِكُون، فلا يجتمعُ الكُفْرُ والشِّركُ معَ رحمةِ اللهِ .. والرَّجاءِ والأَمَلِ برحمَةِ اللهِ .. لِذا فهم في يَأسٍ وقُنُوطٍ مِنْها .. أمَّا أنتم يا مُؤمنُون، لا يَنبَغِي لكم أن تَتَشَبَّهُوا بِهم، وتَقَعُوا في اليَأسِ والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ كَما وقَعُوا؛ لأنَّكم مُؤمنُون، وموحِّدُون، ورحمَةُ اللهِ تُدرِككُم مَهمَا كان مِنْكم مِن عمَلٍ، أو خَطَايَا .. والآيةُ ليسَ فِيها أنَّ اليأسَ كُفْرٌ .. وإنَّما فِيها أنَّ اليَأسَ صِفةٌ لازِمَةٌ ولصِيقَةٌ بالكافِرين .. خَاصَّةٌ بِهم دونَ المؤْمنِين .. لا يجوزُ ولا يَنبَغِي للمؤمنِين أن يقَعُوا فِيها .. أو أن يَتَشَبَّهوا بالكافِرين فِيها.

764- [إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]يوسف:87. اليأسُ كفرٌ، لأنه يُفيد سوءَ الظَّنِّ بالله، وأنَّ ما نزلَ من بلاءٍ عَصيٌّ على الله كشْفه وصرْفه، فيُفقَدُ معه الأملُ بالله القادِر، ويُلتمَسُ الفَرَجُ، والفُرْقان، وكشْفُ الضرّ من عند غيره، وأنَّى ...!

765- [يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]يوسف:87. سُبحَانَه مَا أحلَمَهُ، ومَا أصبرَه .. يَعلمُ مَا لا نَعلم .. يخلقُ الشيءَ وضِدَّه، ليميزَ الخبيث مِنَ الطَّيبِ، ويُعرَفُ الصَّالحُ مِن الطَّالح .. ويَظهرُ اليسرُ بعدَ العُسْرِ، والفَرَجُ بعد الضِّيقِ، ويتحقَّقُ الاختبارُ .. ويَتحقَّقُ

الاصطِفَاءُ .. فلا يحملنَّك شِدَّةُ البَلاءِ، وطُولُ أمَدِه، على اليأسِ والقنُوطِ مِن رَحمةِ اللهِ .. فلَن تجدَ مَن هو أرحَمُ بِك مِن اللهِ .. فهَا هو النبيُّ يَعقُوب عليه السلام ـ ولنا في سيرةِ جميعِ الأنبيَاءِ والرسُلِ أسوَةٌ حسَنَةٌ ـ بعدَ أن فقدَ النبيَّ يوسُف عليه السلام؛ أحَب أبنَائِه إليه، لعدَّةِ عُقُودٍ، وفقَدَ بصَرَه من الحزنِ عليه .. يُوصِي أبناءَهُ بالبحثِ عن يوسُف، وأخِيه، وعدَمِ اليأسِ، والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ.

* * * * *

إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

766- [إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ]يوسف:90. فيه أنَّ الإحْسَانَ لَا يتحقَّقُ إلَّا معَ التَّقْوَى، والصَّبْر .. ومَن اجتمعَ فيه التَّقوَى والصَّبرُ فهو من المحسنِين.

* * * * *

وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً

767- [وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً]يوسف:100. مَا بين الرُّؤيَا وبينَ تَأويلها أربعُون سَنَةً، وقِيل ثمانُون سَنةً .. فيَا مَن تَسْتَعجِلُ النَّصْرَ .. والظَّفْرَ .. وتَأويلَ الرُّؤيَا .. الصَّبْرَ .. الصَّبْر!

* * * * *

يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

768- [وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ]يوسف:105. الآيَاتُ في السَّمَاوَاتِ والأَرضِ عَدِيدَةٌ جِدًّا مِنها الزَّلَازِلُ، والبرَاكِينُ، والرِّياحُ، والمطَرُ، والثَّلْجُ، والكُسُوفُ، والخُسُوف، وغَيرُها .. الكَافِرُ يَقِفُ عندَ الأسبَابِ

الماديَّةِ الظَاهِرَةِ لوجُودِها، ويَردُّ وجُودَهَا للطَّبيعَةِ، ويُعرِضُ عَن الحكمَةِ والغَايَةِ مِنْهَا .. بينما المؤمنُ يَقِفُ على الأسبَابِ المادِيَّةِ الظَّاهِرةِ لوجُودِ الآياتِ، ويُؤمنُ بأنَّ اللهَ هو الذي خَلَقَهَا وقدَّرَهَا، لحِكْمَةٍ يُريدُها سُبحَانَه.

769- [وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ]يوسف:105. مَا أكثر الآياتِ الكونيَّة الزَّاجِرات المهلِكات التي نزلَت مِن قبل بالظالمين وبقراهم، وتنزلُ اليومَ .. وستنزلُ غداً .. ومعَ ذلك يُقابلها الكافرُ الملحدُ بالاستخفَافِ، والإعراضِ .. والتَّهكم .. وعدَمِ الاعتِبارِ .. ويردُّ ما يَراه مِن زواجِرِ الآياتِ الكونيَّةِ مِن زلازل، وبراكِين، وعواصِف، ومطَرٍ مدَمِّرٍ .. وفيضاناتٍ .. وحرَائق .. وأدواءٍ .. وغيرها من الآياتِ .. إلى الصدْفَةِ، وحركةِ الطبيعَةِ، وإرادةِ الطبيعَةِ .. بعيداً عن إرادَةِ ومشيئةِ اللهِ .. صدَقَ اللهُ العظيم:[وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ]الأنعام:4.

* * * * *

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ

770- [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ]يوسف:106. آمَنُوا بالرُّبُوبِيَّةِ، وأشْرَكُوا في الأُلُوهِيَّةِ .. آمَنوا بأن اللهَ تعالى هو الخالِقُ، وأشرَكُوا في العِبَادَةِ؛ فعَبَدُوا غيرَه .. صَرَفُوا للهِ النُّسُكَ، والشَّعَائِرَ التَّعبُّدِيَّة، وصَرَفُوا لغيرِه الطَّاعَةَ، والمحبَّةَ، والتَّحاكُمَ .. أولئك هم المشْرِكُون حَقًّا!

771- [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ]يوسف:106. آمَنُوا باللهِ، وآمَنُوا بالطَّاغُوتِ .. فجَمَعُوا بين عِبادةِ وطاعَةِ اللهِ، وبينَ عِبادَةِ وطاعَةِ الطَّاغُوت!

* * * * *

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي

772- [قُلْ]؛ يا مُحَمَّد، [هَذِهِ سَبِيلِي]؛ طَرِيقِي؛ [أَدْعُو إِلَى اللهِ]؛ إلى الإيمانِ باللهِ، وإلى عِبادَتِه، وتَوحِيدِه، ونَبْذِ الأَنْدَادِ والطَّواغِيت، [عَلَى بَصِيرَةٍ]؛ على بيِّنةٍ ودَلِيلٍ مِن الكِتَابِ والسُّنَّة، [أَنَاْ]؛ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [وَمَنِ اتَّبَعَنِي]يوسف:108. هذا الوَصْف يَشمَلُ جميعَ مَن آمَن بي، وسَارَ على نَهْجِي، واقْتَفَى سُنَّتِي .. في أيِّ زمانٍ، وأيِّ مَكانٍ .. وإلى أن تَقومَ السّاعَةُ!

* * * * *

أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

773- [أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ]يوسف108. على حُجّة وبيِّنةٍ من كِتَابٍ أو سُنَّة.

* * * * *

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا

774- سنّةُ الله في النّصر، أن يأتي بعد أن يَستبطئه المؤمنون؛ اختباراً وتمحيصاً لإيمانهم، وصَبرهم، وبعد أن تَستنفدَ الأسبابُ عَطاءاتها .. [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا]يوسف:110. [مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ]البقرة:214. [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31.

775- [حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ]؛ مِن إيمانِ قومِهم؛ لِمَا يرون منهم من الكفرِ، والصدِّ، والكِبرِ، والعَنادِ، [وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ]؛ لطولِ وشدَّةِ البلاءِ، وتأخيرِ النَّصرِ، ظنَّت الرسلُ ـ مجرد ظنٍّ ـ أن أتباعَهم من المؤمنين ـ الذين يستعجلون نصرَ اللهِ ..

ويتَساءلُون متَى نَصرُ اللهِ ـ قد كذَّبُوهم، وشَكُّوا بصدْقِ موعُودِ الله لرسلِه بالنَّصرِ، [جَاءهُمْ نَصْرُنَا]؛ في هذا التوقِيت الشَّدِيد، وهذا الظرف العَصِيب يتنزَّلُ نَصرُ اللهِ .. سنَّةٌ ماضيَةٌ من سُنَنِ التمحيصِ والبَلاءِ والاختبارِ؛ وهي أن نصرَ اللهِ ـ أحياناً ـ يتأخَّر لحكمةٍ يُريدُها اللهِ؛ يُعرَفُ من خلالِها المؤمنُ الصابرُ المجاهدُ مِن غيرِه، [فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء]؛ وهم الرسلُ ومَن آمنَ بهم، واتبعَهم، [وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا]؛ انتقامُنا وعذَابُنَا، [عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ]يوسف:110. وهم الكافرون المعاندُون المكذِّبُون لرسلِ الله.

* * * * *

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

776- العِلمُ الذي يتكشَّف للمرءِ بطولِ التَّفكّرِ، والتأمُّلِ، لا يتكشَّف له من خِلالِ قِراءة الكتُب والمجلَّدات، لذا لا بدّ من أن تحملَ نفسكَ ـ يا عبد الله ـ وتدرّبها على قراءَةِ التَّفكّر والتأمّل، كما تحملها على القراءة في الكتب .. وفي القرآن الكريم ورد الحضُّ على التَّفكُّر في مواضع عِدّة، كما في قوله تعالى:[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]الرعد:3. وقال تعالى:[وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ]النحل:44. وقال تعالى:[كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]يونس:24.

* * * * *

حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ

777- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] مِن نِعْمَةٍ إلى نِقْمَةٍ [حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ] الرعد:11. من طَاعةٍ إلى مَعصيةٍ. كذلك الإياب: [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] ؛ من نِقْمَةٍ إلى نِعمَةٍ [حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ] من مَعصيةٍ إلى طاعةٍ.

778- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الرعد:11. لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ مِن ذُلٍّ إلى عِزَّةٍ، ومِن هَزِيمةٍ إلى نَصْرٍ، حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأنْفُسِهم مِن هَوانٍ، ووَهْنٍ، وقُعُودٍ عَنِ الجِّهادِ في سَبيلِ اللهِ .. إلى جِهَادٍ في سبيلِ الله.

779- [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]الرعد:11. يَصْلُحُ الاسْتِدْلالُ بالآيةِ الكَريمةِ على الاتِّجاهَيْن: التَّغييرُ مِن النِّعْمَةِ إلى النِّقْمَةِ، ومِنَ النِّقْمَةِ إلى النِّعْمَةِ .. فالآيةُ تحتَمِلُ المعنَيين .. وهو أشْمَلُ وأعَمُّ وأنْفَعُ مِن تَقييدِهَا في اتجاهٍ واحِدٍ فَقَط، ومِن غيرِ دَليلٍ.

* * * * *

وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ

780- [وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ]الرعد:13. " وَيُرْسِلُ "؛ صِيغةُ مُضَارِع؛ تُفيد أن الإرسَالَ مستمرٌّ في الحاضِرِ، والمستقبَلِ؛ يرسلها اللهُ على مَن يَشَاء، ووقتما يَشَاء .. والإرسالُ لم يتوقَّف في زَمَنٍ دُونَ زَمَن .. ألم نرَ ذلك بأعيننا؛ كيف أن الصواعِقَ تُرسَل، فتُصيبُ أشخاصاً بأعيانِهم؛ في صُدُورهم، ورقَابِهم، ورؤوسِهم، فتحرقُهم، وتقتُلُهم .. أليسَ في استمرارِ هذه الظاهرةِ الكونيَّةِ، كما أخبرَ القُرآنُ عنها دَليلاً على أنَّ اللهَ حقٌّ .. وأن القُرآنَ الكريم حقٌّ .. وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ ...؟!

* * * * *

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ

781- [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء]؛ الباطِلُ .. وحُطامُ الدُّنيا .. وكلُّ عمَلٍ أُرِيدَ به الدُّنيا؛ سُرعان ما يَذهبُ، ويَزولُ، ويُنْتَسَى .. فكم مِن مَلِكٍ ذَهَبَ ذِكْرُه، بذهابِ مُلكِه، وكم مِن غنيٍّ كان همُّهُ التَّكاثُرَ وجَمعَ الأموالِ، فذَهبَت بذهابِه، [وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ]، الحقُّ .. التَّوحِيدُ .. والعلمُ النَّافعُ .. والأعمالُ الصالحةِ التي يُرادُ بها الله، واليوم الآخِر، [فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ]الرعد:17. ضَارباً جُذُورَه في الأرضِ .. لا تُؤثِّرُ فيه تَقلُّباتِ الزَّمانِ والمكانِ .. ينتفعُ به صَاحِبُهُ، والنّاسُ .. وتَبقَى مآثِرُه ومحاسِنُه تُذكَر، يُنتفَع بها ما شَاءَ الله .. فالبقاءُ، والقُبولُ، للنافِعِ، والأنْفَع.

782- [أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ]الرعد:17. البَاطِلُ مَهمَا انتَفَشَ، وانتفخَ، وارتفَعَ، فهو إلى زَوالٍ، لَا يَقوَى على الثَّباتِ، وحيثُما وُجِدَ فهو يَضرُّ ولا يَنفَع .. والباطِلُ شُعَبٌ؛ أعلاها الكُفْرُ والشِّركُ، وأدْنَاها إلقاءُ الأذَى في الطَّريقِ .. مِثالُه الزَّبدُ الذي يَعلُو السَّيلَ، والزَّبَدُ الذي يَظهرُ عندَ استِخْراجِ المعادِنِ الثمينَةِ، وهو سرعان ما يَذهبُ عند هبُوبِ الريحِ، وارتِطامِه بالأشيَاء .. أما الحقُّ؛ فهو الأبقَى، والأقوَى، والأكثرُ ثباتاً، ورسُوخاً في الأرضِ، والأكثرُ نَفعاً للناسِ .. والحقُّ شُعَبٌ؛ أعلاها الإيمانُ والتَّوحيدُ، وأدْنَاهَا إماطَةُ الأذَى عن الطَّريقِ .. مِثالُه ماءُ المطَرِ، والمعادِنُ الثمينَةُ التي يَنتفعُ بها الناسُ، [كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ]؛ ليَستبينَ للناسِ الحقَّ فيتَّبعُونه، ويَستبينَ لهم الباطلَ فيجتنبُونَه .. وفي الآيَةِ بُشرَى لأهلِ الحقِّ وأتبَاعِه؛ أنَّ الحقَّ بَاقٍ لَا يَزولُ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ.

* * * * *

سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ

783- [سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ]؛ هذا سلامُ الملائكَةِ على المؤمنين، يَدخلُون عليهم مِن كُلِّ بابٍ مِن أبوابِ الجنَّةِ .. يُسَلِّمونَ عليهم، ويُهنئونَهم بالنَّجاةِ والفَوزِ .. فلم يَذْكُروهُم بما كان مِنهم مِن طَاعاتٍ كالصَّلاةِ، والصَّومِ، والجهَادِ، وغَيرِها مِن الطَّاعاتِ؛ فلم يَقولُوا لهم سَلاماً عليكم بما صَليتُم، أو بما صُمتُم، أو بما تَصَدَّقتُم، أو بما جاهَدتُم، أو غير ذلك من الطَّاعاتِ .. وإنما خَصُّوهم بوَصْفٍ جامعٍ لجميع معَانِي الخَيرِ والطَّاعاتِ .. وصْفٌ يحبُّه اللهُ تعالى ويَرضَاه، [بِمَا صَبَرْتُمْ]؛ بِمَا صَبَرْتُمْ على البَلاءِ بكلِّ أنواعِه، وعلى التَّكاليفِ، والطَّاعَاتِ؛ فامتثلْتُم الأمْرَ، وانتهيتُم عمَّا نهى اللهُ عنه، بِرِضَى، وقُبولٍ، وتَسْلِيمٍ، مِن دُونِ

أدنَى تَعقيبٍ أو مُعارَضَةٍ أو اعتراَضٍ، [فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ]الرعد:24. فنِعْمَ العاقِبَةُ والمآلُ الجنَّة، وليسَ النَّار!

* * * * *

الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ

784- [الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ]الرعد:28. ذِكْرُ اللهِ يَنقلُ القلُوبَ والنُّفوسَ مِن الضِّيقِ، والكآبَةِ، والكَرْبِ، والاضطرابِ، والقَلَقِ، والوحشَةِ، والجزَعِ، والقسَاوَةِ .. إلى عكسِ جميع ما تقدَّم ذِكْرُه .. وهو دَواءٌ حاسِمٌ لجميع ما تقدَّم ذِكْرُه مِن حالاتٍ وأمراضٍ نفسيَّةٍ .. لكن لَا يَستفيدُ من هذا الدَّواءِ إلا الذين آمَنُوا؛ الذين يُقبلُون على الذِّكرِ وهم به مُستيقِنِين.

* * * * *

وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ

785- [وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ]إبراهيم:5. ذَكِّرْهُمْ بأيَّامِ النِّعمَةِ، والخيرِ، والسَّعَةِ، لعَلَّهم يَشْكُرُون .. وبأيَّامِ النِّقْمَةِ، والشدَّةِ، والعَذَابِ، لعَلَّهم يتَّعظُون، ويَتُوبُون.

786- [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا]؛ بالحجج، والآياتِ البيِّناتِ، [أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ]؛ أخرجْهم مِن ظلُمات الشِّركِ، [إِلَى النُّورِ]؛ إلى نورِ الإيمانِ والتَّوحِيد، [وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ]إبراهيم:5. ذَكِّرهُم بالنِّعَم الكثيرَةِ التي أنعمَ اللهُ بها عليهم، والتي مِنها أنه تعالى أنجاهُم مِن ظُلمِ عدوِّهم الطَّاغِية فرعون، وفَلَقَ لهم البحرَ، فأنجاهُم، وأغرقَ فرعُون الطاغُوت، وجُندَه .. فإنه أدْعَى لهم لأن يَشكرُوا اللهَ، وأن يُطيعُوه ولا يَعصُوه .. فعادَةُ الناسِ ـ وللأسف ـ بعد انكشَافِ الغمَّة، ورَفع الشدَّةِ والبَلاءِ، وحلُول السَّعَةِ، والرَّخاءِ .. أنهم يَدخلون في مرحلَةِ بطَرِ العيش، ومرحلةِ النسيانِ مَا كان مِنهم، وما كان مِن نِعَمِ اللهِ عليهم أيَّامَ الشدَّةِ، والحاجَةِ .. فيحتَاجُون إلى التَّذكِير!

* * * * *

لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ

787- [لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. مِن جِنْسِ النِّعْمَةِ التي تُشْكَر.

788- [لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. مَا كانَ الشُّكْرُ في شيءٍ إلَّا زَادَه، ومَا نُزِعَ مِن شَيءٍ إلا أنْقَصَه.

789- مما يزيدُ في النّعم الشُّكر، شكرُ العبدِ لربه المنعم المتفضل عليه بالنّعم، وشكرهُ للمخلوقِ المتسبّبِ له في جلبِ النّعم .. وقوله تعالى:[وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. يشملُ نوعَي الشكر؛ شكر العبد لربه صاحب النِّعَم، والمتفضل بها عليه على الحقيقة .. وشكرُ العبدِ للمخلوقِ؛ الذي تسبّبَ له في جلب النّعم، وشُكره مِن شكرِ الخالِق سبحانه وتعالى، كما في الحديث: "من لا يشكُر الناسَ، لا يشكرُ اللهَ".

790- [لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ]إبراهيم:7. كما أن الشّكر يكون من جنس النِّعمة، كذلك الزّيادة تكون من جنس النّعمة؛ فمن كان عنده فائضُ وقت، فيشكره بالتصدّق به على ذَوي الرّحم، والضّعف والحاجةِ، والنظر في حوائجِهم، زادَه الله برَكةً في وقتِه، وزاد له في عمره. ومن كان عندَه عِلماً، فيشكرُه ببذلِه لمستحقّيه، ولا يحجبُه عن سَائلِه، زاده الله عِلماً، ومن كان قوياً في بدنه فيشكره بنصرةِ المستضعفين، يزيده الله قوةً في بدنِه، ومن كان من ذوي الشّرَف والمكانة، فيشكرُ هذه النعمةِ بالتواضع، والذلّةِ للمؤمنين، والشَّفاعةِ لهم في الخير، يزيدُه اللهُ شَرَفاً وعزّاً، كذلك يُقال في المالِ، وسائر النّعَم.

* * * * *

أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

791- [أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]إبراهيم:10. استفهامٌ يُفيدُ الإنكارَ والتعجُّبَ؛ أَبْعَدَ كلِّ هذه الآياتِ الباهِراتِ الكونيَّةِ والسَّمْعيَّةِ المبثوثَةِ مِلْء السَّمع والبَصرِ، والدالَّةِ يَقِيناً على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه تعالى هو المتفرِّدُ بالخلْقِ، الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضِ .. وأنه هو المعبودُ في الوجُود بحقٍّ .. لا تَزالُون يا أيُّها الكفَّار تُجَادِلُونَ وتَشكُّونَ بأنَّ اللهَ حَقٌّ .. أفَلَا تَعْقِلُون؟!

* * * * *

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا

792- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ]؛ ولأتْبَاعِ الرُّسلِ المؤمنين، [لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا]إبراهيم:13. خيارَان لا ثَالِثَ لهمَا إلا القَتْلُ أو السجْنُ .. إمَّا أن نُخرجكم بالقوَّةِ من أرضِنَا ودولتِنَا، فتهاجرُوا، وتَتيهوا في الأرضِ، وإمَّا أن تكفرُوا؛ فتَعُودُوا فتدخلُوا في دِينِنَا، وثَقَافَتِنَا، وعادَاتِنَا، وطَرِيقَةِ حياتِنَا .. وهذا الذي قالَه الكافرُون ليسَ حَديثاً عن مَاضِي الذينَ كَفَرُوا وحَسْب .. بل هو حَديثٌ عِن مَاضِيهم، وحَاضِرِهم، ومُسْتَقْبَلِهِم ـ بصيَغٍ وأَسَالِيبَ مُتَعدِّدَةٍ ـ في طَرِيقَةِ تَعامُلِهم معَ المؤمنين؛ أتْبَاع الرُّسُل!

* * * * *

فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ

793- [فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ]إبراهيم:13. والإهلاكُ يكونُ إما بسَببٍ كونيٍّ؛ كالريحِ، والمطَرِ، والجَدْبِ، والزَّلازِلِ، والطوفَانِ، والبرَاكِين، والخَسْفِ، وتَسليطِ الأدْوَاءِ والأَوبِئةِ، وغَيرها .. أو بسبَبٍ مِن عِندِ الظَّالمِين؛ فيَضربُ اللهُ الظَّالمين بالظالمين .. وما أكثرُ الأدلَّةِ من الواقعِ المُشَاهَد، الدَّالَّةِ على هذين النَّوعَين مِن الإهْلاكِ .. وقَليلٌ هم الذين يَعتبرُون، ويتَّعِظُون!

* * * * *

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

794- [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ]؛ لما انتَهى الأمرُ، وصَدَرَ الحكمُ مِن العَلِيِّ القَدِير .. وأُدْخِلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأُدخِل أهلُ النارِ النَّارَ .. التفَتَ أهلُ النَّارِ إلى الشَّيطانِ الذي كانُوا يَعبدُونَه مِن دُونِ اللهِ، يَسألُونَه أن ينفعَهم، ويُغيثَهم ممَّا هم فِيه مِن

كَربٍ، ومِن المصيرِ المخيفِ الذي آلُوا إليه، جزَاءَ عِبَادَتِهم إيَّاه في الحيَاةِ الدُّنيا .. فقالَ لهم الشيطانُ:[إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ]؛ وعدكم بالبَعثِ، والنُّشُورِ، والحسَابِ .. ووعدَكم أنَّ مَن آمَن سيدخلُه الجنَّةَ، ومَن كفَرَ سيُدخلُه النارَ، وكان صَادقاً فِيما قد وعَد، وقَد وفَّى وَعْدَه، [وَوَعَدتُّكُمْ]؛ إن كفَرتُم وأشركْتُم أَنِّي ناصرٌ ومُعينٌ لكُم، [فَأَخْلَفْتُكُمْ]؛ الوَعْدَ، وكَذبتُ عليكُم؛ لأنَّه لا حولَ لي ولا قوَّة .. وأن مَصِيري إلى النارِ مثلكم، لَا أستطيعُ أن أُغِيثَ نَفْسِي فضلاً عن أن أُغِيثَ غَيرِي .. وأنَّ الأمرَ كُلّه للهِ، وبيدِ اللهِ تعالى وحدَه، [وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ]؛ مِن بُرهان فِيمَا دَعوتُكم إليه، وحجَّةٍ علميَّةٍ أحملكم عليها، ولَا مِن قُوَّةٍ مَاديَّةٍ أقهركم بها على ما أُرِيد، [إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ]؛ ومَا كان لي عليكم مِن سُلطان سوى أنِّي وَسْوَسْت لكم فقَط، وزَينتُ لكم الكفرَ والشركَ، والفسُوقَ، والعُصيانَ، وحسنته لكُم، [فَاسْتَجَبْتُمْ لِي]؛ فأَطَعتمُوني، واتبعتمُوني، فِيما قَد دَعوتُكم إليه، ووسْوَسْت لكُم بِه، وتَركتم طاعةَ ومُتَابعَة الأنبياءِ والرُّسلِ، [فَلاَ تَلُومُونِي]؛ على ما فعلتُه بكم؛ على دَعوتي لكم، وعلى خلفي لما قَد وعَدتُكم به، وعلى ما انتهيتم إليه، [وَلُومُواْ أَنفُسَكُم]؛ أنتم الحمقَى والسُّفَهاءُ؛ أن استجبتم لي مِن دُونِ أن يكونَ لي عليكم حجة ولا سُلطان .. وإن كنتم لائمين أحَداً، فلُومُوا أنفسكُم لا غَير، [مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ]؛ بمغِيثكم، ونافِعكم في شيءٍ ممَّا أنتم فِيه مِن العَذَابِ، [وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ]؛ ومَا أنتم بمغيثِيَّ، ونافِعي في شيءٍ .. فكِلَانا في النارِ والعذَابِ سَوَاء، وكلٌّ له في نَفسِه شَاغِلٌ عَن غَيرِه، [إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ]؛ إني بريءٌ مِنكم، ومِن عبادَتِكم وطاعَتِكم لي من دُونِ الله، [مِن قَبْلُ]؛ وأنتم في الحياةِ الدُّنيا، [إِنَّ الظَّالِمِينَ]؛ الشيطانُ، ومَن عبَدُوه .. وكلُّ كافرٍ مشركٍ ملحِدٍ هو عابِدٌ للشيطانِ، [لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]إبراهيم:22. عذَابٌ شَديدٌ في نارِ جهنم.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً

795- [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ]إبراهيم:24-26.

[أَلَمْ تَرَ]؛ دَعوةٌ للنظر بتدبّرٍ، وتَفكُّرٍ، [كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً]؛ للاتعاظِ والاعتبار، [كَلِمَةً طَيِّبَةً]؛ طيبةٌ في ذاتِها، وفي معناها، وفي دلالاتِها، وآثارِها .. وعطائِها، ونتائجِها .. لا تَطيبُ الحياةُ إلا بها .. هي العاصِمَةُ والمنْجاة .. وهي غايةُ الوجُود، وغايةُ الغَاياتِ؛ ألا وهي كلمةُ التَّوحيد " لا إله إلا الله "، وهي في طِيبها، وجمالِها، وعطائِها، [كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ]؛ طيبةٌ في عطائِها، وفي ثمارِها، ومَذَاقِها، ورائحتِها، وغذائِها .. وظِلِّها، وما تُضفِيه على الطبيعة والوجود من جمالٍ أخَّاذ، [أَصْلُهَا ثَابِتٌ]؛ ضاربةُ الجُذُورِ في الأرض، والأعماق، لا تُؤثّر فيها الرياحُ والعواصِفُ، مهما اشتدَّت .. كذلك كلمة التَّوحيد " لا إله إلا الله "؛ فهي ضاربةُ الجذُورِ في أعماقِ قلبِ المؤمن، تثبّتُ إيمانَه ويَقينَه .. لا تضرُّه معها الفِتَنُ والمحَن مهما اشتدَّت عليه، [وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء]؛ وكما أن هذه الشجرة فروعها ممتدةٌ في السماءِ على قدرِ امتدادِ جذورها في الأرض .. تمد الوجود بثمارها وعطائِها، وجمالها، كما تمد جذورَها الضاربةِ في الأرض بالغذاء، والعطاء .. فهي كما تستمد غذاءها وقوتها من الجذور، كذلك تمد الجذور الضاربة في أعماق الأرض بالقوة والغذاء، والحياةِ، فالتأثير والعطاء متبادلان بين الجذور والفروع، فكل منهما مؤثر، ويتأثر بالآخر، يأخذ ويعطي .. كذلك كلمةُ التوحيد " لا إله إلا الله "؛ لها فروعها الممتدَّةِ والظاهِرةِ على

جوارِح الإنسان، تؤثّرُ بها وتحملها على الطاعةِ، وتتأثَّر بها فيزدادُ الإيمانُ إيماناً .. فكلٌّ من الظاهرِ والباطنِ يتأثَّر ويُؤثّر بالآخر .. والعلاقةُ بينهما متبادلةٌ، زيادة ونُقصاناً، وهو ما يوضّحه حديثُ النبي صلى الله عليه وسلم:" ألا وإنَّ في الجسَدِ مُضغة إذا صلُحَت صَلُحَ الجسدُ كلّه، وإذا فسدت فسدَ الجسَدُ كُله؛ ألا وهي القلب " البخاري. فإذا ازدادَت قوَّةُ " لا إله إلا الله " في القلبِ، ازدادَ صلاحُ وامتثالُ الجوارح الظاهرةِ على الجسَدِ للطاعات، وإذا فسَدت أو ضَعُفَت، فسد وضَعُفَ امتثالُ الجوارح الظاهِرةِ .. كذلك ضعفُ امتثال الفروع الظاهِرة على الجسَدِ، يؤدي إلى ضَعفِ الإيمانِ في القَلبِ؛ فالإيمانُ يَزيدُ وينقصُ؛ يزيدُ بالطَّاعاتِ، ويَنقصُ ويَضعفُ بالمعاصي. [تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا]؛ من خصائص هذه الشجرة الطيبة المباركة أنها ليست موسمية، بل هي دائمةُ العطَاءِ بإذنِ ربها على مدار مواسم السَّنَةِ، وفي كلِّ وقت .. كذلك كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "؛ فعطاؤها لا يقتصرُ على زمنٍ دون زمَن، ولا على مكانٍ دونَ مكانِ .. بل عطاؤها لصاحبِها مستمرٌّ على مدارِ الأوقاتِ، وفصولِ السَّنَةِ، وفي كل زمان ومكان .. بها يَميزُ الإيمانُ من الكفرِ والشركِ .. ويَميزُ الخبيثُ من الطَّيبِ .. والحقُّ من الباطلِ .. والمجرم من المصلح .. وتُعرَفُ سُبلُ المجرمين .. فشهادةُ التَّوحيد لصاحِبِها كالكَشَّاف شَديد الإضاءةِ والنُّورِ؛ يُضيء له في الظُّلمات، يُعَرِّفُه على مواطِن ومخاطِر الأشياءِ، إذْ لولاها لوقعَ في المهالِك والحُفَرِ، وكان كحاطِبِ ليلٍ، [وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]؛ يتفكرون بقيمةِ، وفضلِ، وعظَمَةِ كلمةِ التَّوحيد " لا إله إلا الله "، فيكونُ ذلك لهم سببَ هِداية ورَشَاد.

[وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ]؛ هي كلمةُ الشِّركِ، وكُلُّ كلمةٍ تُعَبِّدُ العَبيدَ للعَبيدِ، وتضَادُّ شهادَةَ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، ومَثَلُها في الخُبثِ، والنَّتَانَةِ، والرَّداءَةِ، والقُبْحِ [كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ] خبيثةُ الرَّائحَةِ والطَّعْمِ، والمنظَرِ، والثَّمَرِ، والأثَر [اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ]؛

قُلعَت وطُرِحَت فَوقَ الأرضِ؛ لأنها بلا جُذور ممتدَّة في الأرض، تمكّنُها من الثَّباتِ، ومقاومةِ حركةِ وقوةِ الرِّياح .. كذلك الشِّركُ؛ فهو طارِئ، ومُكتَسبٌ، يتَّسِمُ بالخِفَّةِ، ليس له امتدادٌ عَميقٌ في القَلْبِ والفِطرَةِ، سَهْلُ الاقتِلاعِ، والاسْتِبْدالِ، [مَا لَهَا مِن قَرَارٍ] ثابتٌ في مكانٍ ثابتٍ .. بل تتَقاذَفُها الرِّياحُ، وتَسفُّها الرِّمَالُ في كلِّ اتجاهٍ .. كذلك الشِّركُ؛ ليس ثَابتاً في صُورةٍ واحدَةٍ، ومحدَّدَةٍ، بل هو مُتعَدِّدُ الصّورِ والأشْكَالِ، قابِلٌ للتَّحْدِيثِ والتَّطويرِ اسْتِمْرارَ كَيدِ شيَاطينِ الإنسِ والجنِّ .. تتَقاذَفُهُ وتتقاسَمُهُ الأهواءُ والرَّغَبَاتُ في اتجَاهَاتٍ عِدَّةٍ، بِحَسْبِ رَغَبَاتِ ومَصالِحِ أصْحَابِه .. فكانَ الرَّجُلُ في الجاهِليَّةِ يَصْنَعُ إلهُهُ مِن تَمْرٍ، فإذا جَاعَ أكَلَه! وكما قال الصحابي أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه:" كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ فَإِذَا وجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الْآخَرَ " .. والمشْرِكُ في الجَّاهِليَّةِ المعَاصِرَةِ، لا يختَلِفُ حَالُه كَثيراً عن حَالِ المشْرِكِ في الجاهِليَّةِ الأُولى!

* * * * *

وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ

796- [وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ]إبراهيم:27. الخَلْقُ خَلْقُهُ، والمُلْكُ مُلْكُه .. ولَهُ أن يفعَلَ مَا يَشَاءُ فِيمَا يَخلقُ، وفِيمَا يملِكُ .. يَخْفِضُ مَن يَشاءُ، ويَرفَعُ مَن يَشَاءُ .. يُعِزُّ مَن يَشاءُ، ويُذِلُّ مَن يَشَاءُ .. يُغْنِي مَن يَشاءُ، ويُفْقِرُ مَن يَشَاء .. يَهدِي مَن يَشاءُ، ويُضِلُّ مَن يَشَاءُ .. لَا رَادَّ، ولَا مَانِعَ، ولَا مُعَقِّبَ لمشِيئتِه .. مَشيئتُه تَعلُو ولَا يُعلَى عليها .. كلُّ المشِيئَات تخضَعُ لمشِيئتِه .. لَا يَمضِي مِنها شيءٌ إلا إذَا شَاءَ اللّهُ .. سُبحانَه وتَعَالى.

* * * * *

وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

797- [وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً]؛ سَاهِيَاً .. فالسَّهو مهمَا كانَ ضئيلاً ليسَ من صِفَاتِه، وهو لَا يَليقُ به سُبحانَه .. وهو يَتَنَافَى معَ كمَالِ وجمالِ أسمائِه الحُسْنَى وصِفَاتِه العُلْيَا .. كما يَتَنافَى معَ مَا يَقتَضِيه الكَونُ مِن ضَبْطٍ وانتِظَامٍ، [عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ]؛ سَواءٌ كان ظلمُهُم مُتَعَلِّقاً بحقِّ اللهِ عليهم، أمْ كانَ ظلمُهُم مُتعلِّقاً بحقُوقِ العِبادِ عليهم .. فاللهُ تعالى عَالِمٌ بهم، وبأعمالِهم، ومحيطٌ بهم، وقَادرٌ عليهم .. وإن قَضَت حِكْمَتُه سُبحانه أن يمهِلَهُم، ويُمْلِيَ لهم بالنِّعَم استِدْرَاجاً، ويُؤخِّرَ عِقابَهم، لا تَقْلَقُوا أيُّها المؤمنون، [إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ]؛ عَصِيبٍ شَدِيدٍ يُنتصَفُ فيه مِنهم .. في هَذا اليوم؛ لِشِدَّةِ هَولِه، وعذَابِه، [تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ]إبراهيم:42. تَظلُّ أبصَارُهم مُفتَّحَةً مُحدَّقَةً، مَشدُوهَةً، ومَشْدودَةً، لا يَغمَضُ لهم جَفْنٌ مِن هَوْلِ مَا يَرَون، ومَا يَنتَظرهم!

798- [وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ]إبراهيم:42. لَا تَبتَئِسْ، ولَا تحزَنْ .. ولَا يَحملنَّكَ تَأخيرُ نُزُولِ العَذَابِ بالظَّالمين على أن تُسيء الظَّنَّ باللهِ؛ فتظنّ سُوءاً بعدَالَةِ اللهِ تَعالى، أو تَظن أن اللهَ تعالى غافِلٌ وسَاهٍ عمَّا يَرتكبُه الظَّالمُون مِن ظُلمٍ، وعُدوانٍ، وجرَائم .. أو أنَّه تَعالى يَخفَى عليه حَالُهم .. أو أنَّه تَعالى يَرضَى لِعبَادِه الظُّلمَ، أو أنَّه يَرضَى من الظالمِين ظُلمَهُم .. أو أنَّ عذَابَه لَن يَطَالهم .. لَا .. لَا تظنن باللهِ بشيءٍ مِن ذلك؛ فظنُّك هذا يُردِيك .. فَمَن لم يأخُذْه اللهُ بظُلمِه في الدُّنيَا؛ يُؤخِّر عذَابَه إلى يومِ القِيامَةِ، وهو أشَدُّ مِن عذَابَاتِ الدُّنيَا مجتمِعَةً!

* * * * *

ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ

799- [ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ]؛ أعرِضْ عن الكافِرين؛ الذين رَفَضُوا الإيمانَ، وأعرَضُوا عن الحجَجِ الربَّانيَّة .. ولم يُصغُوا إليها .. أعرِضْ عنهم ودَعْهم وشغْلَهم الشاغِل، وهمَّهُم الأكبر؛ الأكْل، وكيفية تحصيلِه، والتمتُّع بملذَّاتِ الحياةِ الدنيا .. وكأنَّهم لم يُخلَقُوا لغايةٍ إلَّا للأكلِ، والمتَاع، [وَيُلْهِهِمُ] عَن مصيرِهم المحتُوم الذي يتربَّصُ بِهم .. وعن الغَايَةِ التي خُلِقُوا لأجْلِها، [الأَمَلُ]؛ بمزيدٍ من الحياةِ والمتَاع .. والتكَاثُرِ .. فترَى أحدَهم قَد تجاوزَ الستِّينَ والسبعينَ، وهو لا يَزالُ يَضعُ لحياتِه الخطَطَ الخمْسيَّة، والعشْريَّة، ومَا بَعْدها .. وكأنه سيَعيشُ أبَداً .. وقَد لَا يكونُ بينه وبينَ الموتِ أيَّامَاً، وربما سَاعَات، [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ]الحجر:3. سوءَ ما كانُوا فيه منشَغِلين .. وسُوءَ المنقَلَبِ الذي سينْقَلِبون إليه!

* * * * *

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

800- [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر:9. مِن لوَازِمِ حِفْظِ الذِّكْرِ؛ حِفْظ حَمَلَتِه، وحِفْظ لُغَتِه .. فهما محفُوظَانِ ـ بحِفْظِ الذِّكْرِ ـ إلى يومِ القِيَامَة .. فالقُرآنُ الكَرِيمِ محفُوظٌ وحافِظٌ؛ محفوظٌ مِنَ اللهِ، وهو حَافِظٌ لدِينِ المسْلِمين، وهويَّتِهم، ولُغَتِهم.

801- [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر:9. مِن أعظَمِ نِعَمِ اللهِ علينا، وعلى أهلِ الأرضِ، أنه تعالى تكفَّل بحفظِ القرآنِ الكريم بنَفْسِه؛ مِن أن يعتريَه الاندِثَارُ، أو التَّحريفُ، أو النَّقصُ، أو الزيادَةُ .. فلم يترُك أمرَ حِفْظِه لِعِبادِه .. وإلا لاعتراه مع الزَّمَنِ، وتَسلّطِ الأهواءِ، ما اعترَى الكُتُبَ السَّماويَّة الأخْرَى مِن الاندِثَار، والتَّحريفِ،

والزِّيَادَةِ، والنقصَانِ .. وكِتَابٌ قَد تكفَّلَ اللهُ تعالى بحفظِه، فَلا ضَيْعَةَ، ولا خَشْيَةَ عليه، مهمَا كادَهُ الكائدُون، وتآمرَ عليه المتآمِرُون!

802- [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر:9. كيفَمَا التفتَّ تجدُ دُعاةَ الضَّلالَةِ، والفُجُورِ، والدَّجَلِ، والجهَالَةِ، والفَسَادِ .. تجدُ الأهوَاءَ، والبِدَعَ مُتفَشِّيةً بين النَّاسِ .. تجدُ الظلمَ والظَّالمِين .. تجدُ للشيطانِ، وللباطِلِ جنداً وأعوَاناً .. وفي كَثيرٍ مِن السَّاحاتِ والميادِين لا تجدُ للحقِّ أعوَاناً .. فتَعْتَلِيني الحَسَرات .. ويَضيقُ عليَّ صَدْرِي .. فإذَا قَرَأْتُ قولَه تعالى:[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]، يَطِيبُ خَاطِري .. وتَهدَأ عليَّ نفْسِي .. وأعلَمُ أنَّ هذا الدِّين محفُوظٌ ومَنصُور .. وأنَّ له رَبَّاً يحفَظُه ويحميه.

803- [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر:9. مَا أَبْرَدَهَا على القَلْبِ .. ومَا أَرْوَحَهَا للنفْسِ .. ومَا أَطْيَبَهَا للخَاطِرِ .. ومَا أَقَرَّهَا للعَين .. ومَا أَخْزَاها لِكَيدِ الكافِرين والمنَافِقِين!

* * * * *

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

804- مَا كَانَ للهِ، لا يَقْطَعُهُ الشَّيطَانُ، ولا يَقْدِرُ .. [إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ]الحجر:42.

* * * * *

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ

805- [نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]؛ لمن أذْنَبَ، ثم أنَابَ، واستَغْفَرَ، وتَابَ، [وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ]الحجر:49-50. لمن أذْنَبَ، ثمَّ أعْرَضَ، ونَأى، وأنِفَ عنِ التَّوبَةِ والاستغْفَار!

* * * * *

وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ

806- [وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ]الحجر:56. لا يَقنَطُ من رحمةِ اللهِ إلَّا الكافرون؛ لأنَّ الكافِرَ ـ إذا ماتَ على كُفْرِه ـ هو الوحيدُ الذي لا تُدرِكُه الرَّحمَةُ .. لِذا فهو يَقْنَطُ مِن رحمةِ اللهِ .. أمَّا المؤمنُ الموحِّدُ مهمَا كان منه مِن عمَلٍ وخَطَايَا .. فالرَّحمةُ تُدركُه .. وبالتَّالي لا يجوزُ له أن يَتَشبَّهَ بالكافِرين، أو يعتقِدَ اعتقادَهم بأنَّ اللهَ لن يَرحمَه .. وهذا معْنَى قد سبقَت الإشَارَة إليه عِند قولِه تعالى:[وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ].

* * * * *

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

807- [لَعَمْرُكَ]؛ يُقسِمُ اللهُ تعالى بحياةِ وعُمرِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم الدُّنيوي، قَسَم تَشرِيفٍ وتَكريمٍ، فلا يُعرَف أن اللهَ تعالى قد أقسَم بحياةِ إنسانٍ غيرَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. وذلك لِعَظِيمِ بركَةِ ونَفعِ حيَاتِه؛ فسَاعَةٌ مِن عمرِه وحياتِه صلى الله عليه وسلم تُعَادِلُ عمرَ جِيلٍ بكامِلِه، ويَزِيد .. واللهُ تعالى له أن يُقسم بما شاءَ مِن مخلوقَاتِه قسَمَ تَشريفٍ، وتَكريمٍ .. وهذا لا يَعني أن الإنسانَ يجوزُ له أن يُقسمَ بحياةِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، أو بحياةِ غيرِه من الناسِ مَهما عَظُمَ شَأنهم، فالنبيُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم

قد نَهى عن ذلك، قال صلى الله عليه وسلم:" من كان حَالِفاً فليَحْلِفْ باللهِ أو ليَصْمُت "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن حَلَفَ بغَيرِ اللهِ فَقَد أشرَك " الترمذي. [إِنَّهُمْ]؛ الكفارُ، والمشركُون، [لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ]الحجر:72. لشدَّةِ ضَلالِهِم وانحرافِهِم، وتمكُّنِ الأهواءِ مِنهم؛ فهم سُكَارَى، ولهم صِفَةُ السكران الذي غيّبَ عَقلَه، وأوقفه عن العمَلِ مِن شدَّةِ السُّكرِ .. أحيَاناً الفِكرةُ الضَّالَّةُ الخاطئةُ إن تمكَّنَت مِن صَاحِبِها، قَد تَعمَلُ عملَهَا المدمِّر لعقلِ الإنسانِ، مَالا يَفعلُه السُّكرُ ذاته، [يَعْمَهُونَ]؛ يتَردَّدون، ويَلعبُون، شَأنهم شَأنَ السَّكران الفَاقدِ لعَقْلِه.

* * * * *

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ

808- [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ]الحجر:75 للمتَفرِّسين للوجوهِ والأحْوَالِ، فيَخْبُرونَ حقيقةَ الأشْياءِ، وباطِنَها مِن خِلالِ تَفَرُّسِ ظَاهِرِهَا .. يَكْفِي للدَّلالَةِ على الإيمانِ باللهِ، هذا الفَارقُ الكَبير بينَ وجُوهِ المؤْمنين والمؤْمنَاتِ التي يَعْلُوهَا البَهَاءُ والنُّورُ، وبينَ وجُوهِ الكَافِرين والكَافِرَات التي تَعْلُوهَا الظُّلْمَةُ .. مَهْمَا كانَ الكَافِرُ مِن ذَوِي البِشْرَةِ البيضَاءِ والشَّقْرَاءِ، فإنَّ وجهَهَ تَعْلُوه ظُلْمَةٌ لا تَخفَى على المؤمنِ المتَفرِّسِ .. وفي الحديث:" إنَّ للهِ تعالى عبادًا يعرفون الناسَ بالتَّوسُّمِ ". أي بالفراسَةِ.

809- [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ]الحجر:75. هم الذين يُأمِّرُون السُّنَّةَ على أنفُسِهِم، وفي حيَاتِهم .. هؤلاءِ لا تُخطِئهم الفرَاسَةُ!

* * * * *

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ

810- [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]الحجر:91. فتفرّقُوا فيه فِرَقاً ومَذَاهِباً، فآمَنُوا ببعضِه، وكفَرُوا ببعضِه، أقبلُوا على بعضِه، وأعرضُوا عن بعضِه .. استَسْهَلُوا بعضَهُ، واستَصْعَبُوا بَعضَهُ، فأقبَلُوا على ما اسْتَسْهْلُوه، وأعرَضُوا عَمّا استَصْعَبُوه .. أَقبَلُوا عليه تِلاوةً وتَبَركاً وأعرَضُوا عنه عَمَلاً وتحاكُماً!

811- [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]الحجر:91. فآمَنُوا بتلاوَتِه، وكَفَرُوا بالعمَلِ بِهِ، والتَّحاكُمِ إليه.

812- [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]الحجر:91. فَرَّقوا بين التِّلَاوةِ والعَمَل .. وبينَ الأحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، والأحْكَامِ الجِنَائِيَّةِ .. فأخَذُوا بالأوَّلِ، وتَرَكُوا الآخَرَ!

* * * * *

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ

813- [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ]الحجر:94. المشركُون قَد يَفرشُون في طَريقِ دَعْوتِك إلى اللهِ تعالى المعوِّقاتِ، والأشْوَاك .. ويمارِسُون مَعَك مَا يَقدِرُون عليه مِن أسَاليبِ التَّرغِيبِ والتَّرهِيب؛ ليَصدُّوك، وليُشْغلُوك عنِ المضِي في دَعوتِك إلى اللهِ .. فَأعْرِضْ عنهم، ولَا تَلتفِتْ إليهم، ولَا تَنشَغِلْ بما يُحاولُون أن يُشغِلُوك به عنِ المضِي في رسَالَتِك .. وعن المضِي في الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعَالى، وإلى تَوحِيدِه، وعبادَتِه، والصَّدْعِ بما يَأمرُك به.

* * * * *

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ

814- [إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]الحجر:95. تَكَفَّلَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بأنَّه سيكفِيه شَرَّ كل مَن يَتعَرَّضُ له بالانتِقَاصِ والاسْتهزَاءِ .. ومِن الكِفَايَةِ الهِدَايَةَ أو الانْتِقَام .. فهذه الآيةُ لا تَقتصِرُ على مَن مَضَى من المستهزِئين .. بل هي تَشملُ مَن مَضَى، ومَا هو آتٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. فليَقِر عَيناً .. وأنه تعالى سينتَقِمُ له مِن مُسْتهزِئيه في الدُّنيا قبلَ الآخِرة، بما شَاءَ، وكيفَمَا شَاءَ، ووقتمَا يَشَاءُ .. والواقعُ المشَاهَد دَليلٌ على ذلِك .. فَلا نَعرفُ أحَداً تجرَّأَ على الاسْتهزاءِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا وطالَهُ نَوعُ عِقَابٍ، وانتِقَامٍ، وتَأدِيبٍ مِن اللهِ تعالى، ولو بَعدَ حِينٍ.

815- الاقترابُ مِن النبيِّ صلى الله عليه وسلم بِسُوءٍ، صُوَرٌ، وأنوَاعٌ، ودَرَجات: مِنها الطَّعْنُ والتَّهَكُّمُ المباشَرُ .. ومِنها التَّهكُّم والاستِخْفَافُ بِسُنَّتِه، ورَدِّهَا تحتَ مَزاعِمِ شَتَّى؛ جامِعُها الجهْلُ والهوَى .. وهؤلاء جميعاً، كُلٌّ بحسبه له حَظٌّ مِن قولِه تعالى:[إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]الحجر:95.

* * * * *

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ

816- [إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]الحجر:95. تَكَفَّلَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم بأنَّه سيكفِيه شَرَّ كل مَن يَتعَرَّضُ له بالانتِقَاصِ والاسْتهزَاءِ .. ومِن الكِفَايَةِ الهِدَايَةَ أو الانْتِقَام .. فهذه الآيةُ لا تَقتصِرُ على مَن مَضَى من المستهزِئين .. بل هي تَشملُ مَن مَضَى، ومَا هو آتٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. فليَقِر عَيناً .. وأنه تعالى سينتَقِمُ له مِن مُسْتهزِئيه في الدُّنيا قبلَ الآخِرة، بما شَاءَ، وكيفَمَا شَاءَ، ووقتمَا يَشَاءُ .. والواقعُ المشَاهَد

دَليلٌ على ذلِك .. فَلا نَعرفُ أحَداً تجرَّأَ على الاسْتهزاءِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا وطالَهُ نَوعُ عِقَابٍ، وانتِقَامٍ، وتَأدِيبٍ مِن اللهِ تعالى، ولو بَعدَ حِينٍ.

817- إذا ضَاقَ صَدرُك بما يَقولُ الكُفَّارُ والمنافِقُون، وبما تَسمَعُ مِنهم مِن أذَى، فافْزَعْ إلى التَّسبِيحِ بِحَمْدِ ربِّك ـ سُبحانَ اللهِ وبِحَمْدِه، سُبحانَ اللهِ العَظِيم ـ وإلى الإكْثَارِ من السّجُودِ؛ يَذهبُ عنك ضِيقُ الصَّدْرِ، كما قال تعالى:[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ]الحجر:97-98. أي وكُنْ مِنَ العَابِدِين، وخَصَّ من العِبادَةِ السُّجُودِ؛ لِقُربِ السَّاجِدِ وهو سَاجِدٌ مِن رَبِّه.

* * * * *

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ

818- [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ]الحجر:97-99. الكَم الكبير مِن البُهتانِ، والكَذِبِ، والتَّكذِيب للحقِّ، والتَّصدِيقِ للباطِلِ، والتَّزويرِ للحقَائقِ والمعَاني، الذي يَسمعُه المؤمنُ يومياً مِن الكافِرين، والمنافِقين، والمرجفِين .. يتَسبَّب للمؤمنِ حزناً كبيراً، وضِيقاً في الصَّدرِ، وبخاصَّةٍ عندما لا يجدُ القوةَ الكافيَة لمواجهَةِ هذا الكَم الكبير مِن البُهتان، والتزويرِ، ورَدِّه، وإيقَافِه .. فالتَّوجيهُ الربَّاني حينئذٍ لعبادِ اللهِ المؤمنين، أن يُكثرُوا مِن التَّسبيح بحمدِ ربِّهم، ومِن الصلاةِ، وأن يستمرُّوا في عبادَةِ الله تعالى، وتَوحيدِه إلى أن يُدركهم الموتُ .. فهذا مما يُعينهم، ويخفِّف عنهم ما يُعانُون مِنه، ويَشعرون به، ويُذهِبُ عنهم الحزنَ، وضِيقَ الصَّدْرِ، بإذنِ الله.

819- [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ]الحجر:97. أنتَ يَا عبدَ اللهِ لسْتَ بمفردِك في المعركَةِ .. فاللهُ تعالى معَك يَسمعُ ويَرَى، ويَعلمُ ما يكونُ من أعدائِك، ومَا يقُولُونه لك .. ويَعلم مَا يكون مِنك، ومَا يَصيبُك مِن حزنٍ، وضِيقٍ في الصدْرِ، بسببِ ما يقولُون من باطِلٍ .. وتَوجيهُ اللهِ لك حينئذٍ أن تَفزَعَ إلى التَّسبيحِ، وإلى الصَّلاةِ .. فستجد فِيهما عَوناً لك على الصَّبرِ، وعلى مواجَهةِ كيدِ وباطِلِ الأعدَاءِ!

* * * * *

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

820- [وَاعْبُدْ رَبَّكَ]؛ عِبادَةً دَائمةً متواصِلَةً لا انقطاعَ فِيها، ولا تَوقُّف .. مَهْمَا امتدَّ بِكَ الزَّمَنُ، [حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ]الحجر:99. إلى أن يُدرِكَكَ الموتُ .. فهو الوَقتُ الوَحِيدُ الذي يُسمَحُ لك أن نتوقَّفَ فِيهِ عنِ العِبادَةِ!

* * * * *

وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

821- [وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ]النحل:9. على اللهِ بيَانُ سَبيلِ الحقِّ، وبيانُ حَلالِه، وحرَامِه، وبيانُ الخيرِ، والشَّرِّ .. وعلينا اتباعُ هذا السَّبيلِ، مِن غَيرِ انحرافٍ عنه إلى غَيرِه مِن السُّبُل!

* * * * *

وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ

822- [وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ]النحل:15. لكي لا تَضطَّرب وتتحرَّك الطَّبقاتُ العلويَّةُ للأرضِ، فلا يثبت على ظهرِها بناءٌ، فيمتنع الاستقرارُ، ويَنتَفي الانتفاعُ مِن الأرضِ .. أنزلَ اللهُ جِبالاً روَاسِي، وأوتَاداً تمتَدُّ جذُورُها في باطِنِ الأرضِ أضعَافَ مَا يَظهر مِنها فوقَ الأرضِ؛ تُثبِّتُ حركةَ الطَّبقَات العلويَّةِ للأرضِ؛ ليتحقَّقَ الاستقرَارُ، ويتمُّ الانتفاعُ مِن الأرضِ .. وهذه حقيقةٌ علميَّةٌ لا يُمارِي فيها عاقلٌ، لم يكنْ يَعلمُها العربُ مِن قَبل .. كما أن العلم المعاصر لم يكتشِفْها إلَّا مؤخَّراً؛ في أواخِر القَرن التاسع عشَر، كما تقولُ بعضُ المصَادِر .. وهي من جملةِ الأدِلَّة العلميَّةِ العَديدَةِ الدَّالةِ على أن النبيَّ محمد صلى الله عليه وسلم الأُمِّي؛ الذي لا يَقرأ ولَا يكتُبُ .. هو نبيٌّ مرسَلٌ مِن اللهِ .. وأن هذا العِلم لم يكن ليعلَمه أو يأتِ به ـ قبلَ أكثر مِن ألفٍ وأربعمائةِ سنَةٍ ـ لولا أن اللهَ تعالى قد أنزلَه عليه، وأعلَمَه به.

* * * * *

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ

823- [أَفَمَن يَخْلُقُ]؛ وهو اللهُ، [كَمَن لاَّ يَخْلُقُ]؛ وهو كُلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ .. هَلْ يَستويانِ مَثَلاً .. هل تُصرَف العِبادَةُ لمن لا يَخلُقُ، وهو يُخْلَقُ ـ وهو عاجِزٌ عن أن يَخلُقَ شَيئاً ـ كما تُصرَف لمن يَخلُقُ، ولهُ الخلْقُ كُلّه، وهو على كُلِّ شيءٍ قَدير .. وإذا كانَا لا يَستويانِ في الصِّفَاتِ، ولا يُوجَدُ أدْنَى تَشَابُه أو تماثُلٍ بين صِفَاتِ وأفْعَالِ الخالِقِ وصِفَاتِ وأفْعَالِ المخْلُوقِ، فكيفَ يَستويانِ في الحقُّوقِ، [أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. أفَلَا يكونُ ذلك دَاعِياً لكم لأن تُؤمِنُوا، وتُوحِّدُوا الخالِقَ سُبحَانه، وتُنَزِّهُوه عنِ الشَّرِيكِ؟!

* * * * *

أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ

824- [أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ]النحل:27. كلُّ مَن يُجادِلُ عن الطَّاغُوت .. ويُقاتِلُ ويُخاصِمُ دُونَه .. ويُوالي ويُعادِي فِيه .. سَواءٌ كان هذا الطَّاغُوت صَنَماً مِن حجَرٍ .. أو شجرٍ .. أو بشَرٍ .. أو قَبرٍ .. أو كان نِظاماً جاهليّاً باطلاً .. أو حِزباً .. أو مَنْهجاً باطلاً متَّبعاً .. أو دُسْتوراً وقانُوناً يحلُّ حرَاماً ويُحرِّم حَلالاً .. أو حَاكماً يَزعمُ لنفسِه خاصيَّةِ الحُكمِ والتَّشْريعِ، والتَّحليلِ والتَّحريمِ مِن دُونِ اللهِ .. فهو ممن سيُوجَّه إليه هذا السؤال التَّقْرِيعي التَّوبِيخي، يومَ القِيامَةِ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون:[أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ]؟! الذين كنتم تُجادِلُون دونَهم، وتَدخلُون في خصُومَاتٍ وعدَاواتٍ مِن أجلِهم .. وأشركتمُوهُم معي فِيما هو خاصٌّ بي، ومِن حَقّي .. أخرجُوهم وأظهرُوهم ـ إن كنتم قادرين ـ لكي يُدافِعُوا ويُجادِلُوا عنكم اليوم .. كما كُنْتُم تُدافعُون وتجادِلُونَ عنهم في الحياةِ الدُّنيا .. وتُعادُون أوليائي مِن أجلِهم .. وأنَّى!

* * * * *

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ

825- الله تعالى لا يَأمرُ ولا يُنَزّلُ إلا خَيراً، فأمرُهُ خيرٌ، ونَهيهُ عن شَرٍّ، الانتهاءُ عنه يُؤدّي إلى خيرٍ، وبهذا يكونُ الأمْرُ والنَّهي خيراً، [وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً]النحل:30. فالتَّنزيلُ كُلُّه وما يَتضمَّنُ من أمرٍ ونَهيٍّ، وإخبَارٍ .. كلُّه خير، ويُؤدّي إلى خَير.

* * * * *

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ

826- [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. هكذا كانت مَهمَّةُ جَميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ معَ أقوَامِهم وأمَمِهم، وهذه هي الغايةُ مِن بَعْثِهم وإرسَالِهم .. وهكذا يجبُ أن تكونَ مَهمَّةُ ورَثتِهم مِن العُلماءِ، والدُّعاةِ إلى الله .. على مَدَارِ العُصُورِ، وإلى أن تَقومَ السَّاعةُ، [أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]. وأيُّمَا عالِمٍ أو داعِيَةٍ يَنحرِفُ عن هذهِ المهمَّةِ، وهذه الغَايَة .. إلى غَيرِها مِن المهَامِ والغَايات .. يَفْقِدُ مُباشرةً صِفَةَ الدَّاعِيَةِ إلى اللهِ .. وصِفَةَ ورَثَةِ الأنْبِيَاء!

لا يَكْفي أن تَدعُو إلى عبادَةِ اللهِ .. كما لا يَكْفِي أن تَدعُو إلى اجتنَابِ الطَّاغُوتِ، والكُفْرِ به، والبَراءِ مِنه .. وإنَّما يجبُ ـ وحتَّى تكونَ من ورثَةِ الأنبياءِ ـ أن تجمعَ بينَهما مَعَاً في دَعْوَتِك، وجِهَادِك.

827- كثيرٌ من الأنبياءِ قَضَوا نحبَهم، ولم يتمكّنوا من أن يُقيمُوا للإسلامِ دَولةً، فما زحزَحَهم ذلك عن الثَّبات على مبادِئ وقيمِ الإيمان، والمضي في أداءِ مَهَمَّتِهم الأسَاس:[أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36.

* * * * *

فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ

828- [فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]النحل:43. لَمْ يَقُلْ: فقَلِّدُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كنتُم لا تَعلمُون .. كما يحاولُ المتعصّبةُ لأقوالِ ومَذاهِبِ العُلماءِ أن يُفَسِّرُوا الآيةَ الكريمةَ .. وإنَّما المرادُ من الآيةِ الكريمةِ: فاسْأَلُوا أهلَ العِلمِ الذين يَدُلُّوكُم ويَرشُدُوكُم إلى حُكمِ وأدِلَّةِ الكِتابِ، والسُّنَّةِ؛ لأنَّ الحجةَ المُلزِمَةَ في القَولِ المنزَّلِ، وليسَ في القَولِ المأوَّلِ .. في قالَ اللهُ، قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم .. وليسَ في قَولِ العالِمِ مجرَّداً عن المتابَعةِ لأدلَّةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ!

* * * * *

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

829- [وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ]النحل:44. الذِّكْرُ الذي أنزَلَهُ اللهُ؛ هو القُرآنُ الكَريم، وبيَانُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للذكْرِ؛ هو السُّنَّةُ النبويَّةُ المطَهَّرَة .. وكِلاهُمَا القُرآنُ والسُّنَّة؛ يَخرُجَان مِن مِشْكَاةِ الوَحي، لَا يُغنِي أحَدُهمَا عن الآخَر .. ولَا يُقبَلُ الإيمانُ بأحَدِهمَا مِن دُونِ الإيمانِ بالآخَر .. فمَا آمَنَ بالقُرآنِ مَن جَحَدَ السُّنَّةَ!

* * * * *

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ

830- [وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ]النحل:53. كلُّ النِّعَمِ المحيطَةِ بكَ، والتي تتمتَّعُ بها؛ الظاهِرةِ والباطِنَةِ، مَا تعلَمُه ومَا لا تَعْلَمُه، فهي على الحقِيقَةِ مِن اللهِ .. فَلا تَشكُرْ

المخلُوقَ؛ الوسيلةَ أو السَّبَبَ المبَاشَر ـ والذي هو أيضاً من مُلْكِ، وتَقْدِيرِ، ونِعَم الخالِق سُبحَانه ـ لما أنت فيه مِن النّعَم .. وتَغْفَل عن شُكْرِ اللهِ مَالِك وخَالقِ النّعَم، والذي تفضَّل بها عليك على الحقِيقَةِ .. وهو كما منَحَكَ إيَّاهَا قادِرٌ على أن يَسلبَها مِنك وقتَمَا يَشَاء .. فتكُن كمَن يردُّ الفضْلَ إلى غيرِ أهْلِه!

ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ

831- [ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ]النحل:53. إذَا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ .. فَرُغَ قَلبُه مِن العوَالِقِ .. ونَسِيَ مَن كان يَعبدُهم من دُونِ اللهِ؛ لشُعُورِه أنَّهم لا يَقدِرُون أن ينجدُوه ممَّا هو فيه من الضُّرِّ .. ويتذكَّر فقَط " اللهَ "؛ لعِلمِه وشعُورِه أنه يَسمعُه ويرَاهُ .. وأنَّه وحدُه القَادِرُ على أن ينقذَه، ويخرجَه ممَّا هو فيه من الضُّرِّ .. فيتضرَّعُ إليه وحدَه .. لكن هذا الإنسانُ ـ وللأسَف ـ ما إن يكشِفَ اللهُ عنه الضرَّ .. ويَعودَ إلى حالَةِ الرَّخَاءِ، والاسترْخاءِ، والأمانِ .. يعُودُ من جَديدٍ إلى الشرْكِ، وعِبَادَةِ المخلُوقِ، والأوثَانِ، والطواغِيتِ مِن دُونِ الله .. وإلى التعلُّقِ بهم؟!

* * * * *

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ

832- [وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً]، يَعُودُ ـ بعدَ عُمْرٍ طويلٍ ـ كما بَدَأ؛ يبُولُ ويَغُوطُ على نفْسِه .. يَضعفُ بدَنُه .. ويَضْعُفُ بصَرُه .. وتَضْعُفُ ذاكرتُه ـ ومنهم مَن يَفقِدُها ـ ويَضْعفُ علمُه بالأشياءِ .. والتمييز بينها .. فيَرِدُّ للدُّنيَا مَا أَخَذَ مِنْها .. بَلْ وأضعَافَ ما أَخَذَ مِنها .. ثم يخرجُ مِنها عريَاناً كما أتَاهَا عرياناً .. [إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ]النحل:70. عالمٌ بكُلِّ شيءٍ، وقَادرٌ عليه.

* * * * *

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا

833- [يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ]؛ يعرِفُون أن ما هم فيه من النِّعَم السَّابِغَات التَّامَّاتِ ـ التي لا تُعَد ولَا تُحصَى ـ هي مِن اللهِ، وبفضلٍ وتَقديرٍ مِن اللهِ، [ثُمَّ يُنكِرُونَهَا]؛ ثم يجحدُونَها؛ فيكفُرونَ النِّعَمَ، والمُنعِمَ .. ويردُّونَها إلى أنفُسِهم وعزَمَاتِهم .. يردونَها إلى المخلوقِ .. وإلى الأسبَابِ مِن دونِ اللهِ، [وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ]النحل:83. لأنَّ مِن المؤمنين وللأسفِ من يَقعُ في شيءٍ من هذا الخَطأ، عن جَهلٍ، فاستثناهم الله تعالى بقوله:[وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ]؛ ولم يَقُلْ كُلَّهُم .. وفي هذا التعبير القُرآني المخيف، تَحذيرٌ وتَرهيبٌ لهذا الفريقِ الجاهلِ من المؤمنين الذي يَقعُ في شيءٍ من هذا الخَطأ .. مِن أن يتمادَوا في خَطأهم ويُصرُّوا عليه؛ فيُصبحُوا مِن الكافرين!

834- [يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا]النحل:83. يَعرفُون أن محمداً رسولُ الله، وأنه حقٌّ، وأنَّ ما جاءَ به من عندِ ربِّه حقٌّ، لَا مِرية ولا شَكَّ فِيه .. وأنه مذكورٌ في كُتُبِهم قبلَ بعثَتِه صلى الله عليه وسلم .. ثم هم مع ذلك كِبراً وتَعَالياً وحَسَداً يُنكرُون ويجحدُون هذه النِّعمة العظيمَة؛ نعمة نبوَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، التي لا تُوازيها نعمةٌ، والتي هي سببٌ لكثيرٍ مِن النِّعَم بعدَها .. والتي هي خير ورحمة للعَالمين .. فإنكارُهم لنبوَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم عن جَهلٍ، وإنما عن عِلمٍ ومعرفَةٍ .. وهو ما يُغلِّظُ عليهم الذَّنبَ والمؤاخَذَة.

835- [يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا]النحل:83. يَعرفُون أن الرزقَ مِن عندِ اللهِ، ثم يَردُّون الفضْلَ - فِيما هم فِيه مِن رِزقٍ وسَعَةٍ - لغيرِ اللهِ .. وهذا معنى آخَر مستحسَن للآيةِ الكريمةِ، قد أشارَ إليه بعضُ أهلِ العِلم.

* * * * *

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ

836- [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ]؛ القُرآنَ الكَرِيم، [تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ]. [لِّكُلِّ شَيْءٍ]، من صيَغِ العمُومِ التي تَعمُّ وتشمَلُ كلَّ ما يحتَاجُه الإنسانُ في حيَاتِه الدُّنيا، مِن شؤونِ الدِّينِ والدُّنيا .. فلمْ يحوجَنا هذا الكتابُ العظيم إلى غيرِه؛ إلى قوانين وشرائعَ وضعَهَا الغَرْبُ أو الشَّرقُ .. نحتكِمُ إليها، ونلتَمِسُ فيها الخيرَ، والهُدَى لأنفسِنا، وفي حياتِنَا .. فأبَانَ لنا الحقَّ، ومَا يُؤدي إليه، والبَاطِلَ ومَا يُؤدِّي إليه .. وأبانَ سُبُلَ المجرمين، وفصَّلَ فيها تَفصيلاً واسِعَاً؛ لكي نحذَرَها، ونُحذِّرَ منها، ونبتعدَ عنها .. ومَا مِن خيرٍ يُقرِّبُ إلى الله، وإلى جنَّتِه، وفيه سَعادَتُنا في الدُّنيا والآخِرَةِ، إلا وقد بيَّنَه هذا الكتاب، وحَضَّ عليه، ومَا مِن شرٍّ يُبَعِّدُ عن اللهِ تعالى، ويقرِّبُ إلى النارِ، وفيه شَقاؤنا في الدُّنيا والآخِرة، إلا وقَد بينَه هذا الكتاب، ونَهى عنه، وحذَّرَنَا منه .. اللهُ تعالى غَيُورٌ؛ لا أحَدَ أغيرَ مِن اللهِ، ومِن غيرَتِه على عِبادِه، أن لا يحوجَهُم إلى غيرِه، وإلى شرعٍ غير شَرْعِه .. [وَهُدًى]؛ من كلِّ زَيغٍ وضَلالٍ .. فمن تمسَّكَ به فلَن يَضِلَّ أبَداً، [وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ]النحل:89. [وَرَحْمَةً .. لِلْمُسْلِمِينَ]؛ لمَا فيه من خَيرٍ، وتلبيةٍ وبيَانٍ لجميعِ ما يحتَاجُون إلى معرفتِه مِن شُؤون الدِّين والدُّنيا .. فلم يُوقِعْهُم في ذلِّ الحاجَةِ، والطَّلبِ، واستجدَاءِ القِيَمِ والمفَاهِيمِ مِن الأعدَاء .. [وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ]؛ بالجنَّةِ ونعيمِها الخالِدِ الذي لا يَبيدُ أبَداً، جَزاءَ تمسُّكِهم بهذا الكِتَابِ، والعَمَلِ بما فِيه.

وفي الآيةِ رَدٌّ على أولئكَ الجَّاحِدين الذين يُحاولُون عَبَثاً أن يَفصلُوا الإسلامَ عن مَيادِينِ الحياةِ، والحُكمِ، والسِّيَاسَةِ ...!

* * * * *

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

837- يقومُ الحكمُ الإسلامي على ركيزتين أساسيتين: الحقُّ، والعدلُ؛ فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، من غيرِ إفراطٍ ولا تفريط، وهو الحقُّ الذي ليس بعده إلا الباطل والضلال .. ثم حملَ العبادَ على إنصاف هذه الحقوق من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ؛ وهو العدلُ الذي ليس بعده إلا الظلم والعدوان .. قال تعالى:[وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ]غافر:20. وقال تعالى:[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]النحل:90.

838- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] ؛ بالإنصافِ عند الانتصافِ؛ وهو حقّ، [وَالإِحْسَانِ]النحل:90. العَفْو، والصَّفْح؛ وهو فضْلٌ.

839- [إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ]النحل:90. بالحقِّ، والفَضْلِ.

* * * * *

وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً

840- [وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً]النحل:92. أَمْثِلَتُه كَثِيرَةٌ، مِنْها: الذي يَرتَدُّ بعدَ إيمانِه، ويُتْبِعُ إيمانَه بالكُفْرِ والشِّرْكِ، فيَحْبُطَ إيمانُه، وعَمَلُه، ويمتنعُ من الانتفَاعِ بِه .. ومِنها: الذي يَتَصَدَّقُ على الآخَرِين، ويَبذُلُ لهم المعرُوفَ، ثمَّ يُتْبِعُ مَعرُوفَه وصدقَتَه بالمَنِّ والأذَى .. ومِنها: الذي يَأتِي بالطَّاعَاتِ على وجْهِ الرِّيَاءِ .. فَلا

يَنتفعُ مِن طاعَاتِه في شَيءٍ، بَل وتَنْقَلِبُ عليه سَيِّئات .. ومِنها: الذي يَأتي بالطَّاعاتِ على وجهِ الإخْلاصِ والمتَابَعَةِ .. ثمَّ يَسْتَغِيبُ النَّاسَ، ويتجسَّسُ على عَوْرَاتِهم، ويُؤْذِيهم في أَنْفُسِهم، وأعْرَاضِهم، وأَمْوَالِهم .. فيُوزِّعُ حسَنَاتِه عليهم إلى أن يَبقَى بلا حَسَنَاتٍ، وكأنَّه لم يَفْعَلْ شَيئاً مِن الطَّاعَات .. مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ مَن يَكْدَحُ طِيلَةَ نَهارِه، وما يَتَحَصَّل عليه من مَالٍ في آخِرِ يومِهِ يَحْرِمُ نَفْسَهُ وأبنَاءَه مِنْهُ، ويُعطِيه لأعْدائِه، ولمن لا يُحِب .. ومِنها: كُلُّ مَن يَرجعُ أو يَتَرَاجَعُ بَعدَ تَقَدُّمٍ، ويَنْزِلُ بَعدَ صعُودٍ .. وأمثِلَةُ هذا الصِّنْفِ من الناسِ كَثِيرَة!

841- [وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً]النحل:92. هذه امرأةٌ سَفيهةٌ حمقَاء، كانت تَغزلُ غَزْلَها، وبعد أن تُحْكِمَهُ وتَنتهي منه، تَنقضُه، وتحلُّه مِن جَديدٍ .. وتَعودُ مِن حيثُ بدَأت .. وهكذا كلما أَنْهَت غَزْلَها، وأحكَمَتْهُ، تَعودُ عليه بالكَرِّ والنَّقضِ .. وهي مِثالٌ لكلِّ مَن يبني بناءً جميلاً ثمَّ يعودُ عليه بالهدْمِ والتَّدمير .. فيهدرُ الطَّاقَاتِ، والأوْقاتِ، والأموالِ، والمواردِ مِن غيرِ طائلٍ ولا فائدةٍ .. ومثَالُه في واقعنا السياسِي الذي يبني دَولةً، ومَرَافقَاً، ومؤسّساتٍ .. ثم يُسلِمُها بإرادتِه لعدوِّه ومُناوئِه ـ باسم الديمقراطيَّةِ والانتخاباتِ الحرَّة! ـ ليعود عليها بالهدْمِ، والتخرِيبِ، والتدميرِ .. فتُصبحُ وكأنَّها لم تكن قد كانَت!

* * * * *

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ

842- [مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ]؛ مَا تَدَّخرُونَه، وتُنفقُونَه على أنفُسِكم وشهواتِكم يَفْنَى، ويَزُولُ، ويذهبُ في اتجاهاتٍ عِدَّةٍ، لا يدومُ شيءٌ منه لكم، [وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ]النحل:96. ومَا تُنفقُون مِن أموالِكم وأنفُسِكم في سَبيلِ اللهِ، وتَدَّخرونَه عند اللهِ، فهو

البَاقِي الدَّائمُ؛ الذي يُرْبِيه اللهُ، ويُنميه لكم، وتجدُون نفْعَه أمامكم يومَ القيامَةِ .. والعَاقِلُ من يدَّخِرُ من الفَانِي إلى البَاقِي .. ولَمَّا ذَبَحت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها شَاةً، وقسَّمتها على الجيرانِ، رفَعَت مِنها الذِّرَاعَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ وكانَ أحبَّ الشَّاةِ إليهِ الذِّراعُ، فَلَمَّا جاءَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالت عائشةُ: ما بقي عندَنا منها إلا الذِّراعُ، قال صلى الله عليه وسلم:" كلُّها بَقِيَ إلا الذِّرَاعُ "!

* * * * *

مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً

843- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً]؛ كلُّ ما يحبُّه اللهُ تَعَالى مِنَ الأقوَالِ والأعمَالِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ، [مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى]؛ فيه أنَّ جَميعَ التَّكَاليف الشَّرْعيَّة ابتدَاءً يُرَادُ بها الذُّكُورُ والإنَاثُ، مَا لم يَرِدْ نصٌّ يخصِّص التَّكليفَ بأحَدِهمَا دُونَ الآخَر، [وَهُوَ مُؤْمِنٌ]؛ لأنَّ الكافِرَ المشْرِكَ لَا ينتفعُ يَومَ القيامَةِ مِن أعمالِه الصَّالحَةِ، [فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً]؛ لا تَعْرِفُ الأمرَاضَ النَّفْسيَّةَ؛ حيَاةً مِلْؤُهَا السَّعَادَة، والقنَاعَة، والرِّضَا، والمعرِفَة .. هذا في الدُّنيا، أما في الآخِرَة:[وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]النحل:97. فيُجْزَى لهم الجزَاءُ، ويَمضي لهم الأجْرُ، على أحسَنِ أعمَالِهم، ويَتجاوَزُ اللهُ عن رَدِيئها .. وأحسَنُ الأعمَالِ هي التي يَتحَقَّق فيها شَرْطَا القبُول: المتَابَعَةُ، والإخْلاصُ.

844- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً]؛ هو كلُّ عملٍ يتحقَّقُ فيه شَرْطَان: الموافقَةُ للكتَابِ والسُّنَّةِ، والإخْلاصِ، ويَشملُ جميعَ حركَةٍ وأعمَالِ الإنسانِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ، التي يحبُّها اللهُ تعالى ويَرْضَاها، [مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى]؛ فكما أن الذكُورَ مُطالَبُون بالعمَلِ الصَّالح، وبالتكاليفِ الشَّرعيَّة، كذلك الإنَاثُ .. فالدِّين لم يُنزَّل لأحدِهما دُونَ الآخَر، [وَهُوَ مُؤْمِنٌ]؛ مسلمٌ موحِّدٌ لا يُشركُ باللهِ شَيئاً؛ لأنَّ المشركَ الكافرَ إن عملَ عملاً صالحاً ينتفعُ

به في الدُّنيا دُونَ الآخِرَةِ، فالشركُ يُحبطُ العمَلَ، ويُبطلُه .. فمَن كانَ بهذا الوَصْفِ الآنِفِ الذِّكْرِ، [فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً]؛ في الحياةِ الدُّنيا؛ فيعيشُ السَّعَادَةَ، وطِيبَ النَّفْس، وانشراحَ الصَّدْرِ، واطمئنانَ القَلبِ، والقناعَةَ بالحلالِ ـ وإن قَلَّ ـ والرِّضَا عن اللهِ، والرِّضَا بقضائِه وقدَرِه .. وأن يعيشَ بقَلْبٍ سَلِيمٍ مِن الأحقَادِ، والحسَدِ، والكآبَةِ، والأمرَاضِ .. ولَا يجوزُ أن يُفهَم مِن قوله:[فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً]؛ خُلُو حياتِه في الدُّنيا مِن البَلاءِ ـ كما يُتَصَوَّرُ للبَعْضِ! ـ فهذا الفهمُ خاطِئٌ، وهو مخالفٌ ومناقِضٌ لأدِلَّةِ النقْلِ، والعَقْلِ، والواقعِ المشَاهَدِ، وبخلافِ ما فُطِرَت عليه الدُّنيا، [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]النحل:97. في الآخِرَةِ فقط بعدَ أن يُدْخِلَ اللهُ المؤمنين الجنَّةَ، ويجزيهم على أعمالِهم الحسنَةِ بما هو أحسَن مِنها؛ يجزيهم الجنَّةَ ونعيمَهَا الدائم المقِيم التي فيها مَالا عينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشَرٍ .. في الدَّارِ الآخِرةِ ـ في الجنَّةِ ـ هناك وحَسْب تخلُو الحياةُ من البَلاءِ، والمصائِبِ، والمكدِّرات .. والتَّكاليف.

* * * * *

إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ

845- [مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ]النحل:106. الإكراهُ يُبرِّرُ قَولَ الكُفْرِ، لا اعتِقَادَ الكُفْرِ .. مجرَى الكُفْرِ على اللسانِ، لا يجوزُ أن يَصِلَ منه شيءٌ إلى القلْبِ؛ لأنَّ الإكراهَ سُلطانُه على الجوارِحِ الظَّاهرةِ لا البَاطِنَةِ .. فجازَ دَفْعه بظاهِرِ القولِ عَن ظَاهِرِ البَدنِ، بالقَدْرِ الذي يَندَفِعُ به الإكراهُ، والضَّرَرُ النَّاجِمُ عنه، من غيرِ زِيادَةٍ ولا تَوسِّعٍ؛ فإذَا كانَت كلمةُ كُفْرٍ واحِدةٍ تَدفعُ عنه الإكرَاهَ .. لا يجوزُ له حِينئذٍ أن يتطوَّعَ فيزيدُ فيقُول عَشْرَ كلماتٍ أو أكثر .. ثم بعَد ذلك يَعتذرُ لكُفْرِه بالإكراه!

* * * * *

ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ

846- [ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]النحل:107. ليسَ مِن موانعِ التَّكفيرِ، ولحُوقِ الوَعيدِ بالمعَيَّن، حُبُّ الدُّنيا، وزِينَتِها، وإيثارُها على الآخِرَة، فمَن وقعَ في الكُفْرِ مِن أجْلِ عَرَضٍ مِن عُرُوضِ الدُّنيَا .. يَكْفُر، ويَطالُه الوَعيدُ.

847- [ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ]النحل:107.أنتَ بين عمَلَين: عمَلٌ لآخِرَتِك، وعمَلٌ لدُنْيَاك .. فإن استَحَالَ عليك التَّوفِيقُ والجمعُ بينَهمَا .. لَا تُرْجِئْ العَمَلَ لآخِرَتِك للفَراغِ مِن العَمَل لِدُنْيَاك .. المغْرُورُ والمغَفَّلُ مَن يَفعَلُ ذَلك!

* * * * *

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ

848- [ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ]؛ كلُّ الذين يَعملون السوءَ؛ يَعملونَه بجهالَةٍ، وعن حمقٍ، وسَفاهَةٍ .. فلا يتجرَّأ أحدٌ على مَعصيةِ اللهِ؛ إلا لنوعِ جَهلٍ، وغفْلَةٍ، وحمْقٍ، وسَفاهَةٍ. ومِن السَّلفِ مَن نقَلَ الإجماعَ على ذلك، عَن قَتَادَة، قال:" أجمَعَ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم على أنَّ كلَّ مَن عصَى ربَّه فهو في جهالةٍ، عَمْداً كان أو لم يَكُنْ، وكل من عصَى اللهَ فهو جاهِلٌ ". وعن مجاهد، والضَّحَّاك:" ليسَ مِن جهالتِه أن لا يَعلمَ حَلالاً ولا حراماً، ولكِن من جهالَتِه؛ حِين دَخَلَ فيه ". [ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ]؛ عن السَّيئاتِ؛ فأقلعُوا عنها واستغفَرُوا لذنُوبِهم، [وَأَصْلَحُواْ]؛ ما أفسدتهُ السيئاتُ؛ سَواء كان على المستوى الشَّخصِي، أم على المستوى العام إذا تعدَّى ضَرَرُ

السيئاتِ إلى الآخَرين، [إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا]؛ من بَعدِ التوبةِ، والإصْلاحِ، [لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ]النحل:119.

* * * * *

ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

849- [ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ]؛ لَا يكفي أن تكونَ على حقٍّ .. وأن تُراهنَ على الحقِّ الذي أنت عليه، لكي يستجيبَ إلناسُ إليك، وإلى ما تدعُوهم إليه .. إذْ لا بدَّ لك وأنت تدعُو الناسَ إلى الحقِّ؛ إلى دينِ الله الإسلامِ من أن تتوخَّى وتلتزمَ الحِكْمَةَ في دعوتِك؛ وهي الاستدلالُ بالقرآنِ، والسُّنَّةِ .. لشمولِهمَا على كمالِ، وجميع معاني الحُجَّةِ والحِكْمةِ، [وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ]؛ وهي الاستدلالُ على الحقِّ بالعِبَرِ وبما أودَعَ اللهُ تعالى من آياتٍ باهراتٍ في الكونِ، وفي النَّفْس البشريَّةِ، وسَائرِ المخلُوقاتِ .. وما حصَلَ للأمَمِ المكذِّبةِ الظالمةِ مِن هلاكٍ ودمَارٍ، [وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]النحل:125. وهي مواجهةُ الكلمةِ بكلمةٍ أحسَن، والحُجَّة بحجَّةٍ أحسَن، وأبلَغ .. والشُّبهة بالدليلِ القاطع الحاسِمِ الذي يقرُّه النقْلُ والعَقْلُ .. من غيرِ تهجُّمٍ أو بذاءَةٍ أو فُحشٍ في القولِ .. فإنَّه أدْعَى للقُبُولِ، ولأن يُصْغُوا إليك، وإلى مَا تَدعُوهم إليه.

* * * * *

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى

850- [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]الإسراء:1. إنَّه رباطُ العَقِيدَةِ والدِّين .. الرِّباطُ الخالِدُ بين القِبْلَتين، والحرَمَين الشَّريفَين: المسجدُ الحرَام في مكَّة، والمسجدُ الأقْصَى في بيتِ المقْدسِ، في فلسطِين .. رِباطٌ مَتِين لَا تَفكُّ عُراه الأزمَانُ .. ولَا ألاعيبُ، ودَهالِيزُ، ومُؤامرات السياسَةِ والسياسِيين .. ولا حرُوبُ وعدوان المعتَدِين .. ولا تَواطُؤ ونِفاقُ المنَافِقين .. ولَا يَصحُّ ولاءٌ لأحَدِ المسْجِدَين مِن دُونِ الوَلاءِ للمسْجِدِ الآخَر.

* * * * *

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

851- [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ]الإسراء:9. هَذَا القُرأنُ يَهْدِي للتي هي أَحْسَنُ، وأعْدَلُ، وأصْوَبُ في كلِّ شيءٍ، وفي جميعِ مَجالاتِ الحيَاةِ الدِّينيَّةِ، والدنْيويَّةِ .. ومَن يَنْشُدُ الهِدايَةَ عن غَيرِ طَريقِ القُرآنِ الكريم فقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً.

* * * * *

وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ

852- [وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ]؛ كثيرٌ من النَّاس، وبخاصَّة الكفارُ الملحدُون يتجرَّأون على اللهِ تعالى بارتكابِ المعاصِي، وبالطعنِ والاستهزاءِ، وبالاعتداءِ على كتَابِه؛ ثم يَسألُون عن انتقامِ اللهِ لهم .. فيَدعُون على أنفُسِهم بالشرِّ، ويتمَّنون لأنفُسِهم الشرَّ، وأن يتنزَّلَ بهم الشرَّ، مِن قَبيل التَّشكِيك بقدرةِ اللهِ تعالى، وبوجودِه، [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11. يستعجلُ الشرَّ لنفْسِه كما يستعجلُ الخيرَ .. وفاتَ هؤلاء الملحِدُون

الجاهِلُون أن اللهَ تعالى لا يُجرَّب ولا يُختبَر .. وإنما يَفعلُ اللهُ ما يشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ .. وفقَ حكمتِه وتقديرِه سُبحانه .. فإذا أرادَ اللهُ بهم شَرَّاً لا يَستقْدِمُ ولا يَسْتَأخِرُ ثانيةً واحدَة!

* * * * *

وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً

853- [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11. في كَثيرٍ من الأحيَانِ ـ لجَهلِنا وضَعْفِنَا ـ نَستعجِلُ على اللهِ نزولَ خَيرٍ، أو نُزولَ عِقَابٍ وانتقامٍ بالظَّالمِين المجرمِين .. لكِن يَأبَى اللهُ إلَّا أن يَفعلَ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشَاء، فيُنزِّلُ الخيرَ في وَقْتٍ، نقولُ معَه: الحمدُ للهِ أنَّ اللهَ تَعالى قَد نَزَّلَ الخيرَ في هذا الوقتِ، أضعَافَ ما كنَّا نتمَّنى ونُريد .. وأنَّه تعالى لم يُنزِّلْهُ في الوقتِ الذي سألنَاهُ، وأرَدْنَاه .. وكذلك يَنتقمُ مِن الظَّالمِين المجرمِين في وَقتٍ، نقولُ معه: الحمدُ للهِ أن اللهَ تعالى لَمْ يَنتقِمْ لعبَادِهِ المستضعَفِين مِن الظَّالمين في الوَقتِ الذي أرَدْنَاهُ، وأن الانتقامَ تمَّ في الوَقتِ، والكَيفيَّة اللَّتَان أرادَهما اللهُ، أضعَافَ ما كُنَّا نتمَّنى ونُريد .. كَم هو التَّفْوِيضُ، والرِّضَا بحكمِ اللهِ، وبقضائِه وقَدَرِه جميلٌ، وعَظيمٌ، ومُريح؟!

854- [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11. يَستَعْجِلُ مَا عِندَ اللهِ بمعصِيَتِه، ومَا عِندَ اللهِ لَا يُطلَبُ إلَّا بطَاعَتِه.

* * * * *

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً

855- [اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]الإسراء:14. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .. هُناكَ الموعِدُ، وهناك المُلتَقَى؛ يومَ تَبيَضُّ وجوهٌ، وتَسوَدُّ وجُوهٌ .. يومَ نَتطايرُ القلوبُ مع تَطايرِ الصُّحُف؛ الدَّالّة على فوزِك أو رسُوبِك .. فيُقال لك: [اقْرَأْ

كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]. لا يَغيبنَّ ذلك عن ذِهْنِك يا ابنَ آدَم، وأنتَ مُنغمسٌ في دُنياك، ومتاعِها!

* * * * *

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً

856- [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً]الإسراء:15. فيهِ أنَّ اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ أحَداً يومَ القيامَةِ إلا مَن قامَت عليه الحُجَّةُ من جِهَةِ بَلاغِ ونَذَارَةِ الرُّسُلِ .. أمَّا مَن ماتَ ولم تَبْلَغْهُ نذَارَةُ الرُّسُلِ، ولَمْ يَسمَعْ برسُولِ زَمَانِه، ولم تَبْلُغْهُ دَعْوَتُه .. فهذَا له حُكْمُ أهْلِ الفَتْرَةِ، الذين مَاتُوا ولَمْ يُبْعَث فِيهم رَسُول، ولم تَبلغْهُم نذَارَةُ مَن قَبْلَهُم مِن الرُّسُلِ .. وهؤلاءِ يُؤمَرُون يومَ القِيامَةِ بدخُولِ نَارِ جَهنَّم؛ فَمَن أجَابَ وأطَاعَ، نَجا ودَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن أبَى وعَصَا، دَخَلَ النَّارَ .. وكُلٌّ مِنْهم يُلْهَمُ الخِيَارَ الذي كانَ سيَخْتَارهُ في الدُّنيَا لو بَلَغَتْهُ نَذَارَةُ الرُّسُلِ .. بِحَسْبِ عِلمِ اللهِ فِيهِ.

* * * * *

وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

857- من العلاماتِ المبكّرة المؤذِنَة بزوال القُرى وهلاكها، تسلّط وتأمّر الأشرار المترفين فيها؛ فيُؤمَرون بالطّاعة لله ولرسولِه صلى الله عليه وسلم، فيأبون إلا الفسوق، والعصيان، والظلم، كما قال تعالى:[وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً]الإسراء:16. وقال تعالى:[وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا]الكهف:59. وقال تعالى: [وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ]القصص:59. وقال تعالى:[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ] أردنا أن نهلكها [أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا]الأنعام:123. ليظلموا ويفسقوا فيها.

* * * * *

وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً

858- [وَقَضَى رَبُّكَ]؛ حكَمَ رَبُّكَ، وأمَرَ، وأوْجَبَ [أَلَّا تَعْبُدُواْ]؛ أن لا تَعبدُوا أحَداً، ولا شَيئاً، [إِلَّا]؛ أداةُ استثناءٍ بعدَ نَفْيٍ؛ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [إِيَّاهُ]الإسراء:23. إلَّا اللهُ؛ فهو المعبُودُ بحقٍّ، الذي يجبُ أن تَصرِفَ له جميعَ أنواعِ العِبَادَاتِ؛ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ .. لا مَعْبُودَ في الوجُودِ بحقٍّ سِوَاه.

859- [وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً]الإسراء:23. لِعَظِيمِ حَقِّ الوالِدَين قَرَنَه اللهُ تعالى مع حَقِّهِ على العِبَادِ؛ وهو أن يَعبُدُوه ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. وأنتَ يا ابنَ آدَم إن أردتَ سَعادَةَ الدَّارَين، وكُنتَ حَرِيصاً عليها بحقٍّ، فاطلُبْهَا ـ حَصْراً ـ برضَا اللهِ، ورِضَا الوالِدَين .. وليسَ وراءَ ذَلك ـ مَهْمَا حَاوَلْتَ .. وشَرَّقتَ وغَرَّبْتَ ـ إلَّا الشَّقَاء في الدَّارَين؛ دَارُ الدُّنيَا، ودَارُ الآخِرَةِ.

* * * * *

فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا

860- [فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ]الإسراء:23. لا تَتَقذَّرْهُمَا، ولا تَتَضَجَّرْ منهما إن صَدَرَت مِنْهُما أو مِن أحَدِهِمَا رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، أو وجَدتَ مِنهما مَا يُؤذِيكَ، فيَحْمِلُك ذلك على القَولِ لهما " أُفٍّ "! قال محمد بن عبدِ السّلام في كِتَابِه مُوجب دار السّلام:" قال الأصمعي: الأفُّ، وسَخُ الأذُن. والتُّفُّ، وسخُ الأظْفَار. يُقال ذلك عند استِقْذَارِ الشيء، ثم كَثُر حتى استعمَلُوه عند كلِّ ما يتأذَّون به.

قال الزَّجّاج: معناه النَّتن، وهذا قول مجاهد، لأن معنى قوله [فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ]؛ أي لا تتقذَّرهُما كما أنهما لم يتقذَّراك حين كنت تخرأ وتبُول، وفي رواية أخرَى عن مجاهد: إذا وجدت منهما رائحةً تُؤذيك، فلا تَقُل لهما:" أُفٍّ ".

[وَلاَ تَنْهَرْهُمَا]الإسراء:23. أي إذا أخطآ وأذنَبا، وإنما يكون النّهي ـ إن كان ولا بُدّ منه ـ بتمامِ اللطفِ والرّفقِ، واللين والحِكمَةِ .. وهو المراد من قولِه تعالى: [وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً].

* * * * *

فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً

861- [فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً]الإسراء:25. هم كثيرُوا وسَريعُوا الأَوْبَةِ والتَّوبَةِ، والرُّجُوعِ إلى اللهِ .. وهَذا مِن مُقْتَضَاه تِكرارُ الذَّنبِ مِنهم ضَعْفاً من غيرِ اسْتِهانةٍ!

* * * * *

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا

862- [وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً]الإسراء: 28. هذه الآيةُ الكريمةُ تُعالجُ قَضيَّةً اجتماعيَّةً بالِغَةَ الحسَاسِيَّة؛ إذْ مِن عادَةِ الفُقَراء والمسَاكِين أن يَقرَعُوا بابَ المحسنِين الميسُورِين الأغنيَاء .. لكن تُصادِفُ حَالَات وأوقَات لا يكونُ عندَ المحسِنِ مَالاً زائداً لينفقَهُ على السَّائلين .. فيُعرِض عنهم إعراضَ استِحيَاءٍ، وليسَ إعراضَ استِعْلاءٍ، وكِبر .. راجياً أن يرزقَه اللهُ ليعَاودَ الإنفَاقَ والعطَاء .. ومَا بَين الإعرَاضِ وفترَةِ انتظارِ الرِّزقِ .. يردُّ السائلين رَدّاً جميلاً رَفِيقاً، رَقِيقاً، ويَعِدُهم خَيراً؛ إن رزَقَه اللهُ سيُعَاودُ وَصْلَهم، والانفاقَ عليهم مِن جَدِيد!

* * * * *

وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ

863- [وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً]الإسراء:29. لَا إسرافَ، يُفضي إلى ضياعِ المالِ في غيرِ محلِّه، وحَقِّهِ .. ولَا تَقطِير، يُفْضِي إلى الإمساكِ عن الإنفاقِ في المواطِنِ التي يَتعيَّن، ويُستحْسَن فيها الإنفَاق .. وإنما وسَطٌ بينهُمَا، مِن غيرِ تقطيرٍ، ولا إسْرافٍ .. فمن عُرِفَ بالتقطيرِ، والشُّحّ في المواطِنِ التي يَتعيَّن فيها الإنفَاقُ، أو عُرِفَ بالإسْرافِ، والتَّوسُّع في الإنفاقِ من غيرِ تَقديرٍ للعواقِبِ والمآلاتِ .. يَقعُ في الإثمِ والحرَجِ، ويَخسرُ عنه المالُ، ويَنقطعُ، ويكثُرُ لَائمُوه على ما كان مِنه، ومَا انتَهى إليه!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ

864- [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ]؛ أي خَشيةَ الفَقْرِ، والجوعِ .. وخَشْيةَ النَّقصِ في مواردِ الأرضِ، وتحت زعمِ أن ناتجَ الأرضِ لم يعُدْ يكفِي لعدَدِ سكانِها .. وغيرها مِن المزاعِم الكاذِبةِ .. وقتل الأولادِ في زماننا خشيةَ الفَقرِ يأخذُ صوراً عِدَّة، لم يَقتصِرْ على صورةِ الوأدِ القديمةِ، والقَتْلِ المباشرِ العمْدِ، يَبتدئ باستعمالِ موانعِ وخوانِقِ الحملِ العديدَةِ، والمتنوِّعةِ، بحجةِ تَحسين المستوى المعيشِي للعائلةِ .. ويَنتهي باللجوءِ إلى الفيروساتِ المعْديَةِ، والقاتلةِ كفيروس كورُونا، وغيره، وافتعالِ الحروبِ الشيطانيَّةِ الباطلةِ .. لتقليلِ عدد سكان الأرض، كما يزعمون، ويريدون .. وقد باتَ كَثيرٌ مِن السُّفهاءِ يملكُون قنابِلَ نوويةَ مُدمِّرة للأرضِ، ومَا عليها، [نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ]؛ الله

تعالى هو الذي خلقَ الخَلْقَ، وهو الذي تكفَّلَ برزقِ مَن خَلَقَ .. ومَن تكفَّل الله تعالى برزقِه فلا خوفَ ولا ضَيعةَ عليه .. وأيما فَقْرٍ في أي بقعَةٍ مِن بقاعِ الأرضِ، مردُّه إلى طمَعٍ، وجشَعٍ، وأنانيَّةٍ، وظُلمِ الإنْسانِ .. أو لتقصيرٍ في السَّعي، والضَّربِ في الأرْضِ، والأخْذِ بالأسبابِ .. وليسَ إلى نقصٍ في مواردِ الأرضِ، [إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً]الإسراء:31. ذنباً عظيماً، مِن كبائرِ الذنُوبِ والمعاصِي .. لا يَنبغِي أن تُقْدِمُوا عليه!

* * * * *

وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ

865- [وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ]؛ يَشملُ نَوعين من القَتْلِ: قَتْلُ المرْءِ لنَفْسِه بنفْسِه؛ بأيِّ وسِيلةٍ من الوسَائِل، ولأيِّ غَرَضٍ من الأَغْرَاض؛ وهو مَا يُسَمَّى بالانتِحَار .. وقَتْلُ المرْءِ لغَيرِه، [إِلا بِالحَقِّ]الإسراء:33. إلا ما كان على وجْهِ القِصَاصِ والقَوْدِ، ولحَدٍّ من حُدُودِ الله.

* * * * *

وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً

866- [وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً]الإسراء:34. أَوْكَدُ العُهُودِ وفَاءً، وأوجَبُهَا بالوَفَاءِ، المبادِئُ التي تَعتَنِقُها، وتَعِيشُ مِن أجْلِها .. فَلَا تَصْدُقُهَا في مَواضِعٍ .. وتَخُونُها وتَكْذِبُها في مَواضِعٍ ابتغَاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنْيَا .. وبحَسْبِ مَا تَتَدَلَّى لك المصالحُ الشَّخْصِيَّة .. الوَفَاءُ للمَبَادِئِ السَّامِيَةِ، والقِيَمِ العُلْيَا، شَدِيدُ الكُلْفَةِ والتَّبِعَاتِ .. قَلِيْلٌ مَن يَصْبِرُ عَلَيهَا!

867- [وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ]؛ أمْرٌ يُفيدُ الوجُوبَ؛ الوفاءُ بالعهودِ والعقُودِ؛ سواءٌ كانت هذه العهُود فِيما بينَ العَبدِ وربِّه، أو بينَ المسلمين بعضُهم معَ بعضٍ، أو بينَ المسلمين وغيرِ المسلمين، كلها يجبُ الوفاءُ بها، وعدَم نقضِها بغَدْرٍ أو خِيانَةٍ، أو إخْلافٍ، [إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً]الإسراء:34. سيُسألُ عنه أصحابُه يومَ القِيامة؛ مَن وفَّى به، ومَن غَدَر .. وأن المغدُورَ به سيَسْألُ الغادِرَ عن غَدْرِه بما قد عاهَدَ عليه .. وفي الحديث، قد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أربعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقاً خالِصَاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاقِ حتى يدَعَها، منها: وإذا عاهَدَ غدَرَ " البخاري. وقال ﷺ :" إن الغادرَ يُنصبُ له لواءٌ يومَ القيامةِ فيُقال: هذه غدرَةُ فُلانِ بن فلان "متفق عليه. وقال ﷺ:" لكل غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة يُعرَفُ به "متفق عليه . وقال ﷺ :" لكل غادرٍ لواءٌ عند اسْتِهِ يومَ القيامَةِ " مسلم . وفي رواية:" لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يُرفَعُ له بقدْرِ غدْرِه "مسلم. وقال ﷺ:" مَن قتلَ معاهداً لم يُرِحْ رائحةَ الجنَّةِ، وإن ريحها توجَدُ مِن مسيرة أربعينَ عامَاً " البخاري. وقال ﷺ:" مَن أمّنَ رجلاً على دَمِه فقتلَه فأنا بريءٌ من القاتِل، وإن كان المقتولُ كافراً ". وفي رواية:" مَن أمَّن رجلاً على دَمِه فقتله فإنه يحملُ لواءَ غدرٍ يومَ القيامَةِ ". وقال ﷺ:" من قتلَ نفْساً معاهدةً بغيرِ حِلّها، حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ أن يشمَّ ريحَهَا ". وغيرُها من الأحاديث التي تُغلِّظ حرمةَ العُهودِ، وتشدِّدُ الوعيدَ على الغادِرِ وغدَرَاتِه.

868- [وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً]الإسراء:34. الوفاءُ بالعَهْدِ واجبٌ مَا لَمْ يكنْ إثماً، وتَواطؤاً على إثمٍ ومَعصيَةٍ .. فحينئذٍ لَا وفَاءَ في معصيةِ اللهِ، إنما الوفاءُ في الطّاعَةِ، وفي المعرُوفِ، وفِيمَا ليسَ فيه مَعصية لله ولرسُولِه صلى الله عليه وسلم .. الوفَاءُ يكونُ في التَّعاونِ على البِرِّ والتَّقْوَى وليسَ في التَّعاونِ على الإثمِ والعُدْوَانِ .. قال

تعالى:[وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. وفي الحديث:" ما كانَ مِن شَرْطٍ ليسَ في كِتابِ اللَّهِ، فَهو باطِلٌ وإنْ كانَ مِئَةَ شَرْطٍ قَضاءُ اللَّهِ أحَقُّ وشَرْطُ اللَّهِ أوْثَقُ "البخاري.

* * * * *

إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً

869- [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]الإسراء:36. مَسْؤولٌ عَن الصَّادِرِ عَنْهَا، وعَنِ الوَارِدِ إلَيْهَا.

870- [وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ]؛ لا تَتَّبِعْ .. ولَا تنقَادْ .. ولَا تؤيِّد .. ولا تَنْصُرْ شَيئاً لا تَعرفُ خيرَه مِن شَرِّه، وأينَ هو مِن الحقِّ .. وقبلَ أنْ تَتبيَّنَه، وتَتثبَّتَ منه؛ هل أنتَ في اتباعِك، وانقيادِك، وتأييدِك لهذا الشيءِ موافِقٌ للحقِّ المنَزَّلِ أم مخالِفٌ .. السَّفيهُ، والرخيصُ هو الذي يُصَفِّقُ مع المصفِّقين، وينعقُ معَ النَّاعِقين، ويتَّبعُ ويؤيدُ، وينصرُ، ويحدِّدُ موقفَهُ مِن الأشياءِ مِن غيرِ تَثبُّتٍ ولا بينةٍ، ولا ميزانٍ يرجعُ إليه .. فيَا أيُّها الإنسانُ لا تحسبُ أنَّك خُلِقْت عَبَثاً، مِن غيرِ مُساءلةٍ، ولا محاسَبةٍ لمَا يكونُ منك مِن قَوْلٍ، أو عملٍ، أو اعتقادٍ، [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ]؛ وهي مواقعُ التلقِّي التي تتلقَّى الأشياءَ الواردَةَ إليها؛ فإمَّا أن تكونَ عَن طَريقِ السمْعِ، أو البَصرِ، أو الفُؤادِ .. أو عَن طَريقِ مجموعِها .. ولَا يمكن أن يتَسَرَّبَ شيءٌ للإنسانِ إلَا مِن خلالِ مواقعِ التلقِّي هذه، [كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]الإسراء:36. لذا فهو مسؤولٌ عنها؛ هَل أحسنَ استخدَامَها أمْ أسَاءَ .. هل استخدَمَها في متابَعةِ الحقِّ ونصرَته .. أم استخدَمها في مُتابعَةِ البَاطِل ونصْرَته .. هَل تَركَها مفتوحَةً مِن غيرِ مناعَةٍ، ولا حِرَاسَةٍ، ولَا إغلاقٍ، تَتلقَّى أوسَاخَ وزبالَةَ الآخَرين .. وهل أطلَقَ لها العنَانَ تجولُ مِن غيرِ لِجَامٍ، ولَا تقْوَى ولا رَقابةٍ في كلِّ وَادٍ

وسَاحٍ؟! والعاقلُ مَن يحسنُ مرَاقبةَ نفْسِه، ومحاسَبتها .. ويعدُّ جوَاباً عن جميع مواقفِه التي عارَضَ فِيها أو أيَّدَ ووافَقَ، وتابَعَ .. قبلَ أن يؤولَ أمرُهُ إلى اللهِ .. ويَقِفَ بينَ يَدَيْه سُبحَانَه للحِسَاب.

* * * * *

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ

871- [تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً]الإسراء:44. مَشْهَدٌ مهيبٌ وجَليلٌ .. تَقشعرُّ له الأبدَانُ .. وتخشَعُ له القُلُوبُ .. الكونُ كلُّه وما فِيه مِن كائناتٍ، ومخلوقاتٍ في انسِجَامٍ تامٍّ وفَرِيد .. تَشْتَرِكُ جميعُها في تَوحيدِ الخالِقِ سبحانه وتعالى .. والتَّسْبيح بحَمْدِهِ .. جميعُها يصْدَحُ بهذا الهتَافِ الخَالِدِ العَظِيم " سُبحَانَ اللهِ وبحمدِه "، كما في الحديث:" سُبحان اللهِ وبحمدِه، فإنَّها صَلاةُ كُلِّ شيءٍ "، لا يَشذُّ عن هذا الموكِبِ الفَريدِ المَهِيب، وهذا التَّسبِيح العَظِيمِ إلا الكافرُ الجحُود، فإنَّه يمشي وَحِيداً في الاتجاهِ المُعَاكِس لجميع المخلوقاتِ والكائنَاتِ .. فيرتَطِمُ بها .. ويُؤذيها .. فَتَسْخَطُه وتلْعَنُه!

أعجبُ للمؤمنِ كيفَ يَشكُو الغُرْبَةَ .. والكَونُ كُله وما فِيه من مخلوقاتٍ في السَّماواتِ، والأرضِ، وفي البَرِّ والبَحْرِ .. جَميعُها تُشارِكُه التَّوحِيدَ، والتَّسبيحَ ...؟!

872- [وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ]الإسراء:44. وفي الحديث:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِه، فإنَّها صَلاةُ كُلِّ شيءٍ ". الطيُورُ، والدَّوابُّ، والحيوَاناتُ، والأسْماكُ، والحِيتَانُ في البحارِ .. والشَّجرُ .. والنَّباتُ .. والجبَالُ .. وغيرُها كلُّها تُسبِّحُ بحمدِ رَبِّها، وتقولُ في صَلاتِها:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِه " .. وإني لأعجبُ

من علماءِ الطبيعَةِ عندما يحلّلون أصواتَ الطيورِ، والحيوَاناتِ، وحركاتها .. يَضعونَ افتراضَات، واحتمالات عِدَّة .. يَستَثنُون مِنها أنَّها بتلك الأصواتِ والحركات التي لا نفقَهُها قَد تكونُ تسبّحُ بحمدِ رَبّها .. ونحنُ إذْ لا نجزِمُ بأنَّ تلكَ الأصواتِ تَعني بالضَّرورَة التسبيحَ بحمدِ اللهِ .. لكنَّنا لا نَستَثْني احْتمَالَ التَّسْبيح مِن جملةِ الاحتمَالاتِ .. كما أنَّنا لا نَستَثني مِن الاحتِمَالاتِ احتمالَ أنَّها بتلك الأصْواتِ تَدْعُو وتَستَغْفِرُ للعلمَاءِ الذين يُعلّمونَ الناسَ الإيمانَ والخيرَ .. كما جاءَ ذلك في الحَديثِ الصَّحِيح.

873- [وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ]الإسراء:44. لَا يُوجَدُ في عَالَمِ الدَّوَابِ والحيواناتِ كافِرٌ، ولكن يُوجَدُ ظَالِمٌ ومَظلُومٌ، واللهُ يحكمُ بينَهم يومَ القِيَامَةِ.

* * * * *

إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً

874- [إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً]الإسراء:44. لَا يَعْجِلُ اللهُ على خَلْقِهِ بالعقُوبَةِ الذين يخالِفُون أمرَهُ، ويكفُرونَ به، ولَا يَشْكُرونَه، كَما يَعْجِلُ الخلْقُ بَعضُهم على بَعضٍ .. بَل يَصْبرُ، ويُمْهِلُ، ويُمْلِي للظَّالِمِ حتَّى يَظنَّ أنَّه في أمَنَة مِن اللهِ .. ويمنَحُ الفُرَصَ العَديدَة للمذْنبين مِن عِبادِه ليتُوبَ على مَن تَابَ، ويَغفرَ لمن يَستَغْفِرَ مِنهم .. فإذَا شَاءَ أن يأخذَ على الذَّنْبِ ويُعاقِبَ عليه، فأَخْذُه أليمٌ، يَأخُذُ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ .. كما في الحَديث:" إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظّالِمِ، حتَّى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ "البخاري.

* * * * *

وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً

875- [وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً]الإسراء:46. هذا الذي يُغيظُهم مِن القُرآنِ الكريم؛ لم يَذْكُرْ آلهتَهُم التي يَعبدُونَها مِن دُونِ اللهِ بخيرٍ .. ولم يقرْ لآلهتِهم أن يتألَّهوا على العِبادِ .. ولا أن يمارِسُوا عليهم الربوبيَّةَ في الحُكمِ والتَّشرِيعِ .. كما لَمْ يقرْ للتَّابِعين ما هم فيه مِن الشِّركِ والباطِلِ، وعبوديَّةِ المخلُوقِ .. وإنما دعاهُم إلى عبادَةِ اللهِ تعالى وحدَه، لا شَرِيكَ له .. إلى الانعِتَاقِ والتَّحررِ من عبوديةِ العبِيدِ إلى عبادَةِ رَبِّ العَبيدِ .. فقابَلُوا هذه الدَّعوةِ الحَقِّ بالنُّفورِ والإعْرَاضِ .. والتَّحْريضِ .. والأذَى .. وهم بذلِك لا يَضرُّون اللهَ شَيئاً، لَا يَضرُّونَ إلَّا أنْفُسَهم!

* * * * *

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

876- [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ]؛ وهم يَدْعُون النَّاسَ إلى الإسلامِ .. وفي تَعامُلِهم مع بعضِهم البَعضِ، وتَعامُلِهم معَ غيرِ المسلمين، [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]الإسراء:53. الأحْسَنُ لَفْظاً، ومَعْنَاً، وأثَراً .. وهَذا يَسْتَدْعِي مِن المرْءِ أن يَتوقَّفَ .. وأن يَتحرَّى ألفَاظَهُ، ويختَارَ مِنها أحسَنَ مَا عِندَه مِن قَوْلٍ، قَبلَ أن يَقُول.

877- [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أصدَقُ، وأرفَقُ، وأعدَلُ، وأصوَبُ .. القولُ الذي يترفَّعُ عن الفُحْشِ، والبَذَاءةِ، والظلمِ، والعُدوانِ .. وعن التعصُّبِ، والغُلُو، والجفَاءِ .. وسُوءِ الظَّنِّ .. ويكونُ هذا القول بالتي هي أحسَنُ عندما تخاطبُون غيرَكم مِن غيرِ المسلمين، وأنتم تجادِلُونهم، وتَدعُونهم إلى الإسلامِ .. وفِيما بينَكُم عندما تخاطِبُون وتُعامِلُون بعضَكُم بعضَاً، [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ]؛ يُفَرِّقُ بين قُلوبِهم،

ويُباعِدُ فيما بينَهم، وفِيما يجبُ أن يكونَ قَريباً، ويُوغِرُ فِيما بينهم العدَاوَةَ والبغضَاءَ .. مِن خِلالِ حملِهم على البغي والعُدوانِ في القَوْلِ .. فكم مِن دَمٍ حرامٍ سُفِك .. ورَحِمٍ قُطع بسَبَبِ كلماتٍ قِيلَت، [إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً]الإسراء:53. ظاهِرُ العدَاوةِ للإنسَانِ .. لا تخفَى عَدَاوتُه إلَّا على مَن جمعَ بينَ عمَى البصَرِ والبَصِيرةِ .. فاتخذُوه عَدُوّاً .. ولا تُصغُوا إليه فِيما يُوحِي إليكمْ مِن الشَّرِّ، والباطِلِ.

* * * * *

وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً

878- [وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ]؛ المعجزات القاهِرات الباهِرات، والبلاءات التي تَخْضَعُ لها الأعناق، [إِلاَّ تَخْوِيفاً]الإسراء:59. للناسِ؛ لعَلَّهم يُؤمنون، ويتَّقون، ويَتُوبُون .. ويَتَوقَّفُون عَن غَيِّهم!

879- [وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ]؛ والتي مِنْهَا الزَّلَازِلُ، والبرَاكِينُ، والرِّياحُ، والمطَرُ، والثَّلْجُ، والكُسُوفُ، والخُسُوفُ، وغَيرُها [إِلاَّ تَخْوِيفاً]الإسراء:59. للنَّاسِ؛ عسى أن يَتُوبُوا، ويَستَغْفِرُوا، ويَأْوبُوا إلى رَبِّهم .. كَثيرٌ مِن النّاسِ مَن لا تَعظُهُ كلماتُ اللهِ، تَعِظُه وتَردَعُه الآياتُ الكونيَّةُ .. وفي الأثَرِ أنَّ الكوفَةَ قَد رَجَفَت في عهدِ ابنِ مَسعُود رضي الله عنه، فقال:" يا أيُّها النّاسُ إنَّ رَبَّكُم يَسْتَعْتِبُكُم فَأَعْتِبُوه ". أي يُريدُ مِنكم ـ مِن خلالِ هذه الآية ـ أن تَسْأَلُوه أن يَرفعَ عتبَه عَنْكُم؛ بتوبتِكُم، واستغفَارِكم، وأَوْبتِكُم، وإقْلاعِكُم عن الذُّنوبِ والمعَاصِي.

* * * * *

وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً

880- [وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً]الإسراء:67. كفُوراً لأنعُمِ اللهِ، وذلك عندما يردُّ الفضلَ فِيما هو فِيه مِن نِعَمٍ وخَيرٍ لنَفسِه، مِن دُونِ اللهِ!

* * * * *

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

881- [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ]الإسراء:70. كُلُّ بَنِي آدَمَ بغضِّ النَّظَرِ عن اللونِ، أو اللغةِ، أو الجِنْسِ، أو الغِنَى أو الفَقْرِ .. ومِن دونِ تمييزٍ بينَ أحَدٍ وأَحَد .. قد كَرَّمَهُم اللهُ، وفضَّلَهُم، وشرَّفَهم، بالعقْلِ، والتَّكْلِيفِ، والاخْتِيارِ، والاسْتِخلافِ في الأرضِ .. وبإرسَالِ الرُّسُلِ، وإنزالِ الكُتُبِ .. وحُسْنِ الصُّورةِ، والمنطِقِ .. وتَسخِيرِ سَائِرِ المخلُوقاتِ لهم .. هذا تكريمٌ عامٌّ يَشمَلُ جميعَ بَنِي آدَم .. يَشتركُ فيه الجميعُ، لا فَرْقَ فيهِ بين أَسْودَ، وأبيَضَ، ولا بين عربِيٍّ، ولا أعْجَمِي .. وهنَاك تكريمٌ خاصٌّ أعْلَى وأشْرفُ وأفضَلُ ـ لا أثرَ فيه للّونِ، أو اللغةِ، أو العِرْقِ، أو الجِنْسِ، أو المالِ ـ يُكرِمُ اللهُ به عبادَهُ المؤمنين؛ يُكرِمُهم بطاعتِه، وعِبادَتِه، وتَوحِيده، والقُرْب منه، [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ]الحجرات:13. وفي الحديث:" يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكُم واحِدٌ، وإنَّ أبَاكُم واحِدٌ، أَلا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على أعجَمِيّ، ولا لعَجَمِيٍّ على عربِيٍّ، ولا لِأحْمرَ على أسْودَ، ولا لِأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوَى، النَّاسُ مِن آدَمُ، وآدَمُ مِن تُرَابٍ ".

* * * * *

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

882- [وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً]الإسراء:73. كانوا ولا يزالون يبحثون عمَّن يَنتمي إلى الإسلامِ ـ ولو مجرّد إنتماء ـ فمن وجدُوا فيه زَيغاً عن الحقّ .. وجسَارةً على الطعنِ بالدِّينِ، والتشكيكِ

بأحكامِه وثوابتِه، باسمِ الدِّينِ .. قرَّبُوه .. وأغدَقُوا عليه .. وأثنوا عليه وعلى طريقتِه ومنهجِه خيراً .. واتخذُوه صديقاً وحبيباً .. لأن معاولَ الهدْمِ عندما تكونُ مِن الداخلِ تكونُ أشدَّ وطأً على البناءِ وعلى الجماعةِ، وأدْعَى للتشكيكِ، والتنْفيرِ مِن معَاولِ الهدْمِ الخارجيَّةِ .. على اعتبارِ أنَّ الأوَّلَ من الجماعةِ، ومِن داخلِ الصَّفِّ، وينتمي للإسلامِ، ويَعرِفُ عنه أكثرَ من أعدائِه الأصليين من خارجِه .. ولو تأمَّلتَ جميعَ الفِرقِ والجماعاتِ الضَّالَّةِ؛ التي تقومُ تعاليمُها على البدَعِ، والإحْدَاثِ في الدِّينِ، وعلى الشَّرعِ المبدَّلِ .. تجدُها مخدومَةً، ومدعومَةً، ومقرَّبَةً مِن قِبلَ الكافرين والمشركين على اختلافِ مِلَلِهم!

* * * * *

وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً

883- [وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً]الإسراء:74.

مُحَاولاتُ أهلِ البَاطِلِ مُستمرَّةٌ؛ لَا تعرفُ الكلَلَ، ولَا الملَلَ، ولَا التَّوقفَ .. تارَةً يأتُون المؤمنَ عن اليمينِ، وتارةً يأتونه عن الشمالِ، يَستخدمُون التَّرغيبَ تارةً، والتَّرهيبَ تارةً أُخْرَى؛ لكي يميلَ المؤمنُ إليهم، وإلى باطلِهم، ولو شَيئاً يَسيراً .. فهم إن لم تُطاوعْهُم، وتمِلْ إليهم مَيلاً كثيراً، يَرضَون منك أن تميلَ إليهم شيئاً قليلاً؛ ليتَقوَّوا بهذا القليلِ على باطلِهم، ويقُولوا لولَا أنَّنا على حقٍّ لما تابَعَنا ووافقَنا المؤمنُ على ما نحنُ فِيه .. ثم الذي يوافِقُهم ويُتابعُهم في القَليلِ، مع الزَّمنِ والاسترخَاءِ قد يَضعفُ ويتَابعُهم في الكثيرِ؛ فيَهلَك، ويُهلِك، ويتَنزَّل العذَابُ .. لِذا فالقضيَّةُ من هذا الوجهِ هامَّةٌ وخطيرةٌ تستدعي سؤالَ اللهِ الثَّباتَ على الحقِّ الذي يحبُّه ويَرضَاه، واستمدَادَ العَونِ منه سُبحانه على الثَّباتِ، فلولا تَثبيتُ الله لعبدِه المؤمن؛ لضَعُفَ، ولمَا قَوي على الثَّباتِ، ومواجهَةِ التَّحدياتِ،

والإغراءات .. وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يَدعُو ويقُول ـ ويُعلِّمُنَا أن نقُول ـ:" يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي على دِينِك ".

* * * * *

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ

884- [قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ]؛ قُلْ للناسِ؛ كُل النَّاس .. كُلٌّ يَعمَلُ من ناحيتِه على طريقَتِه، وبما يَراه مناسباً له .. وبما يَنتهي إليه فَهمه، وعِلمُه .. وبما هو أهْلٌ له .. وعلى قَدْرِ هِمَّتِه .. ولا يَلزم من ذلك أن يَكونَ الكلُّ على حَقٍّ، وخَيرٍ، وصَوابٍ، بل مِنهم السَّعيدُ الموفَّقُ، ومِنهم الشَّقِي المخذُول الذي ضَلَّ سواءَ السَّبيل .. والسَّعيدُ الموفَّقُ هو مَن تابعَ الأنبياءَ والرسلَ، ونَهَجَ نَهْجَهم، واتَّبعَ سبيلَهم، والشَّقيُّ الضالُّ مَن عارَضَ، وخالفَ، ونأَى بجانبِه بَعيداً عن الحقِّ المنزَّل، وعن نَهجِ الأنبياءِ والرسُلِ، [فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً]الإسراء:84. والحكمُ على الناسِ يوم القيامَةِ؛ مَن مِنهم على هُدَى، ومَن مِنهم على ضَلالٍ، لله تعالى وحده، فهو أعلمُ بمن ضَلَّ، وبمن هُدِي إلى الصِّراطِ المستقِيم .. وهو أعلمُ بمن تابعَ الأنبياءَ والرسُلَ بما جاؤوا به من عندِ ربِّهم، وبمن عارَض وخَالَف .. لا يخفَى عليه شيءٌ مِن أُمورِ عِبَادِه.

* * * * *

وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً

885- [قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً]الإسراء: 100. صَدقَ اللهُ العظيم؛ فهَا هُم قادَةُ الكفرِ والاستكبارِ في العالَم يُفكِّرون، ويخطِّطُون كيفَ يُنقِصُون عدَدَ سكان الأرضِ؛ بوسَائلَ غير أخْلاقيّة ..

بزَعْمِ أن منتوجَ الأرضِ لَا يكفي لمجموعِ سُكَّانِ الأرضِ .. وأنَّ سكَّانَ الأرضِ أكثر مما تُنتِجُه الأرضُ .. لتبقَى فئةٌ قليلةٌ من البشرِ تعيشُ قِمَّةَ التَّرفِ والرَّفاهيَّةِ والإسْرافِ، لا تَتأثَّرُ طريقَةُ حياتِهم بمزاحمةِ النَّاسِ لهم .. يَفعلُون ذلك وهُم لا يملِكُون خزائنَ رحمةِ اللهِ .. ولَا سُلطان لهم على الأرضِ ومخزوناتِها، وإنتاجِها .. فكيفَ لو كانَت خزائنُ الرزقِ وأسبابُه بأيدِيهم .. يَقْدرُون على التَّحكُّمِ بها .. لشَحُّوا في الإنفاقِ، وقتلوا النَّاس فقْراً وجُوعاً؟!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً

886- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ]؛ يا مُحَمَّد، [إِلاَّ مُبَشِّراً]؛ لِمَن آمَنَ، وعَمِلَ صَالحاً، بالجَنَّةِ ونَعِيمِهَا، [وَنَذِيراً]الإسراء:105. لِمَن كَفَرَ، وأعْرَضَ، بنَارِ جَهنَّم وعَذَابَاتِها.

* * * * *

وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ

887- [وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً]الإسراء:106.

نزلَ القرآنُ الكريم على قلبِ النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم مفَرَّقاً على مدَارِ عِشرين سنَة مِن عمرِ النبوَّةِ، سُورة بعد سورة، وآية بعدَ آية؛ بحسبِ الحوادِث، والمصالِح، والمشاكلِ التي كانت تعترضُ المسلمين، وتواجُههم .. فإنه أدْعَى للمتلقِّي على التدَبُّر، والفَهْمِ، والاستيعَابِ، والعمَل بالتَّنزيلِ .. وهو الغايةُ الأسَاس مِن التنزيلِ، ومِن تلاوَته، وتَرتيلِه .. والذي يَنشغلُ بحفظِ كتَابِ الله ـ وهو جهدٌ عظيمٌ ومبَارَك ـ ينبغي أن يعطِي لنفْسِه الفرصَةَ الكافِيَةَ لفهْمِ، وتدبُّرِ ما قد حَفِظَ مِن كتَابِ اللهِ .. فالقُرآنُ لم يَنزِلْ فقَط للحفْظِ، أو

لمجرَّدِ التلاوَةِ، وإنما أيضاً للفَهْمِ، والتَّدبُّر، والعمَلِ بما فيه .. كانَ مِن الصحابَةِ مَن يحفَظُ العشرَ آياتٍ فلا يجاوزونَها إلى عَشرٍ أُخْرَى حتى يعْلَمُوا مَا فِيهن مِن العِلمِ، والعمَلِ .. فيجمعُون بين التَّرتيلِ، والعِلمِ، والعمَلِ .. قال ابنُ جرير الطَّبري في تَفسيرِه:" وقوله:[لِتَقْرَأَهُ عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ]؛ يقول: لتقرأَهُ على النَّاسِ على تُؤَدَةٍ، فترتِّله، وتبيِّنه، ولا تَعجَل في تلاوَتِه، فلا يُفْهَم عَنكَ ".

* * * * *

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ..

888- [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ]؛ أعْظَمُ نِعمَةٍ يمنُّ اللهُ تَعَالى بها على الخلْقِ أجمَعين .. تَسْتَوجِبُ الشُّكرَ والحمدَ .. أنَّ اللهَ تعالى لم يَتَّخِذْ وَلَداً، ولم يكُنْ له شَريكٌ في المُلْكِ، يُقاسمهُمَا المُلْكَ، والربوبيَّةَ، والألوهيَّةَ .. فأسماؤه الحُسْنَى، وصِفاتُه العُلْيا تَأبَى أن يكونَ له شَريكٌ يُشارِكُه في المُلْكِ، ويُقاسِمُهُ عِبادَةَ العِبَاد .. فَريقٌ يَعبُدُ هَذا الإله، وفريقٌ آخَر يَعبدُ ذاكَ الإله الآخَر .. كما أنَّ انتظامَ الكَونِ، والحياةِ المستقرَّةِ الآمِنَةِ على هذا الكونِ تَأبَى هذه الشَّراكَةَ؛ إذْ لو كَانَ له شَريكٌ، لنازَعَه المُلْكَ، ونازَعَهَ العِبادَ، وعِبادَةَ العِبَادِ .. واضطَرَبَ الكونُ .. ولعَاشَ العِبَادُ حياتَهم مُنْقَسِمين في حيرةٍ مِن أمرِهِم؛ مَن يَعبدُون، ولمن يتوجَّهونَ بالعِبادَةِ .. ثم يومَ القِيامَةِ لأيِّ إلهٍ سيتبعون، وتكُونُ الكلمَةُ، وتكونُ الغَلَبَةُ .. ومَن سَتكُونُ له الجنَّةُ، وكم سيكُونُ له مِنها، ومَن سَتكُونُ له النَّارُ، وكَم سيكُونُ له مِنها .. فيَشْتَدُّ التنَافسُ والصِّرَاعُ .. فشَرُّ الشِّرْكِ لا تَقْتَصِرُ عَوَاقِبُه على الحيَاةِ الدُّنيَا، بَل ستمتَدُّ إلى ما بَعد الحياةِ الدُّنيَا؛ إلى يَومِ البَعثِ، والنُّشُورِ، والحِسَابِ .. أعَرفْتَ الآنَ يا عَبدَ اللهِ كَم هي عَظِيمةٌ نِعْمَةُ التَّوحِيدِ .. وكَم تَسْتَوجِبُ مِنْكَ مِن الحمْدِ والشُّكْرِ؟!

[وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ]؛ ولَمْ يَكُنْ ضَعيفاً؛ يحتاجُ إلى نَصِيرٍ ومُعِينٍ يُزيلُ به ضَعْفَه .. ويُتِمُّ به قوَّتَه وعِزَّتَه .. لَا .. حَاشَاه .. فالضَّعفُ لَا يَتَطرَّقُ إليه بحالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وكذلك الحَاجَةُ؛ فالجميعُ يحتَاجُ إليه سُبحَانه، يَستَمِدُّ مِنه القُوَّةَ والحيَاةَ، والعَوْنَ، وهو الغَنيُّ عن الجميع .. [وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً]الإسراء:111. وعَظِّمْه تَعْظِيماً .. وبَالِغ في تَعظِيمِه وتمجيدِه؛ فهو أَهْلٌ لكُلِّ تَعظِيمٍ وتمجيدٍ .. وقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً.

* * * * *

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا

889- [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا]الكهف:1. تَصوَّرُوا الأرضَ مِن دُونِ هذا الكِتابِ العَظِيمِ؛ القُرآنِ الكَرِيمِ، كيفَ كانَت ستكُون .. ظُلمٌ وظَلامٌ لا أثَرَ للنورِ فِيه .. تِيهٌ وضَيَاعٌ .. جَهْلٌ، وضَلالٌ، وشِركٌ، وكُفْرٌ، يَطُمُّ ويَعَمُّ .. فالحمدُ للهِ، ثمَّ الحمدُ لله أن أنزَلَ هذا القُرآن، حَبلُ اللهِ المَمْدُودِ مِن السَّماءِ إلى الأرْضِ، الذي لَا يأتِيه البَاطِلُ مِن بينِ يَدَيه ولا مِن خَلْفِه، ولم يجعَل له عِوَجَاً عن الحقِّ، والصِّراطِ المستقِيم .. وأن خَصَّنَا وأكرَمَنا بهذا القُرآن .. وأن أحيَا الأرضَ بعدَ موتِها بهذَا القُرآن .. وأن أنارَ لنا الدَّرْبَ والطَّريقَ بهذَا القُرآن .. وأن أخْرَجَنا مِن ظُلماتِ الكُفْرِ، والشِّركِ، والجَهلِ، والضَّلالِ بهذا القُرآن .. وأن حَفِظَنا مِن كُلِّ شَرٍّ، وذِي شَرٍّ بهذا القُرآن .. الحمدُ للهِ حمْدَاً كَثيراً طيباً مُباركاً فِيه لعَظِيم نعمَةِ القُرآنِ الكَرِيم.

* * * * *

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً

890- [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً]الكهف:5. هي كلمَةُ الكُفْرِ والشِّرْكِ.

891- [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً]الكهف:5. يَدخلُ في هَذا الوَعِيدِ الشَّدِيدِ كُلُّ مَن يُحلِّلُ ويُحرِّم، وكلَّ مَن يَقُولُ على اللهِ تعالى قَولاً مِن تِلقاءِ نَفْسِه، ومِن غَيرِ دَليلٍ مِن الكِتابِ والسنَّةِ، ثمَّ يَنسِبُ كلامَه كذباً وزُوراً إلى اللهِ تعالى، وإلى رسُولِه صلى الله عليه وسلم!

* * * * *

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

892- [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا]؛ كلُّ مَا على الأرضِ مِن جِبالٍ وسهُولٍ، وبحارٍ وأنهارٍ، ودَوَابٍّ وأنعامٍ، وثمارٍ، وأشجارٍ، ونباتاتٍ، وأموالٍ مصادِرُها شتَّى، وغيرها .. فهي زِينَةٌ .. لها جاذبيَّتُها وبريقُها الأخَّاذِ في نفسِ الإنسانِ .. لماذا هي زِينَةٌ بهذه الجاذبيَّةِ، والفِتْنَةِ، وهذَا الجمَال؟ [لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الكهف:7. فهي موطنُ اختبَارٍ وتمحيصٍ .. وجميعُ موادِّ الاختبارِ متوفِّرةٌ، ومَعروضَةٌ .. ليُنْظَر كيفَ سيتَصَرَّفُ الإنسانُ بهذه الزِّينَةِ؛ هل سَيتَصرَّفُ بِها، ويتعَامَلُ معَهَا وفْقَ مَا أمرَ اللهُ به عن طريقِ أنبيائِه ورسُلِه .. أم أنَّه سيتَصرَّفُ بِها، ويتَعَامَلُ معَهَا وفْقَ هوَاه، ونزوَاتِه، ومَا تُملي عليه شياطِينُ الأنْسِ والجِنِّ .. بَعيداً عَن هَدي وتعاليمِ السَّمَاء!

* * * * *

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

893- [إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ]الكهف:13. فيه أنَّ الشَّبابَ أكثَرُ حمَاسَةً، وتوَقُّدَاً، وإقْدَامَاً مِن الشّيوخِ في نِصْرةِ دِينِ اللهِ .. ومواجَهَةِ بَاطِلِ وظُلمِ الطُّغَاةِ!

* * * * *

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

894- [وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ]؛ ثبتناهم، وجرَّأنَاهم، وقوّينا قلوبَهم على قولِ الحَقِّ، وأزَلْنا منها الخوف، والوجَل، والتَّردد .. فالموقفُ شديدٌ، وصعب، غير مألوف للعيان، ولا للمسامع .. لا يَقْدِرُ عليه ضُعفاءُ الإيمانِ، ضُعفَاءُ القَلبِ، [إِذْ قَامُوا] ؛ تفيد حركةً جماعيّة جريئةً، ومنظَّمَةً .. تفيد قياماً بعد كُمُونٍ، وسُكُونٍ، وتَدبيرٍ، وتخطيطٍ للزمانِ

والمكَانِ المنَاسِبَين، [فَقَالُوا]؛ قولَةَ رجلٍ واحد، للملِك الطاغية الذي زعم لنفسه الربوبية، وأنه إله من دون الله .. قالوا له أمامه وفي وجهه، وعلى ملأ من الناس، وفي حفل مشهود، ومليء بالحاشية والعبيد المقربين، تُمارَسُ فيه طقوسُ الطاعةِ والشّركِ، وتعبيد العبيد للطاغوت .. غير آبهين بترهيب، ولا بقتْلٍ أو صَلْبٍ: [رَبُّنَا]؛ ليس أنت أيُّها الطاغوت المَلِك، فما أنت إلا عبد مملوك ومخلوق، ينتابك ما ينتاب العبيد من نَقْصٍ، وضَعْفٍ، وعَجزٍ، وحاجة، لا تقدر أن تخلق شيئاً .. ولا تلك الأصنام التي تدعونا لعبادتها .. بل ربنا هو الله؛ الذي خلقنا، وربَّانا، ورزقنا، وأنشأنا وفق مشيئته وتقديره [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ؛ الذي خلق السماوات والأرض وما فيها من مخلوقات، ثم هَدَى [لَن نَّدْعُوَ]؛ لن نَّعْبُدَ [مِن دُونِهِ] ؛ من دون الله، [إِلَهاً]؛ معبوداً آخر، ولو فعلنا؛ فعبدنا غير الله، وأقررنا له بالربوبية والألوهية، مع ضعفه، وعجزه عن أن يكون خالقاً [لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً] الكهف:14. قولاً في غاية الشَّطَطِ، والظلمِ، والكُفرِ، والبُعدِ عن الحقّ والصَّوابِ .. ونعوذُ بالله من ذلك .. هذا الموقف الجريء؛ المليء بالإيمان، واليقين، والثبات، والتوكّل .. هذا الصدع بالحق في وجه الطاغوت الظالم ـ وهو أفضَلُ الجهَادِ ـ هو الذي وضع لهؤلاء الفتية ـ الذين آمنوا بربهم، وزادهم اللهُ هُدَى ـ القبولَ في الأرضِ، وفي السّماءِ .. وهو الذي خلَّدَ ذِكْرَهُم وقِصَّتَهُم في سورة عظيمة؛ سورة " الكهف "!

895- [وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ]؛ الموقِفُ يُوحِي بأنَّه شَدِيدُ الرَّهْبَةِ .. يُخَيِّمُ عليه وعلى مَن فِيه الخَوفُ .. تَتَسَارعُ فيه دَقَّاتُ القُلوبِ؛ فَرَقاً من طاغُوتٍ جَبّار، يأمرُ الناسَ بتأليهه وعبادَتِه مِن دونِ اللهِ .. لا يُرَدَّ له أمْرٌ، ومَن يَعصي له أمْراً، ليس له إلا السّيف وقَطْع العُنُقِ .. إلَّا أنَّ مَعيَّةَ اللهِ لفتيَةٍ موحّدين قد آمَنُوا بربِّهم، تَعْلُو، وتجعَلُ من الصَّعْبِ سَهْلاً،

ومن الخَوفِ أمْنَاً؛ فَثبَّتَ اللهُ قلُوبَهم، وقوَّاها، وجرَّأهَا على قولِ الحَقِّ .. ونَزَعَ منها الخوفَ من الطَّاغُوت، [إِذْ قَامُوا]؛ تُفيدُ حَرَكَةً وهِمَّةً، وعمَلاً جماعيَّاً .. ودِقّةً في التَّرتيبِ، والتَّنظيمِ، والتَّوقيتِ .. فقامُوا جميعاً قَوْمَة رجُلٍ واحدٍ، يَقَوِّي بَعْضُهم بَعْضَاً، في وجهِ الطَّاغوتِ .. وفي مجلسٍ على مَلَإٍ من الناسِ، ومِن حاشيتِه المقرَّبين؛ لتعمَّ الفائدةُ، وتَصِلَ الرسالَةُ إلى الجميعِ، ولكي يَصعُبَ على الطَّاغيةِ إخفاء أثَرِ كلماتِهم ودَعوتِهم، [فَقَالُوا]؛ قولَة رجُلٍ واحدٍ، لم يتخلَّف منهم أحَدٌ، قولة حَقٍّ عند حاكِمٍ كافِرٍ جَائِرٍ؛ [رَبُّنَا]؛ ليس أنتَ أيُّها المَلِكُ الطاغيةُ .. ولا تِلكَ الأصنامُ التي تَعبدونَها مِن دُونِ اللهِ، والتي لا تَنفَعُ ولا تَضُر .. إنَّما ربُّنا الذي نَعبدُه، ويَستحِقُّ أن يُعْبَدَ، هو [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]؛ خالِقُ السَّماواتِ والأرضِ .. وما سواه فهو مَربُوبٌ مَخْلُوقٌ لا يستطيعُ أن يخلقَ شيئاً، ومن كان لا يَستطيعُ أن يَخلقَ شيئاً، لا يجوزُ أن يُعبَدَ أو أن تُصرَفَ له العِبادةُ من دُونِ اللهِ،[لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً]؛ لن نعبدَ من دُونِ اللهِ ـ خالِقُنا وخالِقُ السَّماوتِ والأرضِ ـ إلهاً آخَر .. فاستدلُّوا بتوحيدِ الربوبيَّةِ على توحيدِ الألوهيَّةِ؛ إذ أنَّ الربَّ الخالِقَ، المتَفَرِّدَ بالخَلْقِ، هو الذي يجبُ أن يُتأَلَّه ويُعْبَدَ، لا أحَدٌ سِواه .. ولو طاوَعْنَاكُم فأجبْنَاكُم إلى ما تدعُونَنا إليه مِن عِبادةِ آلهةٍ غير اللهِ، [لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً]الكهف:14. لقد قُلنا قَولاً بالِغَاً في الكُفْرِ، والبُطْلانِ، والانْحِرافِ عن الحَقِّ.

* * * * *

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

896- [وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ]الكهف:16. اعتَزَلُوا المشركين ومَا يَعبدُون مِن آلهةٍ باطِلَةٍ، وأصنَامٍ لَا تَنفعُ ولا تَضِرُّ .. فلمْ يَعبدُوها، [إِلَّا اللَّهَ]؛ فلمْ يَعتزِلُوا عِبادَته؛ لأنه الإله الحقّ الذي يَستحقُّ أن يُعبَد، وأن يُفرَد بالعبادَةِ وحدَه سبحانه .. والآيةُ

فِيها أن المشرِكين مِن قَبل، واليوم، وإلى يومِ القِيامَة لم يكُن كُفرُهم وشِركُهم مِن جِهَةِ إنكارِهِم وجحودِهم لوجودِ اللهِ تعالى، ولحقِّه في أن يُعبَد، وإنما كان شِركُهم وكفرُهم مِن جِهَةِ عبادَتِهم لآلهةٍ أخْرَى معَ اللهِ .. يَرونَ لها حَقَّ العِبادَةِ مَا يَرونَهُ للهِ .. حتَّى الملحدِين اللَّادينِيين ـ الذين يتَدينون بدينِ الإلحَادِ! ـ كَثيرٌ مِنهم يكَفرُون بالأدْيانِ، لكنَّهم يُقِرّون بوجودِ إلهٍ وخالِقٍ لهذَا الكونِ .. وعندَ البرَاءِ مِن آلهتهم ومعبُودَاتِهم ينَبغي الانتباهُ لهذا الاستِثنَاءِ الهَام [إِلَّا اللَّهَ]؛ فإنَّنَا لَا نَبرأُ مِن عبادَتِه، بل نَعبدُه ونوحِّدُه، ونخصُّه وحْدَهُ بالعِبَادَةِ .. كما في سورَةِ الشُّعَراءِ قالَ تعالى عن أبي الأنبياءِ إبراهِيم عليه السلام:[قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ]الشعراء:75-77. فعَدَاوتي تَشملُ جميعَ مَا تَعبدُون مِن دُونِ اللهِ؛ لأنَّهم لَا يَستحِقُّونَ أن يُعبَدُوا، [إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ]؛ فَلا أُعَادِيه، بلْ أَعبُدُه، وأَوَحِّدُه، وأخصُّه تعَالى وحْدَه بالعِبَادَةِ.

* * * * *

فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ

897- [فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ]الكهف:16. الوَحْيُ لا يَتَنَزَّلُ إلا على الأنبياءِ والرُّسُلِ، وقَد انقطَع بوفَاةِ خَاتَمِ الأنْبيَاءِ والمرْسَلِين صلى الله عليه وسلم .. وبَقِيَ الإلْهامُ، والإلهامُ الشَّديدُ .. أحياناً إذا أرادَ اللهُ من عَبْدٍ شَيئاً، يُقوّي لديه الإلهامَ لفِعلِ هذا الشَّيءِ .. فيجِدُ نَفْسَه مَشْدُوداً لفِعْلِه وتَنْفيذِه .. ويجدُ في نَفْسِه هِمَّةً لفِعْلِ هذا الشَّيء لا يجِدُها في غَيرِه .. وكذلك إذا أرادَ اللهُ مِن عَبدٍ أن لا يَفعل شَيئاً، ألهمَهُ وقَوَّى لديهِ الإلهامَ لاجْتِنَابِه واعتِزَالِه .. وهذا الذي حَصَلَ للفتيَةِ المؤمنين الذين آوَوا إلى الكَهفِ؛ وجَدُوا أنْفُسَهُم

مَشْدُودِين إلى اللُّجوءِ إلى الكهفِ والاحتماءِ به، وهم مُطارَدُون من قِبَل الطُّغَاةِ الظَّالمين .. وكأنَّ هُناك من يُخاطِبهم ويقول لهم:[فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته].

898- [فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً]الكهف:16. مهمَا عظُمَت تَضحيَات البِدَايَات فإنَّ مآلاتِ التَّوحِيدِ، واعتِزالِ الشِّرْكِ والمشرِكين، في الدُّنيا والآخِرَةِ .. كلها خَيرٌ، وعطَاءٌ، ورحمَةٌ .. وهؤلاء الفِتيَة المؤمنون، لَمَّا حقَّقُوا التَّوحِيدِ، واعتزَلُوا الشِّرْكَ، والمشرِكين، ومَا يَعبدُون مِن دُونِ اللهِ .. وأظهَرُوا الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ .. أرادَهُم الملأ مِن المشرِكين بسُوءٍ؛ فطارَدُوهم ولاحَقُوهُم؛ ليردُّوهم عن دينِهم أو يَقتلُوهم .. فضَاقَت على الفتْيَةِ المؤمنين الأرضُ بما رَحُبَت .. فجُنْدُ الطاغُوتِ في طلَبِهم؛ قد مَلؤوا الأرضَ والشِّعَابَ يبحثُون عَنهُم .. والأَسْرُ واقعٌ لا محَالَة .. في هذه اللحظَةِ العَصِيبةِ أوحَى اللهُ إليهم وحي إلهَامٍ شَدِيدٍ؛ أن اقصُدُوا الكهْفَ .. اذهَبُوا إلى الكهْفِ .. فسوفَ تجدُون فيه المأوَى الآمِن، ومَا تنتَفِعُون به .. ولَن يَصِلُوا إليكم بسُوءٍ أبَداً .. عَرَفُوا اللهَ في الرَّخَاءِ والشدَّةِ .. فَعَرَفَهُم اللهُ .. وخَلَّدَ ذِكْرَهُم، وقصَّتَهُم إلى يومِ القِيامَةِ.

* * * * *

وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً

899- [وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً]الكهف:22. النَّهي يَشملُ قصَّةَ أهلِ الكَهْفِ .. وجميعَ الحقَائقِ الكُلِّيَّةِ العَامَّةِ، وكلَّ غَيْب .. أن لا نَطلبَ الفُتْيَا فِيها مِن أحَدٍ إلَّا مِن اللهِ تعالى؛ عَالِمُ الغَيْبِ، والشَّهَادَةِ، وخَالِقُ الخلْقِ، الذي يَعلَمُ مَا كان، ومَا يَكُون،

وما سيكُون، فهو وَحْده الذي يُسْتَفْتَى ويُرجَع إليه في مَعرفَةِ المسَائِلِ ذَاتِ العَلاقةِ بالغَيبِ، والحقَائقِ الكُليَّةِ العَامَّة.

* * * * *

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ

900- [وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ]؛ الغَد، بل السَّاعات والدَّقائقُ القَادِمة .. غَيبٌ .. لا يَعلمهُ ـ ولا يَقدرُ عليه ـ إلا اللهُ .. لا تدري ماذا يحصَلُ لك .. وماذَا سيحصَلُ لما وعَدتَ القيامَ به .. وما سيحصَلُ للموعُودِ له .. وقد يُحيلُ بينكَ وبين ما وعدْتَ به حَوائلُ عديدَة، تمنَعُكَ من تَنفيذِ ما قطَعتَ به على نفْسِك، مِنها الموت .. لأجلِ ذلك .. وحتَّى لا تكونُ حانِثَاً في وعْدِك، ومَا قطعتُه على نفْسِك .. وحتى لا تَتعرَّض للمساءلةِ ممَّن قد وعدتَه .. استَثْنِ وقُلْ:" إنْ شَاء اللهُ "، فإن أعانَك اللهُ على تنفيذِ ما وعدْتَ به، في الزَّمانِ والمكانِ المحدَّدَين، فخَير .. وإن لم تَستطعْ، وحَالَ بينك وبين وعْدِك حَائلٌ، فتُعْذَر، وليسَ عليك شَيء .. ومَا أكثرُ الذين يَعِدُون، ويخطِّطُون لمستقبَلِهم القَرِيب، والبَعيدِ، ثم لم يتمَكَّنُوا من إنجازِ شَيءٍ ممَّا وَعَدُوا به، وقَطَعُوه على أنفُسِهم، [وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ]الكهف:23-24. فإن نَسيتَ أن تَقولَ:" إن شَاءَ الله "؛ في حَالِ حديثِك عمَّا ستُنجِزُه في المستَقْبلِ .. ثمَّ تَذكَّرت .. فقُلْ لحظَةَ تَذكُّرك:" إن شاءَ الله " .. وإن نسيتَ أن تقُولَ " بسمِ اللهِ "، عند ابتدائِك الطعَام .. ثمَّ تَذكَّرْتَ ـ ولو في آخِرِ طعَامِك ـ فقُلْ لحظَةَ تَذكُّرك:" بسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَه " .. ونحوه أيَّما ذِكْرٍ يُسَنُّ أن يُقال في زَمَانٍ ومَكانٍ محَدَّدَين .. فمَن نَسِيَه، فليَذْكُرْه حينَما يتَذَكَّره.

* * * * *

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً

901- [وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً]الكهف:25. لَمْ تَظهَرْ الحِكْمَةُ مِن قِصَّةِ أصحَابِ الكَهْفِ، إلا بَعدَ أكثَرَ مِن ثَلاثِ مِئةِ سَنَةٍ بِتِسْعِ سِنِين .. يومَ أن أيقَظَهم اللهُ مِن نومِهم الطويل؛ ليعلَمَ الناسُ في زَمانِهم - ومِن سَيأتي بعدَهم - أنَّ اللهَ تَعالى حَقٌّ، وأنَّ البَعْثَ والنشُورَ، والحِسابَ حَقٌّ .. ثم ظهَرت الحِكمَةُ الأكبَرَ مِن قصَّتِهم يومَ أنزلَ اللهُ فِيهم قُرآناً يُتلَى إلى يَومِ القِيامَةِ .. وبعدَ مِئاتِ السِّنِين مِن قصَّتِهم .. لنعلمَ أنَّ مِن الحِكَمِ مَالَا يَظهر إلَّا بعدَ سِنِين .. وربما بعدَ عقُودٍ، وقُرُونٍ .. فإن فاتَتْك الحِكمةُ مِن شَيءٍ من الأشياءِ، وفي وقْتٍ من الأوقاتِ، فسَلِّمْ لحكمَةِ العَلِيم الحكيم .. ولَا تَستَعْجِلْ ظُهورَ الحِكمَةِ .. واعلمْ أن لا شَيء يَصدُرُ عن اللهِ تعالى في خَلْقِه عَبَثاً مِن غَيرِ حِكمَةٍ ولَا غَايَةٍ.

* * * * *

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ

902- [أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ]الكهف:26. أبصِرْ باللهِ، وبكلامِه، وأسْمِعْ، مَن ضلَّ الصِّراطَ المستقيم .. فمن تَعرَّفَ على اللهِ تعالى بأسمائِه الحُسْنى، وصفاتِه العُليا .. وأحسنَ الإصغاءَ والإقبالَ على كلامِ اللهِ تعالى، فقَد هُدِي، ويُصبحُ الأعمَى بَصيراً، والأصَمُّ سميعاً .. فبالقرآن يُبصِرُ العُمْيَان، ويَسمَعُ الطُّرْشَان!

903- [أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ]الكهف:26. مِن المعَاني اللطيفَةِ التي أُثِرَت عن بعضِ السَّلفِ في معنَى قَولِه تعالى، [أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ]؛ أي لا أحَدَ أبصَرَ مِن اللهِ بما خَلَق، فلا يَخفَى عليه شيءٌ مِن مخلوقاتِه، مهمَا كان صَغيراً، ودَقِيقَاً، سَواءٌ كان في السَّماءِ أم في

الأرْضِ .. أو كان في البرِّ أم في البَحْرِ، إلَّا ويَرَاه .. ولَا أحَدَ أسمَعَ مِنه سُبحانه لأصْواتِ الأشياءِ مهمَا كثُرَت، وكانَت ضعيفَةً وخفيَّةً، وأينما كانَت .. فَلَا تختلطُ عليه الأصوَاتُ .. ولَا يُشغلُه صَوتٌ عن صَوتٍ .. وهذا معنى جِدُّ لطيفٍ وجميلٍ، يَبعثُ في النَّفْسِ الرَّاحَةَ، والأَمَانَ، والطمأنينَة .. فالمرءُ ـ إذا ما نزَلت به حاجَةٌ أو كَربٌ ـ لا يحتاجُ إلى وسطَاء؛ يَتوسَّطهم بينَه وبينَ الله .. ولَا إلى أن يرفعَ صوتَهُ؛ وهو يُناجِي رَبَّه .. بَلْ يكفِي مِنه الهمْسُ، وحَديثُ النَّفْسِ، فاللهُ يَعْلَمُه، ويَسْمَعُه.

* * * * *

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدَاً

904- [وَلَا يُشْرِكُ]؛ لِغِنَاه عَنِ الشَّرِيكِ، ولأنَّ صِفَاته تَأْبَاهُ، [فِي حُكْمِهِ]؛ الكَوْنِي، والشَّرْعِي، [أَحَدَاً]الكهف:26. مِن خَلْقِه.

* * * * *

وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً

905- [وَلَن تَجِدَ] مهما حاولتَ الهروبَ أو التَّخَفي [مِن دُونِهِ]؛ من دُونِ اللهِ [مُلْتَحَداً]الكهف:27. مَلجَأ تَلتَجِئُ إليه، أو مَخبَأً تختبئ فيه، يَعصِمُك من الله .. فلا مَلْجَا، ولا مَنْجَا، ولا مُعاذَ تعوذُ وتَلوذُ به من الله .. ومهما حاولت، فاللهُ مَعَك، وقريبٌ مِنْكَ، وقادرٌ عليكَ حيثما تكُون .. والعاقِلُ يَلوذُ ويتَّقي بِهِ مِنه، ويَفرُّ منه إليه؛ يفرُّ من مَعصيَتِه إلى طاعَتِه، ومن غَضَبِه إلى رِضَاه، ومن عَذَابِه إلى عفوِه ورحمتِه سُبحانه.

* * * * *

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

906- [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ]؛ أمرٌ فيه حَضٌّ وتَرْغِيبٌ على مُلازَمَةِ الأصحابِ المؤمنين الصَّالحين، الصَّادقين، وإن كانُوا مِن الفُقراءِ والمساكين .. ومهما تَرتَّبَ على صُحبَتِهم ومُلازَمتِهم مِن تَبِعَاتٍ؛ فبملازَمَتِهم السَّلامَةُ مِن الفِتَنِ، والشَّرِّ، والأشْرَارِ، والقَرِينُ بالقَرِينِ يُعرَفُ، [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ]؛ ولا تَنْصَرِفْ عنهم فتَتركَهم لفَقْرِهم، أو ضَعفِهم، [تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]الكهف:28. فتبتَغِي بَدَلاً مِنهم مُصاحَبَةَ ومُلازَمَةَ الأغنياءِ الأقوياءِ مِن ذَوِي الجَّاه، غير الأتْقِيَاءِ .. ابتِغَاءَ عَرَضٍ مِن الدُّنيا .. وابتغاءَ السُّمْعَةِ والرِّيَاءِ!

907- [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ]الكهف:28. فيه حَضٌّ وتَرغِيبٌ على مُلازَمَةِ الأصدقاءِ الصَّالحِين ـ حتى لو كانوا مِن الفُقراءِ؛ فالفَقْرُ ليسَ عَيباً يَسْتَدعِي النُّفورَ والابتعادَ عن أصحابِه ـ والصَّبرِ معَهم على مجاهَدَةِ النفْسِ والحياةِ .. والصّبرِ عليهم إن بَدَرَ منهم ما يُسِيء؛ فهم ـ بعدَ اللهِ ـ خيرُ مُعِين للعبْدِ على شؤونِ دينِه ودُنياه، وعلى مواجهةِ الفِتَنِ والتحدّياتِ التي تَعترضه في حياتِه الدنيا .. ومِن دونِهم يكونُ سَهْلَ المنالِ، وسَهلَ والوقُوعِ في حبَائلِ ومكائدِ الشَّيطانِ!

* * * * *

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

908- [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]الكهف:28. ولَا تَتجاوَز ولا تَتعدَّى أصدقاءَك الصَّالحين، فتَصرفُ بصرَكَ عنهم لفقْرِهم أو ضَعفِهم .. إلى غَيرِهم

مِن الطَّالِحِين؛ من أهلِ الشَّرفِ، والرِّياسَةِ، والغِنَى، والسَّرَفِ .. تبتَغِي بقُرْبِك مِنْهم، ومجالَسَتِك لهم الظُّهورَ، والشَّرفَ، والسِّمعةَ، والفَخْرَ .. فاللهُ تعالى يَنهى عن ذلك.

فإن قِيل: نُصاحِب هؤلاء، وهؤلاء ...؟!

أقول: هذا من التَّناقُضِ بين شَيئين يَستحيلُ اجتماعُهما، أو الجمعُ بينهُمَا؛ إذْ كُل فريقٍ سيشدُّ الحبْلَ إلى طرَفِهِ وجانبِه .. وكلُّ فريقٍ سيعيبُ ما عليه الفَريق الآخَر، من أخلاقٍ وسُلُوك .. وبخاصَّة فريقُ الطَّالحين المسرفين؛ فقد جرَت العادَةُ فِيهم أنَّهم يأنَفُون عن مجالسَةِ ومُصاحَبةِ الفُقراءِ المستضعَفين، وبخاصَّة إن كانوا مِن المؤمنين الصَّالحين .. والمرءُ له قَلبٌ واحِدٌ لا يُطاوعُه على الجمْعِ بين الشيءِ ونقيضِه .. إذْ لا بُدَّ له من الاختِيَارِ، وهو ومَا يختار.

* * * * *

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً

909- [وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. ولمَّا كان الصاحِبُ ساحِباً .. وجرَت العادَةُ أن يُصغِي الصَّاحِبُ إلى صاحِبِه .. وأن يتأثَّر بِه، وبكلامِه، وآرَائِه .. جاءَ النَّهيُ عن طاعَةِ الأصحابِ السيئين الضَّالين الفاسِقين؛ الذين تخلُو قلُوبهم مِن الإيمانِ، والخَشيَةِ، وذِكْرِ اللهِ تعالى .. والذين لا يُشيرون على من يُصاحِبونَهُ بخَيرٍ .. إذْ لا يكفي أن لا تُصاحِب الطّالحين الضَّالين الفاسِقين .. بل أيضاً يجبُ أن لا تُصْغِي إلى كلامِهم ونَصائِحهم؛ لأنَّهم لا يَنْصحونَ بخيرٍ .. لا يَنصحونَ إلا بشَرٍّ .. فالإناءُ يَنضحُ ما فِيه .. مِن صفاتِ هؤلاء الضَّالّين الفاسِقين ـ الذين يجب اعتزالهم وعدمُ مُصاحبَتِهم ـ أنَّهم يتَّبعونَ أهواءَهُم؛ فما تُملي عليهم أهواؤهم فهم يتَّبعونَه، ويُثنونَ عليه خَيراً .. فالحقُّ ما يَراهُ هواهُم حَقاً .. والباطِلُ مَا يَراهُ هواهُم

بَاطِلاً .. وكذلك التَّحليلُ والتَّحريمُ .. والتَّحسينُ والتَّقبيحُ مَردُّ ذلك كله إلى أهوَائِهم، ومَا تملي عليهم أهواؤهم .. [وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]؛ قد انتهى أمرُه وحالُه إلى الإفرَاطِ في الضَّياعِ، والهلَاكِ، ومُجافَاةِ الحقِّ .. ومَن كان بهذا الوصْفِ لا يَنفعُ نفسَه، فضْلاً عن أن ينْفعَ غيرَه!

910- [وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا]؛ عن الكتَابِ والسُّنَّةِ، [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ]؛ كمصدَرٍ للتَّشريعِ، والتَّحْسِينِ، والتَّقبيحِ، والتَّحليلِ والتَّحريمِ، [وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً]الكهف:28. غايةٌ في الجَفَاءِ عن الحقِّ .. يَفعلُ ذلك مَن يُعرِض عن استفتاءِ ومُراجعَةِ العلماءِ الربَّانيين الذين يَتَّبعون الكتَابَ والسُّنَّة .. ويُقبِلُ على دُعاةِ الأهواءِ، والضَّلالةِ، والجهلِ .. يَستَفْتِيهم في أمرِ دينِه ودُنيَاه .. فِيما يحلُّ له، وفِيما يحرُم عليه .. وفِيما يجبُ، وفِيما لا يجبُ ...!!

* * * * *

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ

911- [وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ]. لَا يُراد بالآيةِ الكريمةِ التَّخييرُ بينَ الإيمانِ، والكُفرِ، فمَن شاءَ أن يختارَ هَذا أو ذَاك، فله ذلك .. كما يَفهم ذلك البعضُ .. لَا؛ إنَّما هو تَهديدٌ، ووعيدٌ، وتخويفٌ لمن يتجرَّأ فيَختارُ الكُفرَ على الإيمانِ .. بدليل قولِه تعالى:[إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا]الكهف:29. و " سُرَادِقُهَا "؛ جُدُرٌ مِن نَارٍ.

* * * * *

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً

912- [وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً]الكهف:34. هذا المشركُ، والمصيرُ الذي انتَهى إليه، مَثَلٌ سَيِّءٌ لكلِّ مَن تحملُه نفْسُه على العُجْبِ، والمبَاهَاةِ، والمفَاخَرةِ، والتَّعَالي على الناسِ بما جمَعَه مِن مالٍ، وبما عِنده من أبناءٍ، يَتقوَّى وينتصرُ بهم على مَن يخالِفُه، وعلى مَن يُريد .. يَردُّ الفضلَ فِيما هو فِيه مِن خيرٍ ونِعَمٍ لنفْسِه، ولعزمَاتِه مِن دُونِ اللهِ .. كافِراً باللهِ، وبفضلِه، وبأنعُمِه عليه .. فانقلَبَ وما يملكُ من ثمارٍ إلى خَرابٍ، ودَمَارٍ، وحَسْرَةٍ، ونَدَامَةٍ، جزاءَ كُفْرِه، وكِبْرِه، وتَعالِيه على النَّاسِ .. فالنِّعمَةُ التي لا تحملُ صَاحِبَها على التواضُعِ، والشُّكرِ للهِ، فِتنَةٌ، واستدراجٌ، ونقْمَة!

* * * * *

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً

913- [وَوُضِعَ الْكِتَابُ]؛ كُلٌّ له كتابُه؛ المؤمنُ له كتابُه يَستلمُه بيمينِه، والكافِرُ له كتابُه يَستلمُه بشمالِه، [فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ]؛ خائفين ممَّا مُدوَّنٌ فِيه؛ لأنه لم يدَعْ شَيئاً مِن أعمالِهم وأقوالِهم الظَّاهِرةِ والباطِنَةِ إلَّا وقَد دوَّنَها وأحصَاها، [وَيَقُولُونَ]؛ والدَّهْشَةُ تعلُوهُم مِن هَوْلِ المفَاجَأةِ والموقِفِ، [يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً]؛ لم يترُكْ صَغيرةً مِن صغائِرِ الذُّنُوبِ، [وَلَا كَبِيرَةً]؛ مِن كبائِرِ الذُّنُوبِ، ممَّا قَد اقترَفنَاه، [إِلَّا أَحْصَاهَا]؛ إلَّا جمعَهَا وعدَّهَا، لم يَفُتْهُ شَيئاً مِنها، ولم يكُنْ بمقدورِهم أن يُنكِرُوا مِنها شَيئاً .. وقَدَّمَ ذِكْرَ الصَّغائِرِ على الكبائِرِ؛ للتنويهِ إلى عَدمِ الاستهانَةِ أو الاستخْفَافِ بِها، [وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً]؛ مُثْبَتاً أمَامَهم في كتابِهم، يبصرُونَه بأعيُنِهم، يَقرأُه حتَّى مَن لَم يكُنْ في دُنيَاه يُحسِنُ القِراءَةَ، [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً]الكهف:49. لأنَّ اللهَ تعالى قد حرَّمَ الظلمَ على نفْسِه، وجَعَلَه بينَ عِبَادِه محرَّماً .. فيُجازِي المسيءَ على

إساءَتِه بمَا يَستَحِقُّ، والمحسنَ على إحسَانِه بما يَستَحِقُّ .. ويُعامِلُ عبادَه إمَّا بالعَدْلِ، وإمَّا بالمَنِّ والإحسَانِ .. وهو أهْلٌ لأعظَمِ وأجمَلِ وأكمَلِ إحسَانٍ.

* * * * *

مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ

914- [مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ]؛ قَضيَّةٌ لم تكُنْ شَاهداً عليها يا ابنَ آدَم، ولا حاضِراً عند حصُولها .. وأنتَ جاهِلٌ بها .. كيفَ تخوضُ فِيها، نفياً، وإثباتاً، وإضافَةً، بغيرِ عِلم .. تعتَمدُ الظنَّ في أحكَامِك الذي لا يُغْنِي من الحقِّ شيئاً .. تُقْحِمُ أنفكَ في قضيَّةٍ لم يُشركك اللهُ فيها، ولا غيرَك .. والتي مِنها طَريقةُ نشأتِك، وابتدَاء خلقِك .. فتُنكرُ آدميَّتَك .. وتُدخِلُ الحشَرات، والدَّواب، والحيوانات، والقرُودَ في أصلِ نشأتِك ووجُودِك .. وتجعلُهم لكَ نَسَباً وصِهْراً .. وكان حريٌّ بك فِيما لم تكُنْ عليه شاهِداً ولا بِهِ عالماً، أن تعتَمِدَ وتؤمنَ وتُصَدِّقَ بالإخْبَارِ الوارِد في النَّقلِ المنَزَّلِ؛ القُرآنِ الكريم .. فتستريحُ، وتُرِيحُ .. وتقِفُ على حقيقَةِ نشأتِكَ، وحقيقَة خَلْقِ السماواتِ والأرْضِ، ووجودِ الأشياءِ مِن حولِك، بأيْسَرِ الطرقِ وأقْصَرِها، [وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ]؛ شياطِين الأنْسِ، والجنِّ، [عَضُداً]الكهف:51. أعواناً يُعينُوني على خَلْقِ الأشياءِ وإيجادِها .. فالله تعالى غنيٌّ عن الخلْقِ أجمعين.

* * * * *

وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً

915- [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً]الكهف:54. رغمَ قِيَام الحجَجِ البالِغَةِ، والبراهِينِ الساطِعَةِ .. وأنَّ القرآنَ

الكريم قدْ أبَانَ وفصَّل كلَّ شَيءٍ .. فلمْ يدَعْ شُبهةً حولَ الحقَائِقِ الكُليَّةِ إلَّا وقَد أجابَ عنها بتفصِيلٍ كافٍ ووَافٍ .. فإنَّ الإنسانَ الكافر مستمرٌّ في الجِدالِ، والمعارَضَةِ، والاعتراَضِ بزعْمِ البحثِ عنِ الحقيقَةِ .. وأنه يبحثُ عن الحقيقَةِ .. فيهرمُ ويموتُ وهو لا يزالُ يبحثُ عن الحقيقَةِ .. وهو لا يزالُ في شكٍّ مِن قضيَّةِ الإيمانِ .. وشَكٍّ مِن أن اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّه تعالى هو المعبودُ بحقٍّ!

* * * * *

وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ

916- [وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ]؛ كلُّ الذين كفَرُوا، وفي كلِّ زمَانٍ ومكَانٍ، يجادِلُون أهلَ الحقِّ بالباطِلِ، وإثارَةِ الشُّبُهاتِ؛ لأنَّهم في مواجَهَةِ الحقِّ الأَبْلَج لا يملكُون إلَّا الباطلَ اللَّجلَج .. ما هو غرَضُهم، ومَاذَا يُريدُون مِن هذا الجِدَالِ بالباطِل .. هل يُريدُون معرفةَ الحقِّ، وإنصافَ الحقِّ .. لَا؛ ليسَ شيئاً مِن ذلك، إنما غرَضُهم فقَط [لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ]؛ ليردُّوا بجدالِهم الحقَّ، ويُبطِلُوه، [وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً]الكهف:56. وهذا من جملةِ وسائلِهم في الجدَالِ، وردِّ الحقِّ؛ أنهم يُقابلُون الحقَّ بالاستهزاءِ، والسُّخريةِ، والتهكُّمِ؛ وهم لا يَفعلُون ذلك إلا لضَعفِهم وعجزِهم عن مواجهَةِ الحقِّ .. ولأنهم يَفتقدُون البرهانَ والحجةَ في مواجهَةِ الحقِّ، فيَستَعيضُون عن ضَعفِهم وعجزِهم، بالاستِهزاءِ، والتهكُّمِ .. بضَاعَةُ المفْلِسين!!

* * * * *

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ

917- [وَرَبُّكَ الْغَفُورُ]؛ لمَن استغفَرَه، وتابَ إليه، مهمَا بلَغَت ذنُوبه، [ذُو الرَّحْمَةِ]؛ الواسِعَةِ التي وسِعَت رحمَتُه جميعَ الخلْقِ؛ فلا يعجلُ عليهم بالعذَابِ والعِقَابِ، والكلُّ يَعيشُ، ويقتَاتُ، ويتراحَمُ مع بني جنْسِه، وغيرِهم، بما أودَع اللهُ فِيهم مِن رحمَةٍ، [لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا]؛ مِن الخَطايَا، [لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ]؛ في الحياةِ الدُّنيَا، وجعلَ الدُّنيا لهم دارَ حِسابٍ وعِقَابٍ .. لا .. لم يشَأ اللهُ ذلك؛ فالدُّنيا دارُ عمَلٍ، وابتلاءٍ، وتمحيصٍ، واختِبَارٍ، سرعانَ ما نرحلُ عنها .. والآخِرَةُ هي دارُ القَرارِ والحِسابِ .. لا عَمَلَ فيها .. فقد قضَت حِكمَةُ اللهِ تعالى ورحمتُه أن لا يحاسِبَ عبادَه على ذنُوبِهم في دُنياهُم، ولحظة وقوعِهم فيها .. وإنما يُمهِلهم، ويَصبرُ عليهم، ويحلمُ بِهم، إمْهَالاً واستدراجاً .. وزيادَةً في قِيامِ الحجَّةِ عليهم .. لعلَّهم يَستغفرُون، ويَتوبُون، ويؤوبُون إليه .. وهذا لا يتنَافى، ولا يمنَعُ مِن أن يُنزِلَ اللهُ ـ إذا شاءَ ـ بعضَ القوارِعِ والعذَاباتِ ببعضِ خلْقِه، ابتلاءً لهم، وتأدِيباً، وزَجْراً عمَّا اقترفتْهُ أيديهم، ولعلَّهم يَرجعُون، [بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ]؛ للحسابِ يوم الآخِرِ، لن يُخلَفُوه، [لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً]الكهف:58. ملجأً يلتجئون ويَهربُون إليه، ويختبئون فيه .. ينجيهم مِن الحسابِ، والعذابِ الأليمِ، على ما كان مِنهم من صغَائِرِ وكبَائِرِ الذُّنُوبِ والأعمَالِ.

* * * * *

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا

918- [وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا]؛ أي عندما ظَلَمُوا، ووقَعُوا في الظُّلمِ .. مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه، وفي القُرَى الظَّالِمِ أهلُها، أن لا يَتنَزَّل الهلَاكُ والدمارُ إلا بعدَ فشُو الظُّلمِ، واستعلائِه، واستِحْكَامِه، وبخاصَّة عندما يجتمعُ الظُّلمُ بشُعَبِه الثَّلاث: ظلمُ العَبدِ

لحقِّ اللهِ عليه، وظُلمُ النَّفْسِ للنفْسِ، وظلمُ النفسِ للآخَرين، [وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً]الكهف:59. موعداً في الدُّنيا ـ غير العذَاب المُعَد لهم في الآخِرَة ـ يحدّده الخالقُ سبحانه وتعالى لهلاكِهم، لا يتَقَدَّمُ، ولا يتأَخَّر.

* * * * *

هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً

919- [قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً]الكهف:66. فيه أن الكبيرَ أحياناً يَتعَلَّمُ ممَّن يَصْغُرُه .. والعالِمُ يتعلمُ ممَّن هو أقَل منه عِلماً .. ممَّا ينفردُ بعلمِه الصغيرُ دونَ الكَبيرِ .. وهذا من التَّواضُع في الطَّلَبِ .. وهو لا يُنقصُ مِن قَدرِ الكَبيرِ، والأعْلَمِ، بل يَرفَعُه ويَزيدُه فَضْلاً .. كما أنَّه لا يَعني أنَّ الصغيرَ أعلمُ من الكبيرِ في مجموعِ شُؤونِ العِلمِ ومسائلِه، أو أنَّه أفضَلُ منه!

920- [قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً]الكهف:66. تُعَلِّمَنِي؛ قِمَّةُ التَّلطُّفِ، والأدَب، والتَّواضُع مِن نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام في طلَبِ العِلم .. وهو؛ هو في العِلْمِ .. وفي ذلك عِظَةٌ وعِبرةٌ لطالِبِ العِلمِ ـ مَهمَا أُوتِي مِن العِلمِ إذا وجَدَ مَن هو أعلمُ مِنه ـ بأن يتَواضَعَ في طلَبِ العِلمِ، وأن يتحلَّى ويتزيَّن بالتواضُع .. وأن يكون التواضُعُ سِمَةً دائمةً له .. فالكِبْرُ والتَّعالي وطَلَبُ العِلمِ لا يجتمِعَان أبَدَاً .. والطَّالِبُ المتكَبِّرُ المحرومُ مِن أدَبِ التَّواضُع، لا يَتعلَّمُ، ولا يَستفيدُ ممَّا يتَعلم أبَداً!

921- [قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً]الكهف:66. كما لا يُوجدُ عالِمٌ يستطيعُ أن يقولَ قد استوفيتُ العِلمَ من جميع أبوابِه .. كذلك لا يوجدُ شَعبٌ في الأرضِ يستطيعُ أن يقولَ قد استوفينا جميعَ العلُومِ والمعَارفِ من جميع أبوابِها

بما يُغنينا عن الاستعَانةِ بالشعُوبِ الأخرَى .. كثيرٌ من الدول المعاصرةِ المتقدّمةِ علمياً نصفُ خُبرائها وعلمائها ينتمونَ إلى أصولِ وشعُوب أخرَى .. وها هو موسَى عليه السلام؛ وهو من أُولِي العزمِ من الرسُلِ .. وأعلمُ أهلِ زمانِه .. قد التمسَ علماً ليسَ موجُوداً عندَه .. التمسَهُ من رجلٍ ليسَ من قومِه وشَعبِه .. وهو الخضرُ عليه السلام .. وفي ذلك ردٌّ على أولئك الذين يحاولُون ـ تحتَ ضغط العصَبيّةِ الوطنيَّةِ ـ أن يخصخِصُوا العلمَ، والتَّعليمَ، ويجعلُوه حِكراً ووقفاً على مواطني بلدِهم دون غيرهم .. فيحرمُوا أنفسَهم وبلدانَهم، والأجيالَ التَّاليةِ مِن خبراتِ غيرِهم، ومِن علُوم ومعارفِ كثيرةٍ لا تُوجد إلا عندَ غيرِهم!

* * * * *

قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً

922- [قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً]الكهف:67. مَن يُرِد مُصَاحَبَةَ العُلَمَاءِ، والاستِفَادَةَ مِن عِلمِهم .. عليه أن يُروِّضَ نَفْسَهُ على الأدَبِ، والصَّبرِ على مَا قَد يَسْمَعَهُ أو يَرَاهُ مِنهم ممَّا لَا يَفْهَمُهُ .. فَلَا يَسْتَعْجِل عليهم المسْأَلَةَ والاستِفْهَامَ .. بَل يَلتَمِسُ الوقتَ المنَاسبَ ـ والأسلُوبَ الأَدَبي الأَحْسَن ـ للاسْتِفْسَار والاسْتِفْهامِ مِنهم مِمَّا قد أَشْكَلَ عليه .. وقَد يَرَى مِن بَعْضِهم هَفْوةً أو كَبْوةً أو زَلَّةً ـ فهم غيرُ مَعْصُومِين عن الخَطَأ ـ فَلا يَسْتَعْدِيهِم، ويَسْعَى في تَشْهِيرِهِم، وإعلانِ الحَربِ عليهم لأدْنَى وأوَّل خَطَأ يَراهُ مِنْهم .. بَل يَصْبرُ .. ويحمِلُ نَفْسَهُ على الأَدَبِ، والتَّأَدُّبِ .. ويُقِيلُ عثَرَاتهم .. ويَتَأَوَّلُ لهم مَا أَمْكَن لذلِك سَبِيلاً .. وإلَّا ـ يَا طَالِبَ العِلْمِ ـ لا، ولن تَجِدَ عالماً تَتعلَّمُ، وتَسْتَفِيدُ مِنْه!

* * * * *

قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً

923- [قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً]؛ على طلَبِ العِلمِ، [وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً]الكهف:69. تأمرُني به .. مهمَا أمرتَني ستَجدُني مُطيعاً لك في جميع ما تأمرُني به، وصَابراً على جميع مَا تأمرُني به .. مُقابل أن تعلّمَنِي ما علَّمَكَ اللهُ إيَّاه، ولا أعْلَمُه .. قِمَّةُ الأدَبِ والتواضع .. والاستعْطَافِ لقلبِ المعلِّم .. مَن يقُول ذلك؟! إنَّه نبيُّ الله موسى عليه السلام، وهو واحِدٌ من أُولِي العَزْمِ من الرُّسُلِ .. أعلَمُ مَن في الأرضِ ـ في زمَانِه ـ بالحقِّ، والحلالِ والحرَامِ .. يقولُ لِمَن؟ للخضر عليه السلام، وهو قِياسَاً لنبيِّ الله موسَى عليه السلام مفضولٌ وليسَ فاضِلاً .. إلا أنَّه عنده نوعُ علم ـ علَّمه اللهُ إيَّاه ـ ليسَ موجُوداً عِند موسى عليه السلام، استدْعَى مِن موسى أن يشدَّ إليه الرِّحالَ .. يُستفادُ مِنه أن الصغيرَ قَد يَعلَمُ علماً لم يعلمْهُ الكَبير .. ولَا ينقصُ مِن قَدرِ الكبيرِ شَيئاً لو تواضَعَ وطلبَ هذا العِلم من الصَّغيرِ .. ما أَحوج طُلابُ العِلمِ في زمانِنا ـ وفي كل زمَانٍ ـ لأَن يتخلَّقُوا بأخلاقِ موسى عليه السلام في طلبِ العِلمِ، وأن يتأَدَّبُوا بأدَبِه، ويتواضَعُوا تواضُعِه معَ أهلِ العِلمِ .. ومَا أحوج كُبراءَنا وعلماءنا لو وَجَدُوا علماً عِند مَن هو أصغَر مِنهم في الطَّلَبِ والعِلمِ، أن يتواضَعُوا في طلَبِ، وتحصيلِ مَا قَد فاتَهم مِن العِلمِ، عند مَن هو أصغَر مِنهم في الطَّلَبِ والعِلمِ .. كما تواضَعَ موسى عليه السلام، وحرصَ على طلَبِ العِلم عندَ مَن هو أصغَر مِنه علماً وقَدْراً.

* * * * *

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا

924- [فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا]الكهف:77. قد تَنزلَ دَارَ قومٍ .. فلَا يُكرِمُوك .. ولا يُضِيفُوك .. ولا يَعتبرُوك .. ويُغلقُوا أبوابَ الضيافةِ في وجهِك .. فلا تحزَن .. ولا تَقولنَّ أنا فُلانٌ الكَبِير .. أنا الشيخُ والعَالِم .. أنَا، أنا .. ثم أُسْتَقبَل هذا الاستقبالُ غير اللَّائِق .. وأُعامَل هذه المعامَلَة ..؟! لَا تَقُلْ ذلك .. ولا تَفعلْ شيئاً مِن ذلك .. فهو مِن البلاءِ، واختبارٌ لك .. فأنتَ ـ مهما علا قَدْرُك ـ فإنَّك لن تَعْلُو، ولَن تُسَاوِي نبيَّ اللهِ موسى، والعَبْدَ الصالح الخَضِر عليهما السلام .. قد نزَلا قريةَ يَسْتَطعِمان، ويَسْتَسْقِيان أهلها .. فلمْ يُطعموهما، ولم يَسقُوهما .. وأغْلَقوا أبوابَ الضيافَةِ في وجْهَيهمَا .. وفاتهم أنهم كانوا يُغلِقُون أبوابَهم دونَ عَبدَين صَالحَين، هما أعلمُ، وأعزُّ، وأكرَمُ، وأتْقَى مَن مَشى على الأرضِ في زمانِهما .. وموسَى عليه السلام لم يُخْبرْ أهلَ القريةِ عن حقيقَةِ نفْسِه، أنَّه نبيُّ اللهِ، يَقتَاتُ، ويُستضَاف بالنبوَّةِ .. حاشَاه أن يفعلَ شيئاً مِن ذلك .. كذلك الخَضِر عليه السلام لم يُعَرِّفْ عن نَفْسِه، ولم يَفْعَل شَيئاً من ذلك .. ولنا فِيهما وفي سلُوكِهما الرَّاقي العَظِيم قدْوَةً ومَثلاً أعْلَى .. وفي الحديثِ، فقَد صحَّ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ "مسلم. الخفيُّ؛ الذي لا يَطلُبُ الذِّكْرَ، ولا الشهرَة.

* * * * *

نَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً

925- [وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً] الكهف:80. فيه أنَّ العُقُوقَ يُعَجِّلُ الآجَالَ .. فهذا مِنَ الخَاصِّ الذي يَعُمُّ .. والسُّنَّةُ قد دَلَّت على ذلك.

926- [وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً . فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً]الكهف:80-81. فيه أنَّ العُقُوقَ يُعَجِّلُ الآجَالَ، وسَبَبٌ من أسْبَابِ الموْتِ المُبَكِّر.

* * * * *

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً

927- [الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ]؛ أعينُ الكُفَّار، [فِي غِطَاءٍ]؛ سَاترٍ مِن الحِقْدِ، والكراهيَّةِ، والجَّهلِ، يُغطِّي أعيُنَهم، ويحجبُها، [عَن ذِكْرِي]؛ عنِ القُرآنِ الكَرِيمِ المُعْجِز والمبهِر للعُقُولِ .. وعن الآياتِ البَاهِراتِ المنشورَةِ في السَّماءِ، والأرضِ، وفي أنْفُسِهم .. الدَّالَّةِ على وحْدانيَّةِ اللهِ تعالى .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. ولا يَقولُ إلا حقَّاً .. فهم يُبْصِرونَها، ولَا يُبصِرونَها؛ يُبْصِرونَها بأعيُنِهم، ولا يُبصرونَها بقلوبِهم، وبَصيرَتِهم، فلا يَهتدُون إلى الإيمانِ باللهِ العَظِيم، فكانَ مثَلُهم في ذلك مَثَلُ من لا يُبصِرُها، [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً]الكهف:101. لا يُطيقون أن يَسمَعُوا للقرآنِ الكريم؛ لقوَّةِ وصِدقِ كلماتِه، وبراهينه .. وهو مَالَا تَتَحَمَّلُه أنفُسُهم المشحونَةِ بالحِقدِ والكرَاهِيَّةِ .. ولخوفِهم الشَّديد منه، فهم ـ كانوا ولا يَزالون ـ يَتَواصَون فِيمَا بينَهم؛ الكبيرُ يُوصِي الصَّغيرَ، والسَّابِقُ يُوصي اللاحِقَ، أن لا يَقْرَأَ أحَدُهم القُرآنَ .. ولا يَقترَب مِنه .. ولا يَسْمَح لبصَرِه أن يقعَ عليه .. ولو سَمعُوا؛ سَمعُوا سمَاعاً آليَّاً، وصُورياً؛ مِن غيرِ فهم لِدَلَالاتِ ومُقتَضياتِ ومَقَاصِدِ مَا يَسْمَعُون؛ فلا يُؤمنون .. ولا يَهتَدُون .. فكانَ مَثَلُهم في ذلك مَثَل مَن لا يَسمَعُ ابتِدَاءً!

928- [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً]الكهف:101. لِشدَّةِ ما رَانَ على قُلوبِهم مِنَ الشِّركِ، والحِقْدِ، والذُّنُوبِ، ولشدَّةِ مَكْرِ الليلِ والنَّهارِ المحيطِ بِهم .. لا يَستطِيعُون أن

يَسْتَمِعُوا للقُرآنِ مجرَّدَ استماعٍ .. ولو اسْتَمَعُوا، لما اسْتَطَاعُوا أن يَسْتَمِعُوا إليه سَماعاً يَنفَعُهم؛ يُؤدِّي بِهم إلى الفِقْهِ والإيمانِ!

929- [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا]الكهف:101. للقُرآنِ، ولَا لِمَن يُذَكِّرُهُم بالقُرآنِ والسُّنَّةِ .. فيَسْتَبْدِلُونَ العُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّين، بدُعَاةِ الأهْواءِ، والجهْلِ، والفُسُوقِ؛ الذين يُسمِعونَهم ما يُوافِقُ أهواءَهُم ورَغَبَاتِهم؟!

* * * * *

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء

930- [أَفَحَسِبَ]؛ استفهامٌ يُفيدُ الإنْكارَ، والبُطْلانَ، والتَّعجُّبَ، والاسْتِحَالَةَ، [الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ باللهِ العَظِيم، [أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي]؛ المؤمنين، [مِن دُونِي أَوْلِيَاء]الكهف:102. يَنتصِرُونَ بهم، ويَستجلبونَ بهم النَّفعَ، ويَدفعون بِهم الضُّرَ .. من دونِ اللهِ الذي بيدِهِ الأمرُ كُلُّه .. هذا مُستَحِيلٌ وغيرُ ممكِنِ التَّحقيقِ؛ لأنَّ النَّفعَ والضُّرَّ، والخيرَ والشَّرَّ كُلُّه بيدِ اللهِ، وهو وحده القَادِرُ على النَّفعِ والضُّرِّ، وعلى أن يكشفَ الضُّرَّ .. وهو مُستحِيلٌ أيضاً؛ لأنَّ عِبادَ اللهِ المؤمنين هم أولِيَاءُ للهِ تعالى؛ يُوالُون فِيه، ويُعَادُون فِيه .. يُحِبُّونَ فِيه ويَبغضُون فِيه .. يُوالون مَن يُوالي، ويُعادُونَ مَن يُعادِي .. لا يَتخِذُون الكافِرِينَ أولِيَاءَ .. ولو فَعَلَ بَعضُهم؛ فاتَّخَذُوا الكَافِرِينَ أولِيَاءَ .. ونجَحَ الكُفَّارُ في أن يَتَّخِذُوا مِن عِبادِ اللهِ المؤمنين أولِيَاءَ، حِينئذٍ يَخرجُ هؤلاء المؤمنين مباشَرةً مِن صِفَةِ ومُسَمَّى " المؤمنين "، ومِن صِفَةِ ومُسَمَّى " عِبَادِي "!

* * * * *

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً

931- [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]الكهف:104. هم الأخسَرُون أعمالاً وتوجُّهاً، وفِكراً، وسلُوكاً؛ لأنَّهم يظنُّون أن ما هم فيه مِن الكُفرِ والباطِلِ، والضَّلالِ .. أنَّهم على حقٍّ، وعلى خَير .. وأنَّهم الأفضَلُ من بين النَّاسِ .. وبالتالي فهم ماضُون في ضلالِهم إلى غايَتِه، ونهايتِه .. لا يَقبلُون التَّوقُّفَ، ولا المراجعَةَ، ولا النَّظرَ في حقيقَةِ ماهم فِيه .. ولا يَقبلُون مِن أحَدٍ أن يوقِفَ مسْعَاهُم الباطِل الذي يحسَبونَه حقّاً وخَيراً .. مهمَا أتاهُم من الأدلَّةِ والبراهين الدَّالَّةِ على فسَادِ وضَلالِ ما هم فِيه .. وقومٌ هذا وصْفُهم لا أحَدَ أخْسَر ولا أضَلَّ مِنهم سَعياً ولا عمَلاً!

* * * * *

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً

932- [الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]الكهف:104. يَشْملُ فَريقَين مِن النَّاسِ: الكُفَّارُ؛ الذين آثَرُوا الكُفْرَ على الإيمانِ .. وأَهْلُ البِدَعِ مِن أَهْلِ القِبْلَةِ؛ الذين لا يَتَحرَّونَ السُّنَّةَ، ويَتَعَبَّدُونَ بالبِدَعِ المُحْدَثَةِ والأَهْوَاءِ .. ثم [يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]!

933- [الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً]الكهف:104. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ مِن جهةِ الشُّبهاتِ؛ فهؤلاء هم الأكثَرُ عناداً وتَباهِياً وتمسُّكاً بشبهاتِهم، وانحرافاتِهم الفِكريَّةِ .. إذ نادِرٌ مَن يكونُ ضَلالُه مِن جِهَةِ الشَّهواتِ؛ ثم يَحسَبُ أنه يُحسِنُ صُنْعاً!

* * * * *

قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

934- [قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً]الكهف:109. وقال تعالى:[وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]لقمان:27. جرَت العادَةُ عندَ الناسِ أن يُعظِّمُوا، ويَنظرُوا بعينِ الإكبارِ والإعجابِ لمن عُرِفَ بالتَّأليفِ، وكَثُرَت مؤلَّفاته .. ولو نَظرْنَا لأكثرِ عُلماءِ الأرضِ عَطاءً وتَأليفاً لما تجاوَزَت مؤلفَاتُه المائتي كتَابٍ .. ولو نَظَرْنَا إلى أكبرِ وأضخمِ مكتبَةٍ في العالَمِ لَمَا تجاوزَ مجموعُ ما فِيها من كُتبٍ ومؤلفاتٍ " 170 " مليون كتاب .. ولو قِيلَ ـ على سبيلِ المثَال ـ أن مؤلِّفَ مجموعِ هذه الكُتب " 170 " مليون هو شخصٌ واحِدٌ .. كم سيكُون الانبهارُ بِه .. وكم سيُصْرَف له من التَّعظيمِ والتَّوقِيرِ والإجْلالِ .. ولله المثَلُ الأعْلَى .. لو أرَدْنا أن نُفْرِغَ البحرَ بكامِلِه .. يمدُّه سَبعةُ أبحرٍ أخْرَى .. ويتحولُ ماؤُه إلى مِدَادٍ " حِبر " يُكتَبُ به .. كم مِليارِ من الكُتُب والمجلدات تُكتَب بهذا المِدَاد .. لا يمكن أن نضعَ رقماً مَهمَا كَبُرَ تَنتهي عنده الكتَابَةُ .. ثم لو نفَدَت هذه الأبحُر التي تحوَّلَت إلى حبرٍ ومِدَادٍ .. لما نفَدَت كلماتُ اللهِ لسعَةِ علمِهِ سُبحانه .. والتي كلها مِن حيثُ الإعجازِ والعظمَةِ، والفَائدَةِ ككَلامِ القُرآنِ ... فيا أيُّها النَّاسُ الذين جرَت العَادَةُ فِيهم أن يُعظِّمُوا كُتَّابَهم ومؤلِّفِيهم، ومُؤلَّفَاتِهم .. أليسَ حَرِيٌّ بكم أن تَصرِفُوا التَّعظيمَ والإجلالَ للهِ الواحِدِ القهَّارِ الذي لو تحوَّلَ البحرُ ـ يمدُّه سبعةُ أبحرٍ وأكثر ـ إلى مِدَادٍ يُكتَب به لما نفَدَت كلماتُه .. ولَمَا انتَهت الكتُب والمجلَّدَات التي تُكتَب فيها تلكَ الكلمات .. أليسَ حريٌّ بكم أن تَعبدُوه ولا تُشْركُوا بِهِ شَيئاً؟!

935- مَهْما قِيلَ في القُرآنِ الكريم عن بَلاغَتِه، وإعْجَازِه، وعَجَائبِه، وعَظَمَتِه فهو فَوقَ ذلك؛ لأنَّه كلامُ اللهِ .. واللهُ تعالى قادرٌ على أن يُنزِّل مِن مِثلِ هذا القُرآنِ البَاهِرِ للعقُولِ عَدداً غيرَ مُتنَاهٍ؛ لأنَّ كلماته غيرُ مُتناهِيةٍ، ولو تحوَّلَتْ البِحَارُ إلى مِدَادٍ يُكتَب به كَلامُ اللهِ، لنَفِدَت البِحَارُ، ومَا نَفِدَت كَلِماتُ اللهِ:[وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]لقمان:27. [قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً]الكهف:109. وفي هذا بلاغٌ للذين يُعَظِّمون العِلْمَ، والعُلماءَ، وكِتَاباتِهم، ومؤلَّفَاتِهم .. فاللهُ تعالى أعْلَى وأَجَلُّ، وأَوْلى بالتَّعظِيم، فلو جُمِعَت كلماتُ ومؤلَّفَاتُ عُلماءِ الأرضِ كُلِّهم مِن أوَّلِهم إلى آخِرِهم، فهي لا تُوازِي ذَرَّةً في عِلمِ وكلماتِ اللهِ تعالى التي لا حُدُودَ لِنِهَايَتِهَا .. هَذا مَعَ الفَارِقِ الضَّخْمِ ـ الذي لا وَجْه للشَّبَهِ والتَّمثِيلِ فِيه ـ بين كَلماتِ المخْلُوقِ، وكَلِماتِ الخالِقِ العَلِيم القَدِير.

* * * * *

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

936- [قُلْ إِنَّمَا أَنَا]؛ محمدٌ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، [بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ]؛ مِن ولَدِ آدم؛ يأكلُ الطَّعامَ، ويَمشي في الأسواقِ، ويَتزوجُ النِّساءَ .. يَمرضُ، ويألمُ، ويَحزنُ .. فيه ردٌّ على الغُلاةِ الذين غالُوا في النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وجَحَدُوا آدَميَّته، وأنَّه فوقَ البَشرِ، وأنَّه من نُورٍ، ومِن ثمَّ صَرفُوا له أنواعاً من العِباداتِ كالاستغَاثةِ، والتَّوجه إليه بعدَ موتِه بالطَّلبِ والدُّعاءِ، وهذا من الغُلُو والشِّرك الذي حذَّر منه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أشدَّ التَّحذيرِ، كما في الحديث:" لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ "البخاري. [يُوحَى إِلَيَّ]؛ هذا الذي يُميزُه عن سائرِ البَشرِ؛ أنَّه

رسولُ اللهِ، خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، لا يَنطقُ عن الهوى، تجبُ طاعتُه، ومُتابعتُه، في جميع ما يُوحَى به إليه من رَبِّه؛ وهو الكِتاب والسُّنَّة .. وهذا فيه ردٌّ على الجُفَاةِ؛ الذين جافوا سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاءَ به من عندِ رَبِّه .. واستخفُّوا بِسُنَّتِه، والعملِ بها، والاحتكامِ إليها .. وبعضُهم غالى في الجَّفاء؛ فقال بالتَّحاكُمِ إلى القُرآنِ دونَ السُّنَّةِ .. وهؤلاء لا يَقِلُّون خَطَراً عن الفَريقِ الأوَّلِ .. ومِن أعظمِ ما يُوحَى إليه، وإلى مَن قَبله من الأنبياءِ والرسل، [أَنَّمَا إِلَهُكُمْ]؛ المألُوه المعبُودُ، المطاعُ والمحبوبُ لذاته، الذي يجب أن تؤلّهوه وتَصرفُوا له العِبادةَ، وتخصُّوه وحدَه بالعبادَةِ، هو [إِلَهٌ وَاحِدٌ]؛ واحدٌ في ذاتِه، وواحدٌ في أسمائِه وصِفاتِه، لا شَريكَ له في الأُلوهيَّةِ ولا في الربوبيَّةِ، ولا في أسمائِه الحُسْنَى، وصِفاتِه العُليا؛ هو اللهُ تعالى، [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ]؛ يوم القيامةِ، لِقاءً حَسَناً، واللهُ تَعالى راضٍ عنه، [فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً]؛ تَتَحَقَّقُ فيه صفة المتابعَةِ للكِتابِ والسُّنَّة، وكُلُّ عَملٍ مخالف لما جاء في الكِتابِ والسُّنَّةِ، فهو عملٌ باطلٌ ومَردُود، غير صَالح، لا يجوزُ أن يُدخَل في خانةِ ومَعنى العمَلِ الصَّالح، حتّى لو سُجِّي بعباءَةِ الدِّين، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. وهو شرطُ الإخْلاصِ المُنافِي لأدنى دَرجاتِ ومعاني الشِّركِ، الظاهر منه والخَفِي؛ كالرِّياءِ .. وأيُّما عِبادةٍ لا يَتحقَّقُ فيها شَرطُ الإخْلاصِ ـ حتى لو كانت عَمَلاً صَالحاً ـ فهي مردودة على صاحِبها، والله تعالى بريءٌ منها، كما في الحديث القدسي الصحيح:" قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم. وفي رواية عند الترمذي وغيره:" إذا جمعَ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ ليَومٍ لا رَيبَ فيهِ، نادَى مُنَادٍ: مَن كانَ أشرَكَ في عَملٍ عملَهُ للهِ أحدًا فليطلب ثوابَهُ من عندِ غيرِ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ أَغنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّركِ ".

* * * * *

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

937- [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ]؛ يومَ القِيامَةِ، واللهُ تعالى رَاضٍ عَنْهُ [فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً]؛ موافقاً للسُّنَّةِ، تَتَحَقَّقُ فيهِ صِفَةُ المُتَابَعَةِ للسُّنَّةِ، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. الإخْلَاصُ المنَافِي للشِّرْكِ بِنَوعَيْه: الأكْبَرُ، والأصْغَرُ؛ شِرْكُ الرِّيَاء.

938- لأي عمل تعبُّدي شَرطان، لا يُقبَل إلا بهما معاً: أن يكونَ موافقاً للسنَّة، وأن يكون خالصاً لله تعالى، لا يشوبُه شركٌ أو رياء، وهو المراد من قوله تعالى: [لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]؛ أي أصوبُه، وأخلَصُه. وقوله تعالى:[فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً] ؛ وهو الموافق للسُّنَّةِ، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]؛ تحقيقُ الإخلاص.

* * * * *

إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً

939- [إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً]مريم:3. سِرّاً في ظُلمَةِ الليلِ .. خَفِيّاً عنِ المسامعِ والأبصارِ .. لاعتقادِه وعلمِه أنه قريبٌ من المنَادَى سُبحَانه .. وأن المنَادَى يَسمعُ همسَ الصُّدُورِ .. وهو أقربُ إليه مِن حبلِ الوَرِيد .. فلَا يحتاجُ أن يَسألَ مسألَةَ البعيدِ للبعيد .. وفي الحديث عن أبي موسى الأشعرب، قال: كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَكُنَّا إذَا أشْرَفْنَا علَى وادٍ، هَلَّلْنَا وكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أصْوَاتُنَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:" يا أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، إنَّه معكُمْ، إنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وتَعَالَى جَدُّهُ "البخاري.

* * * * *

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ

940- مهما كانت حاجتُك كبيرة، وسؤالُك صَعباً، فجوابُه مِن ربّك:[هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ] مريم:9. [إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة: 20. [إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ]آل عمران : 47. [فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]البقرة: 186. فلا تتردّد من عرضِ حاجتك عليه؛ فأنت تعرض على قويٍّ، قديرٍ، عليمٍ، غنيٍّ، مَتين.

* * * * *

خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ

941- [خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ]مريم:12. خُذْ تَعَالِيمَ الكِتَابِ بِقُوَّةٍ وجِدٍّ، لا تَتَهاوَن بِقَلِيلِها ولا بكَثِيرِها، ولا بِفرُوعِهَا ولا أُصُولِها.

* * * * *

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

942- [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ]مريم:30. أولُ كلمةٍ نطقَ بها المسيحُ عليه السلام، وهو في المهد:[إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ]؛ الإقرارُ بالعبوديةِ للهِ عزَّ وجل؛ وأنه نبيٌّ مُرسَل، لا يتجاوزُ مقامَ العبوديَّةِ للهِ، ولَا يَستَنكفُ أن يكونَ عبداً للهِ .. مُعلِّماً وموجِّهاً لمن سيؤمن به في زمانِه، ومَن يأتي بعدَه، بأن لا يَطرُوه؛ إلى دَرجةِ أن يرفعُوه إلى مقامِ الألوهيَّةِ، وينفُوا عنه صِفةَ العبُوديَّة للهِ عزَّ وجَل .. وهو ممَّا يُخفيه النَّصَارَى، ويُنكِرونَه؛ حتَّى لَا يُلزمُوا أنفسَهم بالتَّوحِيدِ، وبالقَولِ أن عيسىَ عليه السَّلامِ عَبدُ اللهِ ورسُوله!

* * * * *

وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ

943- [وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ]مريم:31. نَافِعاً للنّاسِ، آمِرَاً بالمعرُوفِ، ناهِياً عن المنكَرِ .. [أَيْنَ مَا كُنتُ]؛ فخَيرِي ليسَ مَقْصُوراً على بقعَةٍ دونَ بقْعَةٍ .. ولا على نَاسٍ دونَ ناسٍ .. فالأرضُ كُلها للهِ .. والعِبادُ كُلُّهم مِن خَلقِ اللهِ .. وحَيْثُما كُنْتُ وحَلَلْتُ، أَمَرْتُ بالمعرُوفِ، ونَهيْتُ عنِ المنْكَرِ، وعلَّمْتُ النَّاسَ الخيرَ .. وهكَذا ينبَغي أن يكونَ شَأن المسْلِمِ؛ لَا يكونُ قَبليَّاً، ولَا قطْرِيَّاً، ولَا إقليميَّاً، ولَا قَومِيَّاً .. بلْ يكونُ خَيرُه عالميَّاً لجميعِ النَّاسِ!

* * * * *

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

944- [وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ]؛ خَلَقَنِي، وخَلَقَكم، ورَزَقَني، ورزَقَكم، [فَاعْبُدُوهُ]؛ فوحِّدُوه في العِبادَةِ .. فالخالِقُ المتفرِّدُ بالخَلْقِ والربُوبيَّةِ حَقُّه أن يُعبَد، وأنْ يُخَص وحده بالعِبَادَةِ، [هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ]مريم:36. إفرادُ اللهِ تعالى وحدَه بالعبادَةِ هو الصراطُ المستقيم الذي يُوصلُكم إلى النَّجَاةِ، وسعَادَةِ الدَّارَين .. أجرَى اللهُ هذه الكلماتِ على لِسانِ عَبدِه ونبيِّه عيسَى عليه السلام.

* * * * *

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

945- [وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]مريم:48. اعتِزَالُ ومُباينَةُ ومفاصَلَةُ دَعْوةِ البَاطلِ لا يَلزَمُ منه اعتزالَ الدُّعاةِ إلى البَاطلِ؛ لِذا قُدِّمَ أولاً اعتزالُ دُعاةِ الباطِلِ على اعتزالِ ما يَدعُون إليه من البَاطِلِ .. والموقفُ لا يَستقِيمُ ولا يَصحُّ ولا يَكتَمِلُ إلا باعتزالِهمَا ومُباينَتِهما ومُفَاصَلَتِهما مَعَاً .. وهو الخيارُ الأخيرُ الذي لا بُدَّ منه إن لم يَستجِيبُوا لِنداءِ ودَعوةِ الحَقِّ .. لأن مخالَطةَ البَاطِلِ وإدْمانَ النَّظَرِ إليه، والسَّماعَ منه، مِن غَيرِ إكراهٍ، ولا إنْكارٍ، ولا قِيامٍ .. تُضعِفُ مَعَاني الحقِّ في النَّفسِ .. وتَمدُّ الباطِلَ بالقوَّةِ، والحياةِ، وتُضْفِي عليه الشَّرْعيَّةَ .. وربَّما مع الزَّمَنِ واستمرارِ المخَالطَةِ يُصبحُ البَاطِلُ حَقَّاً، وخِلافُهُ هو البَاطِل!

946- [وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]مريم:48. اعتزالُ البَاطِلِ وتجمعاته موقفٌ عَقَدِيٌّ، سياسِيٌّ، وإيجَابِي .. له بَالِغُ الأثَرِ على الظَّالمين، وأنظمَتِهم .. وبخاصَّة لو اجتمَعَت كلمةُ المؤمنين على الاعتزَالِ .. والذي يَمدُّ الظالمين وأنظمتَهم بالحيَاةِ، هم الأغبيَاءُ من ضِعَافِ الإيمانِ الذين يتطلَّعُون للفُتَاتِ الذي يُرمَى لهم على حِسَابِ الكُليَّاتِ، والمصالحِ العَامَّةِ والكَبيرَةِ!

947- [وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]مريم:48. مِن المواقِف التي تَستَدعِي الاعتزَالَ، عندما يُخيرُ المسلمُ بين خيارَين مُتماثلَين أو مُتَقاربَين في الشَّرِّ .. كلاهما وجهَان لعملةٍ واحِدَةٍ .. وهو لو اختَارَ أحدَهما على الآخَر لَا يكونُ قَد قلَّل من نسبةِ الشَّرِّ، ولَا زَادَ مِن نسبةِ الخيرِ .. بَل يكونُ قد نصَرَ شرّاً على شَرٍّ، وباطلاً على باطِلٍ .. وهذه ليسَت هي معركَةُ المسلم، وليسَ هذا عملُه، ولا مِيدانُه .. ففي هذه الحالَةِ السياسَةُ الشرعيَّةُ، والعمَلُ بمنطوقِ الأدلَّةِ يُوجِبَان على المسلمِ الاعتزالَ، والمفاصَلَة .. وهو خِيارٌ عَقَدِيٌّ، سياسِيٌّ، مؤثرٌ وإيجابي .. لنا في أَبي الأنبياءِ إبراهيم عليه السلام، أُسْوَةٌ، وقُدوةٌ حسَنَةٌ .. وليسَ كما يخيَّلُ للبعضِ؛ فتراهم يُشاركُون لمجرَّدِ المشَاركَةِ بغضِّ النظَرِ عن النتائِج والآثارِ، وليُقالُ عنهم إيجابيُّون ومشارِكُون في الأنشطَةِ الاجتماعيَّةِ والسياسِيَّة!!

948- [فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]؛ واشتدَّت عليه الغُربَةُ بسبَبِ اعتزالِه ومباينَتِه للمشركين، ولشِركِهم .. أكرمَهُ اللهُ، وآنَسَه، [وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً]مريم:49. لا أرَى للعَقِيمِ عِلاجاً لِعِلَّتِه ـ بإذنِ الله تعالى ومَشيئتِه ـ كاعتزالِ الشِّرْكِ والمشْرِكين، والبرَاءِ مِنهم ...!

* * * * *

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً

949- [وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً]مريم:64. لشيءٍ؛ مَهمَا دَقَّ .. وأيّاً كان نَوعُه .. ومهمَا تَقادَم عليه الزَّمَنُ .. فاللهُ تعالى يَعْلَمُه .. لا يَخْفَى عليه، ولا يَنْسَاه .. وهو عِندَه في كتابٍ .. لِكَمالِ ربُوبيته، وأسمائِه، وصِفَاتِه، التي تَأبَى صِفَةَ النسيانِ، وكلَّ صِفَةٍ سَلبيَّةٍ تُفيدُ النَّقْصَ، وتتعارَضُ معَ الكَمالِ .. فأنتَ يا عبدَ الله تَنْسَى مَا كان مِنْك .. حتَّى تظنَّ أنَّكَ في مَأمَنٍ مِن سيئاتِك .. لكنَّ اللهَ تَعالى لا يَنْسَى .. وإذَا ما نَزَلت فِيكَ نَازِلةُ بَلاءٍ لا

تَتَسَرَّعُ في الاعتراضِ، والسُّؤال: لماذا .. وكيف .. وإنما ابحث عن سَبَبِ ذلك في سِجلِّ سيئاتِك؛ فإن وجدتَ نَفْسَك في يومِك أو أسبُوعِك الماضِي نَظيفاً مِن السَّيئاتِ .. فابحَثْ في الأشْهرِ .. والسَّنَواتِ الماضِيةِ .. فستَجدُ الكثيرَ مِمَّا يُؤخَذُ عليك، وتُعاقَب عليه، واللهُ تعالى يَعْفُو عن كَثِير!

* * * * *

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى

950- [وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى]مريم:76. وقال تعالى:[فَزَادَهُمْ إِيمَاناً]آل عمران:173. فيه أنَّ الإيمانَ يَزيدُ وينقصُ؛ يَزيدُ ويَقوَى بالطَّاعَات، وينقُصُ، ويَضعُفُ بالمعَاصِي .. فإيمانُ الأنبياءِ، والصِّدِّيقِين، والشُّهداءِ ليسَ كإيمانِ مَن هُم دونَهم مَرتبَةً في الالتزَامِ والعمَلِ .. ومَن كان الإيمانُ في قلبِه كالجبالِ، ليسَ كمَن كانَ في قلبِه مِثقَالُ خَردَلةٍ من إيمانٍ .. كما أنَّهما لا يَستويَان في الأجرِ والثَّوابِ .. فكما كان إيمانُهم في الدُّنيَا دَرَجَاتٌ، كذلك هُم في الآخِرةِ يَكونُون في الجنَّةِ دَرَجَات .. وهَذا مِن لوَازِمِه أن يتعاهَدَ المرءُ إيمانَه ويمدَّهُ بالطَّاعَاتِ لكي لا يَذْبُل؛ فيَضْعُف عن مقاومَةِ الشَّهَواتِ، والشُّبُهَات!

كثيرٌ مِن الناسِ يَشكُونَ ضَعْفَهم في مواجهَةِ التَّحدياتِ الخارجِيَّةِ، والمحيطةِ بِهم .. وهَذا مردُّه لضَعْفِ الإيمانِ في قلوبِهم .. وعِلاجُه أن يمدُّوا قُلوبَهم بمزيدٍ مِن التَّقْوَى والطَّاعات.

* * * * *

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ

951- [فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ]؛ على الكافِرِين المعَانِدِين المُلْحِدِين نزُولَ العَذَابِ، [إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً]مريم:84. فاللهُ تَعَالى ليسَ غَافِلاً عَنهم .. وعَن جرائمِهِم .. وإنما يَعُدُّ لهم الأيَّامَ، والسَّاعَاتِ، والدقَائقَ، والأنفَاسَ عَدّاً .. فيُحْصِيها عَليهم .. التي تُدْنِيهِم مِن آجَالِهِم .. ومِن وعِيدِ اللهِ تعالى وانتقَامِه المقدَّرِ، والمحتُومِ، الذي لا يتَقَدَّمُ ولا يتأَخَّر!

* * * * *

وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً

952- [وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً]مريم:95. خَالٍ مِنَ الأَخِلَّاءِ، والأَنْصَارِ، والأَعْوَانِ .. والأقَارِبِ .. يُقَرِّرُه رَبُّه: مَا الذي غَرَّك بِيَ .. وجَرَّأك عَلَيَّ يا ابْنَ آدَم؟!

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً

953- [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً]مريم:96. محبَّةً وقُبُولاً في السَّماءِ، والأَرضِ .. ولمَن يَلتمسُونَ الودَّ والمَحبَّةَ في قُلوبِ النّاسِ، بطُرُقٍ شَتَّى، ويُنفِقون في سبيلِ ذلك الأموالَ الطَّائلَةَ .. لا نُتْعِبُوا أَنْفُسَكُم .. هذا هو الطَّريقُ الوَحِيدُ لما تَسْعَونَ إليه، وتَسْتَشْرِفُونه:[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]. وما سِوَاهُ خَرْطُ القَتَادِ.

954- [سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً]مريم:96. مَحَبَّةً؛ يُحِبُّهم، ويُحَبِّبُ بِهم عِبَادَه، في الدُّنْيَا والآخِرَة.

* * * * *

مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

955- [مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى]طه:2. القُرآنُ تَنَزَّلَ لِنَسْعَدَ، ونَهْنَأَ، ونحْيَا حيَاةً طيِّبةً .. لا لكي نَشْقَى .. وحيثُمَا يُوجَد الشَّقاءُ، وهو العُسْرُ، والإرْهَاقُ، والتَّشَدُّد، والعنَاء، والبؤسُ .. وتحميلُ النَّفْسِ ما لا تُطِيق .. فاعلَمْ أنَّه ليسَ مِن هَدْي الإسلامِ في شَيءٍ .. وهو بخلافِ غَاياتِ التَّنزِيل!

* * * * *

فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

956- [فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ]؛ مَا خَفِي عنِ العيُونِ، والمسَامِع، [وَأَخْفَى]طه:7. ومَا هو أخْفَى مِن السِّرِّ؛ كحَدِيثِ النَّفْسِ، ومَا تُضْمِرُه القُلُوب.

* * * * *

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي

957- [اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي]طه:31. كلمَا عَظُمَت المهامُّ والغايَاتُ اشتَدَّت الحاجَةُ إلى الإخوانِ الذين نَتقوَّى بهم على تلك المهَامّ والغَايَاتِ .. وكان العمَلُ الجمَاعِي المنظَّم ضَرُورَةً ملحَّةً .. فيدُ اللهِ مع الجماعَةِ، والشَّيطانُ معَ مَن فارَقَ الجماعَةِ .. والجماعَةُ رحمةٌ، والفِرقَةُ عذَاب.

* * * * *

فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

958- [فَقُولَا]؛ موسى وهارُون عليهما السَّلام، [لَهُ]؛ للطَّاغُوتِ الظَّالِمِ فِرْعَون، [قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى]طه:44. في مَعْرِضِ الدَّعْوةِ والتَّذكيرِ يَختلفُ الحديثُ والأسلوبُ عنِ الحديثِ عند مَعْرِضِ الصَّدْعِ بالحقِّ في وجْهِ طاغِيةٍ ظالم، وعِند النَّذَارَةِ بالوعيدِ الشَّديدِ للمخالفين المعانِدين .. ففي الحالَةِ الأوْلَى يَسلكُ الدَّاعِيةُ مَسْلَكَ اللِّين، والرِّفْقِ، واللطفِ، ما أمكَن لذلك سَبيلاً؛ طَمَعاً في هِدايَةِ الظَّالِم .. وفي الحالةِ الثَّانيةِ يَسلكُ مَسْلَكَ الغلْظَةِ، والتَّهديدِ بالوَعيد .. كما فعلَ موسَى عليه السلام مَعَ الطَّاغوتِ فِرْعَون، فقالَ له:[وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً]الإسراء:102. أي هَالكاً ومَلعُوناً، ومَطرُوداً مِن الخَيرِ، والهِدايَةِ .. وهذَا خِطابٌ كما هو مُلاحَظٌ فيه غِلظَةٌ وشِدَّةٌ؛ لأنَّ المقَامَ لم يَعُدْ مَقامَ دَعْوةٍ وتَذْكِيرٍ، وإنما هو مَقامُ إنْذَارٍ، وتخويفٍ، وتَهديد .. وهو مَا يَنبَغِي أن يَتفطَّنَ له الدُّعَاةُ إلى اللهِ .. فلَا يَخلِطُوا بينَ الأمْرَين .. وكَثيرٌ مِنهم مَن يَخلِطُ بينَ الأمْرَيْن؛ فيَضَعُ أحدَهمَا موضعَ الآخَر!

* * * * *

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى

959- [قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى]طه:50. خَلَقَ الخَلْقَ، فأحْسَنَ الخَلْقَ، ثم هَدَى كلَّ مخلُوقٍ إلى منافِعِه في الدُّنيا والآخِرَةِ .. فلا يُوجَدُ مخلُوقٌ لا يَعرفُ مَا ينفَعُه، ومَا يَضرُّه .. والغايَةَ مِن وُجُودِه .. حتَّى الدَّوَاب والحشَرات تهتَدي ـ بإذنِ رَبِّها ـ إلى ما ينفَعُها وما يَضُرُّها مِن الطعامِ؛ فكُلٌّ ـ منذ السَّاعَاتِ الأُوْلَى مِن ولادَتِه

ـ يُقبلُ على الطَّعامِ الذي يُناسِبُه .. ويُعرِضُ عنِ الطعامِ الذي لَا يُناسِبُه .. وهَذا من تمَامِ وكمالِ ربُوبيَّتِه على خَلْقِه، فلمْ يخلقْهم ثم يتركُهم عَبَثاً لأهوَائِهم مِن غَيرِ شَرِيعَةٍ تَهدِيهم.

* * * * *

قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

960- [قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا]طه:72. إذَا تمكَّنَ الحقُّ مِن قُلُوبِ الأحرَارِ، هانَت عليهم أنفُسُهم، وجَادُوا بها في سَبيلِ الحقِّ .. لَا يَقبلُون المساومَةَ على الحقِّ، ولو كانَ مُقَابِلُ التخلِّي عن الحقِّ سلامَةَ أنفُسِهم مِن القَتْلِ، والتَّنكيلَ، والحيَاةَ الآمِنَة، والعيشَ الرَّغِيد .. لَا يأبهون لوعيدِ الطُّغاةِ، وتَرهيبِهم، وتَهديدَاتِهم، وأحكامِهم الجَائرةِ .. كما لَا تُغرِيهم عطَايَاهُم وإغرَاءاتهم، التي يتفضَّلون بها على أتباعِهم، وعبيدِهم .. فَلا يَستبدلُون الذي هو أدْنَى بالذي هو خَير .. فسُلطانُ الطُّغَاةِ مَهمَا تَعَاظَم لَا يتعَدَّى حدُودَ الحيَاةِ الدُّنْيا القَصِيرَةِ والفَانيَةِ .. وهي لَا شَيء قيَاسَاً لما بَعدَ الموتِ، وإلى قِيامِ السَّاعةِ، وإلى ما بعدَ قِيامِ السَّاعَةِ مِن وَعْدٍ ووَعِيدٍ .. حيثُ يكونُ الحكمُ كُلُّه لله.

* * * * *

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى

961- [وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]طه:73. أحياناً تمتَدُّ العينُ لمتاعٍ مِن متَاعِ الدُّنيَا .. وتَسْتَشْوفُه النَّفْسُ، وتَتمَنَّاهُ .. حِينئذٍ جميلٌ أن يتَذَكَّرَ المؤمنُ أن ما عِندَ اللهِ تعالى، ومَا أعَدَّهُ لعبَادِه المؤمنين مِن نَعيمٍ عَظيمٍ .. خيرٌ مِن هذا المتَاعِ .. وأجمَلُ .. وأكمَلُ .. وأدْوَمُ .. لا يَعرفُ انقطاعاً!

962- [وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]طه:73. قَد تُعرَضُ عليك الدُّنيا وزَخارِفُها مُقابِلَ أن تَدخلَ في مُوالاةِ الطُّغاةِ الظَّالمِين، وأن تَسكُتَ عن ظُلمِهم، وتُحسِّنَ باطِلَهُم .. أو أن تَتخلَّى عن واجِبٍ مِن واجِباتِ الدِّينِ .. أو أن تَسكُتَ عَن حَقٍّ .. أو أن تَشهَدَ شَهادَةَ زُوْرٍ .. وقَد يقَعُ لك الخِيارُ بين اللهِ تعالى ومَا يُرْضِيه، وبينَ الطَّاغُوتِ ومَا يُرضِيه .. ولَا بُدَّ لك مِن الاختِيارِ .. فحِينَئذٍ يجبُ عليك أن تختارَ جانِبَ اللهِ تعالى، ومَا يُرضِيه .. وأن تَعْلمَ أنَّ ما عِندَ اللهِ تعالى خُيرٌ، وأعظَمُ، وأجمَلُ، وأبْقَى مِمَّا يَعرضُه عليك الطَّرَفُ الآخَر مِن متَاعِ الدُّنْيا وزُخْرُفِهَا!

* * * * *

وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا

963- [وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا]طه:108. إلَّا الإخْلاصُ، يأذَنُ اللهُ له أن يَرفَعَ صَوتَهُ، وأن يُجَادِلَ عَن صَاحِبِه.

* * * * *

إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا

964- أنتَ في دُنيَاكَ مُخَيَّرٌ، تَفْعَلُ أو لا تَفْعَل، تَقُولُ أو لا تَقُول، لأنَّهَا دَارُ عَمَلٍ .. أما في أُخْرَاكَ، لا خِيرَةَ لَكَ في شَيءٍ، تُسْلَب مِنْكَ حُرِيَّةُ الاختِيَار، حتَّى الكَلَامَ، لا تَقْدِر عليه إلَّا أنْ يُؤذَن لك فيه، وبَعْدَ أن يُحَدَّدَ لَكَ مَاذا تَقولُ، وكَمْ مِنَ الكَلِمَاتِ والأَحْرُفِ تَقُول، لأنَّها دَارُ جَزَاءٍ وحِسَابٍ [يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا] طه:109. [لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا]النبأ:38. [الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ]الحج:56. [لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ]غافر:16. فاغْتَنِمْ زَمَنَ خِيرَتِكَ، لِزَمَنٍ لا خِيرَةَ لَكَ فِيه.

* * * * *

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً

965- [وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً]طه:110. اللهُ تعالى يُحيطُ بعبادِه عِلماً، فلَا يَخفَى عليه شيءٌ من أحوالِهم .. بينما عِبادُه، لَا يُحيطون بذَاتِه عِلماً، مهمَا بحثُوا، وغَاصُوا، وتكَلَّفُوا الدروبَ الصَّعبةَ فلن يَصِلُوا إلى شيءٍ، ولَا يَقدرُون .. لذا نُهِينا أن نتفكَّر بذاتِ اللهِ سُبحانه، أو أن نبحثَ عن كيفيَّة ذاتِ اللهِ، فهذَا فوقَ قُدُرَات الإنسانِ .. وهو مَدخَلٌ واسعٌ للتيهِ والضيَاعِ .. وهنَاك مَن حَاولَ فضَاعَ .. وإنما أُمِرنَا أن نتفكَّرَ بصِفاتِه العُلْيَا، وبأسمائِه الحُسنَى، وبالآثارِ الدَّالَّةِ على عظَمَةِ صِفَاتِ وأسماءِ اللهِ تَعالَى .. فهذَا الجانِبُ مِن العِلمِ محمُودٌ ومَطلُوب، وهو ممَّا يُقربُ العبدَ مِن رَبِّه.

* * * * *

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً

966- [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114. لأنَّ مَا بَعدَه مُعَلَّقٌ به، فَلا زِيَادَةَ في الإيمَانِ، والمعْرِفَةِ، والعَمَلِ إلَّا بزيادَةِ العِلمِ .. فإنْ زَادَ زَادُوا، وإنْ نقصَ نَقصُوا .. وفيهِ أنَّ المرءَ مهمَا طَالَ عمرُه، وبَلَغَ عِلْمُه .. يَظلُّ يَستزيد عِلْماً .. فالعُمْرُ يَنتَهِي، والعِلمُ لا يَنتَهِي، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما قُسِمَ له .. قال ابنُ عُيَيْنَة:" لَمْ يَزَلْ صلى الله عليه وسلم في زِيَادَةٍ حتّى تَوفَّاهُ اللهُ عزَّ وجل ". وقد ركبَ موسى عليه السلام البِحَارَ من أجْلِ أن يَستزيدَ عِلماً مِن الخَضِر.

967- [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114. زِدْنِي عَمَلاً بطَاعَتِك، أزْدَد بِهِ عِلْماً!

* * * * *

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ

968- [فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى]طه:120. هذه الشجرةُ كأيِّ شجرةٍ، ليسَ فيها مَا يُميِّزُها عن أشجارِ الجنَّةِ، سوى أنَّها يُمنَع مِن الأكلِ مِنها .. ففي الجنَّةِ مِن الأشجارِ، والثمارِ، والخيراتِ ما هو خَير مِنها بكثيرٍ .. وبالتَّالي لَا يمكن أن تجذبَ آدمَ إليها معَ نَهي الخالق له عن الأكلِ مِنها .. والشيطانُ الرَّجيمُ ـ عَدُو آدَم، وعدُو ذُريَّته مِن بعدِه ـ أدرَك ذَلك .. فأخَذَ يُزينُ الشجرةَ لآدَم، ويَصفُها بخصَائِص، وصِفَاتٍ ليسَت فيها؛ تجعَلُ آدَمَ مَشدُوداً للأكلِ مِنها .. فوصَفَها ـ وهو كَذُوب ـ بأن من أكلَ مِن هذه الشجرةِ يُكتَبُ له الخُلدُ؛ فلا يموتُ أبَداً، ويُعطَى مُلْكٌ دَائمٌ لا يَنقضِي أبَداً .. وهذا مَعنى تَستشوفُه النُّفُوسُ، وتَرغبُه .. فضَعُفَ آدَمُ؛ فصَدَّقَ عَدُوَّه الكَذُوب، وأكلَ مِنها .. وهكَذا حَالُ الشَّيطانِ معَ كلِّ باطلٍ ـ وإلى يومِ القِيامَةِ ـ ليجعلَه رائجاً، ومُستسَاغاً، وحتَّى لَا يبُور، يُضفِي عليه ألقَابَ وأوصَافَ المدِيح .. ويَصفُه بمَا ليسَ فِيه، ويُسميه بأسماءٍ تَستحسنُها الآذَانُ والأذْوَاقُ!

* * * * *

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

969- [قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ]طه:123. مِن ذلك الوَقت الذي أمَرَ اللهُ فيه آدمَ عليه السلام، وإبليسَ اللَّعين بأن يهبِطَا من الجنَّةِ إلى الأرضِ، فإنَّ الصِّراعَ والتَّدَافُعَ قائمٌ بينَ الحقِّ وبينَ البَاطِلَ .. والعدَاوَةُ مستمرَّةٌ بين إبليس وذُريَّته، وأتبَاعه من الكافِرين، وبينَ آدمَ عليه السلام، والمؤمنين مِن ذُريَّتِه، وإلى يَومِ القيامَةِ .. هذا التَّدافُع والصراعُ يقرُّهُ النَّقْلُ، والعَقْلُ، والواقعُ المشَاهَد، والمعَايَش .. لَا تُلغيه

المجامَلاتُ، ولا المؤتمرَات، ولا النَّدَواتُ الدَّاعِية إلى التَّعايُشِ .. فالحقُّ لا يمكنُ أن يَرضَى عن البَاطِلِ، والبَاطِلُ لا يمكنُ أن يَرضَى عن الحقِّ .. والخيرُ لا يمكنُ أن يتعايَشَ معَ الشرِّ، ولا الشرُّ يمكنُ أن يتعايشَ مع الخيرِ .. فهما في اتجاهَين متَضادَّين، متَعاكسَين، مُتَنَافِرَين، وإلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها .. هكذا هي الحيَاةُ على هذه الأرض، شِئتَ أَمْ أبَيْتَ، رَضِي مَن رَضِي، وأَبَى مَن أبَى .. وأنتَ عليك أن تختَارَ ـ ولَا بد لك مِن الاختيَارِ ـ إمَّا أن تنحازَ إلى الحقِّ، وتُقَاتِلَ دُونَه .. وإمَّا أن تنحازَ إلى البَاطِلِ، وتُقاتِلَ دُونَه .. إمَّا أن تكونَ جنديَّاً مِن جنُودِ الحقِّ .. وإمَّا أن تكونَ جُنديَّاً مِن جنُودِ الشَّيطَانِ اللَّعِين.

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى

970- [فَمَنِ اتَّبَعَ]؛ لا يكفي مجرَّدُ الإيمانِ والتَّصديقِ من غيرِ متابعَةٍ؛ إذْ لا بدَّ معَ الإيمانِ والتصديقِ من انقيادٍ ومتابعَةٍ لهدْي الأنبياءِ والرُّسُل، [هُدَايَ]؛ وهو الشرعُ المنزَّل على الأنبياءِ والرسُلِ، وتحقَّقت في المتَّبع صِفَةُ المتابعَةِ والانقيادِ ظاهِراً وباطناً، [فَلَا يَضِلُّ]؛ عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. بل يكونُ الحقُّ حليفَه طيلةَ حياتِه، ويكونُ لديه من اللهِ النور الذي يمكنُه من التمييزِ بين الحقِّ والباطلِ، [وَلَا يَشْقَى]طه:123. في الدُّنيا ولا في الآخِرَة!

* * * * *

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

971- [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي]؛ عَن عِبَادَتِي، [فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا]؛ مَعِيشَة يجتمعُ فيها الضِّيقُ، والعُسرُ، والشَّقَاءُ، والخوفُ، والقَلَقُ، والتِّيه، والضَّياعُ،

والكَآبَةُ، [وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]طه:124. أعْمَى البَصَرِ؛ فيُعاقَب مِن جِنْسِ ذَنْبِه؛ فكَما أعْمَى بَصَرَه في الدُّنيَا عن كتَابِ اللهِ، وعن النَّظَرِ في آياتِه، يُبْعَثُ يَومَ القِيامَةِ أعْمَى البَصَرِ.

* * * * *

بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ

972- [بَلْ قَالُواْ]؛ الكُفَّارُ عن القُرآنِ الكَرِيم، [أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ]؛ إفادَاتٌ متعدِّدَةٌ مُتَضَارِبَةٌ لَا تثبتُ على رَأي أو قَرَارٍ، ولَا تَقومُ على بُرهانٍ؛ تَنمُّ عن الغَيظِ، والجهلِ، وعنِ الرُّعْبِ الشَّديدِ الذي مَلَأَ صدُورَهم مِن القُرآنِ الكريم، ومِن أثَرِه على نفوسِ وعُقُولِ النَّاسِ .. وأثَرِه على زَوالِ مخصَّصَاتِهم، وامتيازَاتِهم، واستعلائِهم .. يَقُولون ذلك وهم عاجِزُون عن أن يأتُوا بسورَةٍ مِن مِثْلِه .. ثمَّ ينتقلُ الكفَّارُ إلى مطلبٍ آخَر للتَّدليلِ على بُطلانِ القرآنِ بزعمِهم .. والتَّدليلِ على عجْزِهم .. وهذا شأنُ الكفَّار الجاحِدِين ـ العَاجزِين عن مواجَهةِ القُرآنِ وحقَائقِه بالحجَّةِ والعِلمِ والمنطِقِ ـ على مَرِّ العصُورِ والأزمانِ وإلى قيامِ السَّاعَةِ، عندما يُريدُون أن يَفرُّوا من الإيمانِ، ومِن تَبِعاتِه:[فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ]الأنبياء:5. يَستعجِلُون العذَابَ، ونزولَ الآياتِ الماديَّةِ المحسُوسَةِ والمُشَاهَدَةِ .. وفي الوقتِ الذي يشاؤونَه ويحدِّدُونَه .. لأنَّهم لا يُؤمنون إلا بما تُدرِكُه حواسُّهم، وأبصَارُهم .. بل حتَّى بعدَ نزول الآياتِ الماديَّةِ المحسوسَةِ، تجدهم يُكابِرُون، ويقولون عنها: سحرٌ .. وسَاحِرٌ .. والطَّبيعَةُ .. والأسْبَابُ .. ومَن لم تقنعْهُ مُعجِزَةُ القُرآنِ الكريمِ الخالِدَةِ، فلن تقنعَهُ مُعجزَةٌ أُخْرَى!

* * * * *

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً

973- كلما اشتدَّ ظُلمُ القُرَى كان ذلك إيْذَاناً بأفُولِها، وكان بُشرَى خيرٍ للمستضعفين المظلومين، سُنَّةٌ من سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه لا تَتغيّر ولا تتبدّل، [وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ]الأنبياء:11. فالأخْذُ والاسْتِبْدَالُ يكونُ مع الظُّلْمِ لا العَدْل!

الظَّالمُ يَفْرَحُ بظُلْمِه وبَغْيه، ويَغْفَلُ أنَّ حَتْفَهُ فِيما قد فرِحَ به!

* * * * *

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ

974- [بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ]؛ نَرمي بالتَّوحِيدِ، وَمَا وَالَاه، [عَلَى الْبَاطِلِ]؛ على الشِّرْكِ، ومَا وَالَاه، [فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ]؛ فيُزِيلُه، ويُبْطِلُه، ويَقْضِي عليه، [وَلَكُمُ]؛ أيُّها المشرِكُون الكافِرُون، [الْوَيْلُ]؛ العذَابُ الأليمُ، [مِمَّا تَصِفُونَ]الأنبياء:18. ممَّا تَكْذِبُون، وتُكَذِّبُون.

* * * * *

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

975- [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ]؛ لجَلَالِ وكَمالِ صِفاتِه، وعَظَمَةِ أسمائِه الحُسْنَى، ولأنَّه خالِقُ الخلْقِ، ومَالِكُ المُلْكِ، رَبُّ العَالَمِين، لا يَصدُرُ عنه إلا حَقٌّ، وعَدلٌ، وخَيرٌ، وإحْسَانٌ .. ولِكَمالِ ربُوبيَّتِه وألوهيَّتِه لا تُوجَدُ سِلْطَةٌ، أو جِهَةٌ قادِرَةٌ على أن تَسأَلَه، أو أن تُراجِعَه في أمرِ قَضَاه وَشَاءَه، أو أنْ تُحاسِبَه، أو تُعَقِّب عليه، وعلى حُكْمِه، [وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. وكُلُّ ما سِوَاه فهو عَبدٌ مخلُوقٌ مَرْبُوب، مَملوكٌ، مجبُولٌ على النَّقْصِ، والضَّعْفِ، ليسَ له شَيءٌ ممَّا للهِ تَعَالى من الأسماءِ الحُسْنى، والصِّفَاتِ العُلْيَا .. يُسْأل عن أفعالِه، وأقوالِه، وعن كُلِّ مَا يَصْدرُ عنه، وعن مَدَى أدائِه للأمانَةِ فِيمَا استأمنَه اللهُ عليه واسترْعَاه .. فَلا أحَدٌ غير اللهِ فوقَ المساءَلَة والمحَاسَبَةِ .. ومَن رَضِي لنَفْسه أن يكونَ فوقَ المساءلَة، وأنْ لا يُسْأَلَ عمَّا يَفعَل، فهو طَاغُوت .. وقد جَعَلَ من نفْسِه نِداً للهِ عز وجل، ومَن رضيَ له هذه الصِّفَةِ، وأقَرَّهُ عليها، فقَد أشْرَكَهُ معَ اللهِ فِيما هو مِن خُصُوصيَّاتِ اللهِ تعالى وحدَه، واتَّخذَه نِداً للهِ عزَّ وجل!

* * * * *

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

976- [وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ] الأنبياء:29. مَن يَقُل منهم إنِ الحِكْمُ إلَّا لي من دُونِ اللهِ؛ فالحقُّ ما أرَاهُ حَقّاً من دُونِ اللهِ، والباطِلُ ما أراهُ باطلاً من دُونِ اللهِ، والحلالُ ما أراه حَلالاً من دُونِ اللهِ، والحرامُ ما أراهُ حَراماً من دُونِ اللهِ، وأنا المطاعُ لِذاتي من دُونِ اللهِ، وأنا المحبوب لِذاتي من دونِ اللهِ؛ فيَّ يُعقد الولاءُ والبراءُ من دُونِ اللهِ، وعلى النَّاسِ طَاعَتي واتِّباعي .. فهؤلاء كلهم يدَّعُون الألوهيَّة من دُونِ اللهِ، وهؤلاء كلهم معنيون، من قولِه تعالى:[وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ].

* * * * *

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

977- [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35. هَل يُقَابَل بَلاءُ الشَّرِّ بالصَّبرِ، وبَلاءُ الخيرِ بالشُّكْرِ ...؟

978- كثيرون هم الذين ينجحون في فتنةِ الشِدَّة، بينما قلّة هم الذين ينجحون في فتنةِ الخير، والرخاءِ، والسّعة! [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35. [فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]يونس:12. [وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ]المؤمنون:75.

979- [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35. المَنْعُ والعَطَاءُ، كلاهما اختبارٌ وبَلاء.

* * * * *

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ

980- [قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ]الأنبياء:68. هكذا يتنادَى أهلُ الباطلِ - مِن قبل، واليوم، وغداً - بفزَعٍ وخوفٍ، وقلَقٍ، لنصرةِ وسلامَةِ طواغيتِهم، وأصنامِهم التي يَعكفون على عبادَتِها مِن دونِ اللهِ .. إذا ما تَعرَّضَت للخَطَر أو التهديدِ مِن قِبَلِ سهامِ الحقِّ .. وحتى لا تفقدُ مكانَتها في نفوسِ الناسِ، فيفقدُ الناسُ توقيرَهم وتعظيمَهم وعبادَتهم لها .. فلا سبيلَ لهم لمواجهةِ الحقِّ بالحجةِ والمنطقِ والعِلم .. فيلتجئون إلى العنفِ، والتَّرهيبِ، والتخويفِ .. يَلتجئون إلى التَّحريقِ، والقتلِ، والسَّجنِ، والتهجيرِ، والتَّدميرِ .. هذه وسائلُ الطغاةِ الظالمين على مدارِ التاريخ .. وهي وسائلُ الضعفاءِ المهزوزِين المهزُومين، وسَائل مَن لا دِين حقٍّ لهم، ولا عَقْل سَليم .. مَا غَلَبَ عُنْفٌ حَقًّا، وإن كان للعُنْفِ جَولَةً، فللحَقِّ جَوْلَاتٌ.

* * * * *

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ

981- [فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ]الأنبياء:79. مِن أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على العَبدِ أن يمنَّ عليه بنعمَةِ الفَهْمِ لحقيقَةِ الأشياءِ، ودوافِعِهَا، وأسبَابِها، والفَهْم الصَّحيح للمسائل التي تُعرَضُ عليه .. إذا نزلَ به بلاءُ خَيرٍ، أحسَنَ فَهْمَه، وتفسيرَه، وفَهْمَ الغَايَةِ مِنه، ورَدَّه إلى أسبَابِه الحقيقيَّةِ .. وإذَا نزَلَ به بَلاءُ شَرٍّ أحسَنَ فهْمَه، وتفسيرَه، وأحسنَ فهمَ الغَاية مِنه، ورَدَّهُ إلى أسبَابِه الحقيقيَّةِ، ليُحْسِنَ مُعالجتها، والتَّعامل معَها، ودَفْعَها ما أمكَنَ لذلك سَبيلاً .. كَمْ مِن خَيرٍ نتعاملُ معه كشَرٍّ، وكَمْ مِن شَرٍّ نتعامَلُ معه كخيرٍ .. ويكونُ مرَدُّ

ذلك إلى الخطأ في الفَهْمِ .. كم مِن عَدَاوَةٍ ـ تُفرِّقُ الصفُوفَ، وتُباعِدُ ما بينَ القُلُوبِ ـ مرَدُّها إلى سُوءِ الفَهْمِ .. نصٌّ واحدٌ، شخصٌ يَستنبطُ منه مَسألةً أو فائدةً واحِدَة .. وشخصٌ آخَر يَستنبطُ منه عَشْرةَ مسَائل أو فوائد، وأكثر .. ويكونُ مردُّ هذا التبَايُنِ في الاستنباطِ إلى الفَهمِ الذي يمنُّ اللهُ به على كلٍّ مِنهما .. نسألُ اللهَ تعالى أن يمنَّ علينا بنعمةِ الفَهْم، وأن يزيدَنا فهماً على فَهْمٍ.

982- [فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ]الأنبياء:79. فيه أنَّ الصَّغِيرَ يُمكنُ أن يَفهمَ مَسألةً أو مَسائلَ لم يَفهَمْها مَن هو أكبرُ مِنه .. ولَا يَعني ذلك أن الصَّغيرَ أَعلمُ، وأفضَلُ مِن الكَبِير.

* * * * *

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ

983- [وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ]الأنبياء:85. إنَّهم أنبياءُ اللهِ عليهم الصلاة والسلام .. فِيهم مِن الخِصالِ الحميدَةِ الكَثِير، الكَثِير .. خصَّ اللهُ تعالى منها بالذِّكْرِ؛ الصَّبْرَ، وأنَّهم كانوا مِن الصَّابِرين على طاعَتِه، وعلى القيامِ بمهام النبوَّةِ، وتحمُّلِ تبعاتِها .. لما للصبرِ والصَّابرين مِن مَقَام رفيعٍ ومحمودٍ عند الخالقِ سُبحانه وتعالى.

* * * * *

وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً

984- [وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً]؛ لقَومِه، [فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ]الأنبياء:87. على الدَّاعيةِ أن يمضِي في دَعوتِه إلى اللهِ، وفقَ أمرِ اللهِ، ونهجِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، إلى نهايةِ الطريقِ، وحتى يأتيَه اليَقين، سَواءٌ استجابَ له قومُه أم لم يَستجيبُوا .. وليسَ عليه أن يتضجَّرَ أو يقِلَّ صَبرُه، أو أن يملَّ الدعوةَ إلى الله مِن أولِ

الطريقِ، وعِندَ أولِ اختِبارٍ له؛ فيهجُر الناسَ، ويَهجر دعوتَهم إلى الإيمانِ، وإلى عبادَةِ اللهِ تعالى وحدَه، في حالِ لم يَستجب له الناسُ أو قلَّ فِيهم مَن يستجيبُ لَه، ويَقول: دَعوتُهم ولم يَستجيبُوا لي، ولم يتَّبعني من الناسِ إلا قَليلاً .. لَا .. فهو يُتَاجرُ معَ اللهِ، ويَعملُ للهِ .. فعليه هِدَايةِ الناسِ هِدَاية دَلَالة، وأن يَصبرَ عليهم، وعلى دعوتِهم، أمَّا هِداية التَّوفِيق، والطَّاعةِ، والاتباعِ فهي على اللهِ وحدَه .. عليه أن يَغرسَ الخيرَ، أمَّا الزَّرعَ فيتركُه على اللهِ.

* * * * *

لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

985- [فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ]؛ ظُلْمَةُ بَطْنِ الحُوتِ، وظُلْمَةُ البَحْرِ، وظُلْمَةُ اللَّيلِ .. ظُلماتٌ بَعضُها فوقَ بعضٍ، وأنَّى لِنداءٍ أن يُسمَعَ تَعْلُوه، وتُحِيطُ به هذهِ الظُّلمَات إلَّا مِن رَبٍّ قَدِيرٍ لَا يَخفَى على سَمْعِه، ولا على بصَرِه شَيءٌ، [أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]الأنبياء:87. استغَاثَةٌ مُسْتَعْجَلَةٌ جمَعَت بينَ التَّوحِيدِ، والتَّسْبِيحِ، والإقْرَارِ بالذَّنْبِ .. لَا يَقْوَى، ولَا يَسْتَعصِي عليها كَرْبٌ .. ولو كانَ المكروبُ في بَطْنِ الحُوتِ!

986- [لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]الأنبياء:87. دعاءٌ يجمعُ بين التَّوحِيدِ، وبينَ الإقرَارِ بالذَّنْبِ، والاستغْفَارِ .. لا يَخيبُ، ولا يُرَد.

* * * * *

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

987- [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]الأنبياء:90. ما أنْبَلَها وأعظَمَها مِن صِفَةٍ، إنَّهم لا يَفعلُون الخَيراتِ وحَسْب، بَلْ مَا إن يَستشرِفَ لهم بابُ خَيرٍ وطاعةٍ إلا ويُسارِعُون إليه، وكأنَّهم في سِباقٍ، اغتِنَاماً لَه قَبْلَ أن يُغْلَقَ دُوْنَهم .. وهذه ليسَت صِفَةً لحْظِيَّةً آنِيَّةً، بل هي دائمةٌ لازِمَةٌ لجميعِ أحْوَالِهم!

988- [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]الأنبياء:90. في فِعْلِ الطَّاعَات.

989- [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]الأنبياء:90. هكذا شأن الأنبياء، وأتباع الأنبياء؛ فإنهم في سباقٍ مع الزَّمن؛ فلا تمرُّ ساعةً إلا ويبذلون فيها خيراً لأنفسهم، أو للناس، أو لأنفسهم وللناس معاً، إمّا يأمرون بمعروف، أو ينهون عن منكر .. أو يمشون في حاجةِ مكروبٍ أو محتاج .. أو يُغيثون ملهوفاً .. أو ينصرون مظلوماً .. أو ينفقون من فضل زادهم على ذوي الحاجة والمساكين .. أو يعودُون مريضاً .. أو يزورون رَحِماً .. أو يَلقون إخوانَهم ومن لهم حق عليهم بوجه طلق .. أو يُكرمون جاراً .. أو يُميطون الأذى عن طريقِ النّاس .. أو يغرسون لأنفسهم صدقة جارية تنفعهم بعد الممات .. أو ينشغلون لأنفسهم بالذّكر، والتلاة، والتأمّل، وغير ذلك من أنواع العبادات والطاعات ... سارِعْ يا عبد الله .. ثم سَارِعْ .. ثم سارع وسابِق .. ولا تدع أحداً يَسبِقُك في فِعلِ الخيرات!

* * * * *

وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً

990- [وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً]الأنبياء:90. رَغَباً بالجنَّةِ، ورَهَباً مِن النَّارِ .. والجنَّةُ اسمٌ جَامعٌ لكلِّ نَعيمٍ فِيها، والنَّارُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ عَذَابٍ فِيها.

991- [وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً]الأنبياء:90. هذه صِفَةُ الأنبيَاءِ، وأتباعِهم من المؤمنين على مرِّ العُصُور، وإلى يومِ القِيامَةِ .. لا يحيدُ عنهم وعَن طريقَتِهم في العِبادةِ والدُّعاءِ إلَّا ضَالٌّ .. والآيةُ الكريمةُ فِيها رَدٌّ على القائِلين أنهم يَعبدُون اللهَ تعالى محبةً فقَط، وليسَ رَغبةً برحمتِه وجنَّتِه، ولا خوفاً من عذابِه وانتقامِه .. وبَعضُهم مَن غَالى فاعتَبَرَ مَن يَعبد اللهَ تعالى [رَغَباً]؛ بالجنَّةِ، ونَعيمِ اللهِ يَوم القِيامَة، [وَرَهَباً]؛ مِن نَارِ جَهنَّم ومِن عذَابِ اللهِ، مِن الشِّرك!! .. فيُعارِضُون ـ لسوءِ فَهمِهم ـ بينَ العِبادَةِ عن محبَّةٍ، وبينَ العِبادَةِ، [رَغَباً وَرَهَباً]، ولَا تَعارُضَ بينَهما .. واللهُ تعالى كما لَه الأسماءُ الحُسْنَى والصِّفاتُ العُليَا القَهْريَّةِ؛ كالقَهَّارِ، والجبَّار، والمنتَقِم، والعَزيزِ، والقَادِرِ، شَديد العِقابِ؛ والتي تَقضي مِن العِبادِ أن يَعبدُوه مِن جهةِ الرَّهبةِ والخشيَةِ .. كذلك له سُبحانه الأسماء الحُسنى، والصِّفات العُليا التي تَقضِي على العِبادِ أن يَعبدُوه مِن جهةِ الرَّغبةِ، والرَّجاءِ، وحسنِ الظنِّ، كالغفُورِ، والرحمنِ، الرَّحيمِ، الودُود، الرَّفيق، الكَريم، اللَّطيفِ، الجميلِ، الحَلِيمِ، الصَّبُور .. وغيرها من الأسماءِ والصِّفَات.

* * * * *

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ

992- [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ]الأنبياء:92. إنَّها أُمَّةُ العَقِيدَةِ، والدِّينِ، والإيمانِ .. أُمَّةُ الإسلامِ العَابِرَةِ للزَّمَانِ، والمكانِ .. لَا يحدُّها زَمَانٌ، ولا مكانٌ .. فزمَانُها؛ الماضِي، والحَاضِرُ، والمستقبَلُ كُله؛ وهو ممتدٌّ مِن لَدُن آدَم عليه السلام،

مرُوراً بجميعِ الأنبياءِ، والرُّسُلِ، وانتهاءً بخاتَمِ الأنبياءِ والرُّسلِ، وإلى آخِرِ مسلمٍ يعيشُ على وجهِ هذه الأرضِ، وإلى أن تَقومَ الساعَةُ .. فهؤلاء جميعُهم - على اختلافِ ألوانِهم، وقوميَّاتِهم، ولغَاتِهم، وجنسياتِهم - أمَّةٌ واحِدَةٌ مِن دُونِ النَّاسِ .. أمَّا مكانُها؛ فهي لَا تَعرفُ التقوقعَ والانحباسَ في حدُودٍ جغرافيَّةٍ معينَةٍ .. فهي عابرةٌ للحدُودِ والقَارَّاتِ .. وحيثما يُوجَدُ مسلمُ في الشَّرقِ أو الغَرْبِ، في الشِّمالِ أو الجنُوبِ .. فهو يَنتمي إلى أمَّةِ الإسلامِ الواحِدَةِ، وأمَّةُ الإسلامِ تَنتمِي إليه .. تَألمُ الأمَّةُ لأَلمِه، ويَألمُ لألمِ الأمَّةِ .. إنَّه انتماءٌ مُتبادلٌ مترابطٌ متماسِكٌ .. جَسَدٌ واحِدٌ .. ودِينٌ واحِدٌ .. ورَبٌّ واحِدٌ .. ومَعبودٌ واحِدٌ لا شريكَ لَه.

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

993- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ]؛ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، [إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ]الأنبياء:107. تُخْرِجُ النَّاسَ مِن الشِّرْكِ إلى التَّوحِيدِ، ومِن المعصيةِ إلى الطَّاعَةِ، ومِن ظُلمَةِ الجهلِ إلى نُورِ العِلمِ، ومِن الضَّلالِ إلى الهُدَى، ومِن جَوْرِ الأدْيَانِ إلى عَدْلِ ورَحْمَةِ الإسْلامِ، ومِن ضِيقِ الدُّنيَا إلى سَعَةِ ونَعيمِ الدُّنيَا والآخِرَةِ .. ويَا لها مِن رحمَةٍ .. ومَا أعظَمُها مِن رحمَةٍ لو كانُوا يَعلمُون!

* * * * *

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ

994- [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ]الحج:6. اللهُ تعالى هو الحقُّ، ومِنه الحقُّ، وإليه الحقُّ .. أسماؤه الحُسنى حَقٌّ، وصفاتهُ العُلْيَا حَقٌّ .. مِن أسمائِه الحقُّ .. وهو الربُّ بحقٍّ، والإله بحَقٍّ، لا مَأْلُوهَ ولا مَعبُودَ بحقٍّ إلَّا الحقُّ .. لا يَقولُ إلا حَقّاً .. يحبُّ الحقَّ، ولا يحكمُ ولا يَأمرُ إلا بالحقِّ .. وَعْدُهُ حَقٌّ .. ووعِيدُه حقٌّ .. والرجوعُ إليه حَقٌّ .. وحسابُه لعِبادِه على ما كان منهم مِن عمَلٍ حقٌّ .. فهو الحقُّ، وما سواهُ البَاطِلُ .. وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ "متفق عليه.

* * * * *

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ

995- [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ]؛ على شَكٍّ، ووَجَلٍ، وضَعْفٍ، وعلى وجهِ التَّجْرِيب .. وهو يُؤْثِرُ أن يَبقَى في تدينِه على طَرفِ الدِّين، مِن غيرِ تعمُّقٍ ولا تمكُّنٍ .. حتى إذا وجَدَ مَا لَا يُناسِبَه ولا يُرضيَه سَهُلَ عليه الانسحابُ، والتملُّصُ، والتَّراجعُ، والارتدَادُ عن الدِّين، [فَإِنْ أَصَابَهُ]؛ بسَببِ عِبادَتِه، وتَدَيُّنِه [خَيْرٌ]؛ في نفْسِه، ومَالِه، وأهلِه، وتجارَتِه .. وأَقبلَت عليه الدُّنْيَا بِزُخْرُفِها وزِينَتِها، فَرِحَ، و[اطْمَأَنَّ بِهِ]؛ بالإسلامِ، وبقيَ على تَدَيُنِه، وعبادَتِه التي هي لا تزالُ على حَرفٍ .. وأظهرَ إعجابَهُ بالإسلامِ، وأثنَى عليه خَيراً، [وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ]؛ بلاءٌ وشِدَّةٌ في نفْسِه، ومالِه، وأهْلِه .. ظَنَّ بالإسلامِ سُوءاً، وأثنَى عليه وعلى تعاليمه شَرّاً، وردَّ ما أصَابَهُ مِن بلاءٍ إلى عبادَتِه للهِ، وتَدينِه، وإلى قُربِه مِن الصَّالِحين، [انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ]؛ ارتدَّ عن الإسلامِ إلى الكُفرِ والإلحَادِ .. ظانّاً أنه بذلك يُعاقِبُ الإسلامَ .. وأنَّ في ذلك خلاصَهُ مما نزَلَ به .. وهو

بارتِدَادِه عن الإسْلامِ يخسَرُ ولا يربحُ شَيئاً، ولَا يُعاقِبُ إلا نَفْسَه، [خَسِرَ الدُّنْيَا]؛ فلم يَنكشِفْ عنه البلاءُ، ولم يحصلْ فيها على ما يُريد بسببِ ارتدَادِه عن الدِّين، ولربما تَضَاعفَ عليه ضَنَكُ العَيشِ، [وَالْآخِرَةَ]؛ حيثُ العذَابُ الأَليمُ، والخُلُودُ في نارِ جهنَّم أَبَدَاً، [ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ]الحج:11. الواضحُ والصريحُ، والذي ليسَ بعدَه خُسران .. فهو يُقابِلُ البَلاءَ الذي نزلَ به ـ وهو خُسرَانٌ أَصْغَر ـ بالكُفْرِ، والإلحادِ، والارتدَادِ؛ وهو الخُسرانُ الأكبَرُ .. كالمستجيرِ مِن الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ .. وكالذي يَفرُّ مِن المطَرِ فيقفُ تحتَ المزْرَاب!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

996- [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ]الحج:14. إن اللهَ تعالى يفعلُ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ، وكيفَمَا شَاءَ .. لا يُسألُ عمَّا يَفعلُ .. ولَا رَادَّ لفعلِه ومَشِيئتِه رَادٌّ .. لا يحولُ بينَه وبينَ فعلِه ومَا يُريدُ حائِلٌ .. ولا يُلزَم بفعلٍ دُونَ فِعلٍ .. ولا تُحَدَّدُ له مساحةٌ تنحصرُ فيها أفعَالُه .. كما يَفعلُ ـ قليلُو الأدَبِ معَ اللهِ ـ العلمانيُون والليبراليُون .. فيَحْصرُون أعمالَ اللهِ تعالى في السماءِ دُونَ الأرضِ .. وفي اليومِ الآخِرِ دُون الحياةِ الدنْيَا .. وفي المساجدِ والمعابِدِ دونَ غيرِها مِن بقاعِ الأرضِ .. ويَقولُون ـ بزعمهم كَذِباً وزُوراً ـ هذا للهِ، وهذا لهم ولآلهتِهم .. السماءُ للهِ، والأرضُ لهم .. مَا للهِ، لله، وما لقَيصَر، لقيْصَر .. ومَا كان للهِ يَصلُ إلى قَيصَر، وما كانَ لقيْصَر، لَا يصلُ إلى اللهِ .. سَاءَ مَا يَحْكُمون!

* * * * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ

997- [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ]؛ إخاءٌ، وانسِجَامٌ، وتوافقٌ بينَ جميعِ مخلُوقاتِ الكَوْنِ، السَّماويَّةِ والأرضيَّةِ .. الكلُّ ومِن دُونِ استثناءٍ يَسيرُ ـ في تناغُمٍ عجيبٍ ـ في فلَكِ السُّجُودِ والتَّسبيحِ للهِ عز وجل .. وبصَوتٍ واحِدٍ " سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ "، كما في الحديث:" سُبحَانَ اللهِ وبحَمْدِهِ، فإنَّها صَلاةُ كلِّ شيءٍ، وبِها يُرزَقُ الخَلْقُ ". [وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ]؛ وهم المؤمنون الموحِّدُون؛ فإنَّهم يُشاركون مخلُوقات الكون في السجُودِ والتَّسْبيحِ، ويلتقُون معها في رابطةِ الإيمانِ والتَّوحِيد، [وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ]الحج:18. وهم الكُفَّارُ المشركُون، الملحِدُون، النَّاكِرُون للجميلِ .. فهم وحدهم فقَط ـ مَهمَا كثرُوا ـ الغُرباء الذين يَشذُّون عن هذا النَّسَقِ، والانسِجامِ، والإخاءِ في السُّجودِ، والتَّسْبِيح ...!

* * * * *

وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ

998- [وَمَن يُهِنِ اللَّهُ]؛ فيُذِلُّه، ويُشْقِيه، لسَبَبٍ مِن عندِ المُهَان، وبما كَسَبَت يَدَاه، [فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ]؛ فلو اجتمَعَ الإنْسُ والجنُّ على أن يُعِزُّوه، ويُسْعِدُوه، ويُكْرِمُوه، فلا مُكْرِم له .. فهو يَنتقِلُ مِن شَقَاءٍ إلى شَقاءٍ، ومِن ذُلٍّ إلى ذُلٍّ، ومِن هَوَانٍ إلى هَوانٍ .. وخيَارَاته كلها لا تخرجُ عن دائرةِ الذُّلِّ والشَّقَاءِ، [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ]الحج:18. من الإذْلالِ، والإعْزَازِ، والإكْرَامِ .. يعِزُّ ويُكْرِمُ مَن يَشَاءُ، ويُذِلُّ ويُهِينُ مَن يَشاء .. لا رَادَّ لأمْرِه وقضَائِه!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

999- [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ]الحج:18. الخَلْقُ خَلقُه، والمُلْكُ مُلْكُه، لا يُوجدُ شيءٌ في الوجودِ يَخرجُ عن مُلكِه، وعن كونِه مخلوقاً لله .. لَا شَريكَ له في الخلْقِ والمُلْكِ، يُقاسمُه الخلقَ والمُلْكَ، والتصرفَ في الخلقِ والملكِ .. واللهُ يفعلُ في خلقِه ومُلكِه مَا يَشَاء .. لَا يُعجِزهُ، ولا يَصعبُ عليه شيءٌ، كلُّ شيءٍ عليه هيّن .. لَا يُسألُ عمَّا يَفعل .. ولَا رَادَّ، ولا مانعَ، ولا مُعقّبَ لحكمِه وقضائِه .. رَضِي مَن رَضي، وسَخطَ مَن سَخط .. وأنَّى للمخْلُوقِ المملُوكِ أن يَسألَ خالقَه ومالكَه عمَّا يَفعل، وعمَّا يُريد .. إذَا أرَادَ اللهُ شيئاً في الوجُودِ كان كما أرادَهُ، وفي الزَّمانِ والمكَانِ اللَّذين يُريدهمَا سُبحانَه.

* * * * *

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ

1000- [وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ]الحج:30. قَولُ الزُّورِ مِنه ما هو مُتَعلّقٌ بالناسِ؛ فيُشْهَد على المرْءِ بما ليسَ فِيه .. وعلى الواقعِ بِخلافِه .. وعلى الظَّالمِ بأنَّه مَظلومٌ، وعلى المظلومِ بأنَّه ظالمٌ .. وعلى المُبطِلِ بأنَّهُ مُحِقٌّ، وعلى المحقّ بأنه مُبْطِلٌ!

ومِنه ما هو مُتَعلّقٌ باللهِ عزَّ وجَل، وهو الجانبُ الأشَدّ جرْمَاً ووزْراً؛ فيُنْسَبُ للهِ ـ زُوراً وكَذباً ـ الشّرْكُ، والشَّرِيكُ، والولَد .. ومِنه القولُ على اللهِ بغيرِ عِلمٍ .. وتَحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، وتَحريمِ ما أحَلَّ اللهُ .. ثم يقولون هو من عندِ اللهِ، وما هو من عِندِ اللهِ!

* * * * *

ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ

1001- [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ]؛ الدِّينُ كُلِّه؛ جميعُ التَّعالِيمِ، والشَّرَائِعِ، والأحكامِ التي جاءَ بها الإسلامُ، تَدخلُ في مَعنى شَعَائِرِ اللهِ، وأَعْظَمُ شَعَائِرِ اللهِ التي يجبُ أن يُصرَفَ لها التَّوقِيرُ والتَّعظيمُ؛ أسماءُ اللهِ الحُسْنَى، وصِفَاتُه العُلْيَا، [فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32. فإنَّ تَعظيمَها واحترَامَها علامَةٌ دَالَّةٌ على تَقوَى في القُلُوبِ .. فالتَّعظيمُ لشعائِرِ اللهِ مَبْعَثُهُ تَقْوَى في القَلْبِ .. مَفهومُ المخَالَفَةِ يَقتَضِي أنَّ مَن لم يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ؛ كان ذلك علامةً على انتِفَاءِ التَّقْوَى مِن قَلْبِه .. ومِمَّا يُستفادُ مِن الآيةِ أنَّ الظَاهِرَ بَرِيدُ البَاطِنِ، ودَليلٌ عليه.

1002- [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32. جميعُ فرائضِ الإيمانِ، والإسلامِ مِن شَعائِرِ الله، وتَعظيمُها وتوقيرُها فرضٌ، وصِفَةُ تَعظِيمها، كل ما قضَى به النقلُ والعُرفُ بأنه تَعظيمٌ، وتَوقِيرٌ فهو تعظيمٌ مَشرُوع، فليسَ للتَّعظيمِ صفة ثابتة لا يجوزُ تجاوزُها، فالزَّمانُ، والعُرفُ السائدُ في بَلدٍ من البلدانِ، ولشعبٍ مِن الشُّعوبِ، دَورٌ في تحديدِ معنى التَّعظيمِ والتَّوقِير، ومَا يدخلُ في معنَى التَّعظيم المشرُوع؛ شَريطة أن لا يتَّصفَ هذا التعظيم بمحظورٍ شَرعيٍّ، أو يُؤدِّي إلى محظُورٍ؛ كالشرك، والتَّبذيرِ، والإسرَافِ، ونحو ذلك مما نصَّ الشارعُ على حرمَتِه .. وبالتَّالي يمكنُ القول: بأن جميعَ صوَر التَّعظيمِ والتوقيرِ، والاحترامِ مُباحةٌ ما لم يرِدْ نصٌّ يُفيد التَّحريمَ والحظْرَ .. وكان مِن الصحابَةِ مَن يضَعُ القُرآن على وجهِهِ ويقولُ:" إنه كلامُ ربِّي، إنه كلامُ ربي ". فهذا الفعلُ في نظر الصحابي يَدخلُ في معنى التَّعظِيم والتَّوقير، وإلا لما فعلَ ذلك .. ونحوه تَقبيلُ القرآن .. وتكبيرُ خطِّه عِند الطباعَةِ .. ووضعُه في البيتِ في موضعٍ مرتفعٍ يُصان فيه

عن صُور الامتهان .. وكان مِن السَّلَف مَن إذَا ذُكِر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أمامه، يَتغيّر لونُه، ويَشتدُّ بُكاؤه، ويَنحني حتَّى يَصعبَ ذلك على جُلسَائِه .. وإذا ما قِيل له: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، يخفِضُ مِن صَوتِه .. وقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمعَ صوتَ رجُلَين في مَسجدِ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد ارتفَعَت أصواتُهمَا، فجاءَ فقال: أتَدْرِيَان أينَ أنتُمَا ...؟!". فهذه الصورُ مِن التَّعظيمِ والتَّوقِير، ونحوها، كلها مُباحَةٌ ومُستحَبَّةٌ، وتَدخلُ دخُولاً كليَّاً في المرادِ من الآيةِ الكريمة أعلاه:[ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32.

* * * * *

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ

1003- [فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ]الحج:36. وهذا يَشملُ جميعَ مَا يُذبحُ للهِ، الأضحيَةُ، والعَقِيقَةُ، والنَّذْرُ .. فصاحِبُها يأكلُ مِنها إن شَاءَ، ويُطعمُ مِنهَا الفُقَراءَ، والمساكِينَ، على وجهِ الوجُوبِ، ومَا يُطعمُه للفقراءِ والمساكِين لَا ينبغي أن يَقِلَّ عن ثُلثِ الأُضحيَةِ .. والقَانعُ، هو المتعفِّفُ الذي يَسْتَشْرِفُ العطَاءَ مِن غَيرِ سُؤالٍ، فنفْسُه تأبَى عليه أن يَسْأَلَ، معَ وجُودِ الحَاجَةِ .. والمعتَّرُ، هو مَن تَقهرُه الحاجَةُ، فيَسْأَلُ، ويمدُّ يَدَه.

* * * * *

وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ

1004- [لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ]الحج:37. جَميعُ الطَّاعاتِ الظَّاهِرَةِ لن يَصِلَ إلى اللهِ منها شَيء .. اللهُ تعالى غَنيٌّ عَنها .. وعَن جميعِ عِبادِه .. إنما يَصِلُه مِنَ العَمَلِ الإخْلَاصُ، وتَقْوَى القُلُوبِ.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا

1005- [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا]الحج:38. ضدَّ من يُعادِيهم مِن الظَّالمين، والكافرين، والمشركين .. ضدَّ شياطين الإنسِ والجنِّ .. كيفَ يُدافعُ اللهُ عنهم .. ومتى يُدافعُ عنهم .. وأينَ .. وما هي الوسَائلُ، والجنودُ التي يُسخرُها في الدِّفاعِ عنهم .. وكم يَدفَعُ عنهم من الشَّرِّ والعُدوَان .. قد يتكشَّفُ لنا من ذلك القَليلُ .. والكثيرُ من ذلك لا يعلمُه إلا اللهُ .. لكن اليَقين الذي لا يجوزُ أن يعتريَه الشَّكُّ هو [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا]. هذا اليقين والشُّعور به مهم جداً في عمليَّةِ التدافُع والصراعِ بين الحقِّ والباطلِ .. يُضفِي على المؤمنين شُعوراً بالنَّشوةِ والانتصارِ قبل أن يخوضُوا المعركةَ .. وهم يخوضُون المعركة .. كما يُضفِي عليهم شُعوراً بالأمنِ والأمانِ .. ولمَ لا .. واللهُ معهم، ويُدافعُ عنهم!

* * * * *

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ

1006- [الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ]الحج:40. هذا النَّوع من التَّهجير القَسْرِي؛ مِن أجلِ الانتماءِ إلى الدِّينِ، والإيمانِ، والتَّوحِيد .. كان، ولا يزالُ قائماً .. وهو موجودٌ وجُودَ الحقِّ والباطِلِ، ووجودَ التَّوحِيدِ والشِّركِ .. تُمارِسُه قوى الكُفرِ، والإلحَادِ، والزَّندقَةِ، ضدَّ عِبادِ اللهِ المسلمين الموحِّدين، في كثيرٍ من الأقطَارِ، والأمصَارِ، ولا بَواكي لهم في محافِلِ الأمَمِ .. لَا لشيءٍ؛ سوى أنَّهم مُسلمون، يَعبدُون اللهَ تعالى، ويُوحِّدُونَه، ولَا يُشركُون به شَيئاً .. لأنَّهم أبَوا أن يَعبدُوا الطَّاغُوتَ، ويَدخلُوا في طاعتِه، ويتخذُوا معَ اللهِ آلهةً أُخرى .. وهي أشدُّ أنواعِ التَّهجيرِ التَّعسُّفي والقَسْرِي إيلاماً،

وظُلماً .. وهو مِن جملةِ الأغراضِ التي جاءَ الجهادُ في الإسلامِ لدفْعِها، والمنع مِن حصُولها، وتكرَارِها!

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

1007-[وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً]الحج:40. مِن الأهدافِ الأولى التي يَسعَى لها الكافرُون، المجرمُون ـ مِن كلِّ حربٍ يخوضُونها ـ استهدافُ المسَاجِدِ، والمعَابِدِ التي يُذكَر فيها اسمُ اللهِ .. بالهدْمِ والتَّدميرِ، والتَّخرِيب .. وقولُه:[لَّهُدِّمَتْ]؛ صيغةٌ تُفيدُ التَّكثِير، أي يُعاودُون هَدْمِ المسَاجِدِ والمعابدِ مرَّةً بعدَ مَرَّة .. وكلما بُنِيَت المساجدُ والمعابدُ مِن جَديدٍ، عادُوا إلى تَدميرِها وهَدْمِها، وإعاثَةِ الفسَادِ والخرَابِ فيها مِن جَديد .. مَا دَامُوا قادِرِين على فِعلِ ذلك .. وهَذا سَببٌ من جملةِ أسبَابِ التدافُعِ بينَ الحقِّ والبَاطِلِ .. ومِن جملةِ الأسبابِ التي شَرع اللهُ لأجلِها الجهادَ، والقِتَالَ .. فيَدفعُ بالحقِّ وأهلِه شرَّ وباطِلَ وإجرامَ الكافِرِين المجرِمين عَن بيوتِ الله .. وعن عِبادِ الله .. ومِن المسَاجِدِ التي تُعاني كَثيراً مِن فَسَادِ وخرَابِ وعدوانِ المفسِدين المجرمِين، الظالمين، المسجدُ الأقصَى المبارَك في فلسطين، على يَدِ الصَّهاينَةِ اليَهود .. والمسْجِدُ الأمَوِي في دِمشق، على يَدِ الشيعةِ الرَّوافض!

وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ

1008-[وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ]الحج:40. كلُّ مَن جمعَ في جهادِه بينَ الإخْلاصِ، والموافقةِ للشرعِ المنزَّلِ، والإعدَادِ لمواجهةِ الأعداءِ قَدْرَ المستَطَاع .. فهو ممَّن يجاهدُون في سبيلِ الله، وممَّن يَنصرُون اللهَ تعالى .. واللهُ تعالى قد

تكفَّلَ بنصْرِه، [إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ]؛ على نَصْرِه، [عَزِيزٌ]؛ لَا رَادَّ، ولا مَانِعَ، ولَا مُعَارِضَ، لأمْرِه.

* * * * *

الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

1009- [الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ]الحج:41. لو عَلِمَ اللهُ صِدقنا في تنفيذِ شرطِ الوعد بالتمكين:[أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ]، لحقَّق لنا الوعدَ بالتّمكين، لا محالَة:[إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ]. لكن لا تزالُ النَّوايا زايغة .. إذْ كثير منا يجد في نفسه حرَجاً من دينِ الله، أو من بعض ما أنزل الله!

* * * * *

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

1010- [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ]؛ عَن رُؤيةِ الأشْيَاءِ، [وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46. عَن رُؤيةِ حَقِيقَةِ الأشْياءِ، الدَّالَّةِ على أنَّ اللهَ تعَالى حَقٌّ .. وأنَّ القُرآنَ حَقٌّ .. وأن لَا مَعبُودَ بحقٍّ في الوجُودِ إلَّا الله.

1011- [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ]؛ عَن رُؤيةِ الأجسَامِ، والصُّوَرِ، [وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46. عَن رُؤيَةِ الحقِّ، والحقَائِقِ، والمعَانِي الإيمانيَّةِ.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

1012- [يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ المخَاطِبُ هو اللهُ تعالى؛ خالِقُ الخلْقِ، ورَبُّ العالمين، والمخاطَب هم الناسُ؛ كُلُّ الناسِ؛ مُؤمنهم وكافِرُهم، المؤمنُ يزدَادُ بهذا المثَل إيمانَاً، ويَقيناً بأنَّ اللهَ تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ، والكافرُ تَزدَادُ عليه الحجَّةِ بهذا المثَلِ، على بيانِ بُطلان مَا هو عليه مِن الكُفْرِ والشِّرْكِ، وعِبادَةِ الأوثَانِ والطَّواغِيت، [ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ]؛ بعقُولِكُم وقلُوبِكم لعَلَّكم تَفقَهُون المرَاد .. لأن مجرَّدَ سمَاع الآذَان مِن دُون سَماعِ القَلبِ والعقلِ؛ لا يُؤدِّي إلى فقْهِ الخِطَاب ومن ثمَّ الإلتزَام به، [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]؛ تَعبدُون مِن دُونِ اللهِ مِن الأصنَامِ، والطواغِيت، وتتوجَّهُون لهم بالعبادَةِ والطَّاعَةِ مِن دُونِ اللهِ، [لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ]؛ لَن يَستطيعُوا أن يخلقوا ذُبابةً واحِدَةً؛ وهي مِن أضأَلِ مخلوقاتِ اللهِ، ولو اجتمعَ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيَّاً على أن يخلقُوا هذه الذُّبابَةِ لما استَطَاعُوا .. وإذا كانُوا بهذا العَجْزِ والضَّعْفِ كيف يَليقُ بكم أن تتوجَّهُوا لهم بالعبادَةِ، وتَعبدوهم مِن دُونِ اللهِ؟! فالمعبُودُ الذي يَستحقُّ أن يُعبَد هو الإله القَادِرُ على أن يخلقَ الأشيَاءَ مِن عَدَمٍ، وهذا مَالا يَقدرُ عليه إلا اللهُ، [وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ]؛ وهم ليسُوا فقَط لَا يَستطيعُون أن يخلقُوا ذُبَابَةً واحِدة، بَل لو غَطَّتْ عليهم الذُّبابةُ ثم أخذَت مِنهم شَيئاً، لَا يَستطيعون أن يَستردُّوا ما أَخَذَت، وهذا يدلُّ على التَّنَاهِي في العَجْزِ والضَّعْفِ .. ومَن كان بهذا الوَصْفِ، كيف تَعبدونَه مِن دُونِ اللهِ؟! [ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ]الحج:73. ضَعُفَت الأصنامُ والطواغِيتُ؛ وهم الطَّالِبُ، عن استنقاذِ ما سَلَبَتهُم الذُّبَابَةُ إيَّاه؛ وهو المطْلُوب!

* * * * *

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

1013- [مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]؛ مَا عرَفُوا اللهَ حقَّ المعْرِفَةِ .. ومَا صَرَفُوا له ما يَستحقُّ مِن التَّعظِيمِ، والتَّوقِيرِ، والإجْلالِ، والتَّوحِيدِ، لَمَّا أعرَضَ هؤلاءِ الكفارِ عن تَوقِيرِهِ، وعبادَتِه وتَوحيدِهِ إلى عبادَةِ غيرِه .. لَمَّا عبَدُوا المخلوقَ الضعيفَ العاجِزَ عن أن يخلقَ شَيئاً، وأعرَضُوا عن الإلهِ المعبُودِ بحقٍّ .. أعرَضَوا عن الخالِقِ، القويِّ، العَزيزِ، القَادِرِ على كلِّ شَيءٍ، [إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ]الحج:74.

* * * * *

وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

1014- [وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]الحج:77. الخيرُ؛ هو كلُّ مَا يُرضِي اللهَ تعالى ويحبُّه مِن قَولٍ أو عَمَلٍ، كان ظَاهِراً أم باطِناً .. ومَا سواه فهو شَرٌّ لَا خَيرَ فِيه .. هَذا هو الميزَانُ ـ وليسَ سِواه ـ الذي إليه تُرَدُّ معاني الخَيرِ والشَّرِّ .. ويُعرَفُ الخيرُ مِن الشَرِّ .. ويُحكَم على الأشياءِ والأعمَالِ بأنَّها خَيرٌ أو شَرٌّ.

* * * * *

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

1015- [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ]الحج:78. إفْرَاغُ الجهْدِ .. ونِهايَةُ حُدُودِ الاستِطَاعَةِ ـ قلَّت أم كَثُرَت ـ ثم بَعدَ ذلك يَتَنَزَّلُ نَصْرُ اللهُ.

* * * * *

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

1016- [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ]الحج:78. حَيثُما يُوجَدُ الحَرَجُ؛ فهو ليسَ مِن دِينِ اللهِ .. وحَيْثُما يُوجَدُ الحرَجُ؛ أعقَبَهُ التَّيْسِيرُ والتَّسْهِيل.

* * * * *

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ

1017-[وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ]؛ بالقَدْرِ الذي تَنتَفعُ به الأرضُ، ومَا فِيها، ومَا يَدبُّ عليها من مخلُوقَاتٍ، [فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ]؛ على ثلاثَةِ أقسَامٍ نافِعةٍ: قسمٌ أَسكنَه أجوافَ المخلوقَات على اختِلافِ تَنوعها، فأحيَاها به، وقِسمٌ جَارٍ كالأنهارِ، تَنتفعُ بها المخلُوقات، بأقلِّ جَهد، وفي كثيرٍ مِن الأحيانِ بلا جَهدٍ مِنها، وقِسمٌ أسكنَه في جَوفِ الأرضِ وباطِنِها، نكَزَّانَات مَاءٍ، يُطلَبُ عند الجفَافِ، والحَاجَةِ، بواسِطَةِ الآبَارِ، [وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ]المؤمنون:18. هذا الماءُ الذي تَتوقَّفُ حياةُ جميعِ المخلُوقَاتِ الأرضيَّةِ عليه، فاللهُ تعالى هو الذي أنزَلَه مِن السَّماءِ، وكما هو قَادِرٌ على إنزَالِه، فهو قَادرٌ على إمسَاكِه ومَنعِه عن الأرضِ وأهلِهَا، والذَّهابِ به مذَاهِبَ عِدَّةٍ إن شَاءَ .. وهو مَا يُوجِبُ ويُحتِّمُ على الإنسانِ أن يشكرَ خالقَه على هذه النِّعمَةِ العظيمَةِ التي لَا يُعرَفُ قَدْرُها وفَضلُها كما يَنبغي إلَّا بعدَ فِقْدَانِها!

* * * * *

أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

1018-[أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]المؤمنون:61. يُسَارِعُون في اغتِنَامِ واقتِنَاصِ فُرَصِ فِعْلِ الخيرِ قبلَ أن تُغْلَقَ دُونَهم.

* * * * *

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

1019-[وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ]المؤمنون:71. لأنَّ الأهواءَ والرَّغبَاتِ لا تَقفُ عِندَ حَدٍّ مُعَينٍ مِن الانْحرافِ، والشُّذُوذِ .. ومَهْمَا ارتَوت تَطلُب المزيدَ؛ كَمَن يَروي ظَمَأَهُ مِن ماءِ البحرِ المالِح .. ولو طاوَعَها الحقُّ المنزَّلُ على ما تُريدُ لَمَا بقي مِن معالِمِ الشريعةِ شيءٌ ثابِت، ولأصبَحَ الحلالُ حراماً، والحرامُ حَلالاً .. والمعروفُ مُنكراً، والمنكرُ مَعروفاً .. والحقُّ باطلاً، والباطلُ حَقاً .. والذي يُمدَح ويُطلَبُ اليومَ يُذمُّ غداً، والذي يُذَم غَدا، يُمدَحُ ويُطلَبُ بعدَ غَدٍ .. وفي ذلك فسَادٌ عَرِيضٌ .. وهلاكٌ للنَّاسِ .. بل وفسَادٌ لنظامِ الكونِ كُلِّه .. ولما اتَّبعَت الكنيسةُ أهواءَ النَّاسِ، ورغباتِهم .. وطَوَّعَ الأحبارُ والرهبانُ الدينَ لأهواءِ ورغباتِ النَّاسِ؛ فأحَلُّوا لهم الحرامَ، وحرموا عليهم الحَلالَ .. بلغوا من الانحرافِ والشُّذُوذِ والفسوقِ مبلغاً لم يُعرَف مِن قَبل .. إلى درجةٍ أصبحت كنائِسُهم موطناً للعَقْدِ والتزَاوجِ بين اللُّوطِيين " المثليين " .. والشُّذُوذُ مستمرٌ وفي اتِّساعٍ، لا يُعرَف له مُنْتَهى يقِفُ عِندَه؛ لأن الأهواءَ والرَّغباتِ إن تفلَّتَت من لجامِ الحقِّ المنزَّلِ، لا تَعرفُ حَداً تَقفُ عِندَه .. فهي في تَحْدِيثٍ مُستمرٍّ .. وفي ذلك عِظةٌ وعبرةٌ للعلماءِ من أتباعِ الحقِّ المنزَّل " القرآن الكريم "، أن يَثبتُوا على الحقِّ المنزَّلِ .. وأن لا يُطاوعُوا الناسَ على أهوائِهم ورغباتِهم، بغيرِ سُلطانٍ مِن اللهِ .. فيَضلُّوا ويُضِلُّوا .. ويَهلَكُوا، ويُهلِكُوا .. ولَن يَضرُّوا الحقَّ شَيئاً.

* * * * *

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ

1020-[بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ]؛ بالقرآنِ الكريمِ الذي يُديمُ ذِكْرَهم بالخيرِ، ويُعِزَّهُم، ويُعْلي مِن شَأنِهم ومجدِهم، ومَكانتِهم، في الدُّنْيا والآخِرَةِ، إن آمَنُوا وعمِلُوا به، [

فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ]المؤمنون:71. لكن الكفارَ والمشركين عن هذا الخيرِ كُلِّهِ مُعرِضُون، وزاهِدُون!

وفيهِ أنَّ المرءَ على قَدْرِ إقبالِه على القُرآنِ الكريم؛ تِلاوَةً، وتَدَبُّراً، وفهماً، وعملاً، على قَدْرِ ما يُعلي اللهُ تعالى ذِكْرَه في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

1021- وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:75-76. وهؤلاء من ذوي الكفرِ والعَمَى المغلَّظين؛ فلو أُخِذوا بالعَذابِ، وشِدّة البلاءِ، لا يتوبون، ولا يَعودون إلى ربِّهم، وإلى رشدِهم .. ولو رُفِع عنهم العَذابُ والبَلاءُ، لا يَشكرون، بل سُرعان ما يَنسون، ويَعودون إلى ما كانوا عليه من الخطَايا؛ ليزدادوا كُفراً، وطُغياناً، وفساداً، كأنهم لم يُبتَلوا من قبل .. وما أكثر هذا النموذَج في زماننا!

هذه الآيات وإن قِيلت في الكافِرين إلا أنَّها تُحْمَل على العُصَاةِ من المسلمين؛ الذين لم يتَّعظوا مما نزلَ بهم من بَلاءٍ، ولو خرجوا منه لعادوا لما كانوا عليه من الإثم، والفسادِ، والظلمِ، والإنحراف، ولربما أشد ...!

* * * * *

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ

1022- [وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76. رغْمَ أنَّ فاتُورةَ الظلمِ تتضاعَفُ .. وتَشتَدُّ تكَاليفُها .. فإنَّ الظَّالمين لا

يتَّعظُون .. ولا يتُوبُون، ولَا يَرجعُون إلى رَبِّهم .. فهم يَستمِرُّون في ظُلْمِهم، وبَغْيِهم، وعُدْوانِهم .. وكأنَّهم لم يُؤخَذُوا بالعَذَابِ!

1023- الطُّغاةُ الظّالمون كُلَّما أُخِذُوا بالعَذَابِ، وزِيْدُوا شِدَّةً وعَذَاباً، ازدَادُوا طُغياناً وغَيَّاً، وكُفْراً .. [وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ]؛ تأدِيباً لهم ليتوَقَّفُوا عن ظُلمِهم وغَيِّهم، [فَمَا اسْتَكَانُوا]؛ لِكِبْرِهم وتَعَالِيهم على الحقِّ، فَمَا تَوَاضَعُوا، وخَضَعُوا، [لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76. ومَا رَغبُوا بالدُّعَاءِ إلى رَبِّهم ليكشِفَ عنهم العَذَابَ .. فالكِبرُ يتملَّكُهم، ويَصدُّهُم عن ذلك؟!

* * * * *

وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ

1024- [وَهُوَ يُجِيرُ]؛ لِكمالِ قُوَّتِه، وقُدْرَتِه، وعِزَّتِه، وعُلُوِّ وجَلالِ أسمائِه وصِفَاتِه .. فهو القَادِرُ على أن يحمِيَ مَن يَلُوذُ ويحتَمِي بِه، ويَطلُبُ جوارَه .. فيُجِيرهُ ويحميه مِن كُلِّ شَرٍّ، وطَالِبٍ؛ مهمَا كانَ الطَّالِبُ له قَوِيَّاً، وجَبَّاراً، [وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ]المؤمنون:88. لا يُوجَدُ مخلوقٌ - أيَّاً كانت صِفَتُه، ومَهمَا كان قَوِيَّاً - يمكنُ أن يُجيرَ ويحمي مَن يُريدُه اللهُ تعالى بِشَيءٍ، أو بِشَرٍّ أو ضُرٍّ .. فهو سُبحانه يُستَعَاذُ به مِن شَرِّ ما خَلَقَ، ولا يُستعَاذُ بمخلُوقٍ مِنْهُ .. وفي الحديث:" ألِظُّوا بيا ذَا الجَلَالِ والإكْرَام ". أي لوذُوا، والجَأُوا، والزَمُوا، وأكثِرُوا مِن هَذا الذِّكْرِ والدُّعاءِ " يَا ذَا الجَلَالِ والإكْرَام ". ومَن لَزِم ولَاذَ بيَا ذَا الجَلَالِ والإكْرَام، مَن ذَا الذي يَقْوَى عَليه ...؟!

* * * * *

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ

1025- [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ]؛ ادْفَعْ السَّيئةَ بالحسَنَةِ .. والشرَّ بالخيرِ .. والباطِلَ بالحقِّ .. والجهْلَ بالعِلْمِ .. والفُحْشَ والفجُورَ في القَولِ، بالقَولِ الحسَنِ .. والخلُقَ الرَّدِيَّ بالخلُقِ الرَّفيعِ .. وهذه صِفةٌ نبيلةٌ لَا يَقدرُ عليها إلَّا مَن كظَمَ غَيظَه في اللهِ، وهو قادرٌ على أن ينفذَه، [نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ]المؤمنون:96. أعلمُ بهم وبمقالاتِهم الباطِلَةِ والسيئةِ التي تَصِفُ الحقَّ وأهلَه كذباً وزُوراً بالقولِ السَّيءِ والباطِلِ .. وإنَّا لمجازُوهم على مَا يَقُولُون ويَفعَلُون .. وهذه الآيةُ الكريمةُ وإن كانَ العمَلُ بها منسُوخاً في حالِ التعامُلِ مع العدُوِّ الكافِرِ المحارِبِ ـ كما يَقولُ بَعضُ أهلِ العِلمِ ـ إلا أنَّ العمَلَ بها معَ مَن لا يجبُ قتالُهم من المخالِفين مِن أهلِ القِبْلةِ وغيرِهم، غيرُ مَنْسُوخٍ .. والعملُ بها باقٍ ما بقيَت الحسَنَةُ والسيئةُ .. وبقي الحسَنُ والسَّيءُ.

* * * * *

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ

1026- [حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ]المؤمنون:99-100. الكافرُ لِمَا يَرَى يومَ القيامةِ مِن مَشاهِدِ الخزْيِ والعذَابِ يتمَنَّى لو أنَّه يَستطيعُ أن يَعودَ إلى الدُّنيا؛ ليؤمِنَ ويعمَلَ عمَلاً صالحاً، ويستدرِكَ مَا فاتَه مِن الإيمانِ والعمَلِ، لينجُو مِن عذَابِ يومئذٍ .. والمؤمنُ لِمَا يَرى مِن مشَاهِدِ النَّعيمِ والكرَامَةِ والجِنَانِ، يتمَنَّى لو أنَّه يَستطيعُ أن يعودَ إلى الدُّنيا؛ ليَستزِيدَ مِن العمَلِ الصَّالحِ، ليعظُمَ له الأجرُ، وتَعظُمَ له المثوبَةُ والمقاماتُ العُلا .. والفَرْقُ بينَ الأمنِيَتَينِ عَظِيمٌ .. وهَا أنتَ يا ابنَ آدَم ـ يا مَن تَقْرَأُ هذهِ الكلمات ـ لا تَزالُ في الحياةِ الدُّنيَا .. والفُرصَةُ لا تزالُ مُتَاحَةً لَك .. ومَعْرُوضَةً عَليك .. فاغْتَنِمْهَا قَبلَ فَواتِ الأَوانِ .. وقبل أن تَقولَ عند الغَرْغَرَةِ، واقتِرَابِ الأجَلِ:[ارْجِعُونِ]، فيَقَعُ النَّدَمُ، ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ

1027-[فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ]المؤمنون:101. فإذَا نُفِخَ في القَرْنِ، وبُعِثَ مَن في القُبورِ ليومِ الحِسَابِ .. تَنْقَطِعُ بينهم جميعُ الأوَاصِرِ، والروابِطِ، والأنسَابِ؛ روابطُ وأنسَابُ القَرَابَةِ والرَّحِم، وروابطُ وأنسَابُ القَبائلِ والعَشَائِرِ، والانتماءَات الوطنيَّةِ، والقِطْرِيَّةِ، والقَوْميَّةِ، والحِزبيّةِ، وغيرها .. فلَا يَنتفعُ وضِيعٌ بشريفٍ .. ولَا قَريبٌ بقَرِيب .. ولا فقيرٌ بغَني .. ولا طَالحٌ بصالحٍ .. كما كانُوا ينتفعُون في الحياةِ الدُّنيا .. ولهوْلِ الموقفِ يَومئذٍ لَا أَحَدٌ يَسألُ عن أحَدٍ، ولَا قَرِيبٌ يَسألُ عن قَرِيبٍ .. ولا حميمٌ وصديقٌ يَسألُ عن حميمٍ وصَدِيقٍ .. أو يَلتفتُ إليه، أو يهتمُّ به .. كما كانوا يفعلُون في الحياةِ الدُّنيَا .. كلٌّ له في نَفسِهِ مَشْغَلَة عن الآخَر .. يرجُو النَّجاةَ لنفسِه أوَّلاً!

* * * * *

رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا

1028-[رَبَّنَا آمَنَّا]؛ صَدَّقْنَا، وأَطَعْنَا، واتَبَعْنَا الرَّسُولَ، [فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ]المؤمنون:109.

* * * * *

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً

1029-[أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً] هَمَلاً من غيرِ أمرٍ، ولا نهي، ولا تكليفٍ نتعبّدكم به [وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] فتُحَاسَبون على ما كان منكم من عمل [فَتَعَالَى اللهُ] تَنزّه وتَعَاظَم، وتقَدَّسَ اللهُ عن هذا العَيبِ والنَّقص، وعن كلِّ عَيبٍ [الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ]المؤمنون:115-116.

* * * * *

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً

1030- [لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً]النور:12. وإن كان لهذهِ الآيةِ الكريمةِ مُناسَبَة .. لكن يُمكن الاستفادَةُ منها، وتَعميمُها على كلِّ مناسَبَةٍ أو حَدَثٍ يحملُ المؤمنين والمؤمنات على أن يَظنُّوا بأنفُسِهم شَرّاً .. فالعِبرةُ بعمومِ اللَّفظ، لا بخصُوصِ السَّبَب .. كم من رَجُلٍ صَالِحٍ؛ له سابقةُ عِلمٍ وبلاءٍ وجِهادٍ .. يَرِدُ موردِاً مُتَشَابهاً للبعضِ .. أو يقولُ كلمةً مُتشابهةً على البَعضِ .. فيخوضُ فيه الخائضُون بين التَّفْسيقِ، والتَّضليلِ، والتَّخوين .. وأحسَنُهم الذي يتوقَّفُ عن الخَوضِ .. تَاركاً مَسَاحةً لاحتمَالِ صحَّةِ خَوضِ الخائضين فِيما يخوضُون فيه!

موقفٌ يحتملُ مِن وجْهٍ ظنَّ الحَسَن .. ومِن وجهٍ آخَر يحتَمِلُ ظَنَّ السّوء .. فيُسَارِعُون إلى تَقديمِ ظَنِّ السّوءِ على الظَّنِّ الحَسَن .. ويُرتِّبُون عليه جَرْحاً وتَعديلاً!

كلمةُ قَذْفٍ تَصدُرُ عَن فاسِقٍ؛ يَرمي بها المؤمنين الصَّالحين .. فيتَنَاولها الناسُ مُباشرةً في مجالسِهم ومنتدياتِهم .. على أنَّها صِدْقٌ .. وأنها الحقيقَةُ التي ما بَعدَها إلا الضَّلال .. ومِن دونِ أن يُكلِّفُوا أنفسَهم عَناءَ التَّبينِ والتَّثَبُّتِ مما يُشيعُه الفسَّاقُ عن عِبادِ اللهِ المؤمنين!

مَا ضَرَّ هؤلاء لو ظَنُّوا بالمؤمنين والمؤمناتِ خَيراً .. وقَدَّمُوا ظنَّ الحسَنِ على ظنِّ السّوءِ .. والتَّفسيرَ الحسَن على التَّفسيرِ السُّوء؟!

ما ضَرَّ هؤلاءِ لو تَبيَّنُوا وتَثَبَّتُوا قبلَ أن يُصَدِّقُوا .. ويتَناقَلوا .. وينْقلُوا .. ما يُشيعُه الفسّاقُ والمنافقُون عن عبادِ اللهِ المؤمنين الصَّالحين، عملاً بقولِه تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]الحجرات:6.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا

1031-[إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]النور:19. لا يَرضَى الكفارُ، ولا يَهدَأ لهم بَالٌ، ولا يَهنأ لهم عَيْشٌ، أن تَبْقَى الفَواحِشُ والمنكَرات حَبيسةَ حياتِهم الخاصَّةِ والعَامَّةِ .. حتى تَنْتقلَ - عَدْوَى الفواحش - إلى المؤمنين؛ فتَشيع الفَاحِشةُ في جميع مرافقِ حياتِهم، إلى أنْ تدخلَ مساجِدَهم؛ أشَدّ الحصُونِ تحصُّناً ضِدَّ الفواحِشِ والمنكَرات .. ولا يَقبلون بأقلّ من ذلك .. كما أُعْلِن في بعضِ الدول الأجنبيَّةِ عن بعضِ المساجِدِ التي رَفعت رَاياتِ اللواطةِ والمثْليَّةِ والعياذُ بالله .. آملين - مع الضَّغطِ والدِّعايةِ المكثَّفةِ - أن تنتقلَ هذه العادةُ الخبيثةُ إلى بقيَّةِ المساجِدِ، وفي بلادِ المسلمين .. والمساجِدُ التي تَرفعُ تلك الرَّاياتِ تَدخلُ في خانَةِ وطابُورِ " مساجد ضِرَار " التي يجبُ اعتزالها .. والإسراعُ في الخُطَا عند المرورِ من جِوارها !..

وهم يَحرِصُون هذا الحرصِ الشَّديدِ على أن تشيعَ الفاحِشةُ في الذين آمَنُوا، ويُنفقونَ في سَبيلِ ذلك الأموالَ الطَّائلةِ .. وأحياناً يجعلونَ الموافقةَ عليها شَرطاً لمضي كثيرٍ من الاتِّفاقيات والعُقُود السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ .. ليصدُّوا المؤمنين عن دِينِهم، ولِعلْمِهم بأثَرِ الفَواحِشِ الفَتَّاك على إيمانِ المؤمنين .. وهو آخَرُ ما تَبَقَّى مِن أسْلحتِهم في مواجَهةِ إيمانِ المؤمنين .. صدق الله العظيم:[وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء]النساء:89.

1032-[إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا]؛ عَن طَرِيقَين: طَرِيقُ تَيسِيرِ الفَوَاحِشِ لهم، ونَشْرِهَا أمَامَهم، وتَزْيينِهَا، وتَرْغِيبِهم بها؛ ليَقَعُوا فِيها، وفي آثارِها .. وطَرِيقُ التَّجَسُّسِ عليهم، وعلى عَوْرَاتِهم، وكَشْفِ المخبُوءِ والمسْتُورِ مِن حيَاتِهم؛ ليُشَهِّرُوا بِهم، وَيَشْمَتُوا، ويُشَمِّتُوا النَّاسَ بِهم .. أولئك:[لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

]النور:19. عَن عبدِ الرحمنِ بن عوف رضي الله عنه، قال:" مَن سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَفْشَاهَا، فهو كالَّذِي أَتَاهَا ". أي في الإِثْمِ. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" القَائِلُ الفَاحِشَة، والذي يَشِيعُ بها، في الإثمِ سَوَاء ". وقال ابنُ عِيَاض:" إنَّ الفَاحِشَةَ لَتَشِيعُ في الذين آمَنُوا، حتَّى إذا بَلَغَت إلى الصَّالِحِين كانُوا خُزَّانَها ".

* * * * *

وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء

1033- [وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء]؛ فإنَّ الشيطانَ يأمرُ بتركِ الزواجِ الشَّرعي، وتأخِيرِه، وتَعْسيرِه، والتنْفيرِ منه .. والتَّشَدُّدِ فيه .. والاستِعَاضَةِ عنه بالعَلاقَاتِ والممَارَساتِ الجِنسيَّةِ خارِجِ عِشِّ الزَّوجيَّةِ، والحياةِ الزوجيَّةِ .. فالفَاحِشَةُ لا تَنتشرُ كما تَنتشرُ عند العزُوفِ عنِ الزَّواجِ، وتَأخِيرِه؛ من الطَّرفين: الذُّكُور والإنَاث، [وَالْمُنكَرِ]النور:21. وهو كل مَا خالفَ وضادَّ المعرُوف.

1034- [وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ]النور:21. [وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ]؛ لَن يقتصرَ انحرافُه على الوقوعِ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. فالشيطانُ لا يقبلُ منه أن يقفَ عندَ هذا القَدْرِ من المتابعَةِ والانحرَافِ .. فهو لا يَرضَى ولا يكفُّ عنه، إلَّا أن يصبحَ هو ذَاتُه مِن حِزبِ الشَّيطانِ، ومِن الدُّعاةِ إلى حزبِ الشَّيطانِ، يأمرُ بما يأمرُ به الشّيطانُ؛ [بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ]!

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً

1035- [وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ]النور:21. العَاصِمُ مِن الذُّنُوبِ والمعَاصِي هو اللهُ تعالى وحده .. والفَضْلُ

فِيمَا أنتَ فيه من الإيمانِ، والخيرِ، والاستقامَةِ للهِ تعالى وحده .. فحَذَارِ أن تَسْتَعْلِي به على العِبَادِ .. أو يحمِلُك على أن تُزَكِّي نفْسَكَ على اللهِ .. أو أن يأخُذَكَ العُجْبُ، فتُرَدّ الفضْلَ فِيمَا أنتَ فيه من إيمانٍ، واستقَامَةٍ، وخَيرٍ، إلى نفْسِك، وعَزَمَاتِك مِن دُونِ اللهِ، فتَهلَك .. ويَسلبُكَ اللهُ ما أنتَ فيهِ مِن خَيرٍ وفَضْلٍ!

* * * * *

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ

1036-[الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ]النور:26. هذا هو الأَصْلُ، وهَذا هو الواجِبُ الذي يجبُ أن يحرصَ عليه الطَّيبُون والطَّيبَات .. فإن لم يَفعلُوا، وتَزاوَجُوا من الخبيثِين والخبِيثَات .. تآكَلَ عدَدُهم، ونَقُصَ، وكَثُرَ عدَدُ الخبيثِين والخبيثَات .. وكانَت فِتنةً تجني ثمارَها الأَجيَالُ .. وتحقَّقَ الفسَادُ العَريضُ في الأرضِ!

* * * * *

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ

1037-[وَالَّذِينَ كَفَرُوا]؛ باللهِ، وملائِكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، [أَعْمَالُهُمْ]؛ حَسنَاتُهم، وأعمالُهم الصَّالحةِ .. مَثَلُها؛ [كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ]؛ كحركَةِ وتَمَوُّجِ أشعَّةِ الشمسِ، في يومٍ حارٍّ، في وقْتِ الظَّهيرَةِ .. تَعْلُو بِقَاعاً مِن الأرضِ مَلْسَاء، لا شجَرَ فِيها، ولا زَرْع، [يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً]؛ إذَا رآهُ الظَّمْآنُ؛ الشَّديدُ العَطَشِ .. مِن بَعيدٍ .. يَحسَبُه ويُخَيَّلُ إليه لشِدَّةِ عَطَشِه أن تِلكَ الحركَةِ والتَّمَوّجِ مِن أشعَّةِ الشَّمسِ هي حركَةٌ وتموُّجُ للمَاءِ .. فيَقصُدُه مُسْرِعاً، ليَدفَعَ عن نفْسِه شِدَّةَ العَطَش، [حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً

]النور:39. حتَّى إذا وصَلَ إليه لم يجِدْهُ مَاءً .. ولا شَيئاً يَنتَفِعُ به .. وإنما وجَدَهُ سَرَاباً لا يَرِدُّ عَطَشَاً .. ولا يُنتَفَعُ به في شَيءٍ .. فتَقَع الحَسْرَةُ، والنَّدامَةُ .. ولَاتَ حِينَ مَنْدَم .. كذلك الكَافِرُ لَمَّا بَنَى حَسنَاتِه وأعمَالَهُ الصَّالحةِ على أَسَاسِ الكُفْرِ والشِّركِ .. وليسَ على أَسَاسِ الإيمانِ والتَّوحيدِ .. فيَشتدُّ ظمَأُهُ يومَ القِيامَةِ .. وتَشْتَدُّ حاجَتُه للمَاءِ .. يومَ تَدنو الشمسُ من رؤوسِ العِبادِ كُلٌّ بحسْبِ عمَلِه .. فيَقصدُ أعمالَهُ الصَّالحة عَساهُ يجدُ فِيها ظِلَّاً لنَفْسِهِ .. أو أن تنفَعَهُ في شَيءٍ .. إلا أنَّه يُصدَم عندما يجدُها كسَرابٍ .. لا شَيء .. والسَّبَب أنَّه لم يبنِ حَسَنَاتِه وأعمالِه الصالحةِ على أَسَاسٍ مِن الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. وإنما بنَاهَا على أَسَاسٍ مِن الكُفرِ، والشِّركِ .. والشِّركُ يُبطِلُ ويُحبِطُ العَمَلَ كُلّه.

1038-[وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ]النور:39. الكافِرُ مَهْمَا عملَ مِن خَيرٍ، فالكُفْرُ يُحبِطُه، ويُبطِلُه .. لَا ينفعُ معَ الكُفْرِ والشرْكِ عمَلٌ .. فمن شرُوطِ قبُولِ العمَلِ الإقلاعُ عن الكُفْرِ والشِّرْكِ .. وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَا يَقبَلُ معَ الشِّرْكِ والكُفْرِ عمَلاً .. والكافِرُ إذْ يتَعَبَّدُ ويعمَلُ عملاً خَيِّرَاً، يحسَبُ أن ذلك سينفعُه يومَ القِيامَةِ، ومَا هو بنافِعه في شَيءٍ، فإذَا جاءَ يومُ الحِسَابِ، ووضِعَ الميزَانُ .. تَساءلَ وبحثَ عن عمَلِه .. في وقتٍ تَشتَدُّ فيه الحاجةُ إلى الحسنَةِ الواحِدَةِ .. فلم يجِدْه شَيئاً .. ووجَدَ عمَلَهُ هبَاءً منثوراً .. فيقَعُ في النَّدَمِ على ما كان مِنه مِن تَفريطٍ في حقِّ اللهِ تعالى عليه .. مثَله مثَل العَطْشَان الذي يكادُ العطَشُ أن يقتلَه .. فيَنظرُ مِن بَعيدٍ فيرَى سرَاباً يتموَّجُ على أرضٍ مُسطَّحَةٍ، فيحسَبُهُ ماءً، فيَسْعَى إليه مُسرعاً، فإذا وصَلَ إليه، لم يجدْهُ شيئاً .. فتعْلُوه الحسْرَةُ والنَّدامَةُ .. والحسرَةُ يومَ القيامَةِ أَشَدُّ وأعظَم!

1039- [يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً]النور:39. هو الرِّيَاءُ، ومَا كانَ لغَيرِ اللهِ.

* * * * *

وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ

1040- [وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً]؛ مِن كِتابِ اللهِ، ومِن سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. يُبصِرُ به الحقَّ مِن الباطِلِ .. يَهتَدي به إلى الصِّراطِ المستَقِيم .. ويكشِفُ له الأشياءَ على حقيقَتِها مِن غيرِ لبْسٍ ولا غُموضٍ، [فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ]النور:40. يَهتدي به الطريقَ .. سيظلُّ يتخبَّطُ في ظُلماتِ الكُفرِ، والشِّرْكِ، والضَّلالِ .. يَنتقلُ مِن باطِلٍ إلى باطِلٍ .. يَعيشُ التِّيهَ والضَّياعَ .. لا يهتَدي سَبيلاً .. ولا يُحسنُ التمييزَ بين الحقِّ والباطِلِ، ولا بينَ ما يَنفعُه، ومَا يَضرُّه .. والنورُ المستخدَم يخبُو ويقْوَى بحسْبِ ما تمدُّهُ من مَصْدَرِ الطَّاقَةِ والنُّور، مِن كِتابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم .. ومَن كان نورُه ضَعيفاً لا يتكشَّفُ له ما يتكشَّفُ ويَظهرُ لمن كان نُورُه قويّاً .. ولربما مَرَّ عليه الباطلُ وهو لا يَتنبَّه له بأنَّه باطِلٌ .. وهذا سَببٌ قويٌّ ودَافعٌ للانكبابِ على طَلبِ العِلمِ، والتَّفقُّهِ بما في الكِتابِ والسنَّةِ.

* * * * *

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا

1041- [وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا]النور:54. تُوجدُ ظُلماتٌ عِدَّة بعضُها يَعلُو بَعض .. وبعضُها يَزيدُ على بَعضٍ؛ ظُلُمَاتُ الجهْلِ .. وظُلمَاتُ الضَّلالِ، والتِّيه، والضياعِ .. وظلماتُ الشِّرْكِ والكُفْرِ .. وظلماتُ البِدَعِ والأهواءِ .. وظلماتُ الكآبَةِ، والقَلَقِ، والأمراضِ

النَّفْسيَّةِ .. فالهدايةُ للخرُوجِ من هذه الظُّلماتِ مجتمعةً .. إلى نورِ العِلْمِ، والإيمانِ، والتَّوحيدِ، والنَّجاةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. إلى الصِّراطِ المستقيمِ .. تكمنُ حَصْراً في طَاعَةِ ومتابعةِ خاتمِ الأنبياءِ والمرسَلين محمد صلى الله عليه وسلم .. فلَا هِدَايةَ، ولا مَنْجَاة إلَّا بطاعَتِه صلى الله عليه وسلم.

1042- [وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا]النور:54. إن تُطِيعُوا محمَّداً رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وتتَّبعُوا سُنَّتَه، تَهتَدُوا لِمَا فيه خَير دِينِكُم ودُنيَاكُم .. ولِمَا فِيه سعادَتِكُم في الدُّنيَا والآخِرَةِ .. مَفهوم المخالَفَةِ، إن لم تُطِيعُوه، ولَمْ تتَّبعوا سُنَّتَه، وعَدِلْتُم عنه إلى غَيرِه، تَضِلُّوا، وتَفقدُوا سَعادَةَ الدَّارَين، الدُّنيَا، والآخِرَة.

* * * * *

وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ

1043- [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً]، كل هذا المنّ، والعطاء، والخير، مقابل:[يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]النور:55. وعندما يتأخّر الموعود، نحن أمام خيارين: إما الظن بالله تعالى سوءاً، وأنه تعالى قد أخلفَ الميعاد، وهذا مُحالٌ، وهو كفرٌ والعياذُ بالله، وتكذيب لقوله تعالى:[وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ]التوبة:111. وإمَّا أن نتهم أنفسَنا بالتّقصير، وأنها لم تحقّق شرط الموعود كما يجب وينبغي، وهو [يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]، ولا مناصَ لنا إلا هذا الخيار، لنجتهد طاقَتَنا ووسعنا في تحقيقِ العبادةِ بمعناها العام والخاص، الشَّاملِ لجميعِ ما يحبّه الله تعالى من الأقوالِ والأعمال الظَّاهرةِ والباطنة، وأن نجتنب الشّركَ ما ظهرَ منه وما بطن، ما عظُمَ منه، وما دَقّ .. ولا نتسرّع في تزكيةِ أنفسنا على الله!

* * * * *

وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ

1044- [وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ]النور:60. الحرَّةُ تَعِيشُ حياتَها مِن غيرِ زَوْجٍ .. ولَا تَسْتَشْرِفُ الزَّوَاجَ بالسُّفُورِ، وبمعْصِيَةِ اللهِ .. فَمَا عِندَ اللهِ تَعَالى يُطلَبُ بِطَاعَتِه، لا بمعْصِيَتِه.

1045- [وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ]؛ عنِ الزَّوَاجِ، وأن يبْقينَ بِلَا زَوْجٍ، [خَيْرٌ لَهُنَّ]النور:60. مِن أن يَتَزَوَّجْنَ مِمَّن لا يَرضَيْنَ دِينَهُ وخُلُقَه.

* * * * *

لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً

1046- [لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً]النور:63. أي لا تنادونَه، ولا تذكرونَه باسمه مجرَّداً " محمد "، مِن دون أن تُضيفوا إليه صِفةَ النّبوّة والرسالة، وتُصلُّوا وتُسلّموا عليه .. كما يخاطِبُ بعضُكم بعضاً، ويَذكرُ بعضُكم بعضاً .. هذا لا يَليقُ ولا يجوز .. وكم يحزُنني عندما أسمعُ لدعاةٍ ووعّاظٍ كبار عندما يأتون في حديثهم على ذِكرِ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم، تراهم يَذكرونَه باسمِه فقط " محمد !"، أو " النبيّ !"، من دون أن يصلّوا عليه .. فيُسيئون لأنفُسهم، ويُقلّلون من قِيمةِ وعظِهم .. وفي الحديث:" البَخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ، فلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ". هذا فيمن يُذكَر عِندَه، ثم لا يُصلي عليه، فكيف بالذي يَذكرُهُ باسمِه، ثم لا يُصلّي عليه .. صلَّى اللهُ عليه، وعلى آلِه، وصحبِه، وسلَّم تَسْليماً كثيراً؟!

* * * * *

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

1047- [فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ]؛ أمْرِ النَّبيّ محمد صلى الله عليه وسلم؛ فيُعارِضُون أمْرَه بأمْرِ غَيرِه، ويَعْدِلُون عن أمْرِهِ إلى أمْرِ غَيْرِه، ويُقَدِّمُون قَولَ غَيرِه على

قَولِه، [أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ]؛ شِرْكٌ؛ فيقَعُون ـ بِسَبَبِ صَنِيعِهم هذا ـ في الكُفْرِ والشِّرْكِ، [أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]النور:63. في الدُّنْيَا قَبلَ وغَير عَذَابِ الآخِرَةِ!

* * * * *

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

1048-[تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ]الفرقان:1. أي القُرآن، وسُمّي فُرقَاناً؛ لأنَّه يَفْرُقُ بين الحَقِّ والبَاطلِ، وبينَ الإيمانِ والكُفرِ، وبينَ التَّوحيدِ والشِّركِ، وبين الهُدَى والضَّلالِ، وبينَ السُّنَّةِ والبِدْعَةِ، وبين العِلْمِ والجَّهلِ .. وبينَ سبيلِ المؤمنين وسبيل المجْرِمين.

* * * * *

وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً

1049-[وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ]؛ نَفْسَهُ؛ يُشْرِك باللهِ؛ يَعبدُ مِن دُونِ ـ أو معَ ـ اللهِ آلهةً أُخْرَى، ويَنْسِبُ لهم مِن الخصَائِصِ، والصِّفَاتِ مَا هو للهِ تعالى وَحْدَه، [نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً]الفرقان:19. أليماً شَديداً، خَالِداً فيه أَبَدَاً .. وذلك لأنَّ الشِّرْكَ ظُلمٌ لَا يُوازِيه ولَا يَعلُوه ظُلم.

* * * * *

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ

1050-[وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً]؛ شَاملَةٌ لجميع النَّاسِ، وشرائِحِ المجتمَع .. فِتنَةُ الأبناءِ للآباءِ، والآباءِ للأبناءِ .. والزوج لزوجَتِه، والزَّوجَة لزوجِها .. والغنيّ للفقيرِ، والفقيرِ للغنيِّ .. والصحيح للسَّقيمِ، والسَّقيم للصَّحِيح .. والقويِّ للضعيفِ، والضَّعيفِ للقوِي .. والحكَّامِ للمحكومِين، والمحكُومين للحكَّامِ .. والخادِمِ المستأجَرِ لسَيدِه، والسَّيدِ لخادِمه .. والجارِ لجارِه، والعَكْس .. والصَّاحِبِ لصاحِبِه، والعَكْس .. والأقارِبِ بعضهم لبَعضٍ .. والعلماءِ لتلاميذِهم وأتبَاعِهم، والتَّلامِيذِ والأتباعِ للعلماءِ، [أَتَصْبِرُونَ]؛ على

التَّكاليفِ وعلى أدَاءِ كُلِّ طَرَفٍ حقُوقَ الطَّرَفِ الآخَر، مِن غيرِ إفراطٍ ولا تَفريطٍ .. إذ لكلِّ فريقٍ حقُوقٌ تُؤدَّى له، وواجِباتُ يُؤدِّيها، [وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً]الفرقان:20. بَصيراً بمن يَصبرُ على التَّكاليفِ، وأداءِ الحقُوقِ، ومِن لا يَصبِرُ على التَّكاليفِ، ولا يؤدِّي الحقُوقَ.

1051- [وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ]الفرقان:20. مِن حِكَمِ اللهِ تعالى أن جَعَلَ النَّاسَ طَبقَات في العَيشِ، وفي النِّعَم، والنِّقَم .. ومُتَفاوتُون في الاهتِمَامات والمهَن .. فمنهم الغنيُّ، ومِنهم الفَقِيرُ .. ومِنهم الصَّحيحُ، ومِنهم السَّقيمُ .. ومِنهم العَالِمُ، ومِنهم الجاهلُ .. ومِنهم الشَّريفُ، ومِنهم الوَضيعُ .. ومَا بين كل فريقَين فَرِيقٌ وسَطٌ بينهُمَا .. وكلُّ فَريقٍ بما هو فيه مُبتَلى، يَستوجِبُ مِن صاحبِه حتى ينجحَ فِيما هو فيه مِن بَلاءٍ واختِبارٍ إلى الصَّبرِ .. لذا جاءَ الأمرُ الإلهي [أَتَصْبِرُونَ]؛ أي اصبرُوا على مَا آتَاكُم اللهُ مِن فضْلِه، وعلى مَا فاتكم .. وعلى ما بينكُم مِن تَفَاوتٍ في العَيْشِ والرُّتَبِ .. ومن دُونِ اعتِرَاضٍ ولا تَعقِيبٍ .. ولَا عُدْوانٍ أو استِشْرافٍ للحرَام.

* * * * *

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً

1052- [وَيَوْمَ]؛ القِيامَةِ؛ يومَ تُرَى النَّارُ، والجَنَّةُ عينَ اليَقين، [يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ]؛ حَسرَةً وندامَةً على مَا فَرَّطَ في جَنْبِ اللهِ .. وقوله [عَلَى يَدَيْهِ]؛ فيه دلالةٌ على شدَّةِ الحسْرةِ والنَّدَامَةِ، فهو لم يكتَفِ بِعَضِّ يَدٍ واحِدَةٍ أو بَعْض أصَابع اليَدِ، بل يَعضُّ يَدَيه مَعاً، [يَقُولُ يَا لَيْتَنِي]؛ غايَةُ التمنِّي والرَّجَاء، والحَسْرةِ، والنَّدَامَةِ، وأنَّى .. [اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً]الفرقان:27. يا ليتَنِي سلَكْتُ طريقَ الهِدايَةِ معَ الرَّسُولِ، واتبعتُه، فأفُوزُ فَوزاً عَظيماً .. يا ليتَنِي لم أُعَادِي الرَّسُولَ .. يا ليتَنِي لم أتخذْ طريقَ أعداءِ الرَّسُولِ مَنْهجاً وسَبيلاً؛ الذي انتَهى بي إلى ما أنا فيه مِن الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ .. والعَذَابِ الأليم!

1053-[وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً]الفرقان:27. هذه الآيةُ لا تخصُّ الكفَّارَ أو من عاصرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الكفار وحسب، وإنما كلّ من ردَّ السُّنَّةَ أو عارَضَها بهواه من أهلِ القِبلةِ - وعلى مرِّ الأزمان - له نصيبٌ من هذه الآية، ويقول يوم القيامة:[يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً].

1054-[وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً]الفرقان:27. العَظَماءُ كُثُر .. لا يُلزِمُك أحدٌ مِنهم يا ابنَ آدم .. ولَن تُسأَلَ عن أحدٍ مِنهم .. إلَّا الرَّسُول صلى الله عليه وسلم الذي ارتَضَاهُ اللهُ تعالى لعبادِه قُدْوةً وأُسْوةً حسَنَةً في جميع مجَالاتِ حياتِهم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ .. فأنت لم تُؤمَر بطاعَةِ ومُتَابَعةِ أحَدٍ إلا الرَّسُول صلى الله عليه وسلم، وما جاءَ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم من عندِ رَبِّه .. وفي القَبرِ لَن تُسْأَلَ إلا عن شَخصِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم .. ويومَ القِيامَةِ لن تُسأَل إلا عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم .. بما أَجَبْتَهُ .. وأجبْتَ دَعْوَتَه؟!

كلُّ ما عَدَا الرسُول صلى الله عليه وسلم مَهمَا عَظُمَ وعَلَا كَعْبُه، وشَأنُه .. يُخطِئ، ويُصيب .. يُؤخَذُ منه ويُرَدُّ عليه .. يُقالُ له أخطَأتَ وأصَبْتَ .. أحسنْتَ وأسَأتَ .. إلا الرسولُ المعصُومُ صلى الله عليه وسلم؛ فله مِنك كامِل الطَّاعَةِ، والمتابَعةِ، والاسْتِسْلامِ لحُكْمِه، وسُنَّتِه، مِن غيرِ أدْنَى اعتراضٍ، أو مُعَارَضةٍ، أو تَعقِيب .. وإلَّا فَلا إيمانَ ولا إسْلام .. ومن ثمَّ العَضُّ على اليَدَينِ حَسْرَةً، ونَدَامةً!

كلُّ ما عَدَا الرسُول صلى الله عليه وسلم مَهمَا عَظُمَ وعَلَا كَعْبُه، وشَأنُه .. مكانَتُه الحقِيقيَّة، تكمنُ في دَرَجةِ قُربِه أو بُعدِه عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وعن سبيلِه ودَعوتِه .. وهي القيمَةُ والحقُوق التي أعطاها له الرسولُ صلى الله عليه وسلم .. فكلُّ مَن له

حَقٌّ عليكَ من الآباءِ، والعُلماءِ، وغيرِهم .. هو لأنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم قالَ لك: فلانٌ له حَقٌّ عليك، ثم حَدَّدَ لك صِفَةَ ومَعَالِمَ، وحدُودَ هذا الحقِّ الذي لا يجوزُ تجاوزُه .. وحتَّى لا يُستَغَل هذا الحق استغلالاً خاطِئاً.

* * * * *

يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً

1055- [يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي]الفرقان:28-29. لا أضَرَّ على المرءِ ـ سواءٌ كان ذَكَراً أم أُنثى ـ من صاحِبِ السُّوءِ .. يَدلُّه على الشرِّ، ويحجبُ عنه الخيرَ .. يُزهِّدُه بالطاعاتِ، ويُرغِّبه، ويُزيِّن له المعاصِي .. ما تبنيه الأسرةُ، والمسجدُ، والمدرسةُ معاً يهدُمه قرينُ السُّوءِ .. وقد قِيل: الصاحِبُ ساحِبُ .. وقُل لي معَ مَن تمشي أقلْ لك مَن أنتَ .. والمرءُ يُعرفُ بصاحِبِه .. وفي الحديث:" الرَّجُلُ علَى دينِ خليلِهِ فلينظُر أحدُكُم من يُخالِلُ ". فإذا قامَت القيامَةُ .. وجاءَ اليومُ الموعُود .. وأصبحَ الغيبُ عينَ اليَقِين .. قالَ الصاحِبُ الضَّحيَّةُ، والحسَراتُ، والنَّدَامَات تعلُوه، ولَاتَ حِين مَندَم:[يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً]؛ فيتذكرُ صاحبَ السوءِ الذي كانَ سَبباً فيما انتهى إليه من خُذي وعذابٍ .. ويتمنى لو أنه لم يتخذْهُ خَليلاً وصاحِباً .. وبعدَ فواتِ الأوان!

* * * * *

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً

1056- [وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً]الفرقان:29. يرميه في الحفرَةِ، ثم يتخلَّى عنه، ويتبرَّأ مِنه!

* * * * *

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً

1057-[وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً]الفرقان:30. والهَجْرُ أنْوَاعٌ: هَجْرٌ أكْبَرُ، يَتَمَثَّلُ بهجْرِ وإعْرَاضِ الكافرين والمشركين. وهَجْرٌ دُون هَجْرٍ، يَتَمَثَّلُ بهَجْرِ أهْلِ القِبْلَةِ، وهؤلاء دَرَجَات، مِنْهم المُقِلُّ في هَجْرِه، ومِنْهُم المُكْثِرُ .. ومَن يُكثِر مِن تِلاوتِه، لكنَّه لا يَتَدَبَّرُه، ولا يَعْمَلُ به، أو ببعْضِهِ، يَطَالُهُ حَظٌّ وافِرٌ من مَعنَى الهَجْرِ الوَارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمة.

* * * * *

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ

1058-[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31. مَن لم يكن له عدوٌّ من المجرمين، ولا يُريدُ أن يكونَ له عدوٌّ من المجرمين، ليس من أتباعِ المرسَلين، وعليه أن ينظرَ أينَ هو من دينِ الله!

1059-[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ]الفرقان:31. والعُلماءُ هم ورَثَةُ الأنْبياءِ، فَمَن كانَ من العُلماءِ ليسَ له عَدُوّاً مِن الطُّغَاةِ المجْرِمين .. أو كان حَليفَاً للطُّغَاةِ المجْرِمين .. يخرجُ مِن صِفَةِ العُلماءِ، وصِفَةِ ورَثَةِ الأنْبِياءِ!

* * * * *

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

1060-[وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً]الفرقان:37. هم كذَّبوا بنوحٍ عليه السلام فقَط .. ولَمَّا كان التكذيبُ

برسولٍ واحدٍ بمثابةِ التكذيبِ بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُل .. عُدَّ تكذيبُهم بنوحٍ هو تكذيبٌ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ يُصَدِّقُ جميعَ الرسُلِ ـ مَن كانُوا قبلَه، ومَن سيأتي بعدَه ـ ويَدعُو إلى الإيمانِ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ .. فمن كذَّبَه فيما يَدعُو إليه لزمَهُ التكذيبُ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ .. والحمدُ لله على نعمةِ الإيمانِ والإسلامِ أن هدَانا اللهُ إلى الإيمانِ بجميعِ الأنبياءِ والرسُلِ ـ مِن آدَمَ عليه السلام مروراً بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ إلى خاتَمِ الأنبياءِ والرُّسلِ محمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ لا نفرِّقُ بينَ أحَدٍ مِن رُسُلِ اللهِ.

* * * * *

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً

1061- [أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]الفرقان:43. الحَلالُ ما يَراهُ حَلَالاً، والحَرامُ ما يَراهُ حَرَاماً، والحقُّ ما يَراهُ حَقَّاً، والباطِلُ ما يَراهُ بَاطِلاً .. والجميلُ ما يَراهُ جَميلاً، والقَبيحُ ما يَراهُ قَبِيحاً .. مَدْحُهُ زَيْنٌ، وذَمُّهُ شَينٌ .. فهذا الذي يُقالُ له:[اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]، وما أكثَرُهم!

1062- تأملتُ الطواغيتَ الذين يُعبَدون من دونِ الله، فوجدت أكثر الطواغيت شعبيّة وانتشاراً في الأرض، يُعبَد ويُطاع من دونِ الله، طاغوت الهوى .. صدق الله العظيم:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً]الفرقان:43. وقال تعالى:[أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ]الجاثية:23. وقال تعالى:[وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ]القصص:50.

1063- [أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]الفرقان:43. جميعُ المذَاهِبِ والمدَارِسِ الفَلْسَفِيَّةِ، والنَّفْسِيَّةِ ـ القَديمَةِ مِنها والحَدِيثَة ـ التي تَتكلَّمُ عن الإنسَانِ، وعَن حُريَّتِه،

وحُظُوظِهِ، وحُقُوقِه .. وتُضَخِّمُ عِندَه صِفَةَ وكلمَةَ " الأَنَا " بَعيداً عن ضَابطِ وقَيدِ الشَّرْعِ المنَزَّلِ؛ قالَ اللهُ، قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم .. فهي عمَلِيَّاً تُكَرِّسُ عِندَه عِبَادَةَ إلَه الهوَى .. فتَرَاهُ يَتَأَلَّه مَا يَهْوَاهُ، ومَا يَميلُ إليه، ويَرغَبُه؛ فالحقُّ مَا يَراه حَقَّاً، وإن كان في مِيزانِ الشَّرعِ المنَزَّلِ باطِلاً، والبَاطِلُ مَا يَراهُ بَاطِلاً، وإن كانَ في مِيزانِ الشَّرْعِ المنَزَّلِ حَقَّاً .. فهذا عَبْدٌ مملُوكٌ لهوَاه كأَشَدِّ مَا تكُون العُبُودِيَّةُ، وكأَشَدِّ مَا يكُونُ الاسْتِملاكُ، وكَأَسْوأ مَا يَدخُلُ في مَعَانِي عبُودِيَّة العَبِيدِ للعَبِيد!

* * * * *

إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً

1064- [أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً]الفرقان:44. عِندَمَا تَجِدُ مِن الكُفَّارِ مَن يُريدُ أن يجرِّبَ حياةَ الحيوانَاتِ، كالكِلابِ والخنازِيرِ، وغيرِها .. فيُقَلِّدُها في أصواتِها، وحَرَكاتِها، وطَريقَةِ أكْلِها وشُرْبِها .. وهو في قِمَّةَ السعادَةِ والسُّرُورِ .. ومِنهم مَن يَدْفَع أموالاً ليعِيشَ هذهِ التَّجْرِبَةِ .. فإنَّهم بذلك يُصَدِّقُون هذه الآيةِ، ويُفَسِّرُونها تَفْسِيراً عمليَّاً يَعلُو البيَانَ اللفْظِي، [إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً]!

1065- [إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ]؛ في اتِّباعِ شَهْوَتَي البَطنِ والفَرْجِ، وعَدَمِ الانتِفَاعِ مِن وسَائلِ التَّلَقِي؛ السَّمْعُ، والبَصَرُ، والفُؤَاد، [بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً]الفرقان:44. لتمايُزِ الأَنْعَامِ عنهم بالتَّوحِيدِ، والتَّسْبِيح ...!

* * * * *

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً

1066-[وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً]الفرقان:48. طهوراً للأبدانِ من الأدْرَانِ، وطَهُوراً للأبْدَانِ مِن الذُّنُوبِ والخَطَايَا، وطَهُوراً للأبدَانِ مِن الأمرَاضِ .. وكانَ مِن السَّلَفِ مَن يَشربُ ماءَ المطَرِ معَ ماءِ زمزَم على نيَّةِ الشِّفاءِ، ويقول: ماءٌ طَهُورٌ معَ ماءٍ مُبَارَكٍ.

* * * * *

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً

1067-[فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ]؛ فِيما يَدعُونَك إليه، ويَنْهونَك عنه، [وَجَاهِدْهُم بِهِ]؛ وادفع شُبهاتهم، وحجَجهم، وباطِلَهم بالقرآنِ الكريم؛ ففيه العِلْمُ والنُّورُ الذي يُحِقُّ الحقَّ، ويُبطِلُ الباطلَ، ويَدفَعُ كلَّ ما يَستدلُّون به عليكَ من شُبَهٍ، وحججٍ، وأباطِيل، [جِهَاداً كَبِيراً]الفرقان:52. جهاداً شديداً تُفرِغُ فيه جَهْدَكَ وطاقَتَك .. فليسَ شيءٌ مِثل القرآنِ تُرَدُّ به شُبَهُ وأباطِيلُ المُبطلين.

كم يَخسر الدَّاعيةُ إلى اللهِ عندما يَحيدُ عن القُرآنِ الكريم وأسلُوبِه إلى غيرِه مِن طُرقِ علمِ المنْطقِ والكَلامِ في مواجَهةِ حُجَجِ وأباطيلِ المبطلِين، والمُلْحِدين ...؟!

* * * * *

وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً

1068-[وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً]الفرقان:55. وهو كُلُّ مَن دَخَلَ في مُوَالاةِ الطَّواغِيتِ والظَّالمِين، ونَاصَرَهُم على الإسْلامِ، والمسْلِمين.

* * * * *

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

1069- [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ]الفرقان:58. حيثُما، ووقتما تَطلبهُ، وتُريدُه، وتحتَاجُه، فهو حيٌّ لا يمُوت، ولا تَأخذُه سِنَةٌ ولَا نَوم .. وهو سُبحانه معَك، وقَادِرٌ على أن يُجيبَك لِمَا تُريد .. فمن الخصَائِصِ التي يجبُ أن نتوفَّر فِيمَن نتوكَّل عليه أن يكونَ حيَّاً لا يمُوت، ولا يَغفُو، ولا يَنامُ، ولا يَغفَل عمَّن يَستغِيثُ به، ويَتوكَّلُ عليه .. أمَّا مَن كان يموتُ، وينَامُ لا يَصحُّ ولا يليقُ أن تعبدَهُ، ونتوكَّلَ عليه؛ ولو فَعلت، فقد تجده مَيتَاً، أو نَائمَاً، غافِلاً عنك، لَا يَقدرُ على شَيءٍ!

1070- [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ]الفرقان:58. سؤالٌ للنَّصَارى الذين يعتقدُون أنَّ المسيحَ عليه السلام إلهٌ ورَبٌّ .. ثم يقولُون أنه قد ماتَ وأُدخِلَ في القبرِ ثلاثةَ أيَّامٍ .. كيفَ يَتوكَّلُون على مَيِّتٍ .. كيفَ يحقِّقُون معنى التوكُّل على ميِّتٍ لا يَقدرُ على أن يجيبَهم لشيءٍ طيلةَ الأيامِ التي ماتَ وغابَ فِيها .. ثم مَن كان يُديرُ الأكوانَ .. ويُجري الأرزاقَ على الخلائقِ .. ويجيبهم إلى مَا يَسألُون، ويَطلبُون، طِيلةَ هذه الأيَّامِ التي ماتَ وغابَ فيها يَسُوعُ الإله والرَّب .. رَبٌّ يمُوت، فمن للخلائقِ طِيلَةَ زَمَنِ مَوتِه؟؟!!

* * * * *

فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً

1071- [فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً]الفرقان:59. فاسْأَلْ خَبيراً باللهِ، عالِماً بكتَابِه، ومتَّبعاً لسنَّةِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ومُهتدياً بفهمِ الصَّحابَةِ والتَّابعين لهم بإحسَانٍ، يخبرك بأسماءِ، وصِفَاتِ، وخصَائصِ الخالِقِ سُبحانَه .. مَفهُومُ المخالَفَةِ لَا تَسأَلْ أهلَ الجهْلِ، والبِدَعِ، والأهوَاءِ، الذين يخُوضُون في أسماءِ اللهِ وصِفاتِه بغيرِ علمٍ، ولَا نَقْلٍ صَحِيحٍ.

1072- [فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً]الفرقان:59. مَهمَا كان مستواك العِلمي ضَعيفَاً، فأنت مُطَالَبٌ بأن تتحرَّى وتَسأَلَ عن أعلَمِ، وأَتقَى، وأصلَح إنسانٍ تَستطيعُ أن تصلَ إليه .. فتتوجَّه إليه مُسترشِداً بالسؤالِ عن أمورِ دِينِك، وآخِرَتِك .. فإن لم تفعَل ذلك، ثم وقَعت في الانحرافِ، وضَلَلتَ الطَّريقَ، وصِراطَ اللهِ المستقيم ـ بسببِ مَن تَسألهم وتُراجعُهم في أمورِ دِينِك وآخِرَتك مِن أهلِ الجهلِ، والأهواءِ ـ فأنتَ المُلامُ، والمؤاخَذُ؛ لأنَّك بإمكانِك أن تَتَفَادَى ذلك، ولم تَفعَلْ .. وإنه ليَشتَدَ العجَبُ ممن يُريدُ أن يُصلحُ سيارتَه أو شيئاً من متَاعِ الدُّنيا، فتراهُ يتحرَّى عن الأَعلمِ، والأجوَدِ، الذي يُتقنُ عملَه، ولَا يَغش، وشاعَ صِيتُه الحسَن بين الناسِ، فيَقصُدُه .. بينَما إذا أرادَ أن يَسأل عمَّا أهمَّه من أمُورِ دينِه، وآخِرتِه ـ وهو الجانِبُ الأَهَم ـ تراهَ يَقصِدُ النَّطيحَةَ، والمتردِيَّةَ، ومَا أَكَلَ السَّبُعُ، مِن أهلِ الأهوَاءِ، يَلتَمسُ مِنهم الرخَصَ، والإجابَةَ .. ومِثْلُ هذا أنَّى لهُ أن يُعذَرَ لو وقَعَ في الخطَأ أو الانحرَافِ!

* * * * *

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً

1073- [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً]؛ بسَكينةٍ، وتواضُعٍ، ووقَارٍ بَعيداً عن الخيلاءِ، والعُجْبِ، والتهتُّكِ، والكِبرِ، [وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ]؛ بما يَكرهُون .. والجاهِلُون يَشملُ جميعَ مَن يجهَل على الحقِّ وأهلِه، بِسَقَطٍ مِن القَولِ، سَواءٌ كانُوا كفَّاراً، أم كانُوا مِن عُصَاةِ أهلِ القِبلَةِ، [قَالُوا سَلَاماً]الفرقان:63. قالُوا كلاماً حَقَّاً سَدِيداً، سَالماً مِن الجهالَةِ، والسَّفاهَةِ، والشَّطَطِ، والمآخِذِ .. فلم يُقَابلُوا جهالَةَ

الجَّاهِلين، بجهَالَةٍ مماثِلةٍ .. بَل اتَّسَمُوا بالحِلمِ، وأكرمُوا أنفُسَهم مِن أن يَنزلُوا إلى مستوى الجاهِلين.

* * * * *

فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

1074- [إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً]الفرقان:70. في هذه الآيةِ الكريمَةِ بُشْرَى عَظِيمَةٌ، وتَرغيبٌ شَدِيدٌ لغيرِ المسلمين، مِن ربٍّ غَفُورٍ رَحيمٍ .. يَتودَّدُ لهم ـ وهو الغَنِيُّ ـ إذا ما تَابُوا وآمَنُوا وعَمِلُوا عَمَلاً صَالحاً .. ليسَ فقط يَغفِرُ لهم سَيئاتِهم التي كانت مِنهم قَبلَ الإسلامِ .. حتَّى يَعودَ أحَدُهُم في الطُّهْرِ مِن الرِّجْسِ والآثَامِ كيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّه .. بل يَزيدُهُم مِن فَضْلِه ورَحمتِه، فيُبَدِّلُ سَيئاتِهم التي كانَت مِنْهم إلى حَسَنَاتٍ .. ويجعلُها في الميزانِ يوم القيامةِ في كفَّةِ الحسَناتِ .. ويُعطيهم على سَيئاتِهم أجْرَ الحَسَنات .. سُبحانَ الله العظيم وبحمدِه، ما أوسع رحمته ومغفرته، وما أكرم وأجمل عطاءه!

* * * * *

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ

1075- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ مَوَاطِنَ ومَجَالِسَ الظُّلْمِ، والكَذِبِ، والتَّكْذِيبِ، مِن غَيرِ إنْكَارٍ، ولَا بَيَانٍ، ولَا قِيَام.

1076- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. مِن أعظَمِ الزُّورِ أنْ تَقولَ في دينِ اللهِ ما ليسَ فِيه، وأنْ تُوقِّعَ عن اللهِ تَعالى، وعن رسُولِه صلى الله عليه وسلم، بغيرِ عِلْم.

1077- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. لا يَشْهَدُونَ على الحقِّ بأنَّه باطِلٌ، ولا على البَاطِلِ بأنَّه حَق.

1078- [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ]الفرقان:72. لَا يَشْهَدُونَ الشِّرْكَ.

* * * * *

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً

1079- [وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ]؛ بمجالسِ اللَّغْوِ .. والتَّجمعَاتِ التي يجمعُها ويَسُودُ فِيها اللَّغْوُ؛ وهو البَذَاءةُ، والفُحشُ في القَولِ، والكَلامِ التَّافِه؛ الذي لا فائدةَ مِنه في دِينٍ، ولَا دُنْيَا .. هذه المجالِس والتَّجمُّعَاتِ قَد تَكونُ بصُورةٍ شخصيَّةٍ ومُبَاشرَةٍ، وقد تكونُ عبرَ ما باتَ يُعرَفُ بغُرفِ وصفَحَاتِ التَّواصُلِ الاجتمَاعِي؛ وهي أوسَعُ انتِشَاراً وخَطَراً؛ حيثُ غالب الأسماءِ والأعْيانِ التي تُشارِكُ فِيها مجهُولَةٌ، لا تَخشَى على نفْسِها مِن رَقابةٍ ومُسَاءلة الناسِ، والمجتمع الذي يَعيشُون فيه .. فترَى أحَدَهم يُرسلُ خرابيشَهُ ولَغْوَه للعَالَم كَمَن يَكتُبُ مِن مِرْحَاضٍ! [مَرُّوا كِرَاماً]الفرقان:72. مُرُورَ الإعْرَاضِ، والتَّرفُّع .. غيرَ آبِهين بما يُقالُ .. يُكْرِمُون أنفُسَهم عن المشاركَةِ .. ويُكرِمُون سمْعَهم، مِن أن تَسمعَ شَيئاً مِن لَغْوِهم .. وأبصَارَهم مِن أن تَقَعَ على شيءٍ من لغْوِهم وفحْشِهم وبَذاءتِهم!

* * * * *

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ

1080- قال موسى عليه السلام:[وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا]؛ والضَّمَان [إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ]الشعراء:14-15. ولَمَّا أن قال الربُّ سبحانه [كَلَّا]؛ انتهى الأمْرُ؛ فلم يَعُدْ للطّاغيةِ فرعون رغم طُغيانِه وجَبَروتِه، أيُّ سَبيلٍ أو سُلطانٍ على موسَى عليه السلام!

إذَا أرَادَ اللهُ شَيْئاً، شُلَّت وتَعَطَّلَت جَميعُ الإرَادَاتِ؛ لِتَمْضِيَ إرَادَةُ اللهِ فِيما يُرِيد.

1081-[قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ]الشعراء:15. لم يقلْ الربُّ سُبحانه " إنَّا معَكُما "؛ معَ موسى وأخيه هارون عليهما السلام مسْتَمِعُونَ .. بل زِيادَة في الاطمئنانِ، قالَ لهما:[إِنَّا مَعَكُم]؛ معَكُما معيَّة عِلمٍ، وتَوفيقٍ، ونُصرَةٍ، وتأييدٍ .. ومعَ عدوكم فرعون؛ مَعيَّةُ عِلمٍ، وقُدرةٍ، وإحَاطَة، [مُّسْتَمِعُونَ]؛ نسمَعُ ما تَقُولان، وما يُقالُ لكُما، وما سيردُّ بهِ عليكُما فرعونُ ومَلَأُه، [لَا تَخَافَا]طه:46.

* * * * *

لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ

1082-[قَالَ]؛ فرعون الطَّاغِية لموسَى عليه السلام، [لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي]؛ مُطَاعاً ومَعبوداً، تُطيعُه، وتَعْبُدُه غَيرِي، [لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ]الشعراء:29. عقوبَةً على عصيانِك، وكُفْرِك بِي .. هذا لِسَانُ حَالِ جَميع طُغَاةِ الأرضِ على مَرِّ العُصُورِ معَ معارِضِيهم؛ إمَّا السجْنُ، وإمَّا القَتْلُ، وإمَّا التَّهْجِيرُ والتَّرحِيلُ، والإخْراجُ مِن الأرضِ .. فهم لا يَملِكُون أدْنَى حُجَّةٍ في تَقريرِ ألوهيَّتِهم وربُوبِيتِهم على النَّاسِ .. وفي تَعْبِيدِ النَّاسِ لذَوَاتِهم .. لِذا عِندَ المعَارَضَةِ سُرعَان مَا يَلتَجِئون إلى العُقُوبَاتِ الماديَّةِ والجَسَديَّة!

* * * * *

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ

1083- [فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ]الشعراء:63. فكانَ لموسَى عليه السَّلام ومَن معَهُ آيةً، ونَصْراً، وفَرَجَاً، وممرّاً آمِناً .. وكان للطَّاغيَةِ فرعون، ولجندِه، استدْرَاجاً، وغَرَقاً، وهَلاكاً .. فسُبحَان مَن يجعل من الشيءِ، الشَّيءَ وضِدَّه، في آنٍ معاً .. وكَم مِن بَرِيقٍ ظنَّه المرءُ ذَهَبَاً، فكانَ سَبَباً لاستِدْرَاجِه وهَلاكِه!

* * * * *

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

1084- [وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ]الشعراء:79. اللهُ تعالى هو الذي يُطعِمُك على وجْهِ الحقيقَةِ، من وجهَين: أولهما أنَّ اللهَ تعالى هو الذي خَلَقَ الرزقَ، وأوجَدَه لك، ويَسَّر وصوله إليك .. ومِن وجْهٍ آخَر، أن اللهَ تعالى بعدَ أن أوصَلَ الرزقَ إليك، هو الذي مَكَّنَك مِن تَناوُلِه، وإساغَتِه، والاستفادَةِ منه .. وهو الذي خَلَقَ الأعضاءَ في جسدِك التي تُحْسِنُ استقبالَ هذا الطعَامِ استقبَالاً حَسَناً، وتمكّنُك مِن الانتفَاعِ به .. وما يُقالُ عن الطعامِ يُقالُ عن الماءِ والشَّرابِ .. وكانَ من أدعيَةِ النبي صلى الله عليه وسلم ـ التي أوصَانا بِها ـ إذا أكَلَ أو شَرِبَ، قالَ:" الحمدُ للَّهِ الَّذي أطعَمَ وسَقَى، وسوَّغَهُ، وجَعلَ لَهُ مَخرَجاً " صحيح أبي داود:3851. إذْ كثيرٌ مَن يَستطيعُ أن يَشتَرِيَ الطعامَ .. وأن يُعِدَّه .. لكن لا يَستطيعُ تناولَه ولا استسَاغَتَه .. ولو أسَاغَه، استعْصَى، ثم لا يجدُ له مخرَجاً .. ليشْكرَ الصَّحيحُ المُعَافَى، ويَعلم أنَّ الرَّازقَ، والمُطعِمَ على وجهِ الحقيقَةِ هو اللهُ سُبحانه وتعالى.

مَا تَقَدَّمَ لا يمنعُ أن يُحاسَبَ الإنسانُ على منعِه الطَّعامَ والماءَ عن أخيه الإنسان لأسبابٍ مِن عندِ نَفْسِه، منها: الطَّمَعُ، والجشَعُ، والبَغْي، والفَسَادُ، وسوءُ الإدارَةِ، والتَّوزيع .. وهو مَا يُفسِّرُ حصولَ الفَقْرِ والمجاعَاتِ في بعضِ بقاعِ الأرْضِ .. وهؤلاء يجبُ أن يُؤخَذ على أيدِيهم.

* * * * *

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

1085- [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]الشعراء:80. اللهُ هو الذي يَشْفِين .. فالشَّافي على الحقِيقَةِ هو اللهُ تعالى .. أمَّا الأسْبابُ التي نتَعَاطاهَا في عِلاجِ المرَضِ؛ فهي أولاً مخلوقَةٌ لله، اللهُ تعالى قد خَلَقَها وأوْجَدَها، وثانياً اللهُ تعالى هو الذي أوْدَعَ في هذهِ الأسبابِ ـ التي نُسميها دَواءاً ـ خاصِيَّةَ الشِّفاءِ .. ومع ذلك أحياناً يُعطِّلُ الخالقُ في هذه الأسبابِ خاصِّيَّةَ الشِّفَاءِ، ويَمنعها مِن أنْ تَعْمَل عَمَلَها المرجُو .. ليَعلمَ المريضُ أنَّ الشَّافي على الحقِيقةِ الذي يجبُ أن يَتعلَّقَ القَلْبُ به هو اللهُ.

* * * * *

إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

1086- [إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]الشعراء:89. سَلِيمٌ مِنَ الشِّركِ، والرِّيَاءِ، والنِّفَاقِ، والأهْوَاءِ، والحِقْدِ على المؤْمِنين .. عَامِرٌ بالإيمانِ، والتَّوحِيدِ، ومَحبَّةِ المؤمِنين.

1087- [إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]الشعراء:89. سَلِيمٌ مِن أمرَاضِ الشَّهواتِ، وأمراضِ الشُّبُهَات.

* * * * *

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ

1088-[قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ]الشعراء:96-98. [قَالُوا]؛ الكُفَّارُ الأَتْبَاعُ، لمتبُوعِيهم، ومَرْؤوسِيهم، ومَعْبُودِيهم، [وَهُمْ فِيهَا]؛ في نارِ جَهنَّم؛ بَرلمانهم يَومَئذٍ، [يَخْتَصِمُونَ]؛ يتجَادَلُون، ويَتَصَايَحُون، ويَتَلاوَمُون، [تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ]؛ عنِ الحَقِّ، والصِّراطِ المُسْتَقِيم، [مُّبِينٍ]؛ بَيِّنٍ وواضِحٍ، [إِذْ]؛ كُنَّا في حياتِنا الدُّنْيا، [نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ]؛ مِن جِهةِ الطَّاعَةِ والمحبَّةِ؛ فنُطِيعُكُم لذواتِكم فِيما تُشَرِّعُون، وتَأْمُرُون وتَنْهون، بغيرِ سُلْطانٍ مِن اللهِ .. ونُحِبُّكُم لِذَواتِكُم؛ فنوَالي ونُعَادِي فِيكم مِن دُونِ الله!

* * * * *

فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

1089-[فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ]الشعراء:100-101. لَا يَنتَفِعُون مِمَّن اتخذُوهم أصدِقَاءَ في الحيَاةِ الدُّنيَا؛ لأَنَّ الصدَاقَةَ لم تكُنْ في اللهِ، ولم تكُنْ وشاؤجُها ورَوابطُها على أُسُسٍ من التَّقوَى والإيمانِ، وإنما كانَت من أجلِ عَرَضٍ مِن الدُّنيا، وأَنَّى لِصَدَاقَةٍ هذه وشَاؤجُها أن تَنفعَ أصحابَها يومَ القِيامَةِ .. وفي الآيةِ تَنويهٌ للاستِكثَارِ مِن إخوَانِ الصِّدْقِ، والإيمانِ، عسَى اللهُ تعالى أن يَنفعَ بِهم، وأن يَأذَنَ لهم بالشفَاعَةِ لأخلَّائِهم وأصدِقَائِهم يومَ القِيامَة .. فما يُمنَعُ عن أهْلِ الكُفْرِ، وأخِلَّاءِ السُّوءِ، يُمنَحُ لأهْلِ الإيمَانِ، ولأَخِلَّاءِ الصِّدْقِ والإيمانِ .. فَلا يَشتركَانِ في وَعِيدٍ أَبَدَاً!

* * * * *

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ

1090-[وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ]الشعراء:183. فرُبَّ دِرْهَمٍ سَبَقَ مَائةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .. ورُبَّ كَسْرَة خُبْزٍ في مَجَاعَةٍ سَبَقَت أَرْطَالاً مِن الدَّقِيق .. ورُبَّ دُعَاءٍ مِن أَشْعَث أَغْبَر مَدْفُوع بالأَبْوَاب؛ يُغيِّرُ اللهُ به الحَالَ إلى أَحْسَنِ حَالٍ .. ورُبَّ كَلِمةٍ طيبةٍ، أو نَصِيحَةٍ ـ لا يُؤبَهُ لها ـ يَنفعُ اللهُ بها عِبَادَه أكثر مِن عَشَراتِ المواعِظِ .. ورُبَّ إحْسَانٍ على بَهِيمَةٍ أو إمَاطَة أذَى عَن طَرِيقٍ، تكونُ سَبباً في دخُولِ صاحِبها الجَنَّةَ .. فَلَا تُنْقِصُوا مِن قَدْرِ النَّاسِ، ومِن أعمَالِهم، وحُقُوقِهم شَيئاً.

* * * * *

مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ

1091-[مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ]الشعراء:207. الكافرُ لجهْلِه وغفْلَتِه، يَظنُّ أنَّ ما يَعيشُه مِن متَاعِ الحياةِ الدنيا، وزينَتِها .. سيعْصِمُه مِن الشَّقاءِ، ومِن العذَابِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .. والحقيقةُ أن المتَاعَ مهمَا تكاثَرَ وتعاظَمَ وتنوَّعَ، لَا يمنعُ عن صاحبِه الشَّقاءَ في الدُّنيا، ولَا العذابَ في الآخِرةِ .. فكَمْ هي الحسْرةُ والنَّدامَةُ عندما يُدركُ الكافِرَ ذلك، يومَ لا يَنفعُ مالٌ، ولا بنُون .. وكَمْ همْ هؤلاءِ الذين اجتمعَ لهم متاعُ الحياةِ الدُّنيا .. حتى ظنُّوا أنَّهم في مَنجَاةٍ من الشَّقاءِ .. انتهَت حياتُهم بالكآبةِ، وجميعِ الأمراضِ النَّفْسِيَّة؟!

* * * * *

أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ

1092- [أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ]؛ إن متَّعنا الكافرين بأنواعٍ مِن متَاعِ الدُّنيا، سنِين حياتهم .. وغرَّهم ما هم فيه من متاعٍ، وسكَنُوا إليه، [ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ]؛ من العذابِ الأليمِ يومَ القِيامةِ، جزَاءَ كُفرِهم، وبَطَرهم، [مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ]الشعراء:205-207. هل يُغني عنهم ما كانوا فيه من النَّعِيمِ، والتَّرفِ، الذي كانُوا يتمتَّعون به، شيئاً من العذابِ .. أم أنه يَزيدهم عذاباً؛ عندما يُسأَلُون عن النَّعيمِ كيفَ اكتسبُوه، وكيفَ أهدَرُوه، وهل شَكرُوه أم كفَرُوه .. ثم مَا قِيمةُ المتَاعِ في تلك السِّنِين المعدودَةِ والقَليلةِ إذا كانَت سَتَنتَهي بصاحِبها إلى نارِ جهَنم وبئسَ المصِير .. وفي الحديثِ، فقد صَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:" يُؤْتَى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِن أَهْلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً في الدُّنْيا مِن أَهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ "مسلم.

* * * * *

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ

1093- [فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ]؛ فلا تتوجَّه بالعبادةِ، أو بشيءٍ مما يدخلُ في معنى العبادَةِ؛ كالدُّعاء، والاستغاثة، والسجودِ، والرُكُوع، والطاعَةِ، والمحبَّةِ، والتحاكُم، والخشيةِ، وغير ذلك .. لغيرِ اللهِ، فإن فعَلت شيئاً من ذلك، وتألَّهت غيرَ الله، بعد أن بلغَك الخطابُ الشَّرعي الذي ينهاكَ عن فعلِ ذلك، [فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ

]الشعراء:213. فإن مصيرَك يومَ القِيامَة إلى العذابِ الأليم .. هذا غير العذابِ الأدنَى الذي يصيبك في الحياةِ الدُّنيا!

* * * * *

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

1094-42- لَمَّا نَزَلَت هذه الآية:[وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ]الشعراء:214. قامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فنَادَى:" يا بَنِي كَعْبِ بنِ لُؤي، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ مَنَاف، أَنْقِذُوا أنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أنفُسَكُم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ المطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أنفُسَكُم مِن النَّار ..."، بهذا الوضُوح يَنبغي أن نُخَاطِبَ الآخرين عندما نَدْعُوهم إلى الإسلام:" أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّار ".

* * * * *

قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

1095-[حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ]النمل:18. نملةٌ مِن أضْعفِ وأضْأَلِ مخلوقَاتِ اللهِ .. تحرسُ قومَها وبني جِنْسِها، مِن أضخَمِ جيشٍ على وجْهِ الأرْضِ؛ جَيشٌ قَهَر جبابرةَ ومُلوكَ الأرضِ؛ إنَّه جيشُ سُلَيمَان عليه السلام ..!!

نملةٌ لم يمنعْهَا ضَعْفُها وضَآلةُ حجمِهَا مِن أن تكونَ حارِسَةَ الحرَسِ، وأنْ تحرسَ قومَها في الخطُوطِ الأماميَّةِ المتقدِّمَةِ مِن الخطَرِ الدَّاهِمِ؛ خَطَرُ جَيشِ وجُند سُلَيمان!

نملةٌ لم تفكّرْ ـ على طريقةِ الأنانيين الانْتِهَازيين ـ بنفْسِها .. كيفَ تنجُو بنفْسِها مِن الخطَرِ .. وليكُنْ بعدَ ذلك لقومِها مَا يكُون .. لَا .. لم تَفعَلْ شيئاً مِن ذلك .. كما يفْعَلُ ذلك كثيرٌ مِن بني الإنْسَانِ .. بل جعلَت نفْسَها وروحَهَا دُونَ قَوْمِها .. وكأنَّها تقولُ لا نجوتُ إن لم ينجُ قَومِي، وأهْلِي .. لا عِشْتُ إن لم يعِشْ بني قَوْمِي .. وأيُّ حياةٍ أعيشُها وبني قَومِي وأهْلِي قد تحطَّمَت بيوتُهم .. وهمُ صَرْعَى كالذَّرِّ تحتَ أقدَامِ جنُودِ سُليمان .. لا نجوتُ إن لم ينجُ بني قومي وجِنْسِي ..!

ثم هي ما إن تَرَى طَلائعَ جيشِ سُليمان قد ظَهَرت .. واقتَرَبَت مِن المنازِلِ .. لم تنتَظِرْ أن تأتي قومَها لتُخبرَهُم خبرَ الجُنْدِ والجيشِ .. فالوقتُ ليسَ لصالِحِها .. وجَيشُ سُليمان أسْرعُ إليهم مِنها .. فَما كانَ مِنها إلا أن صَرَخت وصَاحَت بأعْلَى صَوتِها: يا أيُّهَا النَّمل .. النَّجَاةَ النَّجاةَ .. ادخلُوا حُصُونَكم ومساكِنَكُم .. فإن لم تَفْعَلُوا .. ليحْطِمَنَّكُم سُليمان وجنُودُه وهُم لا يَشْعُرُون!!

تَأمَّل حَرفَ المدِّ ومجيءَ الهمْزَةِ بعدَه في [يَا أَيُّها]؛ مما يُوحِي بندَاءٍ .. وقَلَقٍ .. ومَدٍّ في الصَّوتِ والنِّدَاءِ .. وبكلِّ ما أُوتِيَت مِن قُوَّةٍ:[يَا ..... أَيُّها النَّمل]؛ لكي يسمعها قومُها قبلَ أن يَستشْرِفَهم خَطَرُ جيشِ سُليمَان!

نملةٌ لا قِيمةَ ولا وَزنَ لها في ميزانِ القِوَى .. لا تخشَى أكبرَ قُوةٍ على وجهِ الأرض!!

نملةٌ لا قِيمةَ ولا وزنَ لها في ميزانِ القِوَى .. تَفعَلُ كُلَّ هذه الأفاعِيل .. تَفعَلُ ما لا يفعلُه كثيرٌ من الانتهازيين الأنانيين في عَصْرِنا!

كم من إنسانٍ يَفِرُّ مِن مواجهَةِ العدُو .. ولا يُبالي بما يُصيبُ أهلَه وإخوانَه من بعدِه .. فهو في السِّلمِ والحربِ لا يَعرِفُ إلا نَفْسَهُ .. ولا يعرفُ مَصلحةً إلا مَصلحةَ نفْسِه؟!

كم من حارسٍ يُؤتَى إخوانُه من جهتِه بسببِ إهمالِه وتَقْصِيره .. كم مِن حصْنٍ أو مَدينَةٍ تُنْتَهكُ حُرماتِها مِن قِبَلِ العدُو بسبَبِ إهمالِ وتَقصيرِ حرَّاسِهَا .. أتكونُ هذه النملةُ خيراً لقومِها مِنهم لقومِهم وإخوانِهم ..؟؟!

هذه النملةُ ـ على ضَعفِها وضَآلةِ حجمِها ـ تُعطِي دَرساً كبيراً لأولئك الذين يُؤثرُون الرَّاحَةَ والدّعةَ، والفِرَاشَ الوَثِيرَ .. لا يَهمهم مِن أمرِ العامَّةِ وأُمّتِهم شيئاً إلا أنفُسَهم وذَواتهم!

هذه النملةُ ـ على ضَعفِهَا وضَآلةِ حجمِها ـ خيرٌ من أولئك الذين يَقُولون: الحمدُ للهِ أنَّها جَاءَت على أخِي وجَارَي .. ولم تَجئْ عليَّ .. وقد نجوتُ مِنها وإن هلَكَ غَيرِي!

اعلمْ يا أخِي أنَّك مهمَا قَلَّ شَأنُك فأنتَ لسْتَ أقَلَّ شَأناً مِن تلك النملةِ .. فأقَلُّ ما يمكنُكَ القِيام به أن تفعَلَ فِعْلَها معَ قومِك وأهْلِك .. فتُنْذِرَهم الأخطَارَ التي تُداهمهم مِن كلِّ حَدبٍ وصَوْب، وصَبَاحٍ ومَساءٍ؛ الأخطار التي تُداهمُهم في دِينِهم، وفي أخْلاقِهم،

ومَعَاشِهِم، وأمْنِهم، وأوْطانِهم .. وإني أُعِيذُك أن تكونَ هذه النملةُ خَيراً لقومِها وأهلِها، مِنْك لإخوانِك، وأهْلِك، وأُمَّتِك!

* * * * *

وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

1096- [وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ]؛ الشِّركيَّة، [فَصَدَّهُمْ]؛ بتزيينِه لشركِهِم، [عَنِ السَّبِيلِ]؛ عن التَّوحِيد، [فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ]النمل:24. لشدَّةِ تزيين الشيطان لباطلِهم وشركِهم، وتحسينِه لهم .. فإنهم لا يَهتدُون إلى الحقِّ، ولا إلى عبادَة اللهِ وحدَه .. فإنَّهم يَرون الحقَّ باطِلاً، والباطِلَ حقاً!

* * * * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1097- [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]النمل:30. مَا مِن عَمَلٍ تُريدُ القِيامَ به، والاستفَادَةَ منه، إلا وهو مملُوكٌ ومخلُوقٌ للهِ ربِّ العَالمِين .. والأَدَبُ يَقتَضِي مِنك قبل أن تَقتَحِمَ عملَكَ؛ الذي هو مِن مخلُوقاتِ اللهِ تعالى ومِن مُلْكِه .. أنْ تَستأذِنَ المالِكَ الخالِقَ فِيما تُريدُ القِيامَ بِه، والاستفادَةَ منه .. هذا الاسْتِئذَانُ يَتمَثَّلُ بقولِك " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "؛ أي أستَحِلُّ فِعْلَ هذا الشَّيءِ، وأُقْدِمُ عليه باسمِ اللهِ تَعالى الذي أحَلَّه لي .. ولو استأذَنتَ غيرَه، في استِحْلَالِك للأَشْياءِ، فقُلْتَ:" باسمِ فُلان .. أيَّاً كان هذا الفُلان "؛ أستَحِلُّ هذه الأشياء، فأنتَ بفِعْلِكَ هذا قد استأذَنْتَ مَن لا يَملِكُ ولا يخلقُ .. ولا يحقُّ له أن يأذَنَ أو لا يأذَن .. ثم أنَّك بذلك تكونُ قد أشرَكْتَ باللهِ العَظِيم، واللهُ تَعالى

يَقُول:[قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ]يونس:59.

* * * * *

لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

1098-[لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ]النمل:40. عَكْسُ الشُّكْرِ الكُفر، والكُفْرُ نوعَان: أَصْغَرُ، وهو كُفْرُ النِّعْمَةِ، وأكبَرُ، وهو كُفْرُ المُنْعِم.

1099-[قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ]النمل:40. النِّعَمُ - كالشِّدَّةِ - بَلاءٌ، واختِبَارٌ، فَمَن قَابَلَها بشُكرِ اللهِ، وبالتواضُع، وردِّ الفَضْلِ إلى الله، فقَد فازَ، ونجَحَ في الاختِبارِ، وزادَهُ اللهُ من فَضْلِه. ومَن كفَرَ النِّعَم، فلم يَشْكُر اللهَ، وردَّ الفَضْلَ فيها لنفْسِه ولعزَماتِه، وللأسبَابِ مِن دُونِ اللهِ، وحملَته النِّعَمُ على العُجبِ، والكِبْرِ والتَّعَالِي على الخلْقِ، فقَد خَابَ وخَسرَ، ولم يَضر إلا نفْسَه!

* * * * *

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً

1100-[فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً]؛ خَاليةً مِن الأُنْس، والجمَالِ، والحُبِّ، والسَّكينَةِ، والرَّحمَةِ، [بِمَا ظَلَمُوا]النمل:52. بسببِ ظُلمهم لأنفُسِهم، ولبعضِهم بعضَاً .. فالظلمُ يخرِّبُ العَامِرَ مِن الدِّيارِ، ويجعلُ الدِّيارَ بَلاقِعَ!

* * * * *

أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

1101-[أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ]النمل:62. المضْطَرُّ تجتمعُ فيه أربعُ خِصَالٍ: شِدَّةُ الكَرْبِ .. وشِدَّةُ الحاجَةِ لتَفْرِيجِ الكَرْبِ .. وإفراغُ القَلْبِ مِن العَوَالِقِ التي لَا تَدْفَعُ ضرًّا، ولا تُجلِبُ نَفْعاً .. وصِدْقُ التَّوجُّهِ إلى اللهِ .. ومَن اجتمَعَت فيه هذه الخِصَالُ، يجيبُه اللهُ، ولَا يَردُّه خَائبًا.

* * * * *

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

1102-[وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً]؛ ثابتةً واقِفةً مِن غَيرِ حِرَاكٍ، [وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ]النمل:88. بينَمَا هي في حَقيقَتِها تَسيرُ سَيراً سريعاً جدًّا؛ فتَدُورُ معَ الأرضِ دَورَتِين؛ دَورةً تَدُورُ فيها الأرضُ حولَ نفسِها في اليومِ الواحِدِ، فيَتَعَاقَبُ الليلُ والنَّهارُ، وتُعرَف أوقاتُ الصَّلواتِ الخمس، وما بينها من أوقَاتٍ .. ودَورةً حولَ الشمسِ في السَّنَةِ مرةً واحِدَة، تكون سرعتُها وهي تَدورُ حولَ الشمسِ ـ كما يَقولُ علماءِ الفلَك ـ 107000 كم في السَّاعةِ .. وهي ـ أي الجبالُ ـ معَ هذه السرعَةِ الفائقَةِ لحركَةِ الأرضِ لا تَتَهاوَى، ولَا تَسقُط .. وكذلك المحيطَاتُ، والبحارُ؛ لَا تَرتَطِمُ، ولَا تَسقطُ على اليَابسَةِ، ولا يختلِطُ بعضُها ببعضٍ .. أفلَا يَدلُّ ذلك على الخالِقِ القَدِيرِ .. وأنَّ هذا القُرآن كلامُ اللهِ .. وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رسولُ الله؟!

صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

1103-[صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ]النمل:88. خَلَقَ اللهُ الأشياءَ، فأتْقَنَ وأحسَنَ الخَلْقَ، وأعطَى كلَّ مخلُوقٍ مِن الخصَائصِ والوظائفِ مَا يُمكّنُه مِن العَيشِ، ومِن أداءِ رسالَتِه في هذهِ الحيَاةِ .. لَا يُوجدُ مخلوقٌ قَد خُلِق عَبَثاً، لَا يَعرفُ طعَامَهُ، وشَرابَهُ،

ومَأوَاه، ولَا الغَايَةَ التي وُجِدَ لأجلِها .. تَأَمَّلُوا المخلُوقات السَّماويَّة؛ مِن نجومٍ، وكواكِب، ومجرَّاتٍ .. كلٌّ له وظيفَتُه التي خُلِقَ لها، وكُلٌّ يمشي في السكَّةِ التي رُسِمَت له، مِن دُون أدنَى خلَلٍ أو انحرافٍ .. وانظرُوا إلى الإنسانِ، والخصَائصِ العَجيبَةِ؛ البَاطِنَةِ منها والظاهِرَة، التي أودَعَها اللهُ فيه، والطَّريقَةِ التي يُولدُ بها، والأطوار التي يمرُّ بها .. ثم تأَمَّلُوا المخلُوقات الأرضيَّةِ مِن جِبالٍ، وسُهولٍ، وبحارٍ، ومحيطَات، وحيوانَات، ونبَاتات .. تجدُون منتَهى الإعجَازِ، والدقَّةِ، والإتقَانِ .. أفَلا يَدلُّ ذلك على الخَالِقِ القَدِيرِ، وأنه الإلهُ الذي يجبُ أن يُفرَدَ بالتَّألُّهِ والعِبَادَةِ؟!

* * * * *

وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ

1104- [وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ]النمل:91. هو خَالِقُ ومالِكُ كُل شيءٍ، له مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، وما بينهُمَا، ومَا فِيهِنَّ .. خَالقُ ومالِكُ الملائكَةِ، والجنِّ، والإنسِ، والجنَّةِ ومَا أعَدَّ فِيها للمؤمنين، والنارُ ومَا أعدَّ فيها للكافِرين .. فكلُّ شيءٍ مخلوقٌ ومملوكٌ له سُبحانه .. ليسَ له نِدٌّ، ولَا شَريكٌ في الخلَقِ والمُلكِ، ولَا في الحُكمِ، والأمْرِ .. وكُلُّ شيءٍ سِوَاه ـ على الحقيقَةِ ـ لَا يملكُ شَيئاً .. فأيُّهما أَوْلَى بالسؤالِ، وبالتَّعلُّقِ، وبالرجَاءِ، والخشْيَةِ، والدُّعاءِ، مَن يملِكُ كلَّ شيءٍ، أمَّن لا يملكُ شَيئاً ...؟!

* * * * *

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ

1105- [إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ]القصص:8. الجميعُ شُركاء في الوِزْرِ، الطَّاغُوت، ووزرَاؤه، وجنُودُه .. الطَّاغيةُ يَأمرُ، والوزَراءُ يُقدِّمُون للطاغِيةِ المشورَةَ والرَّأي، والجنُودُ يُنفِّذُون الأوامرَ، والأحكامَ الصَّادِرَةِ عن الطاغيةِ .. فهم الأدَاةُ التَّنفيذيَّة، واليدُ الباطِشَة والضَّارِبة للطاغِيةِ .. بهم يَبطشُ، ويَظلمُ مَن تحتَ حُكمِه من النَّاسِ .. ولولاهُم لما كان للطاغيَةِ كلمة تُسمَع، أو تُنفَّذ .. وبالتالي فهُم شُركَاءُ في الظُّلمِ، والوزْرِ .. وتَطَالُهم المسؤوليَّةُ والمحاسَبةُ كما تَطالُ الطَّاغِيةَ ذَاته .. ولا عُذْرَ لهم لو اعتذَرُوا لأنفُسِهم بالحاجَةِ، وأنَّهم يتجنَّدُون لخدمَةِ الطاغُوت من أجلِ المالِ، ولُقمَةِ العَيْشِ .. فما كانَت لقمَةُ العيشِ يوماً مُبرراً شَرعيَّاً، أو عقلياً، أو أخلاقِيَّاً للوقوعِ في الكُفْرِ، وارتكَابِ الموبِقَاتِ، وظُلمِ النَّاس ...!

* * * * *

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ

1106- [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ]القصص:17. مِن شُكْرِ النِّعَم التي يمنُّ اللهُ بها عليك .. أنْ تكونَ عَوْناً للحقِّ وأهْلِه .. وأن لا تكونَ عَوناً ونَصِيراً للطغاةِ الآثِمين المجرِمين .. ولا عَامِلاً عِنْدَهُم!

يُعرَفُ المرْءُ مِن اصْطِفَافَاتِه، هل اصْطَفَّ في طَابُورِ وزُمْرَةِ الطُّغَاةِ المجرِمين .. أَم اصْطَفَّ في طَابُورِ وزُمْرَةِ المؤمنين الصَّالِحين؟!

1107- [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ]؛ مِن نِعَمٍ كَثيرةٍ لا تُحْصَى، أعظَمُها نِعْمَةُ الهِدَايَةِ والإيمانِ .. [فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ]القصص:17. أتمِمْ نِعَمَكَ عليَّ،

واعصمْني مِن أن أكونَ نَصيراً ومُعيناً للظَّالمين المجرمين؛ أُجَادِلُ وأُنَاضِلُ عنْهم، وعَن ظُلمِهم .. فتَنْسَلِخُ عنِّي النِّعَمُ، وأنْسَلِخُ عَنها .. مِن أكبَرِ العوَامِلِ في إزَالةِ النِّعَمِ عن صاحبِها، نصرَةُ الظَّالمين، والجِدَالُ عنهم، وعن ظُلمِهم!

1108- [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ]القصص:17. مِن شُكْرِ النِّعَم التي يمنُّ اللهُ بها عليك .. والتي مِنها نعمةُ القوَّةِ في العِلم، والبدَنِ، والمالِ .. أن تستخدمَ هذه النِّعَم في طاعةِ اللهِ، ونصرةِ الحقِّ وأهلِه .. وأن لا تكون عوناً ونَصيراً للمجرمِين الظالمِين على جرائمِهم، وظُلمِهم.

* * * * *

رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

1109- [فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ]القصص:24. لَمْ يَقُلْ رَبِّي إِنِّي فَقِيرٌ .. فهَذا لا يَلِيقُ بأدَبِ النُّبُوَّةِ .. وإنَّما سَألَ سُؤالَ المُقِرِّ بفضلِ اللهِ عليه، وبخيرِه الجَزِيلِ الذي لَمْ يَنْقَطِعْ عنهُ .. والشَّاكِرِ لَه .. وأنَّه في سَاعَتِه ـ وقد بَلَغَ به الجهْدُ والجُوعُ مَبْلَغَه ـ التي توجَّهَ فِيها بالدُّعَاءِ، فقير لبَعْضِ الخَيرِ الذي كانَ الرَّبُّ سُبحَانَهُ يخصُّهُ بِه، ويُيسِّرُهُ لَه، وهَذا مِن عَظِيمِ أدَبِ النُّبُوَّةِ .. وعَظِيمِ أدَبِ السُّؤالِ .. قالَ ابنُ عَبَّاس: " كان يَومَئذٍ ـ أي موسى عليه السلام ـ فَقِيراً إلى شِقِّ تَمْرَةٍ "!

* * * * *

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

1110- [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ]القصص:37. لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ .. فالظالمُ مهمَا عَلَا واستكبَرَ .. وانتفَشَ .. وتَزيَّنَ له الظُّلمُ .. مآلُه إلى أفولٍ، وزَوالٍ ذَلِيلٍ ..

لا يَدومُ مُلْكٌ، ولا جَاهٌ مع الظُّلمِ .. فالظلمُ هَادِمُ وهازِمُ الدُّولِ والممَالِكِ .. وقَد جَرَت سنَّةُ اللهِ تعالى في كثيرٍ مِن الظالمين، أن يَضربَ الظالمين بالظالمين .. وأن يُسَلِّطَ الظالمين على الظالمين.

* * * * *

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي

1111-[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي]القصص:38. أي مَا عَلِمْتُ لكُمْ مِن مَعْبُودٍ، ومُطَاعٍ تَرجِعُون إليهِ فِيما يأمرُ بهِ، ويَنْهَى عَنهُ، غَيْرِي .. فأنا المُطاعُ، وغَيرِي يُطاعُ لِذَاتي .. وهَذا لِسَانُ حَالِ جميعِ طوَاغيتِ الأرضِ على مَرِّ التَّارِيخ!

* * * * *

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ

1112-[فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ]؛ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولحملَةِ رسالتِه مِن العلماءِ العامِلين مِن بَعدِه .. فيؤمنون ويُسلمون، [فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ]القصص:50. المانعُ الصادُّ لهم عن الإيمانِ، والدخُولِ في الإسلامِ .. ليس لما لديهم من العِلم، ولا لأنَّهم يملكُون الحجَج والبراهينَ التي بها يردُّونَ ما تدعُوهم إليه .. ليسَ شيئاً من ذلك .. إنما فقط الأهواءُ، والرَّغباتُ، والنَّزَوات، والشَّهوات .. والحرصُ عليها، والخوفُ مِن تقييدِها، أو فوات شيءٍ منها .. هي التي تصدُّهم عن الإيمانِ، والمتَابعَةِ، والدُّخولِ في دينِ الله .. وهي التي تميلُ بهم عن الحقِّ إلى الباطِلِ .. ومَن كان كذلك مهمَا جادَلتَهم، وعَرَضتَ عليهم مِن الحجَجِ والبراهِين والآياتِ البَاهِرات فلن يتَّبعُوك؛ لأنَّ مشكلتَهم ليسَت مِن جهةِ الرغبةِ الصَّادقَةِ في البحثِ عن العِلمِ، والحجَجِ، والبراهِين، وعن الحقائِق .. فمن

كانت مشكلتُه ـ التي تحول بينَه وبين الإيمانِ ـ مِن هذا الجانِب وحَسْب، يهونُ أمرُه؛ فهذا ما إن يَسمعَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وبدعوتِه، وبالقرآنِ الذي أُنزِلَ عليه إلا ويؤمِنُ، وينصاعُ ـ راغباً راضياً ـ للحقِّ.

* * * * *

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ

1113- [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ]القصص:50. يُريدُ دِيناً على مَقَاسِه، يُوافِقُ رَغباتِه، وميولاتِه .. يَسيرُ معه حيثُمَا سَارَ، ويُوافِقُهُ فِيما يختَارُ .. ينتَقِي مِنه ما يُوافِقُ رَغَباتِه وميولاتِه، ويَردُّ مِنه ما يخالِفُ .. فرَغبَاتُه هي الحَكَمُ على الدِّينِ وأحكامِه .. وهي المقياسُ في تحديدِ ما هو حَقٌّ، وما هو باطِلٌ .. وما هو حَلالٌ، وما هو حَرامٌ .. فهذا قَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً .. لا أحَدَ أضلَّ مِنه عن الحقِّ، والصِّراطِ المستقِيم.

* * * * *

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ

1114- [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ]القصص:56. ليسَ بمقدُورِ الأنبياءِ والمرسَلين، وورثتِهم من العُلماءِ العامِلين هِدايَةَ أحَدٍ مِن الناسِ؛ هِدايَةَ تَوفِيقٍ .. مهمَا أحبُّوا له الهِدايَةَ، وأرادُوها له .. فهذا لا يَملِكُونَه، ولا يَقْدِرُون عليه، وإنَّما يملكونَ أن يَهدُوا الناسَ؛ هِدايةَ دَلالَةٍ إلى الحقِّ، وإلى الصراطِ المستقيم .. أمَّا هِدايَةُ التَّوفِيق لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ سُبحانه وتعالى .. أحيَاناً تجدُ إنساناً تكفيه كلمَاتٌ قَليلَةٌ .. ووسَائِلُ بَسيطةٌ وقَليلَةٌ ليُصبحَ مُسلماً ومؤمناً .. ويُشهر إسلامَه .. وأحيَاناً تجد إنسَاناً تبذلُ له كُلَّ جهدكَ وجهدَ مَن حَولكَ من العُلماءِ، وتُقدِّمُ له كثيراً من الوسَائلِ التي تُسهِّل عليه

الهِدايَةَ .. إلا أنَّه لا يَهتَدِي .. ويظلُّ مُعَانداً مُكابراً .. لتعْلم أنَّ الهادِي ـ هداية تَوفيق ـ هو اللهُ تعالى وحدَه.

1115-[إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]القصص:56. أحياناً تحبُّ هدايةَ إنسانٍ قَريبٍ أو صَديقٍ، وتحرصُ على هِدايتِه .. وتُرغِّبُه بالهِدايةِ .. وتسوقُ له الأدلَّةَ النقليَّة والعقْليَّة، التي تساعِدُه على الهِدايةِ، وتحقِّقُ عندَه العِلمَ، وتَدفعُ عنه الجهلَ .. فيُقَابِل جُهودَك وحرصَكَ بالصدِّ والإدْبارِ، والاستهتَارِ .. فتُصَابُ بشيءٍ من الإحباطِ والحزنِ .. هنَا، وفي هذه اللحظةِ أنتَ معنيٌّ مِن خِطابِ اللهِ تعالى:[إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ]؛ فهدايةُ التوفيقِ ليسَت لك، ولا لغيرِك .. فإنَّك لن تَقدرَ على أن تهدي أحَداً هِدايَةَ تَوفيق، وإنما مهمَّتك تقتَصرُ على هِدايةِ البيانِ والدَّلالةِ على الحقِّ، لا غَير، ثم تفوضُ أمرَ هِدايَةَ مَن تُحب إلى اللهِ تعالى، [وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ]؛ فالذي يَهدي هِدايَةَ تَوفيقٍ، ويَقْدرُ على أنْ يهدي الناسَ هِدايَةَ تَوفيقٍ هو اللهُ تعالى وحده، فمنه تُطلَب الهدايةُ، والثباتُ على الهِدايَةِ، [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]؛ بمن يُريدُ الهدايةَ، ويحرصُ عليها، ويَسعَى لها سَعْيَها؛ فهذا اللهُ تعالى يُسَهِّلُ له الهدايةَ إلى الحقِّ، ويجعله من المهتَدِين .. وهو أعلمُ بالمعانِدين المتكبرين .. فهؤلاء لا يَهديهم اللهُ تعالى، ولا يُسَهِّلُ عليهم أمرَ الهِدايةِ، ولو بُذِلَت لهم جميعُ وسَائل الهِدَاية.

* * * * *

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا

1116-[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا]القصص:58. كم تُفيدُ التَّكثيرِ، أي هي كثيرةٌ تلكَ المدُن التي تمَّ إهلاكُها، ودمَارُهَا، وخرابُها، بسببِ أنَّ النِّعَم التي منَّ اللهُ بها عليهم، بَدلاً مِن أن تحملَ أهلهَا على شُكْرِ الله .. حملتهم على الطُّغيانِ، والأشَرِ،

والتَّعَالي، والغُرورِ، والتَّفَاخُرِ، والإسْرافِ، والتَّبذِيرِ .. فَكَفَرُوا النِّعْمَةِ .. فكانَ ذلك سَبَباً في زَوالِ النِّعمةِ عنهم .. واستبدَالِ النِّعمَةِ بنَقْمَةٍ .. لو تَّعظُون مِنْها!

النِّعمةُ تبْقَى، وتَزيدُ، مَا شَكَرْتها، ولم تَكْفُرْهَا .. فإذا كفَرْتَها، فقَد آذَنَت بالرَّحِيل!

* * * * *

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ

1117- [وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ]القصص:62. يوم القِيامَة .. يوم تكونُ الشمسُ دانيةً من الرؤوسِ .. وجهنم يُسمَعُ لها زَفيرٌ وشَهيق .. في هذا اليوم الذي يكونُ فيه الملك كله للهِ .. والناسُ مجرَّدُون من كل شيءٍ .. والقلُوبُ قد بلغَت الحناجر مِن شدَّةِ الخوفِ، والرَّهْبَةِ .. يُنادِي اللهُ تعالى المشركين على وجْهِ التَّقْريع، والتَّوبيخ، والتهديدِ، والوعيدِ .. ليزيدَهم حَسرةً وندامَةً .. أين الذين كنتم تُشركُونَهم معيَ في العبادَةِ، والطَّاعةِ، فتعبدُونهم، وتطيعونَهم في التَّحليلِ والتَّحريمِ مِن دُوني .. وتَزعمون أنَّهم آلهةً من دُونِ الله .. فليخرجُوا الآن إن كنتم صَادقين فيما كنتم تَنسبُون إليهم من الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ .. هل يَقدرُون أن يَنفعوكُم في شيءٍ، أو أن يدفَعُوا عنكم شيئاً مِن العَذَاب ...؟!

* * * * *

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

1118- [وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ]؛ من المخلُوقاتِ الإنسيَّةِ، والجنيَّةِ، والكونيَّةِ، والأرضيَّةِ، وعلى الصُّورةِ التي يُريدها ويختارُها، لا رَادَّ، ولا مانعَ لمشيئتِه الماضيَةِ في خَلْقِه شَيء، [وَيَخْتَارُ]؛ ويَصطَفِي مَن يَشاءُ مِن عِبادِه؛ أنبياءَ، وأولياءَ، وصِدّيقين، وشُهداءَ ..

ويَصطفيهم لما يَشاءُ مِن المهَامِ، والأعمالِ، والطَّاعاتِ، [مَا كَانَ لَهُمُ]؛ للشركاءِ، والأندادِ، والأصنامِ الذين يُعبَدُون مِن دُونِ اللهِ، [الْخِيَرَةُ]؛ أن يختارُوا شَيئاً معَ خِيرةِ اللهِ .. فَلا شراكَةَ ولا رَأي لهم فِيما يختارُه اللهُ ويُريدُه أن يكونَ في الوجُودِ .. كما أنَّهم لا يملكُون حقَّ الاختيارِ، والاصطفَاءِ، والتزكيَةِ لغيرِهم، فاختيارُهم ـ لو فعلُوا ـ لا قيمةَ ولا وزنَ له في ميزان الحقِّ، والحقيقَةِ، فلو قَالُوا عن كذَّابٍ دَجَّالٍ بأنَّه نبيٌّ .. أو عن فاجرٍ كافرٍ بأنَّه وليٌّ .. لا قِيمةَ ولا حقيقَةَ لاختيارِهم ولشهادَتِهم، فهم على الحقيقَةِ يختارُون طواغِيت يُعبَدُونهم مِن دونِ اللهِ، [سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]القصص:68. تنزَّه اللهُ وتَعالى عمَّا يفعلُه المشركُون مِن شِركٍ، وعندما يتوجَّهون بالعبادَةِ لمن لا يَستحقُّ العِبادَة، ولا يملكُ أن يخلقَ، ولا أن يختَارَ .. ويُعرضُون عن عبادَةِ وتوحيدِ مَن بيدِه الخلْق، والأمْر، والخِيرَة.

* * * * *

إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

1119- [وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ]القصص:76. لَا تَفْرَحْ فرَحَ البَطَرِ والتَّعَالِي الذي يُنْسِيكَ فضْلَ اللهِ عليك .. ويُنْسِيكَ ما للفقراءِ والمسَاكِين مِن حَقٍّ فيمَا رزَقَك الله .. فاللهُ تعَالى لَا يحبُّ مَن كان فرَحُه مَبْعَثه البَطَر، والكِبْر، والتَّعَالي على الحقِّ، والخلْق!

* * * * *

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

1120- [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ]القصص:77. اطلُب رِضَا اللهِ، وثوابَ الآخِرَةِ في استعمالِ مَا آتَاكَ اللهُ مِن المالِ، والعِلمِ، والمُلْكِ، والقُوَّةِ في طاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

1121- [وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا]القصص:77. ولَا تَنسَ فِيما خصَّك اللهُ به مِن نِعَم الدُّنْيَا أن تَعملَ بها لآخِرتِك .. فَلا تُشغِلُك النِّعمَةُ عن المُنعِم المتفَضِّلِ، ولا عَن أدَاءِ حقُوقِها .. فلكلِّ نِعمَةٍ عليك حقًّا.

1122- [وَأَحْسِن]؛ إلى عبادِ اللهِ مِن ذَوي الحاجَةِ بما استخْلفَك اللهُ عليه مِن عِلمٍ، ومَالٍ، وقُوَّةٍ، [كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ]القصص:77. بالنِّعَم العديدَةِ والوافِرَةِ .. وإحسَانُك إلى عِبادِ اللهِ يَزيدُ مِن إحسَانِ اللهِ إليك.

1123- [وَلَا تَبْغِ]؛ ولَا تَطلُب فِيما آتَاكَ اللهُ مِن المالِ، والقوَّةِ، والعِلمِ، [الْفَسَادَ]؛ الضَّرَرَ والخرَابَ، [فِي الْأَرْضِ]؛ بأن تعمَلَ بما آتاكَ اللهُ إياه مِن الخيرِ، والنِّعَمِ، بخلافِ أمرِ اللهِ ونَهجِه، [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]القصص:77. الذين يخالِفُون نهجَ اللهِ، ويَعملُون بالمعَاصِي، ويُفسِدُون على الناسِ دِينَهم، ومعَاشَهم، وحيَاتهم!

* * * * *

وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ

1124- [وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]القصص:77. يُرادُ بالفسَادِ معنيان: فسَادٌ في الصُّورَةِ، والبيئة، وفسَادٌ في المعنَى؛ الذي يَشملُ الفسَادَ في القِيَمِ، والمبادِئ، والأخلاقِ، والسُّلُوك .. فكِلَا المعنيَين للفسَادِ لا يحبُّهما الله تعالى، والنَّهي

يَشملهما معَاً .. وأَوْلَى النَّاسِ بالاستخلافِ في الأرضِ هم الذين يجتنبون الفسادَ بنوعَيه الآنِفَي الذِّكْر، وأكثرهم حرصَاً على جمَالِ الأرضِ، وعلى إعمارِهَا بالجمَالِ؛ جمَالُ الصُّورَةِ، والمعَانِي معَاً .. فاللهُ تعالى جميلٌ، يُحِبُّ الجمالَ، وقد خَلَقَ الأرضَ جميلةً، واستخلَفَ الإنسانَ فيها ليزيدَها جمَالاً، ويَعمرها بالجمَالِ.

* * * * *

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي

1125- [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي]القصص:78. كُلُّ مَن يَردُّ إنجَازَاتِه ـ أيَّاً كانَ نَوعُها ـ للأَسْبابِ مِن دُونِ اللهِ، فهو على مَذْهَبِ وقَولِ الكَافِرِ قَارُون!

* * * * *

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً

1126- لِسَانُ حَالِ المفتونين بالدُّنيا، يقول ـ وعَبْرَ كُلِّ زمَانٍ ـ:[يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]القصص:79. بينما لِسانُ حالِ المؤمنين، الذين أُوتُوا العِلْمَ، يقول ـ وعبرَ كلِّ زمَانٍ ـ:[ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً]القصص:80.

* * * * *

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ

1127- [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ]؛ تعَالِيَاً على الخلْقِ، [وَلَا فَسَاداً]القصص:83. ولَا رَدَّاً للحقِّ.

* * * * *

فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ

1128-[فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً]؛ مُعيناً، ونَاصِراً، ولو بَشَطْرِ كلمَةٍ، [لِّلْكَافِرِينَ]القصص:86. على كُفْرِهِم، وظُلمِهم، وباطلِهم .. فتكون بذلك عَوناً لهم على الحقِّ وأهْلِه .. وهَذا نهيٌ يَقتَضِي ضِدَّه؛ أي لَا يكفي أن لا تكونَ مُعيناً، ونَاصِراً لهم .. فتأخذ موقفَ الحِيادِ السَّلبي .. لَا؛ بَلْ عليك أيضاً أن تخالفَهم، وتُفاصلَهم، وتُباينَهم .. وأن تكونَ ظَهيراً للحقِّ وأهلِه .. فَلا يَستقيمُ براءٌ مِن الكافِرين الظَّالمين مِن غَيرِ ولاءٍ للمؤمنين.

* * * * *

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ

1129-[وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ]؛ لَا تعبُدْ معَ الله إلهاً آخَر، فعبادَتُك للهِ لا تُبررُ لك أن تعبدَ آلهةً أُخْرَى، ولا تَتشفَّع لك .. فعبادَةُ اللهِ تعالى وعبادَةُ غيرِه ـ بأيِّ وجهٍ من أوجهِ العِبادَة ـ لا يجتمعَان أبَداً .. فاللهُ تَعالى لَا يَقبلُ عمَلاً أُشرِكَ معَه غيرُه، وهو أغنَى الشُّركاءِ عن الشركِ، [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ]؛ لَا مَألُوه، ولَا مَعبُود على الحقيقةِ، وبحقّ، إلا اللهُ، [كُلُّ شَيْءٍ]؛ عامٌّ وشَاملٌ لكلِّ شيءٍ في الوجُود، [هَالِكٌ]؛ ميتٌ وزَائلٌ، ومَن كان مصيرُه إلى الهلاكِ والفنَاءِ لَا يَصحُّ، ولا يجوزُ أن تتخذوه إلهاً، ومَعبُوداً، [إِلَّا]؛ أداةُ استثناءٍ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [وَجْهَهُ]؛ إِلَّا اللهُ؛ فإنه الحيُّ القيوم الذي لا يموت، ومَن كان كذلك هو الذي يجبُ أن نتوجَّهُوا إليه بالعبادَةِ، لا أحَداً سواه، [لَهُ الْحُكْمُ]؛ فقضَاؤُه وحده في الوجُودِ كلِّه هو النَّافذُ، فما شَاءَ كان، ومَا لم يشَأ لم يكُنْ ..

فمن رَضي فله الرِّضَا، ومَن سخطَ فعليه سخطُه،[وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]القصص:88. وإليه تُبعثُون من قبورِكم، وتَرجعُون بعد الموتِ .. ليُجَازي كلَّ واحدٍ من عبادِه بما كان مِنه مِن عَمَل.

* * * * *

أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا

1130- [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا]؛ فيستفيدون من إيمانِهم في الدّنيا والآخرة، ويُكتب لهم به القبول، والنجاة، وعلو الدّرجات، [وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ]العنكبوت:2. وهم في المقابل لا يُريدون أن يُختَبَروا بأنواعِ البَلاءات، التي تُعَرّف على صدق إيمانهم من عَدَمه، وتُظهِر حقيقةَ دعواهم [آمَنَّا]؟! لا؛ فالمِنَح، بعد المِحَن، والمنَح لا بد أن يتقدمها محن.

1131- [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ]العنكبوت:2. المؤمنُ مُبْتَلَى، ويُبتَلَى على قَدْرِ دِينِه .. وأيُّما امرِئٍ تَخْلُو مَعَالجتَهُ للبَلاءِ مِن الصَّبرِ، والاحتِسَابِ، والرِّضَا، والتَّفْويضِ .. فَقَدْ رَسِبَ في اختبارِ البَلاءِ .. ولم يخرُجْ مِن البَلاءِ بخيرٍ .. ولم يَزِدْهُ البَلاءُ إلَّا رَهَقاً.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

1132- [وَمَن جَاهَدَ]؛ سَواء كان جِهَادَ قِتَالٍ، أم جِهادَ نَفْسٍ، [فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ]؛ المجَاهِدُ [لِنَفْسِهِ]؛ لمنْفَعَةِ نَفْسِه؛ فهو المنتفعُ من جِهادِه في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وهو الذي يحتَاجُ للجِهَادِ؛ ليسْلَمَ ويأمَنَ في الدُّنيا، وينْعَمَ في الآخِرَةِ .. فلا يَمُنَّنَّ على اللهِ جِهَادَه .. أمَّا اللهُ تعالى فهو الغَنِيُّ عن العِبادِ، وعن جِهادِهم، وعِبادَتِهم، [إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:6. فلو كانَ النَّاسُ جميعاً على أتْقَى قَلْبِ رجُلٍ لمَا زَادَ مِن مُلْكِه شَيئاً، ولو كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ، ما نَقَصَ مِن مُلْكِه شَيئاً.

* * * * *

أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ

1133-[أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]العنكبوت:10. أينَ المفَرُّ .. وأينَ المنْجَا، والملْجَا .. فاللهُ تعالى لا يَخفَى عليه شَيءٌ، يَعلَمُ ما تَتواطَؤ عليه قلُوبُ العِبادِ، وما تُضْمِرُه مِن خَيرٍ أو شَرٍّ، قَبل أن تُظهِرَه .. وقادِرٌ على أن يَأخُذَ به، ويُجازي عليه .. عِندما يُحالُ بينَك وبين ما يُضْمرُه المنافقون من شَرٍّ، أو كُفْرٍ .. وبينَك وبينَ كَيدِ ومَكْرِ الأعْداءِ، وما يُحِيكُونَه في الظُلُماتِ .. وعِندَما تُضْمِرُ في قلبِكَ غشّاً أو خِيانَةً، ورِياءً لا يَعلمُه النَّاسُ .. أو حُبّاً، ووفَاءً، وإخْلاصاً لا يُكَافِئكَ عليه النَّاسُ .. وعِندما تَهمُّ بحسَنَةٍ أو سَيِّئةٍ .. وعِندما تَشتَدُّ عليكَ الآلامُ والمحَنُ، وقَلبُكَ يَئِنُّ من وطْأتِها وشِدَّتِها .. ثمَّ لا تَقْوى على رَفْعِ قَضِيَّتِك إلى السَّماءِ .. في جميعِ هذه الحَالاتِ والصُّوَرِ، تَذَكَّر قولَه تعالى:[أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ]، بَلَى .. بَلَى!

* * * * *

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

1134-[قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ]العنكبوت:20. أفادَ وجوبَ النّظرِ، بتدبّرٍ، وتفكّر، وتأمّل .. كما أفادَ أنَّ اللهَ تعالى سيمكّنُ الإنسانَ من النظرِ في [كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ]، خَلْقُ الإنسانِ، والكونِ سواء، إذْ يستحيلُ أن يأمرَ اللهُ عبادَه بالنَّظرِ، ثم لا يمكّنُهم من النّظَرِ .. وهو ما يُفسّر تمكّنَ العلماءِ المعاصرين من الوقوفِ على بعضِ الحقائقِ العلميّة الدقيقةِ المتعلّقةِ بخلقِ الإنسانِ، والكون .. وبما يصدّقُ ما وردَ في القُرآن الكريم.

* * * * *

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً

1135-[مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]العنكبوت:41. هذا المثَل ضُرِبَ لكلِّ مَن يَعبد غيرَ اللهِ، ولكلِّ مُشْرِكٍ يتوجَّه بحاجتِه إلى غيرِ اللهِ، أيّاً كان هذا الغَير، كانَ حجَراً، أم شجراً، أم بقَراً، أم قَبراً، أم بَشَراً .. يتوجَّه إليه بالطَّلبِ، والاستعانَةِ، والدُّعاءِ .. يظنُّ أنَّه نافِعُه، أو قادرٌ على أن يَنفعَه ويُغيثَه .. فإنه بفعلِه هذا واهِمٌ، وجاهِلٌ، وخاسِرٌ .. وهو مَثَله مثَل مَن يحتَمي ببيتِ العنكبوت مِن العَواصِف، والمَخاطِر .. وأنَّى لبيتِ العنكبُوت أن يحميَه ويحفظَه ويقِيَه مِن العواصِفِ والمخَاطِر .. كذلك الذين يتوجَّهون بالعبادةِ، والدُّعاءِ، والاستغاثَةِ، والطلبِ إلى غيرَ اللهِ .. فأنَّى لهذا الغيرِ ـ الذي هو أضعفُ مِن بيتِ العنكبُوت ـ أن يستجيبَ لهم .. أو أن ينفعَ المشركين في شيءٍ مما يتوجَّهون به إليه، أو يَسألونَه لتلك الآلهةِ الغَير؟!

* * * * *

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ

1136-[إِنَّ الصَّلَاةَ]؛ إنْ تمَّت المواظَبةُ عليها في وقتِها، وأُقِيمَت بشرُوطِهَا، وواجِباتِها، وتحقَّقَ فيها الخُشُوعُ، فهي بِذاتِها ـ مِن غَيرِ مواعِظَ أُخْرَى ولا واعِظِين ـ كَفيلَةٌ بأن [تَنْهَى]؛ صَاحِبها [عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ]العنكبوت:45. عن المعاصِي والمنكرَات، والموبِقَات؛ لأنَّ الصَّلاةَ إيمانٌ، وعِظَةٌ وتَذكيرٌ، وذِكْرٌ، وصِلَةٌ بين العبدِ وربِّه، وهي طَهُورٌ تُطهِّرُ صاحِبها مِن الخَطَايا والذُّنُوبِ .. فما بينَ الصَّلاةِ والصَّلاةِ كَفَّارَةٌ لما بينَهُمَا مِن الخَطَايَا .. كما في الحديث:" تَحترِقونَ تحترِقونَ ـ أي بِسَبَبِ مَا تَرتكبُونَه مِن خَطَايَا وذُنُوب ـ فإذا صلَّيتُم الصُّبحَ غَسَلَتْها ـ أي أطفأت النِّيرانَ التي أوْقَدَتها الذُّنُوبُ، وأزَالَت آثارَها ـ

ثمَّ تَحترِقونَ تحترِقون، فإذا صلَّيتُم الظُّهرَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم العصرَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم المَغربَ غَسَلَتْها، ثمَّ تحترِقونَ تحترِقونَ، فإذا صلَّيتُم العِشاءَ غَسَلَتْها، ثمَّ تنامونَ فلا يُكْتَبُ عليكُم حتَّى تَستَيقِظُوا " صحيح الترغيب:357. وصَلاةٌ هذا هو بَعضُ فَضْلِها، وأثَرِهَا .. لا شَكَّ أنَّها يوماً سَتَنْهَى وتَحجِزُ صَاحِبَها عن مُقارَفةِ المعَاصِي والمنْكَرَاتِ .. والحَسْرَةُ تَعظُمُ على مَن يَقارِفُ المعَاصِي والمنكَرَات، وتَكْثُرُ عليه، بينما هو لا يَكُونُ من أهْلِ الصَّلَاةِ!

* * * * *

وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ

1137- [وَلَذِكْرُ اللهِ]؛ ذِكْرُ القَلْبِ، واللِّسانِ، والجوارِحِ مَعاً، كالصَّلاةِ؛ فإنَّها تَجمعُ بين الأنواعِ الثَّلاثةِ مِن الذِّكْرِ، [أَكْبَرُ]العنكبوت:45. أفضلُ وأعْظَمُ أجراً مما سِواهُ من الأعمالِ والطَّاعاتِ .. وأكبرُ أثَراً مِن غيرِه مِن الطَّاعاتِ في نهي المرءِ عن الفَحْشَاءِ والمنكَرِ .. وأكبرُ وأقوَى من الخَطَايا والذُّنُوبِ مَهما عَظُمَت .. وأكْبَرُ مِن قِوَى الشرِّ والشَّيطانِ، ومَكَائِدِه .. وأكبَرُ مِن الهمُومِ والغمُومِ مَهْمَا بلَغَت .. وأكبرُ مِنَ الأمراضِ النَّفْسيَّةِ المستعْصِيَةِ، فَلا يَقوَى مَرَضٌ نَفْسِيٌّ على ذِكْرِ اللهِ .. والذِّكْرُ المتعلّقُ بفعْلِ الواجِباتِ كالصَّلاةِ، والحَجِّ، وغيرها، أعظَمُ وأكبرُ من الذِّكْرِ فِيما سِوَاهَا من الطَّاعَاتِ المتعلّقَةِ بالنوافِلِ .. والذِّكْرُ المتَعَلّقُ بِمُنَاسِبِه، كالذِّكْرِ المتعلّقِ بالنِّعَمِ عِند ورُودِها، أو الذِّكْرِ المتَعَلّقِ عِند ورُودِ الشَّدائِدِ، ومَا يُناسِبُها مِن أذْكَارٍ، أو الذِّكْرِ المرَافِقِ للتَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ، والنَّظرِ في آياتِ اللهِ العظيمةِ والكَثيرةِ، وبما يُناسِبُها مِن أذْكَارٍ .. هذا النوعُ من الذِّكْرِ أعظَمُ وأكبرُ أجراً مِن الذِّكْرِ المجرَّدِ .. وفي كُلٍّ خَيرٍ .. وفي الحديث:" ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزْكَاها عِندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم، وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والوَرِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تَلقَوا عدوَّكُم فتضرِبُوا أعناقَهُم ويَضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعالى. قالَ معاذُ

بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللهِ من ذِكْرِ اللهِ " صحيح سنن الترمذي:3377. وقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ إنَّ شَرائعَ الإسْلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به؟ قال: لا يَزالُ لسانُك رَطِباً - أي طَرِيّاً - مِن ذِكْرِ اللهِ "صحيح سنن الترمذي:3375. فلا تجْعَلْ بين الذِّكْرِ والذِّكْرِ زَمَناً طَويلاً!

* * * * *

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ لَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

1138- [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ]؛ اليهودَ، والنَّصارَى، [إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ الأسلوبُ الذي يجمعُ بينَ قِيَامِ الحُجَّةِ، والرِّفقِ في الخِطَابِ، مِن غيرِ تَعنيفٍ، ولا تجريحٍ، فإنَّ ذلك أدعَى لهم أن يفقهُوا عنكم ما تقُولُون، ويَستجيبُوا لكم إلى ما تَدعونَهم إليه من الإيمانِ .. هذا مَن جنَحَ مِنهم للسِّلْمِ، وللحوارِ، وإلى الإصْغاءِ لنداءِ العَقلِ والفِطْرةِ، [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ]؛ أمَّا الذين ظلَمُوا ويأبون إلا أن يَركبُوا الظلمَ، والعنفَ، ويَرفضُون الجِدالَ والحوارَ .. فهؤلاء يُعامَلُون ويُقابَلُون بالمثلِ، ويُرَدُّ عليهم من جِنْسِ أفعالِهم، وأقوالِهم، مِن غيرِ عُدوانٍ، ولا زِيادَةٍ في المقابَلةِ، [وَقُولُوا]؛ لهم في حَالِ إعراضِهم، وعدَمِ إيمانِهم .. أمَّا نحنُ فَلا نتابعُكم على كُفرِكم، وإعْراضِكم، إنَّا [آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا]؛ القُرآنُ الكَريم، [وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ]؛ التَّوراةُ والإنجيلُ، كما أنزلهما اللهُ تعالى على مُوسَى، وعيسَى عليهما السلام، قبل أن يعتريَهما التَّحريفُ، والتَّبديلُ، والإحْداثُ .. لا نُفرِّقُ بينَ أحَدٍ مَن رُسلِ اللهِ، كما لا نُفَرِّقُ بين كُتبِ اللهِ المنزَّلةِ على أنبيائِه ورُسُلِه، مِن حيث الإيمانِ والتَّصديقِ، والتَّعظيمِ، والتَّوقيرِ، [وَإِلَٰهُنَا]؛ الذي نُؤلِّهُهُ ونعبدُه، [وَإِلَٰهُكُمْ]؛ الذي يجبُ أن تُألِّهُوه وتَعبدُوه، [وَاحِدٌ]؛ إلَهٌ ومَعبُودٌ واحِدٌ في ربُوبيَّتِه وفي ألوهيَّتِه .. إلهٌ واحِدٌ في ذاتِه، وأسمائِه الحُسْنَى، وصِفَاتِه العُلْيَا لَا شَرِيكَ له، [وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]العنكبوت:46. مُسْتَسْلِمُون، خاضِعُون، ومُطِيعُون.

* * * * *

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ

1139-[وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]العنكبوت:52. لَمْ يَقتصرْ إيمانُهمْ على الإيمانِ بالأديانِ الباطِلَةِ الشائعةِ المعروفَةِ .. وإنما أيُّما باطِلٍ يُضَادُّ الحقَّ، والإيمانَ، والتَّوحيدَ .. فهم يُؤمنُون به، وينصرونَه، ويُكَثِّرُون سوادَه .. فحيثُمَا يُوجَد الباطِلُ ـ أيّاً كان هذا البَاطِل ـ وُجِدُوا، ووجَّهُوا سِهامَهم وأسلحَتَهم لخدمَتِه، ونُصرَتِه ...!

1140-[وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ]؛ آمَنُوا بالطَّاغُوتِ؛ وهو كلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ، ولو بوجهٍ مِن أوجهِ العِبَادَةِ، [وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]العنكبوت:52. هم الخاسِرُون في الدُّنيَا، والآخِرَةِ.

* * * * *

يَا عِبَادِيَ

1141-[يَا عِبَادِيَ]العنكبوت:56. مَا أجمَلَ، وأعْظَمَ، وأكْرَمَ، وأشْرَفَ، وأجَلَّ هذا النِّدَاء الخالِد؛ إنَّه محفُوفٌ بأجمَلِ مَعَاني المعيَّةِ، والانتِسَابِ، والاخْتِصَاصِ، والمَحَبَّةِ، والوَلَايةِ، والعِنَايَةِ، والرِّفْقِ، واللطْفِ، والرَّحْمَةِ .. مِن رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ؛ الذي له الأسْماءُ الحُسْنَى، والصِّفَاتُ العُلْيَا!

* * * * *

إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

1142-[يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ]العنكبوت:56. مِن غَايَاتِ سعَةِ الأرضِ تَحقِيقُ سَلامَةِ العِبادَةِ والدِّين .. فإن ضَاقَت في مَوضِعٍ اتَّسَعَت في مَوْضِعٍ آخَر .. وإن حُوصِرْتَ ومُنِعتَ في أرضٍ من العِبادةِ ومِن

إظهارِ الدِّينِ .. وكُنتَ مُضطهداً في دينِك .. تُهاجر إلى سواها مِن الأراضِي الواسِعَةِ التي تَستطِيع أن تظهرَ فيها دينَك .. وتتحقَّق فيها سلامَةُ العِبادَة والدِّين .. فالهجرةُ باقيةٌ وماضيةٌ إلى قيامِ السَّاعَةِ .. واللهُ تعالى قَد وسَّعَ الأرضَ؛ لكي يجدَ فيها عِبادُ اللهِ الموضِعَ الآمِن الذي يأمَنُون فِيه على دِينِهم وأنفُسِهم .. والمؤمنُ حيثُما وجَدَ الموطِنَ الذي تتحقَّقُ فيه سلامَةُ العِبادَةِ والدِّين ـ بنسبةٍ أكثر من غَيرِه ـ حَطَّ وأقَامَ.

* * * * *

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

1143- [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ]العنكبوت:61. أَقَرُّوا وآمنُوا بالربُوبيَّةِ، وكَفَرُوا وأشركُوا في الأُلوهيَّةِ .. آمنُوا باللهِ خالِقاً ورَبّاً .. وكفَرُوا به حاكماً، ومُشَرِّعاً، ومَعبُوداً .. وهذا لَا يُقبلُ مِنهم؛ إذْ كيف يَعدِلُون عن تَوحِيدِه في الألوهيَّةِ بعدَ أن أقرُّوا له بتوحيدِ الربوبيَّةِ .. فالخالِقُ هو المعبُود، والمعبُودُ هو الخالِقُ .. وهذا الإيمانُ والكُفرُ لا يجتمِعَان معاً في قلبِ امرِئٍ مؤمنٍ أبَداً، والجمع بينهما فيه مِن التَّعارض البَيِّن الذي تَرفضُه العُقُولُ السَّليمَةُ، وهو كمَن يَقولُ بالشيءِ وضِدِّهِ في آنٍ مَعاً!

* * * * *

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

1144- [وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ]؛ لهي الحياةُ الحقيقيَّةُ لا غَيرها، مِن حيثُ الزَّمَن؛ فهي حياةٌ أبديَّةٌ لا يَعقُبها موتٌ ولا فنَاءٌ .. ومِن حيثُ المصير؛ فهي إمَّا نَعيمٌ مُقيم دائمٌ لَا ينقطعُ، ولا يَشوبُه نَقْصٌ، ولا كَدَر .. وإمَّا عذابٌ أليمٌ، [لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ]العنكبوت:64. هذه الحقيقَة لمَا آثَرُوا الحيَاةَ الدُّنيا القَصيرة الفانِيَةِ، على الحياةِ الآخِرَةِ الدَّائمةِ، ولعَملُوا للآخِرَةِ، وتَزوَّدُوا لها بالعملِ الصَّالح.

* * * * *

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

1145- [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا]؛ وسْعَهم [فِينَا]؛ في طَاعَةِ اللهِ [لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]العنكبوت:69. سُبُلَ الفَلَاحِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

1146- [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا]العنكبوت:69. أي الذين جاهدوا أنفسَهم في طاعةِ الله؛ فحملوها على الإئتمار بما أمر الله تعالى به، والانتهاء عمّا نهى عنه، في زمانِ ومكان الأمر والنّهي .. فمن تحققت فيه هذه المجاهدة العامّة، تكفّل الله بهدايته إلى سُبل الخير، التي تكون سببَ سعادته ونجاته في الدنيا والآخرة.

* * * * *

غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

1147-[غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ]الروم:2-4. مَا مِن صِرَاعٍ بينَ شَرَّين - وفي أيِّ زَمانٍ وأيِّ مَكانٍ - إلَّا والمؤمنُون تميلُ قلُوبُهم معَ أقَلِّهمَا شَرَّاً، ويفرحُون لانتصَارِ الأقَلِّ شَرَّاً وضَرَراً على الأكثرِ شَرَّاً وضَرَراً .. وهذا مِن دَقائقِ مَسائِلِ عقيدَةِ الولَاءِ والبَراءِ .. لكن أحيَاناً يَلتَبِسُ على المؤمنِين أيُّهمَا أكثرُ شَرَّاً، وضَرَراً مِن الآخَر .. أو فريقٌ مِن المؤمنِين؛ لأسبَابٍ خاصَّةٍ بِه، يَرَى أنَّ أحدَهمَا أشدُّ شَرَّاً من الآخَر، بينما الفَريق الآخَر من المؤمنِين لأسبَابٍ خاصَّة بِه، يَرَى عكسَ وخلافَ الفريقِ الأوَّل مِن المؤمنِين .. فهذا وارِدٌ، ويحصَلُ .. لكن لا يَنبَغِي لمثلِ هذا الخِلافِ أن يُفسِدَ الودَّ بينَ الفَريقَين من المؤمنِين، مع اتِّفاقِهمَا أنَّ كِلَا الشَّرَّين، شَرٌّ، وضَرَرٌ.

1148-[وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ]الروم:4-5. أي يَفرحُ المؤمنُون بنَصرِ اللهِ للروم مِن أهلِ الكتَابِ، على الفُرْسِ المجوسِ الوثنيين .. وهذه آياتٌ تُحدِّدُ الموقفَ مِن كُلِّ صِراعٍ بين طرفَين، في أيِّ زَمانٍ وأيِّ مَكانٍ، أحَدُهما أقرَبُ للحقِّ مِن الآخَر .. وأقَلُّ شَرَّاً وكُفراً مِن الآخَر .. فالنَّقْلُ والعَقْلُ يُلزِمَان بالتَّعاطُفِ معَ الفريقِ الأقَلِّ كُفراً وشَرَّاً وضَرَراً، وبالفَرَح بنَصْرِهِ على الطَّرفِ الآخَر الأشَد كُفْراً وشَراً!

* * * * *

يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

1149-العالِمُ الجاهل؛ هو العالم الذي يجحد ما يدلُّه عليه علمه، وتدركه حواسه .. مثاله الملحدون من الأطباءِ، وعلماءِ الطبيعة، والفَضَاء؛ الذين يتعرفون على كثيرٍ من دقائقِ

الخلقِ والطبيعة، التي تحمل المرء على أن يقول: لا إله إلا الله .. ومع ذلك فهم يأبون ولا يفعلون .. وهؤلاء وإن سُموا علماء، إلا أنهم في النهاية يُقال عنهم:[يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ]الروم:7. ويُقال لهم:[صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ]البقرة:171. وهم يقولون عن أنفسهم يوم القيامة:[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]الملك:10.

* * * * *

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

1150- [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ]؛ يُخْرِجُ المؤمِنَ مِن الكَافِرِ، [وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ]الروم:19. ويُخْرِجُ الكَافِرَ مِن المؤْمِنِ.

* * * * *

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ

1151- [وَمِنْ آيَاتِهِ]؛ الدَّالَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قَدِير، [خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]؛ ومَا فِيهما مِن مخلُوقاتٍ وآيَاتٍ باهِراتٍ محكماتٍ تَشهَدُ أن لا إله إلَّا الله، [وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ]؛ لغاتِكُم؛ التي تَزيدُ عن سَبعَةِ آلافِ لُغَةٍ .. وأصواتُكم؛ فلَا تكادُ تجدُ مِن مليارَاتٍ مِن الناسِ مَن يَتشابَه ويتطَابَق اثنَان في صوتِهمَا، [وَأَلْوَانِكُمْ]؛ تَعَدُّد ألوانِكم، [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ]الروم:22. للعقَلاءِ الذين يُحسِنُون التَّدبرَ والتَّفَكُّر .. والاستدلالَ بالخَلْقِ على الخَالِق .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّه تعالى هو وحدُهُ المعبودُ بحقٍّ .. وأنه على كلِّ شيءٍ قَدِير.

* * * * *

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

1152-[فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا]؛ هي الدِّينُ الحَنِيف، والصُّورَةُ الحَسَنَةُ، [لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ]الروم:30. لا تَبدِيلَ للدِّينِ الحَنِيفِ بِدِينٍ آخَر، ولا للصُورَةِ التي صَوَّرَ اللهُ الناسَ عليها، فأحْسَنَ صُوَرَهم، بصُورَةٍ أُخْرَى .. ولَا بوظَائِف أُخْرَى للصُّورَةِ!

* * * * *

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ

1153-[اللَّهُ]؛ المألُوه المعبُودُ بحقٍّ، هو [الَّذِي خَلَقَكُمْ]؛ أيها المشركُون الكافِرُون، مِن عدَمٍ، ومِن لا شَيءٍ، فكنتم بعدَ أن لم تكونُوا، [ثُمَّ رَزَقَكُمْ]؛ ثم لم يخلقكم ويتركَكم سُداً مِن غيرِ رزقٍ، تقتاتُون وتعتَاشون مِنه .. فهو سبحانه رغمَ كُفركُم وشركِكم يَصبرُ عليكم، وعلى أذاكم، فيُعافيكم ويرزقُكم، لا رازِقَ لكم إلَّا اللهُ، [ثُمَّ يُمِيتُكُمْ]؛ بعد أن تَعيشُوا حياتَكُم المقدَّرةِ والمحدَّدَةِ في الدنيا، [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ]؛ بعد موتِكم؛ فيبعثكم مِن القُبور للحسابِ يوم القيامَةِ، على ما كان منكم مِن عملٍ، [هَلْ مِن شُرَكَائِكُم]؛ الذين تَعبدونهم وتُطيعونهم من دونِ الله، وتَنسبون إليهم زُورا وبُهتاناً الألوهيَّةَ، والربوبيَّةَ، [مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ]؛ هل يَقدرُ على أن يفعلَ شيئاً مما تقدَّم ذِكْره .. فإن كانُوا لا يستطيعُون أن يَفعلُوا شَيئاً مِن ذلك، فكيفَ تَعبدونَهم من دُونِ اللهِ، وتُشركُونَهم في العبادةِ مع اللهِ، ومِن دونِه .. وكيفَ تَنسبُون إليهم الألوهيَّةَ والربوبيةَ .. فالإلهُ المعبُودُ بحقٍّ هو الذي يَخلقُ، ويُميتُ، ويحي، ويَرزقُ، وهؤلاء الشُّركاء لَا يفعلون شَيئاً مِن ذلك؟![سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]الروم:40. تنزيهٌ للخالقِ سُبحانه وتعالى عن الشَّريكِ، وعمَّا يفعله

المشركُون مِن شِرْكٍ، وعبادَةٍ لغيرِ الله عزَّ وجل .. فالله تعالى لَا يَقبلُ شَريكاً، كما لا يَقبلُ عبادةً تَتضمَّنُ شركاً.

* * * * *

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

1154- [ظَهَرَ الْفَسَادُ]؛ ظهرَ الخرابُ، والدَّمارُ، والهلاكُ، [فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]؛ هذا الخرابُ، والدَّمار عَمَّ وشملَ البَحْرَ، كما عمَّ وشملَ اليابِسَةَ .. وحيثما تَوجَّهتَ تجدُ الفسَادَ والخرَابَ، وتجدُ المعَانَاة، والنَّاسُ تشْكُو، [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ]؛ بسبَبِ تَواطُوء النَّاسِ وقادَتِهم وسَاسَتِهم على الظُّلمِ، والفُسُوقِ، والفجُورِ، والتَّقْنِين لهذا الفُسُوق والفُجُور؛ حتى يُصبحَ المصْلحُ المخالِفُ لهم هو الآثمُ والمذْنِب الذي يَستَحِقُّ العِقَاب، [لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا]؛ ليعَذِّبَهم في الدُّنيا ببعضِ ذُنُوبِهم التي ارتَكَبُوهَا .. فهذَا العذَابُ الدُّنيوي الذي يَرونَه، ويَنزلُ بِهم، ما هو إلَّا رسالةٌ مِن اللهِ تعالى لهم؛ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]الروم:41. لعلَّهم يَتوبُون، ويَستغفرُون، ويَعودُون إلى الحقِّ، والطُّهرِ، والاستقامَةِ!

* * * * *

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ

1155-[هَذَا خَلْقُ اللَّهِ]؛ مَا أَعْظَم وأكثَر آيَاتِ اللهِ الباهِرَات في السماواتِ والأرضِ، ومَا فيهما مِن مخلوقَاتٍ عجِيبَةٍ .. الدَّالَّةِ على عَظَمَتِه، ووحْدانِيّتِه .. وأنَّه تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ، الذي يَستَحِقُّ العِبادَةَ دونَ غَيرِه .. والمؤمنُ عِندما يَنْظُرُ إلى تِلكَ الآيَاتِ، ويتأَمَّلُها، يَقُولُ للكافِرين الجاحِدين: انْظُرُوا، [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ]؛ أَلَا يكفِيكُم للدلالَةِ على وحدانيَّتِه، وربُوبيَّتِه، وألُوهيَّتِه، وأنَّه تعالى هو المعبُودُ بحقٍّ في الوجُود؟! ثم زِيَادةٍ في التَّبْكِيتِ، وإقامَةِ الحجَّةِ عَليهم، يقُولُ لهم:[فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ]؛ الذينَ تَعبدُونَهم مِن دُونِ اللهِ .. مَاذَا خَلَقُوا .. هل يَستطِيعُون أن يخلقُوا شَيئاً مَهمَا كانَ صَغيراً، أو حَقِيراً .. حتى تَعْبدُوهم مِن دُونِ اللهِ .. فالمعبُودُ المستَحِق للعِبَادَةِ لا بُدَّ أن يكونَ خَالِقَاً .. وقادِراً على أن يَخلقَ .. الجوابُ الذي يَعْرفُونَه، ويُضْمِرُونَه في أنْفُسِهم .. لَا .. لَا يَسْتَطِيعُون .. إذاً كيفَ تتخذُونَهم آلهةً تَعبدونَهم مِن دونِ اللهِ، [بَلِ الظَّالِمُونَ]؛ الكافِرُون، لاتخاذِهم آلهةً لا يَستطيعُون أنْ يخلُقُوا شَيئاً .. وإعرَاضِم عن عِبادَةِ الخالِقِ لكلِّ شَيءٍ، والقَادِرِ على أن يخلقَ مَا يَشَاء، [فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]لقمان:11. في ضَلالٍ عن الحقِّ ظَاهِرٍ بيِّن .. والضالُّ لا يَهدِي ضَالّاً.

* * * * *

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

1156-[وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]لقمان:13. أُسوة بلقمانِ الحكِيم؛ أَوَّلُ مَا ينبغي على الآباءِ أن يُلَقِّنُوه للأبناءِ عَقيدة التَّوحِيد؛ أن اعبدُوا اللهَ، واجتنبوا الطاغُوت .. اجتنبوا الشِّركَ .. وهذا مِن لوازِمِه أن يُعرِّفُوهم على ضرُوبِ وأنواعِ، وصور الشِّركِ الظاهرَةِ مِنها والباطِنةِ، وبخاصَّة المتفشِّية في زمانِهم؛ ليجتنبُوها، ويحذَرُوها، ويُحذِّرُوا منها .. وذلك لأسبابٍ عِدَّة، منها: أن الجهلَ

بالشِّركِ يجعلهُم يَقعُون فِيه، وهم لا يَدرُون .. وهم يحسَبُون أنَّهم يُحسِنُون صُنعاً .. فجاهِلُ الشيءِ لا يُؤمَن عليه أن يُواقِعَه. ومِنها: لَا يُقبلُ مع الشركِ عملٌ صالحٌ؛ فمن بنَى أعمالَه الصالحة على أساسٍ مِن الشركِ، لا تُقبلُ أعمالُه، فالشركُ يُحبطُ العملَ، ويدمِّرُه، ويجعلُه هباءً منثُوراً .. فقبلَ أن يتوجَّه المرءُ إلى فعلِ الطَّاعاتِ عليه أن يَبرَأ ويخلعَ مِن الشِّركِ. ومِنها: أن الشركَ ظلمٌ عظيمٌ وأكبر لا يُوازيه ظُلم؛ إذ كيفَ يليقُ بك يا عبدَ اللهِ أن تَعْدِلَ عن عبادَةِ اللهِ تعالى إلى عبادَةِ غيرِه، والله تعالى هو الذي خلقَك، ورزقَك، وتفضَّل عليك بالنِّعَم التي لا تُحصَى .. ثم أنت بعد ذلك تصرفُ العبادَةَ إلى غيرِه، وتقولُ بلسانِ الحالِ والمقَالِ: أنَّ المستحقَّ لعبادَتِك هذا المخلُوق .. هذا الصَّنم والوثَن من دُونِ الله .. فأي ظُلم يُوازي هذا الظُّلم، وأي جحُود وكفران للحقوقِ يُوازي هذا الجحُود والكُفران؟!. ومِنها: أنَّ اللهَ تعالى يغفر لمن يَشاءُ مِن عبادِه، مهمَا كان مِنهم مِن عمَل .. إلَّا الشِّرك؛ فقضَت مشيئتُه سُبحانه أن لا يَغفره، وأن يخلِّدَ المشركَ الذي يموتُ على الشركِ في نارِ جهنم أبَدَاً .. لأجلِ هذه الأوجه مجتمعَةً ينبغي على الآباءِ والمربين أن يُعلِّمُوا الأبناءَ أولاً التَّوحيدَ؛ ومتَطلباتِه، وحقُوقه، ونواقِضَه .. ويُعطُوه الأولويَّةَ في عمليَّةِ التربيةِ والتَّعليم.

* * * * *

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ

1157- [أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ]لقمان:14. شُكْرُكَ للوالِدَين؛ هو شُكْرٌ للهِ، وطاعَةٌ له .. لَا يكتَمِلُ شُكْرُكَ للهِ إلَّا بعدَ أن تَشكرَ الوالِدَين .. ومَن لَا يَشكر الوالِدَين لَا يَشكرُ اللهَ .. فاللهُ تعالى خلقَك، وجعَلَهُما سَبباً لخلْقِك ووجُودِك .. فكَما تَشكُر الخالِقَ الذي خلقَك وأوجَدَك، تَشْكُر مَن كانَ سَبَباً في وجُودِك .. ولعظِيمِ حقِّهِمَا، وفضلِهِمَا خَصَّهما اللهُ بالذِّكرِ بعدَ شُكْرِه، مِن جميع مَن لهم حَقُّ الشُّكرِ .. ومِن شُكْرِك لهمَا الاعترافُ بمعروفِهِما، وفضْلِهِما عليك ـ ولو لَمْ يكُن لهما فضلٌ عليك سوى أنَّهما كانا سَبباً في

وجُودِك، لكفَاهُما فضْلاً ـ وأن تبرَّهما، وتُحْسِن صُحْبَتَهما، وترفِق بهما مِن غيرِ مَنٍّ، ولا كَلَلٍ، ولَا مَلَلٍ .. وأن لَا تغفَل عن الدُّعاءِ لهما في حياتِهما، وبعدَ موتِهما .. فمن العقُوقِ؛ الغفْلةُ عن الدُّعاءِ للوالِدَين بعدَ وفَاتِهما، ومِن برِّهما؛ الدُّعاءُ لهما بعدَ موتِهما .. ولا تنسَ أنَّك اليومَ ولدٌ، وبنتٌ .. وغداً تكون ـ وتكوني ـ أباً وأمّاً .. وكما تَدِينُ تُدَان!

* * * * *

وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

1158- [وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا]؛ رغْمَ عَظِيمِ حَقِّ الوالدين على الأبناءِ ـ ذكوراً وإناثاً ـ إلا أنَّ هذا لا يعني طاعَتَهما في معصيةِ اللهِ لو أمَرَا الأبناءَ بمعصيةِ اللهِ .. وبخاصَّةٍ إن كانت هذهِ المعصيةُ تَبلغُ درَجَةَ الكُفْرِ والشِّركِ .. إذْ لا طاعَةَ لمخلُوقٍ ـ مهمَا عَظُم حَقُّه وفَضْلُه ـ في مَعصيةِ الله .. وإنَّما الطاعَةُ تكونُ في المعرُوفِ، وفِيما ليس فيه مَعصية لله تعالى، [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً]لقمان:15. وعَدمُ طاعَتِهما في مَعصيةِ الله .. لا يَنبغِي أن يحملَ الولدَ أو البِنت على مُجافاتِهما، والإساءَةِ إليهِمَا .. لا .. فهذا لا يَستدْعِي ذَاكَ ولا يُبررُه .. حتَّى لو كانَا كافِرَين .. يجبُ على الابنِ المسلمِ أن يُحسنَ إليهِمَا، ويحترَمهَما، ويُرفِق بِهمَا، ويُلازِمُ صحبَتَهما ومرافقَتَهما، ومُجَالسَتَهُمَا بالمعرُوفِ، وكُلِّ خَير .. وقوله تعالى: [فِي الدُّنْيَا]؛ فيه أنَّ هذه الصُّحْبَة تَنْقَطِعُ في الآخِرَة .. وأنَّ الوالِدَ الكافِرَ في اليومِ الآخِرِ لا يُمكِن أن يَنتَفِعَ مِن وَلَدِه المسلم في شَيء .. كذلك لو كان الوالِدُ مُسلماً، والولَدُ كَافِراً؛ لا يُمكنُ للولَدِ أن يَنتَفِعَ بأبِيهِ في اليومِ الآخِرِ كَما كانَ يَنتفعُ به في الدُّنيا.

1159- [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً]لقمان:15. يُفيدُ مَعنى الملازَمَةِ، والمُرَافَقَةِ، والمجالَسَةِ، وحُسنِ الإقْبالِ والاهتِمَامِ .. فأينَ أبنَاء هذا الزَّمانِ مِن هذا المعنَى العَظِيمِ،

الذين يُؤثِرُون الجلُوسَ معَ هَواتِفِهم الخاصَّةِ، والأجهزةِ الالكترونيَّةِ السَّاعاتِ الطِّوالِ، على مُجَالستِهم لآبائِهم ولو لِدَقائقَ مَعْدُودَات؟!

* * * * *

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ

1160-[يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ]لقمان:16. وهذه هي المرحلةُ الثانيَةُ من عمليةِ التَّلقين والتَّعليم .. فبعدَ تَلقينُ الأبناءِ التَّوحِيد، وتَعريفُهم بالشركِ ومذَاهِبِه .. تأتي مرحلةُ التَّعريفِ بصفَاتِ اللهِ تعالى .. ومَا يَستحقُّه اللهُ تعالى من التَّعظِيم، والتَّنْزيه، والتَّوقِير .. وتَلقينُ الأبناءِ الخشْية مِن اللهِ تعالى .. وأنَّ اللهَ تعالى لا يخفَى عليه شيءٌ .. عالمٌ بكلِّ شيءٍ .. لا يُعجِزُه شَيء .. وهو على كل شيءٍ قَدِير .. فإذا كانَت مثقالُ حبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ ـ وما هو أصغَرُ منها ـ أيَّاً كان موضِعُها في السماواتِ أو في الأرضِ .. في البرِّ أو في البحرِ .. فالله تعالى يَعلمُها، ويَراها، لا تخفَى عليه .. يأتي بها إذا شَاء .. وقتَمَا يَشَاء .. فما هو أكبرُ مِنها فهو على اللهِ تعالى هيِّنٌ وسَهلٌ .. لا يُوجدُ شيءٌ على اللهِ تعالى سَهلٌ وأسْهَل، وصَعْبٌ، وأصْعَب، بل كلُّ شيءٍ ـ مهمَا كان صَعباً وفقَ مقاييسِ الإنسانِ ـ على اللهِ تعالى هيِّنٌ وسَهْل .. وبالتَّالي ـ مَهمَا حَاولْتَ يا عبدَ اللهِ ـ لَا مَهربَ ولَا مَلجأَ لكَ مِن اللهِ .. وهذا ممَّا يزرعُ في نفوسِ الأبناءِ الخشيَةَ، والخوفَ مِن اللهِ، والشُّعُورَ بمراقَبةِ اللهِ لهم، ولأعمالِهم أينما كانُوا .. فيحملُهم على مَزيدٍ من التَّقوَى، والاستقامَةِ، والإخلَاص.

* * * * *

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ

1161-[يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ]؛ مِن الأذَى بِسببِ أمْرِكَ بالمعرُوفِ، ونَهيكَ عَنِ المنكَرِ .. فإنَّ مَن يَستشرفُ

مَهمَّةَ الإصْلاحِ، والأمْرِ بالمعروفِ والنَّهي عَن المنكَرِ، لا بدَّ أنَّه سينَالُه بَعضُ الأذَى، وربما الأذَى الشَّدِيد مِن حِزبِ المنكَرِ والفَسادِ، وجُمهُورِه .. ولكي يَنجَحَ في مَهمَّتِه ودَعوتِه لَا بُدَّ له مِن الصَّبرِ على الأذَى، [إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ]لقمان:17. إنَّ الصبرَ على ما تقدَّمَ ذِكْرُه مِن الواجباتِ والفرائضِ، هي مِن الأمورِ التي يُعزَم ويُشَدَّد على التزامِها والقيامِ بها .. لَا تَقْبَلُ التَّراخِي ولا التَّهاونَ.

1162-[يَا بُنَيَّ]؛ لطفٌ في الخِطَابِ، وهو أدْعَى لحسنِ الإصْغَاءِ، [أَقِمِ الصَّلَاةَ]؛ إضافة إلى أهميَّةِ الصَّلاةِ، ووجُوبِها، وأنَّها ركنٌ من أركانِ الإسلامِ، وعمودٌ من أعمدتِه .. فهي طهورٌ، وإيمانٌ، بها يزدادُ الإيمانُ إيماناً وقوةً .. تجعلُ الإنسانَ على صِلةٍ مباشرةٍ معَ ربِّهِ .. يَستمدُّ منه العونَ على مواجهةِ التحدِّياتِ، والقِيامِ بواجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكَرِ، [وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ]؛ وهو كلُّ ما تعارفَ عليه الدينُ والعُرْفُ بأنَّه حقٌّ، وخيرٌ، وأعلَاهُ التَّوحِيد .. وهذا من لوازمِه أن يكونَ الآمرُ بالمعروفِ عالماً بالمعروفِ ـ فجاهلُ المعروفِ كفاقدِه لا يمكنُ أن يعطيَه ـ وعالماً بمآلاتِ أمرِه، وأنَّ أمرَه بالمعروفِ لن يفوّتَ مَعروفاً أكبرَ منه؛ فإن كان أمرُهُ بالمعروفِ سيفوّتُ معروفاً أكبرَ منه، أو مصلحةً راجحةً، فأمرهُ بالمعرُوفِ حينئذٍ منكرٌ يُنكَرُ عليه .. أو كان أمرُه بالمعروفِ سيفوّتُ معروفاً مثله في القِيمةِ والمصلَحَةِ، فيكونُ السكوتُ حينَئذٍ أولَى بحقّه .. وهو ـ أي الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ ـ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ؛ كلٌّ بحسب موقعِه، واستطاعتِه، ومَسؤليَّاتِه، [وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ]؛ وهو كلُّ ما تَعَارفَ عليه الدِّينُ والعُرفُ بأنه باطلٌ، وضَرَرٌ، وشَرٌّ، وأعلاهُ الشِّركُ .. والمنكرُ لا يُنكَرُ بمثلِه، ولا بما هو أكبر منه .. فمن المنكرِ أن تنكرَ المنكرَ بمثلِه أو بما هو أنكَر وأكبر منه .. فإن تزاحَمَ منكرانِ في وقتٍ ومكانٍ واحِدٍ يُدْفَعُ الأكبرُ منهما بالأصغَرِ، ولا يكونُ المنكرُ الأصغرُ حينئذٍ محرَّماً بل يكونُ هو الواجبُ .. فإن تَسَاويَا ـ مِن كلِّ وَجهٍ ـ في المنكرِ، والشَّرِّ، والضَّرَرِ، يُترَكَا، ويُعتَزَلَا؛ فلَا

يُنكَر أحدهما بالآخَر .. وإنكارُ المنكرِ منهُ ما يكونُ بالقلبِ، وهذا واجبٌ على الجميع، وفي جميع الأحوالِ، لا يُعذَر تاركُه؛ لأن الجميعَ يقدرُ عليه .. ومِنه ما يكونُ باللسانِ، ومِنهُ ما يكونُ باليدِ، وهذان النَّوعان من الإنكارِ يُشترطَ لهما الاستطاعَة، [وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ]؛ بسببِ أمركَ بالمعروفِ ونهيكَ عن المنكرِ؛ فكلُّ مَن يتصدَّرُ هذا العمل العظِيم القَدْرِ والأجْرِ، سيُصيبُه ـ لا مَحَالَة ـ بعضُ الأذَى مِن السُّفهاءِ، والفُسَّاقِ، والكُفَّارِ .. فعليه أن يحملَ نفْسَهُ على الصَّبرِ، وتحمُّلِ الأذَى .. لذا فإنَّ الآمرَ بالمعروفِ، النَّاهِي عن المنْكرِ ـ حتى ينجحَ في مَهمَّتِه ـ يحتاجُ إلى أربعةٍ: العِلمُ، والحِلمُ، والرِّفقُ، والصَّبرُ، [إِنَّ ذَلِكَ]؛ أي الأمرُ بالمعرُوفِ، والنَّهي عنِ المنكَرِ، [مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ]لقمان:17. مِن الأُمُورِ العظيمَةِ والشديدَةِ التي تحتاجُ إلى إرادَةٍ وعزيمةٍ قويَّتين.

* * * * *

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً

1163- بعد تَلقين التَّوحيد، والخشْيَة مِن اللهِ .. تأتي مرحلةُ التأديبِ، وتَلقِينِ الأدَب:[وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ]لقمان:18. علامَتُه إذا مشَى في الأرضِ، وبين الناسِ، أنَّك تَراهُ يُباعِدُ ما بينَ يَدَيه ورِجْلَيه .. ويَدفَعُ بصَدْرِه إلى الأمَامِ .. ويَرفَعُ رأسَهُ وخَدَّهُ إلى السماءِ مع شيءٍ من الميْلِ، والاعوجاجِ، وعبُوسٍ في الوجهِ، ونظرَاتٍ لا تخلُو من معَاني الاستخفَافِ والازدرَاءِ لمَن هم في محيطِه .. يتَعَالى على عبادِ الله تعالى وكأنَّهُ من طينةٍ أُخْرَى .. يمشي بينهم ببطَرٍ، وخُيلاءٍ، وكِبرٍ، وافتخَارٍ، ناسِياً لفَضْلِ اللهِ عليه، وكافِراً لأنعُمِه .. فاللهُ تعالى لا يحبُّ هذا الصنفِ من النَّاسِ .. بل يَبغضُه .. فلا تَكُنْ مثلهم .. وإنما يحبُّ التواضُعَ، وخَفْضَ الجنَاحِ، والذِّلَّةَ على المؤمِنين .. والأدَبَ في التعَامُلِ مع النَّاسِ .. وحُسنَ الخُلُقِ .. هذا مما أُوصِيكَ به يَا بُنيَّ!

* * * * *

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

1164-[وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ]؛ لَا تمشِ مَشْياً سَريعاً يَدلُّ على الخفَّةِ، والطَيْشِ، ولَا مَشْياً بَطيئاً يَدلُّ على الضَّعفِ، والتماوتِ، والكَسَلِ .. وإنما وسَطَاً بينهمَا، وبسكينَةٍ وتواضُعٍ، [وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ]؛ واخفِضْ من صَوتِك إذا ما أَرَدْتَ الحديثَ، والتعبيرَ عن نفْسِك وحاجَتِك .. وإيَّاكَ والصَّخَب في الأسواقِ، والمجالسِ، ورَفْع الأصواتِ .. فهذا يتنَافَى مع الأدَبِ المطلُوب .. ثم أن رفعَ الصوتِ لغير حاجَةٍ تَستدعي رفعَه هو أَشبَه بصوتِ الحميرِ، وبطريقتِهم في التَّعبيرِ؛ الذين لا يحسِنُون التعبيرَ عن أنفُسِهم وحاجتِهم إلا بالشهيقِ، ورَفعِ الصَّوتِ، [إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ]لقمان:19. وبالتالي لا يحسنُ ولا يليقُ بك أن تتشَبَّه بأقبحِ وأبشَعِ الأصوَاتِ؛ بصَوتِ الحميرِ!

* * * * *

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

1165-[أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]لقمان:20. لتتمَّ عمليَّةُ التَّسْخِيرِ على الوجْهِ الأحْسَنِ، وتتحقَّقَ الاستفادَةُ الكامِلَة ممَّا في السماواتِ والأرضِ من كنُوزٍ، ونوامِيس، وخيرَات، ونِعَم مُسَخَّرَةٍ .. يَستدعِي النَّفيرَ، والاجتهادَ، والنُّهوضَ للتَعَرُّفِ على تلك النِّعَم المسَخَّرَةِ للإنسانِ .. واستكشَافِها، وتَطويعِها لخدمةِ الإنسانِ، وإعمَارِ الأرضِ .. وأَوْلَى النَّاسِ فَهمَاً وعملاً بهذا التَّوجِيه الربَّاني هم المؤمنُون؛ الذين يُؤمنُون بهذا الخِطَاب، وبالربِّ سُبحانه الذي وجَّهَ هذا الخِطَاب .. فهم الأَوْلَى باستكشَافِ ما قَد سخَّرَهُ اللهُ، والأَوْلى بالتمتُّع بما قَد سخَّرهُ اللهُ .. وَتوظيفِه في الخيرِ، والإعْمَارِ .. ومعَ ذلك فإنَّ غيرَهم قَد سبقُوهم سَبقَاً بَعيداً في استكشَافِ هذا المسَخَّرِ .. فأَساؤُوا استخدَامَه وتَوظِيفَه، وسخَّرُوه لمآربِهم التَّدْمِيريَّةِ والتَّخْرِيبيَّةِ .. فالعِلمُ التَّجريبِي -

الذي يُساعِدُ على استكشَافِ المسَخَّرِ ـ لا يُحَابِي أحَدَاً .. ولَا يَقِفُ معَ طرَفٍ دُونَ طَرَف .. فَمَن أخَذَ به، وبقوانينِه كان له الحظُّ الأوفَرُ مِن تِلكَ الكُنُوزِ، والخيرَاتِ، والنِّعَم المسَخَّرَةِ في السَّمَاواتِ، والأرض.

* * * * *

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً

1166- [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً]؛ في أنْفُسِكُم، وفي السَّماءِ .. ومَا تُنتِجُهُ الأرضُ ـ بِبَرِّهَا، وبحرِهَا، وسمائِها ـ مِن خَيراتٍ وثَرواتٍ .. والأنعام، والدَّواب، وغيرها .. ومِن أعظَمِ النِّعَم الظَّاهِرَةِ؛ إرسالُ الرُّسُلِ، وإنزالُ الكُتبِ الهادِيَة إلى الصِّراطِ المستقِيم، [وَبَاطِنَةً]لقمان:20. خَفيَّة غَير ظَاهِرة؛ لا تَعلمونَها .. ولا تَرُونَها .. تجلبُ لكم ـ بإذنِ الله ـ خَيراً كثيراً .. وتَدفعُ عنكم شَرَّاً كثيراً .. وأنتم لا تَعلمُون .. وأنتم عنها وعن شُكْرِها غافِلُون .. وهذه نِعَم عَظيمةُ الشَّأنِ مَن تأمَّلَها، وتَدَبَّرها وجَد العجَبَ العُجَاب؛ وجَدَ بحراً من النِّعَم لا تُعرَفُ له نِهايَة .. كم مِن شرٍّ لا يكونُ بينَك وبينَه سوى ذِرَاع، فيَصرفَهُ اللهُ عنك ـ بأسبابٍ خَفيَّةٍ ـ وأنت لا تَدْرِي .. وكم مِن خيرٍ عَظيمٍ تُدْبِرُ عنه، فيسُوقُه اللهُ لك ـ بأسبابٍ خَفيَّةٍ ـ وأنتَ عنه رَاغِبٌ رَافِضٌ، وفيه مِن الزَّاهِدين!

* * * * *

وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

1167- [وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ]؛ استِسلامٌ، وخُضُوعٌ، وإخلاصٌ، وعبوديَّةٌ، وتَفويضٌ، وانقِيادٌ تَامٌّ للهِ تعالى وحدَه، ولحكْمِه الكَوْنِي والشَّرْعِي .. مِن غيرِ معَارَضَةٍ، ولا اعتِرَاضٍ، ولَا تَعْقِيبٍ، ولا حرَجٍ في النَّفْسِ، [وَهُوَ مُحْسِنٌ]؛ في طاعَتِه وعبادَتِه لرَبِّه؛ فيعبدُ اللهَ تعالى كأنما يَرَاه .. فمن كانَ بهذا الوصْفِ؛ [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]؛ العُروةُ التي لا تَنفَصِمُ أبَداً؛ والتي لا مَنجَاةَ للعبدِ إلَّا بِها؛ وهي " لا إله إلا الله "، [

وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ]لقمان:22. فجميعُ الأمُورِ ـ خيرُها وشرُّها ـ مَرَدُّها ومآلاتها إلى اللهِ؛ فيُجَازِي المحسِنَ على إحسَانِه، والمسيءَ على إساءَتِه.

* * * * *

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ

1168-[نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً]؛ وهو المتاعُ الذي يتقَلَّبُون به في الحياةِ الدنْيَا .. ومتاعُ الحياةِ الدُّنيا مَهمَا طالَ، ومهْمَا كَثُر، فهو بالنظَرِ لليومِ الآخِر، ولما ينتظرُهم بعدَ الموتِ، قليلٌ جِداً؛ لَا شيءَ يُذكَر، [ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ]لقمان:24. ثم نَسُوقُهم سَوْقاً شديداً إلى عذابٍ شديدٍ أليمٍ في نارِ جهنَّم .. فَلا شيءَ أغلَظ وأشَد عَذاباً مِن نارِ جهنم .. العذابُ الذي يُنْسِيهم مَا كانُوا فيهِ مِن لهوٍ، ونَعيمٍ، ومتَاعٍ في الحياةِ الدُّنيا .. كما في الحديثِ، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ..."مسلم.

* * * * *

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

1169-[فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]لقمان:33. فتُشغِلُكُم عن الآخِرَة .. وتُنْسِيكُم عمَّا يتَربَّصُ بِكُم بعْدَ الموتِ!

* * * * *

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

1170-[وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ]لقمان:34. يَتنَقَّلُ الإنسانُ في أمصَارٍ، ومُدنٍ شَتَّى .. يَذهَبُ في الاتجاهَاتِ الأربعَةِ مِن الأرضِ .. وفي البرِّ والبَحْرِ .. وهو لا يَدْرِي في أيِّ بقعَةٍ مِن الأرضِ سيتوَسَّدُ فيها وسَادَةَ التّوقُّفِ عن كلِّ شَيء ..

وسَادَةَ الموتِ .. ولو عَلِمَ البُقعَةَ التي سيُدفَنُ فِيها، ويَتوسَّدُ فيها وسادَةَ الموتِ، لظَلَّ بعيداً عَنْها، هارِباً مِنْها .. لكنَّهُ ـ إذا دَنَا أجَلُه ـ يُسَاقُ إليها سَوْقَاً وهو لا يَدرِي .. تَقُودُه الأسبابُ إليها وهو لا يَعْلَمُ أنَّ في استجابَتِه لتلكَ الأسْبابِ حَتْفَهُ، وقَبْرَه .. تَقُودُه الأسْبَابُ التي يَرَى فِيها حياتَهُ، ورِزْقَهُ، وسَعَادَتَهُ إلى مَوتِهِ، ومُوقِع قَبْرِه، وهو لا يَدْرِي!

* * * * *

قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ

1171-[قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ]؛ أينما تكونُوا، سَواءٌ كنتم تحتَ الأرضِ مِئاتِ الأمتارِ، في مخابئ ومَلاجِئ محصَّنة .. أمْ في قصُورٍ شَاهِقَةٍ مُشيَّدَةٍ، مُحاطَة بالجنْدِ والحرَسِ .. عندما يأتي الأجَلُ، فإنَّ مَلَكَ الموت الموكَّل إليه بقبضِ الأرواحِ، سَيزُورُك، ويَفتحُ عليك البابَ، مَهمَا غَلُظَ، وثَقُلَت أقفَالُه .. لكن مِن غيرِ قَرعٍ للبَابِ، ولا استئذَانٍ، ولَا إمْهالٍ، ولَا إشْعَارٍ مُسبق .. والعَاقِلُ مَن يعملُ لتلكَ السَّاعَةِ، ويَستعدُّ لها .. والغَافِلُ كل الغفْلَةِ مَن يَغفَل ويَلهُو عَنها، [ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ]السجدة:11. بعدَ أن يَتوفَاكم مَلَكُ الموتِ .. ستُبعثون وترجعُون إلى اللهِ، ليُحاسبكم على ما كان مِنكم مِن عمَلٍ، فمن عملَ خَيراً، فسيجدُ خَيراً، وليحمد الله، ومَن عملَ شَرّاً فلا يلومَنَّ إلا نفْسَه.

* * * * *

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

1172-[تَتَجَافَى]؛ مِن الجفَاءِ، والنَّأي، والبُعدِ، فتبتَعِدُ وتَتَنَحَّى، [جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ]؛ يَقومُون للصَّلاةِ في الليلِ، بَعدَ رَقْدَةٍ ونَومٍ .. فينفُضُون عن أنفُسِهم دِفْءَ الفِرَاشِ .. ويَدخلُ في ذلك انتظارُ صَلاةِ العَتْمَةِ، حيثُ يمنعون أنفسَهم عن النَّومِ، ويَنأون ويبتعِدُون عن المضاجع والفُرُشِ انتظاراً لصلاةِ العِشَاءِ، مع حاجَةِ الجسَدِ للراحَةِ والنَّومِ، [يَدْعُونَ]؛ وقتَ قِيامِهم، وانتظارِهم للصَّلَاةِ، [رَبَّهُمْ خَوْفاً]؛ مِن عِقَابِه، [وَطَمَعاً]السجدة:16. في عَفْوِه ورَحمتِه .. فجمَعُوا بين الرَّجَاءِ والخوفِ .. بخلافِ المرجئةِ فإنهم اقتَصَرُوا على الرَّجَاءِ، وتَوَاكَلُوا عليه .. وبخلافِ الحرُوْرِيَّةِ الخوارِج، فإنَّهم اقتَصَرُوا

على الخوْفِ، فوَقَعُوا في القنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ .. ومِن جميلِ مَا أُثِرَ عن بعضِ السَّلفِ قولهم:" مَن عبَدَ اللهَ بالحبِّ وحدَه فهو زِنديقٌ، ومَن عبَدَهُ بالخوفِ وحدَهُ فهو حَرُورِي، ومَن عبَدَهُ بالرَّجاءِ وحدَهُ فهو مُرجئٌ، ومَن عبَدَهُ بالحبِّ، والخوفِ، والرَّجاءِ، فهو مُؤْمنٌ ".

* * * * *

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

1173-[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ]السجدة:22. يَدخلُ في هذا الوَعيد الشَّديدِ المخيفِ مَن يُعْرِض عن النَّصيحَةِ ـ مِن أيِّ طرَفٍ جاءَت ـ المستمدَّةِ مِن كتابِ اللهِ تعالى ومِن سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. ويُقابلها بالاستخْفَافِ، والإدْبَارِ .. فرَادُّ النَّصيحَةِ يَقَعُ في ذَنْبَين: الذَّنْبُ الذي نُصِحَ لأجْلِهِ، وذَنْبُ رَدِّهِ للنَّصيحَةِ؛ وقد يكونُ أكبر مِن ذَنْبِه الأوَّل!

* * * * *

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

1174-الإمَامَةُ في الدِّين تُنَالُ بالصَّبْرِ، واليَقين[وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً]؛ قَادَةً يُقتَدَى بهم في الخَيرِ [يَهْدُونَ]؛ النَّاسَ إلى الحَقِّ، ومُبَايَنَةِ البَاطِلِ [بِأَمْرِنَا]؛ بأمْرِ اللهِ، وإذْنِه، ومَدَدِه لهم بالقُوَّةِ .. وهم نَالُوا هَذَا الشَّرفِ الرَّفيع، وهذه المرْتَبَةِ العَالِيَةِ [لَمَّا صَبَرُوا]؛ صَبَرُوا على الطَّاعَةِ، وعلى الأمْرِ، والنَّهي، وعَلى البَلاءِ، ومَشَاقِّ ومُتطلباتِ الدَّعْوةِ إلى الله .. فلم يَسْتَعْجِلُوا شَيئاً قَبْلَ أوَانِه، ولا شَيئاً يَسْتَبْطِئه اللهُ عليهم [وَكَانُوا بِآيَاتِنَا]؛ الشَّرعيَّةِ،

والكَوْنيَّة، الدَّالَّةِ على تَوحِيدِه، وعلى وَعْدِه، ووعِيدِه [يُوقِنُونَ]السجدة:24. يُؤمنون إيماناً جَازِمَاً لا يَعتَريه أدْنَى شَكٍّ.

* * * * *

مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ

1175-[مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. كَافِرٌ، ومُؤْمِنٌ.

1176-[مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. قَلبٌ موحِّدٌ، وقَلبٌ مُشْرِكٌ .. قلبٌ يَعبدُ اللهَ، وقلبٌ يَعبدُ الطَّاغوتَ .. إنَّهما لا يجتمعَان في جوفِ امرئٍ واحِدٍ أبَدَاً!

1177-[مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]الأحزاب:4. قَلبٌ مؤمنٌ موحِّدٌ، وقلبٌ كافرٌ مُشركٌ .. قلبٌ يَعبدُ اللهَ، وقلبٌ يَعبدُ الطَّاغُوت .. قلبٌ مخلصٌ صادِقٌ، وقَلبٌ منافقٌ كاذِبٌ .. قلبٌ يوالي المؤمنين، وقَلبٌ يُوالي أعداءَ المؤمنين .. لا يجتمعَان في جوفِ امرئٍ واحِدٍ أبَداً.

* * * * *

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ

1178-[وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]الأحزاب:5. خَطآن لَا يُؤخَذ بهما المرءُ: خَطأ ناجِمٌ عن اجتهادٍ، فلم يُدرِكْ الحقَّ .. وخَطأٌ ناجِمٌ عَن غَفلَةٍ، وسَهوٍ، مِن غَير قَصْدٍ .. وخَطَأ واحدٌ يُؤخَذُ به المرءُ، وهو الخَطَأ النَّاجِمُ عِن علمٍ، وقَصْدٍ، ونيَّةٍ .. [وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]؛ لمن وقَعَ في الخطَأَين اللَّذَين لا يُؤاخَذ بهمَا المرءُ .. ولمن وقعَ في الخطَأ عن قَصْدٍ، وعَمْدٍ ثم تَابَ، واستغفَرَ، وأنَابَ .. والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين.

* * * * *

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

1179-[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ]؛ في سنَّتِه القوليَّةِ، والعَمَليَّةِ، والتَّقْرِيريَّةِ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]؛ قُدوةٌ، ومَثَلٌ أعْلَى، يُقتدَى بهِ في جميعِ جوانبِ الحيَاةِ، دِقَّهَا وجِلَّهَا، والشَّاملَةِ لجميعِ السُّلوكِ الإنْسَانِي، على اختلافِ تنوعِه، وطبقَاتِه، على امتِدَادِ العُصُور والأزْمَانِ، وإلى يومِ القيامَةِ: السيَاسيَّةُ منها، والاقتصاديَّةُ، والاجتماعيَّةُ، والأخلاقيَّةُ، والقضائيَّةُ، والشَّعائرُ التَّعبديَّةُ، وفي السلمِ والحرْبِ، وفي جميعِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّه، [لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ]؛ لِمَن كان يَرجُو ثوابَه، ويَخْشَى عقَابَه [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]؛ والنَّجاةَ والسَّلامَةَ في اليومِ الآخِرِ، إذْ لا نَجاةَ إلا مِن خلالِ مُتابَعةِ النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ به، [وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً]الأحزاب:21. وكان كَثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل، كثيرَ الذِّكْرِ لحقِّهِ عليه، وهذه موعظَةٌ لا يَتلَقَّاهَا على الوجْهِ الأكمَلِ والأحسَنِ إلا مَن كانَ كذلك، كثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل.

1180-قولُه تعالى:[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]الأحزاب:21. مِن مُقْتَضَاه أن تَتوفَّرَ في شَخصِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعَ الصِّفاتِ والخِصَالِ التي تُغَطِّي جميعَ حاجياتِ الإنْسانِ ـ على اختلافِ طبَقاتِه، وتنوعِ أنشطَتِه وأعمالِه ـ وإلى يومِ القيامةِ؛ إذْ حَاشَا الخالق سُبحانَه أن يَردَّكَ إلى قُدوةٍ، ويأمُرَكَ بالاقتداءِ به، ثم لا تجدُ في هذهِ القُدوةِ ما تَقتَدِي به، أو لا يُلبِّي جَميعَ حاجياتِك، في جميعِ مجَالاتِ حيَاتِك.

1181-[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ]؛ في سنَّتِه القوليَّةِ، والعَمَليَّةِ، والتَّقْرِيريَّةِ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] ؛ قُدوةٌ، ومَثَلٌ أعْلَى، يُقتدَى بهِ في جميعِ جوانبِ الحيَاةِ، دِقَّهَا وجِلَّهَا، والشَّاملَةِ لجميعِ السُّلوكِ الإنْسَانِي، على اختلافِ تنوعِه، وطبقَاتِه، على امتِدَادِ العُصُور

والأزْمَانِ، وإلى يومِ القيامَةِ: السياسيَّةُ منها، والاقتصاديَّةُ، والاجتماعيَّةُ، والأخلاقيَّةُ، والقضائيَّةُ، والشَّعائرُ التَّعبديَّةُ، وفي السلمِ والحرْبِ، وفي جميعِ ما جاءَ بهِ مِن عندِ ربِّهِ، [لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ] ؛ لِمَن كان يخشَى اللهَ، ويَرجُو ثوابَه، ورِضَاه [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]؛ والنَّجاةَ والسَّلامَةَ في اليومِ الآخِرِ، إذْ لا نَجاةَ إلا مِن خلالِ مُتابَعةِ النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداءِ به، [وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً]الأحزاب:21. وكان كَثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل، كثيرَ الذِّكْرِ لحقِّهِ عليه، وهذه موعظَةٌ لا يَتلَقَّاهَا على الوجْهِ الأكمَلِ والأحسَنِ إلا مَن كانَ كذلك، كثيرَ الذِّكْرِ للهِ عزَّ وجل.

1182- قولُه تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]الأحزاب:21. مِن مُقْتَضَاه أن تَتوفَّرَ في شَخصِ النبي صلى الله عليه وسلم جميعَ الصِّفاتِ والخِصَالِ التي تُغَطِّي جميعَ حاجياتِ الإنْسانِ ـ على اختلافِ طبقَاتِه، وتنوعِ أنشطَتِه وأعمالِه ـ وإلى يومِ القيامةِ؛ إذْ حَاشَا الخالق سُبحانَه أن يَردَّكَ إلى قُدوةٍ، ويأمُرَكَ بالاقتداءِ به، ثم لا تجدُ في هذهِ القُدوةِ ما تَقتَدِي به، أو لا يُلبِّي جَميعَ حاجياتِك، في جميعِ مجَالاتِ حيَاتِك.

* * * * *

وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ

1183- [وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ]الأحزاب:25. يكفِي اللهُ المؤمنين القِتَالَ، وتبِعَاتِه، ويَردُّ بأسَ الكافِرِين الظَّالمِين بسببٍ كونيٍّ مِن عِندِه .. أو بإشْغَالِ الظَّالمِين بالظَّالمِين، ودَفْعِ الظَّالمِين بالظَّالمِين .. وبما لَا يَعْلمُ إلَّا اللهُ.

* * * * *

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

1184-[وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى]الأحزاب:33. مَهمَا تَعَدَّدَت وتنوَّعَت مهامُّ المرأةِ خارج البيتِ فهي لا تُوازِي مَهَمَّتَها الأسَاس والمقدَّسَة في البيتِ، مَهَمَّة الأم التي تُربِّي الأجيالَ، والتي بها تقومُ وتنهضُ الأوطَانُ .. ومَهمَا تنوَّعَت وتعدَّدَت الألقابُ التي تُمنَح لها، فهي لا تُوازِي - من حيث القِيمة، والجمَالِ، والأثَرِ - لقب " أُمِّي " .. أدركَت الشياطينُ، شَياطينُ الأنسِ والجنِّ هذه الحقيقَة .. وأدركُوا أن لا سبيلَ لهم إلى إفسادِ ودَمارِ، وخرَابِ الأجيالِ، والمجتمعات إلا بإفسَادِ المرأةِ أوَّلاً .. وإبعادِهَا عن وظيفتِها الأسَاس .. وإخرَاجِها من بيتِها لتُزاحِمَ الرجالَ في جميع الميَادِين .. وفي الميادِين التي لا تليقُ بالرجالِ ولا بالنِّساءِ .. واعتبرُوا كلَّ عمَلٍ لها خارِجَ البيتِ مهمَا كان العمَلُ خاصَّاً بالذُّكُور دُون الإناثِ، أو كان العمَلُ هابِطاً، ومُهيناً، ومحرَّماً .. عمَلاً؛ تستحقُّ المرأةُ بموجبِه لقبَ عامِلَة، وموظَّفَة .. باستثناءِ عملِها العَظيم والكَبير في البيتِ؛ المؤسسةُ الصَّغيرةُ والأُولَى، والأهَم بالنسبةِ للمجتمع الكَبير .. لا يَعتبرونَه عمَلاً .. بل ينظرُون إليه نظرةَ إزدِراءٍ واستهجَانٍ .. فجمعُوا عليها عملَ البيتِ، وتربيةَ النَّشء والأبنَاءِ، ومَا يتعلقُ بحقُوقِ الحياةِ الزَّوْجيَّةِ - وإنه لعملٌ كبيرٌ وضَخم - وبين العمَلِ عند الناسِ خارج المنزلِ؛ الذي قد يَستغرقُ مِن وقتِها في اليومِ مَا لا يقلُّ عن عَشرِ سَاعاتٍ .. وهذا مَا لا طاقَةَ لها به، ولا طاقَة لها للتوفيقِ بينهما؛ إذْ لا بدَّ مِن التضحيةِ بأحَدِ العمَلَين، والمهَمَّتَين؛ فضحَّت - إلا مَن رحمَ اللهُ - بعملِ ومهمَّةِ البيتِ، وهي بتضحيتها هذه ضحَّت ببيتِها، وبأبنائِها، وبتربيتِهم تربيةً سويَّةً صالحةً، ليتلَقَّفَهم الشارعُ .. وقُرناءُ السُّوءِ، ودُورُ الخنَا، والسُّكْرِ، والمخدرَات .. كما أنَّها ضحَّت بزوجِها، وبحقِّه في السَّكَنِ الدَّافِئ والجميل ..

وإذا أردنا للمجتمعاتِ أن تعودَ مِن جَديدٍ إلى رُشْدِها، وطُهرِهَا، وتقدُّمِها الحضَارِي .. لا بُدَّ أوَّلاً مِن أن نُعيدَ للمرأةِ مهمَّتَها ووظيفتَها الأسَاس كأُمٍّ، وكزوجَةٍ صَالحَةٍ.

* * * * *

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

1185-لمن يحصِرُ مَهَامَ المرأةِ في مجَالٍ واحِدٍ من مجَالات الحياة، وأنها لم تُخلَق لِسِواه، يقول تعالى:[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ] ؛ كُلّ الإسْلام، [وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ]؛ كُل الإيمان [وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً] الأحزاب:35. فهي في جميع ما تقدَّمَ ذِكْرُه شريكةُ الرجلِ سواء بسواء، وقال تعالى:[وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] ؛ وهو الخيرُ كُلّه [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ] ؛ وهو الشرُّ كُله، [وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]التوبة:71. فيَجبُ عليها نصرةُ دينِ اللهِ كما يجبُ على الرّجلِ، كُلٌّ بحسب استطاعَتِه، وظرْفِه، ومَكَان تَواجِدِه.

* * * * *

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

1186-[مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ]الأحزاب:40. ليس في كُتبِ اليهود والنّصارى ما يمنع من مجيء نبيٍّ بعدَ موسى، وعيسى عليهما السلام، بل كتُبهم مليئةٌ بالبشَاراتِ التي تُبشرُ بمجيءِ النبيِّ محمدٍ صلى الله

عليه وسلم من بعدِ مُوسى وعيسى عليهما السَّلام .. وبعدَ مجيءِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، أعلَن إعلانَه الخالد أن لا نبيَّ بَعدَه، وأنَّه خاتمُ الأنبياءِ والمرسَلين، كما في هذه الآية الكريمة، وكما في الحديث الذي أخرجَه البخاري في صحيحِه:" كانَت بنُو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كلَّما هلَكَ نبيٌّ خلَفَهُ نبيٌّ، وإنَّه لا نبيَّ بَعْدِي ". وقَد مَضَى على هذا الإعلان الخالِد أكثر من ألف وأربعمائة عام، ولا يزال قائماً، وإلى يومِ القِيامة .. ومع ذلك لم يجرؤ أحدٌ ـ من جميع مِلَلِ الأرضِ ـ أن يدَّعي النُّبوَّةَ، وأنه نبيٌّ مُرسَل، ومَن تجرَّأَ على الإدِّعاء، سرعان ما انكشف كَذِبُه، وبانَ دَجَلُه، وانقَطَعَ أثَرُه .. ألَا يَدلُّ ذلك على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادقٌ في دعوته ونبوَّتِه، وفِيما أخبَرَ عن ربّه، وأنه لا يَنطقُ عن الهوَى، إن هو إلَّا وحيٌ يُوحَى؟!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً

1187- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً]الأحزاب:41. المُحِب كثيرُ الذِّكْرِ لمن يُحِب، وعَلى قَدْرِ المحبّةِ يكونُ الذِّكْرُ .. ما أحبَّ من نسي .. النسيانُ والمحبَّةُ لا يجتمعان، لذا جاء الأمر بأن نذكرَ اللهَ كثيراً.

* * * * *

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ

1188- قال تعالى:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ]الأحزاب:53. الأذَى الصريحُ الذي يمارسُه الكفّارُ، والزَّنادِقَةُ، الكلُّ يَعلَمه .. أمّا الأذَى الخفِي والمبطّن، والذي يمارسه مَن يُحسَبون على الملّة، وأهل القِبلةِ، هو الذي ينبغي تعريتُه، وأن يُشارَ إليه .. من صورِ هذا النّوعِ من الأذَى: الطّعنُ بالسُّنّة، والاستخفافُ، والاستهانَةُ بها، والانتقاصُ

من قَدْرِها ومن حُجّيَّتِها .. ومنها، القولُ بالاكتفاءِ بالقرآنِ من دونِ السّنّةِ، والرجوعِ إليها؛ فيخرجونها من دائرةِ الاستدلالِ والاحتجَاج .. ومنها، رَدُّ كثيرٍ من الأحاديثِ بزعم أنها آحادٌ، وظنيّة الدَّلالة .. ومنها، تقديمُ العقلِ على الثّابتِ من سُنّته، وجعلُ العقلِ حَكَماً على السُّنّة، يأخُذ منها ما يهوى، ويردُّ ما يهوى .. ومنها، الكذِبُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وكَثرَةُ الاستدلالِ بالأحاديثِ الموضوعةِ المكذوبة، والضّعيفة، على أنها من أقوالِه، وما هي من أقوالِه .. ومنها، الاستخفافُ والانتقاصُ من قَدْرِ أصحابِه الكِرام، والطَّعنُ والغمزُ بهم أو ببعضِهم، وإخراجُهم من دائرةِ المرجعيّةِ التي يُرجَعُ فيها إلى فَهمِهم وأقوالهم في مسائلِ الدِّين .. ومنها، عَدَمُ استحضارِ أقصَى درجَاتِ الأدَبِ، والتَّوقير، عند الحديثِ عن أهلِه، وآلِ بيتِه الكِرام .. ومنها، إماتةُ سنَّته بإحياءِ ما يُضادُّها من البِدَع .. ومنها، الغُلُو في شخصِ النبي صلى الله عليه وسلم، وفي إطرائه، ورَفعِه إلى مقام الألوهيّة، والربوبية .. ومنها، الغُلُو في الأئمّةِ، والشّيوخ، والتَّعصّب لهم، ولأقوالهم، ورفعهم إلى مَقامِ النَّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم .. فهذا كله مما يُؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ولهؤلاء كُلِّهم يُقال:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ]، ولهؤلاء كُلٌّ له نصيبه ـ بحسْبِ أذاه ـ من قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً]الأحزاب:57.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

1189- [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً]الأحزاب:56. صَلاةُ اللهِ على عبدِه ونبيِّهِ محمد صلى الله عليه وسلم تكونُ بثنائِه

عليه، ورَفْع مقَامِهِ، وذِكْرِه، في الأرضِ وفي السماءِ، وتَبريكِه .. وصَلاتُنا والملائكةُ عليه ﷺ ثناءٌ عليه، وإظهارٌ لفضْلِه وشَرَفه، ولعظِيمِ حقِّه، ودُعاءٌ بأن يُثني اللهُ عليه، ويُعلِي مِن ذِكْرِهِ ومَقَامِه ﷺ. وصَلاتُنا على النبيّ صلى الله عليه وسلم وإن كانت دعاءً مِنَّا له، إلَّا أن خيرَ وبركةَ ونَفعَ الصَّلاةِ عليه يَرتدُّ على المصَلّين عليه بالخيرِ الكثِير .. وأضعَافاً مُضاعَفَة .. وقَد جاءَ في ذلك أحاديثَ عِدَّة، نَذكُرُ بعضَها، فقد صحَّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن ذُكِرتُ عندَه فليُصلِّ عليَّ، فإنَّ من صلَّى عليَّ مرةً صلى اللهُ عليه عَشراً ". وقال صلى الله عليه وسلم:" من صَلَّى عليَّ واحدةً، صلى اللهُ عليه عَشرَ صَلواتٍ، وحَطَّ عنه عشرَ خَطيئاتٍ، ورفعَ له عشْرَ درجات ". وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن صلَّى عليَّ من أمتي صلاةً مخلِصاً مِن قَلبِه، صلَّى اللهُ عليه بها عَشرَ صَلواتٍ، ورَفَعه بها عشْرَ درَجاتٍ، وكتبَ له بها عَشرَ حسنَاتٍ، ومحَا عنه عَشرَ سيئاتٍ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" أولَى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ أكثرُهم عليَّ صَلاةً ". وعن أُبي بن كَعب، قال: فقلتُ يا رسولَ الله! إنِّي أُكثِرُ الصلاةَ عليكَ، فكم أجعلُ لك مِن صَلاتي ـ أي مِن دُعائي ـ؟ قال:" ما شِئتَ "، قال: قلتُ الرُّبعَ؟ قال:" ما شِئتَ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك "، قلت: النُّصفَ؟ قال:" ما شِئتَ، فإن زدتَ فهو خيرٌ لك "، قال: قلتُ ثُلُثَين؟ قال:" ما شِئتَ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك"، قال: أجعَل لك صلاتي كُلَّها؟ قال:" إذاً تُكفَى همُّكَ، ويُغفَر لك ذنبُكَ ". وفي رواية عنه، قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! أرأيتَ إن جعلتُ صَلاتي كلها عليك؟ قال:" إذاً يكفيكَ اللهُ تبارك وتعالى ما أهمَّك من دُنياكَ وآخرتك ". وقال صلى الله عليه وسلم:" أكثروا الصلاةَ عليَّ يومَ الجمعةَ، فإنه أتاني جبريلُ آنفاً عن ربِّه ﷻ فقال: مَا على الأرضِ مِن مُسلمٍ يُصلي عليكَ مرَّةً واحدَةً، إلا صلَّيْتُ أنا وملائكتي عليه عَشراً ". صَلاةُ الربِّ سُبحانه على مَن يُصلي على عَبدِهِ ونبيهِ محمد صلى الله عليه وسلم .. تَكفِي وزِيَادَة .. لكن

زِيادَةً في الفَضلِ والتَّرغِيب، فقد جَعلَ اللهُ تعالى جميع الملائكة ولَا يعلمُ تعدادَهُم إلا اللهُ .. أن يُصلوا على مَن يُصلي على النبيِّ صلى الله عليه وسلم مرةً واحدةً عشرَ مرَّاتٍ؛ أي مُقابل أن تُصلي على النبيِّ صلى الله عليه وسلم مرَّةً واحِدةً، يُصَلَّى عليك يا عَبدَ الله مِليارات المرَّات .. وصَلاتُ الله على عبادِه مَغفرةٌ ورَحمةٌ، وبركَة .. وصَلاةُ الملائكةِ على المصَلِّين على النبيِّ صلى الله عليه وسلم دُعاءٌ لهم بالمغفرةِ والرَّحمةِ، والبَرَكَةِ. وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "أكثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ، فإن اللهَ وكَّلَ بي ملكاً عند قَبرِي، فإذَا صَلَّى عليَّ رَجلٌ مِن أمَّتي، قال لي ذلك الملَك: يا محمد إن فلانَ ابنَ فلانٍ صَلَّى عليك السَّاعةَ". فتُذْكَرَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم باسمِكَ واسمِ أبيكَ إذَا صَليتَ عليه .. ويُصبح اسمُكَ معرُوفاً له إذَا أكثرتَ مِن الصَّلاةِ عليه .. اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم على عَبدِكَ ونبيكَ محمد، وسَلِّمْ تَسليماً كَثيراً، كثيراً؛ عَدَدَ خَلْقِك، ورِضَا نَفْسِك، وَزِنَةَ عَرْشِك، ومِدَادَ كلماتِك.

* * * * *

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

1190-[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]الأحزاب:57. والأَذَى أنوَاعٌ ودَرَجَات: مِنهُ الظَّاهِرُ، ومِنهُ البَاطِنُ الخَفِي، ومِنهُ التَّصْرِيحُ، ومِنهُ التَّلْمِيحُ، ومِنهُ المبَاشَرُ، وغَيرُ المبَاشَرِ .. واللهُ [يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى]طه:7.

* * * * *

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

1191-[وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ]؛ هؤلاءِ الذين يُؤذُون المؤمنِين والمؤمنَات، ليسُوا مِن المؤمنِين والمؤمنَات، إنما هم مِن الكافِرين، والمنافقِين، والفَاسِقين؛

مَرضَى القُلُوب .. يُؤذُون المؤمنِين والمؤمنات لإيمانِهم، ولأنَّهم من المؤمنِين والمؤمنَات، فتُسيئهم الحسنَةُ التي تُصيبُ المؤمنِين، وتَسرُّهم السيئةُ التي تُصيب المؤمنِين، [بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا]؛ بغيرِ ما قالُوا، وما فَعلُوا .. يُشهِّرُون بهم بين الخلائِقِ، ويَنسبُون إليهم أُموراً لم يفعلُوها، ولم يقولُوا بها، أو يَزيدُون عمَّا صدَر عنهم مِن قَولٍ وفِعل؛ فيُضَخِّمُون الأشياءَ، ويجعلُون مِن الحبَّةِ قبَّة؛ بُغيةَ التَّشهيرِ، والأذَى، [فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً]الأحزاب:58. وهؤلاء قد وقَعُوا في إثمٍ عظيمٍ؛ إثمُ الكذِبِ، والزُّورِ، والبُهتانِ، والظُّلمِ .. هذا فِيمَن يُؤذِي المؤمنين فِيما لم يَصدُرْ عنهم مِن الخطَأ .. فكيف بمن يُؤذِيهم، ويُشهِّر بهم لإيمانِهم، ولحسناتِهم، وجهَادِهم، ولأنَّهم يَأمرُون بالمعرُوفِ، ويَنهون عن المنكرِ .. فكيفَ بالذي يُؤذِي كِبارَ أئمة العِلمِ؛ الذين شَهدَ لهم الناسُ بالعلمِ، والخيريَّةِ، والفَضْلِ .. ويقولُ فيهم ما ليسَ فِيهم .. لَا شكَّ أنَّه أشَد كذباً، وزُوراً، وبُهتاناً، وأشَد إثماً وعذاباً يومَ القِيامة .. وفي الحديث القُدسي:" إنَّ اللهَ قالَ: مَن عَادَى لي ولِيَّاً فقَد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ "البخاري. وكان مِن السَّلَفِ مَن يَقُول:" إيَّاكُم وأذَى المؤمن؛ فإنَّ اللهَ يحوطُه، ويَغضَبُ لَه ".

* * * * *

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا

1192-[وَقَالُوا]؛ الجنُودُ .. العَوَامُّ .. التَّبَعُ .. يومَ يرونَ الحِساب عينَ اليَقِين، [رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا]؛ أطَعْنَا قَادَتَنا مِن المُلوكِ، والرؤسَاءِ، والأمراءِ، والأحْبَارِ، والرُّهْبَانِ .. أطَعْناهُم في تكذِيبِ الأنبياءِ والرُّسُلِ .. أطَعناهُم في الشِّرْكِ، وعِبادة المخْلوقِ .. في تحليلِ الحرَامِ، وتحريمِ الحَلالِ .. وفي تحْسِينِ القَبِيحِ، وتَقْبيحِ الحسَنِ .. وفي إحْقَاقِ البَاطِلِ، وإبطالِ الحَقِّ .. وفي نصرَةِ الظَّالِمِ على المظلُومِ .. أطعناهُم لِذَواتِهم فِيمَا يأمرونَنَا به، وينهونَنا عَنه؛ مِن دونِ أن ننظُرَ أينَ هُم مِن الحقِّ فِيمَا يَأمرُون، وفِيمَا

يَنهون .. [فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا]الأحزاب:67. فأضلُّونَا ـ بسَببِ طاعَتِنَا لهم تِلكَ الطَّاعَةِ العَمياء البَاطلَةِ ـ طَريقَ الحقِّ والهِدايَةِ، فلم نَهتَدِ إليه .. إنَّه الإقْرَارُ المتأخِّرُ الذي لا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. ولا يَزِيدُهم إلَّا حَسْرَةً ونَدَامَةً!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً

1193-[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً]الأحزاب:70. قَوْلاً موافِقَاً للكتابِ، والسُّنَّةِ .. فمَا وافَقَ الكتابَ والسُّنَّةَ فهو الكلامُ السَّدِيدُ، ومَا خالَفَهمَا فهو قَولٌ غَيرُ سَدِيدٍ.

* * * * *

اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

1194- [اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً]؛ الشُّكْرُ كما يكونُ بالقَولِ، يكونُ بالعمَلِ، ومِن جِنْس النِّعمَةِ؛ فمَن رُزِقَ المالَ كانَ شُكرُهُ بإخراجِ الزَّكاةِ، وبَذلِه على الفُقراءِ، وذَوِي الحَاجَةِ .. ومن رُزِقَ العِلمَ كانَ شُكرُهُ ببذلِه للنَّاسِ، وعدَمِ كُتمانِه .. ومن رُزِقَ القُوَّةَ كان شُكرُهَا بالأمْرِ بالمعرُوفِ والنَّهي عن المنكَرِ، وإنْصافِ المظلومِ مِن ظَالِمِه، والضَّربِ في الأرضِ وفْقَ طاعَةِ اللهِ .. كذلك شُكْرُ نِعْمَةِ العَينِ والبصَرِ، يكونُ بغضِّ البَصرِ عن المحرَّماتِ، وبالنَّظَرِ في آياتِ الله .. وشُكر السَّمْعِ يكونُ بالاستماعِ إلى القُرآنِ الكريم، ومواعظِ ودرُوسِ العلماء، وكل ما هو نافعٌ، وبإكْرَامِه عن سَماعِ الحرَامِ .. وشكر اللِّسانِ، يكونُ بِذِكْرِ اللهِ تعالى، والصَّدْعِ بالحَقِّ، وقولِ الصِّدقِ، وبإكرامِهِ عن الكَذِب، والزُّورِ، والنَّميمَةِ، والغِيبةِ .. وشُكْرُ القَلبِ أن يكونَ عَامِراً بحبِّ اللهِ تعالى وذِكْرِه، وأن لا يَنطَوِي على اعتقادٍ فاسِدٍ، أو نيَّةٍ باطِلَةٍ ضَارَّةٍ .. وهكذا كُلُّ نِعمةٍ ـ ومَا أكثَرُ نِعَمِ اللهِ علينا ـ يكُونُ شُكرُهَا مِن جِنْسِها، [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. مَن يجمَع بين شُكْرِ القَولِ، وشُكْرِ العَمَل.

* * * * *

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

1195- [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. كثيرٌ هم الذين إذا أنْعمَ اللهُ عليهم نِعْمةً، تَطلَّعُوا إلى غيرِهَا، قبل أنْ يَشْكرُوها، ومِن دُونِ أن يَشْكرُوها .. وكأنَّها لم تَكُنْ .. وهكذا هم في تَطلُّعٍ مُستَمِرٍّ إلى تَحصِيلِ مَزيدٍ مِن النِّعَم، مِن دُونِ أنْ يَشْكرُوا مَا لَدَيهم مِنَ النِّعَم .. إلى أنْ يَفْجَأهُم الموت .. ولا يَمْلأُ بَطْنَ ابنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ!

1196- [وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]سبأ:13. الّذين يَشْكُرُونَ المخلُوقَ والخالِقَ.

* * * * *

حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ

1197- [حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ]سبأ:23. لا يَزالُ الناسُ مِن غيرِ المسلمين مختلفِين فِيما بينَهم .. مَن الجهةِ المخوَّلَةِ التي يحقُّ لها أن تحكمَ على الشيءِ بأنَّهُ حَقٌّ أو باطِلٌ .. مَن له الحقُّ في تحديدِ الحقِّ والباطِلِ .. الخيرِ والشَّرِّ .. وأن يحكمَ على الأشياءِ، فيقول: هذا حَقٌّ فاتَّبعُوه، وهذا باطِلٌ فاجتنِبُوه .. هذا خَيرٌ، وهذا شَرٌّ .. ويكونُ حُكمُه نَافِذاً ومُلزِماً للجميع؟

وللجوابِ عمّا اختلفُوا فيه، يُقال لهم: الذي له الحقُّ في أن يحكمَ على الشيءِ بأنَّه حَقٌّ أو باطلٌ .. ثم يكونُ حُكمه نافِذَاً ومُلزِماً للجميع، هو الذي يتصفُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، والجمالِ، التي لا يعتريها النَّقصُ، أو الضعف مِن جانبٍ من الجوَانبِ .. الغنيُّ بذاتِه عن غيرِه .. ومَا سِواه فقيرٌ إليه .. وهذَا غير متَحقّق إلا باللهِ الواحِد الأحَد، الذي له الأسماءُ الحُسنَى والصِّفاتُ العُلْيَا .. فاللهُ تعالى هو الحقُّ، لا يقولُ إلا حَقّاً .. ولا يَصدرُ عنه إلا حَقاً .. وما سواهُ فهو مخلوقٌ ضَعيفٌ، جاهلٌ، فقيرٌ إلى غيرِه في جميعِ أحوالِه .. ومَن كان جاهِلاً، ضَعيفاً، فَقيراً .. صِفاتُ النَّقصِ تُحيطُ به من كلِّ حدَبٍ وصَوب .. لا يحقُّ له أن يحكمَ على الأشياءِ، فيُحدّد مَن مِنها حقٌّ، ومَن منها باطِلٌ .. ولو فعَلَ، فسوفَ يُخطئُ، ويَظلمُ مَن تحتَهُ، ومَن يتَّبعُه .. ولمَّا تجرَّأ الإنسانُ الضعيفُ الجاهِلُ - في جميعِ العُصُور، وجميعِ الأنظمةِ الوضعيَّةِ على اختلافِ صوَرِها - على أن يتصدَّرَ هذا الحق لنفسِه مِن دونِ الله تعالى .. وجَدْناه يَتعثَّر، ويُخطِئ، ويَظلمُ .. وما يقولُ عنه اليومَ بأنه حقٌّ، غداً يقولُ عنه باطِلاً، وما يقولُ عنه باطلاً، يقولُ عنه غداً حَقاً .. وما يحلِّلُه اليومَ يحرِّمُه غَداً، وما يحرِّمهُ

اليومَ يحلهُ غَداً .. وما يُحَسِّنُه اليومَ، يُقبِّحه غَداً، ومَا يُقبحُه اليومَ، يحسنُه غَداً .. والناسُ بالنسبةِ له، ولأحكامِه وتشريعاتِه لا يَعدُون أن يكونُوا حَقلَ تجارب .. وما ذلك إلا لأنه ضعيفٌ، وعاجزٌ، وجاهلٌ .. لا يحيطُ بكلِّ شيءٍ عِلماً .. ومهمَا أوتي من العِلم، يبقَى جاهِلاً في أمورٍ كثيرةٍ، وهو قياساً إلى عِلمِ اللهِ تعالى لا شيء!

فإن قِيل: كيفَ لنا أن نعلمَ بحكمِ اللهِ على الأشياء ...؟!

أقول: لا سبيلَ إلى ذلك إلَّا عن طريقِ مُتابعَةِ الرُّسُل، وتَصديقِهم، الرُّسلُ الذين أرسلَهم اللهُ تعالى للناسِ، وأوجَبَ على الناسِ طاعتَهم، ومُتابعتَهم، وتَصديقَهم فِيما يُوحَى إليهم من ربِّهم سُبحانه وتعالى .. [قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ]؛ ماذا أوحَى اللهُ تعالى إلى أنبيائِه ورسُلِه، [قَالُوا الْحَقَّ]؛ فجميعُ ما أوحاه اللهُ تعالى إلى أنبيائِه ورسُلِه هو الحقُّ، لا يخرجُ عن معنى الحقِّ المطْلَقِ .. وما سواهُ فهو الباطِلُ .. هذا هو السَّبيلُ، لا سبيلَ آخَر غيره، غير سَبيلِ الضَّلالِ، والكُفْرِ، والضَّياعِ!

* * * * *

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً

1198- [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ]؛ لمْ نرسلْكَ يا محمَّد إلى قومٍ دونَ قَومٍ، أو أمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، أو إلى جِنْسٍ دُونَ جِنْسٍ، أو لونٍ دُونَ لوْنٍ .. وإنما أرسلناكَ للناسِ أجمَعين في زمَانِك وإلى يومِ القِيامَةِ؛ عُربهم وأعجَمهم، أبيضهم، وأحمرهم، وأسودهم، لا يُستَثْنَى أحَدٌ مِنهم، [بَشِيراً]؛ لمن أطاعَك، وآمَن بكَ، واتَّبعَكَ، بالفوزِ، والجنَّةِ، [وَنَذِيراً]؛ لمن عصَاكَ، ولمْ يُؤمِنْ بكَ، ولمْ يتبعْكَ بالخسرَانِ، والعَذابِ الأليم في نارِ جهنَّم، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ]؛ هم الكُفَّار المعانِدُون، جميعُ الكفَّارِ، في زَمنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإلى يومِ القِيامَةِ، [لَا يَعْلَمُونَ]سبأ:28. هذه الحقِيقَة، ولا يُؤمنون بِها!

* * * * *

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

1199- [وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا]؛ الأتْبَاعُ .. يَقُولون يومَ القِيامةِ .. يَومَ تتكَشَّفُ الحقَائقُ، وتتهاوَى فيه النَّيَاشِينُ، والأوْسِمَةُ، والألْقَابُ، ويكونُ الحكمُ فيه كله لله، [لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا]؛ للمتعَالين عن الحَقِّ، والمستخَفِّين بالخَلْقِ، من المتبُوعِين المُطاعِين مِن الأسْيادِ، والزُّعَماءِ، والحُكَّامِ، [بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ]؛ كان مَكْرُكُم وخِداعكُم لنا متواصِلاً، على مَدَارِ الوقتِ؛ مَكْرُ الليلِ موصُولٌ بمَكْرِ النَّهارِ، ومَكْرُ النَّهارِ موصُولٌ بمَكرِ الليلِ، لم تُعْطُونا فُرصةً للتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ، والتَّحررِ من ضغْطِكُم ومكْرِكُم، لننظرَ أين نحنُ من الحَقِّ، [إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ]؛ هذا المكرُ المتواصِلُ مَهما تَعَدَّدت وسَائِلُه، وغايَاتُه ـ وما أكثرها ـ إلا أنَّها جميعها كانت تَصبُّ في غَايةٍ واحدةٍ؛ وهي أن نكفرَ باللهِ العظيم، [وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً]؛ ونَجعلَ له شُركاءَ، نعبدُهم ونُطِيعُهم من دُونِ الله .. وهم في هذا التَّحاور والتَّلاومِ، [وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ]؛ الأتباعُ والمتبُوعِين، الرؤساءُ والمرؤوسِين سَواء .. يُسِرُّون النَّدامَةَ في أنْفُسِهم .. ولاتَ حِينَ مَنْدم .. ندم تنتفي معه الفرصَةُ للمراجعَةِ، والتَّوبةِ، والاسْتدراكِ .. ما أشَدَّه من نَدَمٍ .. ومَا أشدَّها على النفسِ مِن حَسْرَةٍ .. وعلموا أن هذا التَّلاوم والتراجعَ في القولِ بين الأتْباعِ والمتبوعِين لم يعد ينفعهم في شيء .. ولو فعلوا شيئاً منه في الحياةِ الدُّنيا؛ لربما قد نفَعَهُم الشيءَ الكثير، وأنقذهم من هذا الموقِفِ العَصِيب .. فليس أمامهم من خيارٍ إلا العَذَاب:[لَّمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ]؛ لَمَّا تستشرفُ لهم نارُ جهنم بلهيبِها وألسِنَتِها، [وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ مِن الفَريقَين: الأتباعُ والمتبوعِين .. الأغلال الثقال في أعناقهم وهم يساقون إلى النارِ، وهم في النَّار، ليتابعوا تحاورهم، وتلاومهم في النار، والأغْلالُ في أعنَاقِهم .. [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]سبأ:33. يعملون من

الكفرِ والشركِ والظُّلمِ .. فاللهُ تعالى مُنَزَّه عن الظُّلمِ .. ولكنَّ المشركين - بشركِهم وكُفْرِهم، وإعراضِهم - كانوا أنفَسَهم يَظْلِمون!

* * * * *

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ

1200- [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ]؛ بنصيحةٍ واحدةٍ، والنصيحةُ هنا هي لغيرِ المسلمين، وهي [أَن تَقُومُوا لِلَّهِ]؛ لأجلِ اللهِ، والإيمانِ به، ولكي تَتعرَّفُوا على الحقيقةِ كما هي من عندِ الله، [مَثْنَى وَفُرَادَى]؛ لأنَّ ما زادَ عن هذا العدَدِ مدعاةٌ للرِّياءِ، والصَّخَبِ، والجِدَالِ، واختِلاطِ الأصواتِ والأفكارِ، وتَأثِير التَّفْكِير الجَمْعِي على تَفْكِيرِ وقَرَارَاتِ الفَرْدِ .. وهذا كله يكونُ على حسَابِ التَّفكيرِ السديدِ الهادِئِ واستِقْلَاليَّته، الذي يُوصِلُ صَاحِبَه إلى الحقِيقَةِ، وإلى بَرِّ الأَمَانِ، [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا]؛ بعقُولِكُم .. متجرِّدين للحقيقَةِ، وللحقيقةِ وحَسْب .. بَعِيداً عن الأَهْواءِ، والعَصبيَّاتِ، والتَّحزباتِ، والأحكامِ السابقَةِ التي قد تُحيلُ بينكم وبين الحقِّ، [مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ]؛ تتفكَّرَوا بحقيقةِ وصِفاتِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. فستجدونَه صادِقاً، أميناً، عَاقِلاً .. قد اجتمعَت فيه أنبلُ وأكملُ وأعظمُ صِفاتِ الإنسانيَّةِ .. وأنَّه على خُلُقٍ عَظِيمٍ .. وأنه ليسَ بمجنونٍ كما يشيعُ الكفارُ المغرضُون الحاقِدُون .. وهذا يَستَدْعي منكم أن تؤمِنُوا به، وأن توقِّرُوه، وتصدِّقُوه فيمَا يخبركُم به عن اللهِ تعالى .. وفِيما جاءكُم به مِن عندِ اللهِ .. لا أن تَكْفرُوا به .. فإن أبيتم وأعرضتم، وآثرتم الكفرَ، فاعلمُوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم [إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]سبأ:46. وفي الحديثِ فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ

يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ "مسلم. لأن السؤالَ الكبيرَ الذي يُلاحِقُهم، ويُريدُ منهم جواباً؛ كيف تَسمعون بالنبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبصفاتِه النبيلةِ الراقيةِ التي اجتمعَ فيها الكمالُ البَشري، وتحقَّقت فيه أعظمُ الأخلاقِ وأرفَعُها وأرقَاها .. ثم بعد كل ذلك لا تُصدِّقُونه، ولا تُؤمنُون به أنه رسولُ اللهِ .. وأنه صادقٌ فِيما جاء بِهِ من عندِ ربِّه ..؟!

1201- [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ]سبأ:46. في هذهِ الآيةِ الكريمةِ دَعوةٌ لجميعِ الناسِ؛ مؤمنِهم وكافِرِهم؛ أن يُعْمِلُوا عقُولَهُم، ويُطيلُوا التَّفكُّرَ في صِفاتِ، وسِيرةِ، وحياةِ، وأخلاقِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. فالمؤمنُ يَزدادُ بهذَا التفكُّرِ إيماناً ويَقيناً .. والكافرُ يكونُ له سبَبَ هدايةٍ ورشَادٍ .. فأعظمُ وسيلةٍ تُعينُ الكافرَ على الإيمانِ باللهِ تعالى، والدخولِ في دينِه الإسلام، بعدَ القُرآنِ الكريم .. أن يتفكَّرَ بسيرةِ النبي صلى الله عليه وسلم، وبأخلاقِه العظيمَةِ .. ولو فعلَ بتجرُّدٍ آمنَ وأسلمَ لا محالةَ بإذنِ الله تعالى .. ولا يَصدنَّهُ من أن يفعلَ ذلك ما يَراهُ مِن أخلاقٍ غيرِ جيدَةٍ منفِّرَةٍ مِن قِبَلِ بعضِ المسلمين؛ لأن القضيَّةَ تتعلّق بمصيرِه بعدَ الموت .. والحقُّ لا يُعرَفُ بالرِّجَالِ، وما عليه النَّاسُ، وإنما الرِّجالُ يُعرَفُونَ بالحقِّ.

* * * * *

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

1202- [وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ]سبأ:54. لَمَّا رَأَوا العَذَابَ، تَعَالى الحسَرَات والآهَات؛ ويَتمَنَّونَ لو تُتَاح لهم فرصةٌ جديدةٌ للتَّوبَةِ، والإيمانِ .. وأنَّى لهم ذلك؛ في يومٍ لا يَنفعُ فيه النَّدَمُ، ولا التَّلاومُ، ولا مجالَ فيه لاسْتِئنافِ العمَلِ، ولا فِدَاء!

* * * * *

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا

1203-[مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]فاطر:2. لو اجتمعَت الأنسُ والجِنُّ، وكان بعضُهم لبعضٍ ظهْرِيًّاً .. ليمنعُوا خَيراً أرادَه اللهُ لإنسانٍ، أو لفريقٍ مِن النَّاس .. لَا يَقدرُون على مَنْعِه .. فخيرُ اللهِ يَصلُ، ويُصيبُ مَن يَشاءُ له أن يُصيبَه .. وإذَا أرَادَ أن يُمسِكَ خَيراً عن إنسانٍ، أو فريقٍ مِن الناسِ .. فلو اجتمعَ الأنسُ والجنُّ، وكانَ بعضُهم لبعضٍ ظِهْرِيًّاً على أن يُرسلُوه، ويُوصلُوه، لما استَطاعُوا إلى ذلك سَبيلاً، [وَهُوَ الْعَزِيزُ]؛ فإرادَةُ اللهِ هي الغالبَةُ، وهي النَّافِذَة، لَا رَادَّ لأمرِ اللهِ، ولا غَالِبَ إلا اللهُ، [الْحَكِيمُ]؛ الذي يَضعُ الخيرَ في المكَانِ والزمانِ المنَاسِبَين، ويمنَعُه عن المكانِ والزَّمانِ المناسِبَين .. وهذا مَعنَى قَد وردَ في حديثٍ نبويٍّ عظيم، قال صلى الله عليه وسلم لابنِ عبَّاسٍ، وكانَ غُلامَاً:" يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت ـ وفي رواية: لَو أنَّ الخلقَ كُلَّهُم جميعًا أَرادُوا ـ أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعُوا على أن يَضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحفُ ". وهذا يَستدْعِي مِنكَ يا عبدَ اللهِ أن لا تخشَى إلَّا اللهَ .. وأن لا تَسألَ إلّا اللهَ .. وأن لا يتعلق قلبُكَ إلا بالله.

* * * * *

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

1204- [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]فاطر:6. قد يأتيكُم الشيطانُ مكتَسياً ثوبَ الحقِّ، وثوبَ الناصِحِ، والمشفِقِ، والمحبِّ .. وهو في كلِّ ذلك كاذِبٌ مخادِعٌ .. فاحذَرُوه ولا تُصدِّقُوه .. فهو عدوٌّ لكم يريدُ بكم الشرَّ، والضَّررَ، والهلَاك .. وحتى تنجُوا مِن كيدِه ومكرِه فاتخذُوه عدوّاً؛ ناصِبُوه العدَاءَ، ولَا تُسالموه لحظةً واحِدَةً .. وعدَاوتُكم له تكمُنَ في معصيتِه، وأن لا تُصغُوا إليه، ولا تُطيعُوه في شيءٍ يأمركُم به .. وأن تطيعُوا اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم .. أمَّا مَن اقتصرَت عداوتُه للشيطانِ على لعنِه فقط، مع طاعتِه لَه .. فهذَا لم يتخذْهُ عَدوّاً، [إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]؛ وهذا حافزٌ آخَر لكي تتخذُوه عدوّاً؛ فهو مهمَا زَيَّنَ لكم أنَّه يدعوكُم إلى الجنَّةِ، والنَّجاةِ، والسَّعادَة .. فهو كاذِبٌ، مخَادِع .. إنما يدعُو حزبَه لأن يكونُوا من أهلِ نارِ جهنَّم .. وحزبُه هم جميعُ الذين أطاعُوه وعبَدُوه من الكافِرين والمشركِين على اختلافِ مللِهم، ومُسمياتِهم، وانتماءاتِهم!

* * * * *

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

1205- [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ]؛ إليهِ يَصعدُ ذِكْرُ اللهِ، ومَا وَالاهُ مِن الأَمْرِ بالمعرُوفِ، والنَّهي عنِ المنْكَرِ، [وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ]فاطر:10. يَقبَلُه، وحَتَّى يكونَ العمَلُ صَالحاً ومَقْبُولاً لَا بُدَّ له مِن شَرطَين: الموافَقَةُ والمتَابَعَةُ للسُنَّةِ، والإخْلاصُ.

* * * * *

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً

1206-[مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً]فاطر:10. لم يَترُك اللهُ لغَيرِه شَيئاً مِنَ العِزَّةِ، فتُطْلَب مِنه .. وإنَّما جعَل العِزَّةَ كُلَّها خَالِصَةً له وَحْدَه مِن دُونِ أحَدٍ مِن خَلْقِه .. ومَن أرَادَ العِزَّةَ أو شَيئاً مِنهَا، فليَطْلُبها ممَّن يَملِكُها وليسَ ممَّن يَفْقِدُها!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ

1207-[يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ كلُّ الناسِ؛ الملوكُ والأمراءُ، الحكَّامُ والمحكومُون، الرؤساءُ والمرؤوسُون، الأغنياءُ والفُقراءُ، [أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ]؛ أنتم جميعُكم على مَدارِ الوقتِ، وفي جميعِ أحوالِكُم وتقلباتِكم بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى اللهِ، لَا غِنَى لكم عن اللهِ طرفَةَ عَين .. اعبدُوه ووحِّدُوه .. وسَلُوه مِن فضلِه يُؤْتِكُم، ويَزِدْكُم .. لا تحملنَّكم السَّلامَةُ في وقتٍ من الأوقاتِ، أو الغِنَى في جانبٍ من جوانِبِ الحياةِ على الظلمِ والطغيانِ .. وعلى نسيانِ هذه الحقيقَةِ؛ وهي أنَّكم فقراءُ إلى اللهِ .. وأنَّ مَا أصابَكُم مِن خَيرٍ فهو مِن اللهِ، [وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ]؛ عنكم، وعنِ الخلْقِ أجمعين؛ لكمالِ غِناه، وكمالِ أسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيا .. ومَا تقدِّمُوه مِن خَيرٍ، تُقدِّمُوه لأنفسِكُم، [الْحَمِيدُ]فاطر:15. وهو سُبحانه المحمُودُ دَائماً وأبَداً على أفعالِه، وصِفَاتِه، وعطَائِه، ونِعَمِه التي لا تُحصَى.

1208-[يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ كلُّ الناسِ؛ مؤمنهم، وكافرهم، مِن دونِ استثناءٍ لأحَدٍ منهم، [أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ]فاطر:15. مهما كان الإنسانُ قوياً، وغنياً .. فهو قياساً إلى قوَّةِ، ومُلْكِ، وغِنَى الله .. ضعيفٌ، وفقيرٌ .. بَل ولَا شَيء .. وما هو فيه مِن فضلٍ وغِنى فمِنَ الله .. ومَن كان كذلك حريٌّ به أن يتواضَعَ، وأن لا

يحمله غناه على الكِبرِ، والظُّلمِ، والتَّعَالي على الخلقِ .. وأنْ يشكرَ اللهَ، وأن يردَّ الفضلَ إليه، وأن يَسأله سُبحانه مَزيداً مِن فَضلِه.

* * * * *

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

1209-[وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى]؛ الكافرُ المشرِكُ، [وَالْبَصِيرُ] المؤمنُ الموحِّدُ، [وَلَا الظُّلُمَاتُ]؛ ظُلمات الكُفْرِ والشِّركِ، [وَلَا النُّورُ]فاطر:19-20. نورُ الإيمانِ والتَّوحِيدِ .. لا يَستويَان مَثَلاً .. ولَا مكانَةً ومَرتبَةً، ولا جَزَاءً.

* * * * *

وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ

1210-[وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ]فاطر:22. هذا مَثَلٌ ضُرِبَ للكفَّارِ الأحيَاءِ المعَانِدِين، المعرِضِين؛ فمثَلُهم مَثَلُ الأمواتِ في القُبُورِ، فكما أنَّكَ لا تُسْمِعُ مَن في القُبُورِ، سماعاً يَستفيدُون منه، كذلك لا تَستطيعُ أن تُسْمِعَ أحيَاءَ الكفَّارِ المعانِدِين، سَماعاً يَستفيدُون مِنه لآخِرَتِهم، ودُنيَاهُم.

* * * * *

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء

1211-[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]فاطر:28. العالِمُ مَن جمعَ بين العِلمِ، والعمَلِ، واليَقينِ، والخشيَةِ .. وميدانُ التَّنافُسِ والسِّباق فيما بين العُلماءِ يكونُ في العَمَلِ،

واليقينِ، والخشْيةِ، والإخْلاصِ .. وعلى قَدْرِ الخشيةِ يكونُ العِلمُ، وعلى قَدْر العِلمِ تكونُ الخشْيَةُ، ومَن لا خَشْيَةَ له، لا عِلمَ له، فكل منهما لازِمٌ ومَلْزُومٌ للآخَر.

1212- [إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]فاطر:28. مَفْهُوم المخَالَفَةِ، مَن كانَ جَرِيئاً على الظُّلمِ، والحرَامِ، لا يخْشَى اللهَ .. ليسَ مِن العُلماءِ، مَهمَا اتسَعَ صِيتُه، وكَثُرَ تحصِيلُه.

* * * * *

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ

1213- [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ]؛ الحياةُ الدُّنيَا ليسَت دَارَ جزَاءٍ ولا حسَابٍ، بحيث أن كلَّ مَن أخطَأ حتْماً سيلْقَى عقَابَه في الدُّنيَا .. ولو كانَت دارَ جَزاءٍ وحسَابٍ ـ كما يَظنُّ البعضُ! ـ مَا ترك اللهُ شَيئاً يَدبُّ على الأرضِ إلا وأخَذَه، بسببِ ذنُوبِ الناسِ ومعَاصِيهم .. وهذا لا يمنعُ أن يَأخذَ اللهُ بعضَ الكافرين والظَّالمِين في الحياةِ الدُّنيَا، ببعضِ ذنوبِهم ومعاصِيهم، بشيءٍ من العذابِ والعِقَابِ، كما أفادَت بذلك نُصُوصُ أخْرَى .. وليسَ بما يستحقونَه مِن العَذابِ والعِقَابِ، فهذا يُرجَأ إلى يومِ القِيامَةِ، [وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى]؛ يؤخِّرُ حسابَهم إلى يومِ القِيامَةِ، [فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ]؛ فإذا جاءَ يومُ القيامَةِ، وبُعِثَ الناسُ للحسابِ، هناك يكونُ استيفَاءُ كَامِلِ الجزَاء، [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً]فاطر:45. كان اللهُ بَصيراً عليماً بعبادِه المؤمنِين، وبأعمالِهم الصَّالحةِ، فيُجازِيهم الجنَّة، وكان عالماً بالكافِرين الظَّالمين، وبأعمالِهم الطَّالحةِ، فيُجازِيهم نارَ جهنَّم.

* * * * *

* * * * *

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ

1214- [وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ]يس:12. تُكتَبُ الآثارُ كما تُكتَبُ الأعمالُ؛ تُكتَبُ الخُطَا إلى المساجِدِ، وتُكتَبُ آثارُها على الأرضِ .. ويُكتَبُ السجُودُ، وتُكتَب آثارُه .. وتُكتبُ الصَّدقةُ، وتُكتَبُ آثارُها الجارِية .. ويُكتَبُ جهادُ المجاهِد، وآثارُه التي ينتفعُ بها الناس مِن ورائِه، ومِن بعدِه، ولو استمرَّ ذلك لمئاتِ السِّنِين .. ويُكتَبُ العِلمُ، وطَلَبُ العِلمِ، ونشْرُ العِلمِ، وكلُّ مَن ينتفعُ به .. فالكتابُ النافعُ الذي يتوارثُه النَّاسُ، وينتفعُون به، أثَرٌ مِن آثارِ صَاحِبِه .. والكلمةُ الطيبةُ التي يتناقلها الناسُ، وينتفعُون بها أثرٌ من آثارِ صاحِبها .. ومَا يأتي مِن صلبِك من أبناءٍ، وأحفَادٍ هم من آثارِك .. والآثارُ تنفعُ صاحِبَها مَا بقيت في الأرضِ، شَاهِدة لك، يَنتفعُ بها الناسُ .. وما يُقالُ في الآثارِ النافعَةِ يُقالُ في الآثارِ الضَّارَّةِ، كلُّ شيءٍ يُكتَب .. فكما تُكتَبُ السُّنَّةُ الحسنَةُ، وآثارُها، تُكتَب السنَّةُ السَّيئةُ، وآثارُها .. فاجتهِدْ أن تكونَ آثارُك من بعدِك ممَّا تنتفعُ بها بعدَ موتِك، ويومَ يقومُ الناسُ للحسَابِ، وفي الحديثِ:" مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ "مسلم.

* * * * *

وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى

1215- [وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ . وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ . إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ . قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ]يس:20-27. هذه الآياتُ تحكي قصةَ رجل صالح ندبَ نفسَه لنصرة رُسلِ الله ودعوتهم .. تتكرر نماذجه في كثيرٍ من الأزمنةِ والأمصَار .. التي تُحارَبُ فيها دَعوةُ الأنبياءِ والرُّسُلِ، ويَسودُ فيها حكمُ الطواغيت الظالمين!

1216- [وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ]؛ أي مِن أطرافِها .. ومِن أقصَى وأبعدِ بابٍ من أبوابِها .. قاصداً وسطَ المدينة ومركزها .. المكان الذي يجتمعُ فيه الملَأُ وأتباعُهم .. عند حصول أي أمر هامٍّ ينزلُ بساحتهم ومدينتهم، يَقتضي منهم الاجتماع.

1217- [رَجُلٌ]؛ إنه الشهيدُ الحبيبُ بن مري .. وقِيل حبيبُ النَّجَّار .. فهو رجلٌ لكن لا كالرجال .. رجل فيه كل معاني الرجولة والشجاعةِ والصدقِ والإقدام .. لا يخشى في الله لومة لائم .. رجلٌ صَادِقٌ في لهجتِه ودعوته .. صادق مع نفْسِه، وعقيدتِه .. ومَا يَدعو إليه .. فباطنه كظاهِرِه، وظاهره كباطنِه .. لا يتخلَّفُ قوله عن فعلِه، ولا فعلُه عن قولِه .. كفر بالطواغِيت؛ كل الطواغيت التي تُعبَد من دُونِ الله .. اعتقاداً وقولاً وعملاً .. فترجم التوحيدَ في جهادِه وصدعه بالحقِّ أحسن ترجمة وبيان .. حملَ على عاتِقَيه همَّ أمته وقومِه؛ كيف يُغيثهم .. كيف ينقذهم من الهلاك .. كيف يحميهم من أذى وشرِّ الطواغيت .. ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور وعدل الإيمان والإسلام .. ولو أدَّى ذلك به إلى القتلِ والاستشهادِ.

1218- [يَسْعَى]؛ فهو لم يجئ ماشياً بل جاءَ سَاعياً يركضُ ويهرولُ بأقصَى ما أُوتيَ من قوَّةٍ وعزيمةٍ وإرادة .. لأنَّ الأمرَ هامٌّ لا يحتملُ التأخيرَ، أو التريثَ .. أو الإبطاءَ .. وبالتالي لا بدَّ من أن يأتيه سَعياً قبل أن يقعَ المحظُور .. وخشية أن يفوتَه موقفٌ فيه نصرة للهِ ولرسُلِ الله .. وكان قومُه قد تواطَؤوا واجتمعُوا على قتلِ رُسُلِ الله .. ويَا لَه من حدَثٍ جلَلٍ .. وكونه قد جاءَ يَسعى؛ فهذا دليلٌ على أنه كان همَّاماً .. وأن هَمَّ أمته وقومه قد امتلأت به نفسه .. لذا فقد جاءَ يسعى .. وقِيل: أنه كان مريضاً، مُصاباً بالجذَامِ، فما أقعدَهُ المرضُ عن الحراك والسَّعي!

1219- [يَسْعَى]؛ مِن أجلِ ماذا .. هل من أجلِ امرأةٍ ينكحُها أو دُنيا يُصيبها .. كما هو شَأنُ وحالُ الكثيرِ .. لَا؛ ليسَ شيئاً مِن ذلك؟! فهو جاءَ[يَسْعَى]؛ إلى أن توسَّط قومَه وهم مجتمعين .. ليقرِّرُوا موقفَهم من أنبياءِ اللهِ، ومِن دعوتِهم .. فشَقَّ جموعَهم وناداهم بأعلى صَوتِه .. ناصحاً ومُشفقاً .. نَذيراً وبشيراً .. وقبلَ أن يأخذَ قِسطاً مِن راحة أو يَلتقطَ أنفاسَه مِن أثرِ السَّعي .. وبثباتِ المؤمن الواثق بوعدِ ربِّه، فـ [قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ]؛ فيما يُبلِّغُون عن ربهم .. وآمِنوا بهم .. تُفلحوا .. مفهومُ الأمرِ باتباعِ المرسَلين يقتضي النَّهيَ عن كلِّ دِينٍ يُخالِفُ دينَ المرسَلين .. إذْ لَا يَصح ولا يُقبلُ مِن المرءِ أن يَتبعَ دينَ المرسلين ثم هو في نفسِ الوقتِ يتبعُ دينَ الطواغِيت .. وعبادةِ الأصنامِ والأوثانِ .. فلا يجتمعُ في قَلبِ امرِئٍ اتباعٌ وانقيادٌ لدِينِ اللهِ واتِّباعٍ وانقيادٍ لدينِ الطَّاغُوت .. والقولُ باجتماعِهما هو مِن قَبيلِ القولِ بالشيءِ وضِدِّه في آنٍ واحد .. [اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً]؛ فمن علامَات صِدقِ الرُّسُل أنَّهم لا يَسألونَكم أجْرَاً وعَطاءً على دعوتِهم وجهادِهم ونُصْحِهم، وتبليغِ الرِّسَالة .. فأجرُهم على اللهِ .. وإنما يَسألونَكُم فقط أن تَدخلُوا في دينِ الله تعالى، وفي عبادته وتوحيدِه .. وأن تكفرُوا بالأوثانِ والطواغيت،

ونتبرَّأوا مِن عبادَتِهم .. أمَّا مَن يقتَاتُ ويَستغني مِن وراءِ دعوتِه، وكلماتِه .. ويكونُ همُّه الأكبر مِن وراءِ دَعوتِه كيفَ يتلقَّى العطَايا والمنَح مِن الآخَرين، ولو على حِسابِ الحقِّ .. فهؤلاء حريٌّ بأن لا يُسمَع لهم، وأن يُتَّهمُوا في دينِهم ومروءتِهم، ويُسَاءُ بهم الظن .. والأنبياءُ والرسلُ ليسوا شَيئاً من ذلك حاشَاهُم .. لِذا فإنه لحريٌّ بكم بأن تُصغُوا إليهم وإلى دَعوتِهم، وتتبعُوهم!

1220- [وَهُم مُّهْتَدُونَ]؛ وهم إضافة إلى ذلك كله فهم مهتدُون موفَّقُون إلى الحقِّ؛ صراط اللهِ المستقيم .. مهتدُون في أنفسِهم ودَعوتِهم وكلِّ أحوالِهم .. فلا هِداية ولا مَنجَاة لأحدٍ إلَّا باتباعِهم وطاعتِهم، فاهتَدُوا بهم وأطيعُوهم .. لأنه قد يعترضُ معترضٌ فيقُول: هناك مِن دُعاةِ الباطلِ مَن لا يَسألونَ الناسَ المالَ والعطَايا على دَعوتِهم .. فيأتي الردُّ الحاسمُ عليهم: ولكنهم غير مهتدِين .. فهم إذْ لا يَأخذُون أجراً ولا مالاً ـ وما أقلّ هذا الصنفِ في دعاةِ الشَّرِّ والباطلِ ـ فإنهم يَدعون إلى الفحشْاءِ والمنكرِ والبَغي .. وهذا بخلافِ ما عليه الأنبياءُ والرُّسُل، وأتباعهم من العلماءِ العاملِين؛ فهم إضافة إلى كونِهم لا يَسألُون الناسَ الأجرَ والمالَ، فهم مهتدُون، يَدعُون إلى الهُدَى والحقِّ .. وما إن أنهَى خطابَه الإيماني الآنف الذِّكرِ أعلاه .. إلا واعترضَهُ الملأُ مِن قومِه مُستفسِرين، ومستنكِرين، ومهدِّدين .. هل أنتَ على دِينِ الأنبياءِ والرسلِ .. هَل تركتَ دينَنَا؛ دِينُ الآباءِ والأجدَادِ، دينُ عبادَةِ الأوثانِ والأصنامِ، والطواغِيت؟!

1221- فأجابهم:[وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي]؛ ومَا الذي يمنعُني مِن أن أُفردَ اللهَ تعالى وحدَه بالعبادةِ وهو الذي خلقَني، فأحْسَن خَلقي .. وتفضَّل عليَّ بالنِّعَم التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى .. فمن لوازِم مُتطلبات النِّعم التي خصَّ اللهُ بها العباد، أن يخصَّهُ العبادُ بالشُّكرِ ويُفردُوه بالعبادَةِ .. ثم هل من آلهتِكم المزعومة وأوثانِكم وأصنامِكم من يستطيعُ أن

يخلقَ شيئاً .. وإذا كان لا يَستطيعُ أن يخلقَ شيئاً، وهو أعجزُ وأضعفُ من أن يخلقَ بعوضَةً .. فهل مَن يخلقُ كمَن لَا يخلقُ .. هل يَستويان مَثلاً ؟! [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ]النحل:17. وقال تعالى:[أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ]الأعراف:191.

1222- [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]؛ ثم أنكم أيُّها المشركُون الضَّالُّون لراجعُون إلى اللهِ تعالى يومَ القِيامَةِ، ومحاسَبُون على ما كان مِنكم من اعتقادٍ وعمَلٍ .. يومَ يَقعُ النَّدمُ على التفريطِ، ولاتَ حِين مَنْدَم .. فانظُروا ماذا قدَّمتم لأنفُسِكُم؟!

1223- [أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ]؛ أي مِن دونِ اللهِ تعالى، [آلِهَةً]؛ أتَأَلَّهَهم، وأخصُّهم بالعبادَةِ، والطاعةِ، والمحبَّة، والتَّحاكم مِن دُونِ الله .. وقَد تَبين أنَّهم عاجِزُون قاصِرُون لا يملكُون شيئاً، ولَا يَقدرُون أن يخلقُوا شَيئاً، ولا يَنفعون ولا يَضرُّون أحداً إلا إذا شاءَ اللهُ .. وهذا سؤالٌ توبيخي تَقريعِي استنكارِي؛ أي كيفَ تحملُونني على أن أعبدَ آلهةً وطواغيتَ مِن دُونِ اللهِ تعالى ضَعيفَةً عاجزةً؛ لا تخلُقَ، ولا تنفعُ ولا تضرُّ .. أليس لكم عقول تتفكَّرون بها، تردعكُم عن ذلك؟!

1224-ومِن علاماتِ ضَعف، وعجزِ، وقُصورِ هذه الآلهة المزعُومة:[إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ]؛ أي إن يصيبني اللهُ ببلاءٍ؛ كالمرضِ وغيره .. [لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً]؛ أي لا تَنفعني شفَاعَتهم في شَيءٍ، لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ؛ لأنهم لا شفاعَةَ لهم أصْلاً .. فالشفاعةُ تكونُ يومَ القيامةِ لمن ارتضَى اللهُ وأذِنَ له بأن يشفَعَ، مِن الأنبياءِ والرسلِ والصدِّيقين والشُّهداء، وغيرهم من المؤمنين الموحِّدين .. ولمن شاء الله أن يُشفَعَ له. [وَلاَ يُنقِذُونِ]؛ أي كذلك فهم لا يَستطيعون أن ينقذُوني أو يخلّصوني مما أنا فيه

من البلاءِ والمرضِ، والعذابِ .. فهم أضعَفُ وأعجزُ مِن ذلك .. فهم لا يملكُون من الأمرِ شيئاً، فالأمرُ كله للهِ تعالى وحده .. فكاشفُ الضُّر هو اللهُ تعالى وحدَه .. فإن أرادَك بفضْلٍ وخيرٍ فلا رادَّ لفضلِه وقضائه:[وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ]الأنعام:17. وقال تعالى:[وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]يونس:107. [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]الشعراء:80.

1225-[إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ]؛ أي إن أصغيتُ إليكم وأطعتكُم فيما تأمرونني به؛ من عبادةِ آلهتِكم وأوثانِكُم، وأصنامِكم، وطواغيتِكم .. من دونِ ـ أو معَ ـ اللهِ .. فإني يَقيناً على خَطأ بيِّنٍ ظاهِر، وأنا من الهالكِين الخاسِرين الذين ضَلُّوا الحقَّ، والصراطَ المستقيم.

1226-فلما سمعَ الملأُ من قومِه هذه الإجابة الإيمانيَّة عمَّا قد سألُوه عنه .. ولمسوا منه صِدقَ لهجتِه، والجِدَّ فِيما يقول .. عاودُوا الكرَّة في تهديدِه وزَجرِه ونهيه، وبالغُوا في التَّهديدِ والوعيدِ، إن لم يعد عن دينِه، ويَدخل من جديدٍ في دينِهم؛ دينُ عبادةِ الأوثانِ والطواغِيت .. فما كان جوابُه إلا أن قالَ لهم بكلِّ ثباتٍ ويَقِين، وبملْءِ فِيه:[إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ]؛ الذي خلقكُم، والذي خلقَ السماوات والأرضَ، الذي رزقَكُم وأمدَّكُم بالنعَم .. وكفرتُ بأصنامِكم وأوثانِكم وطواغيتِكم التي تعبدونَها مِن دونِ اللهِ .. وبيانُ هذا المعنَى من لوازمِ وشروطِ الإيمانِ بربِّ العالمين؛ إذْ لا يصحُّ إيمانُ بربِّ العالمين إلا بعدَ الكُفْرِ بالطاغوتِ، كما قال تعالى:[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. وقال تعالى:[فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]البقرة:256.

1227-[فَاسْمَعُونِ]؛ فافهمُوا مقَالي وخِطابي جيداً: بأنِّي قد آمنتُ باللهِ ربِّ العَالمين .. وكفرتُ بالطواغيتِ كل الطواغيت التي تعبدونَها مِن دونِ اللهِ .. فافعلُوا مَا بَدَا لكُم .. فإنِّي لا أَخشَاكُم، ولَا أَخْشَى جموعَكم ولا عسَاكِرَكُم .. فأنا لا أخشَى إلا الله .. فوثَبُوا عليه وثبةَ رجلٍ واحدٍ .. يملؤ نفوسَهم الحقدُ والكراهيَّةُ، والعداوةُ والبغضاءُ، فضربُوه، ورجمُوه .. وحرَّقُوه، ووطأوه بأقدامِهم، وتفنَّنُوا في تعذيبِه، والانتقامِ مِنه .. حتى قِيل أن أمعاءَه قَد خرجَت مِن دُبرِه .. حتَّى قتلُوه رحمه الله.

1228-الكلُّ مِن حولِه فَرِحٌ بموتِه، يرقصُ على جثَّتِه .. والكلُّ منهم لا ينسَى حظَّه من اللطْمِ، والشَّتمِ، والرَّفْسِ .. حتى بعد موتِه .. عسى أن يَشفي بعضَ ما في نفسِه من غِلٍّ وحقدٍ على دينِ الله، وعلى أنبياءِ الله .. بينما جندُ اللهِ في السماءِ، كانوا في أشدِّ الشوقِ إليه، ليحتفُوا به بطريقتِهم .. ويفرحوا بحياتِه من جدِيد .. وبقدومِه عليهم كشَهيدٍ .. فلمَّا ماتَ، وخرجَت الروحُ من جسدِها إلى بارئِها، وتلقَّتها الملائكةُ فرحين ومُبشرين .. قِيل له مباشَرَة، وفي الحال:[ادْخُلِ الْجَنَّةَ]؛ لينعمَ بنعيمِها وخيراتِها وملذّاتِها .. جزاء إيمانِه، وجهادِه، ونُصحِه لقومِه، وثباتِه، وصَبرِه على البلاءِ .. فلمَّا رَأى ما هو فيه من النَّعيم والخيراتِ والمسرَّات .. بينما قومُه لا يزالُون ـ كالكلابِ المسعورَةِ ـ منشغلين بالانتقامِ من جسدِهِ الطَّاهِر، قال:[يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ]، ما أنا فيه، وما هم فيه؛ ما أنا فيه من النَّعيم المقِيم .. وما هم فيه من الشقاءِ والضلالِ المبين .. والانشغال بالاعتدَاءِ على جسَدِي، والذي لم يَصلْني من أَلَمِه شيء!

1229-ثم يا ليتهم يَعلمون:[بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي]؛ ذَنْبي الذي كان مني قبلَ أن أتبعَ المرسلين، الذي لو متُّ عليه لكنتُ من الهالِكين الخاسِرين، [وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ]؛ فأكرمني بالمقامَات العَالية، بالمسرَّات والخيراتِ، والعطَاءِ الجزيل .. فإنهم لو علموا ذلك

عسَى أن يهتدُوا، ويؤمنُوا، ويُقلِعُوا عن شركِهم وضلالِهم .. فنصحَ قومَه حيَّاً، وبعد مماتِه .. رحمه الله، وغفرَ له، وزادَه شَرَفاً وتكريماً .. ومِن تَكرِيمِ اللهِ تعالى له أن خَلَّدَ اسمَهُ وقصَّتَهُ في آياتٍ قُرآنيَّةٍ تُتْلَى إلى قِيامِ السَّاعَةِ!

* * * * *

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ

1230- [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ]؛ على الكافِرين مِنهم؛ ففِي الدُّنيَا لهم الشَّقَاءُ، والتِّيه، والضَّيَاع .. وفي الآخِرَةِ - يومَ لا يَنفعُ النَّدَمُ ولا التَّلَاومُ، ولا الغَمُّ والحزَنُ - لهم العَذَابُ الأليم .. فتجتَمعُ عليهم الحسَرَاتُ كُلها؛ حَسَراتُ الدُّنيا والآخِرَة .. والسَّببُ أنَّهم كانُوا [مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ]؛ وبدَعْوَتِه [يَسْتَهْزِئُون]يس:30. يَسْخَرون .. ويَتَهَكَّمُون .. فيندَمون ويَتَحَسَّرُون على ما فَرَّطُوا بحَقِّ أنفُسِهم، ومَا كانَ مِنْهم تِجَاهَ رُسُلِ الله، وتجاهَ دَعْوَتِهم .. وَلاتَ حِينَ مَنْدَم!

1231- [يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ]؛ كَمْ فَاتَهُم مِن خَيرٍ، وكَمْ أصَابَهم مِن شَرٍّ .. والسَّبَبُ، أنَّهم [مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون]يس:30. فبَدَلاً من أن يؤمنُوا به، ويُوقِّرُه، ويتَّبعُوه .. يَستهزئون ويَتَهَكَّمُون بهِ وبدَعْوَتِه، وأتْبَاعِه!

1232- كلُّ مَن يَسْتَهزئُ بأَتْبَاعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، لاقتِدَائِهم واتِّبَاعِهم للأنبياءِ والرُّسُلِ، فهو يَسْتهزئُ بالأنبياءِ والرسُلِ ذَاتِهم.

* * * * *

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ

1233- [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ]يس:31. أُمَمٌ وأَجيالٌ ـ قَد عَتَت عَن أمرِ رَبِّها ـ لا يَعلمُ عدَدَها إلا اللهُ .. قد ابتَلَعَها الموتُ .. ابتلعَتهم القُبورُ .. فلم تنفَعْهَم قوَّتُهم، ولا أموالُهم، ولا كَثرَتُهم شَيئاً .. رَحَلُوا عَن هذهِ الحياةِ ولم يَعُودُوا .. ولم يَقْدِرُوا أن يعُودُوا للحيَاةِ مرَّةً ثانيَةً .. ليَلْقَوا مَصِيرَهم، وحِسَابَهم الذي لا مَفَرَّ لهم مِنه .. أليسَ في ذلك عِظة وعِبرة للأحياءِ، وهُم صَائِرُون لا محَالَةَ إلى ما صَارَت إليه الأمَمُ والأجيالَ مِن قبلِهم .. هَلَّا سَألَ الطُّغاةُ الأَحْيَاءُ عَن مَصِيرِ مَن سَبَقَهُم مِن الطُّغَاةِ الأمْوَاتِ، كيفَ كانُوا، وإلى أينَ صَارُوا .. أمْ أنَّ إلْفَ الأحْياءِ لمنظَرِ الأمواتِ، والقُبُورِ، أنسَاهُم أنَّهم سَيمُوتُون، وأنَّهُم بِهم لاحِقُون؟!

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

1234- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ]؛ عذَابُ الدُّنيَا، [وَمَا خَلْفَكُمْ]؛ عذَابُ الآخِرةِ .. فإذا اتقيتم عذَابَ الدُّنيَا، وعَذابَ الآخِرةِ، بامتثالِ ما أمرَ اللهُ بِه، وبالانتهاءِ عَمَّا نَهى عنه، [لَعَلَّكُمْ]؛ تفيدُ هنا التَّحقِيقَ، [تُرْحَمُونَ]يس:45. يرحمكُم اللهُ في الدُّنيا، والآخِرَةِ.

* * * * *

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

1235- [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]يس:47. يَستدلُّ الكفارُ بالقَدَرِ الكَوْني، وهو أن اللهَ تعالى قد قدَّرَ وجُودَ الفَقرِ، والفُقراءِ .. على إبطالِ وردِّ القَدَر

الشَّرْعِي الدِّيني؛ وهو أنَّ اللهَ تعالى يَأمرُ بالزكاةِ، ويحضُّ على الصدَقَاتِ، ويُجازِي عليها خَيراً مضَاعَفاً .. إذْ لو أرادَنا اللهُ ـ كما يَزعمون! ـ أن نتصدَّقَ ببعضِ أموالِنا على الفقَراءِ؛ لَمَا قدَّرَ وجُودَ الفَقْرِ، والفُقَراء، وهو قادرٌ على إغنَائِهم وإطعَامِهم .. فتارةً تَراهم يَستدلُّون بالقَدَرِ الكَوْنِي على شَرعيَّةِ الشِّرْكِ، والفواحِش، والمنكَرات، وتارةً يَستدلُّون به على بُطلانِ القَدَرِ الشَّرْعِي، ومَا يحبُّه اللهُ تعالى ويَرضَاهُ من الأعمالِ الصالحةِ .. واستدلَالُهم هذا مَردُّه لجهْلِهِم، وضَلالِهم، وكُفرِهم، وسُوءِ فَهمِهم للخطابِ الشَّرعِي، والمرَاد مِنه، وسُوءِ أدَبِهم، وفَهمهم لحقيقَةِ الحياةِ الدُّنيا؛ وهي أنَّها دارُ ابتِلَاءٍ، واختبارٍ، وكَدْحٍ، وعملٍ؛ وهذا من مقتضاهُ وجُود اللونين والنَّوعَين معَاً: الفَقْرُ، والغِنَى، الشَّيءُ وضدُّه، [إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]. لفهمِكم الخاطِئ هذا!

* * * * *

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ

1236- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ]يس:60. كُلُّ مُشْرِكٍ ـ أيّاً كانت مِلَّتُهُ، وكانَ دِينُه ـ هو على الحَقِيقَةِ مِن عَبَدَةِ الشَّيْطَان، وسَيُحَاسَب يَومَ القِيَامَةِ على أنَّهُ مِن عَبَدَةِ الشَّيطَان.

1237- إن لم تعبد اللهَ فأنت ـ لا مَحالَة ـ تَعبدُ الشيطان ـ وإن تسمَّيتَ باللا دِيني أو زَعمتَ أنك من الملحِدين، أو تَسمَّيت بأيِّ اسمٍ آخَر ـ وداخِلٌ في زِمْرةِ المعنيين مِن قولِه تعالى:[أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ]يس:60.

1238- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ]يس:60. مَن لا يَعْبُدُ الرحمنَ، فهو لا محَالَة ـ أيَّاً كان دِينُه، وكان انتماؤه ـ يَعبُدُ الشَّيطانَ، ودَاخِلٌ في طاعَتِه ...!

1239- [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ]؛ عن طريقِ جميع الأنبياءِ والرسلِ، والكتُب التي أنزلها اللهُ عليهم .. وقبلَ ذلك عن طريقِ العهدِ والميثاقِ الذي أخذَهُ اللهُ مِن بني آدَم وهم كالذَّرِّ في ظَهرِ آدَم عليه السلام، فاستخرجَهم وأشهَدَهم على نفْسِه بالوحدانيَّةِ، وحَذَّرهم من عواقبِ الجحودِ والشِّركِ، [أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ]؛ أن لا تُطيعُوا الشيطانَ فِيما يُزينُه لكم مِن الكُفْرِ، والشرْكِ، والفسُوقِ .. وفِيما يُوحِي إليكم من تحليلٍ للحرَامِ، وتحريمٍ للحلالِ، فإن أطعتمُوه فِيما يُوحي إليكم، فقد دَخلتُم في عبادَتِه مِن دُونِ اللهِ، [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ]؛ فالشيطانُ عدَاوتُه لبني آدم ظاهِرةٌ وواضحةٌ، لا خَفَاءَ فِيها؛ فهو لا يُريدُ لهم الخيرَ .. فهو لا يريدُ لهم إلا الشرَّ، وينتهي بهم إلى نارِ جهنَّم .. ومَن كانَ كذلك حقُّه أن يُتخَذَ عدُواً لا وَلِيًّا. [وَأَنْ اعْبُدُونِي]؛ وَحِّدُوني، وأطيعُوني، ولَا تُشركُوا بي شَيئاً، [هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ]يس:60-61. لا عِوَجَ فيه عن الحقِّ، ينتهي بسَالِكِه إلى النَّجاةِ، وإلى الجنَّة.

* * * * *

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ

1240- [وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ]يس:68. قانونٌ عامٌّ يَشملُ الجميعَ .. يُؤدِّبُ الجميعَ، لا يَستَثني أحَداً مِن النَّاسِ .. كَم مِن مُعجَبٍ بجسَدِهِ وعضلاتِه الضخمَةِ والمفتولَةِ .. يمشي بينَ الناسِ مختَالاً، فخوراً .. كان يُشارُ إلى ضخامَةِ وقوةِ جسَدِه

بالبنَانِ .. انتَهى به الحالُ إلى الضَّعفِ، والترهُّلِ، والعَجْزِ .. وكم مِن امرأةٍ ـ يُسمونَها فنَّانَه! ـ كانَت تتبَاها بجمالِها، وبجسَدِها .. تَشدُّ إليها الأنظارَ .. وتتفنَّنُ في إبرازِ مفاتِنِها؛ تُؤذِي بها الناسَ .. انتَهى بها الحالُ إلى الضعفِ، والترهُّلِ، والعَجْزِ، تَعلُوها التَّجاعِيدُ، وقبحُ المنظَرِ .. ليعلمَ الجميعُ أنَّ الدائمَ الذي يُغَيِّرُ ولَا يَتَغَيَّر هو اللهُ تعالى وحدَه .. وأنَّ الذي يَقْدِرُ على أن يُغيرَ الإنسانَ مِن حَالَةِ القوَّةِ إلى حالَةِ الضَّعْفِ والعَجْزِ .. قادرٌ على أن يحييَه بعدَ موتِه، ويَبعثَه ليومِ الحِسَاب .. [أَفَلَا يَعْقِلُونَ]؛ هذه الحقيقة؛ فيَستدلُّون بها وبما يَعرفُون، وبما يُشاهِدُونه بأعينِهم على ما غابَ عنهم مِن شأنِ يومِ البَعْثِ، والنشُورِ، والحِسَابِ؟!

* * * * *

لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ

1241- [لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً]؛ مَن كا مُؤمِناً، حَيَّاً بإيمانِه، [وَيَحِقَّ الْقَوْلُ]؛ العَذَابُ، [عَلَى الْكَافِرِينَ]يس:70. على الأحياءِ الأَمْوَاتِ؛ الأحْيَاءُ بأجْسَامِهم، الأمْوَاتُ بأَرْوَاحِهم، وإيمانِهم، وعقُولِهم!

* * * * *

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ

1242- [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ]يس:77. يُذَكِّرُ اللهُ الإنسانَ بأصْلِه الذي خلقَه منه .. وجاءَ منه .. وهو جزءٌ صَغيرٌ مِن النُّطْفَةِ، وليسَ كل النُّطْفَة، لا يتعدَّى حجمُه رَأْسَ الإبرَةِ .. كما في الحديثِ الصَّحيح:" مَا مِن كُلِّ المَاءِ يكونُ الوَلَدُ "مسلم. ثمَّ كيفَ أن اللهَ تعالى من هذا الجزءِ الصغيرِ مِن النُّطفَةِ، الذي اسمُه الحيوانُ المنَوي .. خلقَه وصَوَّرَه فأحسَنَ خَلْقَه وصُورتَه .. ففَلَقَ له

العينَين، والأذُنَين، والفَمَ، والأنْفَ، والسَّبيلَين .. وخَلَقَ له أعضَاءَه الباطِنَةِ؛ القَلْب، ومَا سِواه .. وخلَقَ لكلِّ عُضْوٍ مِنْهَا وظيفَةً لَا تَستمرُّ الحياةُ ولَا تَسْتَقيمُ مِن دُونِه .. ووَهَب له السَّمْعَ، والبَصَرَ، والفُؤَادَ .. ولمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ .. كَفَرَ، واستَعْلَى، واستَكْبَرَ .. وأخَذَ يُجادِلُ في اللهِ .. وفي وجُودِه .. وفي أسمائِه وصِفاتِه .. ويُنكر البَعْثَ، والنُّشورَ، والحِسَابَ .. ويُناظِرُ ويتحدَّى مَن يُثبت له وجودَ اللهِ .. وأنَّ اللهَ حَقٌّ .. أينَ الله .. " لا إله والحياةُ مادَّة " .. نحنُ أحرَارٌ في أنفُسِنَا؛ نفْعلُ مَا نَشاءُ .. نحيَا كالبهائِمِ، ونموتُ كالبهائِمِ؛ مِن غيرِ غايَةٍ ولَا رِسَالَةٍ .. ولَا رَقِيبٍ، ولَا حَسِيب .. يَفْعَلُ ذلكَ وأكثَر .. وقَد نَسِيَ خَلْقَهُ وأصْلَه .. وأنَّه جَاءَ مِن جِزْءٍ صَغِيرٍ مِن النُّطفَةِ لَا يَتعدَّى حجمُهُ رَأسَ الإبْرَةِ؛ التي تَسْتَدْعِي مِنه الإيمانَ، والشُّكْرَ، والتواضُعَ، والانكِسارَ أمَامَ عظَمَةِ اللهِ تعالى، وفَضْلِه عليه .. ألَا تَسْتَحي يَا ابنَ آدَم .. تتطاوَلُ وتَتجرَّأ على خالِقِك، ومالِكِك، خَالِقِ الخلْق، ومَالِكِ المُلْك .. وتُجَادِلُ في وَعْدِه ووَعِيدِه .. وأصْلُكَ مِن نُطفَةٍ قَذِرَةٍ، خَرَجْتَ مِنَ السَّبيلَين: مَرَّةً مِن سَبِيلِ أبِيك، ومَرَّةً مِن سَبيلِ أُمِّك ...؟!!

1243- [أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ]يس:77.

وجُودُ الخَصِيمِ الملْحِد، الذي يُخاصِمُ في وجُودِ اللهِ .. وفي حَقِّه على عِبَادِه .. وفي الوَعْدِ والوَعِيدِ .. في زَمَانِنَا .. وعبرَ جَميعِ الأزْمنَةِ والعصُورِ، وبِنِسَبٍ مُتَبايِنَةٍ ومختلفَةٍ .. وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. هو نفْسُه دَليلٌ صَريحٌ على صِدْقِ هذه الآيَةِ الكَرِيمَةِ التي تتكَلَّمُ عنْهم بهذَا التَّفْصِيلِ، وهذا الوضُوح .. وهو دَليلٌ على وجُودِ اللهِ .. وأنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ .. وأنَّ كلامَه حَقٌّ .. ولو لَمْ يُوجَد هَذا " الخَصِيم "، لكانَ حِينئذٍ يحقُّ لهذا الإنسان أنْ يتَشَكَّكَ، ويُشَكِّك، ويتَسَاءَل .. عَلامَ القُرآنُ يتكَلَّمُ عَن شَيءٍ غير موجُودٍ، ولَمْ يُوجَدْ مِن قَبْل ..؟!

فوجُودك يَا مُلْحِد، ودُخُولك في الخصُومَةِ هو بحدِّ ذَاتِه دَليلٌ على أنَّ اللهَ حَقٌّ .. وأنَّ كَلامَه حَقٌّ!

* * * * *

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ

1244-[إِنَّ إِلَهَكُمْ]؛ الذي تُؤْلِهُونَهُ بالمحبَّةِ، والطَّاعَةِ، والعِبَادَةِ، [لَوَاحِدٌ]الصافات:4. وهو اللهُ تَعَالى وَحْدَه لَا شَريكَ لَه.

* * * * *

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ

1245-[إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ]الصافات:10. صَوْناً لرسالةِ خاتَمِ الأنبياءِ والمرسَلين .. وحتى لا يحصَل الكذبُ على اللهِ، والتحريفُ والتزويرُ لكلامِه .. كان الشيطانُ إذا ما استرَقَ السمْعَ إلى الملائكةِ، ليخطِفَ مِنهم الكلمَةَ والكلمَات .. ثم يُضيفُ إليها بعدَ ذلك مِن هواه مَا شَاءَ مِن الكَذِبِ والتحرِيفِ .. قبل أن يحصلَ شيءٌ من ذلك يُرسلُ الله إليه نجماً شهاباً يثقبه ويحرقُه، ويقتلُه، ويُحيلُ بينَه وبينَ مُرادِه .. وكذلك شياطينُ الأنْسِ في الأرْضِ .. حِفْظاً لكتَابِ اللهِ تعالى مِن التَّحريفِ والتزويرِ، وسُوءِ التأوِيلِ .. كلما انبرَى منهم دَاعيةٌ مِن دُعاةِ الشرِّ والباطِلِ، والتَّحريفِ .. أرسلَ اللهُ إليه دَاعيةً مِن دُعاةِ الخيرِ والحقِّ .. يحرقُه، ويثقبُه، ويحرقُ شرَّه وباطِلَه، ويُبطِلُ دَعْوتَه .. مَا مِن شَرٍّ إلَّا ويُقابِلُه خَيرٌ يَدْحَضه.

* * * * *

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ

1246- [وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ]الصافات:13. وإذَا أُقيمَت عليهم الحَجَجُ والبرَاهِينُ النَّقْلِيَّةُ، والعَقْلِيَّةُ، والكونيَّةُ .. لا يتَّعظُون، ولَا يَنتفعُون بها؛ لأنَّهم لا يُحسنُون الإصغاءَ إليها، ولا التَّفكُّر بها، ويتَعامَلُون معَها بكِبرٍ، وتَعَالٍ، واستخفَافٍ، وإعرَاضٍ!

* * * * *

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ

1247- كثيرٌ من الآياتِ الباهِراتِ الجاثِمةِ أمَام أعيُنِنَا، لا نَرى فيها إعْجَازاً؛ لأننا أَلِفْنَا رُؤيتها .. ومَا يُطالِبُ به البعضُ من الآياتِ والمعجِزَات، لو تمَّت، وأَلِفْنَا رُؤيتَها، لفَقَدَت في نفُوسِهم صِفَةَ الإعجَازِ، وطَلبُوا غيرَها من الآيَات .. صدق الله:[وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ] الصافات:14. مَهْمَا أظْهرَ اللهُ تعالى للكافِرين المعاندين مِن آيَاتٍ بَاهِراتٍ؛ في أنْفُسِهم، وفي السَّماوَات، والأرضِ، لَن يَنْقَطعَ شَكُّهُم، ولن يَتَوَقَّفَ فُضُولُهم، حَتَّى يَقُولوا:[أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً]النساء:153.

1248- [وَإِذَا رَأَوْا آيَةً]؛ قُرآنيَّةً، أو آيَةً كونيَّةً تَدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى حَقٌّ، وأنَّه المعبُودُ بحقٍّ، وأنَّ القُرآنَ الكريم حَقٌّ، وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم حَقٌّ .. ومَا أكثر الآياتِ الكونيَّةِ المتجدِّدَةِ التي يَرونَها على مدَارِ السَّاعَةِ .. كان مِن آخِرها إعصارُ " ميلتُون " المخيف؛ الذي دَمَّرَ مُدناً وقُرَى بكامِلِها في أمريكا، [يَسْتَسْخِرُونَ]الصافات:14. يُقابلُون هذه الآياتِ الباهِرات بالسُّخريةِ والاستهزاءِ .. وهذه بضَاعةُ البطَّالِين المفلِسين؛ الذين لا يَملكون الحُجَّةَ في مواجَهةِ الحُجَّةِ، ولَا يملكُون دَلِيلاً موافقاً للنَّقلِ، وللعَقلِ، فِيما هم فيه من باطِلٍ .. لذا تراهُم يهربُون إلى الجانبِ اليَسيرِ والأسهلِ عليهم ـ في تَعامُلِهم معَ الحقِّ، ومعَ الحججِ والآياتِ الدَّالةِ عليه ـ وهو السُّخريَةِ، والاستِهزَاءِ!

* * * * *

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ

1249- [وَقِفُوهُمْ]؛ يا أيُّها الملائكة .. قبلَ أن تَقذِفُوا المشْرِكين الكافرين في نارِ جهنَّم .. احبسُوهم عندَ صراطِ الجحيم، [إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ]الصافات:24. عمَّا كانَ مِنهم في الحياةِ الدُّنيا مِن اعتقادٍ، وقَولٍ، وعملٍ .. وعمَّا أجابُوا بهِ دعوةَ الأنبياءِ والرُّسُل .. وعمّا اقترَفُوه مِن جرَائم وآثَامٍ، بحقِّ الإسلامِ والمسلمين .. وبحقِّ بعضِهم بعضَاً؛ ليعلمُوا سوءَ ما كانُوا فيهِ، وأنَّه السببُ لما هم فِيه!

1250- [مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ]الصافات:25. الموقفُ مُهِينٌ، ومُذِلٌّ، ومخيفٌ .. فجهنمُ بلهيبِها مِن أمامِهم .. ليسَ بينهم وبينَها سوى خطوات .. وسوى أن يأتي الأمرُ للملائكةِ بأن يَرمُوا بهم في النَّارِ .. لا هَمَّ لأحدِهم إلا نفْسَه .. وهُم في هذا الموقفِ .. وهذا الشُّعورِ .. يأتيهم السؤالُ التَّقريعي، الذي يَزيدُهم ذلّاً وحَسرةً، ونَدَامةً .. ما لَكُم لا ينصُرُ بعضُكم بعضَاً .. ولَا يُغيثُ بعضُكم بعضَاً كما كنتم تفعلون في الحياةِ الدُّنيا .. أينَ آلهتِكُم التي كنتُم تَعبدونَها مِن دونِ اللهِ؛ هل تَقدرُ على أن تنفعَكُم في شَيءٍ؟!

1251- [بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ]الصافات:26. مُسْتَسْلِمُونَ بذلَّةٍ وانكسارٍ لحكمِ اللهِ .. ولمصيرِهم المحتومُ الذي يَستشرِفُهم، ويمتَدُّ بلهيبِهِ إليهم .. لَا قوَّةَ لهم ـ ولا خِيار ـ على الامتناعِ أو الاعتراضِ والمعارضَةِ .. كما كانوا يفعلُون في الحياةِ الدُّنْيا!

1252- [وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ]الصافات:27. الأتباعُ والمتبوعُون .. الرؤساءُ، والمرؤوسُون .. الطواغيتُ وجنُودُهم .. يُقْبِلُون على بعضِهم البَعض .. وجْهاً لوجْهٍ .. تَسقطُ يومئذٍ الحواجزُ والمراسِمُ التي كانَت تَفصلُ بينَهم في الحياةِ الدُّنيا .. يَتلَاومُون ..

ويَتعاتَبُون .. ويتجادَلُون .. ويحمِّلُ كلٌّ طرَفٍ الطرفَ الآخَر المسؤوليَّةَ عمَّا وصَلُوا إليه .. وفِيما هُم فيهِ مِن الخزي والعَذَابِ .. وأنَّى يَنفعُ التَّلاومُ؟!

1253- [قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ]الصافات:28. قال الأتْباعُ لمتبوعِيهم .. والمرؤوسُون لرؤسائِهم .. والجنودُ لطواغِيتِهم .. كنتم تصدُّونَنا عن الإيمانِ .. وتَصدُّونَ الإيمانَ عَنَّا .. فكنتم حَاجِزاً مانِعاً بيننَا وبينَ كُلِّ خَيرٍ يأتي مِن جهةِ أنبياءِ اللهِ تعالى ورسُلِه .. وإذا مَا تُلِيَت آيةٌ من آيَاتِ اللهِ، كنتم شَديدِي اللَّغو، والصَّخَبِ، والشَّغَبِ حتَّى لا نَفْهم عنِ اللهِ شَيئاً .. فأنتم المسؤولُون عمَّا وصَلنَا إليهِ، وعمَّا نحنُ فيه مِن العَذَابِ!

1254- لم يقولُوا لهم " كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الشِّمَالِ "؛ لأنَّ كلَّ ما يأتي مِن جهةِ الشِّمالِ؛ مِن كُفرٍ، وفُسُوقٍ، وضَلالٍ، وشَرٍّ .. كان يَصلُ إليهم بسهولَةٍ، ومِن دونِ عوائق، وموانع .. وكانت جميعُ القنوَاتِ مفتُوحَةً له، وتُرحِّب به .. وله كامِلُ الحريَّة!

1255- [قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ]الصافات:29. فيردُّ المتبوعُون، والرؤساءُ على التَّابِعين والمرؤوسِين .. بل المشكلةُ تكمنُ فِيكُم؛ فأنتم كُنْتم كفَّاراً؛ تحبونَ الكفْرَ والعصيانَ، وتَكرهُونَ الإيمانَ والطاعَةَ .. فالذنبُ ذنبُكُم، ولَا تَلومُوا إلا أنْفُسَكُم!

1256- [وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ]؛ مِن سُلطَةٍ وقوَّةٍ نكرهَكُم بها على الكُفرِ والعصْيانِ، بل كان كُفرُكُم بمحضِ اختيَارِكم، وإرادَتِكُم، ورِضاكم .. وبكلِّ حريَّةٍ وديمقراطيَّةٍ، [بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ]الصافات:30. ظالمين تَسْتَعْدُون الحقَّ وأهلَه .. وتُوالُون وتَنصرُون مِن يُعادِي الحقَّ وأهلَه .. وهو سَببٌ فِيمَا أنتم فيهِ الآن مِن الخزي والعذَابِ .. هذه هي الحقيقَةُ التي يجبُ أن تَعْتَرفُوا بِها!

1257- [فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ]الصافات:31. فكِلَانَا، الأتباعُ، والمتبوعُون .. الرؤساءُ والمرؤوسُون .. غيرُ مَعذُورين .. وكِلانَا شُركَاء في الجرْمِ والوزْرِ .. وكلانا يَستَحِقُّ العذابَ .. وإنَّا وإيَّاكم لذائِقُوا العَذَابِ لا محَالَة .. قَد وجَبَ حكمُ اللهِ فِينا، ووعيدُه لَنَا!

1258- [فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ]الصافات:32. فنحنُ ـ الرؤسَاء المتبُوعُون ـ نَعترفُ إنَّا كُنَّا ضَالِّين .. وكلُّ ما فعلنَاه لكم أنَّنَا زَيَّنا لَكُم الكُفْرَ، والفُسُوقَ، والعصيانَ، وكَرَّهْنَا لكُم الإيمانَ .. وأضلَلنَاكُم عنِ الحقِّ .. وأنتم تَابعتمُونا بإرادَتِكُم واختيارِكُم!

1259- [فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ]الصافات:33. هَذا التَّلاومُ .. والمراجَعَةُ في القَولِ، وتَبادُلِ التِّهم بين الفَرِيقَين: الأَتْبَاعُ والمتبُوعُون .. لَا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. بَلْ لَا يَزيدُهم إلَّا حَسْرَةً ونَدامَةً .. فَكِلَا الفَرِيقَين كما كانُوا شُركَاءَ في الجرْمِ والوِزْرِ في الدُّنْيَا، بعضُهم أولياءُ بَعْضٍ، لا يُعذَرُ فَرِيقٌ دُونَ الآخَر .. كذلك كِلاهُمَا يَومَ القِيامَةِ شُركَاءُ في العَذَابِ.

فِيمَا تَقدَّم مِن آيَاتٍ تَنبيهٌ وتَحذيرٌ للأَتْبَاعِ أن يكونُوا على وَعْيٍ، ودِرَايَةٍ تَامَّةٍ فِيمَا يَتَّبعُون، ومَن يَتَّبعُون .. وأن يكونَ اتِّباعُهم على بيِّنَةٍ، ودَليلٍ، وبَصِيرَةٍ .. وأن لا يُسْلِمُوا رِقَابَهم، وزِمَامَ أمُورِهم للطُّغاةِ الظالمين الآثمين!

* * * * *

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ

1260- [إِنَّهُمْ كَانُوا]؛ الكُفَّارُ والمشْرِكُون، [إِذَا قِيلَ لَهُمْ]؛ قالَ لهم الأنبياءُ، وأتباعُهُم مِن المؤمنين، على مَدَارِ التَّاريخ، مِن لَدُن نُوحٍ عليهِ السَّلام، وإلى يومِنَا هذا،

وإلى قِيامِ السَّاعَةِ .. قُولُوا، واشْهَدُوا ظَاهِراً وباطِناً أن:[لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]؛ لا مَأْلُوه ولَا مَعْبُودَ بحَقٍّ في الوجُودِ إلَّا اللهِ .. أدَاةُ الاسْتِثْنَاءِ " إِلَّا " إذا جَاءَت بَعْدَ نَفْيٍ؛ تُفِيدُ الحَصْرَ والقَصْرَ؛ أي أنَّ المعْبُودَ بحقٍّ هو اللهُ تَعالى وحدَه لا شَرِيكَ لَه، ومَا سِوَاهُ فهو البَاطِلُ، [يَسْتَكْبِرُونَ]الصافات:35. يَسْتَعلُون على الحقِّ، ومَا دُعُوا إليه، ويُعْرِضُون عَنه .. ويَحتقِرُون، ويَتَهَكَّمُون، ويَسْتَهزِئُون بمَن طالَبَهُم ودَعَاهم إلى هذا الحَقِّ .. إنَّهم يُطِيقُون أن يَسْمَعُوا مِنك كُلَّ دَعْوةٍ، وكُلَّ قَولٍ .. إلَّا " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "؛ فإنَّهم يَصمُّونَ آذانَهُم، ويُعْرِضُون، ويَسْتَكْبِرُون!

* * * * *

أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ

1261-[أَتَدْعُونَ بَعْلاً]؛ أَتَعْبدُونَ صَنماً صنَعْتمُوه بأنفُسِكُم، وسميتُمُوه بَعْلاً، تتوجَّهُون إليه بالعبادَةِ والدُّعاءِ .. وهو صنَمٌ لا يَنفعُ ولا يَضرُّ .. وقِيل سُمِّيت مدينةُ " بَعْلَبَك " في لبنان على اسمِ هذا الصَّنمِ، ونِسْبة له، وهي لا تزالُ إلى اليومِ تحملُ هذا الاسمِ .. ومَا أكثر البُعُول في أمصَارِ المسلمين التي تُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، [وَتَذَرُونَ]؛ عبادَةَ اللهِ، الذي خلقَكُم، وخَلَقَ كلَّ شيءٍ، وهو [أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ]الصافات:125. أحسَنُ الصَّانِعين والمصورِين؛ لأنَّه لا وجُودَ إلَّا لخالِقٍ واحِدٍ فقط، وهو اللهُ رَبُّ العالَمين .. قال القُرطبي في التفسير:" المعنَى أحسَنُ الصَّانعين؛ لأنَّ الناسَ يَصنَعون ولا يَخْلُقون ". وقد حاولَ الإنسانُ المعاصِرُ أن يصنَعَ " رُوبوتات "، يُحاكِي بها الإنسانَ في صورَتِه، و بعضِ أعمالِه .. وهي في حقيقَتِها مهمَا طوَّرُوا بها خاويةٌ مِن الرُّوح، والوَعي، والعواطِفِ، والمشَاعِر .. والدِّمَاغ .. لا يُمكنُ أن تفكِّرَ خارجَ صندُوقِها، وأكثر ممَّا زوَّدَها به الإنسانُ مِن معلومَاتٍ

.. أو أن تعملَ عملاً أكثر ممَّا يأمرُها به، وأكثر ممَّا برمجَها عليه .. شَأنها شأنُ الكمبيوتر؛ فالكمبيوتر على قَدْرِ مُا تُودِعْ فيه مِن برامِج على قَدْرِ مَا يُعطِيك مِن أشياء تَتناسَبُ معَ وظِيفةِ البرامِج التي وُضِعَت فيه .. وهي تَبقَى في دائرةِ المصنُوعَات، وليسَ المخلُوقَات .. لأنَّه لا خالِقَ إلَّا الله!

* * * * *

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ

1262-الحسَنَاتُ تُسْتَحْضَر، وتَتَشَفَّع عِندَ موردِ الشَّدَائد، والمصائب .. فأعِدُّوا الحسَنَات، لأيَّامِ الشِّدّة، تنفعُكم بإذن الله .. قال تعالى عن نبيه يونُس لما التَقَمَه الحُوتُ:[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ]الصافات:143-144. فذُكِرَ له التَّسْبيحُ .. والثَّلاثَةُ الذين دخلُوا الغارَ، فَانْحَطَّتْ على فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عليهم .. استَحْضَرُوا حسَناتهم، وتوسَّلوا بها إلى الله، فانفرَجَت عنهم الصَّخرة .. ولما انطبقَ البحرُ على فرعون، استنجَدَ واستَغاث .. ولم يكُن عنده إلا السَّيئات .. قال الله له:[آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]يونس:91.

* * * * *

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

1263-[سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]؛ تَنزَّه وتَعَالى اللهُ عن كُلِّ وصفٍ يَصِفُه به الواصِفُون؛ سَواءٌ كان وَصْفُهم يُفيدُ الإثْباتَ أو النَّفيَ؛ لأنَّ وصفَهُم مَبْعَثُه الجَّهل، وبغيرِ سُلطانٍ من الله، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات:181. إلا المرسَلُون؛ الذين يُبلِّغُون عن اللهِ صِفَاته، وشرائعَه، ولا يخوضُون في صِفاتِ اللهِ إلا بِسُلطانٍ مِن اللهِ،

وبوَحْي .. فهؤلاء ومَن اتَّبَعَهم، واتَّبَعَ طريقتَهُم مِن المؤمنين، سَلامٌ عليهم .. وهم مُسْتثنُون مِن البَرَاء.

1264-[سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]؛ نَزَّه الخالِقُ نَفْسَهُ عن جَمِيعِ مَا يَصِفُهُ به المشْرِكُون، والفَلَاسِفَةُ، والمتَكَلِّمُون؛ لأنَّهم يَصِفُونَه بَغَيرِ عِلمٍ، ولا سُلْطَانٍ مِن اللهِ، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ]الصافات:180-181. ثمَّ استثنى المرْسَلِين ممَّن يَصِفُونَه، فأثْنَى عَليهم وعلى منْهَجِهم خَيْرَاً؛ لأنَّهم لا يَصِفُونَ اللهَ تَعالى إلا بِعِلمٍ وبما يُوحَى إليهم مِن رَبِّهم.

* * * * *

بل الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ

1265-[الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ]؛ في مَنَعَةٍ، وحَمِيَّةٍ، وكِبْرٍ، وتَعَالٍ عَلَى الحَقِّ .. هذه الصِّفَةُ أدَّت بِهم إلى الوقُوعِ في الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ [وَشِقَاقٍ]ص:2. ومَا دَامُوا في عِزَّة لا بُدَّ أنَّهم سَيَقَعُونَ في شِقَاقٍ؛ أي مُعَادَاةٍ، ومخالَفَةٍ، ومُبَايَنَةِ الحَقِّ وأهْلِه .. فالحَقُّ وأهْلُهُ في شِقٍّ، والذين كَفَرُوا في شِقٍّ آخَر .. وهَذا عَامٌّ لا يَخُصُّ زَمَنَاً دُونَ زمَنٍ، ولا مَكَانَاً دُونَ مَكَانٍ.

* * * * *

وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ

1266-[وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ]ص:6. يتعاهدُون فِيما بينهم على أن يصبرُوا على عبادةِ طواغيتِهم، وأصنامِهم، ومعبوداتِهم مِن دُونِ الله .. وعلى نصرَتِها، والذَّودِ عنها، وإعلاءِ كلمتها، والتضحيةِ في سَبيلِها .. هذا التَّعاهد مِنهم متجدِّدٌ عبر جميع الأزمنةِ والعصُورِ؛ في الماضِي، والحاضِرِ، والمستقبل .. يَفعلُون ذلك وهم، وطواغيتِهم، وأصنامِهم على باطِلٍ .. بينما في المقابلِ كثيرٌ من المسلمين يَضْعفُون عن عبادَةِ ربِّهم الحق، وعن نُصرةِ نبيِّهم الحق، ودِينِهم الحق .. فأيُّ الفريقَين أولَى بالصبرِ على عبادَةِ إلهِ ومعبودِه، والتضحيةِ في سبيلِه .. المشركُون أم المسلمون؟!

* * * * *

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

1267-[وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ]؛ القوي في طاعَةِ وعبادَةِ اللهِ، كان يصومُ يوماً، ويفطرُ يوماً، [إِنَّهُ أَوَّابٌ]ص:17. إنه تَوَّاب، ورَجَّاع؛ صيغةٌ تفيدُ التَّكثير؛

أي شَديدُ، وسريعُ، وكثيرُ الاستغفارِ، والتَّوبةِ، والرُّجوعِ إلى اللهِ .. وإذا كان هذا في حقِّ نبيِّ الله داود عليه السلام .. فكيفَ بمن دونَه مِن العبادِ الخطَّائِين .. فإنه يتعيَّنُ عليهم دوامُ النَّظرِ في أخطَائِهم، وأنفُسِهم .. ومن ثمَّ حملُ أنفُسِهم على الاستغارِ، والتوبَةِ، والرجُوعِ إلى الله .. فالرجوعُ من المعصيةِ إلى الطَّاعةِ، ومِن الخطأ إلى الصوابِ .. وعَدم التَّمادِي في الخطَأ .. ومن ثمَّ الإكثارُ مِن الاستغفَارِ .. فضيلةٌ عظيمةٌ .. وهي صفةٌ محمودَةٌ، وصفةُ كمالٍ، تُعلِي مِن شَأنِ صاحِبها .. لَا مَنقَصَةَ فِيها .. وهي من أخصِّ خصَائصِ المؤمنِين الأوَّابِين، التَّوابِين.

* * * * *

فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

1268- [فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ]ص:22. فاحكُمْ بيننا بالعَدْلِ، ولا تَجُرْ في الحُكمِ، فتَميلُ لأحَدِنا على حِسَابِ الآخَر .. قالَهُ الخصْمَان لنبيِّ اللهِ داود عليه السَّلام .. ونبيُّ اللهِ دَاودُ لم يُنكِرْ عليهما قَولَهُما .. وشِدَّتَهما في الخِطابِ، والسُّؤالِ .. فصبرَ، وأجابَهُما عَن سؤالِهمَا ومشكلتِهمَا بكلِّ صَبرٍ وحِلْمٍ، وهو أهلٌ لكلِّ صبرٍ وحِلمٍ .. بينَمَا في زَماننا لو قِيلَ لشيخٍ يتصدَّرُ الفَتْوَى، والتوقيعَ عنِ اللهِ، وعنِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. ما الدَّليلُ من كتَابِ اللهِ تعالى، وسنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم فِيمَا تُفْتِينا فِيه .. وهذا حقٌّ لكلِّ سَائلٍ .. لاشْطَاطَ غضَباً وغَيْظاً، وأنكرَ على سائلِه عن الدَّليلِ .. إذْ كيفَ يتجرَّأ أن يسألَه عن الدَّليلِ فِيمَا يُقرِّرُه، ويُفتِي فِيه، وهو الشيخُ المشهُورُ فُلان ابن عِلّان .. ألا نَثِق بي وبِعلمِي حتى تَسألَنِي عن الدَّليلِ .. وما أكثر هؤلاء المتَسَلِّقِين على العلمِ في زمانِنَا!

* * * * *

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ

1269-[إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ]ص:24. فيه أنَّ القِلَّة لا تَعنِي دائماً أنَّها على باطلٍ .. أو عَلامَةٌ على البَاطِلِ .. فكَم مِن حَقٍّ أنصَارُه وأتباعُه الواحِدُ، والإثنان، والثَّلاثَةُ .. كما في الحديث:" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ مَعهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبيُّ معهُ الرَّهْطُ ـ وهم الذين لا يتجاوَزُ تعدادهم العَشَرة ـ والنَّبيُّ ليسَ مَعهُ أحَدٌ "متفق عليه.

* * * * *

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

1270-[كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ]؛ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، [مُبَارَكٌ]؛ كثيرُ البركَةِ، خيرُه ـ مهمَا اغترِفَ منه ـ لَا يَنضَب .. ولكَي تَستفِيدوا مِن خَيرِه وبركتِه لا بُدَّ مِن أن تُقبلوا عليه، وعلى تِلاوتِه بتَدبُّرٍ، [لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ]؛ فالقرآنُ الكريم لم يتَنَزَّل لتلاوةِ حرُوفِه، وتَضييعِ حدُودِه، وشرائِعه .. لَا .. وإنما أنزلَه اللهُ تعالى لنتدبَّر آيَاتِه، ونتفكَّر فِيها، والتدبُّر هو الذي يجمعُ بين حُسْنِ التِّلاوَةِ، وحُسْنِ الخشُوعِ، وحُسْنِ الفَهم، والتَّفكُّر، وحُسْنِ الانقيَادِ والعمَلِ بأحكامِه، وشرائِعِه .. والذي يَقرأُه مِن غيرِ تَدبُّرٍ؛ كمن يمرُّ على كنزٍ مليءٍ باللآلِئ، والجوَاهِر، والنفَائِسِ، ثم هو مع حَاجَتِه الشَّديدَةِ لها، لا يَستخرجُ مِنها شَيئاً، [وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ]ص:29. فيستَفِيدُ ويتَّعظُ، ويَعتبرُ أولُوا العقُولِ والنُّهَى، ويكُونُ القُرآنِ لهم سَببُ هِدَايَةٍ ورَشَادٍ.

* * * * *

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ

1271-[ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ]ص:42. نبيُّ اللهِ أيُّوب عليه السلام قد ابتلاهُ اللهُ تعالى في جسَدِه بأمراضٍ عَديدَةٍ .. حتَّى ابتعَدَ عنه كلُّ مَن حولَه إلا امرأته الصَّالحة .. فكان صَابِراً محتَسِباً .. ولمَّا أذِنَ اللهُ تعالى له بالشفاءِ أمرَه أن يغتسلَ بماءٍ بارِدٍ، وليس بماءٍ دافِئٍ أو سَاخِنٍ؛ لِمَا للماءِ البارِدِ - بإذنِ الله تعالى - من أهميَّةٍ في علاجِ الأمراضِ .. وهذا ما اكتشفَهُ الطبُّ المعاصِرُ .. وتكلَّم عنه مؤخَّراً الدكتور الأمريكي " بيرج "؛ المشهور بالطبِّ البَدِيل .. في تسجيلٍ صوتيٍّ له بعنوان:" فوائدٌ لَمْ أكنْ أعلَمُها عَن الاغتسالِ بالماءِ البارِدِ " .. لَمْ يَكُنْ يَعلَمُها وهو في القَرنِ الواحدِ والعِشرين .. فمن أعْلَمَ محمَّداً صلى الله عليه وسلم .. وأوحَى له هذا الكلام عن أهميَّةِ الاغتسالِ بالماءِ البارِدِ، قَبلَ أكثر من ألفٍ وأربعمائةِ سَنَة؟!

* * * * *

رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ

1272-لا يَحمِلَنَّك طولُ البَلاءِ على اليأسِ مِن رحمةِ الله .. فأيُّوبُ عليه السلام بعد ثَماني عَشرَة سَنَة مِن الصَّبرِ على البَلاءِ، جَاءَهُ الفَرَجُ [ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ]ص:42-43. ويَعْقُوبُ عليه السلام بعدَ ثمانينَ سَنَةٍ مِن البَلاءِ، قَال:[عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً]يوسف:83.

* * * * *

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ

1273-[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]ص:44. مِن غَايَاتِ البَلاءِ إِظْهَارُ الصَّبرِ عند المُبْتَلى؛ هل يَصْبر ويحتَسِب، أم يَتَسَخَّطُ، ويَشْكُو، ويَعتَرِض .. والنَّبي المُبتَلى أيُّوب عليه السلام .. رغم اجتماعِ البَلاءِ كُلِّه عليه .. إلا أنَّه قد نجحَ في اختبَارِ الصَّبرِ على البَلاءِ نجاحاً عَظيماً، يَليقُ به كنَبي .. فأصبَحَ مَثَلاً أعْلَا يُضرَب في الصَّبرِ على البَلاءِ .. تكفيه شَهادَةُ ربِّه له:[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً]؛ محتَسِباً، رَاضياً، شَاكراً، [نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]؛ إنَّهُ شَدِيدُ الإسْراعِ في الإنَابَةِ والرجُوعِ إلى الله.

* * * * *

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ

1274-[وَقَالُوا]؛ الكُفَّارُ، وهم في النَّارِ، [مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ]ص:62. مِن الإرهَابيين ...؟!

* * * * *

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

1275-[قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ]ص:82. و [لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ]الأعراف:16. هذا هو عملُ الشيطانِ وجُندِه المستمر، والذي لا يَعرفُ التوقُّفَ .. الرَّصْدُ والتربُّصُ شراً بالمؤمنين .. والإغوَاءُ والإضْلالُ للناسِ أجمعين .. وصَرفُهم عن الطاعةِ إلى المعصيةِ .. فهي حربٌ مستمرةٌ بين الباطلِ بزعامَةِ إبليس اللَّعين، وبينَ الحقِّ وأتباعِه من المؤمنين .. والذي يريدُ أن يُوقفَ المعركةَ، ويُحْدِثَ سَلاماً بين

الطَّرفين .. تحت أي زعمٍ ومُسمَّى .. عليه أولاً أن يتَّفقَ معَ إبليس ويأخذَ منه عَهْداً بأن يُوقفَ إغواءَه، وإضلالَه .. وعدَاءَهُ .. وحربَهُ على الحقِّ وأهلِه .. وأنَّى!

* * * * *

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ

1276- [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ]ص:86. مِن المرَائِين المتَصَنِّعِين؛ الذين يَتَكَلَّفُون في كَلامِهم، وفي مجَالِسِهم، ومَلْبَسِهم، ومَأْكَلِهِم، ومَشْرَبِهم، ومَسْكَنِهم، وحَرَكَاتِهم .. وفي حُبِّهم وتَوَدُّدِهِم .. ابتغَاءَ صَرْفِ وجُوه النَّاسِ إليهم .. والحصُولِ على إعجابَاتِهم!

* * * * *

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

1277- [وَلَتَعْلَمُنَّ]؛ خِطَابٌ لجميعِ الكَافِرين الجَّاحِدين، والمُكَذِّبين، [نَبَأَهُ]؛ خَبرَ صِدْقِ مَا جَاءَكُم به محَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مِن عِنْدِ رَبِّه، [بَعْدَ حِينٍ]ص:88. عِندَ الموْتِ، وفي اللحْظَةِ الأُوْلَى مِن الموتِ ...!

* * * * *

وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ

1278- [وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ]الزمر:6. إن قِيل: كَيفَ يُقالُ عن الأنعَامِ أنزَلَ، فهل الأنعَامُ ـ كما في صورتِها الحاليَّة ـ نزَلَت مِن السَّماءِ؟ أقول: الإنزَالُ يُحمَلُ على معنيَين كلاهُما تحتملُهمَا الآيةُ الكريمةُ: أنزَل، بمعنَى خَلَقَ .. وأَنزَلَ، بمعنَى أنزلَ المطَرَ، الذي به أحيَا الأرضَ، وجعَلَ كلَّ شيءٍ فيها مِن حيوَاناتٍ، ودَوَاب، ونباتَاتٍ، وغيرها ـ بإذن الله ـ حيًّا، فجميعُ هذه المخلوقَات أحيَاهَا اللهُ بسببٍ أنزَلَهُ مِن السَّماءِ، وهو المطَر، كما قال تعالى:[وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا]النحل:65. فأحيَا به الأرضَ، ومَا فِيها، ومَن فيها، وقال تعالى:[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]الأنبياء:30. وقال تعالى:[وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ]النور:45.

* * * * *

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ

1279- [إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ]الزمر:7. أسْوأُ المَنِّ، أنْ تَمُنَّ على اللهِ تَدينُكَ، وطَاعَتَكَ، وعِبَادَتَكَ، وتَرَى لِنَفْسِكَ بِذَلِك عليه حَقًّا، أو أنَّكَ بِذلِك قَدْ أسْدَيْتَ إليهِ مَعْرُوفًا. [فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا]الزمر:41.

* * * * *

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ..

1280-[قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ]الزمر:10. ما وجْهُ التَّرابُطِ بين الأمرِ بالتَّقوَى .. وبينَ قولِه تعالى:[وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ]؟

الترابطُ؛ أنَّ المؤمنين مطالَبُون بأن يتَّقوا اللهَ حَقَ تُقاتِه، وأن يَعبدُوه، ولا يُشرِكُوا به شيئاً .. وقد وسَّع اللهُ لهم الأرضَ، والمواطِنَ لأجلِ ذلك .. فإن ضاقَت عليهم الأمورُ في دِينِهم، وعِبادتِهم، ولم يتمكَّنُوا من تحقيقِ التَّقْوى .. في أرضٍ من الأراضِي أو موطِنٍ مِن المواطِن، تعيَّنَ عليهم أن يُهاجِرُوا إلى أرضٍ أُخرَى بمقدورِهم أن يَعبدُوا اللهَ فيها، ويحقِّقُوا معنى التَّقْوى بصورةٍ أفضَلَ وأحسَن .. إذْ لا يُقبلُ مِنهم أن يعتذرُوا بضيقِ الأرضِ معَ سِعَتِها .. ومعَ توسِعَتِها لغَرضِ تحقيقِ التَّقْوى، وسلامَةِ العِبادَةِ.

* * * * *

إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ

1281-[إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ]الزمر:10. بغيرِ مكيالٍ، ولا مِيزانٍ .. لأنَّ أجرَ الصابرين على صَبْرِهم .. أعظَمُ، وأجَلُّ، وأكبرُ مِن أن يُكالَ أو أن يُوضَعَ في ميزانٍ .. ولِعَظِيمِ الأجْرِ لا يُوجَدُ مِكْيَالٌ يَسَعُ أجرَ الصَّابِرين .. إنه عطاءُ اللهِ الواسع والكَثِير بغيرِ حِسَاب!

* * * * *

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

1282-[الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ]الزمر:18. أصْوَبَه، وأَقْرَبَهُ للكِتَابِ، والسُّنَّة.

1283-[الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ]الزمر:18. المهم عِندَهم القَوْلُ؛ بغَضِّ النَّظَرِ عنِ قَائِلِه .. فالحِكمَةُ ضَالَّةُ المؤمِن؛ وإنْ لم يَكُن صَاحِبُها حَكِيماً.

* * * * *

أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

1284-[أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ]؛ فسَحَ قَلْبَه لقبولِ الإسلامِ، والدخُولِ فيه؛ فآمَن وصدَّقَ بما أخْبَرَ، وفعلَ ما أمرَ به، وانتهى عمَّا نَهى عنه وزَجَر، [فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ]؛ هذا النور يُقذَفُ في قلبِه منذُ اللحظةِ الأولى لنُطقِه بالشهادَتَين، ودخُولِه الإسلام .. وهو يزيدُ قلبَهُ انشرَاحاً، وراحَةً، ولذَّةً، وسعادَةً، واطمئنَاناً .. ويُضيئ له ظُلمات الطَّريقِ والشُّبهاتِ، ويجعله في حِرْزٍ وحصانَةٍ من الخيارَات الباطِلَةِ، والانحرافِ، والضَّلالِ .. ويشتَدُّ ضياؤُه ونورُه .. كلما أقبلَ على الإسلامِ وتعاليمِه أكثر .. وهو لا يَستوي مَثلاً معَ مَن يَرفضُ الإسلامَ ويُعرضُ عنه .. ويَضيقُ صَدرُه عن قبُولِه، والإصغاءِ إليه .. فهذا له معيشة ضنْكاً .. يَعيشُ الكآبَةَ والشَّقاءَ .. لا يَعرفُ السعادَةَ حقَّاً .. مهمَا امتلَك من أسبابِ الغِنَى والمتعةِ والشّهرَةِ .. وخيارَاتُه تظلُّ باطلةً، يَنتقلُ مِن خِيارٍ باطلٍ إلى خِيارٍ باطلٍ آخَر .. ومِن تجربَةٍ باطلَةٍ فاشِلةٍ إلى تجربةٍ باطلةٍ فاشلةٍ أُخْرَى .. لا يَهتَدي سَبيلاً؛ لأنَّه يَفتقدُ النورَ من ربِّه الذي يُضيءُ له الطريقَ، ويُعرفُه على حقيقَةِ الأشياءِ، [فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ]؛ قلُوبُهم لا تُطيقُ أن تَذكرَ اللهَ، ولا أنْ تَقرأَ القرآنَ الكريم،

وتقفَ على دلالاتِه ومعجزاتِه الدامِغَةِ الباهِرةِ .. فهؤلاء لهم الويلُ والعذَابُ الأليمُ يومَ القِيامة، [أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ]؛ انحرافٌ ومَيلٌ عن الحقِّ إلى الباطِلِ، وعن الطُّهرِ إلى الرِجْسِ، وعن التَّوحيدِ إلى الشِّركِ، [مُبِينٍ]الزمر:22. ظاهرٌ بيّنٌ لمن تأمَّلَ حالَهم، وواقِعَهم!

* * * * *

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ

1285- [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]الزمر:30. [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]الرحمن:26ـ27. قانونٌ عام لا يَتخلّف أبَداً؛ يتربّص بالجميع، لا يَنجُو منه أحدٌ، يَشملُ الجميعَ؛ الشَّريفَ والوضيعَ، الحاكمَ والمحكومَ، الغنيَّ والفقيرَ، الكبيرَ والصَّغيرَ .. إنه قانون الموت؛ هازم اللذات، وقاهر الملوك والجبَابِرة .. تُرَاكَ يا ابنَ آدَم مَن الذي سَنّ هذا القانون وفرَضَه، وسلَّطه عليك، وقهرَك وملذَّاتك به .. ولماذا؟!

الموتُ برهانٌ سَاطعٌ على أن الدُّنيا دارُ عمَلٍ واختبار، به يُسدَل السِّتار، وينتهي الاختبارُ، ثم إنّ الآخِرةَ هي دار الجَّزاءِ، والقَرارِ، إمَّا إلى جَنّةٍ، وإما إلى نَار [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ]الجاثية:15.

1286- [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ]الزمر:30. [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ]العنكبوت:57. إنَّه قانُون الموتِ؛ قَانُونٌ عامٌّ يَجرِي على الجميع، لا يَستثْنِي أحَدَاً؛ لا نَبيَّاً، ولا عَالِماً، ولا مَلِكَاً، ولا رَئيسَاً، ولا غَنيَّاً، ولا فَقِيراً .. يَستوي أمَامَه الجميعُ .. يَخضَعُ له ولسلطانِه الجميعُ .. الكبيرُ والصَّغيرُ .. لا يَسْتَعْصِي عليه أحَدٌ، ولا يَقْدِرُ .. لا عِلاجَ له ولا دَوَاء، ولو اجتمعَ له أطبَّاءُ الأرضِ جميعاً .. فإذا جَاءَ الأجَلُ تعطَّلَت الأسبَابُ وتكسَّرَت، وانتفى الانتفَاعُ بها .. قاهِرُ وهَازِمُ اللَّذَّات .. مُؤَدِّبُ الجبَابِرَةِ والطُّغَاةِ

.. كفَاهُ واعِظَاً لمن لا تَعِظُه الكَلِمَات .. عِنْدَهُ تَكْثُرُ الحَسَرَات والنَّدَامَات .. والموفَّقُ مَن يُوفقهُ اللهُ للعمَلِ لمَا بَعدَ المَمَاتِ .. يَتَزَوَّدُ مِن دُنْيَاه بصَالِح العمَلِ للحيَاةِ بعدَ الموتِ، حَيثُ تَبتدِئ الحياةُ الحقيقيَّةُ والأزَليَّةُ، التي لا مُنْتَهى لها .. فإمَّا إلى جَنَّةٍ، وإمَّا إلى نَارٍ.

* * * * *

وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

1287-[وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ]؛ كأن تَقُول: أجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ وحدَه، ولإعلاءِ كلمتِه .. أنفقُ مالي في سبيلِ الله .. أُوَالي، وأُعَادِي، أحبُّ وأكرَهُ في اللهِ، ولله، [اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ]؛ نَفَرَتَ، واكْفَهَرَّت قلوبُهم، وامتلأَت غَيْظَاً وكُرْهَاً، وذُعْراً مِمَّا يَسمَعُون، ووصَفُوا القائِلَ: بالتَّخَلُّفِ، والرجعيَّةِ، والتَّعصُّبِ، وأنَّه إنسانٌ ظَلَامِي، [وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ]؛ ذُكِرَت الطَّواغِيتُ، والأَوْثَانُ، ومَا يُعظِّمونَه، ويَعبدُونه من دونِ اللهِ، كأن تقولَ: أجاهِدُ وأقاتلُ في سبيلِ الوطَنِ، والإنسانيَّةِ، والقوميَّةِ، وفي سبيلِ الطَّاغُوت .. أُنفِقُ وأُعْطِي، وأخْدُم، وأُوَالي وأُعَادِي، أحْيَا وأموتُ في سبيلِ الإنسانيَّةِ، والوطَنيَّةِ، والقوميَّةِ، والدِّيمقراطيَّةِ، والعلمانيَّةِ، ونحو ذلك من الاطْلَاقاتِ الشِّرْكِيَّةِ، [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45. يَفرَحُون، ويَبْتَهجُون، ويُسرُّون بِكَ، وبما يَسمعُونه مِنْكَ، ويَصِفُونَك بأوصافِ وألقَابِ التَّفْخِيمِ والتَّعْظِيم، والإعْجَابِ .. وأنَّكَ إنسانٌ تَقَدُّمِي، ومُتَنَوِّرٌ .. ولا يَتردَّدُون حِينئذٍ أن يمنَحُوك أوْسِمَةَ البطُولَةِ، والإعجَابِ، والرِّضَا!!

1288-الشِّرْكُ لا يَخشَى الشِّركَ مَهمَا تَغَايَرا في المِلَّةِ التي يَنتسِبانِ إليها، ومهمَا اختلَفَت صُورتُه، فهما مُتآلِفانِ، مُتَناصِرَان، إنَّما يَخشَى التَّوحِيدَ .. والمشركُون أكثر ما يَبغضُون في الإسلامِ، التَّوحِيدَ، وأكثر مَا يَطرَبُون له، ويَستبشرون به الشِّرْك، كما قال

تعالى:[وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45.

1289-في اليَومِ يُقتَلُ في الأمْصَارِ المِئَات؛ لِغَاياتٍ وضْعِيَّةٍ وَضِيْعَةٍ لا تَرقَى إلى مستوَى الرُّوحِ التي أودَعَهَا اللهُ تعالى في الإنسانِ، فلا يُقلِقُ الإنْسَانِيَّةُ العالميَّةُ مِن ذَلِك شَيئاً، فإذا ما قُتِل واحدٌ في سَبيل الله، أنكَرَت الإنسانيَّةُ العَالميَّةُ، وضَجَّت، واشْمَأزَّت، ونَخَرَت .. صدَقَ اللهُ العظيم:[وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ]الزمر:45.

* * * * *

وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ

1290-[وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ]الزمر:47. هذا الوَعيدُ الشَّديدُ والمخيفُ يَشمَلُ كلَّ مَن أسَاءَ العمَلَ؛ ولم يحقِّقْ في عمَلِه شَرْطَي الإخْلاصِ، والمتابَعَةِ للنَّبي صلى الله عليه وسلم ولِسُنَّتِه، ثم يحسَبُ أنه يُحسِنُ صُنْعَاً، وأنَّ له أجرَاً على عمَلِه .. فإنَّه يُفَاجَأ يومَ القِيامَةِ بما أعَدَّ اللهُ له مِن الوَعِيدِ بخلافِ مَا كان يَظنُّ ويحتَسِب ...!

* * * * *

فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا

1291-[فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ]؛ أصابَهُ ضيقٌ .. وشدَّةٌ .. وعسرٌ .. وكَربٌ .. وهَمٌّ .. وانتفَت الحِيلَةُ .. وضَاقَت به السُّبُلُ والمخارِجُ، وأدرَكَ عجزَهُ .. استَسْلَمَ و [دَعَانَا]؛ دَعَا اللهَ تعالى وحدَه، واستغَاثَ به، وألحَّ عليه في الطَّلَبِ، وانتفَى مِن حَوْلِه وقوَّتِه، ونَسِيَ ما سِوَاه من الآلهةِ المزعُومَةِ؛ لعِلمِه أن لا أحَدَ يَقدرُ على كشْفِ الضُّرِّ عنه، وما نَزلَ به

مِن كَرْبٍ وشدَّةٍ، إلا الله .. يا رب لئن نجيتَني مِن هذهِ لأكُونَنَّ من الشَّاكِرين .. [ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا]؛ فإذا استجابَ اللهُ دُعاءَه، وكشَفَ ما بهِ مِن ضُرٍّ، وأبْدَلَ ضُرَّهُ، وعُسرَه، وشِدَّتَهُ، خَيراً، وسعةً، ونِعمةً، وأمْناً .. وهَدَأت نَفْسُه، وذَهبَ عنه الرَّوعُ والخَوفُ .. نَسيَ هذا المجحودُ أينَ كانَ، وأينَ صَارَ .. وما كان مِنه مِن دُعاءٍ، واستغاثَةٍ باللهِ عَزَّ وجَل .. وما كانَ مِنه مِن عَهْدٍ .. و [قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ]؛ هذا الخَيرُ الذي أصَابَني بعدَ ضِيقٍ وشِدَّةٍ، أنا أستحقُّهُ، والفَضْلُ في تحصيلِهِ مَردُّه إلى جهْدِي، واجتهادِي، وعَرَقِي، وسَعيي، وكَدِّي، وتفكِيري، ومَهَارَاتي، وعِلمي بطرُقِ تَحصِيلِه، [بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ]؛ بَلاءٌ، واختِبارٌ، واسْتِدْراجٌ لهذا الإنسانِ الجحُود، الجَهُول، الكَفُور؛ هَل سَيَشْكُرُ، ويَردُّ الفضْلَ كلَّه للهِ، أم أنَّه سَيَكْفُرُ النِّعمَةَ، ويَجحَدُ فضْلَ اللهِ عليه، ويَردُّ الفَضْلَ لنَفْسِه، [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]الزمر:49. أنَّ السَّراءَ بعدَ الضَّرَّاءِ، قد يكونُ فِتنَةً واسْتِدْرَاجاً!

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

1292- [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]الزمر:53. لمن تَابَ واستغفَرَ، يَغفرُ اللهُ له مَهمَا كانَ مِنْه مِن ذَنْبٍ .. فالتَّوبَةُ تجبُّ مَا قَبْلَها، والتَّائِبُ مِن الذَّنْبِ كمَن لَا ذَنْبَ لَه .. ولمَن لَمْ يتُبْ مِن أهلِ القِبْلةِ يَغفرُ اللهُ لمن شَاءَ؛ إن شَاءَ غَفَرَ، وإنْ شَاءَ عَذَّبَ وعاقَبَ .. إلَّا مَن مَاتَ على الكُفرِ والشِّرْكِ؛ فهذا قد أخَذَ اللهُ على نفْسِه عَهْداً أن لَا يَغفِر له أبَداً، كما في قوله تعالى:[وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]البقرة:217.

* * * * *

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم

1293- [وَاتَّبِعُوا]؛ ظَاهِراً، وباطِناً، بالاعتِقادِ، والقَولِ، والعمَلِ، [أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم]؛ وهو القُرآنُ الكريم؛ أَمْرُهُ ونَهيُهُ، وخَبرُه، وقَصَصُه، ووَعْدُهُ، ووعيدُهُ .. وبرَدِّ مُتَشَابِهِه إلى محكَمِه .. وفَهْمه على مُرادِ اللهِ، ومُرَادِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. وهو قِيَاساً إلى الكُتُب التي أُنْزِلَت قَبلَه؛ الكِتَابُ الأَحْسَنُ، والمهيمنُ، والنَّاسِخُ .. [مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً]؛ فَجْأَةً مِن غيرِ مِيعادٍ معلومٍ ومحدَّدٍ، [وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]الزمر:55. غافِلُون لا تعلَمُون .. ويُرادُ بالعذابِ هنا العذابُ الأصغَرُ في القَبرِ .. ثم العذَابُ الأكبرُ يومَ القيامَةِ؛ لأنَّ كلاهُما يأتيَان بَغْتَةً .. وكلُّ عَذَابٍ يَأتي بَعْدَاً ـ لأهوالِه وشِدَّةِ عَذَابِه ـ قِياساً للذي قَبْله يكونُ بَغْتَةً.

* * * * *

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ

1294- [قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ]الزمر:64. كلُّ مَن يَدعُو إلى عبادَةِ غيرِ اللهِ عزَّ وجل، أو يأمر بعبادَةِ غيرِ الله، ولو بجزئيَّةٍ أو صورةٍ مِن صُورِ العِبادَةِ؛ فهو جاهِلٌ بالإلهِ المستحِقِّ للعِبادَةِ .. جاهلٌ بأسماءِ وصِفاتِ الإلهِ الحَقِّ؛ الذي تَأبَى أسماؤُه الحُسنى وصفاتُه العُلْيَا أن يكونَ معَهُ إله وشريكٌ في المُلْكِ، والخَلْقِ، والأَمْرِ، والعِبادَةِ .. وهو أيضاً جاهِلٌ بحقيقةِ مَن يَدعو إلى عبادَتِه مِن دونِ اللهِ؛ إذْ كيفَ يَدعُو إلى عبادَةِ مخلوقٍ ضَعيفٍ يُخلَق، ولا يَخلق .. لا يَملكُ لنفْسِه، ولا لغيرِه نفعاً ولا ضَراً إلا ما شاءَ اللهُ .. ومِن هذه الآلهةِ التي يَدعُون إلى عبادتِها الصُّور، والحجارَةُ، والأصنَامُ؛ وهي

لا تَسمعُ، ولا تُبصِر، ولا تَضرُّ، ولا تَنفَع .. فأيُّ جَهلٍ بحقيقَةِ المعبُودِ، وبمن يجبُ أن تُصرفَ له العِبادَةُ يَعلو هذا الجَهْل .. وحينَما لا يَستحون، ولا يَخجَلُون مِن جَهلهم وشِركِهم .. ويَدعون إلى عِبادَةِ هذه الآلهةِ مِن دونِ اللهِ عزَّ وجل، فليس للمؤمنِ سوى أن يقولَ لهم مُنكراً ومُشَنِّعاً:[أَفَغَيْرَ اللَّهِ]؛ خَالِقُ الخلْقِ، وربُّ العَالمين؛ الذي له الأسماءُ الحُسْنَى، والصِّفاتُ العُليَا، [تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ]؟! وفيه أنَّ المشركَ الذي يعبدُ آلهةً مِن دونِ ـ أو معَ ـ اللهِ، ويَدعُو إلى عبادتِها .. مهمَا أُوتِي من العِلمِ الدُّنيوي .. واجتمَعَ له من العِلمِ الدُّنيَوي .. فهو لا يخرجُ عن صِفَةِ الجَهْلِ، وعن مُسمَّى " الجاهِل "، وهو يَدخل في زُمْرةِ الجاهِلين اسماً، وصِفةً، ومَعنَى .. إذْ ما قِيمَةُ العِلمِ الذي أُوتيَه إذا لم يُوصلْهُ للغايَةِ التي خُلِقَ من أجلِها في هذهِ الحيَاة؟!

* * * * *

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

1295-[وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ]الزمر:65. هذا دِينُ جميعِ الأنبيَاءِ والرُّسُلِ؛ مِن لَدُن آدَم عليه السلام، إلى خاتَمِ الأنبيَاءِ والمرسَلين؛ نبينا محمَّد صلى الله عليه وسلم .. فجميعُهم أُنزِلَ عليهم هذا القانُون الربَّانِي الصَّارم، والمخِيف؛ ليبلِّغُوه إلى أقوامِهم، ولمَن أُرسِلُوا إليهم؛ وهو أن الشِّركَ يحبطُ ويُبطلُ العمَلَ الصَّالح مهمَا كان عَظِيماً .. لَا يُقبَل ـ ولَا يَنفَعُ ـ مع الشِّركِ عمَلٌ صَالحٌ .. ويومَ القِيامةِ لَا يَغفرُ اللهُ لمشركٍ؛ أشرَكَ معه آلهةً أُخرَى، مهمَا كان منه مِن عمَلٍ صالحٍ .. والجنَّةُ لا يَدخلُها، ولَا يَشمُّ رائحَتَها مُشرِكٌ .. وهذا يَستدعِي النَّفيرَ مِن كلِّ

مَن يَنشدُ النَّجاةَ والسَّلامَةَ؛ لأن يَتفقَّه بالشِّركِ، وبضرُوبِه، وأنوَاعِه، ليحذَرَهُ، ويجتنبَه، ويُحذِّرَ غيرَه مِنه .. ولنا كتاب بعنوان " الشِّرك "، ننصَحُ بالاطِّلاعِ عليه.

* * * * *

ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا

1296-[ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ]؛ لَا أقولُ: مِن أكثرِ، التي تُفِيدُ التَّبعِيضَ .. بَل أقولُ: أكثرُ مَا يغيظُ الكافِرين - كلُّ الكافِرين على اختلافِ مِلَلِهم وأديانِهم - مِن دينِ اللهِ الإسلامِ، دَعْوَةُ التَّوحِيد، الدَّعْوةُ التي تُفْرِدُ اللهَ تعالى وحدَه بالعبادَةِ بمعناها العَامِّ والخاصِّ، الشَّاملة لجميعِ مَا يحبُّه اللهِ تعَالى ويَرضَاه من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ .. فإذَا ما دَعوا إلى عبادةِ اللهِ وحدَه كَفَرُوا بالدَّعْوةِ، وامتَلأُوا غَيظاً وحِقْداً، على الدَّعْوةِ والدَّاعِي، [وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا]غافر:12. وإذَا مَا دُعُوا إلى الشِّركِ، الذي يُشَرْعِنُ عِبادَةَ اللهِ تعالى معَ عِبادَةِ المخلُوق .. الشركُ الذي يَصرفُ العبادَةَ للخالِقِ والمخلُوقِ سَواء، أيَّاً كانت صِفَةُ هذا المخلُوقِ .. قد يَكونُ هذا المخلُوقُ إنساناً، وقد يكونُ حجَراً وصَنماً، وقَبراً، وقد يكونُ شجرةً، وبقرةً، وقد يكونُ شمساً أو قمراً ونجماً، أو شَيطاناً، وغيرَ ذلك .. فحِينئذٍ وحَسْب يؤمنُون باللهِ كشريكٍ، وكواحِدٍ من مجموعِ الآلهةِ العديدة التي تُعبَد، وتُصرَف لها العِبادَة .. وهذا إيمانٌ فاسِدٌ باطِلٌ مَردُودٌ، يُرْدِيهِم، ولَا يَنفَعُهم في شَيءٍ .. فاللهُ تعالى أغنَى الأغنياءِ عنِ الشِّرْكِ، والشُّرَكَاء!

* * * * *

لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ

1297-[لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ]غافر:17. محكمةُ السَّماءِ .. يومَ القِيامَةِ .. مكتوبٌ على بابِها، [لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ]؛ كما كُنتم تظَّالَمُونَ في حَياتِكُم الدُّنيَا .. فالعِبادُ يومَ القِيامَةِ إمَّا أنْ يُؤخَذُوا بعَدلِ اللهِ .. وإمَّا أن يؤخَذُوا بعفوِ ورحمةِ وإحسانِ اللهِ .. واللهُ تعالى يَفعلُ مَا يَشَاء .. عَامَلَنَا اللهُ تعالى بعفْوِه، ورحمَتِه، وإحسَانِه .. وصَلَّى اللهُ على سيدنا ونبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلم.

* * * * *

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

1298- [يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ]غافر:19. هي النَّظْرَةُ الخاطِئةُ، والخَاطِفَةُ والسَّريعَةُ، على حِينِ غَفْلَةٍ مِن النَّاسِ!

* * * * *

إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ

1299- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]غافر:26. هذه ذَريعةُ الطّغاةِ والفراعِنة على مرِّ العُصورِ، وفي عَصْرِنا، وإلى يومِ القِيامةِ، في محاربتهم للحَقِّ وأهلِه، وصَدِّ الشُّعوبِ عن دينِ اللهِ!

1300- [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ]؛ يُبَدِّلُ طَريقَةَ حياتِكم، وعبادَتِكم، وطاعتِكم لي، إلى عِبادةِ وطاعةِ اللهِ، [أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ]غافر:26. فيُظهرُ دِينَه التَّوحِيدِي، على دينِكُم الشِّرْكِي .. يُظهِرُ عِبادةَ وطاعَةَ اللهِ على عِبادةِ وطاعَةِ الطَّاغُوتِ .. هذا هو مِقياسُ الفَسادِ عِند الطُّغاةِ الظَّالمين .. وهذه هي ذَرِيعَتُهم ـ مهما اختلَفَت عِباراتهم ـ على مَدَارِ التَّاريخ والأزمانِ، في محارَبةِ وتَقْتِيلِ الدُّعَاةِ إلى الله ...!

* * * * *

وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ

1301- [وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ]غافر:44. فَوِّضْ الأمْرَ إلى اللهِ، ثمَّ لَا تَتَدَخَّلْ بعمَلِ اللهِ؛ كيفَ، ومَتَى، وأينَ.

1302-[وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ]، عندمَا تخذُلك الأسبَابُ .. وتَضعفُ عن الانتصَافِ لحقّك .. ارفَعْ قضيَّتَك إلى اللهِ .. إلى خَالقِ الأسبَابِ، [إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]غافر:44. فاللهُ يَسمعُكَ ويَرَاك.

أحياناً يُقدّرُ اللهُ للأسبابِ أن تخذلَك؛ حتَّى تَعودَ، فتقول: يا الله .. ولو عمِلَت الأسبابُ عملَها مِن غيرِ تخلُّفٍ .. لطَغَى الإنسانُ، ونسي أنَّ له ربّاً يُرْجَع إليه!

لَا يَرفعُ الهمَّ، ويُزيلُ الكآبَةَ: كالتفويضِ، والرِّضَا، والتَّسْلِيم.

* * * * *

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ

1303-[فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ]؛ بالآيَاتِ والبَراهِين الدَّالَّةِ على تَوحِيدِ اللهِ تَعالى، وأنَّ اللهَ تعالى هو المعْبُود بِحَقٍّ، وأنَّ مَا سِوَاه فهُو البَاطِلُ، [فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ]؛ في رَدِّ الآيَاتِ، والبَرَاهِينِ، وهَذا لِسَانُ حَالِ الكُفَّارِ على مَدَارِ الأزْمَانِ؛ مِن قَبل، واليوم، وغَداً؛ فبَدَلاً مِن أن يحمِلَهُم العِلْمُ على التَّواضُعِ، وقَبُولِ الحَقِّ، يحْمِلهم عَلى الغُرُورِ، والعُجْبِ، والطُّغْيَانِ، والبَطَرِ، والكِبْرِ، والاسْتِهزاءِ، ورَدِّ الحق .. [وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون]غافر:83. فيُنْزِل اللهُ بهم العَذابَ الذي كانُوا يَسْتَعْجِلُونَه، وكانُوا به يَجْحَدُون، ويَسْتَهْزِئُون ...!

* * * * *

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ

1304- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنُّوا ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ العَفْوَ مِن غَيرِ عمَلٍ .. فَأَرْدَاهُم وأهلَكَهُم ظَنُّهم!

1305- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون المشرِكُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أنَّهم أحبَابُ اللهِ، وخَاصَّتُه .. وأنَّ اللهَ سيَرحمُهم ويُدخِلُهم جَنَّتَه على مَا هم عليه مِن الشِّركِ والكُفْرِ .. فأهلَكَهُم وأردَاهُم ظَنُّهم!

1306- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون المشرِكُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أنَّ اللهَ تعالى يَقْبَلُ، ويَرْضَى الشِّرْكَ، والشَّرِيكَ، وأن يُقالَ أنَّ له ولَد .. فأهلَكَهُم وأردَاهُم ظَنُّهم البَاطِل هذا!

1307- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. ظَنَّ الكافرُون الملحِدُون ـ والظَّنُّ لا يُغْنِي مِن الحَقِّ شَيئاً ـ أنَّ اللهَ تعالى لن يبعَثَهم بعدَ الموْتِ للحِسَابِ، وأنَّه غَيرُ قادِرٍ على أن يحييَهم بعدَ موتِهم، وبعدَ أن يُصبِحُوا رُفَاتاً .. فخابَ ظَنُّهم الباطِل، وأهلَكَهُم وأرْدَاهُم!

1308- [وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّن الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. يشملُ كلَّ مَن وصفَ اللهَ تعالى بالظَّنِّ؛ فاعتمَدَ الظَّنَّ في إثباتِ الصِّفَاتِ،

أو نَفْيها، مِن غَيرِ سُلطَانٍ، ولَا دَليلٍ مِن كتابِ اللهِ، أو سُنَّةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فهؤلاء أيضاً يُهلِكُهم ويُردِيهم ظَنُّهُم البّاطِل!

* * * * *

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ

1309- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ وهو قولٌ يتوارثُه الكافرون فِيما بينهم على مدارِ الأزمانِ؛ مِن قبل، واليوم، وغَداً .. يَتوارثونَه ويتواصَونَ به ـ بصيغٍ مختلفةٍ، وأساليب عَديدةٍ ـ فَرَقاً من كتابِ اللهِ تعالى، ومِن أثرِه، وجمالِه وقوَّتِه .. يقولُون والرعبُ يملأُ قلُوبَهم:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ] ؛ لا تُصغُوا لهذا القُرآن، ولا لما يُتْلَى عليكم منه .. وإذا كانوا يَنهون عن الإصغاءِ إليه، فمن بابِ أولَى أن ينهوا عن قراءتِه، وعن تأمُّلِ وتدبرِ آياتِه؛ فإنه كتاب مُعْجِز، مُبْهِر، يَعلو، ولا يُعلَى عليه .. لا نأمنُ عليكم إن استمعتم إليه، وأقبلْتُم عليه، أن تترُكُوا دينَكُم، وآلهتَكم، وطريقتَكم المُثلى والماجِنةِ في الحياةِ .. وتَدخلُوا في دِينِ الإسْلامِ .. وحتَّى لا يحصلُ شيءٌ من ذلك .. فما هو الحَلُّ، وما هو السَّبيلُ ..؟! [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ أحدثوا جميع أنواع الصخب، والضجيج، والتَّشويش، واللهو، واللعب، والتَّخْدِير .. فيختلط كل ذلك مع كلمات القرآن على المسامع، فتتلاشَى المعاني، ويضعف الأثر .. وهم يلجأون إلى هذا الخيار المتخلف والشيطاني؛ لعجزهم عن مواجهة حُجج وبراهين القرآن الكريم بالحجة، والعلم، والمنطق السليم .. ولعجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله .. وهذا الذي نشهده اليوم من صَخب، وكيد، ومكر على مدار الوقت، ترعاه وسائل إعلام الكافرين الحاقدين، ما هو إلا معنى من معاني [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ .. لماذا؟ [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26. تغلبون القرآن، وتغلبون أثر القرآن، وتُضعِفُون من أثره على مسامع الناس، وعلى سلوكهم، وتوجههم .. وهم ـ كما ذكرنا من قبل ـ يلجأون إلى هذا الأذى، وهذا

الخيار المتخلف؛ لأنهم يفتقدون الخيار المتحضّر في مواجهة القرآن الكريم، ومواجهة أثره الإيجابي على الناس!

أعرفُ ملحداً؛ كان يقولُ لي، وهو يحاورُني: قُلْ لي مَا شِئتَ .. لكن لا تُسمِعُني آيةً مِن القُرآن!

1310- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا]؛ الرؤساء، والزعماء المتبوعين، لأتباعهم، ولبعضهم البعض:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]؛ لخوفهم منه، ومن إعجازه، ومن قوة براهينه، وحججه على أنفسهم، وعلى أتباعهم .. وفي حال سمعوا أحداً يتلو القرآنَ؛ سواء كان النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد من أصحابه، تواصَوا فيما بينهم، [وَالْغَوْا فِيهِ]؛ أي تمادوا في الشَّغَب، والصَّخَبِ، ورفع الأصوات، حتى لا تصل كلماتُ القرآنِ إلى مسامع الناس، ولو وصلت؛ تصلُ مشوشَةً غير مفهومَةٍ .. وفي زماننا المعاصر لم يَقتصِرْ[وَالْغَوْا فِيهِ]، على الشَّغَبِ، والصَّخب، ورَفْعِ الأصوات .. بل ذهبوا أبعد من ذلك بكثير؛ فجميع وسائل إعلامهم؛ المرئية، والمسموعة، والمقروءة، وما تضخ من برامج، وأفلام، ومسلسلات، وشبهات حول الإسلام، وما يُنفقونه في هذا السبيل، كلها تصب في معنى [وَالْغَوْا فِيهِ]، لماذا كل هذا الجهد .. وكل هذا الإنفاق على هذا الجهد؟ [لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26. أي لعلَّكم تغلبون القُرآنَ، وتغلبون أثَرَ القُرآنِ على الناس، فلا يستمعون إليه، ولو استمعوا إليه يصلهم مشوشاً غير مفهوم .. فيفقد أثره .. ومع ذلك فكتاب الله تعالى رغم كل هذا الكيد والمكر .. وكل هذا اللغو الضخم .. وكل هذه الحواجز .. فهو يشق طريقه إلى قلوبِ وعقول الناس، فيدخلون بسببه الإسلامَ أفواجاً .. وقولُهم [لَعَلَّكُمْ]؛ يُفيد الشَّكَّ وعدم التَّثَبُّتِ واليقين، وأنهم غير متيقنين من جدوى محاولاتهم؛ لعلمهم في

قرارة أنفسهم، أن القرآنَ الكريم كَلامُ الله .. وأنَّه لا يُقَاوَم .. وأنه يَعلُو على كُلِّ ما سواه، ولا يُعْلَى عليه!

1311- [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]فصلت:26. الذي يُدْمنُ الباطِلَ، وتَسْتَكِينُ إليه نفْسُه .. ويَركنُ إلى صومعَتِه .. لا يحبُّ أن يخرجَ منه .. ولا أن يُصْغِي إلى مَن يفتحُ عليه جرُوحَه .. ويُعكِّرُ عليه صَفْوَ تَفْكيرِه وتَصوراتِه الباطِلَةِ .. ويُظهِرُ جهْلَه وضَلالَه .. ويُخْرجُه مِن ظُلماتِ ودَرَنِ الباطِلِ الذي أدْمَنَه، وعاشَه دَهْراً .. ثم يُصَدِّقُه في إبطالِ مَا قَد شَبَّ عليه وأدْمَنَه .. فهو يُريدُ أن يَظلَّ مُعْتقداً أنَّ ما هو عليه مِن بَاطلٍ هو الحقُّ، ومَا سِواه هو البَاطِلُ .. ولا يحبُّ أن يَسمَعَ إلى القولِ الذي يُفْسِدُ عليه خَلْوَتَه مع الباطِلِ .. وكانُوا ولا يَزالُون يتَواصون فِيما بينهم:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ]، ولَا تَقرأوه .. وإذا قَرأتُموه اقرأُوه على مُرادِكم وفهمِكم، وليسَ على مُرادِ اللهِ، ومُرادِ رسولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ

1312- [وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]فصلت:31. كنتُ أُحدِّثُ أحفَادِيَ الصِّغار عن مَصيرِ الحيواناتِ يومَ القِيامةِ ـ كل الحيوانات ـ أنَّ اللهَ تعالى يَقتصُّ للمظلومِ مِنها، مِن الظَّالِمِ .. هذا ما دلَّ عليه النصُّ، ويَقتضيه العدلُ الإلهِي .. ثمَّ يقولُ لها:" كونُوا تُراباً " .. فقاطَعَتْني حفيدَتي الذَّكِيَّة مَريم .. والدمْعَةُ تُرَقْرِقُ في عَيْنَيها .. وقالَت: إذا طلَبتُ مِن اللهِ تعالى أن يُبقي لي قطَّتِي " مِيمِي "، هل يُبقيها لي، وهَلْ مِن حَقِّي أن أطلبَ هذا الطلَب ...؟!

سؤالٌ لَمْ يُطرَح عليَّ مِن قَبل .. فأسئلةُ الأطفالِ غَيرُ أسئلةِ الكِبارِ .. قلتُ لها: نعم؛ اللهُ تَعالى يُبقي لكِ قطَّتِك " مِيمِي " .. ولَكِ أن تَطلُبي هذا الطلَب، وكلَّ مَا تَشْتَهِينَه وتُريدينَه .. فلا يُمنَعُ عنكِ شَيءٌ تُريدينَه، ولَا عنِ المؤمنين شيءٌ يُريدونَه ويتمنونَه يومَ القِيامةِ، وهو مَا يقتضيه قولُه تعالى:[وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ]، أي ما تَطلبُون، وهذا وَعْدٌ مِن اللهِ .. ومَن أصدَقُ وأوْفَى مِنَ اللهِ وَعْدًا؟!

* * * * *

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً

1313-[وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً]؛ لَا أحَدَ أَحْسَن، [مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ]؛ دَعَا إلى تَوحِيدِ اللهِ تعالى، وإلى عِبادَتِه، وإلى دينِه، على بصيرةٍ، وعلمٍ، [وَعَمِلَ صَالِحاً]؛ وقَرَنَ دَعوَتَهُ بالعمَلِ الصّالِحِ؛ وهو كُلُّ ما وَافَقَ الكِتَابَ والسُّنَّة .. فلم يَقْتَصِرْ عمَلُه على الدَّعْوةِ مِن غَيرِ عمَلٍ لما يَدْعُو إليه مِنَ التَّوحِيدِ، والصَّلَاحِ، [وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]فصلت:33. من المسْتَسلِمين، المنقادِين، والمطِيعين للهِ، ولدينِه .. ولأنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلام.

1314-[وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]فصلت:33. فيه بيانٌ لأهميَّةِ الدعوةِ إلى اللهِ في إصلاحِ النفْسِ، والجماعةِ، والمجتمَع .. كما فيه ترغيبٌ وتشويقٌ لكلِّ مسلمٍ ـ كان ذَكَرًا أم أُنْثَى ـ أن يكونَ داعيةً إلى اللهِ تعالى .. وأن يكونَ مِن فئةِ الأحسَنِ من عبادِ اللهِ .. وأن يضعَ لنفْسِه هدَفاً كبيراً؛ وهو أن يكون داعيةً إلى اللهِ .. كل بحسب ما آتاهُ اللهُ من العِلمِ، والفهْمِ، والقُدْرَةِ .. وكل بحسب موقعِه ومكانتِه .. فلو لَمْ تُبلِّغْ ـ يا عبدَ الله ـ إلا آيةً أو حديثاً .. أو تدفعُ عن الإسلامِ شُبهةً أو بدعةً .. أو تكون سَبباً في هدايةِ ضَالٍّ .. أو تدلُّ على كلمةٍ أو مقالةٍ طيبةٍ نافِعةٍ، تنفعُ الناسَ في دينِهم ومعَاشِهم .. فأنتَ تدخلُ في عِدادِ الدُّعاةِ إلى اللهِ .. وبخاصَّة مع توفرِ

وسائلِ التواصُلِ التي تُساعِدُ على نشرِ الكلمةِ الطيبةِ بأيسَرِ الطرُقِ .. فلا تزهَدنّ بالقليلِ الذي بين يدَيك؛ فقد يكونُ كثيراً في ميزانِ حسناتِك .. وكثيراً عند غيرك ممَّن لم يؤتَ ما آتاكَ اللهُ .. وفي الحديث:" بلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً "البخاري. ومَا مِن صاحِبِ مشروعٍ دعوي ـ مهما ابتدَأ مشروعَه متواضِعاً ـ إلا ولزمَه أمرَان، يتطوَّرَان، ويَزيدَان معَ الزمَنِ، ومِن خلال العملِ الدَّعوي: العملُ على تحسينِ مُستواه الدَّعَوي، والارتقاءُ بنفْسِه إيمانيَّاً، وعلميَّاً .. والعملُ على تطويرِ وتحسينِ مشروعِه الدَّعَوي؛ ليصبحَ أكثرَ اتسَاعاً وشمولاً .. المهم أن تَنوي، وتبدَأ يا عبدَ الله!

* * * * *

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

1315- [ادْفَعْ]؛ ادفَعْ سيئةَ مَن أسَاءَ إليك، [بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]؛ ولا أحسَنُ من العَفْوِ والصَّفْحِ، مِن غيرِ عِتابٍ، ولا مَنٍّ، ولا أذَى .. فإن فعلْتَ ذلك،[فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ]فصلت:34. فالعدُو يَنقلِبُ صديقاً ومُحبَّاً لك .. بعد أن كان عدوَّاً مُبغِضَاً .. والآيةُ فيها أن تَقليلَ الأعداءِ والعَداواتِ ـ ما أمكَنَ لذلك سَبيلاً ـ مَطلَبٌ شَرْعيٌّ، وعَقْليٌّ.

1316- [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]فصلت:34. ليسَ كُلُّ سَيئةٍ يجوزُ أن تُقَابَل بمثْلِهَا .. بَلْ هنَاك كَثِيرٌ مِن السّيئاتِ تُقَابَل وتُدْفَع بالحَسَناتِ .. وبالإحْسَانِ .. وبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

1317- [وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ]؛ حَسَنَةُ التَّوحِيدِ، [وَلَا السَّيِّئَةُ]؛ سَيئةُ الشِّرْكِ .. فَلا يَستويَانِ أجْرَاً ولَا منزِلَةً في الدُّنيَا، والآخِرَةِ؛ فحَسَنَة التَّوحِيدِ تُخلِّدُ صاحِبَها في الجَنَّةِ،

وسَيئةُ الشِّركِ تخلِّدُ صاحِبَها في نَارِ جَهنَّمَ أَبَدَاً، [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ]فصلت:34. هذه دَرَجَةُ الإحْسَانِ، وهي أَعْلى الدَّرَجَاتِ وأَمْثَلُهَا، وأعظَمُها أَجْرَاً .. ومَن أرادَ الاقتصَاصَ، والمعامَلَةَ بالمثْلِ فقد أَخَذَ بخيارِ العَدْلِ .. وهو أقلُّ دَرَجَةً مِن الإحْسَانِ .. مَا لَمْ تَكُنْ الخصُومَةُ في الدِّينِ المنَزَّل، فحِينَئذٍ حَقُّ اللهِ عليكَ أن تَدفَعَ الباطِلَ بالحقِّ، والشِّرْكَ بالتَّوحِيدِ، والبِدْعَةَ بالسُّنَّةِ.

* * * * *

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ

1318- [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ]فصلت:41. ومن عِزَّتِه أنَّه لا يَأتي مَن يَأبَاه ويُعْرِضُ عنهُ، ولا يَنتَفِعُ بِهِ إلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ وأقبَلَ عَليه.

* * * * *

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

1319- [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ]؛ لَا سَبيلَ للباطِلِ وأهلِه ـ مهمَا حاوَلُوا، ومكَرُوا، ومِن أيِّ جهةٍ جاؤوا، ومِن أيِّ مِلَّةٍ كانُوا ـ أن يُبْطِلُوا شَيئاً مِن القُرآنِ الكريم؛ لَا مِن تَنزيلِه، ولا مِن تَأويلِه .. ولا أن يَزيدُوا عليه حَرْفاً واحِداً، أو يُنقِصُوا منه حَرفاً واحِداً .. سَواء هذا الباطِلُ جاءَ ممَّن سَبقَ نزولَ القُرآن الكريم مِن الأمَمِ السَّابقةِ مِن الكافرين الحاقِدين، أو ممَّن جاؤوا، ويجيئون بعدَ نُزُولِه مِن الكافرين الحاقِدين، وإلى يومِ القيامَةِ .. فإنَّهم لو اجتمَعُوا جميعُهم على صَعيدٍ واحدٍ، لا يَستطيعُون أن يَأتُوا بسُورةٍ مِن مِثْلِ هذا القُرآنِ، ولا أن يَزيدُوا عليه ـ ولا أن يُنقِصُوا منه ـ شَيئاً، ومَن يحاولُ فإنَّه يحاولُ عبَثاً، ومحاولَتُه تَرتَدُّ عليه بالخزْيِ والخسَرانِ؛ وذلك أنَّ اللهَ تعالى

قد تكفَّلَ بحفظِه، ومِن تكَفَّلَ اللهُ بحفظِه فَلَا ضَيعَةَ ولَا خَوْفَ عليه، [تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]فصلت:42.

* * * * *

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء

1320- [قُلْ هُوَ]؛ القُرآنُ الكريم، [لِلَّذِينَ آمَنُوا] حَصْراً؛ لأن الكافرَ المعرضَ، المعَارِضَ، والمدبرَ لَا يستفيدُ مما يُعرَضُ عليه .. وهو كلما ازداد إعْراضَاً عن القرآنِ الكريم ازدادَ خسارَةً، وضياعاً، [هُدًى]؛ مِن الضلالِ إلى الهِدايَةِ .. ومن الباطلِ إلى الحقِّ .. ومِن ظلماتِ الجهلِ والشِّركِ إلى نورِ العلمِ والتوحِيدِ، [وَشِفَاء]فصلت:44. لكلِّ داءٍ ظاهرٍ أو باطِن .. فلم يُقيَّد الشفاءُ بما في الصُّدُور كما في سورةِ يونس الآية " 57 "، وإنما أُطلِقَ ليعمَّ الشفاءُ كلَّ داءٍ أينما كان موضِعه، وكان نوعه .. بما في ذلك الأمراضُ العضويَّةِ إذا وضعَ عليها القرآنُ، ورُقيَت بآياتِه، بصدْقٍ، وإخلاصٍ، ويَقين.

* * * * *

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

1321- قوله تعالى:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ] فصلت:53. فيه دليلٌ أن الله تعالى قد أودعَ في الإنسانِ قُدرات كبيرة ـ سواء عرفَها أم جهلها ـ تمكّنُه من الصّعودِ إلى السّماء، ورؤية الآيات واكتشافها، ورؤية ما في النّفس البشريّة من دقائق وعظائم الآيات الباهِرات، واكتشاف واختراع ما يُعَد من لوازم تحقق رؤية الآيات في الآفاق وفي النّفس .. حتى يتبين له أن القرآنَ حقٌّ، وأنّ اللهَ تعالى هو الخالِقُ، وهو الحقُّ، وهو المعبود بحقٍّ.

وقوله تعالى:[سَنُرِيهِمْ]؛ يُفيدُ الاستِقبَالَ، والزَّمَنَ القَادِم .. والاسْتمرَارَ .. إلى مَتى ستَستمرُّ هذه الرؤيَةُ .. غَير محدَّدةٍ بزَمَنٍ نتوقَّفُ عنده الرُّؤيةُ .. وما هي المساحَةُ التي تَشْمَلُها الرُّؤيَةُ، وتمتَدُّ لها .. أيضاً غير محدَّدةٍ بمساحَةٍ محدَّدَةٍ .. مما يُعطي الإنسانَ الرُّخصَةَ والفُرصَةَ لبَذلِ مَزيدٍ مِن البَحثِ، والجَهدِ، والغَورِ في الاكتشافاتِ العِلميَّةِ، والاستفَادَةِ مِنْها.

1322-مَهْمَا أُوْتِيَ الإنْسانُ مِن عِلْمٍ، فهو بِفَضْلِ [سَنُرِيهِمْ]فصلت53. ثمَّ هو بَعدَ ذلك مَحْكُومٌ ومختُومٌ عليه بقولِه تَعالى:[وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85.

* * * * *

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ

1323-[فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ]؛ وهم المؤمنُون الموحِّدُون، [وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ]الشورى:7. وهم الكافِرُون المشرِكُون!

* * * * *

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

1324-[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]؛ نَفيٌ للأندَادِ، والشُّركاءِ .. ونَفيٌ أن يكونَ للهِ في جميعِ مخلوقاتِه مِثْل أو شَبيه، يُماثِلُه أو يشبهُه في شيءٍ مِن صِفاتِه وخصائصِه .. هذا النفي للتشْبيهِ يَشملُ نفي نوْعَي التَّشْبيه؛ نفيُ تَشبيهِ الخَالِق بالمخلُوقِ، ونفيُ تَشبيهِ المخلُوقِ بالخالِقِ؛ وهو أكثرُ اتساعاً وانتشاراً عند المشَبِّهين المشركين .. فقليلٌ هم الذين يقولُون اللهُ مِثل كَذا، أو يَشبهُ كذَا .. ولكن كثيرُون هم الذين يكون شِركُهم وكفرُهم مِن جهةِ تَشبيهِ المخلُوقِ بالخالِق، فينسبون إلى المخلُوقِ خصَائصَ وصِفَاتَ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ .. ومع ذلك كثيرٌ مِن النَّاسِ مَشغولٌ بردِّ ومُناقَشَةِ التَّشبيهِ الأولِ النَّادِر والقَليلِ، دُونَ التَّشبِيه الثَّاني الواسع والكَثِيرِ؛ لارتبَاطِه بالمخلُوقِ، وبالطَّواغِيتِ الظَّالمين الذين يُعبَدُون من دُونِ الله، والذين يَطيبُ لهم أن يَتشبَّهوا بخصَائصِ الألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وبما ليسَ فيهم، ولهُم، [وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]الشورى:11. نفيُ التَّشبِيهِ، وأن يكونَ للهِ مِثْلٌ أو شَبيهٌ في مخلُوقاتِه، لا يَعني، ولا يَلزَمُ مِنه أن ننفِي مَا أثبَتَ اللهُ تعَالى لنفْسِه، وأثبَتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لربِّه من الأسماءِ، والصِّفَاتِ مِن غَيرِ تَعطِيلٍ، ولا تحرِيفٍ، ولا تَشْبِيهٍ ولا تَمثِيلٍ .. والتي مِنها أنَّه تعَالى سميعٌ وبَصيرٌ؛ يَسمعُ ويَرَى؛ لا يَخفَى على سمعِهِ وبصَرِه شَيءٌ من مخلوقاتِه مَهمَا كان دَقِيقَاً وخَفيَّاً .. سُبحانَهُ وتعَالى.

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

1325- [وَهُوَ]؛ اللهُ تعالى وحده؛ لا أحَدَ غيره، [الَّذِي]؛ يَقدرُ على أن [يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ]؛ فالتوبةُ بشروطِها تمحو مَا قَبلَها مِن السّيئاتِ؛ أيّاً كان نوعُها، وكان حجمُها، [وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ]؛ فلا يأخذُ عبادَه التائبين بسيئاتِهم؛ بل يعفو عنهم، وعمَّا كان مِنهم مِن سيئات .. وعليه لا يجوزُ أن يَنصرفُوا إلى غيرِه ـ أيّاً كان هذا الغَير ـ يسألونَه المغفرَة، وأن يعفُو عنهم، وعن ذنوبِهم، أو أن يتوسَّطَ لهم إلى اللهِ ليعفُو عن ذنوبِهم .. فهذا من الشِّركِ الذي لا يغفرُه اللهُ، إلَّا مَن تَابَ وجدَّدَ إيمانَه، [وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ]الشورى:25. مِن خَيرٍ أو شرٍّ، مَا تُظهرُون ومَا تُبطنُون، لا يخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكُم .. فاتَّقُوه!

* * * * *

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ

1326- [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ]؛ مِن العِبادِ مَن يَسأل اللهَ تعالى أن يُوسّعَ عليه في الرِّزقِ فوق حاجتِه .. وهؤلاء لَا يَعلمون لو أنَّ اللهَ تَعَالى أجابَهم لما يَطلبُون ويَسألُون لبَغَوا، وظلَمُوا، وأفسَدُوا في الأرضِ .. ولما أحسَنُوا التَّصرُّفَ بنعمةِ الغِنى والسَّعَةِ في الرِّزقِ .. ولقَسَت قلُوبُهم .. واللهُ تعالى يَعلمُ ذلك مِنهم .. فيمنَعُ عنهم التّوسُّعَ في الرِّزقِ رأفةً ورحمةً بِهم، وهم لَا يَشعرُون، كما يُمنَعُ المريضُ عمَّا يَضرُّهُ مِن الطَّعامِ .. وقَد ابتلى اللهُ أقواماً بالغِنَى الفَاحِشِ، بعدَ أن كانُوا فقراءَ؛ فحملَهُم الغِنى على الطُّغيانِ، والظُّلمِ، والفسَادِ، والبَطَرِ، والكِبرِ، والتَّعالِي على الخلْقِ، فكانَ الغِنى عليهم وبَالاً، والأمثِلَةُ على

هذا الصنفِ من الناسِ كثيرةٌ مِن الماضِي، والحاضِرِ .. والمستقبَلُ لن يخلُو مِنهم .. سِنَّةُ اللهِ تعالى في الظَّالمين .. وقَد قِيل:" خيرُ الرِّزقِ مَا لا يُطْغِيكَ، ولا يُلْهِيك ". [وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ]؛ ينزِّلُ من المالِ القَدْرَ الذي يَشَاءُ، على مَن يَشَاءُ، والذي يُناسِبُ عِبادَه، [إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ]الشورى:27. خبيرٌ بعبادِه؛ مَن يُفسِدُه الغِنَى ومَن لا يُفْسِدُه، ومَا هو القَدْر مِن المالِ الذي يتحمَّلُه ويَستحقُّه كُلُّ إنسانٍ .. فيُعطي كُلَّ إنسانٍ على قَدْرِ ما يَستطيعُ أن يتحمَّلَ .. إلا مَن أرادَ اللهُ فتنتَه؛ فهؤلاء يمدُّهم بالمالِ استدرَاجاً .. ليزدادُوا إثماً .. وليكونُوا عِبرةً لغَيرِهِم .. وليسَ محبَّةً لهم.

* * * * *

وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

1327- [وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ]؛ مِن بلاءٍ وشِدَّةٍ في أموالِكم، وأنفُسِكُم، [فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ]؛ مِن خطَايَا وذُنُوبٍ .. هذا هو الخيارُ الأوَّل الذي يَنبغي أن يُفزَع إليه، عند فهم وتفسير أسبابِ البَلاءِ، فلَا نُسارِعُ الذِّهَابَ إلى خِيارِ تَزكيَةِ النَّفسِ على اللهِ، [وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ]الشورى:30. مِن الخطَايا والذُّنُوبِ، فلا يُعاقِبُ عليها، لَا في الدُّنيا، ولا في الآخِرَة، وإنما يُقابِلُها بالعَفْوِ والغُفْرانِ، وهذا مِن رحمةِ، وحِلمِ الخالِقِ سُبحانه بعبادِه .. وقوله:[وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ]؛ فيه دلالة على بُطلان القول الشائع عند دُعاةِ " الكَارمَا "؛ دُعاةُ الطَّاقَة، والقائلُ أن كلَّ ذَنْبٍ لا محالَة، أن صاحِبَه سيُعاقَب عليه، وسيرَى في الدُّنيا وبَالَ صَنيعِه وذَنبِه.

* * * * *

وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ

1328- [وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ]الشورى:37. كُلما كان العَفْو أقرَبَ إلى لحظَةِ الغَضَبِ، كان أفضَلَ، وأعظَمَ أجْرَاً .. العَفْو عِندَ انطِفَاءِ الغَضَبِ وانقضَائِه الكلُّ يُحسِنُه، بخلافِ العَفو عِندَ الغَضَبِ، والغَضَبُ في أوَّلِه!

* * * * *

وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

1329- [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ]الشورى:38. كُلُّ أمْرٍ هامٍّ يهمُّ المسلمين ـ مِمَّا لَا نَصَّ فِيه ـ يخضَعُ للشُّورَى .. وعلى جميعِ المستوَيات .. وفي أيِّ مجالٍ مِن مجَالاتِ الحياةِ .. الخاصَّة والعَامَّة .. الاجتماعيَّةُ، والاقتصادِيَّةُ، والسياسِيَّةُ، والعَسكرِيَّةُ، والأخلاقِيَّة .. وكلما كان الأمرُ هامَّاً، تَعدَّى مصالحُه ومفاسِدُه للغيرِ كلَّما كانت الشُّورَى بحقِّه أوكَد، وأوْجَب .. ومِن محاسِنِ الشُّورَى أنَّها تَستخرجُ صفْوَةَ ما في عقُولِ المستشَارِين .. وتُوزِّعُ المسؤولياتِ والنتَائجَ على جميعِ المستشَارِين؛ فيخفُّ الحَمْلُ مهمَا كان ثَقيلاً .. كما أنَّها وسيلةٌ راقِيةٌ مُتحضّرةٌ للمصَارَحَةِ والمفاتَحَةِ .. والمكاشَفَةِ .. وإخْرَاجِ مَا في النُّفُوسِ من كلامٍ، وأفكارٍ، وآراءٍ .. حَبْسُها في الصُّدورِ يَضرُّ بالجميع!

مِن مَسَاوِئ الاسْتِبْدَادِ، وتَغييبِ الشُّورَى .. عُزُوفُ أهْلِ المشُورَةِ، وأهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ عن نَصِيحَةِ المستبِدِّ .. وعن إبدَاءِ آرَائِهم له .. وتَركُه يتخبَّطُ ويَتعَثَّرُ باسْتِبدَادِه!

* * * * *

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ

1330- [فَمَنْ عَفَا]؛ عمَّن ظلمَهُ، وأسْقَطَ حَقَّهُ عليه، معَ قدرَتِه على الانتصَافِ مِنه، ولَمْ يُقابِلْ ظُلمَهُ وسيئتَه بسيئةٍ مماثِلةٍ، [وَأَصْلَحَ]؛ مَا فَسَدَ مِن حِبَالِ الودِّ والتواصُلِ بينَهُ وبينَ ظالمِه، [فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ]؛ فأجرُه ليسَ مِن النوعِ الذي تتضَاعَف فيه الحسَنَةُ

إلى عَشْرةِ أضعَافٍ، إلى سبعمَائةِ ضَعْفٍ .. لَا .. بلْ أجرُه غير معلومٍ ولا محدَّدِ الحجمِ والكَمِّ؛ فهو مَتروكٌ لكَرَمِ، وجُودِ، وعَطاءِ اللهِ .. لَا يَعلمُ كم سيَتَضاعَفُ، ويتَعَاظَمُ، ويكبرُ إلَّا اللهُ، [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]الشورى:40. الذي يَبتدِئُ الظُّلمَ، والذي يَنتصِفُ لمظلمَتِه بظُلمٍ أكبرَ؛ فيُصْبحُ ظَالماً بعدَما كانَ مَظلُومَاً!

1331- بالعَفْوِ تَتَمَتَّع في الدَّارَيْنِ أكْثَرَ مِنَ الانْتِصَافِ، [فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ]الشورى:40. [وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ]النور:22. بَلَى!

1332- مِن مَحَاذِيرِ الانْتِصَافِ ـ فِي زَمَانٍ تَغِيبُ فيهِ المحَاكِمُ التي تحْكُمُ بالعَدْلِ ـ قَلِيلٌ مَا يَسْلَمُ مِنَ الإسْرَافِ، فَتُقَابَلَ السَّيئَةُ بِسَيِّئَتَينِ، [وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]آل عمران:57 . [إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]البقرة:190.

1333- مِن عَلامَاتِ التَّوفِيقِ وحُسْنِ الخِتَامِ؛ أنْ تَلْقَى اللهَ، وقَدْ عَفَوْتَ عَمَّن ظَلَمَكَ .. [وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]فصلت:35.

* * * * *

وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ

1334- [وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ]الشورى:41. ولمَن انتصَفَ مِن ظَالميه بَعدَما ظَلَمُوه، فانتصَرَ لنفْسِه ولحقُوقِه مِنهم، بالقَدْرِ ـ الكَم والكَيف ـ الذي ظلَمُوه به .. فهذا ليسَ عليه حَرَجٌ، ولا مؤاخَذَة .. وصَنيعُه لَا يخرُجُ عن صِفَةِ وحُدُودِ العَدْلِ.

* * * * *

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً

1335- [وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ]الزخرف:11. لمن ينكرونَ البَعْثَ، والنُّشُورَ، وينكرُون يومَ الحِسَاب .. كما أنَّ الله تعالى يُحيي أرضاً مَيتاً قاحِلَةً، مالحةً، جَدْبَاءَ، لا حَياةَ فيها لنبَاتٍ قَط .. بماءِ المطَرِ، يُنزلُه اللهُ تعالى بمقْدَارٍ محدَّدٍ يَنفعُ ولَا يَضرُّ؛ إذْ لو زَادَ لأضَرَّ، كذلك لو نقَصَ عن المقْدَارِ المطلُوبِ .. فتَخْضَرُّ، وتُزهِرُ، وتَزدَهِرُ، وتُعطِي الأرضُ عَطاءَها وثمارَهَا بإذنِ رَبِّها .. وهو مَا تَرونَه بأعيُنِكم، كذلك يُحيي اللهُ الموتَى، ويَبعثُهم مِن قُبورِهم لموقِفِ الحِسَابِ، بعدَ أن يكونُوا رُفَاتاً .. فالقادِرُ على إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها، قادِرٌ على إحياءِ الأجسَادِ بعدَ موتِها .. فاستدلَّ بحاضِرٍ مُشَاهَد، تُدركُه الأبصَارُ، على غائبٍ كائن، وآتٍ لا محَالَة .. لعلَّهم يَتفكَّرُون!

* * * * *

سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ

1336- [سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ]؛ أعظَمُ الزُّورِ، وأظلمُ شَهادَةٍ يَشهدُ بها الكفَّارُ المشركُون؛ شَهادَتُهم أنَّ معَ اللهِ تعالى آلهةً أُخْرَى؛ [وَيُسْأَلُونَ]الزخرف:19. وسيُسْأَلُون ويحاسَبُون على شَهادَتِهم الكاذِبةِ، البَاطِلَةِ، الظَّالمةِ هذه!

1337- [سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ]؛ كُلُّ مَن شَهِدَ شَهادَةَ زُورٍ أو باطلٍ .. وشَهِدَ على واقعٍ بغيرِ علمٍ، وبخلافِه، ستُكْتَبُ شَهادَتُه، [وَيُسْأَلُونَ]الزخرف:19. وسيُسألون عنها في الموقفِ الأكبر؛ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنُون!

صدَقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، يأتي زمانٌ تَرُقُّ فيه الأمانَةُ:" يُقالُ للرجُلِ ما أعْقَلَهُ! وما أظْرَفَهُ! وما أجْلَدَهُ! وما في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ "متفق عليه.

* * * * *

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

1338-[وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]؛ في المِهَنِ، والميولِ، والهِمَمِ، فلِكُلٍّ بما آتاهُ اللهُ درجَة يَعْلُو بها على الآخَرِ، لا تَكْتَمِلُ الحياةُ ولا تَستقيمُ إلَّا به، [لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. فكَما يَستخدِمُ الكبيرُ الصَّغيرَ، كذلك الصغيرُ يَستخدمُ الكبيرَ .. وكَما يَستخدِمُ الغَنِيُّ الفقيرَ، كذلك الفقيرُ يَستخدمُ الغنيَّ، وكما يَستخدمُ العالِمُ الجاهِلَ، كذلك يستخدم الجاهِلُ العالِمَ، وكَما يَستخدِمُ الحاكِمُ المحكُومين، كذلك يَستخدِمُ المحكُومُون الحاكِمَ .. فكُلٌّ رَاعٍ ومَرْعِيٌّ، خَادِمٌ ومخدُومٌ؛ خَادِمٌ للآخَرين فيما خَصَّهُ اللهُ به، مَخدُومٌ فيما يحتَاجُه مِن الآخَرِين .. وبذلك تَكتَمِلُ الحيَاةُ وتَستَمرُّ .. وهذا التنوعُ في الهِمَمِ، والمِهَنِ، والميولَات، الذي به تَكتملُ الحياةُ وتَسْتَقيمُ، وتَستَمِرُّ، مِن أعْظَمِ الدَّلالاتِ على عَظَمَةِ الخالِقِ سُبحانَه وتعالى.

1339-[وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. سُخْرِيّاً؛ ليسَت للتَّعَالِي والتَّفاضُلِ، أو للدَّلالة على أفضَلِيَّةِ طبقَةٍ على طبَقة .. أو فئة مِن شَرائِحِ المجتمع على فئة أخرَى .. لا .. وإنما هي للدَّلالة على التَّنَوّع، والتَّكامُلِ الضَّروري الذي به تنهضُ المجتمَعَات .. وتستَمِرَّ الحيَاة .. فالكلُّ ومِن دونِ استِثْناءٍ؛ الحاكِمُ والمحكُوم .. الأميرُ والمأمُور .. الغَنِي والفَقِيرُ .. الشَّريفُ والوَضِيعُ .. العَالِمُ والمتعَلِّمُ .. الزَّوجُ والزَّوجَةُ .. التَّاجِرُ، والعَامِلُ .. والمزَارِعُ .. كُلُّهم " سُخْرِيّاً "؛ يخدُم بَعضُهم بَعضاً، وكُلُّهم خَادِمٌ في مَواضِع، ومخدُومٌ في مَواضِع بحسَبِ مَوقِعِه .. وهذا من عَظِيمِ حكمَةِ اللهِ تَعَالى

في خَلْقِه .. تَصوَّروا لو كان كلُّ أفرادِ المجتمَع أطبَّاء أو عُلماء .. أو مُهندِسين .. أو رؤَساء .. أو مِن ذَوي المهنَةِ الواحِدَةِ .. هل يمكن لهذا المجتمَع أن يَعيشَ أو أن تُكتب له الحياةُ .. فسُبحانَ مَن وزَّعَ الاهتِمامَات، والمهَنَ، والتَّخصُّصات على عبادِه، ورَضَّى كُلَّ امرِئٍ بمهنتِه وعمَلِه؟!

* * * * *

وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

1340- [وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً]؛ يجتمعُون على الكُفرِ .. فيظنُّون أنَّ الكُفرَ سببٌ من أسبابِ الغِنَى .. وأن الغِنى علامةٌ دالَّةٌ على رِضَا اللهِ على الكافرين .. فيكفرُون باللهِ، [لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ]الزخرف:33. قِّةُ الغِنَى، والتَّرفِ، والإسرافِ .. إمعَاناً في فِتْنَتِهم وزِيَادةً في الاسْتِدْرَاجِ .. لكِن اللهَ تعالى لم يُقَدِّرْ لهم ذلك؛ فجَعلَ منهم الغَنيَّ والفَقيرَ .. رحمةً بعبادِه المؤمنين، وحتى لا يُفتَنُونَ في دِينِهم .. ومع ذلك يُوجَدُ من ضُعفاءِ الإيمانِ مَن يَنظرُ إلى غِنَى بعضِ الكافِرين، في بَعضِ الأمْصَارِ على أنَّه عَلامَةٌ على صِحَّةِ مَنهجِهم وطريقَتِهم، وعَلامةٌ على أنَّ اللهَ تعالى يحبُّ الكافِرين!

* * * * *

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ

1341- [فَاسْتَمْسِكْ]؛ خِطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه من بَعدِه، بأن يَتَمَسَّكُوا بقوَّةٍ، [بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ]؛ القُرآنُ والسُّنَّة .. وجاءَ الأمرُ بالتمسُّكِ بقوَّةٍ؛ لأنَّ محاولاتِ شَياطينِ الأنسِ والجِنِّ في صَدِّ المؤمنين عن الحقِّ المنَزَّلِ، وصَرْفِهم عنه، لَا، ولَن تَتوقَّفَ .. فهي مستمرَّةٌ استِمرَارَ الليلِ والنَّهارِ، وعلى مَدَارِ الوقتِ .. مما يَستَدعِي اليقَظَةَ

والحَذَرَ، والتَّمسكَ بقوَّةٍ .. وزِيادَة في التَّثْبيتِ على الحقِّ المنَزَّل [إِنَّكَ]؛ أنتَ، ومَن آمَن مَعَك، ومَا أنتم عليه مِن هُدَى وشَرَائِع، [عَلَى صِرَاطٍ] على طَريقٍ ونَهْجٍ [مُّسْتَقِيمٍ]الزخرف:43. حَقٍّ لا رَيْبَ، ولا لَبْسَ، ولا اعوِجَاجَ فِيه .. فَلَا يَحْمِلَنَّكُم كَيدُ الكافِرين ومَكْرُهُم عَلى الشَّكِّ في ذلِك.

1342-[فَاسْتَمْسِكْ] ؛ خِطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأُمَّتِه من بَعدِه، بأن يَتَمَسَّكُوا بقوَّةٍ، [بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ] ؛ القُرآنُ والسُّنَّة .. فكلاهما وحيٌ .. وجاءَ الأمرُ بالتمسُّكِ بقوَّةٍ؛ لأنَّ محاولاتِ شَياطينِ الأنسِ والجِنِّ في صَدِّ المؤمنين عن الحَقِّ المنَزَّلِ، وصَرْفِهم عنه، لَا، ولَن تَتوقَّف .. فهي مستمرَّةٌ استِمرَارَ الليلِ والنَّهارِ، وعلى مَدَارِ الوقتِ .. مما يَستَدعِي اليقَظَةَ والحَذَرَ، والتَّمسكَ بقوَّةٍ .. وزِيادَة في التَّثْبيتِ على الحقِّ المنَزَّل [إِنَّكَ] ؛ أنتَ، ومَن آمَن مَعَك، ومَا أنتم عليه مِن هُدَى وشَرَائِع، [عَلَى صِرَاطٍ] على طَريقٍ ونَهْجٍ [مُّسْتَقِيمٍ]الزخرف:43. حَقٍّ لا رَيْبَ، ولا لَبْسَ، ولا اعوِجَاجَ فِيه .. فَلَا يَحْمِلَنَّكُم كَيدُ الكافرين ومَكْرُهُم على الشَّكِّ في ذلك.

* * * * *

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ

1343-[فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. أَكْثرُ مَا يُسَاعِدُ الطُّغَاةِ على الاسْتِخْفَافِ بالشُّعُوبِ، واستِعْبَادِهم: الجَهْلُ، ثمَّ الجُبْنُ، والوَهْن.

1344-[فَاسْتَخَفَّ]؛ فِرْعَوْنُ، [قَوْمَهُ] شَعبَهُ؛ باستعبادِهِم، وإذلالِهِم، واحتقَارِهم، واستِصْغَارِهم، وعَدمِ اعتِبَارِهم واستشارَتِهم، واحتِكارِ السُّلطاتِ كلها

لنَفْسِه مِن دونِهم، وادِّعائِه الربُوبيَّة والألُوهيَّة عليهم، [فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. فاتَّبعُوه، وامتَثَلُوا أمْرَهُ في زَعمِه وإدِّعائِه الألوهيَّة والربُوبيَّة!

1345-[فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ]الزخرف:54. اسْتَحْمَرَهُم، فَأَطَاعُوه، واتَّبَعُوه!

1346-هذا النَّهجُ الفِرعَوني في القِيادَةِ والحُكْمِ .. ليسَ حقبةً مِن الزَّمَنِ قد انقضَت وولَّت .. لَا .. بل هو نَهجٌ مُتجدِّدٌ باستمرارٍ .. نُعَايشُه ونُكابِدُه .. يجدِّدُه طُغاةُ الحُكمِ والظُّلمِ مِن أحفادِ فِرعون ـ على مَدارِ العصُور ـ الذين يَنشدُون طَاعَةَ شعُوبِهم لذواتِهم وحُكمِهم مِن خِلالِ استعبَادِهم، وإذْلالِهم، وظُلمِهم، وتخويفِهم، وسْجنِهم، وتجويعِهم .. وما أكثر الطُّغَاةُ الذين يَسلكُونَ هذا المَسْلك الفِرْعَوني في الحُكْمِ مع شعُوبِهم في زَمانِنَا، لو أرَدْنَا أن نُعَدِّدَ، ونَذْكُرَ الأسماءَ!

* * * * *

فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ

1347-[فَلَمَّا آسَفُونَا]؛ أَغْضَبُونَا وأسخَطُونَا بركُوبِهم للكُفْرِ، والظُّلمِ، والفُسُوقِ، والعُصْيَانِ، [انتَقَمْنَا مِنْهُمْ]الزخرف:55. في الدُّنْيَا، وفي الآخِرَةِ لهم عَذَابٌ أليم .. سُنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ في خَلْقِه لا تَتخلَّفُ، وهي أنَّ الانتقامَ يَنزلُ بالكافِرين الظَّالمِين، الفاسِقين، في الدُّنيَا قبلَ الآخِرَةِ، ولو بعدَ حِين .. قَد يتأَخَّرُ الانتِقامُ لمزِيدٍ مِن الاستِدْرَاجِ، وابتلاءً وتمحيصاً للمؤمنِين، ولحكمةٍ يُريدُها اللهُ .. لكن لا يمتَنعُ عنهم الانتِقَامُ ولا يُمسَك!

* * * * *

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

1348- [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ]، الأمانةُ هي؛ الدِّينُ كُلُّه، والتَّكاليفُ كُلها، [عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا]؛ فاعتذَرْن مِن حملِها مِن غيرِ اعتراضٍ ولا عُصيانٍ .. فرَقاً وخوفاً مِن أن لَا يُؤدُّوا حقَّها كما يَنبغي، أو أن يُقَصِّرُوا في أداءِ حَقِّها، [وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ]الأحزاب:72. ورضيَ الإنسانُ ـ ممثَّلاً بأبي البشريَّةِ والناطقِ باسمِهم جميعاً آدم عليه السلام ـ بأن يحملَ الأمانةَ، ويُؤدِّي حقَّهَا .. وقبولُه لها مُلْزِمٌ لجميعِ أبنائِه مِن بعدِه، وإلى يومِ القِيامَةِ .. فلَا يحقُّ لأحَدٍ مِن بعدِه أن يَرفضَ الأمانَةَ، ويأبَى أن يحملَها .. فإن قالَ قائلٌ مِن الكَافِرين: أنَا لَا أقبلُ الأمانَةَ، وأرفضُها، وأردُّها .. وهي مُلزِمَةٌ لأبي آدَم مِن دُوني .. فهذَا لا يؤثِّرُ على صحَّةِ الصَّفْقَةِ، والعَقْدِ، وقبُولِ الأمانَةِ مِن الأساسِ .. وإنما هو فقَط يحكمُ على نفْسِه بالإنسلاخِ مِن صِفَةِ الإنسانِ السَّوي والعَاقِلِ، والبارِّ بعهدِ أبِيه .. ليستَوي مع الدَّوابِ، والحيوانَاتِ، والجمادَاتِ في رفضِهم للأمَانَةِ .. معَ فارِقٍ كبيرٍ؛ أنَّ الجمادَات أبَت أن تحملَ الأمانَة بأدَبٍ وخضُوعٍ، وخَشيَةٍ، وخَوفٍ مِن التَّفريطِ بحقِّها .. بينَما هذا الكَافِر يرفضُ الأمانَة كِبراً، وتعَالياً، وجُحُوداً .. وعصَيَّاناً .. فلَا يَستويَان مَثَلاً!

* * * * *

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ

1349- [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ]؛ مَعبودٌ بحقٍّ، لا شَريكَ له .. والمشركُون غالِباً لا يُجادِلُون حولَ هذا الحقِّ؛ لأنَّهم لا سُلطانَ لهم على السَّماءِ .. ولا مَطْمَعَ لهم فيها .. وإنما يُجَادِلُون فِيما لهم فيه سُلطان ومَطْمَعٌ؛ وهي الأرض .. فجَاءَهم الجوابُ، [وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]الزخرف:84. فكمَا هو سُبحانه المعْبُودُ والمطاعُ بِحقٍّ في السَّماءِ، فهو كذلك

المعبودُ والمطاعُ بحقٍّ في الأرضِ، لا شَريكَ لَه، والتَّسليمُ بأنَّه المعْبودُ بحقٍّ في السَّماءِ، يَقْتَضِي التَّسليمَ بأنَّهُ المعبودُ بحقٍّ في الأرضِ .. فكُلٌّ منهما يَقْتَضِي الآخَر، ولازِمٌ لَه.

* * * * *

وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ

1350-[وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ]الدخان:19. أن لَّا تَعْصُوا اللهَ، ولا تَتَعَالوا، وتَتكبَّرُوا على أمرِهِ، وحُكْمِهِ الشَّرْعي ...!

* * * * *

وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ

1351-[وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي]؛ تُصدِّقُوني بأنِّي رسولُ اللهِ إليكم .. وأبيتم إلَّا الإعراضَ والكفرَ، [فَاعْتَزِلُونِ]الدخان:21. كفُّوا أذاكم وشرَّكُم عني .. ابتعدُوا عنِّي؛ لا تقربوني، ولا أقربُكم .. لي عملي، ولكُم أعمالُكم .. فاعتزالُ الشَّرِّ والأشرارِ خيارٌ دَلَّت عليه نصوصُ الشَّريعةِ، عندما تتحقَّقُ شُروطُه .. وهنا قاعِدةٌ في اعتزالِ الشَّرِّ يحسنُ ذِكْرُها: إن كانَ الشَّرُّ واحِداً؛ يجبُ اعتزالُه؛ سواءٌ كان الشرُّ كبيراً، أم صَغيراً .. فإن كان الشَّرُّ شَرَّان متسَاويَان ومتقَارِبَان في الشَّرِّ؛ أيضاً يجبُ اعتزالهما معَاً، حتى لو كانَا يجريَان ـ أو يجري أحدُهمَا ـ عليكَ بغيرِ رِضَاكَ .. وإن كان الشرُّ شرَّان أحدُهما أكبرُ من الآخَر، وأنتَ في الخِيار، لا يجري عليكَ أحدُهمَا، ولا تتأثَّر بأحدِهما ـ في دينِك، ومعَاشِك، وأمْنِكَ ـ يجب اعتزالهمَا معَاً .. أما إن كان الشَّرُّ شرَّان؛ أحدُهما أكبرُ من الآخَر، وكلاهمَا يجريان عليكَ لا محالَة، وكان لا بدّ لك من الاختيارِ، واختيارُك له دورٌ وأثرٌ في دَفْعِ الشرِّ الأكبَر؛ هنَا العَقْلُ والنَّقْلُ يُلزِمَانِك باختيارِ أقلِّهما شَرَّاً، وضَرَراً .. وهذا لا يَعني ولا يُفيد بأنَّك تَرضَى الشرَّ الأصغَر، والضَّرَرَ الأصْغَر .. لَا .. وإنما يَعني أنَّك تَرضَى بتقليلِ الشَّرِّ والضَّرَرِ .. وتريدُ دفعَ الشَّرِّ الأكبر بالشَّرِّ الأصغَرِ، والضَّررِ الأكبَر بالضَّرَرِ الأصْغَر .. هذا الذي دَلَّ عليه النَّقْلُ، والعَقْلُ .. وقولُنا باعتزَالِ الشَّرِّ على ضَوءِ مَا ذُكِرَ أعْلَاه؛ لا يَعني اعتزالَ نصْح

الأشرَارِ، وعدَمِ أمرِهِم بالمعروفِ، ونهيهم عن المنكرِ .. وعدَمِ الأخذِ على يدِ الظَّالِمِ مِنهم .. فهذا أمرٌ آخَر، ومختلِفٌ عن مَعنَى الاعتزالِ الذي أرَدناهُ، وأشَرْنَا إليه أعلَاه.

* * * * *

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ

1352- [فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]الدخان:29. مَن ماتَ على الكُفْرِ .. أو استعْجَلَ الموتَ على الكُفْرِ .. فلَن يَضرَّ إلَّا نَفْسَه .. فلا يحسَبنَّ أنه بكفْرِه، واستعْجالِه الموتَ والانتحارَ .. سيَبْكيه الناسُ .. وسَتَبْكيه السَّماءُ والأرضُ .. لَا .. فالسماءُ والأرضُ لا تَبكيان لموتِ كافرٍ، ولا لمُنتَحرٍ يَستعْجِلُ نهايتَه، وإنما تَبكيان لموتِ المؤمنِ الصَّابرِ المحتَسِب؛ فتَبْكيه مواضعُ عبادَتِه، وسُجودِه وصَلاتِه، وآثارِه الحسَنَة .. هذا مَا يَقتضِيه مَفهومُ المخالفة .. ومَفْهومُ المبَاينَة؛ إذ لو كان المؤمنُ يشتركُ مع الكافرِ في هذه الخاصيَّة؛ وهي عَدَم بكاءِ السماءِ والأرض، لما خُصَّ الكافرُون بالذِّكرِ وحدهم دُون غَيرِهم .. وفي الحديثِ المرْسَل:" ألا لا غُربةَ على مؤمنٍ؛ ما مَاتَ مؤمنٌ في غُربةٍ غابَت عنه فيها بواكِيه إلا بَكتِ عليه السَّماءُ والأرضُ، ثُمَّ قرأَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم:[فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ]؛ ثُمَّ قال: إنَّهما لَا يَبكيانِ على كافرٍ ". [وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]؛ فإذا جاءَ أجَلُهم المكتُوبُ .. وجاءَ أجَلُ عقابِهم .. أُخِذُوا بالعقابِ .. ولَمْ يُمْهَلُوا لحظةً واحِدَة.

* * * * *

مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

1353- [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ]؛ بِمَا فِي ذلك الخير الذي تعمَلُه لغَيرِك؛ فأنتَ تعمَلُه لنَفْسِك، وخَيرُه يَرتدُّ عليكَ في الدُّنيا والآخِرَةِ، [وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا]الجاثية:15. حتَّى لو أَسأْتَ لغَيرِك؛ فأنتَ على الحقِيقَةِ تُسيءُ لنَفْسِك .. وستَجِدُ عاقِبةَ إسَاءتِك في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ

1354- [وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ]الجاثية:19. مَن صَدَقَ اللهَ في ولايَتِه .. صَدَقَهُ اللهُ في ولايَتِه، وكانَ وليًّا، وناصِراً، ومُعِيناً له .. يتعاهَدُه بلطْفِه، وعِنَايَتِه .. ورِعَايَتِه .. ويُقاتِلُ دُونَهُ، ومَعَه .. وهو يَدْرِي أو لَا يَدْرِي .. هذا في الدُّنْيَا .. أمَّا في الآخِرَةِ فتَتَجَلَّى الولايَةُ في أعظَمِ وأكمَلِ صورِها؛ حيثُ الرضْوَانُ، والأمَانُ، والجِنَانُ، والنَّعِيمُ العَظِيمُ المقِيمُ والدَّائمُ .. والجمَالُ في أكمَلِ وأجَلِّ صوَرِه .. الذي لا يُكَدِّرُه شَيءٌ .. ومَهمَا بالَغْنَا في الوصْفِ فهو أعظَمُ، وألَذُّ، وأجمَلُ!

الناسُ يتخذُون بَعضَهم بَعْضَاً أولياءَ .. وكلُّ وليٍّ مِنهم يعتَدُّ ويعتزُّ بوليِّهِ الآخَر وبقوَّتِه، وجاهِهِ .. فَرِحٌ بِه .. وما أجمَلَك وأقوَاكَ، وأعزَّكَ، وأمنَعَكَ، وأوفَرَكَ حَظَّاً ـ أنتَ يا عبدَ اللهِ ـ أنْ تَتخذَ اللهَ وليًّا لك .. أن تَلوذَ بولايَتِه؛ فلا تُوَالي إلا ما يُحبُّه ويرضَاه لَك .. اللهمَّ أنتَ وليُّنَا فوقَ الأرضِ .. وتحتَ الأرْضِ .. ويومَ العَرْضِ عَلِيك .. وأنْتَ أرحَمُ الرَّاحمين.

* * * * *

سورة الأحقاف

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

1355-[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ]؛ شَهِدُوا ظاهِراً وباطِناً .. بالقولِ والفِعلِ شهادَةَ التَّوحِيدِ " لا إله إلا الله "، [ثُمَّ اسْتَقَامُوا]؛ على العَمَلِ بالتَّوحيدِ، ومقتضياتِه من الطّاعَاتِ، حتَّى المماتِ، ولم يَلتفِتُوا عنه إلى غَيرِه .. فَلا يكفِي القَولُ مِن غيرِ عمَلٍ؛ إذْ لا بُدَّ من الاستِقامَةِ على القَولِ بالعَمَلِ .. والاستقامَةُ تُفيدُ مَعنيَيْن: الثَّبَاتُ على الطَّريقِ المستقيمِ مِن غيرِ التفَاتٍ إلى الطُّرُقِ الأُخْرَى .. والثبَاتُ على الطريقِ إلى المماتِ، ولا يُقبَلُ بأقلِّ من المماتِ بسَاعةٍ واحدةٍ، بَل ولا دَقيقَةٍ واحِدةٍ .. هؤلاء [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ]؛ ممَّا هو آتٍ، ويَنتَظرُهُم؛ فوقَ الأرضِ، وتحتَ الأرضِ، ويومَ العَرْضِ، [وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ]الأحقاف:13. على مَا فاتَهم، وتركُوه في الدُّنيا مِن بعدِهِم!

1356-وفي الحديث:" قُلْ آمَنتُ باللهِ، ثمَّ اسْتَقِمْ "مسلم. اسْتَقِم بالعمَلِ على مَا آمَنْتَ به .. هذا هو المطلوبُ مِنك .. وهذا الذي يجبُ أن تحرصَ عليه، وتتمسَّكَ به .. وليسَ عليكَ بعدَ ذلك مِن شَيءٍ .. كما ليسَ لكَ وراءَ ذلك أن تَشترطَ على الإيمانِ، والاستقامَةِ عرَضَاً من عرُوضِ الدُّنيا، أو أن تَبْلُغَ غايَاتِك، وأهدافَكَ في الحيَاةِ الدُّنْيا .. لَا؛ فهذا ليسَ لك .. وإنما هو للهِ تعالى وحدَه، إن شاءَ اللهُ أعطَاكَهُ، وإن شَاءَ منَعَك .. واعلَمْ أنَّ مِنَ الأنبيَاءِ مَن لا يُؤمِنُ بهِ إلَّا الرَّجلُ الواحِدُ!

* * * * *

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا

1357- [وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ]الأحقاف:17. هذا الحوارُ بين الوالِدَين المؤمنَين، وبينَ ولدِهما العاصِي والعَاق .. يمثِّلُ كلَّ حوارٍ - في كلِّ زمانٍ ومكانٍ - بينَ الحقِّ وبينَ الباطِلِ .. بينَ الهِدايَةِ وبينَ الضَّلالِ .. بينَ الإيمانِ، وبينَ الكُفْرِ، والإلحادِ .. بينَ الطَّاعَةِ وبينَ المعصيَةِ .. بين الرِّضَا وبينَ العُقُوق .. كم مِن والِدٍ يأمرُ أبناءَه بالصَّلاةِ، ومُصَاحبَةِ الأخيَارِ، واجتنَابِ الأشرَارِ، فيُقابلُ الأبناءُ أمرَه وطلبَهُ بالاستخفَافِ، والاستهزَاءِ، والإعرَاضِ .. وكم مِن أمٍّ تأمرُ ابنتَها بالحجابِ، والسِّترِ، والعفَافِ .. فتُقابلُ البنتُ طلَبَ أُمِّها بالرَّفضِ، والاستخفَافِ، والاستهزَاءِ .. ولهؤلاءِ جميعًا، ولمن كان على شَاكلتِهم مِن العُصَاةِ العَاقِّين لرضَا اللهِ، ورِضَا الوالِدَين، على مَا بينَهم مِن تفاوتٍ في درجَةِ الانحرَافِ، يُقَال لهم:[وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ].

* * * * *

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

1358- [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ]الأحقاف:35. هذا أمرٌ مِن اللهِ تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، وللعلماءِ مِن أمَّتِه مِن بَعدِه، وإلى قِيامِ السَّاعةِ .. بأن يَصبروا على أذَى المخالفين لهم مِن الناسِ .. وأن يمضُوا إلى ما أمرَهم اللهُ به .. وأن يجعلُوا مِن أُولي العَزْمِ من الرُّسُلِ قدوةً ومثَلاً أعلى لهم في الصَّبرِ على أذَى قومِهم، وفي الثباتِ، ومواجهةِ الشدائدِ، وهم: نوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسَى، وعيسَى عليهم السلام .. وأن لا يَستعجلُوا نزولَ العذَابِ على المخالِفين .. فهذا أمرٌ مردُّه إلى اللهِ تعالى وحدَه .. إن

شَاءَ رحمَهم، وهدَاهم، وأخرجَ من أصلابِهم مَن يوحِّدَ الله .. وإن شَاءَ عذَّبَهم، وأخذَهم أخْذَ عزِيزٍ مُقتَدِر .. فله الأمرُ مِن قَبلُ ومِن بَعد .. أمَّا الدُّعَاةُ إلى اللهِ تعالى فهمُّهم الأكبرُ والأساسُ دَعوَةُ الناسِ، وأطرهِم إلى الحقِّ .. وليسَ استعجَالَ نزُولِ العَذابِ بِهم.

1359- [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ]الأحقاف:35.
لكي يتمكَّن العلماءُ والدعاةُ إلى اللهِ تعالى أن يَصبرُوا صَبرَ أُولِي العَزمِ من الرُّسُلِ، وهُم: نوحٌ، وإبراهيمُ، ومُوسَى، وعيسَى، ومحمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. فهذا يَستدعِي مِنهم أن يكونُوا على دِرايَةٍ جيدَةٍ مِن سِيرَةِ وجِهَادِ وصَبْرِ أُولِي العَزْمِ مِن الرُّسُلِ .. وأن تُعَمَّم دِرَاسَةُ سِيرَتِهم على التَّلاميذِ وطُلَّابِ العِلْمِ .. فالآيةُ فيها حضٌّ على التفقُّه بسيرَةِ أُوْلِي العَزْمِ مِن الرُّسُلِ .. وإلَّا كيف يمكنُ الاقتدَاءُ بهم في الصَّبرِ، والثباتِ، والجهَادِ .. وأن نجعَلَ مِنهم لأنفُسِنا قُدوةً ومثَلاً أعلَى .. ونحنُ نجهلُ سِيرتهم العَطِرَة؟!

* * * * *

سورة محمد

ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ

1360- [ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ]؛ الكُفرَ، والشِّركَ، [وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ]محمد:3. الإيمانَ، والتَّوحِيدَ.

* * * * *

وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ

1361-[وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ]؛ لانتصَرَ مِنَ الكافرين المحارِبين بـ " كُنْ " فيكُون، مهمَا كانَت قوَّتُهم، وكان عددُهم، وكانت عِدَّتُهم .. فاللهُ تعالى لَا يُعجِزُه شيءٌ، وهو القَاهرُ فوقَ عبادِه، [وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ]؛ ولكن قضَت مَشيئةُ وحكمةُ اللهِ تعالى أن يبتليَ المؤمنين بالكافِرين، وأن يتدافعَ الحقُّ وأهلُه معَ الباطلِ وأهلِه، فيُدْفَعُ الباطِلُ بالحقِّ، فيدمَغُه .. وأن يُظهرَ عِلمَه بعبادِه؛ فيُعرَفُ المجاهدُ الصَّابرُ المُقْبِلُ مِن خلافِه، فيُعلي بهم كلمةَ الحقِّ، ويَصطَفي مِنهم شُهدَاءَ .. ويُرسلُ الكافرين والمنافقين إلى النارِ حطَباً للنَّارِ .. فقتلَى الحقِّ في الجنَّةِ، وقَتْلَى البَاطلِ في النَّارِ، [وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ]محمد:4. لن يُذهِبَ أعمالَهم الحسنَة من غير مثُوبةٍ وأجرٍ، بل يُضاعِفُ لهم الحسَنَات ويُنَمِيها، ويُجْرِيها لهم، وهم في عالَمِ البرزَخ وإلى أن تَقومَ السَّاعَةُ .. بخلافِ الكافرين المشركِين، فالشركُ يحبطُ أعمالَهم، ويُذهِبها، ويجعلُها هباءً مَنثوراً.

* * * * *

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ

1362-[سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ]محمد:5. الذين يُجاهِدُون في سَبيلِ اللهِ؛ فيجمَعُون بين جهادِ النَّفْسِ، وجهَادِ العدُو .. سيوفِّقُهم اللهُ لما فِيه خَيرَي الدُّنيا والآخِرَةِ .. فأسْعَدُ الناسِ وأوفرُهُم حظَّاً بهدَايةِ التَّوفيقِ، والتَّسديدِ هم المجاهِدُون، [وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ]؛ يُصلحُ خاطِرَهَم، وحَالَهم، وشَأنَهم، وتفكيرَهم .. ومِن إصلاحِ البالِ؛ سَدَادُ الرَّأيِ، وهدُوء النَّفْسِ، وراحَتِها، وبُعْدها عن القَلَقِ، والأرَقِ، والهمِّ، والكآبَةِ .. هذه الأمراضُ النَّفسِيَّة التي لَا يَسلمُ مِنها أو من بَعضِها أحَدٌ ضَلَّ طَريقَ الإيمانِ، والتَّوحِيدِ!

* * * * *

إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ

1363- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. شَامِلٌ لجميعِ المؤمنين؛ على مُستوى الدَّولَةِ، ومستوى الجماعةِ، ومُستوى الفَرْدِ .. فَمَن نصَرَ اللهَ ولو كان فَرْداً؛ نَصَرَهُ اللهُ، وأظهرَه، وأعْلَى شَأنَه.

1364- لا يكنْ همّكَ نَصرُ اللهِ لك، ولكن ليكُنْ همّك الأكبر، نَصرُكَ لله، فإذا ما نصرتَ اللهَ، جاءك نصرُ اللهِ والفَتح، قال تعالى:[إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. فقدّمَ نصرَكَ له، على نصرِه لك، وجعَلَ نَصرَك له شرطاً لنصرِه لك .. ووعْدُ اللهِ لكَ ـ إن نصَرْتَه ـ لَا، ولَن يتخلَّف.

1365- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ]؛ بطاعَتِه، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [يَنصُرْكُمْ]؛ اللهُ على عَدُوِّكُم، [وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]محمد:7. عِندَ لقاءِ العَدُو، ومواجَهتِه .. مَفْهومُ المخالَفَةِ؛ إن لم تَنصُرُوا اللهَ، لا ينصرْكُم اللهُ.

1366- [إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ]محمد:7. على قَدْرِ مَا تَنصُرُوا اللهَ، يَنصُرْكُم اللهُ.

1367- [إِن تَنصُرُوا اللَّهَ]؛ هَذا هو عَمَلُك، وهَذا هو ميدَانُك، ومَوْطِنُ اجتِهَادِك، [يَنصُرْكُمْ]محمد:7. هذا عمَلُ اللهِ، لا نَتَدَخَّل بِه، ولا بكَيفيَّتِه، ولَا بزَمَانِه.

* * * * *

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

1368- [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]محمد:19. لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .. ليسَت مجرَّدَ كلماتٍ أو ذِكْرٍ يجرِي على اللسانِ معَ غَفْلةٍ عَن مَعْنَاها، وشرُوطِها، ودَلالاتِها، ولوازِمِها .. بَل هي عِلمٌ ليسَ لمُنتَهاه حَدّ يقِفُ عِندَه طالِبُ العِلم .. هي بَحرٌ ليسَ لمنتهاه شَاطِئ .. هي كَنْزٌ فوائدُه على مَدَارِ العُصُورِ والدُّهورِ لا تَنْضَبُ، ولا تَعرفُ النُّقصَانَ .. هي تَفسيرٌ دَقيقٌ لحركةِ الوجودِ كُلِّه .. ولو أنَّ ذرَّات الكونِ كُلِّه اتَّحدَت على كتابةِ رِسَالةٍ واحِدَةٍ؛ لكانت هذه الرِّسالة هي لا إله إلا الله .. " فإنَّ السَّمَاواتِ السَّبْع، والأَرَضينَ السَّبع، لَو وُضِعَتْ في كَفَّةٍ، ووُضِعَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ في كفَّةٍ، لرجَحَت بِهِنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ولَو أنَّ السَّماواتِ السَّبعَ، والأرضينَ السَّبعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبهَمَةً لقَصمَتْهُنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ " .. ومَهْمَا أُوتِي المرءُ مِن العِلمِ، يُقال له:[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]؛ أي استمِرْ في الارْتِقاءِ، والاستِزادَةِ مِن العِلمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ "، ولا يَحملنَّكَ العِلمُ بمَعنَاها، أو ببعضِ فوائدِها وثمارِهَا، أو قراءةُ كتابٍ أو كتابَين عن مَعْنَاهَا، وشُرُوطِها .. على التَّوقُّفِ عن العِلمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .. وإنِّي قد تجاوزتُ السِّتّينَ مِن العُمرِ في طَلَبِ العِلمِ .. وإني لا أزَالُ أشْعُر أنَّني بحاجَةٍ مَاسَّةٍ للمزِيدِ مِن التَّفَقُّهِ والعِلْمِ بـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ".

* * * * *

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ

1369- [وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ]محمد:30. لَتَعْرِفَنَّ المنافِقِينَ بمعَانِي ومَرَامِي كلَامِهم، لَا بصَرِيحِهِ .. فهم أجْبَنُ مِن أن يُصَرِّحُوا عمَّا في قلُوبِهم مِن العَدَاوَةِ والكُفْرِ .. لِذَا تَراهُم يلتَجِئونَ إلى المتَشَابَهِ مِن القَوْلِ؛ حمَّال أوْجُهٍ ومَعَانٍ .. ولَا يخفَى حَالُهم على مَن

خَبِرَهم، وخَبرَ أَسَاليبَهم مِن أهلِ العِلم .. وهُم يَتكَاثَرُون في المواطِن التي تكونُ فِيها الشَّوكَةُ للمؤمنِين.

* * * * *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

1370- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ]؛ نختبركم بالتَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ؛ مَن سيُطيع، ومَن سيَعْصِي، [حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ]، حتَّى نُظهرَ ظهورَ عَيانٍ المجاهدِين الذين يُجاهِدُون في طاعَتِنا .. والصَّابرين الذين يَصبرُون على تكاليفِ الجهادِ والطَّاعَةِ .. نظهرهُم ممَّن سواهم، ونميزُهم عَن غَيرِهم؛ ممَّن لا يجاهِدُون، ولا يَصبرُون، [وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. فنُظهِرُ المطيعينَ، ومَا كان منهم مِن طاعةٍ لله .. والعاصِين، وما كان مِنهم من مَعصيَةٍ لله .. لأن الحِسابَ يومَ القيامَةِ يكونُ على ما يَظهرُ مِن العِبَادِ؛ من اعتقادٍ، وقَولٍ، وعمَلٍ .. وليسَ فقط بما يكونُ من عِلمِ اللهِ بعبادِه .. وهذا من تمامِ وكمالِ حُجَّتِه سُبحانه على خَلْقِه.

1371- [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ]محمد:31. فيه أنَّ اللهَ تعالى يَختَبِرُ، ويَبْتَلِي، ولا يُخْتَبَر، ولا يُجَرَّب .. فتعَالى اللهُ عن ذلك عُلواً كَبيراً .. فحَذَارِ أن تُلْقِي نفْسَك في تَهلُكَةٍ .. ثم تَقولُ: أريدُ أن أختبرَ الله، وأجرِّبَه هل سينقُذني، وهل هو قادِرٌ على إنقَاذِي .. حَذَار أن تَفعلَ شيئاً مِن ذلك؛ فهذا من تَلبيسِ إبليسِ عليك .. اللهُ تعالى يَفعَلُ ما يَشاءُ، وقتَمَا يَشاءُ، إذا شَاءَ .. لا رَادَّ لأمْرِه، ولا سُلطانَ لأحَدٍ على أمْرِه!

* * * * *

وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ

1372-[وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. نَكْشِفُ عَن نَوَايَاكُم وخَبايَاكُم، ونُظْهِرُ المخْلِصَ مِنْكُم مِن المُرَائِي.

* * * * *

وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ

1373-[وَإِن تَتَوَلَّوْا]؛ عن طَاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، [يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ]؛ يُطيعُونَ اللهَ، ورسولَه صلى الله عليه وسلم، [ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]محمد:38. في العصْيَانِ، وعَدَمِ طاعَةِ اللهِ، ورسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

سورة الفتح

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ

1374-[مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ]الفتح:29. مِن أَعظَمِ المِنَنِ والنِّعَمِ على الأرضِ وأهلِهَا؛ إنْسِهِم وجِنِّهم، كافِرِهِم، ومُؤمِنِهم .. الدَّوَاب وما تُنْبتُ الأرضُ .. أنْ أرْسَلَ اللهُ محَمَّداً صلى الله عليه وسلم .. تَأَمَّلُوا الحياةَ الدُّنيا مِن دُونِ محَمَّدٍ كم هي ظَالمةٌ، ومُظْلِمةٌ .. وجَافَّة ومُمِلَّة .. الحمدُ للهِ كثيراً أن أرسَلَ محَمَّداً .. والحمدُ للهِ كثيراً أن جَعَلَنا مِن أتْبَاعِ محَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

1375-[مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ]؛ المحَارِبِين، [رُحَمَاء بَيْنَهُمْ]الفتح:29. مفهُومُ المخالفَةِ أنَّ مَن كان شَدِيداً على المؤمنين، لَا يَرحمُ ضَعْفَهم وضُعفَاءَهُم، يُسيءُ الظَّنَّ بِهم، ولَا يتأوّل لعثرَاتِهم، ولا يُقِيلُها .. يتَرَبَّصُ لهم الزَّلَّاتِ، والكَبَوَاتِ، والغَفَلاتِ، والهفَوَات .. وفي المقَابلِ تَراهُ رَحِيماً على الكافِرين المحارِبين،

قريباً مِنهم، ويُجادِلُ عَنهم .. فهو ليسَ على نهْجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ومَن آمَنَ معَهُ واتبعَه مِن الصَّحابَةِ، والتَّابعِين لهم بإحسَان .. وليس مِن أتبَاعِهِم.

* * * * *

سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

1376- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]الحجرات:1. لا تُقَدِّمُوا بين يدَي الكتَابِ الذي هو كلامُ اللهِ .. ولا بين يدَي السُّنَّةِ؛ التي هي بلاغُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن ربِّه .. بقولٍ، أو فهمٍ، أو عمَلٍ .. أو بتحسينٍ أو تَقبيحٍ .. يخالفُ ما جاءَ في الكتَابِ والسنَّةِ .. فإيمانُكم يَقتضي منكم الرِّضَا، والتَّسليمَ لحكمِ الكتَابِ والسنَّةِ مِن دونِ تَعقيبٍ، ولَا مُعارَضَةٍ، أو اعتراضٍ.

الذين يُعارضُون النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويقدِّمُون بين يدَيه، فيما أخبرَ عن صِفاتِ ربِّه؛ فينفُون صِفَاتاً أثبتَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ويُثبتُون صِفاتاً لم يُثبتْها النبيُّ صلى الله عليه وسلم .. مثلُهم مثَل مَن يُعارضُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويقدِّمُ بين يديَه في الحلالِ، والحرَامِ .. ولربما أشَد!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

1377- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ]الحجرات:2. إذَا كانَ مجرَّدُ رَفْعِ الصَّوتِ فَوقَ صَوتِ النَّبي صلى الله عليه وسلم، يُخشَى على صاحِبه أن يحبَطَ عمَلُه، وهو لا يَشعُرُ، ولا يَدْرِي، ولا يُحبِطُ العملَ إلا الشِّركُ والكُفْرُ، كما قال تعالى:[

لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ]الزمر:65. فكيفَ بمن يَرفعُ حُكمَهُ، وفَهمَهُ، ورأيَهُ، وقولَه، فوقَ حُكْمِ وسُنَّةِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم .. لا شَكَّ أنَّه أَوْلَى بالخُزْي والخُسرَانِ، وأنْ يَحبَطَ عملُه.

* * * * *

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى

1378- [أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى]الحجرات:3. اختبَرَ اللهُ قلُوبَهم بالتَّكالِيفِ والطَّاعاتِ، وأخلَصَها مِن الشُّبهاتِ، والشَّهَوات .. لتُصْبحَ صَالحةً ومؤهلةً للتَّقْوَى، ولتَرقَى إلى مَقَامِ التَّقْوَى.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا

1379- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا]؛ وفي قراءَةٍ فتَثَبَّتوا .. مِن مَدَى صِحةِ ما جاءكُم به الفاسقُ مِن أنباءٍ، وأخبارٍ .. قبلَ أن تتبنَّوه، وترتّبوا عليه مواقفَ، وأحكاماً، وإجراءات، [أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ]؛ حتّى لا تُنزِلُوا عُقوبةً بمن كُذِبَ عليهم، وتَتَّخذوا مِنهم موقِفاً، وأنتم لحقيقةِ الأمرِ جاهِلُون، [فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]الحجرات:6. على مَا فرَّطتُم، وعلى ظلْمِكم للبريءِ .. ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

هذا الخطابُ وجّه للرعِيلِ الأوَّلِ مِن الصَّحابةِ الكِرامِ؛ الذين عُرِفُوا بالعدَالَةِ، والصِّدقِ والتَّصْدِيقِ .. فما يكونُ القولُ في زمانِنَا الذي فشَا فيه الكذبُ، وفُقِدَت الأمانَةُ، وتَزاحمَت فيه الأهواءُ، والنّوازِعُ؛ حتَّى في النَّقلِ والإخبارِ .. والإفْتاءِ .. كما في الحديثِ، فقد صحَّ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" احفَظُوني في أصحابِي، ثمَّ الَّذينَ

يلونَهُم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم، ثمَّ يَفشو الكذِبُ حتَّى يَشهدَ الرَّجلُ وما يُستَشهَدُ، ويَحْلِفَ وما يُستَحْلَفُ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُ أُمَّتي قَرْني، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ "البخاري.

* * * * *

وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

1380- [وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ]الحجرات:11. من التنابُزِ أن تقولَ لأخيكَ بغيرِ حَقٍّ، ولأدنى خِلافٍ: يا كافر، يا فاسق، يا ظالم .. يا مبتدع .. يا خارجي .. يا مرجئ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ

1381- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ]؛ وليسَ كُلّ الظَّنِّ؛ لأنَّ مِن الظَّنِّ مَا يَنفعُ، وبخاصَّة في مَواطِنِ الصِّرَاعِ والتَّدَافُعِ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، [إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ]الحجرات:12. وليسَ كُلّه .. والإثمُ منه مَا كانَ في المؤمنين الصَّالحين. وفي الأثَرِ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" مَنْ لم يَنْفَعْهُ ظَنُّه لم يَنْفَعْهُ يَقِينُه ". وقِيل لعَمْرو بن العاص: مَا العَقْلُ؟ فقال: الإصَابَةُ بالظَّنِّ، ومَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ بمَا قَدْ كَان.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

1382- [إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ]الحجرات:12. توَّابٌ؛ صِيغةٌ تُفيدُ الكَثرَة؛ أي أنَّ اللهَ تعالى كثيرُ التَّوبةِ على عِبادِه المستغفِرين التَّائبين .. لَا حَدَّ لعدَدِ توبتِه على عِبادِه ..

وهذه صِفةٌ عظيمةٌ من صِفاتِ الخالِقِ سُبحانه وتَعالى، مِن لوازِمِها وجُودُ المخطِئين .. ووجودُ التَّائِبين .. ومَهمَا كثر عدَدُ المخطِئين التَّائِبين، وعظُمَت ذنوبُهم، فاللهُ تعالى أكثرُ وأعظمُ تَوبةً على عبادِه التَّائِبين، [رَّحِيمٌ]؛ بِهم.

* * * * *

وَلَا تَجَسَّسُوا

1383- [وَلَا تَجَسَّسُوا]الحجرات:12. التَّجَسُّس المنهي عنه نَوعَان: مجَرَّدٌ، ومُغَلَّظٌ .. المجرَّدُ منه؛ ما كان لأغرَاضٍ شخصيَّةٍ، وكَيْدِيَّةٍ داخِليَّةٍ بين المسلمين، وهذا النوعُ من التَّجَسُّسِ مَعصِيَةٌ، وكبيرَةٌ مِن الكبَائِر؛ لَا يَرقَى إلى دَرجَةِ الكُفْرِ .. أما المغَلَّظُ منه؛ ما كان التَّجَسُّس له الطَّابع الأمْنِي، والعَسْكَري، والسِّيَاسِي؛ كمن يتجسَّسُ لصَالح العَدُو الكافِرِ على الإسلامِ والمسلمين، وعلى أوطَانِهم .. فهذا النَّوعُ مِن التَّجَسُّسِ ـ لأهميته وخطورَتِه ـ يَدخلُ فيه أعلى درَجَاتِ الموالَاةِ والنُّصرَةِ، ويترتَّبُ عليه هزيمةُ أو انتصَارُ دُولٍ وجيُوشٍ، وبخاصَّة في زمَانِنا الذي تقوم الحرُوب فيه على التَّجَسُّسِ، ويكونُ التجسُّس العنصُر الأهَم والأبرَز في تحديدِ مَصيرِ ومَآلَاتِ المعَارِكِ والصِّراعَاتِ .. وهذا النوع المغَلَّظ من التَّجَسُّسِ عندما يُصرَف لصَالح الأعدَاءِ ضِدَّ الإسْلامِ والمسلمين، كُفْرٌ أكبَر، وصَاحِبُه يَكفُرُ، ويَخرُجُ مِن دَائرةِ الإسلام!

1384-[وَلَا تَجَسَّسُوا]؛ وهو الاطِّلاعُ على خصُوصِيَّاتِ الآخَرين، وعلى كَلِمَاتِهم، مِن دُونِ علمِهم، وإرادَتِهم .. حتَّى الكَشْف عنِ الذُّنوبِ والمذْنبين، لا يجوزُ اعتمادُ التَّجَسُّسِ كوسيلةٍ؛ لأنَّ التَّجَسّسَ فيه ظلمٌ وعدوانٌ على خصُوصيَّاتِ الناسِ؛ مُؤدَّاه إلى إيْغَارِ الصُّدُورِ، وفقدَانِ الثِّقَةِ بين النَّاسِ، وكشْفِ المخبُوءِ، والمسْتُورِ، ومَا قَد سَتَره اللهُ، [وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً]الحجرات:12. والغِيبَةُ؛ ذِكْرُكَ أخاكَ ـ في غَيْبَتِه ـ بما

يَكْرَه .. ووجه التَّرابُطِ بين التَّجَسُّسِ والغِيبَةِ؛ أنَّ مَن يتجسَّسُ لا مَحالَة سيَقَعُ في الغِيبَةِ على مَن تَجَسَّسَ عليه .. وبخاصَّة إن كانَ المتجَسِّسُ يمتَهِنُ التَّجَسُّسَ كوظِيفَةٍ، ويتجَسَّسُ لصالِحِ الآخَرين.

استثناءٌ: يُستَثْنَى مِن التَّجَسّسِ المحظُورِ؛ التَّجَسُّسُ على العَدُو، وعلى تحركاتِه؛ لمعرفَةِ مَكامِنِ ضَعْفِه وقوَّتِه .. كذلك التَّجَسّس على معَاصٍ وجَرَائم يتَعَدَّى ضَرَرُهَا إلى المجتمَعِ والنَّاسِ، كالاتِّجَارِ بالمخدَّراتِ، ونحوَها مِن الجرَائِمِ .. أرجُو أن يكونَ هذا النوعِ من التَّجَسُّسِ لا حَرَجَ فِيه.

* * * * *

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

1385-[يَا أَيُّهَا النَّاسُ]؛ خِطَابٌ خَالِدٌ موجَّهٌ لجميعِ النَّاسِ على مَرِّ العُصُورِ والأزْمَانِ، [إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى]؛ آدَم وحَوَّاء .. مَهمَا تكاثَرتُم .. وانتَشَرتُم، وتَوزَّعْتُم في الأرْضِ .. وتَعدَّدَت أنسَابُكم ولغَاتُكم وألوانُكُم .. فأنتم جميعاً تَرجِعُون في النَّسَبِ إلى أبَوَين؛ هما آدَم وحَوَّاء .. فَلَا يَستَعلِ بعضُكُم على بَعضٍ، ولا يَفخَر بعضُكُم على بَعضٍ؛ فكلُّكُم مِن آدَم، وآدَم مِن تُرابٍ، [وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ]؛ متَعَدِّدَةُ الأعْرَافِ، والأعْرَاقِ، والألْوانِ، واللُّغاتِ، والأوْطَانِ .. هذا التَّعَدُّدُ والتَّنوُّعُ لا لِكَي نَتقَاتَلُوا، وتَتَحَاسَدُوا، ونتَدَابَرُوا، ويَبْغِي بَعضُكُم على بَعضٍ .. لا .. وإنَّما [لِتَعَارَفُوا]؛ لتَتكامَلُوا، ولتَتَعرَّفُوا على بعضِكم البَعْض؛ وتَتبَادَلُوا العلُومَ، والمعَارِفَ، والمنَافِعَ فِيمَا بينَكم .. فَمَا هو نَاقِصٌ عند شَعْبٍ من الشُّعُوبِ، قد يكونُ موجُوداً عند شَعْبٍ آخَرٍ، فيكْتَمِلُ النَّقْصُ ويَنجبرُ بالتَّعارُفِ عليه، [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]الحجرات:13. هذا هو الميزَانُ الذي على أَسَاسِه يَتمُّ التَّفَاضُل .. لا اللَّونُ .. ولا الغِنَى .. ولا العِرقُ .. ولا القُوَّةُ .. ولا النَّسَبُ ..

ليسَ شَيئاً مِن ذلك .. وإنما التَّفاضُل يكونُ على أَسَاسِ " التَّقْوَى "، والتَّقْوَى وحَسْب .. والمنَافَسَةُ .. والمسَارَعَةُ .. والسِّبَاقُ فِيما بينَكُم .. يَنبغِي أن يكونَ في ميدان " التَّقْوَى " لا غَير .. فالتَّقْوَى يَرْفَعُ أَقْوامَاً، ويَضَعُ أقوامَاً!

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى

1386-[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى]الحجرات:13. المثْلِيُّون، والحَدَاثِيُّون الليبرَاليُّون، أعْداءُ الفِطْرةِ، يقُولُون: هنَاكَ صِنفٌ ثالِثٌ، مِن دُونِ أعضَاءٍ تَنَاسُلِيَّةٍ، لا هو ذَكَرٌ، ولا هو أُنْثَى .. والتَّحْدِيثُ لا يَزَالُ مُستَمِرَّاً لَدَيهِم، فقد نُفَاجَأ غَداً بصنفٍ رَابِعٍ، وخَامِسٍ .. وعاشِر؟!!

* * * * *

سورة ق

مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

1387-[مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]ق:18. رَقِيبٌ مِن الملائِكَةِ حَاضِرٌ على مَدَارِ الوقتِ، مُعَدٌّ لمراقَبَتِه، وتَسجيلِ كُلِّ مَا يَتلفَّظُ بِهِ من خَيرٍ أو شَرٍّ .. سواءٌ كان صَوتَاً أم كتَابةً .. وهَذا يَستَدْعِي مِن المرْءِ أن يُرَاقِبَ نفْسَه جيداً، ومَا يَصدر عنه مِن قَولٍ .. ويَزِنَ كلماته قبلَ أن يتَلَفَّظَ بها أو يخطَّهَا؛ هل هي في خانَةِ الخَيرِ والحَقِّ أَم في خانَةِ الشَّرِّ والباطِلِ .. وفي الحديث:" وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ على مَنَاخِرِهِمْ في جَهنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ". وكان من السَّلَفِ مَن يَقُول:" ما شَيءٌ أحقَّ بِطُولِ سِجْنٍ من اللِّسَانِ ". وكان الحسَنُ البصري يقول:" ما عَقَلَ دِينَهُ مَن لَمْ يحفَظْ لِسَانَه ".

* * * * *

وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ

1388-[وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم]؛ على الكَافِرِين [بِجَبَّارٍ]ق:45. تُجْبِرُهُم على الإِيمان؛ لِتَمْضِي مَشِيئَةُ اللهِ في خَلْقِه؛ فَرِيقٌ إلى الجَنَّةِ، وفَرِيقٌ إلى السَّعِير.

* * * * *

سورة الذاريات

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

1389- [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]الذاريات:21. أفَلَا تُبْصِرُون ـ بصَرَ تمعُّنٍ، وتفَكُّرٍ، وتَدَبُّرٍ ـ مَا في أنْفُسِكُم مِن عجائبِ الخلْقِ والنَّشْأةِ والتَّصْويرِ .. وعجَائبِ النَّفسِ وتَقلُّباتِها، وميولاتِها، ومَا جُبِلَت، وفَطِرَت عليه .. وعجَائبِ الوظَائفِ لكلِّ عُضوٍ مِن أعضَاءِ الجَسَدِ الظاهرَةِ والباطِنَةِ .. الدَّالَّةِ قَطْعاً ويَقيناً على بُطلَانِ القولِ بخرافَةِ الصِّدْفَةِ .. والدَّالَّةِ قَطْعاً ويَقِيناً على أن الخالِقَ والمصوّرَ هو اللهُ تَعَالى وحده .. وأنَّه هو الإلهُ المعبُودُ بحقٍّ، لا إله إلَّا اللهُ .. والدَّالَّةِ قَطْعَاً ويَقيناً أن اللهَ تعَالى لم يَخلُقِ الإنسانَ ـ بهَذا التَّصويرِ البَدِيعِ والفَريدِ ـ عَبَثَاً .. وإنّما خَلَقَهُ؛ ليعبُدَ اللهَ، وليكونَ أهْلاً لتَلَقِّي التَّكاليف، والرّسَالات مِن اللهِ تَعالى.

1390- [وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]الذاريات:21. فِيه حَضٌّ على دَوامِ النَّظَرِ في مكنُوناتِ وأسْرارِ النَّفْسِ البَشَريَّةِ؛ النَّظَرُ في شقَّيْهَا النَّفْسِي المعْنَوي .. والجَسَدِي العُضْوِي .. لما تَنْطَوِي على مَعَانٍ وأسرَارٍ عجيبَةٍ فَريدَةٍ .. تتَكَشَّفُ للإنسانِ مع الزَّمَنِ ودوَامِ النَّظَرِ فِيها .. وها هو العِلمُ الحدِيثُ في كلِّ يَومٍ يكشفُ لنا عن سِرٍّ جَديدٍ مِن أسْرَارِ هذه النَّفسِ يتعلَّقُ إمَّا بالجانِبِ الجسَدِي العُضْوِي .. وإمّا بالجانِبِ النَّفْسِي المعنَوِي .. والاكتِشَافَات لا تَزالُ مُستمِرَّةً لا تَتوقَّف .. أفَلا يَدلُ ذلك على الخالِقِ القَدِيرِ؟!

* * * * *

وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

1391- [وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]الذاريات:22. مِن رِزْقٍ؛ مَصدرُه ومَقَرُّه في السَّمَاءِ؛ وذلك لَمَّا كان الرِّزقُ في الأرضِ كُلِّه متوقِّفاً على نزُولِ المطَرِ مِن السَّماءِ .. وكان المطرُ سَبباً لحياةِ واستمرارِ الأرزاقِ في الأرضِ .. عُدَّت السَّماءُ مَصْدراً ومَأوى لأرزاقِ النَّاسِ، وغيرِهم.

* * * * *

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ

1392- قولُه تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]الذاريات:50. يُفيدُ أنَّ شَرّاً يُطارِدُك، ويَطْلُبُك بقوةٍ وإلحاحٍ ـ متمثّلاً بالشّيطانِ وجُندِه وأدواتِه ـ لا مَلْجَا ولا مَنْجَا منه إلا باللجوءِ إلى الله، والاحتماءِ به سُبحانَه، والاعْتِصَامِ بحَبْلِه.

1393- [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ]الذاريات:50. الخَطرُ يُداهِمُك، ويَطلبُك من جِهَتَين: مِن جِهَةِ الدُّنْيَا بعوالِقِها، وجواذِبِها، وزِينَتِها .. فإنَّها تُلاحِقُكَ، وتُريدُ أن تَسْتَهلِكَ مِنكَ الجهْدَ والوقْتَ .. ومِن جهةٍ أُخرَى الأجَلُ؛ فإنَّه قابعٌ لك بالمرصَادِ، يَطلبُك حَثِيثاً .. في كلِّ دقيقةٍ يدنُو مِنك لا تَدري متَى يُدْرِكُك .. فإذا جاءَ لَا يَستأخرُكَ دقيقةً واحدةً، ولا أدْنَى مِن ذلك .. فالقضيَّةُ إذاً لا تَستدعِي مِنك المشي والسَّعيَ بهدوءٍ وبِطءٍ، بل ولا حتَّى الهرولَة تكفِي للنَّجاةِ .. وإنَّما تتطلَّبُ مِنكَ الفِرارَ بكلِّ ما أُوتِيتَ مِن عَزْمٍ، وقوَّةٍ، وحرَكَة .. عسَاك بعدَها تنجُو مِن الطَّالِبَيْن: الدُّنيَا، والأجَل .. فتَصِل إلى بَرِّ الأمَانِ، قبلَ فوَاتِ الأوَانِ .. لكن الفِرَار إلى مَن .. إلى اللهِ؛ خَالِقك، ومالِكك، ومعبُودك، الذي إليه سَتَرجعُ .. وهو على موعدٍ مَعَك عِندَ الموتِ، ومَا بَعدَ الموتِ .. لَن تُخْلَفَه .. والفِرارُ إليه يكونُ بتوحِيدِه، وعِبادَتِه، وطاعَتِه، وطَاعَةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلم، والتَّخْفِيفِ مِن العَوَالقِ مَا أمْكَن.

* * * * *

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ

1394- [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ]الذاريات:54. مَن قَامَت عليه الحُجَّةُ الشَّرعيَّةُ، وبلغَهُ الخطَابُ الشَّرْعي فِيما قَد خَالَفَ فِيه .. ثمَّ قابلَ الخِطَابَ بالردِّ، والاستخفَافِ، والإعرَاضِ .. لَا تُطِلْ الوقُوفَ عندَه .. ولَا تَأسَ عليه .. ولو أعرَضْتَ عنه، وتركتَهُ إلى غَيرِه لَا تُلَامُ، ولَا تُؤاخَذ.

* * * * *

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

1395- [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ]الذاريات:55. لَا تَزهَدَنَّ بالتَّذْكِيرِ .. ولا تَبخَس نفْسَكَ وعِلمَكَ، فتَمتَنِع عنِ التَّذكِيرِ .. ذَكِّرْ ولو بآيَةٍ أو حَدِيثٍ .. فإنَّ المؤمنينَ سيَنتَفِعُون بتذكِيرِكَ مَهْمَا كانَ متواضِعاً أو قَلِيلاً .. فإن لم يكُنْ في يَومِك .. قَد يكونُ في غَدِك .. وربَّما بعدَ مَوتِك .. فكم مِن كلمَةِ تَذْكِيرٍ أطلَقَهَا العُلَمَاءُ انتفعَت بها الأجيالُ مِن بعدِهم أكثر مِن الجيلِ الذي يُعاصِرُونَه .. فَذَكِّرْ .. وأخْلِصْ في التَّذْكِيرِ .. ودَع القُبُولَ لله.

* * * * *

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

1396- [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. الغَايَةُ مِن خَلْقِ الإنسِ والجنِّ تحقيقُ العِبادَةِ، أن يَعبدُوا اللهَ ولا يُشرِكُوا به شيئاً .. فهل بعدَ هذه الغايَة مِن غايَةٍ؟ نعم، وهي غايةُ الرِّضَا، أن يَرضَى العبدُ عن رَبِّه، ويَرضَى الربُّ سُبحانَه عن عبدِه .. فهل بعد هذه الغايةِ مِن غايَةٍ؟ نعم، وهي تحقيقُ المحبَّة، محبَّةُ العبدِ لخالِقِه، ومحبَّةُ

الخالِقِ سُبحانَه لعبْدِه .. وهي أسمَى وأعظَمُ وأجَلُّ الغَايَات .. وهي غايَةُ الغايَات لا تُوازِيها غاية .. وليس بعدَها، ولا فوقَها غاية تُطْلَب.

1397- [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ]؛ لشيءٍ، [إِلَّا]؛ أداةُ استثناءٍ بعدَ نَفْيٍ؛ تُفيدُ الحَصْرَ والقَصْر، [لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. ليعبُدُوا اللهَ تعالى وحدَه، ولا يُشرِكُوا به شَيئاً .. العِبادَةَ العَامَّةَ والشَّامِلَةَ لجميعِ المسَاحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنسانُ .. والشَّامِلَةَ لجميعِ ما يحبُّه اللهُ تعالى من الأعمالِ والأقوالِ الظَّاهِرةِ والبَاطِنَة.

الآيةُ قد حدَّدَت الغايَةَ العُظْمَى مِن خَلْقِ الجِنِّ والإنْسِ .. بلْ ومِن الوجُودِ كُلِّه .. الغَايَة التي افتقَدَها الإنسانُ المادِّي، وفقَدَ بفقدَانِها الغَايَةَ مِن وجُودِه .. والإحسَاسَ بالاستقرَارِ والأمَانِ .. ليَعِيشَ التِّيْهَ والضَّيَاعَ .. وليَلْهَثَ خَلْفَ شَهواتِه التي لا تَعرِفُ الارتواءَ أَبَدَاً .. مَثَلُه في ذلك:[كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176.

* * * * *

سورة النجم

فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى

1398- [فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32. كأن يُقال فلانٌ شَهِيدٌ، وفي الجَنَّةِ ...!

1399- [فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32. تَشْمَلُ جميعَ الأعمالِ القَلْبيَّةِ، والأعمَالِ التي يُشترَط لها الإخْلاصُ .. لا يجوزُ تَزكيَةُ الأشخاصِ بها، وبمقتضَاهَا؛ لأنَّها من الأعمالِ الغيبيَّةِ المُضْمَرَةِ التي لا يعلمُهَا إلا اللهُ .. كما في الحديث:" واللَّهُ أَعْلَمُ

بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ "مسلم. وإن كانَ ولا بُد، يُقال: نَحْسَبُ فلاناً كَذا، وكَذا .. ولا نُزَكّيه على اللهِ .. نحسَبُ فلاناً شَهيداً إن شاءَ الله، ولا نُزَكيه على الله .. وفي صحيح البخاري:" باب لا يُقالُ فُلانٌ شَهِيدٌ "، على وَجْهِ الجَزْمِ!

* * * * *

وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى

1400-[وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى]النجم:42. مَهمَا عَمَّرْتَ، ورَتَعْتَ، ومَهمَا سَافَرتَ، وتجوَّلتَ، وطُفتَ، ورَحلْتَ .. نهايتُك إلى اللهِ؛ فإليه المرجعُ والمآلُ .. وعِندَه يَكونُ الملْتَقَى، والحِسابُ على ما كان مِنَّا مِن عمَلٍ في الدُّنيا .. وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُون.

* * * * *

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى

1401-[وَأَنَّهُ هُوَ]؛ سُبحانَه الذي [أَضْحَكَ]؛ مَكَّنَ الإنسانَ مِن الضَّحِك .. وخَلَقَ المسَرَّات التي تجعلُه يَضْحَكُ، [وَأَبْكَى]النجم:43. وأنه هو سُبحانه الذي مكَّن الإنسانَ مِن البُكاءِ، وخَلقَ الأحزانَ المُبكيات، التي تجعَله يَبكِي .. فخلَقَ اللهُ تعالى الشيءَ وضِدَّه، وخلَقَ للشيءِ أسبابَه، ولضدِّه أسبابَه؛ ليتحقَّقَ معنى الابتلاء والاختِبَار في هذه الحياةِ الدُّنيا .. فالضحِكُ والبُكاءُ مِن ضروريَّات ومُستَلزمات الحياةِ .. ولهمَا آثارٌ إيجابيَّةٌ على النَّفسِ ما لَمْ يَزيدَا عن حدِّ الاعتِدَال.

* * * * *

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى

1402-[وَأَنَّهُ هُوَ]؛ سُبحانَه الذي [أَغْنَى]؛ مَن شَاءَ مِن عِبادِه بالمالِ، والعَطاءِ، وأنواعِ الرِّزقِ .. يُغني مَن يَشاء، ويُفْقِرُ مَن يَشاء، [وَأَقْنَى]النجم:48. وجَعلَ للمالِ الزائدِ عن الحاجَةِ والاستخْدَامِ الآني صَوناً مِن فسَادِه، أُصُولاً يُقْتَنى ويُحفَظ بها، كالذَّهبِ، والفِضَّةِ، والخيلِ، والأنعَامِ، وغَيرِها من الأُصُولِ الثابتةِ التي لا تُفْسِدها الأيَّامُ .. يُلتَجأ إليها عندَ الحاجَةِ، وهذا من تمامِ وكمالِ نِعَمِ اللهِ على عِبَادِه.

* * * * *

سورة القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

1403-[وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]، للتِّلاوَةِ، والحفْظِ، والفَهْمِ، والاعتِبارِ، والتَّدَبُّرِ .. وهو الكتَابُ الوحِيدُ في الأرضِ الذي يُحفَظُ في الصُّدُور، ويحفظُه غَيباً عَشَراتُ الآلافِ مِنَ الحفَّاظِ، [فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ]القمر:17. فهَلْ مِن مُعْتَبِرٍ ومتدَبِّرٍ .. ومُقْبلٍ على القُرآنِ بالتِّلاوَةِ، والحفْظِ، والفَهْمِ، والعَمَلِ .. والآيةُ فِيها دَليلٌ على بُطْلانِ مَا يَذْهبُ إليه كثيرٌ مِن القُرَّاءِ والمعلمين الذين يَغلبُ عليهم المبَالَغَةُ، والتَّكلُّفُ والتنطُّعُ في تَدريسِ أحكامِ التَّجْويدِ، فيُعَسِّرُون اليَسيرَ، ويُصَعِّبُون السَّهلَ .. والذي يكونُ غالباً على حِسابِ الخشُوعِ، والفهْمِ، والتَّدَبُّرِ .. وكان مِن السَّلفِ وأهلِ العِلمِ مَن يَكرهُون ذلك .. وأنَا أقول: كلُّ قِراءةٍ للقُرآنِ الكريم تخلُو مِن زِيادَةٍ أو نُقْصَانٍ في المبْنَى والمعنَى .. فهي قِراءةٌ صَحِيحَةٌ، تُجزِئ صاحِبَها، ولا يُطالَبُ بأكثر مِنها .. ومَا وراء ذلك من التوسُّع المباح فهو مندوبٌ بحقِّه، ولمن شَاء!

1404- [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]القمر:17. للحِفْظِ .. وللفَهْمِ .. وللعَمَلِ والمتَابَعَةِ .. ولا حُجَّة لمن يُعرِض عَن كتَابِ الله.

* * * * *

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

1405- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. لا يُوجَدُ مخلُوقٌ في السَّماواتِ والأرضِ، ولا حَدَث كانَ صَغيراً أمْ كَبيراً .. كانَ خَيراً أم شَرَّاً .. إلا بقَدَرٍ، قَدَّرَهُ اللهُ، وشَاءَهُ أن يكونَ .. لا يخرجُ شيءٌ - أيُّ شيءٍ - عن سُلطانِه، وحُكْمِه، وتَقْدِيرِه، وعِلْمِه .. لحِكَمٍ عَدِيدَةٍ قَد يُعْلِمُنَا اللهُ بعضَها، ونَجهَلُ كَثيراً مِنها .. وأحيَاناً قَد نجهَلُ مُطْلَقَ الحِكْمَةِ، ليَظهرَ دَورُ الإيمانِ، والتَّفويضِ، والرِّضَا، والتَّسليمِ .. والذي يتَعَاطَى تَفسِيرَ الأحدَاثِ والنَّوازِلِ والكوارِث - ومَا أكْثَرُهم - ويَنظُر في أسبَابِها بَعيداً عَن هذا المعنى فهو ضَالٌّ مُضِل.

1406- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. القَضَاءُ والقَدَرُ شاملٌ لجميع المخلوقَات، ولجميع أعمَالِ، وحركَاتِ، وسَكَنَات المخلُوق .. لا يُوجدُ مخلوقٌ - وأفعَالُ العِبادِ مخلوقةٌ - يخرجُ عن القضاءِ والقَدَرِ .. مَا كان مِنها، وما سيكُون، وإلى يومِ القيامَةِ، وإلى مَا بعد يومِ القيامَةِ، كما في الحديث:" إن أولَّ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فقال له: اكتُبْ، فجَرَى بما هو كائنٌ إلى الأبَدِ ". فقَدَّرَ اللهُ الخيرَ والشَّرَّ، فالشرُّ قدَّرَه كوناً - لا شَرعاً ودِيناً - لحكمَةِ الاختِبارِ، والبَلاءِ، والتَّدافُع بينَ الحقِّ والباطِل، والخيرِ والشرِّ في الحياةِ الدُّنيا .. وليُعرَف المؤمن الموحِّد، من الكافِرِ المشرِك .. وليتَحقَّقَ الاصطفَاءُ .. ولحِكَمٍ أُخرَى لا يَعلمُها إلا اللهُ .. والخيرُ قدَّره اللهُ كوناً وشرعاً ودِيناً، وهو كلُّ ما يحبُّه اللهُ تعالى ويرضاهُ من الأعمالِ الصَّالحةِ .. وبالتَّالي لا يجوزُ الاستدلالُ بالقَدَرِ الكَوْني على شرعيَّةِ الباطِلِ، والكفْرِ،

والظلمِ، والفَواحش، كما لا يجوزُ الاستدلالُ به على بُطلان ودَفع، ورَدِّ القَدَرِ الشَّرْعي .. كما فعلَ ويَفعلُ الكفارُ والمشركُون!

1407- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. القضَاءُ والقَدَرُ جانبٌ منه مُتعلّقٌ بتوحيدِ الخالقِ سبحانه، وتنزيهِه عن الندِّ والشَّرِيك، وصِفاتِ الضَّعْفِ، والنقْصِ .. إذْ من مُقتضَى ومعَاني القضَاءِ والقَدَر أن اللهَ تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلماً قبلَ أن يكونَ، وبعدَ أن يكونَ، ومَاذا يكونُ لو لمْ يَكُنْ .. وأنَّ ما من مخلُوقٍ ـ بما في ذلك الإنسان ـ إلا ومَشيئتُه تحتَ مَشيئةِ اللهِ .. وإرادتُه تحتَ إرادَةِ الله .. لا يُوجدُ شيءٌ في الوجُودِ ـ كان خَيراً أم شرّاً ـ إلا ويمضي بمشيئةِ وإرادَةِ الله .. لا تُوجدُ إرادَةٌ أو مَشيئةٌ تَغلبُ أو تعلُو إرادَة ومَشيئةَ اللهِ .. فما شَاءَ كان، ومَا لم يَشَأْ لم يَكُنْ .. ونُكرَانِ القَدَرِ، واقتراضُ العَكْسِ؛ وجُود إرادَةٍ أو مَشيئةٍ تَغلبُ إرادَةَ اللهِ ومشيئتَه .. هذا من مقتضاهُ وصف الخالِق سُبحانه بالضَّعفِ والعَجْزِ .. وأنه يُوجدُ في خَلْقِه شيء لا يُريده ولا يَشاؤه .. وأنَّ له أندَاداً وشُركاءَ أقوَى منه؛ إرادَتُهم تعلُو على إرادَتِه، وتَمضِي من دُونِ إرادَتِه ومَشيئتِه .. وهَذا عينُ الكُفْرِ، والشِّركِ، والإلحادِ والعياذُ باللهِ، قال تعالى:[فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. وجانبٌ منه مُتعلّقٌ بالإنسانِ؛ فعقيدةُ القَضاءِ والقَدَرِ تحملُ الإنسانَ على الإيمانِ، والتَّوحِيدِ، والرِّضَا، والتَّسليم، والصَّبْر .. وتَعظِيم الخالِقِ وتَوقِيره .. وعلى فَهم وتَفسِير كَثيرٍ من الأُمور التي تجرِي له، ولغيرِه .. كما تجنّبُه أمراضَ القَلَقِ، والحيرَةِ، والكآبَةِ، والانتحارِ .. عندما تواجُهه أمورٌ وقضَايا لا يحسِنُ ـ ولا يَقدرُ على ـ تَفسيرِها بحسبِ المعطيات الماديَّةِ المتاحَةِ له، ولا يُدرِكُ الحِكمةَ منها .. فيردُّها إلى الإيمانِ بالقضَاءِ والقَدَرِ، فيَرضَى، ويُسَلِّمُ، وتَطيبُ نفْسُه، ويَستريح ويُريح.

1408- [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49. اعلَمْ أنَّ اللهَ تعالى لا يُسأَلُ عمَّا يَفْعَلُ، ومَا سواه يُسأَلُ عمَّا يَفعلُ، كما قال تعالى:[لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. فإن خَفِيت عليكَ أسرارُ القَدَرِ .. وخَفيَت عليك الحِكَمَةُ مِمَّا يُقدّرُه اللهُ لك أو لغَيرِك .. فلا تتمادَى في التَّعمُّق والبَحْثِ عن العِلَلِ، والحِكَمَةِ .. وتُكثرُ مِن السؤالِ: لماذا قدَّرَ اللهُ كَذَا ولم يُقدّرْ كذَا .. فتهلَك وأنتَ تَدرِي أو لَا تَدرِي .. وإنما عَليك بالرِّضَا، والتَّسْلِيم، وتَفويضِ الأمرِ إلى اللهِ فيمَا خَفِيَت عليك الحكمةُ مِنه، كما قال تعالى:[وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ]الرعد:41. وقال تعالى:[فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً]النساء:65. قالَ الطحَّاوِي في متنِ عَقيدَتِه:" أَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تعالى في خَلْقِه، لم يَطَّلِعْ على ذلك ملَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَل، والتَّعمُّقُ والنَّظَرُ في ذلك ذريعةُ الخذْلَان، وسُلَّمُ الحُرمَانِ، ودرَجَةُ الطُّغيَانِ، فالحَذَرَ كلَّ الحذَرِ من ذلك نظَراً وفِكْراً ووسْوَسَةً، فإنَّ اللهَ تعالى طوَى عِلمَ القَدَرِ عن أنامِه، ونَهاهُم عَن مَرَامِه، كما قال تعالى في كتابِه:[لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. فمن سَألَ: لِمَ فَعَل؟ فقد رَدَّ حُكمَ الكِتَابِ، ومَن رَدَّ حُكمَ الكتَابِ كان من الكافِرين "ا-هـ. قال ابنُ أبي العِزِّ الحنفي في شرْحِه لكلامِ الطحَّاوي أعْلَاه:" أَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ في خَلْقِه، وهو كونُه أوجَدَ وأفْنَى، وأفْقَرَ وأغْنَى، وأمَاتَ وأَحْيَا، وأضَلَّ وهَدَى، قال علي رضي الله عنه: القَدَرُ سِرُّ اللهِ، فَلا تَكْشِفْهُ "ا- هـ أي لا تنشَغِلْ في البَحثِ والكَشْفِ عمَّا خَفِيَت عنك حِكمتُه، فتَضِل وتَهلَك. وفي الحديث:" وإذا ذُكِرَ القَدَرُ فأَمْسِكوا "؛ أي لا تتوسَّعُوا، فتخوضُوا بغيرِ سُلطانٍ ولَا عِلمٍ.

* * * * *

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

1409- قال تعالى:[وَمَا أَمْرُنَا]؛ لشيءٍ أردْنَاه، أيَّاً كان هذا الشَّيء [إِلَّا وَاحِدَةٌ]؛ إلا كلمةٌ واحدةٌ ـ لا نحتاجُ إلى تِكْرَارِهَا ـ نقولها كُنْ، فيكونُ هذا الشَّيء، [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ]القمر:50. كطَرْفَةِ عَينٍ، وأسْرع ما يَقعُ عليه البَصَر.

* * * * *

سورة الرحمن

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ

1410-[أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ]الرحمن:8-9. لا يَقْتَصِرُ مَعْنَى الميزَانِ؛ على الميزَانِ الذي تُوزَنُ به الأشياءُ .. لَا .. بل هو يَتعَدَّى ذلك إلى مَعْنى أَعَمّ وأشمَل؛ إلى مَعنى العَدْلِ؛ الذي تَقومُ عليه السَّماوَات والأرض .. الميزانُ الذي تُوزَنُ به المعَانِي، والقِيَمُ، والمبَادِئُ، كما تُوزَنُ به الأشياءُ الماديَّةُ المحسُوسَة .. الميزَانُ الذي لا تَستقِيمُ الحياةُ إلَّا به .. الميزانُ الذي لا يُحَابِي أحَدَاً على حِسَابِ الحَقّ، والحَقِيقَةِ .. الميزانُ الذي يُنصِفُ الحقَّ مِن الباطِلِ .. والمظلُومَ مِن الظالِمِ .. ويُعطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .. الميزانُ الذي به يُوزَنُ الرِّجَالُ، وتُوزَنُ مواقِفُهم .. وأيُّما قَومٍ يَفْقدُونَ الميزانَ، أو يتلَاعَبُون بالميزانِ؛ فيَزِيدُون ويُنقِصُون فِيه مِن عِندِ أنْفُسِهم .. يَضطَرِبُ نِظَامُ حَيَاتِهم، ويُعرِّضُون أنفُسَهم للخَطَرِ، والزَّوَالِ، والدَّمَار!

* * * * *

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

1411-مهما سَلَكتَ دَربَ الصّعودِ، لا بد من أن تصل إلى مرحلةِ الهبوطِ، ومن ثمَّ الأفُول .. هكذا الإنسانُ .. وهكذا الدُّول .. والأمم .. وهكذا كلّ شيءٍ .. طوراً بعد طورٍ إلى أن يصل إلى الطَّورِ الذي ليس بعدَه إلا الموت، ليصبح أثراً بعد عين، كما قال تعالى:[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]الرحمن:26-27. وقال تعالى:[مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]نوح:13-14.

1412-[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ]الرحمن:26. هذا حُكمُ اللهِ، ولا مُعقّبَ لحُكْمِه، كلُّ مَن على الأرضِ مِن مخلُوقَاتٍ مآلها إلى الموتِ والفَنَاءِ .. قانُونٌ عامٌّ وشَامِلٌ لا يَستَثْني أحَداً مِن العِبادِ والمخلُوقات، لا حَاكماً ولا محكُوماً .. لا أميراً ولا مَأمُوراً .. لا غنيَّاً، ولا فَقيراً .. لا صَالحاً ولا شَقيَّاً .. فالكلُّ سيفْنَى ويَزولُ ويموت .. ويَرجعُ إلى خالِقِه ومالِكِه ليقِفَ بين يدَيه يومَ الحِساب، ويُرَى ما كان مِنه مِن عمَلٍ .. فأيُّ متَاعٍ يَنشدونَه في دَارٍ، الحياةُ فيها لا تَدومُ لأحَدٍ .. ثم هي معَ ذلك حياةٌ قَصيرةٌ مَليئةٌ بالمنغِّصَاتِ، والمكدِّرَاتِ، والفوَاجِع .. فيها الخيرُ والشرُّ .. والشيءُ وضِدّه .. ليتحقَّقَ معنَى الاختبَارِ والابتِلاءِ .. ويُعرَفَ الصَّابرُ مِن سواه .. ومَن الذي يَعبدُ اللهَ تعالى وحدَه، ويتَّبعُ سَبيلَ الأنبياءِ، ومَن الذي يَعبدُ الطاغُوت، ويتَّبعُ سُبُلَ البَاطِلِ والشَّيطَان!

* * * * *

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

1413-[كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ]الرحمن:29. في كلِّ يومٍ يُظهرُ اللهُ علمَه الأزَلي في خلْقِه، يُحيي، ويُميت .. يَرفعُ، ويَخفِضُ .. يُعزّ، ويُذِل .. يُعطي ويَمنَعُ .. يُغني، ويُفقِر ..

يُمْرِضُ ويَشْفِي .. يَبتَلِي عبادَه بالشرِّ، والخيرِ .. يُضِلُّ مَن يَشَاءُ، ويَهدِي مَن يَشَاء .. ويَتُوبُ على مَن تَابَ .. والخَلْقُ كله بحاجةٍ إليه، لَا قَوَام ولَا حيَاةَ، ولَا وجُود لَه إلَّا بِه .. ولَا غِنى لَه عنه .. وهو سُبحانه يُعطِي كلَّ مخلُوقٍ حاجَته، وفقَ مَا قَد قُدِّرَ له .. وفِي الزَّمَن واليومِ، الذي قُدِّرَ له .. ولَا يُسألُ عمَّا يَفعَل.

* * * * *

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ

1414- [هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ]الرحمن:43. هَذِهِ جَهَنَّمُ بضخامَتِها، وسِعَتِها، وهيبَتِها، وطبقَاتِها، ووديْانِها، وآلاتِها، وسَلاسِلِها، وأليمِ وحَرِّ نِيرانِها، وشَدِيدِ عذابَاتِها .. التي تملأ العينَ خَوفاً ورَهبةً .. التي كنتم تُكذِّبُون وتَستخفُّون بها وأنتم في دُنيَاكُم .. كنتم تقتحمُون الذنوبَ والمعَاصِي لا تحسبُون لها حِسَاباً، ولا تُلقُون لها بَالاً .. ها أنتم الآنَ - في أُخرَاكم - تَرونَها عينَ اليَقين .. فهَلْ وجدتمُوها كما وُصِفَت لكم .. وهَل تُنكرون مِنها شَيئاً كما كنتم تَفعلُون في دُنياكُم .. فإنَّها الآن تَأكلُ بعضُها بعضَاً، وتتلمَّظُ شَوقاً للكافرين المجرمين، الذين كانوا بها يُكَذِّبُون!

* * * * *

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ

1415- [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ]، طَاعةُ اللهِ ورَسولِه صلى الله عليه وسلم، [إِلَّا الْإِحْسَانُ]الرحمن:60. الجَنَّةُ ونَعِيمُهَا .. ورِضْوَانٌ مِنَ اللهِ لا يَعْقُبُه سخطٌ أَبَدَاً .. فيه أيضَاً تَقريرٌ لمبدَأ المقَابَلَةِ في الدُّنْيَا، فتُقَابَل الحَسَنَةُ بحسَنَةٍ، والإحْسَانُ بإحْسَانٍ .. ويُقابَل المعروفُ بمعروفٍ مِثْله.

* * * * *

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ

1416- [فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ]الرحمن:70. في الجِنَانِ زَوْجَاتٌ مِن الحوْرِ العِين .. اختارَهُنَّ اللهُ لعِبَادِه المؤمنين .. وجمَّلَهُنَّ فأحْسَنَ تَجميلَهُنَّ .. جَمَعْنَ بينَ جمالِ النَّفْسِ، ونَفَائِس وكَرَائِم الأخْلَاقِ، وبينَ جَمَالِ وحُسْنِ المظْهَرِ والصُّورَةِ .. فانتَفَت عَنْهُنَّ عيُوبُ ونقَائصُ الخلُقِ والخلْقِ .. والجمَالُ لا يتحقَّقُ ولا يَكْتَمِلُ إلَّا بِهمَا مَعَاً .. ومتْعَةُ العِشْرَةِ لا تَتحقَّقُ ولَا تَكْتَمِلُ إلَّا بهمَا معَاً .. إذْ مَا قِيمَةُ الجمَالِ الظَّاهِرِ مَعَ قبْحِ البَاطِنِ .. وانتِفَاءِ الأَدَبِ، والحيَاءِ، والخُلُقِ الحسَنِ الحَمِيد .. يكفِيهِنَّ جمَالَاً أنَّ الجميلَ؛ الذي لهُ الجمَالُ المُطلَقُ، هو الذي جَمَّلَهُنَّ، وهو الذي يَصفهُنَّ بالجمالِ، وأنَّهُنَّ [خَيْرَاتٌ حِسَانٌ]. فلَكَ بَعدَ ذَلِك أن تَتخيَّلَ وتتصوَّرَ كم هُنَّ جَميلَات .. ومَهْمَا تَخَيَّلْتَ وتَصوَّرتَ فهُنَّ أكثَرُ وأجمَل .. وفي الحديث:" إنَّ أزواجَ أهلِ الجنَّةِ ليُغَنِّينَ أزواجَهُنَّ بأحسنِ أصواتٍ، ما سمِعَها أحدٌ قطُّ، إنَّ ممَّا يُغَنِّينَ بهِ: نحنُ الخَيرَاتُ الحِسَانُ، أزواجُ قَومٍ كرامٍ ...".

* * * * *

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ

1417- [حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ]الرحمن:72. حُورٌ مَسْتُوراتٌ جالِساتٌ في خِيامِ الجنَّةِ، لا يخرُجْنَ مِنها .. يَنتَظِرْنَ أزواجهُنَّ مِن أهلِ الجنَّةِ بشَوقٍ ولهفَةٍ .. لَا يَعلمُ زَمَنَ مُكثهنَّ وانتظارِهنَّ في الخيامِ إلا اللهِ .. الحمدُ لله أنَّهنَّ لَسْنَا مِثل نَسَوِيَات أهْلِ الأرضِ، طَشَّاشَات، كثيرَاتُ الخروجِ من بيوتِهنَّ، وكثيرَاتُ السَّفَرِ .. لَا يأبَهْنَ لحقُوقِ الأزوَاجِ .. ولَا لمصْلحَةِ البيوتِ، والأبنَاءِ!!

* * * * *

سورة الواقعة

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ

1418- [خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ]الواقعة:3. يومَ القِيامَةِ الذي يَرفعُ الإنسانَ، ويخفضُه، يُعِزُّه، ويُذِلُّه، أعمالُه، ومَا كان منه مِن عملٍ ومواقِف في دُنياه .. فمن آمَنَ وعملَ صالحاً رفَعَهُ اللهُ، وأعلَى مقامَه، ورَفَعَ ذِكْرَهُ، وقرَّبَهُ، وأسكنَهُ جنَّتَه .. وإن كان في دُنياه فَقِيراً، مَغْمُوراً، خَفِيًّا، لَا يُؤبَه له .. ومَن كَفَرَ، وظلمَ، وعملَ طَالحاً .. أذَلَّهُ اللهُ، وأبعدَهُ، وحَقّرَهُ، وأدخلَهُ نارَ جهنَّم .. وإن كان في دُنياه سَيِّداً، غَنيًّا، ومَشهوراً، يَتصدَّرُ المجالِسَ، تَعْلُو صَدرَهُ الرُّتَبُ والنيَّاشِين .. لا يُرَدُّ له أمرٌ .. فالميزانُ يَومئذٍ يختلفُ عن الموازِين الأرضيَّةِ في تَقييمٍ، وتَصْنِيفٍ، وفَرْزِ النَّاسِ .. وفي الحديث:" يُحشَرُ المتكَبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يغشاهمُ الذُّلُّ مِن كلِّ مَكانٍ، يُسَاقونَ إلى سجنٍ في جَهَنَّمَ يُسمَّى بولُسَ، تَعلُوهُم نارُ الأَنْيارِ، يُسقَونَ من عُصَارةِ أَهْلِ النَّارِ طِينة الخبَالِ ".

1419- [خَافِضَةٌ]؛ للمشْرِكين، [رَّافِعَةٌ]الواقعة:3. للموحِّدين.

* * * * *

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

1420- [وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ]الواقعة:10. السَّابِقُون الأُولى؛ هم السَّابِقُون الذين يُسَارِعُون ويُبادِرُون إلى فِعلِ الطَّاعَات، والخَيرَات .. فليسَ ـ في الأجْرِ والمرتَبَةِ والمكانَةِ ـ مَن سَبَقَ، وسَارَعَ، وبَادَرَ كالمبَطِّئ، والمتأَخِّر .. والسَّابِقُون الثَّانيَةُ؛ هم السَّابقُون الذين يَسبقُون غيرَهم ـ جزَاءً على سَبْقِهم الأوَّل ـ في دُخُولِ الجنَّةِ.

* * * * *

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ

1421- [وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ]الواقعة:46. كَانُوا يُصِرُّونَ على الذَّنْبِ العَظِيمِ؛ وهو الشِّرْكُ، وعِبادَةُ المخلُوقِ مِن دُونِ اللهِ .. فَلَا ذَنْب أعْظَم وأغلَظ جرمَاً مِن الشِّركِ!

* * * * *

أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ

1422- [أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ]الواقعة:64. أنتَ تَغْرسُ فقَط؛ تَرمي الغرسَ في مزَارِعه، أمَّا الزَّارع الذي يتعَاهَدُ ويمدُّ الزَّرعَ بأسبابِ الوجُودِ، والنموِّ، والحياةِ، والعطَاءِ .. التي نعلمُ بعضَها، ونجهَلُ كَثِيراً مِنها .. هو اللهُ تعالى وحدَه .. كَمْ مِن زَرْعٍ أحاطَهُ الإنسانُ بجهدِه، وعِنايتِه، وأنفقَ في سبيلِه الأموالَ الطائِلَة .. فلم يثمِرْ، ولم يُعطِ عَطاءَه المرجُو .. وتآكَلَته الآفَاتُ؛ لتَعْلَم ـ يا عبدَ الله ـ أنَّ الزَّارِعَ على الحقيقةِ هو اللهُ تَعالى، وليسَ أنتَ .. وفي الحديث:" لا يقولَنَّ أحدُكُم: زَرَعْتُ، ولكنْ لِيَقُلْ: حَرَثْتُ ".

ونحوه كل جهْدٍ صَالِحٍ، أو عملٍ نافعٍ .. فأنت مطالبٌ ببذْلِه .. أمَّا الذي يَقبلُ العمَلَ، ويُبارِكُ فِيه، ويَنفعُ بهِ، ويضعُ له القبولَ .. متَى، وأينَ .. فمردُّ ذلك كُله إلى اللهِ تعالى وحدَه.

* * * * *

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ

1423- [فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ]الواقعة:70. هَلَّا تَشكرون .. لِمَ لا تشكرون .. ولو شكرتم لكان خيراً لكم .. سؤال تقريعي، يتضمّن عتاباً يلاحق الإنسانَ الكَفُور الجهول عبر جميع الأزمنة، وإلى يومِ القيامةِ، لعله يستحي فيَشكر .. وما أكثر وأعظم النّعم التي تحيط بنا، ونتقلّب بها في يومنا، وساعات ودقائقِ حياتنا .. ثم نمرُّ عليها مرَّ الكرام .. لا نأبه لها، ولا نحتفي بها .. ولا نشكرُ الخالقَ عليها .. وكأنها لم تَكُنْ .. ربَّنا أَوْزِعْنا أن نَشكرَ نعمتَك التي أنعمتَ علينا!

* * * * *

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ

1424- [وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ]الواقعة:82. يَطلبُون الرِّزقَ بالتَّكذِيبِ، ويُعَلِّقُون الرِّزقَ بتكذِيبِ الحقِّ ورَدِّه، ويقُولُون لَا نُرزَق، ولَا يَأتِينا رِزْقُنا، ولَا يمكنُ أن نحصلَ على وظيفَةٍ، إلَّا إذَا تبرَّأنا مِن الحقِّ، وكذَّبنَا بِه، وجَافِينَاه .. وجَامَلْنَا الباطِلَ على باطِلِه .. ووالينَا الطواغِيتَ والظَّالمين .. ومِن صُورِ التَّكذِيبِ أن تُقَابِلَ رِزْقَ اللهِ لك ـ سَواء كان مَادِيَّاً أم معنويَّاً ـ بالكُفْرِ والجُحُودِ، وعدَمِ الشُّكْرِ، وأن تَردَّ الفضْلَ فِيمَا أنتَ فِيه مِن خَيرٍ ورِزْقٍ لغيرِ اللهِ .. فتجعَل شُكرَك للنّعمَةِ هو التَّكْذِيب!

* * * * *

فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

1425- [فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ]الواقعة:86-87. الغَايَةُ مِن الموتِ، البَعْثُ والنشُور، ومِن ثَمَّ الحِسَاب، فكلُّ إنسانٍ محَاسَبٌ ومُدَانٌ يومَ القِيامَةِ بما كان منه مِن عمَلٍ في حيَاتِه الدُّنيا .. فمِن أعظَمِ الأدِلَّةِ الدَّالَّةِ على أن البَعثَ والنشُورَ، والحِسَابَ يومَ القِيامَةِ حَقٌّ، الموتُ ذَاتُه .. وإذَا كان الكفَّارُ يُنكِرُون البعثَ والنُّشُورَ، والحِسَابَ، ويُنكِرُون أنَّهم سيُدَانُون، ويُحاسَبُون على ما كان مِنهم مِن عمَلٍ .. فعَلامَ يموتُون، والموتُ لم يُقَدَّر إلَّا مِن أجْلِ الحِسَابِ .. فليردُّوا عن أنفُسِهم الموتَ، وليردُّوا الرُّوحَ - إن استطَاعُوا - إلى مواضِعِها مِن الجَسَدِ، إذا مَا بَلَغَت الحلقُوم ... وأَنَّى!

* * * * *

سورة الحديد

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

1426- [هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ]؛ مِن عَدَمٍ؛ فلَمْ تَكُن، فكَانَت بأَمْرِ اللهِ تعالى ومَشِيئتِه، وفْقَ مَشِيئتِهِ وإرادتِه، فلَم تَتَواجَد ذَرَّةٌ واحِدةٌ في الكونِ الفَسِيحِ خَارِجَ المسَارِ الذي أرادَها اللهُ أن تكونَ فِيه، [فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]؛ هل هذه الأيَّامُ - مِن حَيثُ طُولِها وزمَانِها - مِن أيامِ الدُّنيا .. أَم أنَّها من أيَّامِ الآخِرَةِ؛ اليومُ الواحِدُ كألفِ سَنَةٍ مِن سِنِيِ الدُّنْيا، [وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ]الحج:47.؟ العِلمُ عندَ اللهِ، لم يَرِد نَصٌّ من كتَابٍ أو سُنَّةٍ يُرجِّحُ أحَدَ القولَين .. واللهُ تعالى قَادِرٌ على أن يخلقَ السَّماوات والأرضَ بِكُن، فيكُون، كلَمْحٍ بالبَصَر، لكن شاءت حِكمَتُه سُبحانه أن يخلقَها في سِتَّةِ أيّامٍ، [ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ]؛ ثمَّ عَلَا على العَرْشِ عُلُوّاً يَليقُ بجلالِه، مِن غَيرِ تَكْييفٍ، ولا تَعطِيلٍ، ولا تَشْبيهٍ، ولا تَمثِيل، [يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ]؛ وهو في عُلُوِّهِ على عَرشِه، فَوقَ السَّماواتِ السَّبعِ، وفوقَ الجِنَان .. لا يمنَعُه ذلك أن يَعلَمَ ما يدخلُ

في الأرضِ من ماءِ المطَرِ، وبذورِ النَّباتَات وجذورها التي تمتدُّ في الأرضِ، ومَن يُدْفَنُ فِيها، وكُلُّ مَا يُلْقَى فِي باطِنها، ويجِدُ في دَاخِلِها مَأْواً لَه، [وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا]؛ مِن نَباتٍ، ومَاء، وزَرْعٍ، وشَجرٍ، وثرواتٍ، ومعَادِن، [وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء]؛ مِن غَيْثٍ، وأينَ يَنزِلُ، وما تتنَزَّلُ به الملائِكَةُ من شؤونِ الأرضِ والعِبَادِ، بأمرٍ مِن اللهِ، [وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا]؛ من أرواحٍ، وأعمَالِ العِبَاد، وما تحمِلُه الملائكَةُ إلى السَّماءِ مِن شُؤونِ الأرْضِ والعِبادِ، [وَهُوَ]؛ في عَلْيَائِه، وعُلُوِّهِ على عَرْشِهِ، [مَعَكُمْ]؛ بِعِلْمِه، وسَمْعِه، وبَصَرِه، وقدرَتِه، لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِن شُؤونِ عِبادِه، وخَلْقِه .. إضافة إلى هذه المعِيَّة، هناك مَعِيَّةُ تَوفِيقٍ، وتَسْدِيدٍ، ونُصْرَةٍ؛ وهذه خَاصَّةٌ بعبادِ اللهِ المؤمنين، [أَيْنَ مَا كُنتُمْ]؛ سَواءٌ كُنتم في البَرِّ أم في البَحْرِ .. فوقَ الأرضِ أَم تحتَ الأرضِ .. لا يُحيلُ حائلٌ بين اللهِ وبينَ عِبادِه يمنعهم من أن يَقُولُوا يا الله .. فأينَمَا كنتم، ومهما كان الظرفُ صَعْباً، وشَديداً عليكم، فاللهُ معكُم يَسمَعُ ويَرَى، وقَادرٌ على أن يُغِيثَكُم، [وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ]؛ من أعمالٍ قَلبيَّةٍ، أو أعمالٍ ظاهِرةٍ على الجوارِح [بَصِيرٌ]الحديد:4. بها، وبكم، لا يخفَى عليه سُبحانه شيءٌ مِن أعمالِكُم.

* * * * *

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

1427- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]الحديد:4. المعِيَّةُ مَعِيَّتَان: مَعِيَّةٌ عَامَّة؛ شَامِلةٌ لجميع الخلْقِ، الإنْسِ، والجِنِّ .. وهي مَعِيَّةُ عِلمٍ، وإرادَةٍ، وسَمعٍ، وبَصَرٍ، وقدرةٍ، وإحاطَةٍ. ومَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ بالمؤمنين؛ وهي مَعِيَّةُ الهِدايَة، والتَّوفِيق، والتَّسْدِيد، والنُّصْرَة، والتَّأْييد.

1428- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]الحديد:4. لَا تَقْلَقْ .. ولا تخَفْ .. ولَا تَحْزَنْ .. أنتَ لَسْتَ بمفرَدِك .. أنتَ معَكَ الله!

1429- [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]الحديد:4. وهَذا مِن مُقتَضَيَاتِه أن نَتَّقُوا اللهَ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ .. فَلَا يُحِيلُ بينَهُ وبينكُم مَكَانٌ ولَا زَمَانٌ.

* * * * *

وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ

1430- [وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ]الحديد:7. المالُ مَالُ اللهِ .. أمَّا أنت فَمُستأمَنٌ ومُسْتخلَفٌ على مَا استأمَنَك اللهُ واستخلَفَك عليه مِن مَالٍ وَرِثتَه ممَّن قَبلك، وتَاركُه ـ لا محالَةَ ـ لمَن بَعدَك .. واللهُ تَعالى ناظِرٌ ماذا ستَفعَلُ فِيما استأمَنَك واستخلَفَك عليه .. لَن تَأخُذَ مِنه شَيئاً إلى قَبرِك وآخِرَتِك، إلَّا ما أنفقْتَ وتَصدَّقْتَ في سَبيلِ اللهِ، وفي الأوْجُهِ التي يحبُّها اللهُ تعالى ويَرضَاها مِنك .. فهذا الذي يَذهبُ مَعَك مِن مَالِك، وهذا الذي يَنفَعُك في آخرتِك؛ نفَقَتُك وصَدَقَتُك في سَبيلِ اللهِ.

1431- [وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ]الحديد:7. وقَعَ في يَدِي دِرْهماً ـ سَمِّهِ إن شِئتَ دِينَاراً، أو جُنيهاً، أو دُولاراً، أو ريَالاً ـ فقلتُ في نَفْسِي: هذا الدِّرهمُ في كَم جَيبٍ دَخَلَ .. وكَم هي الأَيْدِي التي مَسَكَتْهُ ثم تَفَلَّتَ مِنها؛ وانتقَلَ مِنها إلى غَيرِها .. وإنَّه سينتَقِل مِنكَ إلى غَيرِك كَما انتقلَ مِن غَيرِك إليك .. وقَد خَابَ وخَسِرَ مَن انتقَلَ مِنه إلى غيرِه وهو مَأْزُور .. وقَد أفلَحَ وفازَ مَن انتقَلَ مِنه إلى غَيرِه وهو مَأْجُور!

* * * * *

لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

1432- الجهادُ قبل الفتحِ والتَّمكين خيرٌ من الجهاد بعد الفتحِ والتَّمكين، والمجاهدُ الذي ينطلق للجهاد من تلقاءِ نفسِه؛ من غير دولة ولا جهة ترعاه، وتكفله، وتكفل أهلَه

من ورائه، خيرٌ من المجاهدِ الذي يجدُ الدولةَ ـ أو الجهة ـ التي ترعاهُ، وتكفله، وتكفل أهلَه من ورائه، لا يستويان مثلاً، ولا أجراً، ولا مقاماً عند الله، [لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]الحديد:10.

1433- [لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ]الحديد:10.
هذه الآيةُ الكريمة وإن كان لنزولها سببٌ متعلّقٌ بمن أنفقَ وجاهَدَ في سبيلِ اللهِ قبلَ فَتح مكّة، وبينَ مَن أنفقَ وجاهَدَ بعدَ فَتح مكّة .. إلّا أنّها تُحمَل أيضاً على كلّ فتحٍ إسلامي؛ فلا يَستَوي ـ مِن حَيث الأجرِ والثّوابِ والمكَانَةِ ـ مَن أنفَقَ وجاهَدَ في أوّلِ الفَتح والجهادِ، وبينَ مَن أنفقَ وجاهدَ في آخِرِ مراحلِ الفَتح والجهادِ .. ولَا يَستَوي مَن أنفقَ وجاهدَ في آخِرِ مراحلِ الفتح والجهَادِ، وبينَ مَن أنفقَ وجاهَدَ بعدَ الفتْح والنَّصرِ، والتَّمكين .. فَلا يَستَوي السَّابقُون معَ المتأخّرين .. حتَّى في العِبادَات؛ لَا يَستوي في الأجْرِ والثّوابِ بينَ مَن يُبكّرُ إلى صَلاةِ الجمعَةِ قَبلَ صُعُودِ الخَطِيبِ إلى المنْبَرِ، وبينَ مَن يأتي إلى صَلاةِ الجمعةِ متأخّراً بعدَ صُعُودِ الخَطيبِ إلى المنْبَرِ .. والآيةُ فيها تَرغيبٌ وحَضٌّ على اغتنامِ فُرَصِ الخيرِ وهي في مرَاحِلهَا الأُوْلى، قبل انقضَائِها، وفواتِ الأوانِ .. فيقَعُ النَّدمُ على التَّفريطِ والتَّخلُّفِ والتَّأخيرِ، ولاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

1434- آيةٌ تختصرُ حقيقةَ الحياةِ الدُّنيا بكلماتٍ، لو عَقلْنَاها:[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ]الحديد:20.

* * * * *

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ

1435-[لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ]الحديد:23. مَا مِن شيءٍ إلا بقضَاءٍ وقَدَر، واللهُ تعالى قَد قَدَّرَ المنعَ والعطاءَ اختِباراً وابتِلاءً، ليُعْرَفَ الصَّابِرُ الشَّاكِرُ مِن سِواهمَا، فإن فاتَك شيءٌ يا ابنَ آدمَ من شُؤونِ الدُّنيا ممَّا تَسْتَشْوفُه نفْسُك ـ ولا بُدَّ أنَّه سيفُوتُك ـ فَلا تُقابِلْه بالحزَن المفْرِط، والجزَع، والتَّسخُّطِ، واليأسِ، وإنما قابلْه بالصَّبرِ، والرِّضَى، والاحتِسَابِ، عسَى اللهُ تعالى أن يعوضَك خَيراً ممَّا قَد فاتَك .. وإن أصابَتْكَ نِعمةٌ، فَلا تفْرَحْ بها فرحَ المبطِرين الكافرين لأنْعُمِ اللهِ، فتردَّ الفضلَ لنَفْسِكِ، وتَسْتَعلِي بها على عِبادِ اللهِ .. فتنقلِب عليك إلى نِقْمَةٍ .. وإنما قابِلْهَا بالشُّكرِ، والعُرفَانِ، والإحسَانِ .. وافرَحْ بها فرَحَ الشَّاكِرين.

* * * * *

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

1436-لا تقومُ للعدلِ قائمة إلا بالكتابِ والحديد معاً، فالكتاب من دون الحديد ضَعف، والحديد من دون الكتابِ ظلم وعلو في الأرض بغير حق .. قال تعالى:[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ]الحديد:25.

* * * * *

وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ

1437- [وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا]الحديد:27. مَا تَشَدَّدَ قَومٌ في دِينِهم؛ فجَنَحُوا إلى الإفراطِ والغُلُو، إلَّا غُلِبُوا، وانتَهى بِهم الحالُ إلى التَّفْرِيطِ، والجَفَاء .. هكَذا فعَلَ رُهْبَانُ وعُبَّادُ النَّصَارَى بأنفُسِهم؛ لَمَّا اعتزَلُوا - من تلقاءِ أنفُسِهم - النِّسَاءَ؛ فانتَهى بهم اعتزالُهُم، وتَشَدُّدهم على أنفُسِهم إلى الشُّذُوذِ، وإلى أن أصبَحُوا مِثلِيين، ولوطِيين؛ يَستَحسِنُون زوَاجَ الرِّجالِ بالرجَالِ .. وهكذا يَنتهي حَالُ كُلِّ مَن يتأَسَّى بِهم؛ فيُشَدِّدُ على نَفْسِه في الدِّينِ مَا لم يَأذَن به اللهُ!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ

1438- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ بعيسَى عليه السَّلام، [اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ]؛ بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، [يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ]؛ ضِعْفَين مِن الأجْرِ؛ لإيمانِكم بعيسَى، وبمحمَّدٍ عليهمَا الصَّلاةُ والسَّلَام، [وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]الحديد:28. [وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ]؛ وَيَجْعَل لَّكُمْ عِلماً صَائباً مُسْتَخرجاً مِن القُرآنِ الكريم، ومِن سُنَّةِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم .. تَمشُونَ به بينَ النَّاسِ .. تَستَضِيئُون به ظُلمَات السُّبُلِ، والمنَاهِجِ، والأفكَارِ، والتَّوجهاتِ .. فتُحْسِنُون التمييزَ بينَ الحقِّ والباطِلِ .. وبينَ الصَّوابِ والخطَأ .. وبينَ مَا ينفَعُ، ومَا يَضرُّ .. وبينَ الصَّدِيقِ

والعدُوِّ .. والمرءُ على قَدْرِ مَا يَضعُفُ نورُهُ المستخرَج مِن القُرآنِ الكرِيم، ومِن السنَّةِ النبويَّةِ المطهَّرَةِ .. على قَدْرِ مَا يتعَثَّرُ في طَرِيقِه .. ويتخبَّطُ في مواقِفِه، واختياراتِه!

* * * * *

سورة المجادلة

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

1439- [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]المجادلة:1. للآيةِ الكريمةِ دلَالاتٌ فقهيَّةٌ عظيمةٌ تناولتها كتبُ التَّفسيرِ والفقْهِ .. ليسَ هنا مَوضع بَسْطِها .. وإنما استوقَفَني في هذه الآيةِ الكريمةِ جدالُ المرأةِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم وحوارِها ومراجعَتِها له في قضيَّةٍ مصيريَّةٍ قَد أهمَّتها .. لها علاقةٌ باستقرارِ حياتِها الزوجيَّةِ والعائليَّةِ .. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ فِداه نَفْسي ـ يحاورُها ويُجادِلُها .. ويُصغي إليها .. فَما أسكَتَها، ولَا نَهرَها .. لكونِها امرَأَة .. بل الأكبرُ مِن ذلك أنَّ اللهَ تعالى خالِقَ الخلقِ، ومالِكَ المُلْكِ، ربَّ العالمين .. وهو مِن فوقِ عرشِه قد سمعَ حوارَها مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم .. وسمعَ شَكواهَا إليه .. وهو بنفْسِه سُبحانه تبنَّى قضيَّتَها، وقضيَّةَ الإجابةِ عمَّا تَسأل عنه .. وعمَّا قد أقلَقَها وأهمَّها .. وبها، وبقصَّتِها، وقَضيَّتِها، وجِدالِها أنزَلَ اللهُ سُورةً تُتلَى إلى يومِ القِيامَةِ، اسمها " سُورَةُ المُجَادَلَة " .. فأيُّ تَشْريفٍ وتكريمٍ يُوازِي هذا التَّشريف والتَّكريم للمرأةِ .. هذه المرأةُ ذاتها قد استوقَفَت عمرَ بنَ الخطَّاب في الطريق، فقالت:" رُويدك يا عُمَر حتى أكلمك كلماتٍ قليلة، قالَ لها: قُولي، قالت: يا عُمر، عَهْدِي بك وأنت تُسَمَّى عُمَيرًا في سُوقِ عُكاظ، تُصارِعُ الفِتيان، فلمْ تَذهَب الأيامُ حتى سُمِّيتَ عُمَرًا، ثم لمْ تذهَبْ الأيامُ حتى سُميتَ أميرَ المؤمنين، فاتَّقِ اللهَ في

الرعيَّةِ، واعلمْ أنه مَن خافَ الوَعيدَ قربَ مِنه البَعِيد، ومَن خافَ الموتَ خَشيَ الفَوْتَ، فبكَى عمرُ رضي الله عنه، فقال الجارُود العَبدي ـ وكان مُرافقاً لعمر ـ: هيه، لقد أكثَرْتِ وأبكَيْتِ أميرَ المؤمنين، فقالَ عُمر: أوَمَا تَعرفُ هذه؟! هذه خولَةُ بنتُ حَكيمٍ امرأةُ أوْسِ بنِ الصَّامتِ التي سمعَ اللهُ قولَها مِن فوقِ سمائِه، فعُمَر والله أجدرُ أنْ يَسمعَ لَها " .. وفي زماننا شيوخٌ جُهَّال إذا تَوجَّهت إليهم امرأةٌ بسؤالٍ أو قضيَّةٍ، وأرادَت أن تحاورَهم فِيها .. زَجَرُوها .. وأَسْكَتُوها لكونِها امرَأة .. ولأنَّ صوتَها عورَةٌ .. زَعَمُوا!

* * * * *

أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ

1440- [أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ]المجادلة:6. السِّنين والأيامُ قَد تُنْسِيك يا ابنَ آدَم ما صَنَعْتَ، ومَا فَعَلْت .. لكنَّ اللهَ تعالى لَا يَنْسَى شَيئاً .. يُحصِي لك كلَّ مَا بدَرَ مِنك مِن عمَلٍ ظَاهِرٍ أو باطِنٍ .. كانَ خَيراً أم شَرَّاً .. كانَ كبيراً أم صَغيراً، حتى الذرَّةَ مِن العَمَلِ قَد أحصَاهَا لك، وعَدَّهَا عَدَّاً .. لتَلْقَاها أمَامَك يومَ القِيامَةِ، يومَ يُقالُ لك:[اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [الإسراء:14. فإن وجَدْتَ خَيراً فاحمَد اللهَ، وإن كان غَيرَ ذلك فلَا تَلومَنَّ إلَّا نَفْسَك.

* * * * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

1441- [أَلَمْ تَرَ]؛ ألم تتدبَّر وتَتفكَّر بعقلِك، وتنظُر ببصيرَتِك .. فتعْلَم، [أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]؛ مِن أجسامٍ ومخلُوقاتٍ، ومِن أعمالٍ وحركاتٍ،

وأصواتٍ .. لا يخفَى عليه من مخلُوقاتِه شَيءٌ .. حتى النَّجْوَى، [مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ]؛ يتناجَون سِرَّاً، بعيداً عن أعينِ ورقابةِ الناسِ، [إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ]؛ معهم، يعلَمُ ويسمعُ نجواهُم، لا يخفَى عليه من حالِهم ومَا يَضْمِرُونَه ويتَسَارُّون به شيء، [وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ]؛ قلَّ عدَدُهم عن ذلك أو كثر، [إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ]؛ فاللهُ تعالى وهو مستوٍ على عَرْشِه، معهم بعلْمِه، وسمعِه، وبصَرِه، وقُدْرَتِه، [أَيْنَ مَا كَانُوا]؛ سواءٌ كانوا في شَرقِ الأرضِ أم في غَرْبِها، أم في جنُوبِها، أم في شمالِهَا، وسَواءٌ كانُوا فوقَ الأرضِ، في قُصورِها، وحصُونِها، أم تحتَ الأرضِ، في خنادِقِها، وسرَادِيبِها .. وأنتَ يا أيُّها الإنسانُ لا تحسبنَّ أنَّك في نْجوَاك، وتخَفّيك، واستتارِكَ، تَستطيعُ أن تُخفي شيئاً عنِ اللهِ .. وأنك بمفردِك فِيما تَتَناجَى به، لا يطَّلعُ عليكَ أحَدٌ .. وأنتم يا أيها المؤمنون لا يحزنكم نجْوَى الكفَّار وتآمُرهم عليكم .. فإن كنتم لا تَعلمون نجواهُم، وما يخطّطُون له .. فاللهُ معَهم يَعلمُ نجواهَم وسِرَّهم، ومَا يُدبّرون، ويخطّطُون له ضدَّكم، [ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]؛ بما كان منهم مِن عملٍ، وفِيما قد تنَاجَوا فيه؛ فمَن عمِل خَيراً وجَدَ خيراً، ومَن عملَ شَرَّاً وجَدَ شَرَّاً، ولا يلُومَنَّ إلا نفْسَه، [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]المجادلة:7. من صيغِ العمومِ الشامِلَةِ لجميعِ الأشياءِ؛ كبيرها وصغيرها، وسواءٌ كانت في السماواتِ أم كانت في الأرضِ .. فالله يعلَمُها، وقادِرٌ عليها، ويحيطُ بها عِلماً.

* * * * *

سورة الحشر

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

1442- [فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا]الحشر:2. في كثيرٍ مِن الأحيانِ تَتَراءى الأسبابُ للعيانِ كسَدٍّ مَنيعٍ يمنعُ من النَّيلِ من الأعْداءِ .. تجعل العدوَّ يَشعرُ بالأمَانِ، والاطمئنَانِ، وأنَّه فوقَ أن يُنالَ منه، ومِن هَيبتِه .. فيأتيه اللهُ تعالى مِن حيثُ لا يَظنُّ، ولا يَعلمُ، ولا يخطرُ على بالِه .. فيُسلِّطُ عليه عدوّاً وظالماً مِن جنسِه ولونِه .. ومِن داخلِ صَفِّهِ .. ومِن جهةٍ كانوا للحظَةِ الأخيرَةِ يَعتقدُون أنَّها آمِنَةٌ .. فتتَهاوى تلكَ الأَسْبابُ المنيعةُ كأنَّها بيتُ العَنْكَبُوت .. ليعلمَ الجميعُ أنَّ مكرَ اللهِ أعْلَى، وأكبرُ، وأجَلُّ .. وأنه لا يحولُ بينه وبينَ مشيئتِه حَائِلٌ.

* * * * *

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ

1443- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ]الحشر:2. تكونُ دِيارُهُم وبيوتُهم عَامِرَةً بالخَيرِ .. والنِّعَمِ والأمَانِ .. فيُقابلُون هذا الخيرَ والنِّعَمَ بالكُفْرِ، والظُّلمِ، والعُصْيَانِ، والفُسُوقِ، والفُجُورِ .. ويُدْخِلُون على بيوتِهم مَا ليسَ مِنْهَا .. فيُخَرِّبُون بذلك بيوتَهم الآمِنَةِ المطمئنَّةِ بأيدِيهم، وإرادَتِهم .. ويَهدِمُون العَامِرَ مِنْهَا .. وكانُوا بِغِنَى عَن ذَلك!

1444- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ]الحشر:2. الخرَابُ نَوعان: خَرابٌ مَادِيٌّ، يتمَثَّلُ بالهدْمِ، والتَّدمِيرِ، والتَّفجِيرِ .. وخَرابٌ مَعْنَوِي، يتمَثَّلُ بتخريبِ البيوتِ في الدِّينِ، والخُلُقِ .. وإشاعَةِ الفسَادِ، والمنْكَرَاتِ، والموْبِقَاتِ فِيها .. وهو خَرَابٌ أَشَدُّ فَتْكاً وأَثَراً مِن الخَرابِ الأوَّلِ المادِّي .. وأكْثَرُ شِيُوعاً!

1445- [يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ]الحشر:2. هذه آيةٌ نزلَت في اليَهودِ؛ فهم يُخْرِبُون بيوتَهم بأيْدِي المؤمنين؛ حيث يجعَلُون للمؤمنِين ـ بسببِ عُدْوانِهم وغَدْرِهم ونقضِهم للعهُودِ ـ سُلطَاناً عليهم .. فيكونُون بمثابَة مَن يُخْرِبُ بيتَه لكن بيدِ غَيرِه .. أمَّا أنَّهم يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ، ويَهدمون بيوتَهم التي عمرُوها بأيدِيهم؛ فهذا لأنَّهم سُفَهَاء وأغبيَاء؛ لَا يَنظُرُون إلى مآلاتِ وعَوَاقب أفعَالِهم .. فيُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وهم يَحسَبون أنَّهم يُحسِنُون صُنعَاً!

* * * * *

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ

1446- [كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ]الحشر:7. أيُّمَا نظامٍ اقتصاديٍّ تقومُ سَياساتُه على تحريكِ، وتَشغيلِ الأموالِ، واستثمارِها ـ بعيداً عن الحرامِ وضمن المشروعِ والمبَاحِ ـ ليستَفيدَ منها أكبرُ قَدْرٍ ممكنٍ مِن الناسِ .. الإسلامُ يُؤيدُه، ويُبارِكُه، ويُرَغِّبُ به .. وأيما نظامٍ اقتصادِيٍّ تَقُومُ سياسَاتُه على تجميدِ الأموالِ وكنْزِها، لتبقَى متداوَلَةً بين أيدِي فئةٍ قليلَةٍ مِن النَّاسِ .. فالإسلامُ لا يُؤيدُه ولَا يُباركُه .. قال تعالى:[وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ]التوبة:34.

* * * * *

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

1447- [وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]الحشر:9. الإنسانُ فُطِرَ على حُبِّ نَفْسِه، وعلى أن يُؤثِرَها على ما سِواها .. فهو لا يحتَاجُ للتذكيرِ بما يَشعرُ به، ويطلبُه على مدَارِ السَّاعَةِ .. ومع ذلك قد تكاثَرت الدَّعوات المغرضَةِ الباطِلَةِ والمشبوهَةِ الدَّاعِيةِ إلى الأنانيَّةِ المجحِفَةِ، وإلى مزيدٍ مِن حُبِّ الذَّاتِ، وحُبِّ النفْسِ وإيثارِها .. فرفَعوا شعاراً نفْسي أوَّلاً وآخراً .. وليسَ شيء قبلَ ولا بعدَ نفسِي .. إلى درجةٍ لم يَعدْ يطيبُ لهم أو يَستسِيغُوا أن يَلتفتوا ـ ولو بالقليلِ النَّادرِ من وقتِهم ومما يملِكُون ـ إلى آلامِ، وحاجياتِ، ومشَاعِرِ الآخَرين .. وهم بذلك أرادُوا مِن المسلمِ ـ والمسلمة ـ أن ينسلخَ بكليتِه عن أمَّتِه، وعَن آلامِ ومآسِي وحاجيات إخوانِه، ومحيطِهِ الاجتماعِي .. فلا يَتفاعَلُ بشيءٍ إيجابي مع هُمُومِ وآلامِ المسلمين .. فانتشرَت بين الناسِ أخلاقُ الضِّباع الضَّاريَةِ التي لا تَأبَه إلا لنَفْسِها، ولو مَاتَ جميعُ القَطيعِ ومَن حولها جُوعاً .. وأصبحَ الحديثُ عن الإيثارِ والبَذْلِ سُبَّةً مدعَاة للتهكُّم والاستخفَافِ .. فجاءَ الخطابُ القُرآنِي الربَّاني ليرشِّدَ النفُوسَ، وليصحِّحَ سلوكَ ومشاعِرَ هذا الفريقِ الأناني الكبيرِ من الناسِ .. وليقول لهم: حُبُّك لنفْسِك مشرُوعٌ .. ولكن لا ينبغي حُبك لنفْسِك أن يمنعَك من أن تحبَّ للآخَرين ما تحبُّ لنفْسِك .. بل إيمانُك لا يكتَمِلُ حتى تحبَّ لأخِيك مَا تحبُّ لنفْسِك .. ثم لو ارتقيتَ درجةً أسمى من مجرَّدِ الحبِّ؛ فآثرتَ غيرَكَ ببعضِ العطاءِ والخيرِ، ممن هم أكثرُ مِنكَ حاجَةً وجُوعاً على نفْسِك .. فأنت الرابحُ والفائزُ في الدُّنيا والآخِرةِ .. والأعظَمُ من هذا كُلِّه أن تؤثِرَهم معَ حاجَتِك لما تُؤثرهم به .. فربَّ دِرهَم مِنك وأنت بحاجةٍ إليه يَسبقُ عندَ اللهِ مائةَ ألفَ دِرهَم وأنت مُستَغْنٍ .. وإن فاتَك المقَابِلُ في الدُّنيا ـ لا تحزَنْ ولا تبتئِسْ ـ فاعلمْ وتيقَّن أن المقابِلَ في

الآخِرَة لن يَفوتَك، وستجِدُه أضعَافاً مُضَاعفةً، ولن يخيبَ مَن يُتاجِرُ معَ اللهِ، [فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]، الفائزُون بالرِّضْوان والجِنَان!

* * * * *

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

1448- [بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ]الحشر:14. هكَذا كانُوا اليهود مِن قَبل .. وهكذا هُم الآن .. وهكذا هُم غَداً .. ظاهِرُهم يُوحِي أنَّهم مجتمعُون على قَلبِ رجُلٍ واحِدٍ .. بينَما هم في حَقِيقَتِهم، وواقِعِهم مُتَنَاحِرُون .. مُتَدَابِرُون .. مختلِفُون .. ومُتَفرِّقُون في فِرَقٍ، وأحزَابٍ شَتَّى .. أليسَ ذلك دَليلٌ على أنَّ القُرآنَ الذي يَصِفُهم بهذَا الوصْفِ الدَّقيقِ وعلى مَرِّ أزمنَتِهم .. حَقٌّ، وأنَّه كَلامُ اللهِ؟!

* * * * *

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ

1449- [كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ]الحشر:16. لَا أَرَى مَثِيلاً للشَّيطَانِ في صَنِيعِه هَذا، كطوَاغِيتِ الحُكْمِ والظُّلْمِ، الذين يُشَرِّعُونَ الشَّرَائِعَ والقَوَانِين البَاطِلَةِ، ويُمهِّدُون لها، فإذَا وقعَ الناسُ بموجِبِها، تبرَّؤُوا مِنهم، وأَخَذُوهم بأصنَافٍ مِن العُقُوبَات؟!

* * * * *

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ

1450-[وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19. ومن نسيان المرءِ لنفْسِه؛ الغفلةُ عن تعاهدها بما ينفعها، وتجنيبُها ما يَضرُّها .. وعن محاسبتِها، ومُساءلتِها فيما قدّمت، وما أخّرَت، وأين كانت، وكيف أصبحَت، وإلى أين تَصير ...؟!

1451-[نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]الحشر:19. فأنْساهم أنفسَهم وما ينفَعها، ويُصلحها، فعلى قَدرِ نسيانِ العبدِ لخالِقه على قَدْرِ ما يُنسِيه اللهُ نفسَه، ويُنسِيه ما يَنفعها، ويَسعى فيما يَضرُّها .. مفهوم المخالفة يقضي أن العبدَ على قدر ما يَذكرُ اللهَ تعالى، على قدر ما يذكرُ نفسَه، وما يَنفعها ويُصلحها، في الدنيا والآخرة.

1452-ونحوه قوله تعالى: [فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]الأنعام:44. مِن نعيمِ وزِينَةِ وزُخرفِ الحياةِ الدُّنيا، فتنةً لهم، فينْسون ـ بسببها، وسبب الانشغالِ بها ـ أنفسَهم، حتَّى يأتيَهم اليَقينُ، فيقعُ النَّدمُ، ولاتَ حِين مَنْدَم .. وفيه أنَّ العقوبةَ والجزاءَ من جِنسِ العمَل.

* * * * *

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ

1453-[أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ]الحشر:20. لا نجَاحَ معَ خُسرَانِ الجنَّةِ، ولَا خُسْرَانَ معَ الفَوزِ بالجنَّةِ.

* * * * *

سورة الممتحنة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء

1454-[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء]الممتحنة:1. مَن كان عدوّاً للهِ فهو عَدوٌّ للمؤمنين، ومَن كان عَدوّاً للمؤمنين فهو عَدوٌّ للهِ .. ومَن أرادَ أن يفرِّقَ بين أعدَاءِ اللهِ، وأعداءِ المؤمنين، ويَتخذَ مِن أعدَاءِ اللهِ أولياءَ، فهو ليسَ مِن المؤمنين.

* * * * *

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

1455-[قَدْ كَانَتْ لَكُمْ]؛ للمؤمنين؛ كُلّ المؤمنين في كلّ عَصرٍ ومصرٍ، وإلى أن تقومَ الساعَةُ، [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ]؛ قدوةٌ حسَنةٌ .. في ماذا؟ [إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ]؛ من غيرِ المؤمنين، وخُصَّ القومُ بالذِّكرِ لأنَّهم الأَلْصَقُ، والأقرَبُ، والأصعَبُ .. والذي يَقْدِرُ أن يقولَ الحقَّ لقومِه، يهونُ عليه أن يقولَ الحقَّ للأبعَدِ مِنْهم، [إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ]؛ مِن المشركين مِنكُم، العابدِين لغيرِ اللهِ، [وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ]الممتحنة:4. ومن معبوداتِكم، والشِّركِ؛ وهو صَرفُ العبادَة لغيرِ الله، وأن تجعلَ للهِ نِدّاً في أيِّ شيءٍ من خصائصِه، ومن أسمائه الحُسنى، وصِفاتِه العُلْيَا .. وقُدِّم البراءُ من المشركين على البَراءِ من الشِّركِ؛ لأهميته، ولأن البراء من الشِّركِ لا يَسْتلزِمُ البراءَ مِن المشركين .. كما أنَّ المشركين ـ في مرحلةٍ من المراحِل ـ قد يَرضَونَ من المؤمنين أن يتبرَّأوا من الشِّركِ، ومن معبوداتِهم .. على أن لا يتبرَّأوا منهم، وأن تبقى أواصرُ الموالاة والمحبَّةِ قائمة بين الطَّرفين .. وحتى لا يحصلُ شَيءٌ من ذلك، جاء التَّعبيرُ القُرآني وبكلِّ وضُوحٍ [إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ] أوَّلاً !...

* * * * *

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ

1456-[وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ]الممتحنة:12. جاء النهي عن قتل الأولاد مباشرة بعد النهي عن الزنى؛ لأن غالب اللَّاتي يقتلن أولادهن، يكون بسبب الزنى؛ ليدفعن عن أنفسهن عار وتبعات الحمل بالزّنى .. وهذا لا يجوز؛ فالخطأ لا يُزال بخطيءٍ مثله أو أكبر منه.

1457-[وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ]الممتحنة:12. القَتْلُ نَوْعَان: أَكْبَرُ؛ كالإجْهَاض بعدَ أن تُنْفَخَ الرُّوحُ في الجَنِينِ. وأَصْغَرُ؛ كتَعَاطِي الموانِع، والخَوانِق التي تمنَعُ الحَمْلَ، مِن غَيرِ ضَرُورَةٍ.

* * * * *

سورة الصف

كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

1458-[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ]؛ تَأمرُون الناسَ بالمعرُوفِ، ولا تأتُونَه، وتَنهونَهم عن المنكَرِ، وتَأتُونَه .. تَعِدُون، وتُعَاهِدُونَ ثم لا تَفُون بوعْدِكُم ولا عهْدِكُم .. فهذا خُلُق مَذمُومٌ، وهو ضَرْبٌ مِن النِّفاقِ .. لا يَليقُ بكم، ولا بدَعْوَاكم الإيمان .. فصنيعُكُم هذا، [كَبُرَ]؛ عَظُمَ [مَقْتاً]؛ سخطاً، وغضَباً شَديداً، [عِندَ اللَّهِ]؛ يومَ القيامةِ، وفي حُكْمِ الله، [أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:2-3. فكلُّ مَن لا يُصدّقُ قَولَه بالعمَلِ .. وقالَ قولاً يُكَذّبُه بعَمَلِه .. وكلُّ مَن يَعِد وعْداً ثم لا يَفِي به .. له حَظٌّ مِن هذه الآيةِ الكريمةِ .. وهذا الوَعيدِ الشَّديدِ والمخيفِ .. نَسْألُ اللهَ تعالى السَّلامَةَ، والعَفْوَ والعَافِيةَ.

1459- [كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:3. لأن الإساءةَ حينئذٍ تكونُ مُضاعفةً؛ إساءة للقائِل الذي يُناقضُ قولُه عملَه، وإساءة للقولِ، وللدعوة ذاتِها، وبريقها، التي تفقد النوذَجَ العمَلي، وإساءة للمدعو؛ إذ يرى فيمن يقولُ ما لا يَفعل مثل السّوءِ لما يَدعو إليه .. فيكون بذلك منفّراً له!

1460- [كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ]الصف:3. شُعبةٌ مِن شعَبِ الكَذِبِ والنِّفاقِ أن تقولَ مَا لَا تَفْعَل .. أن تحضَّ على خُلُقٍ وتَأتي ضِدَّه .. أن تَأمُرَ بشيءٍ وتَفعَل عكْسَهُ .. أن تَعِدَ بشيءٍ ثمَّ لا تَفِي به .. وإذا كان هذا الخُلُق مَذموماً وقَبيحاً في آحَادِ الناسِ .. في حقِّ المستضعَفِين مِن النَّاسِ .. فهو في الحكَّامِ والأمراءِ الذين يملكُون القوَّةَ، والسُّلطةَ أشَدُّ قُبحاً وذَمّاً .. الحكَّام الذين لا يحترِمُون كلامَهم، ووعُودَهم، وعُهودَهُم .. الذين يَدورُون مع مصَالحِهم الشَّخْصيَّةِ، والحِزْبيَّةِ، والسياسِيَّةِ حيثُمَا دارَت ووجِدَت .. يَقُولُون كَلاماً في اللَّيلِ ثم يَدُوسُون عليه في النَّهَارِ، ويَقُولُون كَلاماً في النَّهارِ ثمَّ يَدُوسُون عليه في اللَّيلِ .. وإن كانَ ذلك على حِسَابِ القِيَمِ والمبَادِئِ، والعُهُودِ التي قطَعُوها للشعُوبِ على أنفُسِهم .. فهذا النَّوعُ مِن الحكَّامِ لهم القسطُ الأَكبَر والأَوفَر مِن سخَطِ ومَقْتِ اللهِ عزَّ وجَل، ومِن الوعيدِ الوارِدِ في الآيةِ أعْلاه .. وفي الحديث الصحيح:" ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ - منهم -: ومَلِكٌ كَذّابٌ "مسلم.

* * * * *

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

1461- [فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ]الصف:5. فلمَّا مَالُوا عن الحقِّ وعَدَلُوا عنه إلى مَا سِوَاه، صرَفَ اللهُ قلوبَهم، وأمالَها عن فهمِ الحقِّ، والإيمانِ بهِ .. فعاقبهم من جنسِ ذَنْبِهم .. فالحقُّ نعمةٌ مَن لَا يَعرفُ قَدْرَها يُعاقَب بحرمَانِها!

* * * * *

سورة الجمعة

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً

1462- مَثَلُ عُلماءِ السُّوءِ في كِتابِ اللهِ، وهم فريقان: فَرِيقٌ رَكَنَ إلى الظَّالمين، وظاهرَهم على المظلُومين، والمؤمنين، وهذا مَثَلُه: [كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث]الأعراف:176. وفَرِيقٌ لا يَعمَلُ بما يَعْلَم، وهذا مَثَلُه:[كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً]الجمعة:5.

* * * * *

سورة المنافقون

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

1463- [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ]المنافقون:8. العِزَّةُ تكونُ لِلْمُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ الذين يَأخذُونَ بأسْبابِ العِزَّةِ، ويَسْتَوفُون في أنْفُسِهم شُروطَ وشُعَبَ الإيمانِ، ويَسْتَمِدُّون عِزَّتَهم من اللهِ .. فإن حصَلَ نَقْصٌ في مستوى العِزَّةِ كان ذلك دَليلاً على نَقْصٍ في الإيمان.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ

1464- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ خطابٌ مِن اللهِ تعالى إلى عِبادِه المؤمنين، في كُلِّ زَمَانٍ، وكُلِّ مكَانٍ .. وعلى المؤمنين إذا سمِعُوا [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]، أن ينصِتُوا، ويُحسِنُوا الاستماعَ، والإصْغَاءَ، ويَستَشْعِرُوا عظَمَةَ المُخَاطِب، ليَستَشْعِرُوا عظَمَةَ الخِطَابِ، وليَفْهَمُوا ماذَا يُرِيدُ اللهُ مِنهم، [لَا تُلْهِكُمْ]؛ لَا تُشْغِلْكُم، [أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ]؛ عن طاعَةِ اللهِ تعالى، وعن عبادَتِه، وأَدَاءِ الفَرَائضِ في وَقتِها .. وذُكِرَت الأموالُ قَبلَ الأولادِ؛ لأنَّ الأموالَ أكثر مشْغَلَة للإنسانِ مِن الأبنَاءِ .. فالرجُلُ تَراهُ يَنشَغلُ في يومِه مِن أجْلِ تحصِيلِ المالِ وتنمِيتِه عشْرَ سَاعات، وربما أكثر، بينمَا يَنشغلُ معَ أبنائِه ساعَةً وربما أقَل، [وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ]؛ فيَنشغلُ بالأموالِ والأَوْلادِ عَن ذِكْرِ اللهِ تعالى، ويُؤثِرُهم على ذِكْرِ اللهِ، وطاعَتِه، وعِبادَتِه، وأَدَاءِ الفَرائضِ في وقْتِها، ومكَانِها، [فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]المنافقون:9. في الدُّنيا والآخِرَة.

* * * * *

وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

1465- [وَأَنفِقُوا]؛ حَضٌّ على الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ، وهو يَشمَلُ النَّفقَةَ الواجِبَة كالزَّكاةِ، والمُسْتَحَبَّة كالصَّدقَاتِ، [مِن مَّا]؛ تفيدُ التَّبعِيضِ؛ أي بعضُ المالِ، وليسَ جِلُّه، وهذا مِن تَيسيرِ اللهِ على عبادِه؛ إذْ لم يُوجبُ عليهم إنفاقَ جميع ما يملكُون ويَزيدُ عن حاجَتِهم، [رَزَقْنَاكُم]؛ فالمالُ ليسَ مالَكَ يا عبدَ اللهِ، وإنَّما هو مالُ اللهِ تعالى وحدَه، وهو الذي رزَقَكَ المالَ وتفضَّلَ به عليك، وأنتَ مُسْتَخْلَفٌ عليه، لِيُنْظَرَ كيفَ ستَتَصرَّفُ بما استخلفَكَ اللهُ عليه؛ هل ستنْفقُه في سبيلِ اللهِ، في أوجهِ الخَيرِ، كما أمرَكَ اللهُ، أم ستمسِكُه بخلاً، وتمتنعُ عن الإنفاقِ، والإحسَانِ، [مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ]؛ قبل أن يحتضِرَ، ويُعايِنَ، ويَدنُو مِنه الأجَلُ، وتَظهرَ علامَاتُ الموتِ وإمَاراتُه التي لا مَرَدَّ

لها، [فَيَقُولَ]؛ مُتَحسِّراً على ما فاتَه من عمَلٍ .. وعلى الوقتِ الذي كان مُتَاحاً لَه، ولَمْ يحسنْ استغلَالَه، [رَبِّ لَوْلَا]؛ تفيدُ التَّمني والرجاءَ، والطَّلبَ الحثِيث، [أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ]؛ إلى أيَّامٍ قلائِل فقَط .. بل إلى سُويعَات .. أستَدرِكُ فيها بعضَ ما فَاتَني .. يَطلبُ هذا الطَّلبَ، واللهُ تعالى قبلَ ذلك قد أخَّرَه وأمَدَّ بعمرِه عُقُوداً ربما قد تجاوَزَت الستّين والسَّبعين والثمانين سَنَة، فلم يَتنبَّه في تلكَ العُقُودِ مجتمعةً إلى مَا يتنبَّهُ إليه في الدَّقائقِ أو اللحظَّاتِ الأخِيرةِ مِن حياتِه .. ثم لماذا يَسألُ التَّأخيرَ في الأجَلِ؟ [فَأَصَّدَّقَ]؛ فيتذكَّر الصَّدَقَةَ التي كان يمنعُها وهو في قوَّته، وكانَ قَادِراً على الإنفَاقِ .. ولِمَا للصَّدَقةِ مِن أثَرٍ حسَنٍ على مَا هو مُلاقِيه ويَنتظِرُه، [وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ]المنافقون:10. ممَّن يَقُومون بالواجِبَاتِ، والفَرائضِ، والتي مِنها الحجُّ، وغَيرُها مِن الطَّاعَات .. هذا حالُ أهْلِ التَّقصِير، وهَذا قَوْلُهم .. أمَّا المؤمنُون الصَّالحُون المتصدّقون، لا يَتحسَّرُون على ما فَاتَهم، ولَا يَسألُون اللهَ هذا السُّؤال .. بَل يَسْتبْشِرُون خَيراً، ويَفرحُون بما هو مُلاقِيهم، ويَنتَظِرُهم مِن النَّعِيمِ المقِيم.

1466- [وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ]المنافقون:10. لَا تُؤَخِّرْ مَا يجبُ عليك القِيامُ به إلى آخِرِ وَقْتِه؛ لاحتمالِ أن تَعْتَرِضَكَ موانعُ قاهِرةٌ تُحِيلُ بينَك وبينَه، مِنْها الموْت .. فتندَمُ، ولَاتَ حِينَ مَنْدَم!

* * * * *

سورة التغابن

وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ

1467- [وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ]التغابن:11. لأَحْسَنِ الاعْتِقَادِ، والقَوْلِ، والعَمَلِ .. وخَصَّ القَلْبَ؛ لأنَّه الأَمِيرُ الذي بِهدايَتِه تَهْتَدِي الجوَارِحُ.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

1468- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ خِطَابٌ مِن السَّيِّدِ المَلِكِ، مالِكِ المُلْكِ، وخَالِقِ الخَلْقِ، لكُلِّ مؤمنٍ في كلِّ زمَانٍ، ومَكَانٍ [إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ] مِنْ؛ تُفيدُ التَّبعِيض؛ أيْ إنَّ من أزواجِكُم وأولادِكُم مَن هم ليسُوا كذلك؛ وذلك عندما يكونُون عَونَاً لَكُم على الطَّاعَةِ والعِبَادَةِ، [عَدُوًّا لَّكُمْ]؛ وذَلك عِندما يُشْغلونَكُم عَن طَاعةِ اللهِ، وتُؤثِرُون طَاعَتَهم على طَاعَةِ اللهِ .. ويُثَبِّطُونَكُم، ويُجَبِّنُونَكُم عنِ الطَّاعاتِ، وبخاصَّةِ الإنفاق في سبيلِ اللهِ، والجهاد في سبيلِ اللهِ، فالولَدُ كما في الحديث:" مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ "؛ أي مُتَسَبِّبٌ للبُخْلِ والجُّبْنِ، [فَاحْذَرُوهُمْ]؛ أن تُطِيعُوهم في مَعْصِيَةِ اللهِ، أو تُؤْثُرُوهم على طَاعَةِ اللهِ، [وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا]؛ عَن زَلَّاتِهم وأخْطائِهم بحقِّكم، إذْ لا بُدَّ أن يحصَلَ شيءٌ مِن ذلك [فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التغابن:14. فكما غَفَرتُم لهم، وعَفَوتُم عنهم، يَغْفر اللهُ لكُم، فالجَّزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ.

1469- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ]؛ عدَاوَتُهم لكم تكمُنُ مِن أربعةِ أوجُهٍ: عندما لا يُعينُون الآباءَ والرجَالَ على طاعةِ اللهِ تعالى، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يَصدُّونَهم ويُشغلونَهم عن طاعةِ اللهِ تعالى، وطاعةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم .. وعندما يَحمِلُونَهم على مَعصيةِ اللهِ تعالى، ومَعصيةِ رسُولِه صلى

الله عليه وسلم .. وعندما يُنقِصونَهم بعضَ حقُوقِهم، وبعضَ ما يجبُ لهم مِن الطَّاعةِ، والبرِّ، والإحْسَان، [فَاحْذَرُوهُمْ]؛ أنْ يفتنوكُم عن طاعَةِ اللهِ، وطاعةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فتُؤثِرُوا طاعَتَهم على طاعةِ اللهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم، [وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا]؛ عن تَقصِيرِهم بحقِّكم، هو خَيرٌ لكم، ولهم؛ لأنَّ عدمَ العَفْو والصَّفْح، والمغفرَةِ يعني نُزولَ العِقَابِ العاجِل بِهم، قبلَ الآجِل، كما في الحديث:" بابان مُعَجَّلان عقُوبتهما في الدُّنيا: البَغْيُ، والعُقُوقُ ". [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]التغابن:14. يغفرُ اللهُ لكم، ويَرحمكم .. مُقابل عَفْوكم وصَفْحِكم عنهم.

1470-[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ]التغابن:14. قولُه " أَزْوَاجِكُمْ "؛ تَشمَلُ الرِّجالَ والنِّساءَ سواء، فكما أن الزَّوجةَ أحياناً قد تكونُ فتنةً لزوجِها؛ تَصدُّه عَن دينِه، وتُرَغِّبه بالحرَامِ، وتُثَبِّطَه عن القِيامِ بما يجبُ عليه شَرْعَاً؛ شُحَّاً به، كذلك الزوجُ أحيانَاً قد يكونُ فتنةً لزوجَتِه؛ يَصدَّهَا عن دِينِها، ويُرغِّبُها بالحرَامِ والمعَاصِي، ويَستغِلُّ صلاحِيَاتِه بطريقَةٍ خاطِئةٍ؛ فيَمنَعُها مِن طاعَةِ اللهِ، وطَاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم .. فحِينَئذٍ يكونُ لها فِتنةً عليها أنْ تحذَرَه .. وأن لا تُؤثرَه، وتؤثِرَ رِضَاه وطاعَتَه على رِضَا، وطاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

1471-[فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ]التغابن:16. أي قَدْرَ استَطَاعَتِكُم .. فما زَادَ عنِ حدُودِ القِدْرَةِ، والاستَطاعَةِ فلَن تُسأَلوا عَنه.

وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ

1472- [وَأَنفِقُوا]؛ ممَّا رزقكم اللهُ، في سبيلِ اللهِ، وفي أوْجهِ الخيرِ العديدَةِ التي أمركم اللهُ بالإنفاقِ عليها، [خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ]؛ في دُنياكم، وأموالِكم .. وفي آخرتِكم، مِن أن تكنزُوها، وتمنعُوها عَن ذَوي الحاجَةِ، [وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]التغابن:16. والشُّحُّ اسمٌ جامعٌ للبخْلِ، والحرصِ، والحسَدِ .. وهذه خصالٌ قاتلةٌ تمنعُ صاحبهَا مِن بذلِ الخيرِ والمعرُوفِ إلى الآخَرين مِن ذَوي الحاجَةِ؛ سواءٌ هذا الخير كان من جهتِهِ أم مِن جهةِ غيرِه .. وتحملُه على الظلمِ، وقَطْعِ ما يَنبغي أن يُوصَل .. وهذه خصالُ مَن يجتنبها، ويتَّقي شرَّها، وشرَّ الوقوعِ فيها .. فأولئكَ هم الفائزُون بخيرَي الدُّنيا والآخِرَة .. وفي الأثَرِ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كانَ يُكثر في طوافِه أن يَقول:" رَبِّ قِني شُحَّ نَفْسِي ". فقِيل له: ما أكثر ما تَستعيذُ مِن ذلك؟ فقال:" إذا وُقِيتُ شُحَّ نفسي، وُقِيتُ الظلمَ، والبخلَ، والقَطيعةَ ". وفي الحديث:" لا يجتمعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبَداً ".

* * * * *

سورة الطلاق

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

1473- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً]الطلاق:2. مِن كلِّ مَا ضَاقَ وأُحْكِمَت مَغَالِيقُه.

1474- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]الطلاق:3. مِن حَيثُ لَا يَدْرِي، ولا يَخطرُ على بالِه وتفكِيرِه؛ ليَعْلمَ أنَّ الفَارِجَ، والرَّازِقَ على الحقيقَةِ هو اللهُ تعالى وحدَه.

أحياناً يَتعلَّق قَلبُ العبدِ ببعضِ الأسبَابِ والأبوَابِ .. ويَظلُّ بَصَرُه مَشدُوداً نحوَها .. يَترقَّبُ مِنها الفَرَجَ، والرِّزقَ .. فيَغَارُ اللهُ تعالى على عَبدِه، وعلى قَلبِ عبدِه .. فيَجعلُ له فرَجَاً، ورِزْقاً مِن غيرِ تلك الوسَائلِ والأبوابِ؛ ليتوكَّل على اللهِ تعالى وحْدَه، وليَعْلَمَ أنَّ الفَارِجَ والرَّازِقَ على الحقِيقَةِ هو اللهُ تعالى وحدَه.

* * * * *

وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ

1475- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]؛ وهو الذي يَتَعَاطَى الأسبَابَ المتَاحَةِ والممكِنَةِ بجوارِحِه، وقَلْبُه مُعَلَّقٌ باللهِ، مَلِيءٌ ثِقَةً باللهِ، ليسَ في قَلبِه تَعَلُّقٌ بمخلُوقٍ، [فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. فهو كَافِيه فِيمَا يَسْعَى ويتَطلَّعُ إليه .. وهو نَاصِرُه على مَن يُعادِيه .. وعلى التَّحدِّيات، والظرُوفِ القاهِرَةِ، والصَّعْبَةِ المحيطَةِ به .. وهو مُنْجيهِ مِن كُلِّ شَرٍّ يُحَاكُ ضدَّه.

1476- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. لا يُؤتَى المرءُ مَا يَكْرَهُ، إلا مِن جِهَةِ نُقْصَانٍ في التَّوكُّلِ ...!

1477- [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ]؛ مَن يَعتمدُ على اللهِ في حاجَتِه وأُمُورِه، ويُعلِّقُ قلبَه باللهِ تعالى وحدَه، ثمَّ يأخذُ بالأسْبَابِ، [فَهُوَ حَسْبُهُ]الطلاق:3. فاللهُ تعالى يكفِيه، ويُغنيه من فَضْلِه .. فإن لَمْ يكْفِه في حَاجَةٍ من الحوائِج ـ لحكمةٍ يُريدُها ـ يُرضيه، ويُذْهِبُ همَّهُ، وغمَّه، ويَشرحُ له صَدْرَه .. ويجزيه على تَوكُّلِه خيراً كثيراً.

* * * * *

إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ

1478- [إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ]؛ فأمْرُه نافِذٌ في خَلْقِه لا محَالَةَ .. لا رادَّ لقضائِهِ وحُكمِه رَادٌّ .. وعلى أيِّ وجهٍ كنتَ يا عبدَ الله؛ سواءٌ آمَنتَ أمْ كفَرْتَ، وسواءٌ عبَدتَ اللهَ أمْ لمْ تَعبُدْه .. وسواءٌ توكلتَ عليه أم لَمْ تتوكَّل عليه .. وسواءٌ أخَذْتَ بكامِلِ الأسبابِ .. فهذا كلُّه لا يُؤثِّرُ على حُكمِ اللهِ وقضائِهِ فِيك .. ولَا يَردُّه عنْكَ .. فإيمانُك، وتوكُّلك، وعبادَتَك .. تنفعك، ويجزيكَ اللهُ عليها خيراً في الدُّنيا والآخِرة، وتقرِّبُك إلى اللهِ .. لكن لَا تَردُّ أمرَ اللهِ عَنْك .. ولا تردَّ عنك شيئاً شَاءَكَ اللهُ به، [قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً]الطلاق:3. أجَلاً ينتهي إليه .. فلَا شَرٌّ يَدُوم؛ تُدِيمُ الجزَعَ لأجْلِه .. ولا خَيرٌ يَدومُ، تُدِيم الفرَحَ لأجْلِه .. فالكلُّ إلى زَوالٍ، وإلى أجَلٍ ينتهي إليه .. وإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُون.

* * * * *

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً

1479- [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ]؛ بفعلِ مَا أمَر، والانتهاءِ عمَّا نَهى وزَجَر، [يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ]؛ مِن عُسْرِه، وكلِّ مَا يَضِيقُ، ويَصعبُ، ويَشتدُّ عليه، [يُسْراً]الطلاق:4. فرَجَاً، ومخرجَاً، وفُرقَاناً يَسيراً، وسَهلاً .. عجبتُ لمن يَقع في عُسرٍ، وشدَّةٍ، وبلاءٍ، ثم يبحثُ عن المخرَجِ، والحلِّ بَعيداً عن التَّقْوَى!!

* * * * *

سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً

1480- لا تُتْبِع العُسْرَ بعسرٍ .. ولا المشقّةَ بمشقة .. ولا الشِّدَّةَ بشدّةٍ .. قال تعالى:[إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:6. [سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً]الطلاق:7.

1481- [سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً]الطلاق:7. طِبْ خَاطِراً يا عَبدَ اللهِ .. وتَحَلَّى بالصَّبْرِ، والتَّقْوَى، ولَا تَجزَعْ .. هَذا وَعْدٌ صَادِقٌ مِنَ اللهِ لَا يَتخَلَّفُ، ولَا رَادَّ له؛ أنَّ مَا مِن عُسْرٍ، وإنْ طَالَ سيَجعَلُ اللهُ بعدَه يُسْرَاً، وفَرَجاً، ومخرَجاً .. ليَسْتَذْكِر كُلُّ واحِدٍ مِنَّا كم مِن عُسْرٍ عَايَشَهُ، وكَابَدَه في حيَاتِه، ثمَّ أعقَبَهُ اللهُ يُسْراً، وفَرَجاً، ومخرَجاً .. وأصبحَ هذا العُسْرِ مِن جملَةِ الحِكَايَات التي تُروَى للأبناءِ والأحفَادِ؛ نَسْتَخْلِصُ مِنها الحِكَمَ والعِبَرَ؟!

* * * * *

رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ

1482- [رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا]؛ الذين صَدَّقُوا بأركانِ الإيمانِ، [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ وعَمِلُوا بأركانِ الإسلامِ، فجمعُوا بين التَّصديقِ والطاعَةِ والعمَلِ، إذ لا يكفي التَّصديقُ من غيرِ طاعةٍ ولا عملٍ بالتَّنزِيلِ .. هؤلاء هم حَصْراً الذين يَستفيدُون ممَّا يُتلَى عليهم من الآياتِ، أمَّا الكافرُ المعانِدُ، المكابِرُ، أنَّى يَستفيدُ من خيرٍ هو لَا يُؤمنُ به؛ يُعْرِضُ، ويَنْأَى عنه، [مِنَ الظُّلُمَاتِ]؛ صيغَةُ جَمْعٍ؛ لتعدُّدِ الظُّلماتِ التي تحْدِثُها شياطينُ الأنسِ والجنِّ؛ ظلماتُ الكُفرِ والشركِ، وظلماتُ الجهلِ، وظلماتُ الأهواءِ والشُّبهاتِ، والشهواتِ، وظلماتُ الكآبةِ والأمراضِ النَّفسيَّةِ، والحياةُ الضَّنْك، [إِلَى النُّورِ]؛ إلى الإيمانِ، والتوحيدِ، والعِلمِ، والحياةِ السعيدَةِ المطمئنَّةِ .. النورُ الذي يُبَدِّدُ جميعَ الظلماتِ الآنفَةِ الذِّكْرِ .. وجاءَ التَّعبيرُ عن النُّورِ بصيغةِ المفْرَدِ؛ لأنَّ النورَ واحِدٌ، مَصدَرُه واحِدٌ، لا يَقبلُ تعدَّدَ المصادِرِ، والمنَابِتِ، [وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً]الطلاق:11. قَد أعدَّ اللهُ له رِزْقاً حسَناً جميلاً واسِعاً .. مهمَا قِيل في وَصْفِ جمالِه وحُسنِه

ولذَّته .. فهو أجملُ وأعظَمُ، وألَذُّ .. وقد وصَفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم نعيمَ الجنَّةِ بوصْفٍ جامعٍ مَانِعٍ، فقال:" فِيهَا ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "مسلم.

* * * * *

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً

1483-[وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً]الطلاق:12. " بِكُلِّ شَيْءٍ "؛ مِن صيَغِ العمُوم الشاملةِ للأشياءِ كلِّها؛ الظَّاهِرِ منها والبَاطِن، والكَبير مِنها والصَّغِير .. لا يخفَى على اللهِ شيءٌ .. وهذا يَسْتَدْعِي مِن الإنسانِ أنْ يَستشعرَ رقابةَ اللهِ تعالى الدَّائمة، التي لا يحولُ بينَها حائلُ ليلٍ أو نهَارٍ، أو ظلمة برٍّ أو بحرٍ، إذَا ما همَّت نفسه بمنكَرٍ .. فإن نَامت عنه أعينُ العِبادِ، وكاميراتِ المراقَبةِ .. فإنَّ عينَ اللهِ تعالى لا تأخُذُها سِنَةٌ ولا نومٌ، ولا يخفَى عليها شَيءٌ .. قال ابنُ جرير الطبري في التفسيرِ:" ولتعلمُوا أيُّها الناسُ أنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ مِن خلقِهِ محيطٌ عِلماً، لَا يَعزُبُ عنه مِثقالُ ذَرّةٍ في الأرضِ ولَا في السَّماءِ، ولا أصغَرَ من ذلك ولَا أكبر .. فخافُوا أيُّها الناسُ المخالفُون أمرَ رَبِّكم عقوبتَه، فإنه لا يمنعُه مِن عقوبتِكم مانعٌ، وهو على ذلك قادِرٌ، ومحيطٌ أيضَاً بأعمالِكم، فلَا يخفَي عليه مِنها خَاف، وهو مُحْصِيها عليكم، ليجازِيكُم بها، يومَ تُجزَى كلُّ نفسٍ ما كسَبَت ".

* * * * *

سورة التحريم

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً

1484-[وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ]؛ إلى حَفْصَة بنتِ عُمر رضي الله عنهما، [حَدِيثاً]؛ حديثاً خاصَّاً، وطلبَ منها أن لا تُخبر عائشةَ بما حدَّثَها به، [فَلَمَّا نَبَّأَتْ

بِهِ]؛ فلم تَصْبِرْ على كتمانِ ما اسْتَسَرَّها النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليه؛ فأخبرَت عائشةَ رضي الله عنها،[وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ]؛ فأطلعَه اللهُ تعالى على ما فعلَت حَفْصَةُ، وأنَّها قد أخبرَت عائشَةَ، [عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ]التحريم:3. ولمَّا راجَعَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم وعاتَبَها على فِعلِها، عَرَّفَها ببعضِ حَدِيثِها لعائشَة، وما كان مِنها .. وأعْرَضَ عن ذِكْرِ البَعضِ الآخَر تَكَرُّمَاً، وحَتَّى لا يَزيدُ مِن إحراجِ حفْصَة .. إذْ يكفِي أن تعلم أنَّها أخْطأت، وأينَ يقَعُ خَطَأهَا بأقلِّ عِبارَةٍ أو إشَارَةٍ .. وفي ذلك تَقريرٌ لمبدَأ وخُلُقِ التَّغَافُلِ عَن ملاحقَةِ الهفَوَات، والكَبَوَات .. وعَدَمِ الاستِقْصَاءِ، وافتعالِ التَّحريَّات التي تَضرُّ ولا تَنفَع، وتَزِيدُ مِن إحْراجِ المخطِئ، وبخاصَّة إن ظهرَت عليه علامَاتُ التَّوبَةِ والنَّدَمِ .. ولم يَكُن من الذين يُجاهِرُون ويُبَاهُون بذنوبِهم .. قال الحسَن البَصري:" مَا اسْتَقْصَى كَرِيمٌ قَط !"

* * * * *

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

1485-[إِن تَتُوبَا]؛ هما عائشة، وحَفْصَةُ رضي الله عنهما، ومحاولتهما في حمْلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على مَا يَكْرَه، [إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا]؛ وقَد تابَتَا ولله الحمد، [وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ]؛ تستمرَّانِ في التَّعاونِ فِيما بينكما على معصيةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأذَاه، [فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]التحريم:4. النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد واجَهَ الفُرسَ، والرُّومَ .. وواجَهَ مُشركي العَرَب، وجيوشَهُم .. فلم يحصَلْ مثلُ هذا التَّجييشُ الرَّهيبُ والمخيفُ، والعظيمُ في النُّصرةِ والتَّأييدِ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم .. لكن لَمَّا واجهتهُ مشكلةٌ دَاخليَّةٌ في بيتِه الشَّريفِ، مع بعضِ نسائِه .. قد شغَلَتْهُ، وآذَت قلبَهُ الطَّاهر الشَّريف .. أوحَى اللهُ إليه:[فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

مَوْلَاهُ]؛ ناصِرُهُ، ومُعينُه .. واللهُ تعالى يَكْفِي .. لكن إمعاناً في بيان النُّصْرةِ والتأييدِ لنبيِّهِ صلوات الله وسلامه عليه .. وبيانِ خُطورَةِ ما أقدَمَ عليه بعضُ نسائِه .. قال:[وَجِبْرِيلُ]؛ وهذا يَكْفِي .. لكنَّ اللهَ تعالى زَادَ:[وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ]؛ كلُّ المؤمنين الصَّالحين، وعلى رأسِهم الصِّدِّيق أبي بكر، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .. وهذا يَكْفِي .. لكنَّ اللهَ تعالى زَادَ، فقال:[وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]؛ كُلِّ الملائكةِ؛ المقرَّبُون منهم وغير المقرَّبين .. ولا يَعلمُ تعدَادَهم إلا اللهُ تعالى .. فكلُّهم مجتمعين أعوانٌ وأنصَارٌ للنبي صلى الله عليه وسلم في مواجهةِ المشكلةِ التي تواجِهُه صلى الله عليه وسلم مع بعضِ نسائِه .. داخِلِ بيتِه الشَّريفِ .. لأنَّ مشكلةً واحِدَةً دَاخل البيْتِ وطْؤهَا على قلوبِ الرجالِ أشَدُّ مِن ألفِ مشكلةٍ خارج البيت .. وفي ذلك رِسَالةٌ رَادِعَةٌ، عظيمةُ الشَّأنِ للنساءِ اللاتي يتهاونَّ في إثارَةِ المشاكِلِ ـ ولأتفهِ الأُمورِ ـ مع أزواجهنَّ الصالحين المؤمنين!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً

1486-[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]التحريم:6. عِظُوهم وعلِّمُوهم الخيرَ، فخَيرُ مَن تَعِظ؛ نفْسَكَ، ثم الأقرب، فالأقرب.

1487-[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا]؛ كُلّ الذين آمَنُوا .. الرِّجَالُ والنِّساءُ سَوَاء، [قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً]التحريم:6. أوْلَى الأَنْفُسِ في أن تَتَعَاهَدَهَا بحُسْن التَّعْليمِ، والتَّربيَةِ، والتَّوْجيه .. وأن تَصْرِفَ لها جَهْدَك وطَاقَتَك .. نَفْسك، ثمَّ الأقْرَب، فالأَقْرَب مِن أهلِك، وممَّن تُعِيل.

* * * * *

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا

1488-[كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا]التحريم:10. مَن ابتُلي بامرَأةِ سُوءٍ ـ وكانَ مِن الصَّالِحين ـ فلهُ عَزَاءٌ بامرَأَةِ نُوحٍ، وامرَأَةِ لُوط!

* * * * *

سورة الملك

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

1489- [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ]؛ ليَخْتَبِرَكُم بأنْواعِ البَلاءَاتِ، [أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. أصْوَبُهُ، وأخْلَصُه.

1490- كل ما يُساقُ إليك يا ابنَ آدم - من خيرٍ أو شرٍّ - لا يخرجُ عن معنى الابتلاء، وهو داخل في معنى قوله تعالى:[الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2.

1491- [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. أي أصْوَبَهُ، وأَخْلَصَه .. وأنتَ يا ابنَ آدَم شِئتَ أم أبيْتَ .. رَضِيتَ أم سَخِطْتَ .. وافَقْتَ أم عارَضتَ .. فهِمْتَ أم لم تَفْهَم .. فالحياةُ الدُّنيَا لَمْ تُخْلَق للاستِقْرَارِ .. ولا هي دَارُ جَزَاءٍ .. وإنَّمَا هي دَارُ عُبُورٍ، وبَلاءٍ، واختِبَارٍ .. خيرُهَا وشَرُّهَا، وجميعُ مَا فِيها مِن مَسَرَّاتٍ، ومُكَدِّرَاتٍ، اختِبَارٌ وبَلاءٌ .. وأنتَ المُختَبَر والممْتَحَن في هذا الاختِبَارِ والبَلاءِ .. هل سَتَنْجَحُ في الاختِبَارِ أم ستكُونَ من الخاسِرِين .. هذا ما سَتَعْرِفُه، ويَتَكَشَّفُ لكَ .. ويُعرَف عَنك يَومَ الحِسَاب.

* * * * *

كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

1492- [كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ]الملك:8-9. فيهِ أنَّ جميعَ مَن يَدخلُونَ نَارَ جَهنَّم

قَد بَلَغَتْهم نَذَارَةُ الرُّسُلِ، فقَابَلُوها بالإعْرَاضِ والتَّكْذِيبِ .. وفيه أنَّ اللهَ تعالى لا يُعَذِّبُ أحَدَاً يومَ القِيامَةِ إلَّا بَعدَ بلُوغِه نَذَارَة الرُّسُل، فيُقَابلُها بالرَّدِّ والإعْرَاضِ.

* * * * *

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

1493- [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]الملك:10. فيه أنَّ الكَافِرَ ليس له عَقْلٌ، وإنَّما له ذهْنٌ مِن خِلالِه يَقْتَاتُ ويَعْتَاشُ، ويَعْلَمُ ظَاهِراً مِن الحيَاةِ الدُّنْيَا .. إذْ لو كان له عَقْلٌ، لَعَقَلَهُ عنِ الكُفْرِ، وقَادَهُ إلى الإيمَانِ!

* * * * *

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ

1494- ذُكِرَ الرزقُ، فقال تعالى:[فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ]الملك:15. وذُكِرَت الصَّلاةُ، ونحوها مجالسُ العِلمِ والذِّكرِ، فقال تعالى:[فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ]الجمعة:9. وذُكِرَت المغْفرةُ، والجَنَّةُ، فقال تعالى:[وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ]أل عمران:133. وقال تعالى:[سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ]الحديد:21. وذُكِرَ اللهُ، فقال تعالى:[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] الذاريات:50. فلا تجعَلْهَا سَواءً في السَّعي، والحَرَكَةِ، والإقْبَال.

1495- [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ]الملك:15. فيه حَضٌّ وتَرغيبٌ على عدَمِ التَّقوقُعِ والتَّموضُعِ في مرَاكز وظيفيَّة ضيِّقَة تعجُّ بالسكَّانِ .. فيفُوق عددُ السكانِ الطَّاقَةَ الاستيعابيَّةَ لتلْكَ المواقع والمرَاكز .. وعلى التَّوسُّع والتماسِ الرزقِ في الانتشارِ والحركَةِ في أطرافِ الأرضِ .. فخيراتُ الأرضِ

أكبرُ بكثيرٍ مِن عدَدِ سكانِها لو أَحْسَنُوا الانتشارَ فِيها، واستغْلَالَ أطرافِها .. والحركَة فيها برَكَة .. قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ]؛ خلقَكُم، وبثَّكُم، ونَشَرَكُم، [فِي الْأَرْضِ]المؤمنون:79.

* * * * *

أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

1496-[أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ]الملك:16.

فِيه أنَّ اللهَ تعالى في السَّماءِ؛ له العُلُو، يَعْلُو، ولا يُعْلَى عليه .. بَائِنٌ عن خَلْقِه .. عَرْشُهُ العَظِيم فَوقَ خَلْقِه، وهو فَوقَ عَرْشِه، سُبحَانه وتعالى .. وفي الحدِيثِ الذي أخرجَه مُسلمٌ في صحيحه، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سألَ جَارِيةً مملوكَةً كانت تَرعَى الغَنَم، فَقالَ لَهَا:" أَيْنَ اللَّهُ؟ قالَتْ: في السَّمَاءِ، قالَ: مَن أنَا؟ قالَتْ: أنْتَ رَسولُ اللهِ، قالَ صلى الله عليه وسلم لصَاحِبها: أعْتِقْهَا، فإنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ".

1497-[أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ]الملك:16.

الزَّلازِلُ لَا تَنزِلُ إلا بقَدَرٍ وعِقَابٍ مِن اللهِ .. ولذنُوبٍ مِن عِندِ أَنفُسِنَا .. فإذَا نزَلَت بدَارِ قَومٍ فليُراجِعُوا أنفُسَهم أينَ هم مِن اللهِ .. ومَاذَا بدَرَ مِنهم مِن ذُنُوبٍ ومَظَالِمٍ .. فليَستغفِرُوا اللهَ، ويتُوبُوا إليه .. وذلكَ على مستوَى الحاكم والمحكُوم.

وفي الأثَرِ، أنَّ المدينةَ زُلزِلَت في عَهدِ عمر رضي الله عنه، فقال:" مَا أَسْرَعُ مَا أَحْدَثْتُم، والله لئن عَادَت لأخرجَنَّ مِن بين أَظْهُرِكُم ".

* * * * *

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ

1498- [أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ]الملك:21. إِنْ أَمْسَكَ اللهُ المطَرَ، ومَنَعَه عَنْكُم .. مَن هَذا الذي هو قَادِرٌ على أن يَرزقَكُم مِن دُونِه .. وخُصَّ المطرُ بالذِّكرِ، لأنَّ ما سِواهُ مِن الأرْزاقِ مُرتبِطٌ وجُوداً وعَدَماً بنزُولِ المطَرِ .. كما قال تعالى:[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]الأنبياء:30.

* * * * *

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

1499- [أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ]؛ مُنْحَني الظَّهْرِ، ووجهُه مُنْكَباً إلى الأرضِ؛ لا يَهتدِي سَبيلاً، ولا لمواطِنِ الخيرِ مِن الشَّرِّ .. ومثَالُه الكَافِر، [أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]الملك:22. أَمَّن يمشي قائماً مُعتدلاً على صِراطٍ مستقيمٍ؛ لا اعوجَاجَ فِيه .. يُبصِرُ مَوَاطِنَ الخيرِ والشَّرِّ .. ومثالُه المؤمن؟ والجوابُ: أنَّ المؤمنَ يَقيناً هو الأهدَى سَبيلاً من الكافِرِ.

* * * * *

سورة القلم

وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ

1500- [وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. شَهادةٌ لَا تَعلُوها ولا تُوازِيها شَهادَةٌ؛ شَهادَةٌ مِن أعظَمِ شَاهِدٍ، مِن ربِّ العالمين، خالِقِ الخلْقِ، لأعظَمِ مَشْهودٍ ومخلُوقٍ، لعبدِهِ ورسولِه محمَّد صلى الله عليه وسلم بأنَّه [لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]؛ وبالتَّالي نحنُ البشرُ مهمَا تكلَّمنا عن نُبلِ وعظَمَةِ وشموليَّةِ أخلاقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فأخلاقُ النبيِّ صلى الله عليه

وسلم أعظَمُ، وأجَلُّ، وأرفَعُ .. فأخلاقُه العظيمَةِ، ومَا قرَّره مِن أخلاقٍ حمِيدَةٍ، وأخلاقٍ غَيرِ حميدَةٍ .. هو الميزانُ الحقُّ والثابتُ في كلِّ زَمانٍ، وكلِّ مَكانٍ، الذي به تُوزَنُ المفَاهِيمُ الحضَارِيَّةُ، والإنسانيَّة، والأخلاقِيَّة .. وإليه تُرَدُّ مَا يُحْدِثُه الناسُ ـ في جميعِ الأزمنَةِ وجميعِ الأمكنَةِ والمجتمعَات ـ مِن مفَاهِيم وقِيم حضارِيَّةٍ وأخلاقيَّةٍ وإنسَانيَّة، فيُقبَل مِنها مَا وافَقَ أخلاقَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ويُرَدُّ مِنها، ويُضرَبُ بها عَرضُ الحائِط ـ غيرَ مأسُوفٍ عليها ـ كلُّ ما خالَفَ أخلاقَ النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّها حينئذٍ لن تكونَ أخلاقاً محمودَةً، وإنما ستكونُ أخلاقاً سَيئةً ضارَّةً، غيرَ محمودَةٍ ولا مَشكُورَةٍ!

1501- [وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]القلم:4. لو قُسِّمَت أخْلاقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على أُمَمِ الأَرْضِ جميعُها لكَفَتْهُم، ووَسِعَتْهُم .. ولو وُزِنَت أخلَاقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بأخلاقِ أُمَمِ الأرضِ جميعُها .. لرَجُحَت أخْلَاقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

1502- [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]القلم:7. اللهُ تعَالى هو الذي خَلَقَ، وهو الأعلمُ بمن خَلَق؛ يَعلمُ السِّرَّ، ومَا هو أخْفَى مِن السِّرِ .. ويَعلمُ النَّوايَا، والظَاهِرَ والبَاطِنَ .. وهو الأعلَمُ بمَن كان على ضَلالَةٍ، ورياءٍ، ومَن كان على هُدَى، وإخلاصٍ .. لَا يخفَى عليه شيءٌ مِن شُؤونِ عِبَادِه .. فلَا تُزَكُّوا أنفُسَكُم وغيرَكُم على اللهِ، بل اللهُ يُزكِّي مَن يَشَاء .. وإن كان الواحِدُ منكم يُريدُ أن يُزكِّي أخاه، أو أن يمدَحه بشيءٍ يَعلَمُه مِنه، ولَا بُد .. يقُول: أحسَبُه كَذَا، وكذَا، ولا أُزَكيه على اللهِ .. هو

شَهيدٌ بإذنِ اللهِ ومَشيئتِه، ولَا أُزكيه على اللهِ .. فاللهُ [هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ].

* * * * *

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ

1503- [وَدُّوا]؛ الكافرُون الظَّالمون، [لَوْ تُدْهِنُ]؛ تَميلُ إليهم، وتُجامِلُهم على ما هُم عليهِ من البَاطِلِ، [فَيُدْهِنُونَ]القلم:9. فيُقابِلونَك بنفْسِ الميْلِ والمجامَلَةِ .. والسَّببُ في رَغْبتِهم الجامحَةِ هذه، أنَّ الحقَّ لو دَاهَنَ وجَامَلَ الباطِلَ .. يمدُّ الباطِلَ بالشَّرعيَّةِ، والقوَّةِ، والحيَاةِ .. ما لا يِجدُه مِن مَصْدَرٍ آخَر!

* * * * *

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ

1504- [وَمَا هُوَ]؛ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، والقُرآنُ الكريم الذي تَنزَّلَ عليه مِن رَبِّه، [إِلَّا ذِكْرٌ]؛ يُذَكِّرُ الناسَ بما يجبُ عليهم مِن الإيمانِ، والعمَلِ، [لِّلْعَالَمِينَ]القلم:52. ليسَ لقَومٍ دُونَ قَومٍ .. ولا لجنسٍ دُونُ جِنْسٍ .. ولا للونٍ دُونَ لَونٍ .. بل للنَّاسِ أجمَعين على اختِلافِ ألوَانِهم، وأجنَاسِهم، ولغَاتِهم .. وإلى يومِ القِيامَةِ.

* * * * *

سورة الحاقة

وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ

[وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ]الحاقة:12. أُذُنٌ حَافِظَةٌ فَاهِمَةٌ، تَفهَمُ مُرَادَ اللهِ، ومُرَادَ رسُولِه مِن كَلامِهِمَا.

* * * * *

سورة المعارج

إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً

1505-[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً]المعارج:19-20. والهلَعُ والجَزَعُ أعلى درجاتِ صورِ ومَعاني القَلَق، لم يستثنِ اللهُ أحَداً من هذا المرضِ العُضَال [إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ]المعارج:22-23. إلى آخرِ الآياتِ التي تبيّنُ صِفَةَ هؤلاءِ المصلين المؤمنين.

* * * * *

سورة نوح

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً

1506-إذا دَاهمَك بَلاءٌ ـ أيّاً كان نوعُه ـ واجهه بالإستغْفارِ .. فالإستغفارُ دَواءٌ لكُلِّ دَاءٍ .. لا يَقوى عليه شيءٌ .. قال تعالى:[فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً]نوح:10-12. [وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى]هود:3. [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ]هود:52. [وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ] بأيّ نوعٍ من أنواعِ البَلاءِ والعذَاب [وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]الأنفال:33.

1507- [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً]نوح:10. صِيغَةُ تَكْثِيرٍ، أي شَدِيدُ، وكَثِيرُ المغفِرةِ لمن يَستغْفِر ويتُوب، مَهمَا كان الذَّنْبُ كَبيراً، ومَهمَا كان عدَدَ الذُّنُوب والخَطَايَا، وكان عَدَدُ المذنبِين والمخطئِين، ومَهمَا تَكَرَّرَت الخطَايا والذُّنُوب، فالله تعالى:[غَفَّاراً]؛ لمن استغفَرَ، وأنَابَ، وتَاب.

* * * * *

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً

1508- [مَا لَكُمْ]؛ اسْتِفْهَامٌ يُفِيدُ التَّعَجُّبَ، والإنْكَارَ، والتَّوبِيخَ، [لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً]؛ لا تُعَظِّمُون اللهَ، ولا تُجِلُّونَه .. ولا تَخافُون بأسَهُ وانتِقَامَه .. ولا تَشْكُرُونَ نِعَمَه، ولا تَحتكمُون إلى شَرْعِه، ولا تَعْرِفُون له حَقَّاً عَليكُم، ولَا قَدْرَاً، [وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً]نوح:13-14. وهو الذي خَلقَكُم طَوْراً بَعدَ طَوْرٍ، وخَلْقَاً بَعدَ خَلْقٍ، وأنتم في بُطُونِ أُمَّهَاتِكم خَلَقَكُم مِن نُطْفَةٍ .. ثمَّ صَيَّرَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً .. ثمَّ صَيَّرَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً .. ثمَّ صَيَّرَ الْمُضْغَةَ عِظَاماً .. ثم كَسَى الْعِظَامَ لَحْماً .. ثم يُنفَخُ فيه الرُّوحُ والحيَاةُ .. ثم يُولَدُ ويَخرجُ للدُّنيا طِفلاً رَضِيعاً، لا يَعلمُ مِن أمْرِ الدُّنْيَا شَيْئاً .. ثمَّ طِفْلاً يَافِعَاً .. ثُمَّ شَابَّاً مُراهِقَاً .. ثم شَابَّاً رَاشِداً .. ثمَّ رَجُلَاً .. ثمَّ كَهْلاً .. ثمَّ شَيخَاً كَبيراً .. ومِنهم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، فتَضْعُفُ ذَاكِرَتُه، وحَوَاسُّه، بحيث لم يَعُدْ يَعْلم مِن العِلمِ شَيئاً .. فيَعُودُ في عِلمِهِ وضَعْفِهِ طِفْلَاً كما بَدَأَ .. ثم الموتُ الذي به تَتوقَّفُ حَرَكَةُ الحيَاةِ، وحَرَكَةُ التَّطَوُّرِ الإنْسَانِي؟!

* * * * *

سورة الجن

إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً

1509- [إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً]الجن:1. من عجائبه التي لا تنتهي أنه يُحيي الموتى .. ويَشفي المرضى .. ويَهدي الضَّالين إلى الصّراطِ المستقيم .. باهِرٌ للعقول .. يَغزو القلوب .. لا مثيل له .. ولا يمكن أن يُؤتى بمثله، أو بمثل سورةٍ من سوَرِه، ولو اجتمعَ الثَّقلانِ على ذلك .. مُعْجِزٌ في حَرْفِه، وكلماتِه، ونَظْمِه، ومعَانِيه، لا يُقاوَم .. ولا يَطالُه ـ على مدارِ الأزمنَةِ والدُّهور ـ تحْرِيفٌ، بحذفٍ أو زِيادة .. محفوظٌ بحفظِ الله له .. مُيَسَّرٌ حِفظُه في الصّدور .. يَعلُو ولا يُعْلَى عليه .. يُبدّدُ كيدَ الكائدين، وظلمَ وظَلامَ الظالمين، ويُبطِلُ مَكرَ الماكرين .. يُحِقُّ الحقَّ، ويُبطلُ الباطل .. ويُتِمُّ نورَه في الأرضِ، كل الأرضِ، ولو كرِهَ الكافرون.

* * * * *

سورة المدّثر

قُمْ فَأَنذِرْ

1510- [قُمْ فَأَنذِرْ]المدّثر:2. لَا يكفي أن تَعتكفَ في المسَاجِدِ، والزَّوايَا، وأن تَعْكِفَ على تربيةِ نفْسِك .. أو أن تَعتزلَ، وتَعيشَ الإسَلامَ لنَفْسِك وحَسْب .. إذْ لَا بُدَّ لك معَ ذلك مِن قِيامٍ، وحرَكَةٍ، وجِهَادٍ، ودَعْوَةٍ؛ تَدعُو إلى اللهِ تعالى، وتُبَلِّغُ رسَالةَ الإسْلامِ كامِلةً إلى الآخَرين؛ فتُبشِّر المؤمنين .. وتُنْذِر الكافِرين بالوعِيدِ الأليم!

* * * * *

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ

1511- [وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ]المدّثر:5. هَجْرٌ، وابتعَادٌ، وانخِلاعٌ، وبَراءٌ مِن الشِّرْكِ، ومِن جَميع الأصنَامِ، والوَثَنِيَّاتِ، وكلّ مَا يَدخُلُ في مَعنَى عِبادَةِ المخْلُوقِ، أيَّاً كان هذا المخلُوقِ .. ومِن مُقتَضَى ولوَازِمِ هجْرِ الشِّرْكِ بكلِّ صوَرِه التزَامُ غَرْزِ التَّوحِيد.

* * * * *

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ

1512- [وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ]المدّثر:6. أسْوأ المَنِّ أن تَسْتَكْثِرَ على اللهِ عِبادَتَك، وجِهَادَك، ومَعرُوفَكَ .. وتَسْتَطِيلَ بِذَلك عَلى عِبَادِه .. ومَا بِكَ مِن خَيرٍ فَمِنْه وحْدَهُ سُبحانَهُ وتَعالى.

* * * * *

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

1513- [إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]المدّثر:18-19. لا يُمدَحُ المفكِّرُ، وتَفكيرُه، إلا بعدَ النَّظرِ إلى مآلاتِ تَفكيرِه، فإن انتهَى به تفْكيرُه إلى خَيرٍ، أُثْنِيَ عليه خَيراً، وكان مُفكِّراً صالحاً، وإن انتهى به تَفكيرُه إلى شَرٍّ، أُثْنِيَ عليه شَرّاً، وكان مُفكِّراً طالحاً، وقِيلَ لَه:[فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]. أي قاتَلَه اللهُ ولعَنَه لسُوءِ ما انتَهَى إليه تَفْكِيرُه الخَاطِئ الآثِم.

* * * * *

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

1514- [وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]المدّثر:31. لا يمكِنُ للعَقْلِ البَشَري أن يُحصِي عَدَدَ، ونوعيَّةَ جنُودِ الله .. ومَدَى فاعليَّتها وقُوَّتِها .. التي تَعمَلُ عملَ المقَاتِلِ المخلِصِ

عندَ أوَّلِ لحْظَةٍ نتلَقَّى فيها الأمرَ بالقِتَالِ .. كما لا يُمكنُ أن يُحيطَ علماً من أيِّ جِهةٍ يمكنُ أن تَأتِي، ونتوجَّه بحافِلُها .. فلَا يَقْدِرُ على ذلك إلا اللهَ تعالى .. ولو قُلنا الملائِكةَ .. مِن الإنسِ والجنِّ .. أم عوالمَ السماواتِ، والأرضِ، وما فِيها من مخلوقاتِ، ودواب .. الظَّواهِرِ الطبيعيَّةِ مِن مَطَرٍ، وبَرقٍ، وريحٍ، وزَلازِل، وبَرَاكِين .. عَوَالم ومخلوقَاتِ البَحرِ، والبَرِّ .. أمْ جراثيمُ وفيروسَات لا تُرَى بالعَينِ المجرَّدَةِ .. فهي أكثَرُ من ذلك .. بل قد يكونُ من جنودِ اللهِ ما يَسيرُ في داخِلِ جسدك ودَمِك يا ابنَ آدَم .. فإذا جاءَ الأمرُ للدمِ في العروقِ بأن يتجمَّدَ، تجمَّدَ وقتَلَ صاحِبَه .. كأي جنديٍّ من جنُودِ الله يتلَقَّى الأمْرَ .. أو أن يتوقَّفَ عن عملِهِ بشكلٍ جزئِيٍّ أو كُلِّيٍّ .. لفعَلَ بالقَدْرِ الذي يُؤمَرُ بِهِ .. وكذلك بقيَّةُ أعضاءِ الجسَدِ الباطِنَةِ والظَّاهِرة؛ فهي لا تعمَل عمَلها إلا بإذنِ اللهِ، وبأمرٍ مِنه .. ومَتَى يأتيها الأمرُ بأن تتوقَّفَ، وتقتُلَ صاحِبَها، فعَلَت مُبَاشرة، ومِن دونِ أدْنَى تَرَدُّدٍ .. فلا تحسبنَّ ـ يا ابنَ آدم ـ أنَّ جنودَ اللهِ محصورَةٌ في الملائكةِ التي تتنَزَّلُ من السَّماءِ بأمرِ رَبِّها .. وحَسْب؟!

* * * * *

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ

1515-[وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ]المدّثر:45. أي نُشارِكُ المبطِلينَ باطِلَهم، فنقولُ قولَهم، مِن غَيرِ تَثَبُّتٍ، ولَا دِرايَةٍ، ولَا عِلْمٍ.

* * * * *

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ

1516-[هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى]؛ هو اللهُ تعالى وحده الذي يَستحِقُّ أن يُتَّقَى؛ فيُطاعُ ولَا يُعْصَى، في السِّرِّ، والعَلَن، [وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ]المدّثر:56. وهو وَحده أهلُ المغْفِرَةِ؛ الذي له المغْفِرَة كُلِّها، الذي يَقدِرُ أن يَغفرَ الذُّنوبَ؛ يَغفرُ لمن يَشاءَ، ويُعذِّبُ مَن يَشَاء ..

ومَن كانَ داعِياً، وسَائلاً، ومُستَغفِراً .. فلَا يتوجَّه في دعائِه، وسُؤالِه، واستغفارِه إلَّا إلى الله.

* * * * *

سورة القيامة

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ

1517- [وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ]القيامة:2. أقسَمَ اللهُ تعالى بالنَّفْسِ اللَّوامَةِ تَشْريفاً وتَعظِيماً لها؛ لدورِها العظيم في مقاوَمة فيرُوسَات وجراثيمِ السيئاتِ؛ التي تَأتي مِن جهةِ الشَّهواتِ، ومِن جهة الشُّبهاتِ .. فهي بمثابةِ جهاز المناعةِ في الإنسانِ التي تحملُه على طلبِ مزيدٍ مِن الخيرِ، وفِعْلِ مزيدٍ مِن الخيرِ؛ فإذا فعلَ خيراً؛ لم تحملُه على العُجْب، والاستكانَةِ، بَل لامَت صاحِبَها على التَّقليلِ، والتَّقصيرِ؛ لماذَا لَمْ يزِدْ في هذا الخيرِ، ويَفعلْ ما هو أكثر مِنه .. وكذلك تَفعلُ مع الشرِّ إذا ما أقبَلَ واستشْرَفَ فهي سرعَان ما تُهاجِمُه، وتُعلِن عليه الحرْبَ، وتُدَافِعُه، وتُقْصِيه بَعِيداً .. وكلَّمَا كانت النفسُ اللَّوامةُ قويَّةً، يمدُّها صاحِبُها بالقوَّةِ والغِذاءِ النَّافِعِ، كانَت أقْوَى على مواجهةِ الفِتَنِ، والشَّرِّ، والإغراءاتِ .. وكانَت علامَةً على صحَّةِ وحياةِ قَلبِ صاحِبِها .. وفي الحدِيثِ، فقد صَّح عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن سرَّتهُ حسَنَتُهُ وسَاءتْهُ سَيِّئَتُهُ فذلِكم المؤمنُ ". أي هو المؤمنُ حقَّاً .. وهذا الشُّعورُ بالسرورِ عند مَوْرِدِ الحسناتِ، والإساءَةِ عند مَورِدِ السيئاتِ .. مَبْعَثُة النَّفس اللَّوامَة.

* * * * *

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ

1518- [أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ]؛ الكافرُ الملحدُ؛ الذي يُنكرُ البعْثَ والنشورَ، واليومَ الآخِرِ [أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ]؛ أنَّنا غير قادرين على أن نُعيدَ خَلقَه للبعثِ والنُّشُورِ، وأنَّنا لن نجمعَ عِظامَه، مِن جَديدٍ بعدَ أن أصبَحت رُفاتًا، ورَميماً؟! [بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ]القيامة:3-4. بل اللهُ تعالى قادرٌ على ما هو أعظمُ ممَّا يَسألُ عنه الإنسانُ الكافرُ، ويُنكرُهُ .. وهو يَعيشُ معَه، ولصيقٌ به، ويرَاه بعينِه في حياتِه .. ألَا وهو البنَانُ؛ أصابعُ اليدِ، وما يتخلَّلها مِن مَسامَاتٍ وبصَمَاتٍ عظيمة تُعَرِّفُ على هويَّةِ صاحِبها، وتميزُه عن سائرِ النَّاسِ .. حيثُ كل إنسانٍ له مساماتُه وبصمَاتُه الخاصَّة به، والمختلفةِ عن الآخَر .. فمن مجموعِ الناسِ وهمْ بالملياراتِ لا يمكنُ أن تجدَ اثنين متَشَابهَين في مَسَامَاتِ وبصَمَاتِ أصابعِ اليَدِ .. فالقادرُ على أن يخلقَ البنانَ بهذا الوصفِ وهذا الإعجَاز، قادرٌ على أن يحي الإنسانَ مِن جَديد، ويبعثَهُ وينشرَهُ من قَبرِه للحسَابِ يومَ الحسَابِ .. وكَمْ مِن آيةٍ لَصيقةٍ بالإنسانِ يَغفَلُ عنها؛ لإلْفِهِ لها .. [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

* * * * *

بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ

1519- [بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ]؛ الكَافِرُ الملْحِدُ؛ الذي يَجحَدُ وجُودَ اللهِ، ويومَ البَعْثِ، والحِسَابِ، [لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ]القيامة:5. هذا هو الحامِلُ والبَاعِثُ له على الكُفْرِ والجُحُودِ؛ فهو لا يُريدُ مِن كُفْرِهِ وجُحُودِه وإلحَادِه سِوَى الرَّغْبة في الانْعِتَاقِ من تَبِعَاتِ الإيمانِ، ومِن التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ .. ومن ثمَّ الانطلاق كالبَهيمَةِ ـ بل أشد ـ نَحْوَ مُسْتَقْبلٍ مَليء بالفُجُورِ والفُسُوقِ .. مُلبِّياً نِداءَ شَهواتِهِ ورَغَباتِه مِن غَير ضَابِطٍ، ولا وَازِعٍ مِن رَقِيبٍ، ولا وَخْزٍ للضَّمِير .. يُعَكِّر عليه انْغماسَهُ في الفُجُورِ، والحَرَامِ .. هذا المعنى يَرَدِّدُهُ الملْحِدُون

في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ، وإن اختلَفَتِ عِباراتُهم: لا يُوجَدُ إلهٌ يُحاسِب .. لا تَخَافُوا .. افْعَلُوا ما شِئْتُمْ!

* * * * *

بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

1520- [بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ]القيامة:14. لا يَغُرَّنَّكَ مَدْحُ المدَّاحِين لك .. ولا ثَناءُ النَّاسِ عليك بما ليسَ فِيك .. ولا ألقابُ التَّعظِيمِ والتَّفْخِيمِ .. ولا النَّيَاشِين .. التي يمنحكَ إيَّاهَا مَن هُم فوقَكَ في الرُّتَبِ .. فأنتَ أدْرَى النَّاسِ بنفْسِكَ، وبجوانِبِ ضَعْفِك، وتقصِيرِك، وتَفْرِيطِك .. فحاسِبْ نفْسَكَ قَبْلَ أن تُحَاسَب .. واسْألها قبلَ أن تُسْأَل .. واحملْهَا على الجادَّةِ والاستقَامَةِ .. وكُنْ بعيوبِها خَبيراً بَصِيراً .. قَبلَ أن تَشهدَ عَليكَ، فتُبَصِّرُكَ بعيوبِك، في يومٍ لا يَنفعُ مَالٌ ولا بَنُون إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سَلِيمٍ.

* * * * *

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى

1521- [أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى]القيامة:36. مُهْمَلاً مِن غَيرِ أمْرٍ ولا نَهْيٍ، ولا شَرِيعَةٍ تُنَظِّمُ له حياتَهُ، وتُبيِّنُ مَا لَه ومَا عَليه .. ومِن غَيرِ بَعْثٍ، ولا نُشُورٍ، ولا حِسَابٍ على مَا كانَ مِنهُ مِن عَمَلٍ في الحيَاةِ الدُّنْيَا .. كَلَّا؛ فهَذا لَا، ولَن يكون .. وهو يَتَنَافَى معَ حِكْمَةِ وعَدْلِ الخَالِقِ سُبحانَه وتَعَالى .. ومَعَ الغَايَةِ التي أوجَدَ اللهُ الوجُودَ لأجْلِهَا.

* * * * *

سورة الإنسان

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً

1522- [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً]الإنسان:8. يُطعِمُون مَا يَشْتَهون ويحبُّون مِن الطَّعَامِ .. فَلا يخصُّون أنفُسَهم بِطيبِ الطَّعَام .. وغيرهم مِن المساكِين بردِيئِه .. وكُلَّما كانت الصَّدقةُ مِمَّا تحب وتَشْتَهِي كلَّما كانَت أفضَل، وأعْظَم أجْرَاً.

* * * * *

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً

1523- [إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً]الإنسان:9. المُطْعِمُ لَا يُرِيدُ جزَاءً ولَا شُكُوراً، ولَا يَحرِصُ على ذلك؛ لأنَّه يَبتغي مِن إطعَامِه وجْهَ اللهِ تَعَالى، وثوابَه في الآخِرَةِ .. أمَّا المُطْعَم يُستَحْسَنُ وربما يجبُ عليه أن يَشكرَ المُطْعِمَ؛ فمن لم يَشْكُر النَّاسَ، لا يَشكرُ رَبَّ النَّاسِ!

* * * * *

سورة المرسلات

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً

1524- [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً]المرسلات:25-26. أي ألَمْ نَجعَل الأرضَ جامِعةً، وضَامَّةً، وحَاوِيةً، وكافِيةً لجميع المخلوقات؛ الأحياء منهم على ظَهْرِهَا، والأموات منهم في بَطنِها .. فعلامَ البَحْثُ للعَيشِ في كَوكَبٍ آخَر، لم يُعَد لاستِقْبالِ وضِيافَةِ الإنْسان؟!

الأرْضُ مِنْها المَنْبَتُ، وفيها المَرْقَدُ، ومِنْها المَبْعَث .. وإنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجِعُون.

* * * * *

هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

1525- [هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ]المرسلات:35-36. في دُنيَاكُم ـ باسمِ وزَعْمِ الحريَّةِ ـ تكلمتُم كثيراً .. وثَرْثَرْتُم كثيراً .. وخُضْتُم فيمَا لا يَنبغِي لكُم أن تخوضُوا فيه .. وجادَلتُم فأكثرتُم الجِدَالَ .. وعارَضتُم وأعرَضْتُم .. وأُتيحَت لكم فُرَصٌ عديدَةٌ، ومَديدَة ـ مدَّةَ حياتِكُم في دُنياكُم ـ لتَعتَذِرُوا وتَستغفِرُوا وتتوبُوا عمّا بدَرَ مِنكم مِن خَطأ، وانحرافٍ، وضَلالٍ .. فمنعَكُم الكِبرُ، وحُبُذُ الشهواتِ .. أمَّا اليوم؛ يوم القِيامَةِ فتُعاقَبُون مِن جِنسِ فِعلِكُم وذَنبِكُم .. فلا يُؤذَن لكم بالكلامِ ـ وإنما تتكلَّمُ الجوارحُ بما كان مِنكم مِن عمَلٍ ـ كما لَا يُؤذَنُ لكم بالاعتذارِ والاستغفارِ عمَّا كان مِنكم مِن عمَلٍ .. حيثُ يَومَئذٍ لا يَنفعُ اعتذَارٌ، ولا استِغْفَار ...!

* * * * *

سورة النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى

1526-[فَقَالَ]؛ فرْعَونُ، [أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى]النازعات:24. الذي أُرَبِّيكُم وأُنَشِّئُكُم على مَا أَشَاءُ مِن القَوانين، والمبادِئِ، والقِيَمِ، والمعتَقَدَاتِ .. فالذي أَرَاهُ لكم حَلالاً فهو الحَلالُ، والذي أراهُ لكم حَراماً فهو الحرَامُ .. والذي أراهُ لكم حَقَّاً فهو الحقُّ، والذي أراهُ لكم باطِلاً فهو البَاطِلُ .. ليسَ لكم رَبَّاً تَرجِعُون إليه في أيِّ شَأنٍ من شُؤونِ حياتِكُم ودُنيَاكُم غَيرِي .. وإن وُجِدَ، فأنَا الأَعْلَى، وحُكْمِي وقانُونِي هو الأَمْثَلُ والأعْلَى .. وهذا لِسانُ حالِ طُغاةِ وفراعِنَةِ العَصْرِ .. وكُلِّ عَصْرٍ .. كُلُّهم يَتكلَّمون بلسانِ فِرْعَون .. بَلْ بعضُهم قَد فاقَ فرعَونَ في الجرْأةِ والطُّغيانِ، وفي زَعْمِ وادِّعاءِ هذا النوعِ مِن الرُّبوبيَّةِ!

* * * * *

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى

1527-[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ]؛ الوقوف بين يدَي رَبِّه يومَ الحِسَاب، وحَسِبَ لذلك الموقفِ العَصِيبِ حسَابَه، [وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى]؛ فَعَقَلَهَا بِعِقَالِ النَّقْلِ والعَقْلِ، عن أن تَميلَ به إلى الرَّدَى، [فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى]النازعات:40-41. المكانُ الذي يَأوي إليه، ويَأولُ إليه أمرُه .. ويَنتهي به مطافُه.

* * * * *

سورة عبس

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

1528- [قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ]عبس:17. إن ابتُلِيَ بالسَّرَّاءِ لم يَشْكُرْ، وإن ابتُلِيَ بالضَّرَّاءِ، لم يَصْبِر .. فهو إمّا أنْ تجدَهُ جاحِداً، وإمَّا أنْ تجدَهُ سَاخِطاً!

* * * * *

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

1529- كُلُّ الأصْدِقاءِ يومَ القِيامةِ يَتخَلّون عنك، [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ]عبس:34. [وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً]المعارج:10. إلّا صديقٌ واحد، فإنَّهُ يُدَافِعُ عنك، ويَتَشَفَّعُ لك، واللهُ تعالى يَقبَلُ شَفاعَتَهُ فيك، هو القُرآنُ الكريم.

* * * * *

لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

1530- [لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ]عبس:37. يُشْغِلُه، فَلا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ إلى أَحَدٍ.

* * * * *

سورة التكوير

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ

1531-[وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ]التكوير:7. جُمِعَت، كُلٌّ مَعَ قَرِينِهِ ومَثِيْلِه؛ الصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ، والطَّالِحُ مَعَ الطَّالِح.

* * * * *

بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ

1532- مَوَانِعُ الحَمْلِ، إنْ لم تكُن لضرورَةٍ طُبيَّةٍ، وَأْدٌ أصْغَر، والَّذين يتعاطونَها لهم حَظٌّ مِن قولِه تعالى:[وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ]التكوير:8-9. سُئِل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن العَزْلِ ـ وهو أضعفُ صور وحالات موانِع الحَمْلِ ـ فقال:" ذلك الوَأْدُ الخَفِي "مسلم.

* * * * *

وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

1533-[وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ]التكوير:8-9. الوَأْدُ نوعَان: وَأْدٌ أكبَر، كما كانت صورَتُه في الجاهِليَّةِ الأُولَى قَبلَ الإسلامِ .. ووَأْدٌ أصْغَر كما في الجَاهِليَّةِ الحَدِيثَةِ المعَاصِرَةِ، وصُورَتُه قَتْلُ الجنِينِ وهو في بطنِ أُمِّه عَن طريقِ الإجْهَاضِ، ومَوانِع الحَمْلِ ...!

* * * * *

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ

1534-[وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ]، إذَا أَدْبرَ ظَلامُه، وَأَدبرَ بإدْبارِهِ الرُّقَادُ، [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ]التكوير:17-18. إذَا أقبَلَ بضيائِه، وجمَالِه، وعطَائِه، وصَفائِه .. لتَتَنَفَّسَ مع تنفُّسِه الخلائقُ الأرضيَّةُ، فتَنهَض مِن رَقْدَةِ الليلِ، وثُبَاتِه، لتَضرِبَ في الأرضِ لمعَاشِها، ومصَالِحِها، ولما تَستَقِيم بها حيَاتُها .. فالبركَةُ جُعِلَت في البُكُورِ، وتُطلَبُ في البُكُورِ، أي في الصَّبَاحِ البَاكِرِ، كما في الحَدِيث:" اللهمَّ بارِكْ لأمَّتِي في بكُورِها ". فمَا استَعْصَى عليك في ليلِك، ويَومِك، اطلُبْهُ في البُكُور!

* * * * *

سورة الانفطار

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

1535- [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ]الإنفطار:6. ما الذي أغْرَاكَ، فَخَمَلَكَ، وجَرَّأَكَ على أنْ تَسْتَهِينَ بِرَبِّكَ، وبأمْرِهِ، فتَعْصِيَه .. سُؤالٌ يَنْتَظرُ كُلَّ إنْسَانٍ، فانْظُرْ بِمَاذَا سَتُجِيْب؟!

* * * * *

سورة المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ

1536- [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ]المطففين:1. شامِلةٌ لجميع أنواع التّطفيف الماديَّة منها والمعنويَّة، ومِن التَّطْفِيفِ؛ أن يحرصَ الصَّديقُ على استيفاءِ كامِلِ حقُوقِه ـ غيرَ مَنقوصةٍ ـ من صَديقِه، ولا يَتوانى عن طَلَبِ المزيد، بينما هو يؤدّي حقوقَ صاحِبِه عليه مَنقوصَةً مَبْخُوسَة!

1537- [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ]المطففين:1. في المِيزَانِ، والقَضَاءِ، والحُكْمِ عَلى الأشْيَاءِ، وأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وفي كُلِّ عَمَلٍ يجبُ فِيهِ الاسْتِيفَاء.

1538- [الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ]المطففين:2. إذا كان لهم الحَقُّ؛ يَسْتَوفُونَهُ كامِلاً غيرَ مَنْقُوصٍ، لا يُسامحُونَ في القَليلِ مِنه. [وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

يُخْسِرُونَ]المطففين:3. وإذا كان عليهم الحقُّ يُنقِصُون، لا يُوفُّونَ ما عليهم مِن الحَقِّ كامِلاً!

* * * * *

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ

1539-[كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ]المطففين:7. سِجِّين هو سجنٌ مِن نَارٍ في الأرضِ السابِعةِ السُّفْلَى .. تُرمَى وتُحْبَسُ فيه أرواحُ الكافرين، وأعمالُهم، فتظَلُّ ماكثةً فيه إلى يومِ القِيامَةِ .. مَا أطولهُ وما أشقَاهُ ومَا آلمهُ مِن سِجنٍ .. لمثْلِ هذا السجنِ ينبغي العمل للتحرّرِ مِنه .. ولهؤلاء الطُّغاةِ الظَّالمين الذين يتمتَّعُون بسَجْنِ المؤمنين وتَعذيبهم، في سجونِهم وزنازِينِهم، يفتنونهم عن دِينِهم .. يُقالُ لهم انتظرُوا أمامَكُم سجناً رَهيباً مِن نارٍ في أسفَلِ الأرضِ .. لا تنقَضِي مدَّتُه ولا آلامُه إلى قِيامِ السَّاعَةِ .. إنَّه لكم بالمرصَادِ .. تَلجُونَهُ مِن أوَّلِ سَاعَةٍ مِن موتِكُم .. اسمُه " سِجِّين "!

* * * * *

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ

1540-اليَومَ يَضحَكُ الكُفَّارُ مِن المؤمِنين، وغَدَاً يَبكُون، ويَندَمُون، ويَتَمَنَّون لو أنَّهم كانوا في الدنيا في صَفِّ الذين ضَحِكُوا مِنْهم .. ومَا أقصرَ اليومَ الذي يَضحكُون فيه، وما أطولَ اليومَ الذي يَبكُون فيه [إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ] . [فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ]المطففين:29-34.

* * * * *

سورة الانشقاق

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ

1541-[يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ]؛ خِطَابٌ لجميع النَّاسِ؛ مُؤمِنهم وكافِرِهم، أبيَضِهم وأسوَدِهم، عُرْبِهم وعَجَمِهم، الرِّجال منهم والنِّسَاء، [إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ]الانشقاق:6. إنَّك في دُنْيَاك خُلِقْتَ للعَمِل، وبَذْلِ الجهْدِ، والكَدْح، والنَّصَبِ .. ولَا مَنَاصَ لَكَ أن تجعَلَ دُنْيَاكَ غَيرَ ذَلِك .. فانظُرْ بما تَعمَلُ به وبما تَكْدَح، وانظرْ بما ستُلَاقِي به رَبَّك مِن عمَلٍ، وكَدْحٍ، ونَصَبٍ .. فإن كان كَدْحُكَ وعمَلُك وفْقَ طاعةِ اللهِ ورسُولِه صلى الله عليه وسلم، فستَلْقَى اللهَ رَاضٍ عنْكَ، وجَزاؤكَ الجنَّة .. وإن كانَ كَدْحُكَ وعمَلُكَ قائماً على المشَاقَقَةِ، ومَعْصِيَةِ اللهِ ورسُولِه صلى الله عليه وسلم، فَسَتَلْقَى اللهَ سَاخِطَاً عليك، ومَأواك نار جهنَّم وبِئسَ المصِير.

* * * * *

سورة الطارق

فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ

1542-[فَمَا لَهُ]؛ للطُّغاةِ الظالمين؛ الذين تحوطُهُم قوّةُ الجندِ؛ يَستعلُون بهم على البِلادِ والعِبَاد، [مِن قُوَّةٍ]؛ لديهم تمنَعُ عنهم عذَابَ اللهِ يومَ القِيامَةِ [وَلَا نَاصِرٍ]الطارق:10. من غيرِهِم ينصرُهم، ويَدفعُ عنهم عذابَ الله!

* * * * *

سورة الأعلى

1543- [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى]الأعلى:1. أي قلْ سبحانَ ربيَ الأَعْلى .. وأكثِرْ من التَسبِيح للربِّ الأَعْلَى .. تَعظيماً وتنزيهاً للربِّ الأعْلَى، ولأسمائِه الحُسْنى، وصفاتِه العُلْيَا عن الشَّرِيكِ، والمثيلِ في شيءٍ من أسمائِه وصِفاتِه .. الأعلى بذَاتِه، والأَعْلَى في أسمائِه وصفَاتِه .. البَائنُ عَن خَلْقِه .. الذي له العُلُو على جميع مخلوقاتِه .. لَا يَعْلُوه ولا يُماسُّه شَيء.

1544- [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى]الأعلى:2. هَذا الربُّ الأَعْلَى؛ وهو في عُلوِّه .. هو الذي خَلَقَ الأشياءَ كلها، فعَدَّلَ كلَّ مخلُوقٍ وسوَّاه، وصوَّرَه في أحسَنِ وأكملِ صورةٍ ووجْهٍ .. بحيث لَا تَرَى في أيِّ مخلوقٍ ـ سماوي كان أم أرضيٍّ ـ خَلَلاً ولا نقْصاً .. ومن أعظَمِ ما خلَقَ فسواه وعدّلَ خَلْقَه الإنسان؛ هذا المخلوق الذي يمشي على الأرضِ وهو يحملُ في جَسَدِه مئاتُ الآياتِ البَاهِراتِ الدَّالَّات على عظَمَةِ الخالِقِ، ووحدانيَّتِه.

1545- [وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى]الأعلى:3. وهو سُبحانَه الذي قدَّرَ وجودَ الأشياءِ كُلِّها .. لا يوجدُ شيءٌ خارجٌ عن تَقديرِه .. ثم هدَى مقاديرَه إلى منافِعِهم .. فعرَّفَهم بما يَضرُّهم وما يَنفَعُهم .. فلم يخلقْهم عبَثاً، ولا سُدَاً مِن غيرِ هِدايةٍ ولا غايَةٍ .. فهدَى الإنسانَ النَّجْدَين؛ طريق الخيرِ، وطريق الشرِّ .. وبيَّن له كلَّ ما يقرِّبُه إلى اللهِ، وإلى الجنَّةِ، ومَا فيه سعادَتُه في الدُّنيا والآخِرَةِ، ورَغّبه بِه، وحَضَّه عليه .. كما بيَّن له كلَّ مَا يُبعِده عنِ اللهِ، ويُقرِّبه إلى النارِ، وفيهِ شَقاؤُه في الدُّنيا والآخِرة، ونَهاه عَنه، وحَذَّرَه منه .. ثمَّ تركَ له الاختيَارَ؛ ليُحَاسَب على اختيارِه يومَ القِيامَةِ .. وكذلك سَائرُ الحيوانات والدَّواب؛ هدَى كلَّ مخلُوقٍ منها إلى عبادَةِ اللهِ وتَوحيدِه، وتَسبيحِه .. وإلى منَافِعِه في الدُّنيا .. فَمَا مِن دابَّةٍ ولا حيوانٍ إلا ويَعرفُ ما يَنفعُه، ومَا يَضرُّه .. مَا يُناسِبُه، ومَا لا يُنَاسِبُه؛ مِنَ المسْكَنِ، والمأْكَلِ، والمشْرَبِ .. لَا يُوجَدُ حيوانٌ يَدبُّ على الأرضِ، ولا طائرٌ، يقولُ: خُلِقْتُ، ولم أجِدْ لنَفْسِي مَا يُنَاسِبُني مِنَ المأكَلِ، والمسْكَنِ، والمشْرَب.

1546- [وَالَّذِي أَخْرَجَ]؛ مِن الأرضِ، [الْمَرْعَى]الأعلى:4. النَّباتَاتِ، والحشَائشَ والأعشَابَ المختلفَةِ في الأُكُلِ، والألوانِ، والشَّكْلِ، التي يَقتاتُ الإنسانُ مِنها ما يُناسِبُه، وكذلك الأنعامُ، والخيلُ، والبِغَالُ، والحميرُ، والدَّواب .. كلٌّ يجدُ لنَفْسِه ما يُناسِبه من الأعشابِ والحشَائشِ التي يَتغذَّى بها .. والتي بها تكتَمِلُ وتجمُلُ حياةُ الإنسانِ في الأرض.

1547- [فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى]الأعلى:5. فجعلَه بعد خضْرَةٍ، ويَنعَةٍ، هَشِيماً، أصفَراً، وأسوَداً .. تَذْرُوه الرياحُ لخفَّتِه .. وهو ممَّا يُساعِدُ على تخزِينِه - كطعامٍ للأنعَامِ والدَّواب - إلى المواسِمِ التي يَندرُ فيها وجُودُ المراعِي ذَاتِ الأعشَابِ، والحشائشِ الخضْرَاء .. وفي هذه الآية عِظَةٌ وعِبرةٌ ومَثَلٌ للإنسانِ وللأطوَارِ التي يمرُّ بها منذُ نَشْأتِه إلى أن يَنتهي هَشِيماً هَزِيلاً، تَذْرُوه المحنُ والأيَّامُ، لَا يَقوَى على الثبَاتِ والوقُوف!

1548- [وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى]الأعلى:8. ونيسِّرُ لك ولأمَّتِك اليَسِيرَ من الأحكَامِ والشَّرائعِ، والدِّين .. فاللهُ تعالى لم يَهدِنا لليَسِيرِ من الدِّينِ والشرائعِ وحَسْب .. بل يَسَّرَ لنا هذا اليَسِير، وسهَّلَهُ علينا، وأعاننا عليه، وجعلَهُ يَسِيراً، محبَّباً، وممْكناً، لا يخرجُ عن حدُودِ الاستطاعَةِ .. فالتماسُ الأيَسَر والتَّيسِير عاملٌ مِن عوامِلِ الترجيح في الفتْوَى، وإصْدَارِ الأحْكَامِ، مَا لَمْ يَكنْ إثماً .. وحيثُما يوجدُ العُسْرُ والتَّعسيرُ في الدِّينِ، فاعلمْ أنَّ دِينَ اللهِ بريءٌ مِنه، وعلامَتُه أن يترتَّبَ على التَّكليفِ ضَرَرٌ، أو أن يكونَ فوقَ المستطاعِ .. وفي الحديث، عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت:" ما خُيِّرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُما أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ، إلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فإنْ كانَ إثْمًا، كانَ أَبْعَدَ النَّاسِ منه "مسلم.

1549- [وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى]الأعلى:8. مَن صَدَقَ اللهَ في خَيرٍ، يَسَّرَ اللهُ له هذا الخَير، وأعانَه عليه.

1550- [فَذَكِّرْ]؛ بالقُرآنِ، والسُّنَّةِ، [إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى]الأعلى:9. الغَايَةُ من التَّذْكِيرِ الانتفاعُ بالتَّذْكِير .. وهذا يَستَدْعِي مِن الدُّعاةِ إلى اللهِ أن يَلتمِسُوا الزَّمانَ والمكانَ المناسِبَين للتذْكِير .. مِن غَيرِ إمْلَالٍ ولا إخْلَالٍ .. ولا تَكَلُّفٍ .. وبخطَابٍ مُحْكَمٍ مفْهُومٍ، واضِحٍ لا لبسَ فيه ولا غُموض .. لا يثيرُ الشكوكَ والشُّبهاتِ والتَّساؤلاتِ لَدَى المخاطَبِين، حيثُ هناك مَن يُزيلُ شُبهةً عند المخاطَبين بأضعافِها مِن الشُّبَه، وبما هو أخْطَرُ مِنها، فيُسيء أكثر مما يُصلح .. ويُزيلُ مُنكراً بمنكرٍ أكبر .. وتقول: ليتَه سَكَت .. وكلما كان المخاطَبُ مُقبلاً على الاستماعِ، رَاغِباً به، كان الخطابُ أنفعَ، وأحسَنَ وقْعَاً وأثَراً .. كما في الأثَرِ عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال:" حَدِّثوا النَّاسَ بما يَعرِفُون أتحبونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه "البخاري. وعن شَقِيقٍ، كان عبدُ الله بن مسعود يُذَكِّرُ الناسَ في كل خميسٍ، فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن! لودَدتُ أنَّك ذَكَّرتنا في كلِّ يومٍ. قال:" أما إنَّه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكُم، وإني أتخوَّلُكُم ـ أي أتقللكم ـ بالموعظةِ كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلَنا بها مخافةَ السآمةِ علينا ". وعن عكرمة، أنَّ ابنَ عباس قال:" حدِّثِ الناسَ كُلَّ جمعةٍ مرَّةً، فإن أبيت فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرَّاتٍ، ولا تُمِلَّ النَّاسَ هذا القرآنَ، ولا أُلفِيَنَّكَ تأتي القومَ وهم في حديثٍ من حديثهم فتقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثَهم فتُمِلَّهُم، ولكن أنصتْ، فإذا أمروكَ فحدِّثهم وهم يشتهونَه، وانظر السَّجْعَ من الدعاءِ فاجتنبهُ، فإنِّي عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ لا يفعلون ذلك ".

1551- [سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى]الأعلى:10. المؤمنُ الذي يَخْشَى عقابَ اللهِ، ويرجُو ثوابَه .. ويتَواضَعُ ويُقْبِلُ على التَّذكرةِ بكليَّتِه .. فلا يَنشغلُ عنها بمشاغِلَ وصوارِفَ الدُّنْيا ..

ولا بِسَفَاسِفِ الأُمور، وسَقَطِ القَولِ .. هو الذي يَنتفعُ مِنَ التَّذْكِرةِ في الدُّنيا والآخِرَة .. وهذا الذي يَنبغي على العُلماءِ والدُّعَاةِ إلى اللهِ أن يُقبلُوا على تَعليمِه وتَذْكيرِه بأيامِ اللهِ، ونِعَمِه.

1552- [وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى]الأعلى:11. أمَّا الشَّقِي الذي يُؤثِرُ شقَاءَ الدُّنيا والآخِرَة .. الذي يَتكبَّرُ، ويُعرِضُ عنِ التَّذْكِرَةِ .. ولَا يُبَالِي لهَا بَالَةً .. ويَنشَغِلُ عنْها بمشَاغِل وصَوَارِف الدُّنيا .. وبِسفَاسِفِ الأُمور، وسَقَطِ الأقوالِ، والآرَاءِ .. فهذا لا يَنتفعُ مِن التَّذكِرَةِ.

1553- [الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى]الأعلى:12. وممّا يجني عليه شَقَاؤُه، وإعراضُه عن التَّذْكِرَةِ أن يصيرَ إلى نارِ جهنَّم الكُبْرَى، وإلى عذابِها الأليم الكبِير .. فلَا عذَابَ أكبر ولا مثل عذَابِ نارِ جهنَّم.

1554- [ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى]الأعلى:13. فَلا هو يموتُ؛ فيَسْتَرِيحُ مِن العَذَابِ، ولَا هو يحيَى حياةَ الأحْيَاءِ؛ لِشَدّةِ مَا يُعَاني مِن الأَلمِ الشَّدِيد.

1555- [قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى]الأعلى:14. قَد فَازَ بخيرَي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، مَن طَهَّرَ نَفْسَهُ باجتِنَابِ المعَاصِي، وفِعْلِ الطَّاعَاتِ.

1556- [وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ]؛ فوَحَّدَه، ودعاه، وذَكَرَهُ ومجَّدَهُ بأسمائِه الحُسْنَى، وصِفَاتِه العُلْيَا، وبأنواعِ الأذْكَارِ الوارِدَةِ في الكتَابِ والسُّنَّةِ، [فَصَلَّى]الأعلى:15. فأتبعَ الذِّكْرَ بإقامَةِ الصَّلاةِ .. فجمَعَ بينَ الذِّكْرِ والصَّلاةِ .. وبخاصَّة مِنها الصَّلوات الخمْس .. فهذا مِن تمامِ وكمَالِ الفَلاحِ، وسَبَبٌ رَئيسيٌّ للفَلاحِ.

1557- [بَلْ تُؤْثِرُونَ]؛ تُقَدِّمُون زِينَةَ، ومتاعَ، وزُخْرُفَ، [الْحَيَاةَ الدُّنْيَا]الأعلى:16. العاجِلَةَ، الفانيَةَ .. ومآلُها إلى زَوَالٍ لَا مَحالَةَ .. ولِزوالِ الدُّنيا صُورَتَان: صُغْرَى وكُبْرَى؛ الصُّغْرَى بموتِ الإنْسَانِ عَنها؛ فيَفْنَى ويَزُولُ عن دُنيَاه، ومَا جمَعَه .. وكُبْرَى بقيامِ السَّاعَةِ.

1558- [وَالْآخِرَةُ]؛ بينمَا نَعيمُ الآخِرَةِ، [خَيْرٌ وَأَبْقَى]الأعلى:17. مِن نَعِيمِ الدُّنْيَا .. فنَعيمُ الآخِرَةِ بَاقٍ لا يَنْفَد، ولا يفْنَى، ولا يَبِيد .. وهو أكمَلُ وأجمَلُ، وألَذُّ .. خَالٍ مِن النَّواقِصِ، والمكدِّرَاتِ، والمنَغِّصَاتِ .. بخلافِ نَعيمِ الدُّنيا المنقَطع والنَّاقِص، المشُوب بالمكدِّرَات والمنغِّصَات .. ولَا يُؤثِرُ العَاجِلَةَ الزَّائِلةَ على الآجِلَةِ البَاقِيةِ، إلَّا ضَعيفُ العَقْلِ، والإيمانِ .. والآيةُ ليسَ فيها ذَمٌّ لمن يَعمُر الأرضَ بالخيرِ، ولا يَنْسى نَصيبَه مِن الدُّنيا، بما أحَلَّ اللهُ تعالى، وشرع .. وإنما الذَّمُ واقعٌ على مَن يُقدِّم الدُّنْيا على الآخِرَةِ .. ويَنشَغلُ بالدُّنيا عن الآخِرَةِ .. ويَطلبُ الدُّنْيا، ويَسعَى لها سعيَها بما حَرَّمَ اللهُ .. فيَحرصُ على نصيبِه مِن الدُّنْيَا، ويَنْسَى نَصِيبَه مِن الآخِرَةِ .. فعلى مِثلِ هذا يقعَ الذَّمُّ .. فتَنَبَّه.

1559- [وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى]الأعلى:17. أحيَاناً ترَى مِن الدُّنْيا، وجمَالِها، وفِتنَتِها، مَا تَسْتَشْوفُ له النَّفْسُ، وتتمنَّاه .. ولَسْتَ بمدْرِكِه .. وحَتَّى لَا تَذهبُ نَفْسُكَ عليه حسَرَات .. تَذَكَّر أنَّ نعيمَ وجمَالَ الآخِرةِ خَيرٌ، وأجمَلُ، وألَذُّ، وأبْقَى ممَّا تَراهُ عينُك مِن فتنَةِ وزِينَةِ الدُّنْيا .. وهو لَكَ، وفي انتظارِكَ إن سَعيتَ لهُ سَعْيَه .. فتَطِيبُ نَفْسُك .. وَتَنْصَرِفُ عَنكَ تِلكَ الحَسَرَاتِ .. ويَستَبدلُها اللهُ لكَ بالرِّضَا، والقنَاعَةِ، والطَّمأنِينَةِ.

* * * * *

سورة الغاشية

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ

1560- [لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ]الغاشية:6. شَوكٌ غَليظٌ شَديدٌ يَعلقُ في حَلاقِيمِهم .. لَا يَستَطِيعُون ازدِرَادَه ولا إخْراجَه .. فكَما كانُوا يأكلُون في دُنيَاهم ألوانَ الأطعمَةِ الشَّهيَّةِ، ثم يَكْفرُونَها، ولا يَشكرُون اللهَ عليها، يُعَاقَبُون يومَ القِيامَةِ مِن جِنْسِ كُفْرِهم وذَنْبِهم، فيكونُ طعَامُهم [مِن ضَرِيعٍ].

* * * * *

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

1561- [أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ]الغاشية:17. أن تُخَصَّ الإبلُ من بين سائرِ الدَّوابِّ بالنَّظَرِ، والتأمُّلِ، والتَّفكُّرِ .. هذا يَعني أن الإبلَ تحتوي على فوائِد، ومعَانٍ، وأسرَارٍ عظيمَةٍ لا تَتوفَّرُ في غَيرِها مِن الدُّواب .. تَستدْعِي مِن العُلماءِ والبَاحثِين أن يجرُّوا دِراسَةً دَقيقةً ومُفَصَّلة، ومُستَمرَّةً لجميع أجزاءِ الإبلِ الظاهِرةِ منها والباطِنةِ؛ جزْءاً، جزْءاً، وعضْواً عضْواً .. ولجميع الأطوَارِ والمرَاحِلِ التي يمرَّ بها؛ من الجنِين إلى ما بعد الوِلادَة، وحتَّى يُصبحَ جَمَلاً كبيراً متكامِلاً!

* * * * *

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ

1562- [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ]الغاشية:21-22. لَسْتَ بقادِرٍ على هِدايَةِ النَّاسِ إلى الإيمانِ هدايَةَ تَوفِيقٍ .. وحمْلِهم عَليه .. فهذا ليسَ لكَ، وإنَّما هو للهِ تعالى وحدَه .. وهذا لا يمنَعُ من أن تُذَكِّر، وأن تَهدِي الناسَ إلى الإيمانِ هِداية دَلَالَةٍ ..

وأن تَأمرَهم بالمعرُوفِ، وتَنهَاهُم عن المنكَرِ .. وتجاهِدُ مَن وجبَ عليكَ جِهادُه .. وهَذا خِطابٌ موجَّهٌ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولأمَّتِه مِن بَعدِه.

* * * * *

سورة الطور

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

1563-[أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ]؛ يَتألَّهُونه، ويَعبدُونه [غَيْرُ اللَّهِ]؛ أيَّاً كانَ هَذا الغَير، وكانَت صِفَتُه .. وهَذا سؤالٌ يُفيد التَّوبيخَ، والتَّقريعَ، والتَّعجبَ؛ إذْ كيفَ يَليقُ أن يتألَّه المخلُوقُ مخلُوقاً، ويَصرفَ له العِبادَةَ والطَّاعَةَ مِن دُونِ اللهِ، [سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ]الطور:43. تَنزَّه وتَعَالَى اللهُ عن الشِّركِ، والشُّركَاء.

* * * * *

سورة الفجر

والفجر. وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

1564-[والفجر. وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ]الفجر:1-3. أي عشر ذي الحجة. والقَسَمُ هنا للتشْرِيفِ وبيَانِ الفَضْلِ. [وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ]؛ قال صلى الله عليه وسلم:" العشرُ عشرُ الأضحَى، والوترُ يَومُ عَرَفة، والشَّفعُ يومُ النَّحْرِ ". وكذا فسَّرَ الشفعَ والوترَ ابنُ عباس، وعكرمةَ والضَّحاكُ. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن أيَّامِ العمَلُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى اللهِ من هذهِ الأيامِ؛ يعني أيَّامَ العَشْرِ. قالوا: يا رسولَ الله ولا الجهاد في سبيلِ الله؟ قال:" ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلَّا رجلٌ خرجَ بنفْسِه ومالِه، ثم لم يَرجعْ مِن ذلك بشيءٍ "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنّ أَعْظَمَ الْأيّامِ عِنْدَ الله يَوْمُ النّحْرِ ثُمّ يَوْمُ

الْقَرّ "، ويومُ القَرِّ هو اليومُ الحادِي عشَر؛ لإقرارِهم في مِنى. وقال صلى الله عليه وسلم:" أفضلُ أيامِ الدُّنيا أيَّامُ العَشْرِ "، قالوا يا رسولَ الله: ولا مِثلهنَّ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولَا مثلهنَّ في سبيلِ الله إلا مَن عَفَّرَ وجْهَهُ في الترابِ ". وفي رواية:" ولا ليالي أفضلُ مِن لياليهنَّ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" صيامُ يومِ عَرَفة؛ أحتَسِبُ على اللهِ أن يكفرَّ السنَةَ التي قبلَه والتي بَعدَه "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن يومٍ أكثرَ مِن أن يُعْتِقَ اللهُ فيه عبيداً من النَّارِ مِن يومِ عَرَفَةَ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن أيامٍ أعظمُ عِندَ اللهِ ولا أحبُّ إليهِ العمَلُ فِيهنَّ مِن هذه الأيامِ العشْرِ فأكثرَوا فِيهنَّ مِن التَّهْلِيلِ والتَّكبِيرِ والتَّحمِيدِ ". والحديثُ يَشملُ مُطلقَ العمَلِ الصَّالِحِ، إلَّا أنه خصَّ مِنها الذِّكْرَ " التهليل والتَّكبير والتَّحميد ".

* * * * *

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ

1565- [هَلْ فِي ذَلِكَ]؛ فِيما تَقَدَّمَ ذِكْرُه، [قَسَمٌ]؛ رَادِعٌ ومُقْنِعٌ، [لِّذِي حِجْرٍ]الفجر:5. لِذِي عَقْلٍ، وسُمِّي العَقْلُ حِجْراً؛ لأنَّه يَحْجرُ صَاحِبَهُ عنِ الهوَى، والزَّلَلِ، وكُلِّ مَا هو مُشِينٍ .. فالخَطَأُ لَا يَقَعُ إلا لجَهْلٍ بالنَّقْلِ، أو لِغَفْلَةٍ وضَعْفٍ في العَقْلِ!

1566- [لِّذِي حِجْرٍ]الفجر:5. لِذِي عَقْلٍ يَعْقِلُه، ويَحْجُرُه عنِ الباطِلِ، ومَا يُعِيب، ويُشِين.

* * * * *

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

1567- [فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ]؛ فأكْثرُوا في البلادِ الجرائمَ، والقَتْلَ، والظُّلمَ، والفسُوقَ، والفجورَ، والشُّذُوذَ .. فكانت العاقِبةُ المتوقَّعةُ والحتْميَّةُ؛ [فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ]الفجر:12-13. نوعاً من العذابِ ـ يُقَدِّرُه اللهُ ويَشاؤه ـ يَأخُذهم ويُعاقبهم به؛ كالريحِ، والمطَرِ، والجَدْبِ، والزَّلازِلِ، والطوفَانِ، والبرَاكِين، والخَسْفِ، وتَسليطِ الأدْوَاءِ والأَوبِئةِ، وغيرها .. ولَا يَعلمُ جُنودَ ربِّكَ إلَّا هو .. وقوله [سَوْطَ]؛ هو السَّوطُ الذي يُجلَدُ بِه، لكِن سَوْط اللهِ غَير سَوْطِ عَبدِ اللهِ .. وقولُه [فَصَبَّ]؛ فيه دلالةٌ على سرعةِ نزولِ العذابِ، وقوَّتِه، وشِدَّة أثَرِه .. فاللهُ إذَا أخَذَ فأَخْذُه أليمٌ شَدِيدٌ .. وهذه قاعِدَةٌ مُطَّردَة لا تتخلَّفُ، تَعمُّ كلَّ زمانٍ ومكانٍ؛ الإفسَادُ في الأرضِ دائماً يعقبه العقاب .. وتأخيرُ العِقَابِ ـ لحكمةٍ يُريدُها اللهُ تعالى ـ لا يَعني عَدَمَ نزولِه، ولو بَعدَ حِين.

* * * * *

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

1568- [إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ]الفجر:14. يَرصُدُ أعمالَ عِبادِه، ويَرقُبُها .. لا يَفوتُه مِنها شَيءٌ .. ولا يخْفَى عليه مِنها شَيء .. مَهمَا كانَ دَقِيقاً أو خَفِيَّاً .. أعمالُ الصَّالحين والطَّالحين سَواء .. فيُجَازِي الطَّالحَ الظالمَ على ظُلمِه، بما يَستَحِق .. ويُجَازِي الصَّالحَ على صَلاحِه، وإحْسَانِه الأجْرَ الجزِيل.

* * * * *

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا

1569- [وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا]الفجر:19. تَأكلُون الميراثَ أكْلاً شَديداً؛ فتلمُّونَه لَمًّا، وتَسفُّونَه سَفًّا؛ لَا تُبقونَ منه شَيئاً لغيرِكم ممَّن لهم حقٌّ في الميراثِ .. فتأكلُون

حصَّتكم، وحصَّةَ غيرِكم مِن الضعفاءِ ممَّن لا يَستطيعُون أن يُطالبوا بحقّهم مِن الميراثِ .. ولا تُبالون مَا هو حَلال لكُم، ومَا هو حرامٌ عليكُم .. فتأكلُون الحَلالَ والحرَامَ .. والآيةُ فيها إغْراءٌ وترغيبٌ على الإنفاقِ في أوجهِ الخيرِ ابتغاءَ مرضَاتِ الله .. وعدَمِ كنزِ المالِ إن كان المورِّثُ يعلمُ أن ورثتَه مِن السُّفهاءِ الذين يَهدرُون المالَ في سُبُلِ الباطِلِ .. ولَا يَشكرُونَه .. وممَّن يَظلمُون، ويأكلُون التراثَ أكلاً لمًّا!

* * * * *

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً

1570- [وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً]الفجر:20. المالُ بالنسبةِ لهم غايةٌ دُونها الغَايات .. يُوالُون فيهِ، ويُعادُون فيه .. يميلُون معَه حيثمَا مالَ .. ويتواجَدُون حيثمَا وُجِد .. ويَغيبُون حيثُمَا يَغيبُ .. يَشحُّون به على ذَوَي الحقُوقِ عليهم، مِن الرَّحِم، والفُقَراءِ، والمساكِين .. لَا يُبالُون أكانَ مِن حَلالٍ، أمْ مِن حَرامٍ .. وهؤلاء يُقالُ لهم:" تَعِسَ عبدُ الدِّرْهَمِ، تعِسَ عبدُ الدينارِ ".

* * * * *

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ

1571- [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ]؛ تُقادُ بسبعين ألف زِمامٍ، كما جاء ذلك في الحَدِيث، [يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ]؛ الكافرُ ما كان منهُ في الدُّنْيا مِن تفْريطٍ، وما هو قادِمٌ عليه من وعيدٍ دائمٍ لا يَنقَطع، فتَعْلُوهُ الحسْرَةُ والنَّدامَةُ، [وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى]الفجر:23. وأنَّى يَنفعهُ التَّذَكُّر، إذْ لا سَبيلَ له للرجُوعِ إلى الدُّنيا، واستئنَافِ العَمَل من جديد!

1572- [يَقُولُ]؛ الكَافِرُ، وكُلُّ مَن غلَبَ عليه التَّقْصِير [يَا لَيْتَنِي] ؛ تُفيدُ الحسْرَةَ والنَّدَامَةَ على التَّفْرِيطِ، ومَا قَد فَاتَ، ولاتَ حِينَ مَنْدَمٍ [قَدَّمْتُ] في حيَاتي الدُّنيا

القَصِيرَةِ الفَانِيَةِ، فآمَنْتُ، وأَطَعْتُ اللهَ ورسُولَه [لِحَيَاتِي]الفجر:24. الآخِرَةِ الدَّائِمَةِ التي لا تَفْنَى ولا تَبِيدُ، ولا يَنْقَطِعُ نعيمُهَا أَبَدًا!

* * * * *

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

1573- [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ]الفجر:27. هذه النفسُ، هي ثمرةُ ونتاجُ الصِّراعِ بينَ النفسِ اللَّوامَةِ، والنَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ .. فإذا غلبَت النفسُ اللوامَةُ النفسَ الأَمَّارة بالسوءِ .. وخنَسَت وضَعُفَت النفسُ الأَمَّارَة .. انتقلَت النفسُ إلى أرقَى مرَاتِبها ومقامَاتِها، إلى مرحلةِ النفْسِ المطمئنَّةِ الهنِيَّةِ السَّعيدَةِ .. إلى مرحَلةِ الاستقرَارِ، والثبَاتِ، والاطمئنانِ بالإيمانِ، وبطاعَةِ اللهِ، وبذِكْرِه، ومنَاجَاتِه، والقُرْبِ منه، والأُنْسِ به .. فلا يُعَكِّر صَفْوَها مُعَكِّرٌ .. ولا يُكَدِّرُها مُكَدِّرٌ .. ولا تضرُّها فتنةٌ أَبَدًا .. وأنَّى، والنفسُ الأَمَّارةُ بالسُّوءِ قد خنَسَت ـ وخنَسَ معهَا الشيطانُ الخنَّاس ـ إلى حيثُ لا رَجْعَةَ!

* * * * *

سورة البلد

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ

1574- [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ]البلد:4. في مَشقَّةٍ، وتَعَبٍ، وشِدّة، وهو من البلاء الذي قدَّره اللهُ للإنسان في هذه الحياة .. وكل إنسان ـ كان غنيّاً أم فقيراً، حاكماً أم محكوماً، سيّداً أم مَسُوداً ـ له حظُّه المقسوم من هذا الكَبَد، رضي من رضي، وسَخِطَ مَن سَخِط!

* * * * *

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ

1575- [أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ]البلد:8. وليسَ عيناً واحِدَةً؛ ليرَى المشْهدَ كامِلاً .. ويَرَى الصورَةَ والحقيقَةَ كامِلةً غيرَ مُشَوَّهة، ولا مَنْقُوصَة .. ومعَ ذلك كثيرٌ مِن الناسِ يأبَون إلَّا أن ينظرُوا للأشياء ـ كالعُورَان ـ بعينٍ واحِدةٍ .. يَرون مَا لهم، وما يُريدُون أن يرَوْه .. ولَا يَرون مَا عليهم، وما يجبُ أن يرَوه .. فتأتي أحكَامُهم، وشَهادَاتهم مَنقوصةً خَاطِئةً .. كشهادَةِ شَاهِدِ الزُّور!!

وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ

1576- [وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ]البلد:9. ليذكرَ اللهَ .. ويَشهدَ شهادَةَ الحقِّ .. ويُحسنَ التَّواصُلَ مع محيطِه، والآخَرِين .. ومعَ ذلك كثيرٌ مِن الناسِ يُعطِّلون هذه الوظائف .. ويَستغلُّون هذه النِّعمَة ـ نعمة اللسَّانِ والشَّفَتين ـ في غيرِ ما خُلِقَت له!

* * * * *

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

1577- [وَهَدَيْنَاهُ]؛ هَدَينا الإنسانَ هِدايةَ بيَانٍ وليسَ هِدايةَ توفيقٍ وإلزَامٍ؛ لِتبقى فرصَةٌ للاختيارِ، الذي عليه مَناطُ التَّكليفِ، والمحاسَبةِ، والمسَاءلَةِ، [النَّجْدَيْنِ]البلد:10. طريقَ الخيرِ، وطريقَ الشَّرِّ، طريقَ الحقِّ، وطريقَ الباطِلِ؛ فكلُّ خيرٍ يُقَرِّبُ الإنسَانَ إلى اللهِ تعالى، وإلى جنَّتِه، قد بيَّنَه اللهُ تعالى في كِتابِه، وفي سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، وأَمَرَ به، وكُلُّ شَرٍّ يُبَعِّدُ عن اللهِ تعالى، وعن جَنَّتِه، ويُقَرِّبُ إلى نارِ جهنَّم فقد بيَّنَه اللهُ تعالى في كِتَابِه، وفي سُنَّةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، ونَهى عنه .. فلَمْ يحوجْ عِبادَه إلى أن يَلتَمِسُوا الخيرَ أو الشَّرَّ، الحَقَّ أو الباطِلَ من غيرِ مَنهجِه ودِينِه .. وعليه فأيُّما خَيرٍ ليس في دينِ اللهِ، فهو ليسَ بخيرٍ، وأيُّما شَرٍّ ليس في دينِ اللهِ، فهو ليسَ بشرٍّ .. وتَوَاطُؤ أكثر النَّاسِ على خِلافِ ذَلك، لا يُحيلُ الخيرَ شَرّاً، ولا الشرَّ خيراً.

* * * * *

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ

1578- [فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ]البلد:11. وحتى ينجحَ في اقتحام العقبة التي في النّار، لا بدّ من أن ينجَحَ في اقتحامِ العقبةِ التي في النَّفس؛ عَقبةُ التردّدِ، والشّحّ، والخوفِ من الإنفاقِ خشيةَ الفَقْرِ، والتّسويفِ .. فإن تجاوزَها، تجاوزَ تلك العقبة التي في النّار.

* * * * *

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ

1579- [أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ]البلد:14. كلما اشتدَّت الحاجَةُ للطعَامِ .. واشتدَّت المجاعَةُ .. كان الإطعامُ أفضَل، وأجرُه أعظم وأكثر .. فَلا يَستوي مَن يُنفقُ في العُسْرِ، وفي مجَاعَةٍ .. ويَتقاسَمُ معَ الجائعينَ رغيفَ خُبزه .. ومَن يُنفقُ في اليُسْرِ، والناسُ في غِنَى واكتفَاءٍ .. لا يَستويان مَثَلاً، ولا أجْرَاً!

* * * * *

سورة الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا

1580- [قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا]؛ قد فَازَ مَن زَكَّى نفْسَهُ، ونَمَّاهَا بالعِلمِ النَّافعِ، وطَهَّرَهَا مِن الخَطَايَا والذُّنُوبِ، وحمَلَها على طاعَةِ اللهِ، وطاعَةِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم، [وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا]الشمس:9-10. وقد خَسِرَ مَن غمَسَ وأَقحَمَ نَفْسَه في الجَّهلِ .. وفي الآثامِ والمعاصِي!

* * * * *

سورة الليل

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى

1581- [فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى]الليل:10. مِن عَلاماتِ الرِّضَا والتَّوفِيقِ أن تجدَ فعلَ الخيرِ مُيَسَّراً ومحبَّباً لك، ونَفْسَك تَتُوقُ لِفِعْلِه، ومن عَلاماتِ السخْطِ وانتفاءِ التَّوفيقِ أن تجدَ فِعلَ الشرِّ مُيَسَّراً لك، ونَفْسَكَ مَشدودةً ونَشِيطةً لِفِعْله، وفِعْلَ الخيرِ مُعَسَّراً عليكَ، ونَفْسَكَ نافِرةً مِنه!

* * * * *

سورة الضحى

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى

1582- [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]الضحى:5. فيُرْضِيه اللهُ تَعالى، فيأَذَن لَهُ أنْ يَشْفَعَ لِكُلِّ مَنْ مَاتَ مِن أمَّتِهِ على التَّوحِيدِ، لا يُشرِكُ باللهِ شَيئاً .. صلى الله عليه وسلم.

1583- [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]الضحى:5. هذا الخِطَابُ وإن كانَ المعْنِي مِنه النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم .. إلا أنَّه يَشملُ جميعَ المؤمنين الموحِّدين، فإنَّه تعالى يُعطِيهم يومَ القِيامةِ عَطاءً فيُرضِيهم جميعاً .. فلا تجدُ مِنهم مُتَسَخِّطاً .. فلتَقَرّ عَينُ أمَّةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .. ولا يَظُنُّونَ بكثِيرِ الخَيرِ إلَّا خيراً.

* * * * *

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

1584- [فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ]الضحى:9. اليَتيمُ يَتيمُ الأبِ، تَبْقَى صِفَةُ اليُتْمِ مُلازِمَةً له إلى سنِّ البُلُوغِ .. وهو مُسْتَضْعَفٌ مَكسُورُ الظَّهرِ والخاطِرِ من جهةِ فقْدِه لأبِيهِ؛ سَنَدُه في هذه الحياةِ الدُّنْيَا .. فَلا يجوزُ أنْ يُضَافَ إلى ضَعْفِهِ وكَسْرِ خَاطِرِه وظَهْرِه قَهْرُ

مَن يتعَامَل معَه، ويتولَّى أمرَه .. أيَّاً كان دينُ اليتيمِ، وكان انتماؤه ومَنشَأُه .. فلا يُقْهَر مِن جِهَةِ التَّنَمُّر والاعتدَاءِ النَّفْسِي عليه .. أوْ مِن جهةِ الاعتداءِ الجسَدِي عليه .. أو مِن جهةِ حَقِّه في التربيةِ والتَّعليم، والعَيْشِ الكَرِيم .. أو مِن جهَةِ الاعتداءِ على مالِه؛ سواءٌ كان هذا المالُ مَتروكاً له من جِهةِ الإرثِ .. أو كانَ مخصَّصاً ومقطُوعَاً له من جِهةِ المتبرِّعِين المتطوِّعِين .. الاقترابُ مِن مالِه بالحرَامِ مِن أكبرِ الخَطَايَا والذُّنُوب التي يحَاسَب عليها المرءُ يوم القِيامَةِ .. فلا يجوزُ أن يُقهَر ويُهضَمَ حَقُّه في أيِّ جهةٍ من الجهَاتِ والجوانِبِ الآنفةِ الذِّكرِ أعْلَاه.

* * * * *

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

1585- [وَأَمَّا السَّائِلَ]؛ الذي يَسألُ لدفعِ كَربٍ، أو هَمٍّ، أو جُوعٍ، أو حاجَةٍ، أو لقضاءِ مَنفَعةٍ، وقد تكونُ ماديَّةً، وقد تكونُ معنويَّةً، ولها علاقةٌ بالجوانبِ الفقهيَّةِ، والنفسيَّةِ، والاجتماعيَّةِ .. فالمرادُ من السائلِ في الآيةِ الكريمةِ، أعَمُّ بكثيرٍ من أن تُحصَر في السائلِ الذي يمدُّ يدَه، أو يقرَعُ الأبوابَ؛ يَسألُ لقيمات يَردُّ بها جوعَه، [فَلَا تَنْهَرْ]الضحى:10. فَلَا تَزْجُر .. إمَّا أن تجيبَهُ إلى سؤالِه بتواضعٍ، من غَير مَنٍّ ولا أذَى .. وإمَّا أن تردَّه، وتعتذِرَ له بلُطفٍ، ورفقٍ .. وليسَ وراءَ ذلك خيارٌ آخَر!

* * * * *

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

1586- [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]الضحى:11. لا تُخْفِ نِعَمَ اللهِ عليك .. فتَظْهَر وكَأَنَّكَ تَشْكُو اللهَ إلى عِبَادِه .. وإنَّما أظْهِرْ نِعَمَ اللهِ عليك التي تُظْهِر عَظِيْمَ فَضْلِ اللهِ عليك .. والتي تَسْتَوْجِب مِنك، ومِن غَيرِك، شُكْرَ اللهِ.

1587- [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]الضحى:11. إذَا نزَلَ بِكَ بَلاءٌ .. لَا تَتَسَخَّطْ .. ولَا تَشْكُ اللهَ إلى عِبادِهِ .. ولا تَنْسَ نِعَمَ اللهِ عليك التي لَا تُحْصَى .. فإن سلَبَك نعمةً ـ لحِكْمَةِ التَّمْحِيصِ والبَلاءِ ـ فتَذَكَّرْ، واذْكُرْ أنَّ اللهَ تعالى قَد أبْقَى لَكَ مِن النعَمِ الكَثِيرَ، الكثِير .. عسَى أن يحمِلَكَ ذلك على الصَّبْرِ، والشُّكْرِ، والرِّضَا .. وإن كنتَ شَاكِياً فاشْكُو أمْرَكَ إلى اللهِ .. ارفَعْ قضيَّتَك إلى اللهِ .. فاللهُ يَسمَعُ ويَرَى .. ويحبُّ مِنكَ أن ترفَعَ شَكْواكَ إليه .. كما أنَّه تعَالى يَغَارُ عليك إذا انصرَفْت عنه إلى غيرِه .. أو شكوتَه إلى غَيرِه .. فلَا أحَدَ أغْيَرُ مِن اللهِ!

* * * * *

سورة الشرح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

1588- [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]الشرح:4. فالذي يَرفَعُ، ويَخفضُ هو اللهُ تعالى وحدَه .. فكم مِن طَالبٍ للشهرةِ والرِّفْعةِ، والذِّكْرِ بين النّاسِ .. يُنفِقُ في سبيلِ ذلك الغَالي والنَّفيسَ .. يَضَعه اللهُ .. ويُطفِئ ذِكْرَه، واسمَه .. وكم مِن خامِلِ الذِّكْرِ، غير معرُوفٍ ولا مَشْهُورٍ، لا يأبَه إن ذُكِرَ، أو لم يُذْكَر .. يَرفَعُه اللهُ، ويُعْلِي ذِكْرَهُ، وقَدْرَهُ، ويُشْهِرُ اسمَه .. لا يجوزُ لك ابتدَاءً أن تَطلُبَ وتَستَشرفَ الذِّكْرَ، ومواردَ ودرُوبَ الشّهرَةِ، وصَرْفَ وجُوهِ النَّاسِ إليك .. فهذا مَدعاةٌ للرياءِ، ومِمَّا يُضعِفُ الإخلاصَ .. واللهُ تعالى أحياناً قَد يَبتلي عبدَه المؤمن بخمولِ الذِّكْرِ .. ويَصرفُ عنه مَظَانَّ الشهرَةِ .. فإن نجحَ في الاختبارِ .. رفَعَ ذِكْرَهُ، وأعْلَى قَدْرَهُ، ووضَعَ له القبولَ في السماءِ والأرضِ.

1589- [وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]الشرح:4. جعَلَ اللهُ طاعَةَ نبيِّهِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِن طاعَتِه، ومَعصيَتَهُ مِن مَعصيَتِه، ومحبَّتَهُ مِن محبَّتِه .. وجعلَ الإيمانَ بِهِ،

وتَصديقَه، ومُتَابعَتَه شَرطاً لدخولِ الإسلامِ، وللنَّجاةِ يومَ القِيامَةِ .. وقَرَنَ ذِكرَهُ معَ ذِكْرِهِ، في الأذَانِ، والإقامَةِ، والتَّشَهدِ في الصَّلاةِ، وغير ذلك من المواضع .. وخَصَّه بالذِّكْرِ في كثيرٍ من السورِ والآياتِ القُرآنيَّةِ، والتي تُتْلَى إلى قيامِ السَّاعَةِ .. وأمَرَ بالصَّلاةِ عليه، وبخاصَّة عندما يُذكَر، وأثنى خَيراً على مَن يُصلِّي عليه، وتَوعَّدَ بالوعيدِ الشَّديدِ على كلِّ مَن يُذكَر أمَامَه، ثم لم يُصلِّ عليه .. هذا في الدُّنيا، أما في الآخِرةِ؛ فيُعطَى الشَّفاعَةَ في مواضع لا تُعطَى الشَّفَاعةُ فيها لغيرِه، ويُعطَى المقَامَ المحمُود، والكوثر .. ويُعطَى مِن المنازِلِ والكراماتِ العظيمَةِ حتى يَرضَى .. صلواتُ الله وسلامُه عليه.

* * * * *

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

1590- [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:6. مَا مِن عُسْرٍ إلَّا ويُطَارِدُه يُسْرَان؛ حتَّى لو دَخَلَ جُحْراً، دَخَلَا خَلْفَه .. وأنَّى لعُسْرٍ أن يغلِبَ يُسْرَيْن أو أن يَفْلتَ مِن يُسْرَين .. قالَ ابنُ مسعود رضي الله عنه:" لو كانَ العُسْرُ في جُحرٍ لدَخَلَ عليه اليُسْرُ حتَّى يُخْرِجَه ".

* * * * *

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ

1591- [فَإِذَا فَرَغْتَ]؛ مِن عمَلِك، وواجِبَاتِك اليومِيَّة، [فَانصَبْ]الشرح:7. فاجتَهِدْ في العِبادَةِ .. فَلا أضَرَّ على الإنسانِ مِن أن يجتمعَ عليه فَراغٌ، وخُمولٌ، وكَسَلٌ .. وفي الحَدِيث:" لا تَزُولُ قَدَمَا ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ مِن عندِ ربِّه، حتى يُسْأَلَ عن خَمْسٍ: عن عُمُرِه فِيمَ أَفْنَاه ..."؟!

1592- [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ]الشرح:7. المهَامُّ والواجباتُ أكثَرُ بكثيرٍ من الأوقاتِ .. فإن حصَلَ لك فَراغٌ؛ فأسْرِعْ في اغتنامِه بمَا ينفَعُك في دِينِك ودُنيَاك .. إذْ سِرْعان ما يَنقَضِي هذا الفرَاغ، وتتراكَمُ عليك المشاغِلُ والمهَام مِن جَدِيدٍ .. فتندَم على ساعاتِ الفرَاغِ التي قَضيتَها في غيرِ ما يَنفَع .. ولاتَ حِين مَنْدم .. فالأمورُ دُوَلٌ، وقَلَّابَةٌ؛ سَريعةُ الانقلابِ، والتَّغيرِ، والتَّحولِ، لا تَعرفُ الثبَاتَ على حَالٍ .. والعَاقِلُ مَن يَأخذُ مِن قوتِه لمراحِلِ ضَعْفِه .. ومِن فراغِه إلى شغلِه .. ويَأخذُ مِن صَيفِه إلى فصْلِ شِتَائِه، كما في الحديث:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ ".

* * * * *

سورة العلق

اقْرَأْ

1593- [اقْرَأْ]العلق:1. أوَّلُ أمرٍ نَزلَ .. وأولُ كلمةٍ نزلَت مِن السماءِ على قلبِ سيّدِ الخلقِ صلواتُ الله وسلامه عليه .. وعلى أمَّتِه من بَعدِه .. كلمة [اقْرَأْ]؛ لبيَانِ أهميَّةِ القِراءةِ في طَلبِ العُلومِ والمعارِفِ .. وبناءِ الأمَمِ، والشعُوبِ، ومجتمعاتِهم .. وبناءِ النَّفْسِ بناءً سَويًّا .. الجسَدُ غِذاؤهُ الطَّعامُ والشَّرابُ .. والروحُ والعقلُ غذاؤهما القِراءة، وعن طريقِ القِراءةِ .. وكما أن الجسدَ لا يقْوَى على الاستمرارِ في الحياةِ من غيرِ طعامٍ ولا شَرابٍ .. كذلك الروحُ والعقلُ لا يمكنُ أن يُكتبَ لهما الاستمرارُ، ولا أداء وظيفتهما في هذه الحياةِ بطريقةٍ صحيحةٍ مِن غيرِ القِراءةِ .. فإنْ لم تَكُنْ قارِئاً، اجتهد أن تتدربَ وتكتَسبَ مهارَةَ القِراءَةِ .. وأن تحبَّ القِراءةَ .. فإن لم تَقْدِرْ، فليُقرأ عليك .. وخَيرُ ما تَقْرأ، ويُقرأ عليك كَلامُ الله.

1594- [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]العلق:1. القِراءةُ على أهميتها في بنَاءِ النَّفسِ، والعَقْلِ، والفِكرِ، والرُّوح .. إلَّا أنَّها سِلاحٌ ذُو حَدّين، أحَدُهما خَيرٌ، والآخَرُ شَرٌّ، قد تخرجُ إنساناً متَحضّرَاً، راقِياً، مؤمناً، وقد تخرجُ إنسَاناً ضَالّاً، تَائِهاً، كافِراً، بحسبِ المَعِين الذي يَعتكِفُ عليه القَارِئُ، ويَتَلَقَّى مِنه القِراءَةَ .. لِذَا لم يَتنزَّل الأمرُ الإلهي بالقرَاءةِ مجرَّداً وحَسب مِن دُونِ أن يدلَّنا ويرشدَنا إلى ماذا نَقْرَأ، فقال تعالى:[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]العلق:1. وحتى تكونَ القِراءةُ باسمِ اللهِ، لَا بُدَّ من أن تكونَ القِراءةُ نافِعَةً وفقَ مُرَادِ اللهِ، ومُرَادِ رسُولِه صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

1595- [وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ]العلق:3. اللهُ هو الأَكْرَمُ، لا يُوازِيه ولا يُماثِلُه كَرِيمٌ، الذي له الكَرَمُ كله، والذي مِن كرمِه تَقتَاتُ المخلُوقات كلها لمعَاشِها .. ويتكارَمُ بعضُهم على بَعضٍ .. وسعَ كرَمُه كلَّ شيءٍ، الإنسَ والجنَّ .. الكافرَ مِنهم والمؤمنَ .. العَاصِي والتَّقِي .. والدَّوابَّ، والأشجارَ، والنباتَات .. وكلَّ شَيءٍ .. كُلٌّ له عَطاؤُه وقِسمَتُه مِن كَرَمِ اللهِ وجُودِهِ، وعطَائِهِ .. سُبحَانه وتعَالى.

* * * * *

كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى

1596- [كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ]؛ حَقّاً وصِدْقاً إنَّ الإنسانَ الكافرَ باللهِ، وبقيم ومبَادِئ الإيمانِ .. الشَّاردِ عن طَاعةِ اللهِ، وطاعةِ أنبيائه ورسُلِه، [لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى]؛ فإن

الغِنَى الفاحش يحملُه على مَزيدٍ مِن الطُّغيانِ، والغَفْلَةِ، والنُّسيانِ، وعلى التَّعالِي، وظُلمِ الخلْقِ، والاستخفافِ بالحقِّ .. ونسيان العواقِبِ، والمآلَات التي سيؤُولُ إليها، [إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى]العلق:6-8. فالجميعُ سيموتُ ويَرجعُ إلى اللهِ تعالى؛ ليُحاسِبهم على ما كان مِنهم مِن عمَلٍ، ومَا كان مِنهم من طُغيانٍ، وظُلمٍ .. وإنَّه لسائلُهم عن أموالِهم التي جمعُوها؛ كيف اكتَسَبوها، وفيمَ أنفَقُوها .. والآياتُ وإن قِيلت في الإنسانِ الكافرِ إلا أنَّها تنطوي على تحذيرٍ شَديدٍ لأهلِ القِبلةِ والإيمانِ مِن أن يسلكُوا مَسْلك الطغاةِ الكافِرين .. وأن يَنتبهُوا أن لا يحملهم الغِنَى الفاحِشُ، وانشغالهم بجمع الأموالِ ـ بما يفوقُ بكثيرٍ عن حاجياتِهم ـ على الطُّغيانِ، والظلمِ، والكِبرِ، والغفْلَةِ عن الطاعَةِ والعِبادَةِ .. وعلى التَّعالِي على الخلْقِ، ونُسيانِ مَا للفقراءِ والمسَاكِين، والمحرومِين مِن حَقٍّ معلومٍ في أموالِهم .. فقد جرَت العادَةُ في الذين يَنشغلُون بجمع الأموالِ وتكثيرِها بما يَفوقُ حاجياتِهم بكثيرٍ .. أن قَليلاً منهم مَن يَسْلمُ له دِينُه!

* * * * *

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى

1597- [أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى]العلق:14. لِكُلِّ مَن تَحْملُهُ نفسه على الظُّلمِ، والبَغْي على الظلم، والفُسُوقِ، والعصيَانِ .. أَلَمْ تَعْلَم بأنَّ اللهَ تَعالى يَرَاك .. لا يَخفَى عليه شيءٌ مِن حالِك .. وأنَّهُ قادِرٌ عليك .. فإن كنْتَ لا تَعْلم، فاعْلَمْ .. وإن كُنتَ تَعْلَمُ كيفَ تَتجرَّأ على الظُّلمِ، والبَغْي، والعصْيَانِ، وأنتَ تَعْلمُ أنَّ اللهَ يَرَاك؟!

* * * * *

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ

1598- [كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ]العلق:19. كل مَن يَنْهاكَ ـ أيَّاً كان موقعُه الاجتماعِي أو السِّياسِي ـ عَن طاعةِ اللهِ، ورسُولِه صلى الله عليه وسلم .. أو يَأمرُك بمعصيةِ اللهِ، ورسولِه صلى الله عليه وسلم .. فَلا تُطِعْهُ .. ولَا تَلتفِتْ إليه .. لا طاعَةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيةِ الخالِقِ .. وقَابِلْ أمرَهُ ونَهيَه لك بمزيدٍ مِن الصَّلاةِ، ومَزيدٍ مِن الاقْترابِ مِن اللهِ تعالى، بطاعَتِه، وعِبادَتِه، وتَوحِيدِه .. واللهُ تعالى يحفظُكَ، ويَعْصِمُكَ مِن الظَّالمِين.

* * * * *

سورة القدر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

1599- [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ]القدر:3. ليسَ فيها ليلَةُ القَدْرِ .. والعَمَلُ الصَّالحُ فِيها لا يُساوي العمَلَ الصَّالحَ في ألفِ شَهرٍ، وحَسْب، كما يُصوّرُ البعضُ .. بل هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ .. بكم هي خيرٌ من ألفِ شَهرٍ .. بمائة شهرٍ زيادَة أم بمائتَي شهرٍ أم أكثر ..؟! غيرُ مَعلُوم لنا .. لا يُوجدُ رقمٌ محدَّدٌ تَقِفُ عنده الخيريَّةُ .. قد يكونُ في علمِ اللهِ تعالى، أنَّها خيرٌ مِن ذلك بكثيرٍ، واللهُ تعالى أعلم.

* * * * *

سورة البينة

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء

1600- [وَمَا أُمِرُوا]؛ لم يُؤمَرُوا بِشَيءٍ [إِلَّا]؛ أدَاةُ استِثْنَاءٍ جاءت بعدَ نَفْي؛ تُفيدُ الحصْرَ والقَصْرَ، [لِيَعْبُدُوا اللهَ]؛ عِبادَةً جامِعةً لجميع ما يُحبهُ اللهُ تعالى من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرةِ والباطِنةِ، والشَّامِلةِ لجميع المساحَةِ الزَّمانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعِيشُها الإنْسانُ، [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]؛ مُخلصين للهِ العِبادةِ والتَّوجُّهِ، لا يُشركُون به شَيئاً، [حُنَفَاء]؛

مُسلمين موحدين بُرآءَ من الشِّرْكِ؛ على مِلَّةِ التَّوحيدِ؛ مِلةِ إبراهيم، ومحمد، وموسى، وعيسى، وجَميعِ الأنبياءِ والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، [وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ]؛ خُصَّتَا من العِبادَة العَامّةِ الجامِعةِ بالذِّكْرِ؛ لبيانِ أهميَّةِ هذين الركنَينِ العظِيمَيْنِ في دينِ اللهِ، [وَذَلِكَ]؛ وهذا هو، وليس غيره، [دِينُ الْقَيِّمَةِ]البينة:5. الدينُ الحقُّ المستقيمُ، الذي يجبُ اتّباعُه.

1601- [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ]البينة:5. نَوَّعَ اللهُ تعالى في العِبَادَات؛ لِغَايَاتٍ عِدّةٍ: منها، لأنَّ اللهَ تعالى يحبُّ أن يُعبَدَ من جميعِ مَا يَدخُل في مَعْنَى ومُسَمَّى العِبَادَةِ؛ مِن جهَةِ الصَّلاةِ، والصَّوْمِ، والحجِّ، والعُمْرَةِ، والزَّكاةِ، والجهَادِ، وطَلَبِ العِلمِ، والأمْرِ بالمعرُوفِ والنَّهي عن المنكَرِ، والذِّكْرِ، والدُّعَاءِ، وتِلاوَةِ القُرآنِ، وغيرها مِن صوَرِ العِبادَات القَلْبيَّةِ .. ومنها، حتَّى لَا يَسأمُ الإنسَانُ العِبَادَةِ؛ فإذَا مَلَّ نوعاً من أنوَاعِ العِبَادَةِ، انصرفَ إلى أنوَاعٍ أُخْرَى تَدخُلُ في معنَى ومُسَمَّى العِبَادَةِ .. ومنها، حتَّى لَا يَشْكُو الإنسانُ مِن فَراغٍ مِن غَير عِبادَةٍ؛ فلو اقتَصرَت العِبَادَةُ على نَوعٍ واحِدٍ مِن أنواعِ العبادَةِ كالصَّلاةِ مَثَلاً، لربما وقَعَ في فراغٍ مِن غَير عِبادَةٍ .. لذلك نجدُ أنَّ العِبادَةَ في الإسلامِ مِن التنَوُّعِ بحيث تَشملُ جميعَ المساحَةِ الزَّمَانيَّةِ والمكانيَّةِ التي يَعيشُها الإنسانُ.

* * * * *

سورة الزلزلة

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ

1602- [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8. دِقَّةٌ عَالِيَةٌ في الرَّقَابَةِ، والإحصَاءِ، والمحَاسَبَةِ .. والعَدْلِ في المُحَاسَبَةِ .. لا يَفُوتُها، ولا يَخفَى عليهَا شَيءٌ .. مهْمَا كثرَ عَدَد النَّاسِ، وتَعدَّدَت أمصَارُهُم، وتنوَّعَت

أجنَاسُهم ولغاتُهم .. لَا يخْفَى على اللهِ شَيءٌ مِن أعمَالِهم الظَّاهرَةِ والبَاطِنَةِ .. حتَّى الذَّرَّة مِن أعمالِهم ـ أو أصْغَر مِن ذلك ـ فاللهُ يَعلَمُه، ويُحصيه، ويُحَاسِبُ عليه؛ إن كانَ خَيراً فخَير وإن كانَ شراً فَشَرٌّ .. وقولُه تَعالى:[فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ]؛ فيه تَرغِيبٌ وإغْرَاءٌ لفعلِ الخَيرِ، وبَذلِ المعرُوفِ مهْمَا كانَ قَليلاً، أو صَغِيراً .. إذْ لَا يَنبغِي للمرءِ أن يبخَس معرُوفَه، فيَسْتَقِلَّه، ويمتنعُ عن بذْلِه؛ فرُبَّ معروفٍ لَا يَزِنُ ذَرَّةً يُوافقُ القُبولَ والرِّضَا في السَّماءِ؛ فينفَعُ اللهُ به بما يَزِنُ جِبَالاً من الخير .. وقوله تعالى:[وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]؛ فيه تحذيرٌ وتَرهيبٌ مِن اقتحَامِ الذُّنُوبِ مَهمَا كانت صَغيرَةً .. فالاستهانَةُ والاستخفَافُ بصغَائِرِ الذُّنُوبِ .. والاسترْسَالِ بِها .. معَ أمْنِ العُقُوبَةِ عليها .. قَد تَرقَى بمجموعِها إلى أن تُصبحَ مِن كبَائِرِ الذُّنُوبِ .. فالعَاقِلُ لا يَنظرُ إلى صِغَرِ الذَّنْبِ .. وإنما يَنظرُ إلى مَن عَصَى بمواقَعَتِه في صغَائِرِ الذُّنُوبِ .. ولا يَأمَنُ العقوبَةَ إلا مُتَألٍّ على اللهِ، مَغْرُور!

1603- ميزَانُ السَّمَاءِ تَبِيْنُ فِيهِ الذَّرَّةُ ـ ومَا دُونَ ذلك! ـ مِن الخَيرِ أو الشَّرِّ، [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8.

1604- [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8. كانَ مِن السَّلَفِ مَن يقُول:" إنَّ هذا الإحصَاء شَدِيد .. فلَا تَحقِرَنَّ شَيئاً مِن الشَّرِّ أن تَتَّقيَه، ولَا شيئاً مِن الخيرِ أن تفعَلَه ".

* * * * *

سورة العاديات

إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ

1605-[إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ]العاديات:6. بَجُحُودٍ، يَذكرُ المصائِبَ على قِلّتِها، ويَنْسى النِّعَمَ على كِثْرَتِها!

* * * * *

سورة القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ

1606-تأمّلُوا، من أجلِ تَفادِي الفيروس كُورُونا ـ وهو هو من حيث الضَّآلة والشَّأن ـ يفرُّ المرءُ من أخِيه، وأُمّه وأبِيه، وصاحِبَتِه وبَنِيه .. والجميعُ يقولُ للجميع: لا لِقَاءَ، ولا مِسَاس .. فما يكونُ الحالُ والموقِفُ يومَ الحشْرِ .. يومَ تجيء القارِعَةُ،[وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ]القارعة:3-4. ينتشرون في أرضِ المحشَرِ انتِشَارَ الجَرَادِ، لكلِّ امرئٍ شَأْنٌ يُغنِيه، ويُشْغِلُه، ويهمُّه ...؟!

* * * * *

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ

1607-[فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ]؛ فرجحَت حسنَاتُه على سيئاتِه، [فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ]؛ مَرْضِيَّةٍ هَنِيئةٍ في الجنَّةِ؛ التي فيها مِن النَّعيمِ المقيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ، ولَا خطَرَ على قلْبِ بَشَرٍ، [وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ]؛ فرجحَت سيئاتُه على حسَناتِه، [فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ]القارعة:6-9. يَهْوِي على رَأْسِه في نارِ جهنَّم؛ ومَا أدراكَ ما نَار جهنَّم؛ فيها مِن العذابِ المُقِيمِ الأليمِ مَا لا عينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سمعَت، ولَا خطرَ على

قلبِ بَشرٍ .. وسُميَت جهنَّمُ بأُمِّه؛ لأنه يأْوِي ويَرجعُ إليها، فلَا أُمّ ولا حاضِن، ولا مَأوَى له يَومئذٍ إلا جهنَّم!

* * * * *

سورة التكاثر

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ

1608-[أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]التكاثر:1. شَغَلَكُم التَّكَاثُرُ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينَتِها عمَّا يَنتظرُكُم يومَ القِيامةِ مِن وَعْدٍ ووعِيدٍ .. وعمَّا يجبُ أن تَعدُّوه مِن الطَّاعاتِ لليومِ الآخِرِ، يومَ تَشْتَدُّ فيهِ الحَسَراتِ على سَاعاتِ التَّفْريطِ، والتَّقْصِيرِ .. والتَّكاثُرُ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينَتِها لا يكونُ إلا وكانَ معه أمرَان: أولهما الانتِقَاصُ مِن الطَّاعَاتِ والعَمَلِ للآخِرَةِ .. ثانِيهمَا، الانتِقَاصُ مِن حُريَّةِ المُكْثِرِ، على قَدْرِ مَا جمَعَ وأكثَرَ مِن متَاعِ الدُّنيا وزِينتِها، وفي الحديث:" فإنَّ مَا قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كَثُرَ وألْهَى ".

1609-[أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]التكاثر:1. عَنِ الانْطِلاقِ إلى اللهِ .. وكُلَّمَا كَثُرَت العَوَالِقُ، ثَاقَلَت الهِمَمُ في الانطِلَاقِ إلى اللهِ!

* * * * *

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

1610-[ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]التكاثر:8. عن النَّبيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِن عِندِ رَبِّهِ ...؟!

1611-[ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]التكاثر:8. هَلْ شُكِرَ، أَمْ كُفِرَ .. فأمَّا مَن شَكَرَ النَّعِيمَ؛ فأحْسَنَ الشُّكرَ، فلا خَوفَ ولَا مَأخَذَ عليه .. وإنما المأخَذُ، كُلّ المأخَذِ على مَن كَفَرَ النَّعيمَ، ولمْ يَشْكُرْهُ!

* * * * *

سورة العصر

وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

1612-[وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ] ؛ الكِتَابُ والسُّنَّة، [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]العصر:3. على الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

1613-[وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]العصر:1-3.

1614-[وَالْعَصْرِ]؛ يُقْسِم الربُّ سبحانه بالدَّهرِ، تكريماً وتشريفاً للزَّمانِ، لأنه مستودَعُ الأعمالِ، والأخبارِ، والعِبَرِ، إليه يُردُّ الربحُ والخسَارَةُ، فالخاسِرُ مَن خسرَ زمانَه، ووقتَه، وباعَه للشيطانِ بثمنٍ بخْسٍ، وأفرغَه من الأعمالِ الصَّالحةِ، ومِن الغاية العظيمةِ التي خُلِقَ لأجلِها .. وأملأه بالسيئاتِ، والأعمالِ الطَّالحةِ .. بينما الرابحُ هو الذي يملأُ زمانَه ووقتَه بالأعمالِ الصَّالحةِ، التي تنفعُه والآخرين في الدِّينِ، والدنيا، والآخِرَة .. ويحققُ الغايةَ من وجُودِه، وهي تحقيقُ العبادَةِ والتَّوحيد.

1615-[وَالْعَصْرِ]؛ الوقتُ كالكُوب يتَّسعُ لأعمالِ زمانِك المقدَّر وحَسْب؛ وأنت وما تُملئهُ؛ فإمَّا أن تملئَه بالخيرِ والحسنَاتِ، وبما ينفعُكَ في دينِك ودُنياكَ، وإما أن تملئَهُ بالشرِّ والسيئاتِ، وبما يضرُّكَ في دينِك ودُنياك .. فانظرْ إلى كوبِك بما تملئُه، وبما تُلقِي فيه .. وما تدَّخره لآخِرَتِك!

1616-[وَالْعَصْرِ]؛ أنتَ كما تتألَّفُ في جسدَكَ مِن جملةٍ من الأعضاءِ .. فإنَّك تتألفُ من جملةٍ من السنين والأيامِ، والساعَات .. وأنت تُساوِي زمانَك المكتوب والمقَدَّر .. طالَ أم قَصُر .. لن تتعدَّاه دقيقةً واحدة .. وفي الحديثِ، أنَّ رجلًا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: مَن طَالَ عمرُهُ ، وحَسُنَ عملُهُ ، قالَ: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ، وسَاءَ عَمَلُهُ ". فالوقتُ ماضٍ ـ بكَ ومِن دُونِك ـ لا ينتظر أحَداً،

ولَا يَستأذِنُه .. فاحرصْ على أن لا تهدُر وقتَكَ إلَّا فيما ينفعُك في دينِك ودُنياك .. إلَّا فِيما يَسرك يومَ تبيضُّ وجُوهٌ وتسودُّ وجُوه .. ولو طُلِب مِنك أن تبيعَ عضواً من أعضاءِ جسَدِك لغاليتَ في السِّعر، ولربما لو مَلأوا لك الأرضَ ذَهباً لما وافقتَ .. بينمَا لو طُلِب مِنك أن تبيعَ سَنَةً من عمرِك مُقابل دراهِمَ مَعدُودَاتٍ لسارَعْتَ في البيعِ والموافقَةِ .. علماً أن هَذا بضْعُ مِنك، وهذا بِضعٌ مِنك .. وكان من السَّلفِ مَن يقول:" تَعلمتُ معنَى سُورةِ العصْرِ مِن بائعِ الثَّلجِ؛ كان يَصيحُ ويقُول: ارحمُوا مَن يَذُوبُ رأسُ مَالِه، ارحمُوا مَن يَذُوبُ رَأسُ مَالِه "!

1617- [وَالْعَصْرِ]؛ أنتَ ـ بجسَدِك، ووقتِك، وبكلِّ مَا تملك ـ عبدٌ مملُوكٌ مخلُوقٌ للهِ .. لَسْت حُراً في أن تتصرَّفَ بوقتِكَ، ونفْسِك كيفَمَا تشاءُ بعيداً عن هَدي اللهِ تعالى .. وعن أمْرِه، ونهيِه .. فكَما ليسَ لك الحقُّ في أن تتصرَّفَ بجسَدِك، ومالِك إلَا وفقَ مشيئةِ اللهِ تعالى .. كذلك ليسَ لك الحقُّ في أن تتصرَّفَ بوقتِك إلَّا وفقَ مشيئةِ اللهِ، وحيثُ أمرَكَ اللهُ .. كما قال تعالى:[قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162. لَا يكفِي أن تكونَ صَلاتُك، ونُسكُك للهِ ربِّ العالمين، إذْ لا بدَّ مع ذلك أن تكونَ حياتُك كلها ـ لا تخرجُ مِنها دَقيقةٌ واحِدَة ـ إلى لحظَةِ موتِك [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. وفي الحديثِ:" لَا تزولُ قدَما عَبدٍ حتى يُسألَ عن عمُرِه فيما أفناهُ ..". هل أفناهُ في طاعَةِ اللهِ، أم أفناهُ في معصيةِ الله؟! والمرءُ إذ يُسْألُ عن شيءٍ فإنَّه يُسألُ عن شيءٍ مُستأمن عليه لا يملِكُه على الحقيقَةِ، وليسَ له حقُّ التَّصرّفِ به كيفَمَا يَشَاء .. ومِن العبارَات الشِّرْكيَّة الدَّارِجةِ على ألسنةِ كثيرٍ مِن الناسِ، قولُ أحَدِهم: سَاعةٌ للهِ، وسَاعةٌ لغيرِه .. فهذا تعبيرٌ شركيٌّ خاطِئ؛ فالسَّاعاتُ كلها لله، بما في ذلك السَّاعَات التي تُصرَف لحقُوقِ النفسِ، وحقُوقِ الأهلِ، والناسِ .. فما دَامت تُصرَف وفقَ طاعَةِ الله، وطاعَةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم، فهي كلُّها لله.

1618- [وَالْعَصْرِ]؛ الدَّهرُ هو المساحةُ الزمانيَّة التي منَحَك اللهُ إيَّاها .. والتي تُجري فيها اختبارَك في هذهِ الحيَاة .. وهي مساحَةُ تَشريفٍ وتكريمٍ لا عيبَ فِيها ولا نُقْصَان .. وإنما العيبُ يضافُ إلى العامِلِ فيها، وإلى الأعمالِ الخاطئةِ التي تجري فِيها .. كما قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً]الفرقان:62. لا عيبَ في الليلِ والنهارِ .. وإنما العيبُ فِيمَن لا يريدُ أن يستثمرَ الليلَ والنهارَ في الذِّكْرِ، والشُّكْرِ .. وقد جاءَ النهيُ عن سبِّ الدَّهرِ؛ فإن كنتَ ساخِطاً يا ابنَ آدَم، فاسخَطْ عملَكَ القَبيح .. ولا تسخَطْ الدهرَ .. فلا عيبَ يَنالُ الدهْرَ إلى من جهةِ أعمالِنا الخاطِئة، وأنَّه مستودَعٌ لها .. كما في الحديث:" لا يَسُبُّ أحَدُكُمُ الدَّهْرَ؛ فإنَّ اللَّهَ هو الدَّهْرُ "مسلم. وفي الحديث القدسي:" قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: يُؤذِيني ابنُ آدَمَ؛ يَقولُ: يا خَيْبةَ الدَّهْرِ! فلا يَقُولَنَّ أحَدُكم: يا خَيْبةَ الدَّهْرِ؛ فإنِّي أنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ ونَهارَهُ، فإذا شِئتُ قَبَضْتُهما "مسلم. أي أنَّ اللهَ تعالى هو الذي خلقَ الدهْرَ؛ وقدَّرَ فيه المقادِيرَ .. يقلِّبُ ليلَه ونَهارَه .. فالدهرُ سببٌ مَن سَبَّهُ سَبَّ المسبِّبَ والخالِقَ له .. وهذا لا ينبغي ولا يُجوز!

وقد صدَقَ الشاعرُ:

نَعيبُ زَمانَنا والعَيبُ فِينا ... وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوَانا

ونَهجُو ذَا الزمانِ بِغَيرِ ذَنبٍ ... وَلَو نَطَقَ الزمَانُ لَنا هَجانَا

1619- [إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ]؛ أل الجِنْسية في كلمةِ " الإنسان "؛ تُفيدُ العُمُومَ، والشمُولَ، والاستغرَاقَ؛ أي جميعُ الناسِ، على اختلافِ ألوانِهم، وألسنتِهم، وقوميَّاتِهم، وطبقاتِهم، ووظائفِهم، مِن قَبل، واليوم، وغَداً، وعلى مدَار الأزمنَةِ والعصُور هم في نُقصَانٍ، وهلَاكٍ، وضيَاع مُستمر، استمرارهم في الإعراضِ عن الحقِّ المنزَّلِ .. هم في خُسرٍ ونُقصَانٍ، وضياعٍ في أمورِ دينِهم، ودُنياهم، وآخرتهم .. ومَا مِن يومٍ يأتُون عليه إلا وهم في نُقصَانٍ عمَّا كانُوا عليه مِن قَبل .. واللهُ تعالى قد أقسَمَ بالعَصْرِ على هذا ..

وهذَا يَستدعي من الناسِ كل النَّاسِ أن يُعلنوا النَّفيرَ، وأن يقفُوا مع أنفُسِهم موقفَ جِدٍّ وتَساؤل، ومحاسَبَة .. وأن يدقُّوا ناقُوس الخَطَر .. يبحثُون عن المخرَجِ والسبيلِ مما هم فيه من خُسرَانٍ، وضَياعٍ، وانحدَارٍ نحو الهاويةِ لا يتوقَّف .. قبل فوَاتِ الأوَان، وقبلَ حلُول أوانِ النَّدَم، ولاتَ حِين مَنْدَم!

1620- [إِلَّا]؛ أدَاةُ استثناءٍ جاءَت بعدَ عمُومٍ؛ تُفيدُ التَّخصيصَ، والحَصْرَ، والقَصْرَ .. أي أن الناسَ كلهم في خُسْرٍ، ونُقْصَانٍ، وضَيَاعٍ " إِلَّا " .. مَا أجملها وما أبلغها مِن أدَاةٍ في هذا الموضع .. فهي بمثَابة مَنفَذٍ للنَّجَاةِ مِن ظُلمة ووحْشَةِ الطريقِ والحيَاةِ .. بمثابَةِ الأمَلِ والمنجَاةِ من الهلَكَةِ لمن أحسَنَ التَّعلُّقَ، والاستضاءَةَ بها .. هي بمثابَةِ حبلٍ مَتِينٍ يتدَلَّى مِن على سَفينَةٍ تتلاطَمُها الأمواجُ الهائجة .. لَا مَنْجَاةَ لأحَدٍ إلا مِن تَعلَّقَ بذلك الحبلِ المتِين .. الكُلُّ ـ لا محالَةَ ـ يَسيرُون نحوَ الهاويَةِ، والهلاكِ، والخُسران .. ولَا مَنَاص لهم مِن هذا المآلِ الرَّهيبِ والمخِيف .. " إِلَّا " .. هذه هي أداةُ الاستثنَاءِ، فما هو المستَثنَى مِن ذلك العُمُوم؟!

1621- [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ هؤلاء هُم المستَثنُون من الخُسرانِ، والهلاكِ .. الذين جمعُوا في أنفسِهم بين الإيمانِ، والعمَلِ الصَّالح، جمعوا بين الاعتقَادِ بالإيمانِ، والعمَلِ بالإسلامِ .. الإيمانُ باللَّهِ، ومَلائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، والْيَومِ الآخِرِ، وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ .. وبكلِّ ما هو غيبٌ مِمَّا أخبرَ به اللهُ تعالى في كتابِه الكريم، أو أخبرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم في سنَّتِه المطهَّرَةِ .. والعمَلَ بالصَّالحاتِ الظاهِرَةِ مِنها والباطِنَةِ .. الأعمالُ القلبيَّةُ، والظاهرُ منها على الجوَارِح .. وبخاصَّة منها فرائضُ وأركان الإسلامِ: إقامَةُ الصلاةِ، وإيتَاءُ الزَّكاةِ، وصومُ رمضَان، وحجُّ البيتِ لمَن استطاعَ إليه سبيلاً .. كما جاءَ ذلك في حديثِ جبريل عليه السلام وسؤالِه للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلامِ، والإيمانِ، فقال:" يا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ:

الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، قالَ: صَدَقْتَ ..."متفق عليه. لا يكفي إيمانٌ من غيرِ عملٍ صَالِحٍ، وانقيادٍ ظاهِرٍ .. كما لَا يكفي عملٌ صالحٌ من غيرِ إيمانٍ .. إذْ لا بُدَّ - ليستقيمَ البناءُ، ويقوَى على مواجهةِ التحديَّات، وينالُ القبولَ في السَّماءِ - من أن يجتمعَا معًا، وينطلقَا من مِشكاةٍ جسَد واحِدٍ؛ إيمانٌ وعَمَلٌ، وعملٌ وإيمانٌ، من دُونِ أن يُفرّقَ بينهما .. أما أولئك الذين فرَّقُوا بين الإيمانِ والعملِ بالصَّالحاتِ .. وجعلُوا العملَ مُغَايراً للإيمانِ .. وقالوا: يكفي لنجاةِ المرءِ أن يؤمِنَ، ويُصدقَ بقلبِه، وإن لم يأتِ بشيءٍ من الأعمالِ الصالحةِ .. ومهمَا كانت جوارِحُه الظاهرة شارِدَةً عن الطاعَةِ، والانقيادِ، ومُعلنَةً الحربَ على اللهِ، ورسولِه، والمؤمنين .. فهؤلاء هم المرجئةُ الضُّلَّال؛ الذين قَد ضَلُّوا، وأضَلُّوا، وخالفوا بقولِهم هذا منطُوقَ نُصوص الكتابِ والسنَّةِ، ومفْهُومَها .. وناقَضُوا مبدَأ التلازم والترَابُط، والعلاقة المتبادَلةِ بين الباطِنِ والظاهِرِ .. بينَ القَلبِ، والجوارِحِ .. وقتلُوا في الأمَّةِ روحَ العملِ والجهَادِ!

1622-[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ لا يُسَمَّى العملُ عملاً صالحاً إلا إذَا توفَّرَ فيه شَرطان: أن يكونَ العملُ مَشرُوعاً، ومَسنوناً؛ موافقاً للكتابِ والسُّنَّة .. فيخرجُ من العملِ الصالحِ كلُّ بدعةٍ في الدِّين، كما قال صلى الله عليه وسلم:" مَن أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ "مسلم. وفي رواية:" مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ "مسلم. وأن يكونَ خالِصاً لوجهِ اللهِ تعالى، لا تشوبُه شائبةُ شِرْكٍ ولا رِياءٍ، كما قال تعالى:[فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً]؛ موافقاً للكتابِ والسنَّةِ، [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. شرطُ الإخْلاصِ. وفي الحديثِ القُدسي:" قالَ

اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ "مسلم.

1623-[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ فإن قِيل: الإيمانُ اعتقادٌ، وقَولٌ، وعملٌ .. كما هو قولُ السلفِ الصَّالح .. وإن كان العملُ إيماناً، ومِن الإيمانِ .. فعلامَ فرَّقَ النصُّ بينهما فقال تعالى:[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]، فجعلَ الإيمانَ غير العمَلِ الصَّالح .. ؟!أقول: التفريقُ هنا ليسَ للتغايُرِ .. وإنما للتَّخصيصِ، ومِن قبيلِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لبيانِ أهميةِ العمَلِ بالنسبةِ لقضيةِ الإيمانِ، فخصَّ العملَ بالذِّكرِ، لبيانِ أهميتِه في الإيمانِ، ولبيَانِ أن الإيمانَ لا يُقبل مِن غيرِ عملٍ، كما في قوله تعالى:[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ]البينة:5. فقوله تعالى:[لِيَعْبُدُوا اللَّهَ]؛ يدخلُ في معناه إقامَةُ الصلاةِ وإيتاءُ الزَّكاة .. ومعَ ذلك خُصَّت إقامَةُ الصلاةِ بالذِّكرِ، وكذلك إيتاءُ الزَّكاةِ، مِن قَبيل عطفِ الخاصِّ على العامِّ .. لبيانِ أهميتهما، وفضلهمَا مِن مجموعِ ما يدخلُ في معنَى العبادَةِ .. فإقامةُ الصلاةِ ليسَت شيئاً آخَر مُغايراً لمعنَى العبادَة .. بل هي العِبادَةُ، ومِن العبادَةِ العامَّةِ والشامِلةِ لجميعِ ما يحبهُ اللهُ تعالى من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرَةِ والباطِنَةِ .. ومَا يُقال في الصَّلاةِ بالنسبةِ للعبادَةِ، يُقال في العملِ الصَّالح بالنسبة للإيمانِ، ونحوه قوله تعالى:[حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى]البقرة:238. فالصلوَاتُ تدخلُ فيها يَقيناً الصلاةُ الوسطَى؛ والتي هي صَلاةُ العَصْرِ .. وإنما خُصَّت الصلاةُ الوسْطَى بالذِّكرِ لبيانِ أهميتها، وفضلِها، مِن قَبيلِ عَطفِ الخاصِّ على العَامّ .. وليسَ من قَبيلِ المغَايرَة، وأنها شيءٌ آخَر غير " الصَّلَوَاتِ "!

1624-[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]؛ هذا لأنفُسِهم .. وهو هامٌّ جداً في عمليةِ البِناءِ، والتربيَةِ، والتَّزكيَةِ .. للقيامِ بما يجبُ لغيرِهم .. وما للآخَرين عليهم مِن حَقٍّ .. فلا يمكنُ أن يَقومُوا بواجبِ، [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، إلا بعدَ أن يستوفوا في

أنفُسِهم عمليَّةَ التربية والتَّزكية والبنَاء .. ويحقّقُوا في أنفُسِهم:[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]. وهي عمليةٌ قائمةٌ ومستمرّةٌ لا تتوقَّفُ ولا تَنقطعُ، حتى تنقَطعَ حياةُ المرءِ ذاته .. فالمرءُ إلى آخِرِ دقيقَةٍ من حياتِه ـ ومهمَا بلغَ من العُمُرِ، وأوتي مِن العِلمِ ـ يحتاجُ إلى التزكيَةِ، والتربيَةِ، وتَهذيبِ النَّفسِ من العوالِقِ، والشوائبِ، والعوائِقِ!

1625- [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ]؛ يَنصحُون أنفُسَهم والآخَرين باتباعِ الحقِّ، وملازَمَتِه، ونصرتِه، وعدمِ الالتفاتِ عنه إلى ما سواه مهمَا عظُمَت تكاليفُ الالتزامِ به .. فإن تكاليفَ التَّخَلِّي عن الحقِّ، والانصرافِ عنه إلى ما سَواه أعظَمُ كلفةً وأعظمُ ضَريبةً .. مآلاتُه تُفضِي لَا محالَةَ إلى الضياعِ، وخُسرانِ الدنُيا والآخِرَة .. وأعظَمُ الحقِّ، وأعلاهُ، وميزانُه، الذي يَتواصون به، ويحرصُون عليه، ويحضُّون على التزامِه، والتمسكِ به، كتابُ اللهِ، وسُنَّة رسولِه صلى الله عليه وسلم، وفهمهما على ضَوءِ فَهمِ السَّلفِ الصَّالحِ في القُرونِ الثلاثةِ الأولى المشهُود لها بالخيريَّةِ والفَضْل .. كما في الحديث:" إنِّي قد خلَّفْتُ فيكم شيئَيْنِ لن تَضِلُّوا بعدَهما أبداً ما أخَذْتُم بهما، أو عمِلْتُم بهما: كتابَ اللهِ، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقَا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوضَ "؛ أي هما باقيَان في الأمَّةِ، باقية حجتهما على الناسِ إلى أن يرِدَا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحوضِ يومَ القِيامَةِ. وفي حديثٍ آخر:" فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكمْ بَعدِي فسَيَرَى اخْتلافًا كثيرًا، فعليكُمْ بِسُنَّتِي وسنَّةِ الخلُفاءِ المهديِّينَ الرَّاشِدينَ، تَمسَّكُوا بِها، وعَضُّوا عليْها بالنَّواجِذِ ". وسُئِلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ:" قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أحَدِهِمْ يَمِينَهُ، ويَمِينُهُ شَهَادَتَهُ "متفق عليه. أي تَضعفُ ذممهم، ويَفشُوا فيهم الكذبُ، وشهادَةُ الزُّور .. فهذه وصيةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ـ أنعم وأكرِمْ بها مِن وصيَّةٍ ـ لكلِّ مَن جاءَ ويجيءُ بعدَه، وإلى يومِ القِيامَةِ .. فهنيئاً لمن تمسَّك بها، وأوْصَى بها غيرَه، وعضَّ عليها بالنَّواجِذ.

1626- [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]؛ على الحقِّ، وعلى نصرتِه، وتحملِ تبعَاتِه .. وعلى مَا قَد يُصيبُهم بسببِ اتباعِهم للحقِّ، وتمسكِهم به، ونُصرَتِهم له .. فلا تقومُ للحقِّ قائمة مِن غيرِ جِهَادٍ .. ومِن غيرِ صَبرٍ على الجهادِ .. فمن تابعَ الحقَّ، وجاهدَ في سبيلِه فإنه مُبتلَى لا محالَة، ولَا بُدَّ له من الصبرِ على ما يُصيبُه .. ويُقَال أيضَاً هو تواص بالصبرِ على الأمرِ والتَّكاليفِ .. وصبر على النَّهي، وحبْسِ النَّفْسِ عن المحظُوراتِ .. وصَبر على البَلاءِ الذي يُصيبُ المؤمنَ في نفْسِه، ومالِه، وأهلِه .. وهذه أمورٌ لا يَقوَى المرءُ على مواجهتِها، والقيامِ بمتطلباتِها إلا بالصَّبرِ، والتواصِي المستمرِّ بالصَّبرِ .. واحتسَابِ الأجْرِ على الصَّبْرِ.

1627- [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، تكرار كلمة " وَتَوَاصَوْا " أكثر مِن مرةٍ في آيةٍ واحدةٍ؛ يأتي لبيانِ أهمية التواصِي والنَّصيحَةِ في حياةِ وعقيدةِ ودينِ المسلمين، وفي علاقتِهم بعضهم ببعضٍ .. فالمسلمُ إمَّا أنه نَاصحٌ وإما أنَّه منصوحٌ .. ولَا يجوزُ أن يخرجَ عن هذَين الوصفَين .. كما في الحديث الصحيح:" الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ، ولِكِتَابِهِ، ولِرَسولِهِ، ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وعامَّتِهِمْ "مسلم. وقوله " الدِّينُ النَّصِيحَةُ "؛ فاللامُ في كلمةِ " الدِّين "؛ تُفيدُ العمُومَ، والشمولَ، والاستغراقَ؛ أي الدِّينُ كله النصيحَة .. فلا دِينَ مِن غيرِ نصيحةٍ، وتَناصُحٍ .. والنصيحةُ لله؛ تكونُ بعبادَتِه وتَوحيدِه، وتحبيبِ الخلْق به سُبحانَه .. والنصيحةُ لكتَابِه؛ تكونُ بتلاوتِه وتدبرِه، وبيانِ أحكامِه، وتَعليمِه، وبذلِه لطلَّابِه، والعمَلِ بما فِيه، والتحاكُمِ إليه .. والنصيحةُ لرسولِه صلى الله عليه وسلم تكونُ بتوقيرِه، وتَعظيمِه، وطاعَتِه، ومُتابَعةِ سُنَّتِه، وبالتحَاكُمِ إليه وإلى سُنَّتِه .. والنصحيةُ لأئمةِ المسلمين وولاتِهم تكونُ بتوقِيرهم، وطاعَتِهم في المعروفِ، وفِيما ليس فيه مَعصية، ونصرتِهم في الحقِّ، والدعاءِ لهم، وأمرِهم بالمعروفِ، ونهيِهم عن المنكرِ .. وتعريفهم بما ينفعُهم، وما يضرُّهم .. والنَّصيحةُ لعامَّةِ المسلمين تكونُ بإرادَةِ الخيرِ لهم في أمورِ دينِهم ودُنياهم .. وبالحرصِ على بذلِه وإيصالِه لهم، ودَفْعِ الشرِّ عنهم، وكل ما قد يتَسبَّب لهم بالأذَى

والضَّرَر .. قدْرَ المستطَاع .. وفي حديثٍ آخَر عن جرير بن عبد الله، قال:" بَايَعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: والنُّصْح لِكُلِّ مُسْلِمٍ "البخاري.

1628-[وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، رغم أهمية ومكانَةِ النصيحَةِ في دينِ اللهِ .. إلا أنه ينبغي أن تُحاطَ بجملةٍ من الشروطِ والآدابِ، مِنها: أن لا تؤدّي النصيحةُ إلى تفويتِ ما هو أكثر مِنها نفعاً، أو تحقيق ضَرَرٍ أكبر مِن الضررِ الذي يَنبغي أن يُزَال بالنصيحَةِ .. فالمنكرُ يُنكر ويُزالُ، لكن لا يُنكرُ ولا يُزالُ بمنكرٍ أكبر مِنه. ومِنها: أن تُحاطَ النصيحةُ بالرفقِ مَا أمكنَ لذلك سَبيلاً .. كما في الحديث، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كُلِّه "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويُعطِي على الرفقِ ما لا يُعطي على العنفِ، ومَا لا يُعطي على ما سواهُ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شانَه "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن يُحرَمِ الرِّفقَ يُحْرَمِ الخيرَ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" ادعوا النَّاس، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّرُوا "مسلم. لا يَنبغي للمسلمِ أن يُراهنَ، ويتترَّسَ بالنصيحةِ، وأنه على حقٍّ، وأن على المنصوح أن يُصغِي إليه، ويطيعَه ويتابعه فيما يَنصحه .. بعيداً عن معَاني الرفق والحكمة في الكلمةِ، وتوجيهِ الخِطابِ، قال تعالى:[وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ]آل عمران:159. ومنها: إن كان الخطأ خاصّاً، لا يُجاهَر به، يُستحسَن أن تكونَ النصيحةُ سِرّاً بين الناصح والمنصوح .. وإلا أصبحت النصيحةُ فضيحةً وليسَت نَصيحةً، وهي حينئذٍ أقربُ للردِّ والرفضِ مِنها للقبولِ .. عن أم الدرداء رضي الله عنها، قالت:" من وعَظَ أخاهُ سِرّاً فقد زَانَه، ومَن وعظَهُ علانيَّةً فقَد شَانَه ". وقال سليمان الخواص:" مَن وعَظَ أخاه فِيما بينه وبينه فهي نصِيحةٌ، ومَن وعظَهُ على رؤوسِ الناسِ فإنَّها فَضِيحةٌ ". وهذا معنى قد أُثِرَ عن كثيرٍ من السلفِ الصَّالح.

1629- [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]؛ عودة على ذِي بدءٍ، وتذكير بخلاصَةِ ما تقدَّم ذِكْرُه .. فإن المستثنين من مجموعِ الخاسِرين الهالِكين .. لا بدَّ مِن أن تتوفرَ فيهم صِفاتٌ أربع:[الَّذِينَ آمَنُوا]، [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]، [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ]، [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]، لَا تُغني ولا تُجزئُ صفةٌ عن صفَةٍ .. فالإنسانُ بهذِهِ الصفاتِ الأربعة مجتمعةً هو المستثنَى من مجموعِ الخاسِرين الهالِكين، ومِن صِفةِ الخُسرانِ .. وبالانتهاءِ من هذه الكلمات والوقفاتِ ينتهي ـ بفضلِ الله تعالى ـ الحديثُ عن سورةِ العصْرِ .. هذه السورة العظيمة التي قال عنها الشافعي رحمه الله:" لو مَا أنزلَ اللهُ حجةً على خلقِه إلَّا هذه السورة لكفتْهُم .. ولو تدبَّر الناسُ هذه السورة لوَسِعَتهم ".

* * * * *

سورة قُريش

الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ

1630- [الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ]قريش:4. نِعَمُ اللهِ على عِبادِه كثيرةٌ، هي أكثرُ مِن أن تُحصَى .. نخصَّ منها بالذِّكرِ نِعمةَ الإطعَامِ بعدَ جُوعٍ، فَلا يَعرِفُ نعمةَ الطعامِ والإطعامِ من جُوعٍ إلَّا مَن ذاقَ مَرارَةَ طَعْمِ الجوعِ ـ بخلافِ المتْخَمين المترَفين الذين يُدخِلُون الطعامَ على الطعامِ! ـ ونعمةَ الأمْنِ مِن خَوفٍ؛ لعظيمِ فضْلِهما، وأثَرِهما على حياةِ واستقرارِ وتفكيرِ الإنسانِ .. وقدَّمَ الإطعَامَ مِن جُوعٍ على الأمْنِ مِن خَوفٍ؛ لأنَّ المرءَ لا يتمتَّعُ بنعمةِ الأمْنِ مع وجودِ الفَقْرِ والجوعِ .. فالجوعُ منغِّصٌ، ومُكدِّرٌ لكثيرٍ مِن النِّعَم .. والإنسانُ تَراهُ قد يُجازِفُ بأمْنِه، ويُسافِرُ، ويَركبُ المخاطِرَ والأمواجَ مُقابل دَفْعِ الجوعِ، وفتنةِ الفَقْرِ .. وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَستعيذُ باللهِ من الجوعِ، فيقول:" اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الجُوعِ؛ فإنَّه بِئسَ الضَّجِيعُ ". ويقول:" وأعوذُ بِكَ مِن فِتنَةِ الفَقْرِ "متفق عليه. لأنّ مِن مآلاتِ الفَقْرِ المدْقع، الجوع .. وهو مَا

يَصعُبُ على الإنسانِ تحمُّلُه .. وحريٌّ بمن أنعمَ اللهُ عليه بالإطعَامِ بعدَ جُوعٍ، والأمْنِ مِن خَوفٍ محيط بهم؛ أيّاً كان مَصدرُ هذا الخوف .. أن يُفرِدَ اللهَ المنْعِم والمتفضِّل عليه بالعبادَةِ، والشُّكْرِ.

* * * * *

سورة الماعون

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ

1631- [فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ]الماعون:4. هذا الوَعِيدُ الشَّديدُ لم يَنزِل في تَارِكِي الصَّلاةِ ـ فتارِكُو الصَّلاةِ شَأنُهم أعْظَمُ، ووعِيدُهم أغْلَظُ ـ وإنَّما نَزلَ في الذين يَنشغِلُونَ بمشَاغِلِ الدُّنيا ومتَاعِها ولَهوِهَا عن الصَّلاةِ؛ فيُصلُّونَها في غَيرِ وَقْتِهَا المُحَدَّد!

* * * * *

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ

1632- [الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ]الماعون:6. الذين يُريدُون من أعمالِهم الظُّهورَ، والسُّمعَةَ، والشّهرَةَ، والثناءَ، وصَرْفَ وجُوهِ النَّاسِ إليهم .. والرِّياءُ شِركٌ خَفِي؛ وهو شِركٌ أصْغَرُ، يُفسدُ ويُبطلُ العملَ الذي حصَلَ فيه الرياءُ، وهو أشَدُّ ذَنباً وأثَراً مِن كَثيرٍ من المعَاصِي الظَّاهِرةِ التي هي دونَ الكُفْرِ .. ولا يجوزُ أن يُقالَ لعامِلٍ أنَّهُ مُراءٍ في عمَلِه؛ لأنَّ الرِّياءَ أمرٌ باطنيٌّ اعتقادِيٌّ، غَيبيٌّ، لا يَعلمُه إلَّا الله .. ما لم يأتِ بقرَائنَ لفْظيَّةٍ وعمليَّةٍ تدلُّ على الرِّياءِ .. كذلك الإخلاصُ؛ الله تعالى أعلمُ بالمخلص مِن عبادِه .. كما في الحديث:" اللَّهُ أَعْلَمُ بمَن يُكْلَمُ في سَبيلِهِ "البخاري.

وكان عبدُ اللهِ بنُ المبارك، يقول:" مَن دَخَلَ النَّارَ بالمعاصِي الظَّاهِرَةِ أخَفُّ ممَّن دَخَلَها بالرِّياءِ والسُّمْعَةِ ".

* * * * *

وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ

1633- [وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ]الماعون:7. مِنَ الذين يَمنَعُونَ الماعُون، الذين يَأخُذُون الماعُونَ ثُمَّ لا يَردُّونَه، فيكونُون بذلِك سَبَباً في مَنْعِ الماعُون!

* * * * *

سورة الكوثر

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

1634- [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ]الكوثر:3. فكلُّ من أبغَضَ سنّةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أو استخَفَّ بها، وبمرجعيتِها، وحاكميَّتِها، له حَظٌّ من هذا البَترِ، والانقطاع في الأثَرِ، والذِّكر الحسَن في الدُّنيا والآخِرة، على قَدْرِ بُغضه واستخفافِه.

1635- مفهوم المخالفة يقضي كذلك، أنّ كل من أحبّ سنَّةَ النبي صلى الله عليه وسلم، وعظّمَها، وانقادَ لها، ولحكمِها، له حظٌّ من القبولِ، والثناءِ الحسَن في الأرضِ وفي السّماء، على قدْرِ حُبّهِ، وتعظيمِه، وانقياده .. ولقد تأملتُ حالَ كثيرين مِن المشهورِين، والمنتسبين للعلم وأهله، فما اقتربَ أحدُهم بسوءٍ من النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومن سنّته، إلا ووضع له البغض والنفور في نفوسِ الناس .. وعلى قَدْرِ إساءته!

* * * * *

سُورَةُ الكافِرُون

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

1636- [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ]الكافرون:6. تُقَالُ للكافِرِين الأصْلِيِّين، الذين يَدخلُون في ذِمَّةِ المسلِمين، أو في صُلحِهِم، وأمَانِهم .. ولَا تُقَالُ للمرتدِّين، أو للعُصَاةِ مِن المسْلِمين.

* * * * *

سُورَةُ المَسَدِ

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

1637- [وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ]المسد:4. هذه أُمُّ لَهَبٍ؛ امرَأَةُ أبي لَهَب، كانت تَضعُ الحطَبَ والأشواكَ في طَريقِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وطريقِ دَعوتِه .. وهي مثَلٌ وقدوةٌ لطابُورٍ كبيرٍ مِن النِّساءِ " أمَّهات لَهَب " عبر جميع الأزمنَةِ والعُصُور؛ اللَّاتي ناصَبْنَ الإسلامَ العَدَاءَ، وجاهَرْنَ بعَدائِهن للهِ، ولرسُولِه، وللمؤمنين، فتَجِد إحدَاهُنَّ - وبكلِّ فجُورٍ - تخلعُ حجابَها في الميَادِين والسَّاحَاتِ؛ لتجرِّئ النِّساءَ على أن يفعَلْنَ فعلَتَها .. وأُخْرَى تخلعُ - بعنفٍ وفجُور - الحجابَ عن رؤوسِ النساءِ المسلماتِ المحجَّبات، وتَسخرُ مِنهنَّ .. وأُخرَى تتجرَّأُ على حَرقِ القُرآنِ الكريمِ، على مرأَى ومَسْمَعٍ مِن الناسِ .. وأُخرَى تُعلنُ التمردَ على قِيمِ الأسرَةِ، والزَّواجِ .. فهؤلاء كلُّهن من جمَاعَةِ، وحِزْبِ " أمِّ لَهَب "، نسألُ اللهَ تعَالى أن يحشرهُنَّ مع أمِّهِنَّ؛ أمِّ لَهَب .. فأمُّ لَهَبٍ؛ ليسَت قصةً مِن التاريخ انتهَت أحداثُها في زمَانِها، بل هي قصَّةٌ متجدِّدَةٌ في كلِّ زمانٍ ومَكانٍ يوجدُ من النساءِ مَن يتخلَّقْنَ بأخلاقِ أمِّ لَهَب .. ويَفعَلْنَ فعلَ أمِّ لَهَبٍ!

* * * * *

سُورَةُ الإخْلاص

1638- [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] الإخلاص:1-4. [قُلْ]؛ باللسان، والقلب، قولاً جازماً، معتقداً به .. للناسِ أجمعين .. ولكلِّ مَن يَسأل عن اللهِ عزَّ وجل، ويَسأل عن صِفاتِه، ونَسَبِه مِن غَيرِ المسلمين:[هُوَ اللَّهُ]؛ المألُوه المعبُودُ بحقٍّ، [أَحَدٌ]؛ أحَدٌ في ذاتِه، وأحَدٌ في أفعَالِه، وأحَدٌ في أسمائِه

الحسنى، وصفاتِه العُليا، المنفردُ بالألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، وبصِفَاتِ الكمالِ والجمالِ والجلال، دُونَ سَائرِ خَلْقِه، لا شَريكَ له، ولَا مَثيلَ ولا نَظيرَ له في شيءٍ مِن خصائصِه وصِفاتِه سُبحَانه، [اللَّهُ]؛ تأكيدٌ لتفرُّدِه بالألوهيَّةِ والربوبيَّةِ، [الصَّمَدُ]؛ السيّدُ الذي كَمُلَ سُؤدُدُه على خَلْقِه، الذي تتوجَّه إليه جميعُ مخلوقاتِه بحاجياتِها إليه، فجميعُ المخلوقاتِ السماويَّة مِنها والأرضيَّةِ، فقيرةٌ إليه، لَا قِيامَ، ولا حركةَ، ولا وجُودَ، ولا حَولَ، ولا قوَّةَ لها إلا بِه، وهو الغنيُّ عنها، ومِن كمال غِناه وقيُّوميّته سبحانه وتعالى أنَّه [لَمْ يَلِدْ]؛ لم يأتِ منه ولَدٌ؛ فيكونُ هذا الولد بعد أن لم يكُنْ، [وَلَمْ يُولَدْ]؛ ولم يأتِ من والدٍ سَابقٍ؛ فكان بعدَ أن لم يكُن، فالوالدُ والولَدُ مُحْدَثَان، لهما ابتداءٌ، ومن كان لهما ابتداءٌ لهما انتهاءٌ، يموتان، ويرثُ أحدُهما الآخَر، وهذا محالٌ بحقِّ اللهِ تعالى، فاللهُ تعالى حيٌّ قيوم لا يموتُ، ولا يُورَثُ .. له الكمالُ في جميعِ صِفاتِه .. ولو جازَ القول بأن للهِ والد، لوردَ السؤالُ عن والِدِ الوالِدِ، وعن والدِ والدِ الوالِد، وإلى مَا لَا نِهايَة، وهذا مَقطُوعٌ ممنُوعٌ، بالنَّقلِ والعقلِ سواءٌ، وكان مِن دُعاءِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ أنتَ الأوَّلُ فليسَ قَبلَك شَيءٌ، وأنت الآخِرُ فليسَ بعدَك شيء "مسلم. أي أنت البَاقي بلا انتهاء، ولا فنَاء، [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوَاً أَحَدٌ]؛ أي لم يكُنْ له في الوجُودِ كل الوجُود، نظيرٌ، ومُكافِئٌ يُكافِئه، ويُعادِلُه، ويُشابِهه، ويُماثلُه في شيءٍ مِن أسمائِه، وأفعالِه، وصِفاتِه، وخصائصِه .. ليسَ كمثْلِه شيءٌ .. سُبحانه وتعالى .. وفي هذه السورة الكريمة رَدٌّ على شُبهاتِ ومَزاعِمِ جميع الكافرين والمشرِكين ـ على اختلافِ مللِهم، وأسمائِهم، وانتماءاتِهم ـ الذين اتخذُوا مِن دُونِ اللهِ أنْدَاداً، يعبدونهم مِن دُونِ الله.

* * * * *

مِن فضائلِ سُورة الإخلاص

1639- من عظمَةِ وبركةِ وفوائدِ سورةِ الإخْلاص، على قِصرها وقِلَّة آياتِها، إلَّا أنَّها تَعدلُ مِن حيث الأجرِ والثوابِ قِراءة ثلث القُرآن الكريم، لما تَتضمَّنه من معاني التنزِيه، والتَّعظيمِ، والتَّوحيدِ، كما في صحيح مسلم:" إنَّ اللَّهَ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلاثَةَ أَجْزاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ جُزْءاً مِن أجْزاءِ القُرْآنِ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" أيَعْجِزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ في لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالوا: وكيفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالَ: قُلْ هو اللَّهُ أحَد، تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ "مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده إنَّها لتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآن "البخاري. ومن حسناتها أنَّها إذا قُرِئت مع المعوذتَين في الصباحِ ثَلاثَ مرَّات كَفَت صاحِبها مِن كل شَرٍّ، حتَّى يُمْسي، فإذَا قرأها في المساءِ ثلاثَ مرَّاتٍ كفَته حتَّى الصَّباح، كما في الحديث:" قُلْ هو اللَّهُ أحَد، والمعوذتينِ حين تُمسي، وحين تُصبحُ، ثلاثَ مرات، تكفيك من كلِّ شيءٍ ". وقال صلى الله عليه وسلم:" من قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عشرَ مراتٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجلٍ كان يُلازِم على قراءة سورة الإخلاص في كل ركعة:" ما يحملُك على لزُومِ هذه السورة في كلِّ ركعَةٍ؟ فقال: إنِّي أحِبُّها. فقال: حُبُّك إيَّاها أدخَلَكَ الجنَّةَ "البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم لرجلٍ كان يحبُّ أن يقرأَ سورَةَ الإخلاصِ، ويحبُّ أن يختمَ بها صلاتَه:" أخبرُوه أنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّه "متفق عليه. وقد سمعَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّمَ رجلًا يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّكَ أنتَ اللَّهُ الأحَدُ الصَّمَدُ، الَّذي لَمْ يَلِد ولم يُولَدْ، ولم يَكُن لَهُ كُفُوًا أحَدٌ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم: لقد سألَ اللَّهَ باسمِهِ الأعظَمِ؛ الَّذي إذا سُئِلَ بِهِ أعطى، وإذا دُعِيَ بِهِ أجابَ ". وهي الطارِدَةُ لوَساوسِ الشَّيطان، كما في الحديث:" يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: مَن خَلقَ كَذَا؟ مَن خلقَ كَذا؟ حتى يقول:

مَن خلقَ ربُّك؟ فإذا بلغَه، فقولوا: اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ثم لِيَتْفُلْ عن يَسارِه ثلاثًا، ويَستعِذْ باللهِ من الشَّيطانِ ".

* * * * *

سورة الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

1640-[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]الفلق:1. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ العالمين؛ لأنَّ مَا مِن شَيءٍ في الوجُودِ إلَّا جاءَ مِن فَلَقٍ .. فالإنسانُ كُلُّه مِن فَلَقٍ، ولولا الفَلَق لمَا عاشَ، ولمَا كان من الأحْيَاءِ؛ فالعَينُ، والأنْفُ، والفَمُ، والفَرْجُ، والسَّرْجُ كُلُّها فَلَق .. والعُرُوقُ في الجَسَدِ فَلَقٌ، ولو أُغْلِقَت لتَجَمَّدَ الدَّمُ في العُرُوقِ، ومَاتَ القَلْبُ وتَشَمَّع، وبموتِهِ يموتُ الإنْسانُ .. حَتَّى بِدايَة الكَونِ، والانفِجَار الأوَّل للكَونِ الذي أشارَ إليه القُرآن الكريم، وتحدَّث عنه العُلماء، وسموه بالانفِجَارِ العظيم " Big Bang "؛ كانَ رَتْقاً مغلقاً متَمَاسِكَاً، فَفَلَقَه اللهُ .. وخَرَجَ مِن هَذا الانْفِجَارِ والفَلَقِ المجَرَّات، والكواكِبُ، والنُّجُوم!

1641-[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]الفلق:1. الذي فلَقَ الصُّبحَ من الليل .. وفلَقَ الحيَّ من الميتِ .. وفلَقَ الأرضَ فأخرج منها النبتَ والشجَر .. وفلَق من النبت الزهرَ .. ففلَق من الزهرِ الثَّمَر .. وفلق الصَّخرَ فأخرَج منه الماء والنَّهر .. وفَلَق الغمامَ فأنزَلَ منه المطَر .. وفلق المرأةَ؛ فأخرَجَ منها الإنسان .. وفلقَ الإنسان؛ ففلَق له عينين، وأذنين، وأنفاً، وفماً، وسرجاً، وفرجاً .. ومساماتٍ في الجلد .. ولكل فلَقٍ وظيفة رئيسية في هذه الحياة، لا تكتمل إلا به .. ولو تأملنا كل شيء من حولنا لوجدناه فلَقاً، أو قد مرّ بمرحلة الفلَق، أو كان الفلقُ سبباً له .. إذ لولا الفلَق لما كان ولا كنا، ولما استمرت لنا ولا للوجودِ حياة .. ويوم النُّشور يفلُقُ اللهُ الأرضَ؛ فتشَقَّقُ فتُخرج ما في بطنها للحساب،

فسبحان رب الفلَق، الذي خلَق الفلَق .. وبالتالي فإن الذي يتعوّذ برب الفلَق، فإنه يتعوَّذ بربِّ وخالق المخلوقات كلها، من شَرِّ ما خَلَقَ من هذه المخلوقات.

* * * * *

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ

1642- [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ]الفلق:2. عَامٌّ لكلِّ شرٍّ؛ المادِّي منه والمعنَوِي .. الشَّرُ الذي يطالُ الأجسَادَ، والشرُّ الذي يطالُ العقُولَ، والاعتقادَ، والفِكرَ .. وفيه أن اللهَ تعالى خالقُ الشَّرِّ، كما هو سبحانه خالقُ الخيرِ .. لغَاياتٍ وحِكَمٍ عِدَّة، منها؛ ليكتَمِلَ اختِبارُ ابن آدم في هذهِ الحياةِ الدُّنيا؛ فيُبتلَى تارةً بالخيرِ، وتارةً بالشرِّ .. ليَظْهَرَ عِلمُ الله فيه؛ هل سيشكُر، ويَصْبرُ، أم سيكْفُر، ويتَسَخَّطُ ويَعترِض، كما قال تعالى:[وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً]الأنبياء:35.

وفيه أنَّ المسْتَعَاذ القادِر على أن يُعيذَ مَن يَستعيذُ به؛ لا بدَّ أن يكونَ خَالِقاً ومالِكاً لما يُستعاذُ منه، وقادِراً عليه .. أمَّا مَن لا يخلقُ، ولا يملكُ، ولا يَقدرُ، لا يجوزُ أن يُستعاذَ به مِن شَرِّ شيءٍ؛ لأنَّ فاقدَ الشيءِ لا يُعطيه لنَفْسِه، فَضْلاً عن أن يُعطيَه لغيرِه .. ومِنه يُعلَمُ بُطلانُ الاستعاذَةِ والاستِعانَةِ بالأمواتِ .. وبشياطِين الإنسِ، والجنِّ!

* * * * *

مُتفرِّقَاتٌ مِن وقفات وتأمُّلات

القُرآن الكريم

1643- القرآنُ الكريم؛ هو الكتابُ الوحيد الذي لو قرأتَه آلافَ المرّات، لما مَلَلْتَ من قراءتِه، ولَمَا اكتفيتَ، ولشَعَرْتَ أنَّك بحاجَةٍ إلى أن تقرأَهُ مِن جَدِيدٍ ..!

هو الكتابُ الوحيد الذي لا تَنْضَبُ خزائنُه ومعارِفُه، وفوائده؛ كلّما قرأتَه اكتشفتَ من العلومِ والفوائد ما لم تكتشِفْهُ مِن قَبل في قراآتك السَّابقة .. أفلا يدلُّ ذلك على أنّه كلامُ اللهِ، الخالق القَدير؟!

* * * * *

عَشْرَةُ مبادئ تُعين على تَدبّر القرآنِ الكريم

1644- عَشْرَةُ مبادئ تُعين على تَدبّر القرآنِ الكريم:

1- فهمُ الدَّلالاتِ اللغويّة للآياتِ والمفرداتِ القُرآنيّة.

2- التّغنّي بتلاوةِ القُرآنِ الكريم، وفق أحكام التَّجويد المعروفة، من غيرِ تكَلّفٍ.

3- كَثرةُ التّلاوةِ؛ فإنّ كثرةَ التِّلاوةِ تَستحضرُ قلبَ صاحِبِها .. وكذلك الاستماع.

4- الوقوفُ عند التِّلاوةِ على آياتِ الأسماءِ والصّفات، وما تقتضيهِ من تمجيدٍ، وتحميدٍ، وتَسبيحٍ، وتَعظيم.

5- الوقوفُ على آياتِ الوعِيد والعَذاب .. فيستعيذُ باللهِ من عذابِ جهنم، ويسأله تعالى العفوَ والعافيةَ، وأن يجيرَه منها .. فلا يمرُّ عليها من دون أن يَستشعرَ حالَ أهلِها ومصيرَهم المؤلم والمخيف، وبما وجَبَت لهم.

6- الوقوفُ على آياتِ الوَعْدِ، وما أعدَّ اللهُ تعالى للمؤمنين من نعيمٍ عظيمٍ مقيم في جنّات النّعيم .. فيَستبشِرُ خيراً، ويفرحُ أن جعله الله تعالى من عبادِه الموحدين، ويسأل اللهَ تعالى أن يجعلَه من أهلِ الجنَّة.

7- الوقوفُ على الآياتِ التي تتكلم عن أحوالِ الأمَمِ الهالِكةِ السَّابقة وقصصهم، الذين أُخِذُوا بذنوبهم، وجرأتهم على أنبيائهم .. فيستعيذ بالله تعالى من حالهم، ومآلِهم.

8- إذا مرّ القارئُ على الآياتِ التي تتكلم عن المغضوبِ عليهم، والضَّالين .. استعاذَ بالله منهم، ومن حالهم ووصفِهم .. وإذا مرّ على الآياتِ التي تتكلم عن صراطِ الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصّدِّيقين والشّهداء، والمؤمنين .. سألَ اللهَ تعالى أنْ يجعلَه منهم، وأن يحشرَهُ معهم.

9- عند التّلاوة قد يجدُ القارئُ قلبَه حاضِراً عند آيةٍ دونَ غيرها من الآيات .. فليُطِل من تأمُّلِها والوقوفِ عليها، ويُكرّرها إذا شاءَ، ما شاء.

يفعلُ ذلك سواءٌ كان في صلاةٍ، وبخاصّة إن كان يتنفّل .. أمْ في تلاوةٍ خارج الصَّلاة .. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:" صَلَّيْتُ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بهَا في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا ـ أي مُتَمَهِّلًا ومُتَأَنِّيًا ـ إذَا مَرَّ بآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وإذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ .." مسلم. وفي رواية عند أبي داود والنسائي: " لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ ".

10- اجتنابُ المعَاصي؛ فالمعصيةُ تَقتُلُ التَّدبّرَ، وتُضْعِفُه!

* * * * *

للتقوى ثمار عظيمة ترتدُّ على صاحبِها في الدنيا والآخرة

1645- للتقوى ثمار عظيمة ترتدُّ على صاحبِها في الدنيا والآخرة:

فهي مَخرجٌ لصاحبها من كل ضيقٍ، وكربٍ، وهمٍّ:[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً]الطلاق:2. [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً]الأنفال:29.

وهي سبب للرزق والسّعة:[وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ]الطلاق:3. [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض]الأعراف:96.

وهي تجلبُ اليسرَ بعد العُسر:[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً]الطلاق:4.

وهي سبب رئيسي لتحصيل العلم والعمل به:[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282.

ومَن علّمَه الله أعانه على العمل بما عَلِم.

وهي سببٌ للفوزِ والفلاحِ في الدنيا والآخرة:[وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] البقرة:189.

وهي كفّارة للخطايا والذنوب: [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً]الطلاق:5. [إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ]الأنفال:29.

وهي شرطٌ للنصرِ، والولاية، والمحبّة، والمعيّة:[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]البقرة:194. [إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ]التوبة:4. [وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ]الجاثية:19.

وهي سبب للرحمة: [وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ]الأنعام:155.

وهي خير الزّاد: [وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى]البقرة:197.

جزاؤها جناتٌ، وعيون، ونَهَر، ومقامٌ أمين:[جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ]النحل:31. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ]الحجر:45. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ]الطور:17. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ]

القمر:54. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ]المرسلات:41. [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ] الدخان:51.

وهي وصيّةُ اللهِ الخالدة لعبادِه:[وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ]النساء:131.

* * * * *

أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم

1646- [أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم]؛ أَلُوذُ، وأَحْتَمِي، وأَسْتَعْصِم، وأَتَّقِي باللهِ العَظِيم، وبِقُدْرَتِه، مِن شَرِّ الشَّيطانِ الرَّجِيم؛ الملعُون، والمطرُود مِن رَحمةِ اللهِ، ومِن كُلِّ شَرٍّ يكونُ سَبَبُهُ الشّيطانُ الرَّجِيم .. ومن استعاذَ باللهِ، فقد استَعاذَ بِعَظِيمٍ، أنَّى للشيطانِ أن يَجِدَ إليه سَبيلاً؟!

* * * * *

فيروس " كورُونا " فسّر الآيات التّالية تفسيراً عمليّاً بليغاً

1647- فيروس " كورُونا " فسّر الآيات التّالية تفسيراً عمليّاً بليغاً:

[يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ]البقرة:276.

[فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ]الأنعام:44.

[فَأَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ]الزمر:25.

[أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ]الأعراف:97-98.

[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً] المعارج:19-21.

[وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً]النساء:28. [وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً]الإسراء:11.

[وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ]هود:9-10.

[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]الروم:41.

[وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]السجدة:21.

[فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ]الأنعام:42.

[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76.

[وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ]النحل:112.

[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا]القصص:58.

[وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ]الحج:48.

[وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]المدّثر:31.

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

1648-إن كُنتَ من المؤمنين ـ سواءٌ كنتَ ذَكَراً أم أنْثَى ـ فأنتَ مَعنيٌّ باسْمِكَ وشَخْصِكَ من خِطابِ ونِداءِ الخالِقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...]، وقد تَكَرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ الله تسعينَ مرَّة .. وإن لم تكنْ من المؤمنين، وعلى أي مِلَّةٍ كُنْتَ ـ

سواء كُنتَ ذَكَراً أم أنْثَى ـ فأنتَ معنيٌّ باسمِكَ وشَخْصِك من خِطابِ ونِداءِ الخالقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...] ، وقَد تكرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ اللهِ ثماني عشَرة مَرَّة!

* * * * *

وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ

1649-في كلّ زمانٍ قد يكره كفّارُه ومنافقوه بعض ما أنزَل الله، يختلف عمّا يكرهه أقرانهم من الكفار والمنافقين في الأزمنة السابقة واللاحقة، ولو تحرّج المسلمون في كل زمانٍ من هذا الذي يكرهه الكفارُ والمنافقون في زمانِهم ممّا أنزلَ الله، فكتموه، وحجبوه، وعطّلوا العملَ به ـ مراعاة لمشاعرِ الكفار والمنافقين، ونزولاً عند رغبتِهم ـ لما بقي من دينِ الله شيء، ولاندثرت معالِمه .. ولهذا ـ وغيره من الأسباب ـ جاء التّحذيرُ الشّديدُ، والوعيدُ الأليم من رب العالمين، لعبادِه المؤمنين، من أن يفتنهم الكفارُ والمنافقون عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ، أو أن يتبعوا أهواءَهم، كما قال تعالى:[وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ]المائدة:49. [كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ]الأعراف:2. [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ]هود:12. [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ]البقرة:145. [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]البقرة:159.

* * * * *

الطاغوت

1650- وردت كلمةُ " الطَّاغُوت " في القُرآنِ الكريم، ويُرادُ بها الفَرْدُ، والجَمْعُ، والمذكَّرُ، والمؤنَّثُ، للدَّلالَةِ على أن المعبودَ من دونِ اللهِ - إن كانَ رَاضِياً بذلك - على أيِّ صِفَةٍ أو هيئةٍ كان، يُطلَقُ عليه صِفَةُ ومُسَمَّى الطَّاغُوت.

* * * * *

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

1651- إذا كنتَ في أرضِ خوفٍ وكَربٍ .. وقد نأى عنك الناسُ .. والأعوانُ .. وغابت أنظارُهم .. تذكر قوله تعالى:[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]. وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السَّلام: [لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]. وقوله تعالى:[وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ]. يهونُ مُصابُك، وينجلي، ويذهب ما بك من خَوفٍ وكَربٍ، بإذن الله .. مَا مِن خَوفٍ يَقَع إلا لغَفْلَةٍ عن معيَّةِ اللهِ تعالى!

* * * * *

طَعَامُ وشَرَابُ أَهْلِ النَّارِ

1652- مِن طعَامِ أهْلِ النَّارِ، الضَّرِيعُ: كما قال تعالى:[لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ]الغاشية:6-7. والضَّريعُ شجرٌ في جهنم مِن نَارٍ، له شَوكٌ مِن نَارٍ .. قال بعضُ أهلِ العِلم: لشدَّةِ ألمِه، وحرِّه، ونتَنِه، وخشونتِه، يَضْرَعُ أهلُ النَّارِ أن يتخلَّصُوا ويُعفَوا منه .. وأنَّى .. فسُمِّيَ لذلك ضَرِيعًا!

والزَّقُّومُ: كما قالَ تعالى:[إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ]الدخان:43-44. وقالَ تعالى:[أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي

أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الصافات:62-66. وقال تعالى:[ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الواقعة:51-53. والزَّقُوم شجرةٌ، " غُذِّيت بالنَّار، ومِنها خُلِقَت ".

والغِسْلين: كما قال تعالى:[وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ]الحاقة:37. أي الكافرون، الذين تَرقَى أخطَاؤهم إلى دَرَجَةِ الكُفْرِ .. والغِسْلِين، صَدِيدُ، وقَيحُ، ودَمُ أهلِ النَّارِ، وما يخرجُ مِن لحومِهِم ....!

ومِن شرَابِهم، الماءُ الحمِيمُ: كما قالَ تعالى:[كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ]محمد:15. والماءُ الحمِيم، ماءٌ حارٌّ في مُنتَهى الحرَارَةِ، يُقَطِّعُ أمعاءَهم مِن شِدَّةِ حَرِّه.

والماءُ المُهْل: كما قال تعالى:[وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً]الكهف:29. والماءُ المهْلِ، " كعكرِ الزَّيتِ، فإذا قرَّبَهُ إلى وجهِهِ، سَقطَت فَروَةُ وجهِهِ فيه " مِن شِدَّةِ حَرِّه!

والماءُ الصَّدِيدُ: كما قَالَ تعالى:[مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ]إبراهيم:16-17. والماءُ الصَّدِيدُ، عصارَةُ أهْلِ النَّارِ مِن قَيحٍ ودَمٍ .. هذا طعَامُ وشَرَابُ أهلِ النَّارِ .. أمَّا عذَابَات جهنم الأُخْرَى لَا يعلمُ حقيقَتَهَا وشِدَّةَ آلامِها إلا خالقُهَا ... أعاذَنا اللهُ وإيَّاكُم مِن نَارِ جهنَّم، ومِن طعَامِها وشَرَابِها .. وما يُقَرِّبُ إليها مِن قَولٍ، واعتِقَادٍ، وعَمَل.

* * * * *

مَن أرادَ أن يَقرأَ في التوراةِ قَبْلَ أن يُصيبَها التَّحرِيفُ

1653-مَن أرادَ أن يَقرأَ في صُحفِ إبراهيمَ عليه السلام، وفي التَّوراةِ قبل أنْ يُصيبها التَّحريفُ، والتَّبدِيلُ، فليَقْرأْ سُورةَ الأَعْلَى، قال تعالى:[إِنَّ هَذَا]؛ الذي وردَ ذِكْرُهُ مِن الآياتِ في سورةِ الأَعْلَى، [لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

]الأعلى:18-19. موجُودٌ في صُحفِ إبرَاهِيمَ عليه السلام، وفي الصُّحفِ " التَّورَاة "، التي أنزَلها اللهُ على عَبدِه ونبيِّه مُوسَى عليه السلام.

* * * * *

العِلمُ المستَفَادُ مِن قصَّةِ خَرْقِ السَّفينةِ، وقصَّةِ قتلِ الغُلام

1654- مَن يتأمَّلُ العِلمَ الواسعَ المستفَاد مِن قِصَّةِ خَرْقِ السَّفينَةِ .. وقِصَّةِ قَتْلِ الغُلام .. وقصَّةِ بناءِ الجدَارِ المائلِ الذي قارَبَ على السُّقُوطِ والانهيارِ .. في سورةِ الكهْفِ .. يجد أن العِلمَ المستفَاد مِن تلك القَصَص لا يتعلَّقُ بالحلالِ والحرَامِ .. فموسى عليه السلام أعْلَمُ أهلِ زمانِه بالحلالِ والحرَام .. وإنما يتعلَّق بعِلْمَين جَليلَين بهمَا يتمايزُ أهلُ العِلم: أولهما النَّظرُ في المقَاصِدِ والمآلَاتِ .. واتخاذُ المواقِف والأحكام بناءً على مآلاتِ الأُمور، ومَا تَنتهي إليه، وليسَ على مجرَّدِ ظاهِرِها .. ثانيهما، النَّظَرُ في المصالح والمفاسِد، وعمليَّة الترجيح بين المصالح ذاتِها، وتَقديم الأكثر مَصلحة ومَنفعَة، على الأقلّ مَصلحَة .. والترجيحُ بين المفاسِدِ عند وجودِ الاختيَارِ الذي لا بُدَّ منه، وتَقديمُ المفسدَةِ الصُّغْرَى على المفسَدَةِ الكُبرى، ودَفْعُ المفْسَدَةِ الكُبرَى بمفسدةٍ أقَلّ منها.

* * * * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ

1655- يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَأتُوا رَبَّكم يومَ القِيامَةِ كافِرين .. تقولُون: لم يَصلْنَا مِن اللهِ خِطابٌ، ولا نِدَاء .. فاللهُ تعالى قد خاطبَكُم وناداكُم، وكرَّرَ نداءَه لكُم في كتَابِه العزِيز، بقولِه:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...]، اثنان وعشرين مرَّة، لترعَوْهَا سمعَكُم ومشاعرَكُم، يُطالبُكم بالإيمانِ، وأن توحِّدُوه، وتَعبدُوه، ولا تُشركُوا به شَيئاً .. ثمَّ لو أنَّ إنساناً عَزيزاً عليكَ

نادَاكَ أكثرَ مِن مَرَّةٍ، ولَمْ تُجبْه، لكان ذلك مَدْعَاة لك للحياءِ، والاعتِذَارِ .. فكيفَ إذَا كان المنادِي لكَ أكثرَ مِن عِشرين مرَّةٍ هو رَبُّ العَالمين؟!

* * * * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

1656- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ، لَا تَأتُوا رَبَّكُم يومَ القِيامَة بصحَائف مَلْأَى بالخطَايَا والذُّنُوب، والمظالِم .. تَقولُون: لَمْ يَصِلْنَا مِن اللهِ خِطَابٌ، ولا نِدَاءٌ .. فاللهُ تعالى قد خاطبَكُم ونادَاكُم، وكرَّرَ نداءَه لكم، في كتَابِه العزِيز، بقولِه:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...]، تسعاً وثمانين مَرَّة، لترعَوْهَا سمْعَكُم ومشاعرَكم، وتَنظُروا أينَ أنتُم مِن أمْرِهِ ونَهيه .. ثمَّ لو أنَّ إنساناً عَزيزاً عليكَ نادَاكَ أكثرَ مِن مَرَّةٍ، ولَمْ تُجبْه، لكان ذلك مَدْعَاة لك للحياءِ، والاعتِذَارِ .. فكيفَ إذَا كان المنادِي لكَ ـ يَا عَبدَ الله ـ أكثرَ مِن خمْسٍ وثمانِين مرَّةٍ هو رَبُّ العَالمين؟!

* * * * *

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ

1657-[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ]المائدة:82. كَثيرٌ مِن الناسِ كان يَتساءلُ عن معنَى وتَفسيرِ هذه الآيةِ الكريمةِ؛ لماذَا اليهودُ هم أشدُّ الناسِ حِقْداً، وكراهِيةً، وعداوةً للمؤمنين المسلمين .. إلى أن جاءت أحدَاثُ غَزَّة الدَّموية .. فأظهرَت عدوانَ الصهاينة اليهود على أهلِ غزَّة المؤمنِين المسلمين .. وارتكابَهم المجازر والجرائم المروّعة بحقّ المدنيين العُزَّل من أهلِ غَزّة المؤمنِين .. وقتلهم من أطفالِ ورُضَّع أهلِ غزَّة ما يزيدُ عن عشرة " 10000 " آلافِ طفلٍ .. وأكثر مِن سَبعةِ " 7000 "

آلافِ امرأة .. ونبْشِ قُبور الموتى بمجنزراتهم وآلياتهم .. وقتل أسرَى المسلمين ومرضاهم دَهْسَاً بدبَّاباتهم، وشاحِناتهم .. وهَدمِ وتدميرِ المشافي على مَن فِيها من المرضَى .. إضافة إلى منعِهم الماءَ، والغِذاء، والدَّواءَ عن المستضعفِين مِن أهلِ غزَّة، والذي استمرَّ لأكثر مِن شهرين ونصف، ولا يَزال .. فلم يدَعوا جريمةً إلَّا وارتكبُوها .. ولا إرهاباً إلَّا وفعلُوه ... فبعد أن رأى الناسُ مِنهم هذا الكَم الهائل مِن الإجرامِ، والتوحُّشِ، والحِقْدِ، والكرَاهيَّة، والرغبة الجامحةِ في سفكِ الدَّم البريءِ الحرَامِ .. وهَدم المساكن على مَن فيها مِن الآمنين .. هانَ عليهم فهم وتَفْسيرُ قوله تعالى:[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ]، وقالُوا: صدقَ اللهُ العظيم إذْ قال:[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ]! 2024/1/9

* * * * *

إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

1658- الإنسَانُ في اختبَارٍ مُستمرٍّ، استمرَاره في هذهِ الحياةِ، اختبَارٌ مِن جِهةِ التزامِه بالأمرِ والطَّاعَاتِ، واختبارٌ من جهةِ انتهائِه عن المحظورَاتِ والمنهيَّاتِ .. واختبارٌ من جهةِ تَعرُّضِه للبَلاءِ في نفْسِه، وفي مَالِه، وأهلِه .. وهذا يُشكِّلُ عليه ضَغطاً كبيراً .. لَا طَاقةَ لتحمُّلِه ولا للنجاح في هذه الاختباراتِ بَعيداً عنِ الصَّبْرِ .. لِذَا جاءَ الحضُّ على الصَّبرِ والترغيبِ به في مواضع عِدَّة مِن القُرآنِ الكريم .. قال تعالى في سورةِ البقَرة:[إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:153. وقال تعالى:[وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]البقرة:249. وقال تعالى:[وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. وفي سورة الأنفال:[وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]الأنفال:46. [وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]الأنفال:66. وفي آل عمران:[وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ

]آل عمران:146. ومَن كانَ اللهِ مَعَهُ، وكان اللهُ يحبُّه .. فَلا خوفَ، ولَا ضَيعةَ عليه .. والصَّعْبُ عليه يكونُ ـ بإذنِ اللهِ ـ سَهْلاً .. وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ "البخاري.

* * * * *

هل مِن الشِّركِ أن تَرجُو مِن عبادَتِك للهِ الجنَّةَ ...؟!

1659- [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]الكهف:110. مِن الشيوخ المعَاصِرين المشهُورِين، شَيخٌ عُرِفَ باهتمَامِه بالتَّفْسِيرِ .. له أخطاءٌ كثيرةٌ، وكبيرَةٌ، يَصعبُ السكُوتُ عنها .. مِنها قولُه: أنه لا يجوزُ أن تعبدَ اللهَ عِبادَةَ مَن يرجُو مِن عبادَتِه الجنَّةَ، وأن يجيرَه اللهُ مِن النارِ .. ثم يَستدلُّ بقولِه تعالى:[وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]؛ ويقُول: مَن كان يرجُو الجنَّةَ مِن عِبادَتِه فقد أشرَكَ بعبادَةِ ربِّه أحَداً .. وجعَلَ الجنَّةَ شَريكاً للهِ .. وكرَّرَ مقُولتَه هذه في دروسِه السَّمعيَّةِ والمسجَّلَةِ مرَّاتٍ عِدَّة .. وكثيرٌ هم الذين يَسمعُون له .. ممَّا استدْعَى التَّنبيه لهذا الخطَأ الكَبير، فأقُول: مَن عبدَ اللهَ تعالى راجياً مِن عِبادَتِه دخولَ الجنَّةِ، وأن يجيرَه اللهُ من النَّارِ .. لَا يَدخلُ في الشِّركِ المرَادِ مِن الآيةِ الكريمَةِ .. بل رَجاؤه مَشرُوعٌ، ومَسْنُون، قال تعالى:[وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ]آل عمران:133. فأمَرَنا بالمسارَعَةِ بالطَّاعاتِ مِن أجلِ الفوزِ بالجنَّةِ، وقال تعالى:[سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ]الحديد:21. وفي الحديث، فقد كان الصحابي يأتي إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ "البخاري. فهو يريدُ مِن عملِه دخُولَ الجنَّةِ، والنبيُّ صلى

الله عليه وسلم لم يَنْهَه، ولم يَقُلْ له سؤالُك هَذا خَطَأ، ومِن الشِّركِ .. وقالَ صلى الله عليه وسلم:" مَن يَضْمَن لي مَا بينَ لَحْيَيْه، وما بيْنَ رِجْلَيْهِ، أضْمَنْ له الجَنَّةَ "البخاري. وقَالَ صلى الله عليه وسلم: مَن صَلَّى البَرْدَيْنِ، دَخَلَ الجَنَّةَ "البخاري. وقالَ رَجُلٌ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ أُحدٍ: أرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ، فأيْنَ أنَا؟ قالَ:" في الجَنَّةِ "، فألْقَى تَمَرَاتٍ في يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حتَّى قُتِلَ. البخاري. وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لرَجُلٍ:" كَيفَ تقولُ في الصَّلاةِ، قالَ: أتَشَهَّدُ، وأقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ، وأَعوذُ بِكَ منَ النَّارِ، أما إنِّي لا أُحسنُ دَندنتَكَ ولا دَندنةَ مُعاذٍ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: حولَها نُدَنْدنُ ". وفي بيعة العَقَبةِ، قالَ الأنصارُ: يا رسولَ اللهِ، عَلامَ نُبايِعُكَ؟ قال: تُبايِعوني على السَّمعِ والطاعةِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، وعلى النَّفَقةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وعلى الأمْرِ بالمَعْروفِ، والنَّهْيِ عن المُنكَرِ، وعلى أنْ تَقولوا في اللهِ لا تَأخُذُكُم فيه لَومةُ لائِمٍ، وعلى أنْ تَنصُروني إذا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فتَمْنَعوني ممَّا تَمنَعون منه أنفُسَكُم وأزْواجَكُم وأبْناءَكُم، ولكم الجَنَّةُ ". ومِن الأدعيةِ التي علَّمَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأمِّ المؤمنين عائشة رضي اللهُ عنها، أن تقولَ في دعائِها:" اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ، ومَا قرَّبَ إليها مِن قَولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ ". وغيرُها عَشَراتُ النصُوصِ مِن الكتابِ والسنَّةِ التي تدلُّ على مشروعيَّةِ واستِحْسَانِ أن نسألَ اللهَ تعالى الجنَّةَ، وأن يجزينا على الطاعَاتِ الجنَّةَ، وأن يُعيذَنا من النَّارِ .. والتي تدلُّ على فسَادِ وخَطأ قولِ الشيخِ الوارِدِ أعلاه.

* * * * *

كُتِبَ وكُتِبَ

1660-إذا قَرَأَ الناسُ قولَه تعالى:[كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ]البقرة:183. التزَمُوا الأمرَ، ونفرُوا للصيامِ، مِن غيرِ نِقاشٍ، ولا جِدالٍ، ولَا اعتراضٍ .. وإذَا قَرأوا:[كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ]البقرة:216. كَثُرَ المرجفُون، والمثبِّطُون، والمجَادِلُون، والمعترضُون، والمتأوِّلُون .. علماً أنَّ هذه [كُتِبَ]، وهذه [كُتِبَ]؛ لَا فَرْقَ بينهما مِن حَيث الدَّلالَةِ والأمْرِ الذي يُفيدُ الوجُوبَ .. وكلاهما وردَتَا في سُورةٍ واحِدَةٍ؛ سُورةُ البَقَرة ...؟!

* * * * *

الهُدْهُدُ الفَقِيهُ

1661-[وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ]النمل:23-25. يَأبَى الطائرُ الهُدهُد الفقيهُ والموحِّدُ أن يرفعَ تقريرَه عن مُشَاهداتِه، وعن رحلتِه، إلى نبيِّ اللهِ سُليمان .. أو أن ينتَصِرَ لنَفْسِه قَبلَ أن ينتصرَ لدينِ اللهِ، ولعقيدَةِ التَّوحِيدِ .. ومِن دُونِ أن يُعرِبَ أولاً عَن غَضَبِه، واستهجَانِه، وإنكارِه للشرْكِ الذي رآهُ مِن مَلِكَة سَبأ وقومِها .. إذ كيفَ يَعبدونَ الشمسَ مِن دُونِ اللهِ .. والشمسُ مِن جملةِ مخلوقاتِ اللهِ .. ويَغفلُون عن عبادَةِ اللهِ الواحِدِ الأحَد، الفَرْدِ الصَّمَد .. يَغفلُون عن عبادَةِ المعبُودِ المألُوه بحقٍّ، وهو ربُّ العرشِ العَظِيم، وربُّ الخلقِ أجمعين .. الذي لا يخفَى عليه شيءٌ في السَّماواتِ والأرْضِ .. والذي يُحيطُ بكلِّ شيءٍ علماً .. فأتَى بالبرَاءِ مِن الشِّركِ، وبالكفْرِ بما يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ، وبالإثْبَاتِ أن المعبُودَ المألُوه بحقٍّ هو اللهُ تعَالى وحْدَه .. بإيجازٍ بَديعٍ فَرِيدٍ .. وهو معنَى شَهادَة التَّوحيدِ " لا إله إلا الله "، الذي دَعَا إليها

جميعُ الأنبياءِ والرسُلِ .. وفي هذا الانتصَار لعقيدَةِ التوحِيدِ إغراءٌ وحَضٌّ غير مُباشَر لنبيِّ اللهِ سُليمان لأن يَغزُو سَبأً، ويَدعُوهم وملِكَتهم إلى الإيمانِ، والإسلامِ .. فلَا شيء يُغضِبُ الأنبياءَ؛ كلَّ الأنبياءِ، كالشِّرْكِ، وعندما تُنتَهك حُرمَات التَّوحِيد .. فعَلَ الهُدهُد الطائرُ ما يَعجزُ عن فعلِه كثيرٌ مِن شيوخِ العَصْر .. الذين يمرُّون - في حِلِّهم وترحالِهم - على كثيرٍ من معَاني الشِّركِ؛ فيباركونَها، ويتبرَّكُون بها، ويحسبونَها خَيراً، وأنَّها مِن دِينِ اللهِ، ومَا هي مِن دِينِ اللهِ .. وهؤلاء حريٌّ بهم قَبلَ أن يتمشيخُوا، ويتصدَّرُوا مجالِسَ الوعظِ والإرشَادِ .. أن يَتعلَّموا التوحيدَ من مدرَسةِ الهُدهُدِ الموحِّدِ .. ويأخذُوا من شهادَتِه، وعِظتِه، وكلماتِه الدرُوسَ، والعِبَر .. فهذا لا يُنقِصُ مِن قَدْرِهم شيئاً .. ففي كثيرٍ مِن الأحيانِ يتعلَّمُ ويَستفيدُ الكبيرُ من الصَّغيرِ، ويجدُ عندَ الصَّغيرِ ما ليسَ عِندَه؛ ليتواضَع الكبيرُ .. هذا الهُدهُد الفقيهُ الموحِّدُ؛ هو ذاتُه الذي قال لنبيِّ اللهِ سُليمان عليه السلام - الذي سَخَّرَ اللهُ له الريحَ، والجِنَّ، والشياطينَ، والعفَارِيت - بثقَةٍ، وثبَاتٍ، ويَقِين:[أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ]!

* * * * *

مِن أسَاليبِ القُرآنِ الكَرِيم

1662- مِن الأسَاليبِ البَدِيعَةِ الملْفِتَةِ للقُرآنِ الكَرِيم أنَّه إذَا مَرَّ على آياتِ الوَعْدِ، ومَا أعَدَّ اللهُ تعالى لعبادِهِ المؤمنين مِن الجِنانِ والنَّعِيم المقِيم .. يَعقُبُها مباشرَةً أياتُ الوَعِيدِ، وما أعَدَّ اللهُ تعالى للكافِرين والمشرِكين، والعُصَاةِ الظالمِين مِن عذابٍ أليمٍ في نارِ جهنَّم .. والعَكسُ كذلك؛ إذا مرَّ على آياتِ الوعيدِ، أعقَبَها بآياتِ الوَعْدِ .. ليَحْمِلَ المسلمَ القارِئَ لكتَابِ اللهِ على التَّوازُنِ؛ فَلَا هو يَقعُ في الرَّجاءِ المفْرِطِ؛ الذي يحملُه على التَّواكُلِ، وترْكِ

العمَلِ .. ولَا هو يَقعُ في الخوفِ، واليأسِ، والقُنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ، الذي يحملُه على سُوءِ الظَّنِّ باللهِ، وإنما يجمعُ بينَهمَا؛ بينَ الخوفِ والرَّجَاءِ، ويَضعُ كلًّا منهما في مَوضِعِه المنَاسِب .. الخوفُ الذي يمنعُه مِن الجرْأةِ على رُكوبِ المعَاصِي، والاستخفَافِ بها، ويحملُه على فعلِ الطَّاعَاتِ .. والرَّجَاءُ الذي يحملُه على تحْسِين الظنِّ باللهِ، ويمنعُه مِن اليأسِ، والقنُوطِ مِن رحمةِ اللهِ إذا مَا وَقَع في الخَطَأ والزَّلَلِ.

* * * * *

أثَرُ الحسَنَات على السِّيئات

1663- [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114. القول بأن الحسنات مهما عظُمَت تُذهب صغائر الذنُوب فقط، دون الكبائر، قول مَرجُوح .. والراجحُ أن الحسنات تُذهب السيئات، وتؤثر في زوالِ السيئات بحسب قوة ودرجة الحسنات، كماً، ونوعاً، وإخلاصاً .. فإن عظمَت الحسنات، وعظم الإخلاص فيها، عظم أثرها على زوال السيئات، فليس كل الحسنات سواء في الأثر على السيئات .. فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بكَلْبٍ علَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فأوْثَقَتْهُ بخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلكَ "البخاري. وفي رواية عند مسلم:" بيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ قدْ كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَها، فاسْتَقَتْ له به، فَسَقَتْهُ إيَّاهُ، فَغُفِرَ لها بهِ ". فهذه امرأة زانية مومِس كانت تجاهر بمعصيتها، والزنى من كبائر الذنوب بلا خلاف .. فغُفِر لها ذنبها لحسن صنيعها مع الكلب، ورحمتها به.

ونحوه حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي بسند صحيح، قال صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللَّهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ عليهِ تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مَدِّ البصرِ ثمَّ يقولُ: أتنكرُ من هذا شيئًا؟ أظلمَكَ كتبتي الحافِظونَ؟ يقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: أفلَكَ عذرٌ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: بلَى، إنَّ لَكَ عندَنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فيخرجُ بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، فيقولُ: احضُرْ وزنَكَ، فيقولُ: يا ربِّ، ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجلَّاتِ؟! فقالَ: فإنَّكَ لا تُظلَمُ، قالَ: فتُوضَعُ السِّجلَّاتُ في كَفَّةٍ، والبطاقةُ في كفَّةٍ فطاشتِ السِّجلَّاتُ وثقُلتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ معَ اسمِ اللَّهِ شيءٌ ". بطاقة حسنة شهادة التوحيد غلبت، ورجحت وأزالت سيئات ملأت " تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مَدِّ البصرِ "، ولا ينبغي أن يُقال هنا أن هذه السجلات مُلئت بصغائر الذنوب، ليس فيها ذنب من الكبائر .. فهذا تحميل للنص ما لا يحتمل!

وقال صلى الله عليه وسلم:" وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا ". وقال:" إذا عمِلْتَ سيِّئةً فأتْبِعْها حَسَنةً تَمْحُها ". وهذا الحديث لم يخصص سيئة دون غيرها. وقال صلى الله عليه وسلم:" عَينانِ لا تمسُّهما النَّارُ: عينٌ بكَت من خشيةِ اللَّهِ، وعَينٌ باتت تحرُسُ في سبيلِ اللَّهِ ". لا تمسهما النار مهما كان منهما من سيئات؛ لأنهما أتيا بحسنتين عظيمتين لا تقوى أمامهما السيئات؛ البكاء من خشية الله، والحراسة في سبيل الله .. أكرم بهما من حسنتين عظيمتين كريمتين .. وأزعم أن مما يحتمله النص من معانٍ؛ أن حسنة البكاء من خشية الله، وحسنة الحراسة في سبيل الله .. تحجبان العذاب عن العين، وعن جسم صاحبهما؛ فأطلقت العين، وأريد بها العين وصاحبها، ثم أنَّ الله تعالى أكرم وأرحم من أن يرحم عيناً بكت خشية منه، وباتت تحرس في سبيله .. ثم يعذب سائر الجسد!

وقال صلى الله عليه وسلم:" للشهيدِ عند اللهِ ستُ خِصَالٍ ـ منها ـ: يغفرُ له في أوَّلِ دَفعةٍ من دمِه ..."؛ يغفر له ذنوبه لعظيم حسنة الشهادة في سبيل الله .. ولا ينبغي هنا أن يُقال: يغفر الله للشهيد صغائر ذنوبه دون الكبائر .. فهذا تخصيص لا يسعفه النص، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إِلَّا

الدَّيْنَ "مسلم. وهذا عام شامل لكل ذَنْبٍ إلا الدَّين .. فلم يخصص إلا بالدَّين؛ لبيان أهمية الدَّين.

وعن أَنَسِ بنِ مالكٍ قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ:" ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه حُرِّمَ على النَّارِ، وحُرِّمَتِ النَّارُ عليه: إيمانٌ باللهِ، وحُبُّ اللهِ، وأنْ يُلْقى في النَّارِ فيُحرَقَ أَحَبُّ إليه من أنْ يَرجِعَ في الكُفرِ ". فهذه الحسنات تدافع عن صاحبها، وتحرِّم عليه النار.

وفي أثر حسنة الصدقة على محو السيئات، قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الصدقةَ لتُطفئ عن أهلها حرَّ القبورِ، وإنما يَستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامة في ظلِّ صدَقتِه". وقال صلى الله عليه وسلم:"صَدَقةُ السرِّ تُطفِئُ غَضَبَ الربِّ". وقال صلى الله عليه وسلم:" سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يومَ القِيامَةِ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه ـ منهم ـ: ورجلٌ تَصدَّقَ بِصَدَقةٍ فأخْفَاها حتَّى لا تَعلَمَ شِمالُهُ ما صَنَعت يمينُه"متفق عليه. وقوله " في ظلِّه"؛ أي في ظلِّ عرشه سبحانه وتعالى؛ يوضح ذلك الروايات الأخرى الدالة على أن المراد من الظل ظل العرش، كما في الحديث:" المتحابون في الله يُظلهم الله في ظلِّ العرش يومَ لا ظلَّ إلا ظِلُّه "[صحيح الترغيب:3019].

وعن معاذ بن جبل قال:" كنتُ مع النبيِّ ﷺ في سفَرٍ، فقال ﷺ:" ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟"، قلتُ: بلى يا رسولَ الله، قال:" الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ كما تُطفئُ الماءُ النارَ ". وفي أثر حسنة الصلاة، قال صلى الله عليه وسلم:" أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بهِنَّ الخَطَايَا "مسلم.

ولما كاتب حاطب بن أبي بلتعة المشركين؛ يخبرهم عن جيش النبي صلى الله عليه وسلم المتوجه إلى فتح مكة .. وهذا خطأ كبير، لا يمكن أن يُصنَّف في خانة الصغائر .. حمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب عنُقه .. فقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، قدْ خانَ اللَّهَ ورَسولَه، والمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:" أليسَ مِن أهْلِ بَدْرٍ؟! لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إلى أهْلِ بَدْرٍ؟ فقالَ:

اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "، فَدَمعَتْ عَيْنا عُمَرَ، وقال: اللَّهُ ورَسولُهُ أَعْلَمُ. البخاري. رغم أن الذي فعله حاطب يدخل في خانة الذنوب والمعاصي الكبيرة إلا أنه قد تشفعت له حسنة بدرٍ، وغُفر له ذنبه بسبب حسنة بدر، أعظم وأكرم بها من حسنة!

قال تعالى:[إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً]النساء:48. في هذه الآية دليل أن الله تعالى يَغفر لمن يشاء جميع الذنوب، الصغائر، والكبائر .. وإن لم تُتبَع بتوبةٍ أو بحسناتٍ .. إلا الشرك فإن الله لا يغفره .. وإذا كان الأمر كذلك، فمن باب أولى أن تُغفَر السيئات ـ إن شاء الله ـ بما فيها الكبائر، إذا أُتبِعَت بالحسنات.

تنويه هام: نقول كلاماً عاماً لا على التَّعيين أن الحسنات تُذهب السيئات .. ولا نجزم لأحدٍ بعينه بأن حسناته ـ مهما عظُمَت ـ قد جبَّت سيئاته، وأنه قد غُفِر له بسبب حسناته، فهذا من التألِّي على الله، لا نُقدِم عليه .. فهذا علمه عند الله وحده .. يخضع لمشيئة الله تعالى إن شاء عَفَا وغَفَر، وإن شاء أَخَذَ بالذَّنْبِ، وعاقب .. وإن كان ولا بد، نستثني، نُعلِّق القولَ بمشيئة الله، فنقول: إن شاء الله حسناته تجبُّ سيئاته .. إن شاء الله حسناته تنفعُه يومَ القيامة، ولا نجزم .. هذا فيما يتعلق في اليوم الآخِر، والأحكام الأخرويَّة .. أما في الدنيا، والمعاملات الدنيويَّة، فإن الحسنات ينبغي استحضارها عند إصدار الأحكام على الأعيان والأشخاص، كما في قصة حاطب، وغيره.

* * * * *

1664- ... يتبع إن شاء الله.

www.abubaseer.bizland.com

www.altartousi.net

altartousi1@gmail.com